

اللُّسَانُ الْعَرَبِيُّ

مَجَلَّةٌ دَوْرِيَّةٌ لِلأَبْحَاثِ اللُّغَوِيَّةِ وَنَشَاطِ التَّرْجُمَةِ وَالتَّعْرِيفِ

سجل لأعمال

• مجامع اللغة العربية

• المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون

• الجامعات والمعاهد العلمية

• الهيئات والمراكز والسبع الوطنية للتعريب

• رجال الفكر والقاملين لإعلاء اللغة العربية

ومعلميها في مستوى اللغات العالمية الحديثة

المجلد الثامن
الجزء الأول



مركز تحقيقات وتطوير علوم ودراسات

يُضَدُّ مَرَّةً

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

جامعة الدول العربية

الرباط (المملكة المغربية)

١٢٠٤٤١

١٣٧٠ هـ



مرکز تحقیقات کامپیوتر و علوم اسلامی

دراسات لغوية

- تنظيرات ومقارنات حول معنى العامية في المغرب والاندلس
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- من اسرار العربية في البيان القرآني
للدكتورة عائشة عبد الرحمن
- من خصائص اللغة العربية
للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح
- هل كانت العربية لغة خليل الرحمن ؟
للاستاذ علي الخطيب
- الحياة في اللغة العربية
للاستاذ الياس قنصل
- دخيل ام ائيل ؟
للاستاذ عبد الحق فاضل
- حوار في العراق حول : اللغة كاداة للتعبير في مصر التكنولوجيا
- العوامل الطارئة على اللغة
للدكتور محمد عيـد
- تعليق ونقد
للاستاذ علاال الفاسي
- الاضداد في اللغة
للاستاذ حسين محمد
- تحليل ونقد
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- التطور اللغوي ونشوء العربية
للاستاذ محمد يوسف نور الدين
- تعريب المصـم
الامانة العامة لجامعة الدول العربية
- تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله
للاستاذ عبد الحميد المهيري
- تاثير العربية في سنـفـال
للاستاذ مالك انجاي
- نظرة في الصلات العربية الفارسية
للدكتور محمد التونجي
- لغة البادية
للاستاذ عبد الله بن خميس
- الصراع بين الفصحى والعامية
للدكتور زكي عبد الملك
- اساليب ومناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي
للدكتور باناهي
- اللغة عنصر من عناصر الحياة
للاستاذ الياس قنصل
- الالغاب عند العرب والمسلمين
للشيخ طه الواسي
- تطور الفكر العلمي ولغة التقنيات بالمغرب
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- تدريس العربية كلغة حية في الولايات المتحدة
للدكتور سامي عياد والدكتور نجيب جريس

تنظيرات ومقارنات حول : فضحي العامية في المغرب والاندلس الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

فقال : (لعل الدخيل كان نادرا في أرض الاندلس لان الامويين توخوا الوحدة في كل شيء) الى ان قال : « وكانت اللهجة الاندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه بلهجات اليمن والحجاز ، والاندلس استعملت الفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام » .

ونريد ان نقصر اليوم نظيرتنا على لهجاتي المغرب والاندلس لنأخذ من خلال هذه المقارنات كيف ان لهجة المغرب كانت أقرب الى الفصحى منذ القرن الرابع الهجري وسيكون مصدر بحثنا كتاب « لحن العوام » للعلامة اللغوي الكبير ابن بكر محمد بن حسن ابن مدحج الزبيدي (316 هـ - 379 هـ) وقد صدر هذا الكتاب (عام 1964) في سلسلة كتب « لحن العامة » بإشراف الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ الآداب بجامعة عين شمس .

والزبيدي هذا اشبيلي اندلسي أصله من حمص الشام وهو من تلامذة ابن علي القالي البغدادي في اللغة والشعر روى عنه كثيرا في كتابه « لحن العوام » ومن تلامذة الزبيدي اسماعيل بن سيده والد علي ابن سيده المشهور صاحب « المخصص » وقد وصف الزبيدي في كل من « طبقات ابن شهبة (2 / 37) والوافي بالوفيات (3 / 251) بأنه « شيخ اللغة

سبق ان نشرنا دراسة واسعة عن « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » منظرين بين فصحي العاميات في كثير من الاقاليم والاقطار العربية (سوريا - لبنان - مصر - الخليج العربي) وقد ركزنا خاصة على المقارنة بين اللهجة الدارجة في المغرب واللغة الفصيحة وضررنا مات الامثلة للدلالة على أصالة عاميتنا وقد عثرنا في كتب اللغة القديمة بعد صدور ذلك البحث على عدد كبير من المفردات التي حرفتها العامية تحريفا يسيرا والتي ترجع الى صلب الفصحى وبعضها بألف من أعماق اللسان الجاهلي الذي عدل من استعماله في العصر الحاضر وزدنا تركيزا لهذه الفكرة بفرب مثل حي باللهجة الواجبة في ناحية زعير الواقعة على أبواب عاصمة الرباط مما يدل على ان الدخيل في العامية المغربية كان قليلا اذا استثنينا مجموعات ضئيلة انتقلت من طريق الفصحى من الفارسية وفي اليهود الاخيرة من الاسبانية والفرنسية وقد قمنا بمحاولة جريئة استهدفنا بها استخلاص بعض القواعد التي درجت عليها اللهجة العامية المغربية في جولاتها قياسا على الفصحى وعلى بعض العاميات في البلاد العربية وبالاخص سوريا واذا استعرضنا المفردات الاندلسية التي وصلت اليها معرفة من أصلها العربي وجدناها أقرب في بنيتها وشكلها من دارجة المغرب للدخيل فيها قليل وقد تحدث الأستاذ الكبير كرد علي عن « عجائب اللهجات » (1)

والعربية بالاندلس « كما لقبه الفتح بن خاقان (2) بامام اللغة والاعراب وابن خلكان (3) ب « أوحده عصره في علم النحو وحفظ اللغة » وهو أيضا في نظر الثعالبي (4) « أحفظ أهل زمانه للآراء والفقه واللغة والمعاني والنوادر » وقد لخص المقرئ هذه الانظار كلها بقوله (5) : « هو في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق » .

وقد كتب الكثير في اخطاء العوام والخواص ونجتزئ الآن بذكر أربعة كتب مخطوطة في دار الكتب المصرية منها :

(1) درة الفواص في اوهام الخواص للقاسم بن علي الحريري (516 هـ) مع تكملة لها لابن منصور الجواليقي (540 هـ) .

(2) رسالة في اغلاط العوام للسيوطي (911 هـ) مرتبة على حروف المعجم .

(3) التنبية على غلط الجاهل والنبية لابن كمال باشا أحمد بن سليمان (940 هـ) (معجم رقم 348 لفة) .

(4) « تقويم اللسان » لابن الجوزي (597 هـ) وقد نشرنا قسما منه في العدد الاخير من مجلة « اللسان العربي » وصدر كاملا باشراف المجمع العلمي العربي ببغداد كما سبق أن نشرت مجتمعا « اللسان العربي » (العدد الثاني) دراسة حول العامية في « المغرب والاندلس » استعرضت المصنفات المغربية في هذا المجال « كانشاد الضوال وارشاد السؤال » (6) ويتضح من مائة مثال اوردها الزبيدي في كتابه بالنسبة للقرن الرابع الذي هو العصر الفني في حقب تطور اللغة العربية - ان الكثير من الفاظ العامية المغربية اقرب الى اللسان الفصحى - بنية وشكلا - من الدارجة الاندلسية :

وهاكم هذه الامثلة :

(1) بزيم للحديدة التي تكون في طرف حزام السرج او المنطقة .. والصواب ابريم (ص 15) .

(2) مطمح الانفس 53 / 23 .

(3) وفيات الاعيان 1 / 514 .

(4) يتيمة الدهر 1 / 409 .

(5) نفح الطيب 5 / 24 .

(6) سماء السيوطي في بغية الوعاة ص 82 بلحن العامة .

(2) دشيش .. والصواب جشيش (20) .
(3) يقولون لواحد الذبان ذبانة .. والصواب ذباب (31) .

(4) يقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف .. والصواب حرشف (ص 37) .

(5) يقولون لشجر يكون في الجبال عرار .. والصواب عرعر (ص 48) .

(6) يقولون حنن يده .. والصواب حنا يديه (ص 52) وهو المستعمل عندنا بالمغرب الاقصى وبذلك يكون المغرب هنا اقرب الى الفصحى من الاندلس .

(7) ويقولون للنبت الذي يصبغ به الثياب فوة (بالفتح) .. والصواب فوة (بالضم) (ص 63) (مثل المغرب) .

(8) قرنفل بضم الراء .. والصواب قرنفل (بالفتح) (ص 64) .

(9) يقولون فلان مذهول .. والصواب ذاهل (ص 65) وهو المستعمل بالمغرب .

(10) ويقولون لواحد الكلى كلوة .. والصواب كلية (ص 67) .

(11) ويقولون للظرف الذي يوضع فيه افواه المطر واصناف الحلبي حكة .. والصواب حق (ص 68) (حك بالمغرب) .

(12) ويقولون مقداذ السفينة .. والصواب المجذاذ (ص 69) .

(13) ويقولون حلقة للنبت الذي يتخذ منه الجبال .. والصواب حلقة (بالتحريك) (ص 70) .

(14) ويقولون للأناء المتخذ من الصفر سطل .. والصواب سيطل (ص 75) .

(15) ويقولون للحديدة التي يقطع بها ويحلق موسى ويعودون فيجمعونها امواسا .. والصواب موسى (ص 78) .

- 16) ويقولون فلان سلف (بتسكين اللام) فلان اذا تزوجا اختين .. والصواب سلف (بكسر اللام) (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 81) .
- 17) ويقولون لم افعل هذا ماد بمعنى حنى الان .. والصواب لم افعل هذا بعد (ص 83) .
- 18) ويقولون لويحانة طيبة الريح نعنن (بالفتح) .. والصواب نعنن بضم النونين (ص 87) .
- 19) ويقولون فلان مخمول .. والصواب الخامل (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 88) .
- 20) ويقولون سفرجل فيضمون (اي الجيم) .. والصواب سفرجل بالفتح وليس في الكلام الخماسي الصحيح شيء على مثال فعلل (ص 89) (والفتح الفصحى هو لغة المغرب) .
- 21) ويقولون للصبرة من الطعام وغيره كدس بالضم .. والصواب كدس (بالفتح) (يسكن بالمغرب) (ص 90) .
- 22) ويقولون لبعض الاصماغ المجنوبة لوبان (بفتح اللام) .. والصواب لبان (المستعمل بالمغرب) (ص 93) .
- 23) ويقولون حمص بالتخفيف .. والصواب حمص بالتشديد (كما في المغرب) (ص 94) .
- 24) ويقولون لبعض الفؤوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .. والصواب صاقور (ص 97) .
- 25) ويقولون لضرب من الشجر دفلة .. والصواب دفل (ص 99) .
- 26) ويقولون قادوم .. والصواب قدوم (مثل ما في المغرب) (ص 100) .
- 27) ويقولون للحية حنش فيسكنون .. والصواب حنش (بالتحريك) (ص 102) (بفتح النون في المغرب) .
- 28) ويقولون للبستان الذي يحظر عليه جنان ويجمعونه اجنة .. والصواب جنة يجمع على جنان وليس الجنان بواحد (ص 111) .
- 29) ويقولون لمن يقعد من المشي والقيام من علة او خلقة مقعد (بالفتح) .. والصواب مقعد بالضم (وهو المستعمل بالمغرب) (ص 112) .
- 30) ويقولون للثبت الذي يشبه الخطم خبير .. والصواب خبار (ص 115) .
- 31) ويقولون خلخال بكسر اوله .. والصواب خالخال (بالفتح) (ص 116) (مثل ما في المغرب) .
- 32) ويقولون قصعة (بالكسر) لواحد القصاع .. والصواب قصعة بالفتح (ص 117) (مثل المغرب) .
- 33) ويقولون نافق القميص .. والصواب نيفق (ص 125) .
- 34) ويقولون للشجر الذي يعصر منه الزيت صنوبر .. والصواب صنوبر على مثل فعولل (ص 132) .
- 35) ويقولون للظرف الذي يقلى فيه الحب وغيره مقله .. والصواب مقلى بلا هاء (كما في المغرب) (ص 140) .
- 36) ويقولون شورة العروس والبيست .. والصواب شوار (ص 141) (هو المستعمل في المغرب) .
- 37) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبس .. والصواب جص (ص 144) (يستعمل المغرب كلمة كص بدل جص بمعنى البلاط المجصص) .
- 38) ويقولون للذي يلاط به البيوت جبر .. والصواب جيار على مثل فعال وهو الصاروج ايضا (ص 145) .
- 39) ويقولون عند الاستعجال هيا (بالفتح) وربما قالوا ايا .. والصواب هيا بالكسر (ص 148) .
- 40) ويقولون كاغط بالطاء المجمة .. والصواب كافت بالدال غير المجمة (ص 152) (كاغط بالطاء المشالة بالمغرب) .
- 41) ويقولون صوف موضح بالفساد .. والصواب مودح بالدال المجمة (ص 155) (يقال في المغرب ليقة اي صوفة مودحة بتسكين الدال) .
- 42) ويقولون لواحد المصران مصرانة .. والصواب مصير ثم يجمع على مصران (ص 157) .
- 43) ويقولون سكرانة بينونها على سكران .. والصواب سكرى (ص 162) .
- 44) ويقولون للزئبق زواق .. والصواب زاووق (ص 166) (في المغرب زاواق) .
- 45) ويقولون هو مبطل اليد .. والصواب مبطل الا ان يكون خرج مخرج مجنون ومزكوم وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه (ص 169) .

بيت كبير وخاصة على المكتب الرسمي في الدوائر
المخزنية .

58) ويقولون نزل اليوم شتاء كثير يعنون
المطر وهو يوم شات والشتاء فصل من فصول السنة
كالربيع والصيف وليس بواقع على المطر (ص 221) .

59) ويقولون للدينار من الذهب مثقال والمثقال
زنة الشيء الذي يشغل به ويقال دينار ثاقل اذا كان لا
ينقص (ص 221 - 222) .

60) ويقولون لعود الشراع صار والصارى
الملاح (ص 224) .

61) ويقولون للتي يعلى بها السقوف القراميد
جمع قرمد والقرمد ما طلي به الحائط من جص أو
جيار (ص 224) (ويقولون في المغرب القرمود لنفس
المسمى الاندلسي والقرمود في اللغة ولد الوعل) وقد
أشار الزبيدي الى ما ذهب اليه يعقوب من أن القرمود
خرف يطبخ وقال انه ليس بصحيح وهو ما أخذ به
المغاربة في العدوتين .

62) ويقولون أسطوان البيت الذي يشرع الى
الفناء والاسطوانة السارية (ص 227) .

63) ويقولون للكثيرى اجاص والاجاص ضرب
من المشمش (وفي النبات لابي حنيفة الدينوري ج 5
ص 41 : والاجاص عند اهل الشام الكثيرى وبسمون
الاجاص المشمش) .

ومعلوم ان كلمة انجاص المستعملة في كل من
الشام والمغرب اصلها اجاص وهي تعني في الحقيقة ما
(وهو البرقوق في مصر prune يسمى بالفرنسية
أو المعروف فلفا بالخوخ في الشام) .

64) ويقولون سانية للخشب تدبره الدابة اذا
سنت والسانية هي الدابة بعينها التي تسنو (ص 231)
(وتطلق السانية في المغرب على الجنة التي تسنا) .

65) ويقولون للزق الذي ينفخ به الحداد كبير
(ص 227) .

66) ويقولون « باع » لاوسع الخطا والباع ما
بين طرفي يدي الانسان (ص 238) .
(يلتقي المغرب مع الفصحى في هذا المفهوم) .

67) ويقولون آرى لمعلف (بكسر الميم) الدابة
والآرى الجبل الذي تشد به الدابة (ص 239) ويطلقه

46) ويقولون صمعة المسجد ويجمعونها على
صمع .. والصواب صومعة (ص 171) .

47) ويقولون للمطهرة مبيضة .. والصواب
مبيضة بالهمزة (ص 174) .

48) ويقولون لسام ابرص وزفة فيخففون ..
والصواب وزفة (بالتحريك) (ص 179) .

49) ويقولون منكب (بالفتح) الانسان وغيره
.. والصواب منكب بالكسر (ص 185) .

50) ويقولون للمدة الخارجة من الجرح قيح
(بكسر القاف) .. والصواب قيح (بفتح فسكون)
(ص 185) .

51) ويقولون لجمع الحداة احذية .. والصواب
حذاء (ص 189) (احذية للمفرد في المغرب كما في الحجاز)
حذاء (ص 189) (وهي لغة فصيحة) .

52) ويقولون لجماعة الصاحب صحاب
(بالفتح) .. والصواب صحاب (بالكسر) ولا يكون
فعال جمعا مكسرا الا قولهم شباب لجماعة الشباب
(ص 191) (وفي المغرب يسكنون الصاد كما هي العادة
في بداية الكلمات غالبا) .

53) ويقولون امرأة عروسة فيلحقون الهاء ..
والصواب عروس والجمع عرائس (ص 193) (عرايس
بالمغرب) .

54) ويقولون مخدة التي توضع تحت الخد ..
والصواب مخدة بالكسر وهي أعظم من المصدفة
(تسكين الميم بالمغرب) (ص 194) .

55) ويقولون جارية عزبا للبكر .. والصواب
عزبة وهي التي لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا ورجل
عزب (ص 201) .

56) ويقولون يا غايث المستفيثين .. والصواب
يا مغيث (ص 202) (يقال يا غياث في المغرب بصيغة
المبالغة) .

57) ويقولون بنيقة للقطعة من الشقة تخاط
بجانب القميص والبنيقة لبنة القميص التي فيها
الازرار (ص 213) (والواقع ان البنيقة تطلق كما في
التاج على اللبنة والجربان والدخرس كما تطلق على
زمنة الكرم أو السطر من النخل وهو المجاز الذي أخذ
به المغاربة عندما أطلقوا البنيقة على قطعة أو غرفة من

- المغرب محرفا الى اروي على الملفف (بالفتح) (اي مكان الملف) .
- (68) قولهم الوادي للنهر خاصة .. والوادي كل يطن مطمئن الارض (ص 240) .
- (69) ويقولون ريحان للاس خاصة دون سائر الرياحين والريحان كل نبت طيب الريح (ص 241) .
- (70) ويقولون لحاف للغطاء الذي يكون على الاسرة خاصة وللحاف ما التحف به من ثوب (ص 242) (ويطلق في المغرب على المنجد من السرور) .
- (71) ويقولون بكرت اليك بمعنى غدوت خاصة .. والبكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار (ص 245) . والواقع ان العرب استعملت البكور بمعنى الخروج غدوة كما في معاجم اللغة وهو بمعنى التقدم اي وقت من ليل او نهار من اقوال ابن جنبي فتكون عامية المغرب والاندرلس بذلك نصيحة .
- (72) ويقولون آرنج ولارنج .. والصواب نارنج (ص 251) .
- (73) يقولون لضرب من المصافير براطيل والبراطيل حجارة مستطيلة واحدا برطيل (ص 262) .
- (74) ويقولون طعام ذو بنة اذا كان ذا طيب ومساغ ، والبنة الرائحة الطيبة يقال شراب ذو بنة اذا كان طيب الريح (ص 263) .
- (75) ويقولون لواحد الحراب حربة يفتحون الرء .. والصواب حربة بالتخفيف (ص 266) وهو المستعمل بالمغرب) .
- (76) ويقولون لبعض الحبوب حلبا .. والصواب حلبه (ص 267) .
- (77) ويقولون لبعض بسط الصوف حنبل والحنبل الغرو من الشيباني (ص 268) .
- (68) ويقولون خمنت الشيء تخميما اذا قدرته .. والصواب خمنت بالنون من التخمين (ص 271) .
- (79) ويقولون لما وتي به الحائط من حطب او حشيش زرب والزرب حفرة تحفر مثل البيت يبنى حولها (ص 274) .
- (80) ويقولون للطائر زرزل باللام .. والصواب زرزور (ص 274) (كما في المغرب) .
- (81) ويقولون زريعة فيشددون .. والصواب زريعة بالتخفيف (ص 274) .
- (82) ويقولون للذي يمسح من شجر الصنوبر زفت (بالفتح) .. والصواب زفت بالكسر (ص 275) .
- (83) ويقولون سموت في الامر .. والصواب سميت في الامر (ص 276) (كما في المغرب) .
- (84) ويقولون للحبل الذي يربط به الدابة طوال .. والصواب طول (ص 282) .
- (85) ويقولون موش الطائر .. والصواب عش (ص 284) (كما في المغرب) .
- (86) ويقولون للذي ينخل به الحنطة غربال .. والصواب مغربل (ص 284) .
- (87) ويقولون لجمع القط قطاطيس .. والصواب قطط (ص 287) (قطوط بالمغرب) (القطوس هو القطط بالبربرية) .
- (88) ويقولون قليع المركب ويجمعونه على قلع .. والصواب قلاع وجمعه قلعوع (ص 287) (كما في المغرب) .
- (89) ويقولون للبيت الذي بجانب البيت المسكون قيطون .. والقيطون الذي يكون في جوف البيت يتخذ للنساء (ص 288) .
- (90) ويقولون لجمع الكرم كرمات .. والصواب كروم (ص 289) .
- (91) ويقولون كرع الشاة .. والصواب كراع (ص 290) (كما في المغرب) .
- (92) ويقولون للحجر المطبوخ لاجور .. والصواب آجر وآجور (ص 292) .
- (93) ويقولون لقة المداد فيشددون .. والصواب ليقة (ص 293) (كما في المغرب) .
- (94) ويقولون للذي يصيبه البلاء مجدام والمجدام النافذ في الامور الماضي (ص 294) .
- (95) ويقولون مرقعة بالتخفيف .. والصواب مرقعة ومرق للجمع (ص 294) .
- (96) ويقولون المكني بابي فلان .. والصواب المكني بفتح الميم (ص 297) (كما في المغرب) (المكني بفتح الكاف وكسر النون مع تشديدها) .

(97) ويقولون لجمع الماء مائة بالتاء ..
والصواب أمواه للجمع الأقل ومياه للكثير (ص 298) .
(مياه في المغرب) .

(98) ويقولون امرأة نفيسة .. والصواب نفساء
(ص 298) .

(99) ويقولون لبث الطعام هري (بكسر الراء)
.. والصواب هري (بتسكينها) (ص 299) .

(100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد
واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والمفرد
(ص 301) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح أن عامية المغرب
اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس : واحد ولاتين
في المائة (حيث أن 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ
في المغرب بنية عربية فصيحة في حين أن المائة كلمة
الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى)



مَسَرُّرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِي

الدُّكْتُورَةُ عَائِشَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ «بَنَتْ الشَّاطِئُ» الْقَاهِرَةُ

فِيمَا اشْتَغَلَ بِهِ عَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ مِنْ دِرَاسَةِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ ، اِدْرَكْتُ اَنْنَا سَنُظَلُّ مَحْجُوبِينَ مِنْ اَسْرَارِ لِفْتِنَا ، اِذَا لَمْ نَعُدْ مُنْجَلِبِيهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، مَعْجَزَةِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ ، وَكِتَابِ الْعَرَبِيَّةِ الْاَكْبَرِ .

وَفَكَّرْتُ اَنْنَا مَضِينَا عَلَى اَنْ نَخْتَارَ لَابْنَانَا النَّمَاذِجَ الْعُلْيَا مِنْ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ وَنَثَرِ الْكُتَابِ . وَتَخَفَّيْ دِرَاسَتَهُمْ لِلْعَرَبِيَّةِ وَاَدْبِهَا ، بِمَعْزَلٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الْمَحْكَمِ الْمُبِينِ ، الَّذِي يَجْلُو ذَوَاتَهَا الْاَصِيلَ الْمَرْهَفَ ، فِي ذُرْوَةِ نَقَائِهِ وَاعْجَازِ بَيَانِهِ .

وَإِذَا اخْضَعُ فِي مَهْمِي لِبَيَانِ الْقُرْآنِ وَدَلَالَاتِ الْفَاصِلِ ، لِلْمَنْهَجِ الدَّقِيقِ الَّذِي تَلَقَّيْتُهُ مِنْ «اَسْتَاذِنَا اَمِينِ الْخَوْلِيِّ» فِي اسْتِقْرَآءِ الْاِسْتِمْعَالِ الْقُرْآنِيِّ لِكُلِّ لَفْظٍ أَوْ عِبَارَةٍ ، وَتَدْبِيرِ سِيَاقَتِهَا الْخَاصِّ فِي الْآيَةِ وَالسُّورَةِ ، وَالسِّيَاقِ الْعَامِّ فِي الْكِتَابِ كُلِّهِ ، بَدَأَ لِي بَعْدَ طَوْلِ التَّدْبِيرِ وَالتَّأَمُّلِ ، اَنَّهُ حَيْثُمَا يَحْشُدُ الْمُسَرُّونَ مَدَّةَ الْفَاصِلِ فِي تَفْسِيرِ لَفْظٍ قُرْآنِيٍّ ، يَمَيِّنِي اَنْ اُضِغَّ لَفْظًا مِنْهَا فِي مَوْضِعِ اللَّفْظِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْكِتَابُ الْمَحْكَمُ ، دُونَ اَنْ يَضِيعَ سِرُّ الْكَلِمَةِ .

وَمَا مِنْ هَرَفٍ تَأَوَّلُوهُ زَالِدًا أَوْ قَدَّرُوهُ مَحْذُوفًا ، يُمْكِنُ اَنْ تَقُومَ الْعِبَارَةُ عَلَى التَّأْوِيلِ بِزِيَادَتِهِ أَوْ حَذْفِهِ . وَلِفْتَنِي هَذَا اِلَى اَسْرَارِ الْعَرَبِيَّةِ اَحْتَجَبَتْ مِنْهَا ، لَطُولُ مَا اَخْطَلَتْ الدَّلَالَةُ الْقُرْآنِيَّةُ بِالدَّلَالَاتِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَلَطُولُ مَا اَحْتَكَمْتُ تَوَاقِدَ الصَّنْعَةِ الْاِمْرَاقِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ الْبَلَاغِيِّ الْمُدْرَسِيِّ ، فِي تَوْجِيهِ النَّصِّ الْاَعْلَى الَّذِي يَنْبَغِي اَنْ تَعْرَضَ عَلَيْهِ كُلُّ تَوَاقِدِ النِّهَاةِ وَاللَّفْظِيِّينَ وَالْبَلَاغِيِّينَ .

وَلَا يَتَسَعُّ الْمَجَالُ الْمَحْدُودُ هُنَا لِمَعْرِضِ كُلِّ مَا اَجْتَلَيْتُ مِنْ هَذِهِ الْاَسْرَارِ الَّتِي حَجَبَتْ مِنْهَا ، وَاِنَّمَا حَسْبِي اَنْ اَقْدِمَ مِنْهَا الْمَثَلَ وَالشَّاهِدَ ، فِي سِرِّ الْبَيَانِ فِي الْحَرْفِ لَا يَفْنِي مِنْهُ سَوَآهُ وَفِي الْكَلِمَةِ لَا يَقُومُ مَقَامُهَا غَيْرُهَا مِنْ حَشْدِ الْاَلْفَاظِ الْمُغُولِ بِتَرَادُفِهَا ، وَفِي التَّعْبِيرِ يَقْعُدِي كُلُّ مَحَاوَلَةٍ لِقَاوِيلِهِ عَلَى فَيْرٍ مَا جَاءَ بِهِ فِي الْبَيَانِ الْمَعْجَزِ :

« لَوْ اَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّمًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَفْسُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » .

سر الحرف

ما من حرف في القرآن الكريم ،
تأولوه زائدا أو قدروه مخذولا أو
فسروه بحرف آخر ، إلا ويتحدى
بسرّه البياني كل محاولة لتأويله
على غير الوجه الذي جاء به في
البيان الممجّز .

*

من سر الحرف ، أقدم هنا شواهد من هروف
قرآنية ، مفردة ومركبة ، حاول المفسرون في تأويلها
أن يعدلوا بها على وجه التقدير والتأويل ، عن نظمها
الذي جاءت به في البيان الأعلى ، لكي تلبي مقتضيات
الصنعة الاعرابية أو أحكام الصنعة البلاغية .

وبقيت هذه الحروف ، تتحدى كل محاولة لتغيير
أو تقدير بحذف وزيادة .

ولناخذ مثلا ، حرف الباء في مثل قوله تعالى :
« وما ربك بغافل عما تعملون »
« لست عليهم بمسيطر »

جرى النحاة والمفسرون على القول بأن هذه
الباء زائدة في خبر « ما » و « ليس » لا يعمون بزيادتها أنها
جاءت عبثا أو لغوا ، وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد .

وقد جاء « ابن هشام » بهذه الباء الزائدة في
الخبر ، مع خمسة مواضع أخرى لزيادة الباء .
وأدرجها جميعا تحت حكم عام ، هو معنى التأكيد
المستفاد من الباء الزائدة (1) .

ومع قولهم أن هذه الباء الزائدة في الخبر ،
للتأكيد ، جرت الصنعة الاعرابية على تصرع عملها على
الشكل لا المعنى . فهي تعمل في ظاهر لفظ الخبر
ويبقى الحكم الاعرابي على أصله ، منصوبا بفتحة
مقدرة على آخر الخبر ، منع من ظهورها اشتغال
المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ونردد نحن هذا الحكم التقليدي جيلا بعد جيل .
ويتلقاه الطلاب جميعا تلقينا لا يملكون إلا أن يحفظوه .

دون أن نتردد في قبول القول بزيادة الباء وقد
صار من القولات البديهة التي نقولها على وجه
الضرورة والالزام .

وباستقراء ما في القرآن من خبر « ما » وليس
تلقانا ظاهرة مجيء هذه الباء المقول بزيادتها ، في
خبرها المفرد الصريح غير المؤول .

فخبر ليس ، تلزمه الباء في ثلاث وعشرين آية ،
ولا تتخلف إلا في ثلاث آيات نعرض لها بعد حين .

وخبر « ما » النافية تلزمه الباء أيضا ، لا تتخلف
فيما أذكر إلا في بعض آيات لها سياقتها الخاص نتدبره
بعد حين في موضعه .

وإنما يطرد استغناء الخبر عن الباء ، إذا كانت
« ما » النافية ، متلوة بالفعل كان ، فينصب الخبر به
صريحا مفردا غير مقترن بالباء ، في مثل آيات :
البقرة 16 :

« وما كانوا مهتدين »

ومعها آيتا : الانعام 144 ، يونس 45
آل عمران 67 :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا »
الاعراف 7 :

« فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين »
الأنفال 33

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »
الاسراء 15 :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »
الاسراء 20 :

« وما كان عطاء ربك محظورا »
يوسف 111 :

« ما كان حديثا يفترى »
الكهف 51 :

« وما كنت متخذ المضلين عضدا »
مريم 64 :

« وما كان ربك نسيا »
الشعراء 8 :

« وما كان أكثرهم مؤمنين »

+ 67 ، 103 ، 121 ، 139 ، 158 ، 174 ،
190 .

(1) مغنى اللبيب : ج 1 من 91 ط. الجمالية بالقاهرة 1329 .

الشعراء 209 :

« ذكرى وما كنا ظالمين »

النمل 32 :

« ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون »

القصاص 45 :

« وما كنت ثاويا في أهل مدين »

القصاص 59 :

« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون »

الأحزاب 40 :

« ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله » .

الأنعام 33 :

« إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

والنفي بـ « ما » في مثل هذا الأسلوب ، لا يتجه إلى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على الجملة من (كان) واسمها وخبرها .

✱

أما حين يكون الخبر المفرد الصريح لما ، فالباء تلزمه ، لم تنخلف إلا في آية المجادلة :

« ما من أمهاتهم » وآية يوسف : « ما هذا بشرا » .

وإمام هذه الظاهرة الأسلوبية من غلبة اقتران خبر « ما وليس » بالباء ، لا يهون القول بأنها حرف رائد ، إذ أن مقتضى القول بزيادتها ، إمكان الاستغناء منها ، وهو ما لا يومية إليه البيان الأعلى .

والمسرون مع النحاة في أن هذه الباء زائدة للتأكيد (1) .

وفي منهجنا ، لا تؤخذ الباء في آية من الآيات ، بمعزل من نظائرها في القرآن كله ، وقد نرى أن الباء

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 سورة القلم

كما تحتل تأكيد النفي في بعض الآيات ، تحتل نقض النفي في آيات أخرى .

فاننظر إذن في كل الآيات التي يقتزن خبر (ما وليس) فيها بالباء ، مقارنة بالآيات التي استغنى الخبر عن الباء ، لعل الاستقراء يهدينا إلى خطة بيانية من أسرار العربية .

ونبدأ بخبر « ما » غير المتلوة بالفعل كان ، فنراها قد لزمته أطرادا في آيات :

البقرة 8 :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين » .

البقرة 74 :

« وما الله بغافل عما تعملون » —
« يعملون » معها آيات : البقرة 85 ، 140 ،
144 ، 149 ، وآل عمران 99 .

الأنعام 132 :

« وما ربك بغافل عما يعملون » — تعملون
— معها آيات : هود 123 ، النمل 93 .

الأنعام 107 :

« وما جملناك عليهم حنيفا وما أنت عليهم بوكيل » معها : الشورى 6 .

البقرة 96 :

« يود أحدهم لو يمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يمر »

البقرة 102 :

« وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله » .

ق 29 :

« ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد »
معها : فصلت 46 .

البقرة 167 :

« كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار »

هود 29 :

القسام 2 :

« ما أنت بنعمة ربك بمجنون »

« وما أنا بطارد الذين آمنوا ، أنهم ملائكة ربهم » ، معها : آية الشعراء 114 .

هود 83 :

« وما هي من الظالمين ببعيد »

يوسف 17 :

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »

التحليل 46 :

« أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين » .

غافر 56 :

« أن في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه » .

ابراهيم 22 :

« ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي » .

يوسف 44 :

« قالوا اضغاث احلام وما نحن بثاول الاحلام بعالمين » .

الشعراء 138 :

« وما نحن بمعذبين »

النحل 81 :

« وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم » معها : آية الروم 53 .

طاهر 22 :

« وما أنت بمسمع من في القبور »

الصافات 163 :

« ما أنتم عليه بغاثين » .

التكوير 22 ، 24 :

« وما صاحبكم بمجنون ، ولقد رآه بالائق المبين . وما هو على الغيب بشئين »

الطارق 14 :

« أنه لتول عمل . وما هو بالهزل » .

هل تكون الباء زائدة مع اطراد مجيئها في هذه الآيات ، لم تتخلل فيها اذكر الا في آيتي المجادلة : « ما هن أمهاتهم » ويوسف : « ما هذا بشرا » ؟ أو هل يكفي القول بأن الباء زيدة لمجرد تأكيد النفي ؟

العربية تعرف اساليب عدة للتأكيد اللفظي والمعنوي ، كالقسم والتكرار ، وادوات التأكيد المعروفة

ولا بد أن يكون لكل أسلوب منها ملحظ بياني يميزه عن سواه .

وقد نحس في كل الآيات التي اقترن فيها خبر « ما » بالباء ، أن سياقتها لجحد المنفى وانكاره . ولعله قد أغنى عن الباء في آيتي (المجادلة ويوسف) التقرير المستفاد من أسلوب القصر بعدها :

« الذين يظاهرون من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم » « وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم »

*

وننظر في خبر « ليس » فليفتنا البيان القرآني الى خطأ ادراجها جميعا تحت حكم واحد ، يقول بزيادة الباء للتأكيد .

وأول ما يهدي اليه الاستقراء ، هو أن نفرق بين الجمل الخبرية منها ، والجمل الاستفهامية :

فحيث يجيء النفي بـ « ليس » في الجمل الخبرية ، في سياق جحد المنفى وانكاره ، اقتصرن الخبر بالباء : كما في آيات :

البقرة 267 :

« ولستم بأخديه الا ان تمضوا فيه »

آل عمران 182 :

« ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد » ومعها آيات : الأنفال 51 ، الحج 10 ، فصلت 46

الأنعام 66 :

« قل لست عليكم بوكيل »

الأنعام 89 :

« فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين »

الأنعام 132 :

« كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »

البائدة 116 :

« قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق »

الحجر 20 :

« وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين »

الاحقاب 32 :

« ومن لا يجب دامي الله فليس بمعجز في الأرض »

المجادلة 10 :

« وليس بضارهم شيئا الا باذن الله »

الغاشية 22 :

« مذكر انما انت مذكر، لست عليهم بمسيطر »

ويستغني البيان القرآني في الجمل الخبرية ، من هذه الباء في خبر ليس ، حين يكون السياق لغير جحد المنفي وتقرير انكاره . فآية (الرمذ) : المنفي فيها من المشركين وما كانوا على يقين مما ينفونه ، وانه للحق لا ريب فيه :

« ويقول الذين كفروا لست مرسلنا ، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم » 43 وآية (النساء) : سياقها الامر بوجوب التبيين والتأكد ، قبل التعمجل بالنفي : « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون مرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا » 94 .

وآية (هود) تد الغنى من تقرير النفي بالباء ، التعميل على الجملة الخبرية بما ينقلها من غيب لم يقع ، الى ما مضى قد تقرر وكان :

« ولئن اخبرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحسبه ، الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون » 8 .

وهذه الآيات الثلاث محسب هي التي لم يقرن خبر « ليس » فيها بالباء ، في الكتاب العربي المبين .

وسياقها على ما رأينا ، غير السياق في سائر الآيات التي اقترن فيها خبر « ليس » بالباء ، فأمادت من الانكار البات ما لا يدع مجالا لأي شك في نفي الخبر المقترن بها .

ولا غنى عن الباء في مثل هذا السياق ، فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتل الصدق والكذب والباء هي التي تنقله من أصل وضعه الأول ، الى دلالة النفي البات والانكار العاسم .

※

فماذا من خبر « ليس » في الجمل الاستهامية ؟ أما هذه فيطرد مجيء الخبر فيها مقترنا بالباء ، ولا يتخلل في القرآن كله .

وما من آية منها ، يمكن أن تحتل نفي أو تأكيدا لنفي ، بل ينتفض النفي بالباء فيها جميعا ويصير الى اثبات جازم وتقرير ملزم ، بحيث تستغني عن جواب المستفهم منه ، أو يجاب بلفظ « بلى » المختص بإيجاب ما يستفهم منه منفي .

وهذا استقراء لكل ما في القرآن من استفهام عن جمل منفية بـ « ليس » والخبر فيها صريح مفرد .

الأنعام 30 :

« ولو ترى اذ ، وقفوا على ربهم ، قال ليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا »

الأنعام 53 :

« اليس الله باعلم بالشاكرين »

الامراف : 172 :

« واشهدهم على انفسهم الست بربكم ، قالوا بلى شهدنا »

هـود 81 :

« ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب »
المنكبوت 10 :

« اليس الله باعلم بما في صدور العالمين »

يس 81 :

« اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم »

الزمر 26 :

« اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذي من
دونه ومن يضل الله فما له من هاد » .

الزمر 32 :

« اليس الله بعزیز ذي انتقام »

الاحقاب 34 :

« ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس
هذا بالحق قالوا بلى وربنا »

القيامة 40 :

« اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى »

التين 8 :

« فما يكذبك بعد بالدين ، اليس الله باحكم
الحاكمين » .

النفي في هذه الآيات جميعا قد انتقض وخرج الى
تقرير بات واثبات جازم .

هل جاء معنى التقرير والاثبات في مثل هذه
الآيات من خروج الاستفهام عن معناه الأصلي على ما
قرره علماء البلاغة ، فلا شأن للباء به ؟

معروف ان الاستفهام قد يخرج الى هذا الوجه من
التقرير ، كما قد يخرج الى وجوه أخرى كالاسترحام أو
الزجر والوعيد أو التوقع والانتظار .

وهذه الآيات خاصة بالاستفهام من منفي بليس ،
وقد انتقض النفي فيها جميعا وخرج الى تقرير واثبات ،
لا الى أي وجه آخر من الوجوه التي يعرفها البلاغيون في
خروج الاستفهام عن أصل معناه .

ومن حيث اطراد اقتران الخبر فيها جميعا بالباء ،
نعين ان يكون لهذه الباء أثرها في تحديد الدلالة البيانية
وتعيينها على الوجه الذي لا يحتل وجها آخر .

ولو قلنا مثلا :

« الست غاملا عما حولك » أو « اليس الصبح
تريبا » .

لا يحتل الاستفهام ان يكون على معناه الأصلي ،
وان يخرج الى التوبيخ أو التنبيه أو السخرية والتهكم أو
التوقع والترقب .

ولا شيء من هذه المعاني والدلالات مما تحتله
آيات الاستفهام من منفي بليس ، وانما هي للتقرير
والحسم والاثبات ، لا لمعنى آخر .

وهذا هو سر الباء التي قالوا انها زائدة للتأكيد ،
ثم جروا على ابطال عملها أصالة في الخبر ، وأعربوه
منصوبا بفتحة مقدرة ، منع ظهورها اشتغال المحل
بحركة حرف الجر الزائد .

كانما هو حرف مقحم يمكن الاستغناء عنه ، لكيلا
يشغل المحل بحركته فيمنع من ظهور الحركة الأصلية

✱

وخلاصة ما هدى اليه الاستقراء لآياتها في البيان
القرآني :

— ان الجمل الخبرية المنفية بما ، اذا تلاها الفعل
« كان » بقي خبره منصوبا غير مقترن بالباء .
ووجه الاستغناء عن الباء ان النفي بحرف « ما »
لا يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على
مضمون الجملة من : كان واسمها وخبرها .

— حيثما جاء الخبر منفيا بما أو ليس في الجمل
الخبرية واتترن الخبر بالباء ، أفادت الإنكار بما
لا يدع مجالا لشك في نفي الخبر المقترن بها .

وتلزم الباء خبر (ما) و (ليس) في الجمل
الخبرية بالبيان القرآني في هذا السياق ، ولا
تتخلف الا حيث يكون المقام مستغنيا عن تقرير
النفي أو محتلا لشك في نفي الخبر .

— في الجمل الاستفهامية يطرد اقتران خبر ليس
بالباء . وبها ينتقض النفي ويخرج الاستفهام الى
اثبات جازم وتقرير بات ، لا الى أي وجه آخر
من الوجوه التي يعرفها علم البلاغة في خروج
الاستفهام عن معناه الاول في أصل اللفظ .

ولا يمكن الا يكون للباء أثرها في تحديد هذه
الدلالة البيانية وقد اطراد اقترانها بخبر (ليس) في
اسلوب الاستفهام بالبيان القرآني .

واذ كشف حرف الباء عن سره في البيان الاعلى، يبدو القول بزيادته مما يجفوه حسي العربية المرفه ، ولا يلطف من هذه الجملوة أن لم يمتنوا بها الحشـو والفضول بل ادرجوها تحت الحكم العام لمعنى التاكيد بالباء الزائدة .

ولا ادري ما اذا كان يجدي أن أقول في هذه الباء غير ما قررته النحاة ، لتبقى حرفا أصليا غير زائد على اصل معناها في الإلصاق (1) .

وتعمل عملها المباشر في الخبر ملصقة به غير بقول بزيادتها ، ومنهما معا يستفاد خبر المنى بما وليس ؟

غير أنني لا اشك في أننا لو عرضنا كل الحروف المقول بزيادتها على البيان القرآني المعجز لهـدى الاستقراء والتدبر الى ملاحظة بيانية ذات بال .

وسياتي في القسم الثالث من هذا البحث مثل آخر من قولهم بزيادة حرف (لا) النامية قبل القسم في مثل قوله تعالى :

« لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة » .

وننظر في حروف أخرى لم يتأولوها على تقرير زيادتها بل قد رواها محذومة ، ومضوا في تفسير الآيات على تقدير الحرف محذوما وهو مراد .

ولناخذ مثلا ، حذف حرف (لا) مقدرا في آيات :

يوسف 85 :

« قالوا تالله تفتا تذكر يوسف »

النساء 176 :

« يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء

عليم »

البقرة 184 :

« وعلى الذين يطبقونه عدية طعام مساكين »

قيل فيها جميعا بحذف « لا » النافية مقدرة ، وهي مرادة

وتأويل الحذف فيها يخضع للقاعدة النحوية في حذف « لا » النافية .

والنحويون يقولون بحذفها اطرادا في جواب القسم اذا كان المنى مضارعا ، وقدموا له شواهد قليلة من الشعر .

أما القرآن الكريم فقدموا منه الآية :

« تالله تفتا تذكر يوسف »

والذي نفهمه هو أنه متى اطراد الحذف كقولهم (2) فالسياق حتما مستغن عنه ، ولا وجه اذن لتقدير الحرف ثم تأويل حذفه .

لأن السياق متى أعطى المعنى المراد مستغنيا عن هذا الحرف أو غيره ، كان ذكره من الفضول أو الحشو الذي ينأى عنه الكلام البليغ فضلا عن البيان المعجز .

أما ما جوزوا فيه الحذف بغير اطراد ، فذكر « ابن هشام » في (معنى اللبيب) أنه قيل به في آية :

« يبين الله لكم أن تضلوا » .

على تقدير « لئلا تضلوا » ، ثم اضاف :

« وقيل المحذوف مضاف ، أي كراهة أن تضلوا »

والآية من آيات الأحكام في التشريع القرآني للبراهين ، وسياقها مستغن تماما من تقدير حرف محذوف لم يجد النص القرآني حاجة الى ذكره ، اذ لا يخطر على بال من له أدنى الفهم بالعربية ، إيهام أن يكون المعنى : يبين الله لكم لتضلوا !!

وأما يبين الله لنا ما ننهي به الضلال .

ومتى أعطى السياق المعنى المراد مستغنيا عن الحرف الذي قدروه محذوما ، فذكر المحذوف الذي لا حاجة اليه ينزعه عنه البيان العالي ، اذ لو كان الحذف

(1) انتصر « سيويه » في (الكتاب) على الإلصاق في معنى حرف الباء . وأحمس « ابن هشام » أربعة عشر معنى لها ، الإلصاق أولها . وذكر فيه :

« وقيل هو لا يفارقتها »

انظر حرف الباء في الجزء الاول من (معنى اللبيب) .

(2) معنى اللبيب : 2 - 155 ط مصر .

مما يوقع في شبهة ابهام ، لاقتضى المقام في آية
تشريع ، وجوب ذكره دفعا لأي وهم أو لبس .

*

وتبقى آية البقرة في تشريع أحكام الصوم :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن
كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » 184 .

والكلام فيها يطول :

الحذف فيها ليس مما يطرد على تواعد النحاة ،
وانما هو مما يجوز ولا يطرد .

وقد اختلف المفسرون في تاويلها :

— منهم من قال بأن الحكم فيها منسوخ بالآية
بعدها ، والرخصة فيها للمريض والمسافر . وهذا القول
بالنسخ ، هو ما اختاره الإمام « الطبري » في تفسيره
ونقله « الزمخشري » في (الكشاف) « وأبو حيان »
في (البحر المحيط) مع التصريح بأن « هذا قول أكثر
المفسرين » (1) .

على أن « الإمام الطبري » نقل كذلك قول من
قالوا « لم ينسخ ذلك ولا شيء منه ، وهو حكم مثبت
من لدن نزلت هذه الآية الى قيام الساعة » (2) .

واحترز « ابن كثير » فقال بعد تلخيص اقوال
المفسرين قبله :

« فحصل الأمر أن النسخ ثابت في حقيق
الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه ، وأما الشيخ
الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا
قضاء عليه ، لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن
فيها من القضاء » (3) .

وتردد « الزمخشري » بين القول بالنسخ وبين
أن يكون تاويل الآية على تقدير : وعلى من « يتكفونه »
على جهد منهم وهر ، وهم الشيوخ والمجانز . وحكم

هؤلاء الاطوار والمندبة ، وهو على هذا الوجه غير
منسوخ » (4) .

على أن القائلين بعدم النسخ قد ذهبوا في
تاويل الآية مذاهب شتى :

— فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف « لا »
النافية وهي مرادة . ونقلوا عن ابن عباس قوله :
« لا رخصة الا للذي لا يطيق الصوم » .

وعن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع بجهد
ولا بشيء من الجهد . وأما من استطاع بجهد فليصمه
ولا عذر له في تركه » .

وقال « أبو حيان » في البحر .

« وجوز بعضهم أن تكون « لا » محذوفة ، فيكون
الفعل منغيا وتقديره : « وعلى الذين لا يطيقونه » حذف
« لا » وهي مرادة » .

ثم عتب :

« وتقدير « لا » خطأ ، لأنه مكان الباس ، الا
تري أن الذي يتبادر اليه الفهم هو أن الفعل مثبت .
— وآخرون من المفسرين لم يصرحوا بتقدير « لا »
محذوفة ، وإن كانوا يؤولون الآية بما يعطل الحكم مع
الاثبات في « يطيقونه »

أما بتقدير : وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
شبابهم وصحتهم ثم مجزوا عنه بالشيخوخة والمرض .
نقله الطبري وأبو حيان . واخذ به البغوي فقال :

« وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب
نمجزوا ، والرخصة ثبتت للذين لا يطيقونه » (5) .

وأما بتأويله على تقدير : من يدركه رمضان وعليه
صوم قضاء من رمضان المتقدم ، فقد كان يطبق في تلك
المدة فتركه ، فعليه الفدية .

ولا اعلم خلافا بين الفقهاء في جواز الفطر والفدية
للشيخ الهرم والمريض لا يرجى برؤه فيقتضى ، لكنهم
اختلفوا في الموضع والحامل قياسا على الشيخ الهرم :

(1) أبو حيان : البحر المحيط ، 36/2

(2) تفسير الطبري : 82/2

(3) تفسير ابن كثير : 405 ط المنار .

(4) الكشاف : ج 1 سورة البقرة

(5) تفسير البغوي على هامش ابن كثير : 404 ط المنار .

فالامام الشافعي قال بالندية تباسا على الشيخ الهرم
واوجب عليهما القضاء مع الندية .

اما الامام ابو حنيفة فاوجب على الحامل والمرضع
اذا خافتا على الولد القضاء لا الندية . وابطل القياس
على الشيخ الهرم لانه لا يجب عليه القضاء ويجب
عليهما . قال : فلو اوجبنا الندية مع القضاء ، كان
جمعا بين البدلين وهذا غير جائز .

وان لنا بعد هذا كله ان نقدر الآية ونرد الى
القرآن ما تنازعوا فيه . القول بنسخ الحكم فيها
بالآية بعدها ، ان لم يوهنه قول من قرروا انه حكم
مثبت من لدن نزلت الآية الى تيام الساعة .

نقد بقي ان الايتين تشرعان لحالتين مختلفتين .
الندية على من يطيقونه .

والقضاء على من كان مريضا او على سفر . ولا
يكلف بالقضاء الا من افطر لعذر عارض لم يصوم بعد
زوال العذر ، عدة من ايام اخر . وفي مثل هذا لا تقبل
الندية بدلا من القضاء .

وانما الندية بنص الآية « على الذين يطيقونه » .
فهل هم الذين لا يطيقونه .

نستبعد ان تكون « لا » محذوفة هنا وهي
مرادة ، فالآية من آيات التشريع والاحكام ، والفعل
فيها مثبت ، وتاويلها على تقدير « لا » محذوفة ينقض
الاثبات بالنفي .

ولو كانت الندية على من لا يطيقونه ، لاخذ حرف
النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ولم يدع لنا مجالا
لان نختلف على تاويله بين التقيضين من اثبات ونفي .

واذ قال تعالى : « وعلى الذين يطيقونه » لما
ينبغي ان نتاويلها بالنفي فنخرجها الى نقيض حكمها
الصريح المثبت نصا .

واحسب ان الذين تناولوا الآية على تقدير حذف
« لا » صراحة او مالا ، فهموا « يطيقونه » بمعنى
يستطيعونه . وليست الكلمتان سواء .

في لفظ الاستطاعة حس الطوعية والموانسة
والقدرة .

اما الطاقة فهي في العربية لغة القرآن ، أقصى
الجهد ونهاية الاحتمال .

وحين يقول العربي لصاحبه :

« هل تطيق هذا »

لا يقولها الا وهو يقدر ان هذا مما لا يحتمل ولا
يطاق .

واستعمال القرآن للطاقة اسما ومعلا ، يؤذن
بانها مما يستند الجهد وطاقة الاحتمال ، كما تشهد
بذلك آياتها الثلاث وكلها من سورة البقرة .

« تناولوا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » 149

« ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » 286 وبها
نستأنس في فهم الآية الثالثة :

« وعلى الذين يطيقونه ندية طعام مساكين »
فندرك ان الامر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاقة
وخرج الى ما لا يطاق ، سقط التكليف ، لانه لا تكليف
شرعا بما لا يطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفسا الا
وسمها .

فالندية تيسير على الذين يطيقونه ، بمعنى
يستنفذ الصوم طاقتهم وانصى احتمالهم فليسوا بحيث
يستطيعون القضاء عدة من ايام اخر .

ويصدق الحكم على المريض لا يرجى شفاؤه ،
وعلى من يتكلمونه على جهد منهم ومسر وهم الشيوخ
والمجائز ، وحكم هؤلاء الاطوار الندية . وهو على
هذا الوجه غير منسوخ .

تيسيرا على من لا يستطيعون القضاء عدة من
ايام اخر .

وثبتى الآية على صريح نصها .

« وعلى الذين يطيقونه ندية طعام مسكين »

من لا يستطيعون القضاء .

دون تاويلها على حذف « لا » الزائدة وهي
مرادة .

وهذا مثل مما قالوا فيه بحذف الحرف . يمكن
ان يصدق على حروف اخر تناولوها على الصلف .
ويقوم النص في البيان القرآني مستغنيا عن تقدير
حرف محذوف ، ولاننا الى سر البيان في الاستغناء عن
كل حرف قدره محذوف .

*

وننظر في حروف اخرى لم يقولوا فيها بتاويل
على تقدير زيادة او حذف ، وانما اخذوا فيها بمذهب

القرآني ، ومناط التعبير فيه ، هذا الانغماس والملازمة
الملاحظة في ظرفية « في » .

وحرف « من » في آية المأمون :

« نويل للمصلين . الذين هم من صلاتهم
ساهون » .

نستبعد قول من تأولوا السهو عن الصلاة في
الآية ، بأنه سهو في الصلاة ، فليس السهو فيها
بخطيئة ولا منكر ينذر معه السامي بويل . وكل مؤمن
عرضة لأن يسهو في صلاته ، فينجبر هذا السهو فيها
بسجود السهو أو بالسنة والنوافل على ما هو مقرر
في باب الصلاة من أحكام الفقه .

وانما الويل للسامين عن صلاتهم الغافلين عن
كونها قياما بين يدي الخالق ، يكبح غرور الإنسان
وينهاه عن الفحشاء والمنكر ، ويرهب ضميره فينتهي الله
في اليتيم وفي المسكين مؤديا حقهما في التواصل
بالرحمة .

وصلاة الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام
المسكين ، لا يمكن أن تصدر من قلب خاشع وضمير
مؤمن . ونحن لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ،
فذلك هو السهو عنها ، تعود به طقوسا شكلية
ونفاقا يرائي به الناس .

✱

ومن الحروف التي تأولوها في القرآن الكريم
حرف الواو في آية النساء :

« مانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث
 ورباع » قالوا ان الواو فيها نائبة عن « أو » وقد يكتفى
ان أنقل هنا رد « ابن هشام » :

« ولا يعرف ذلك في اللغة وانما يتوله بعض
ضعفاء اللغويين والمفسرين » .

ثم نقل من كلام : أبي طاهر حمزة بن الحسين
الإصهاني ، في كتابه المسمى « بالرسالة المعربة من
شرف الأهراب » :

« القول فيها — أي آية النساء — بأن الواو
بمعنى (أو) ، عجز عن درك الحق . فاعلموا أن

للنحاة يقول ان حروف الجر يمكن ان تتعاقب فيماخذ
احدها مكان الآخر وينوب بعضها عن بعض . وهذا
ما يتداولونه ويستدلون به كما اشار الى ذلك « ابن
هشام » في (المغنى) (1) .

وهو مذهب رفضه من وصفهم « أبو هلال
المسكري » بالحقين من أهل اللغة ، ونقل عن « ابن
درستويه » قوله :

« في جواز تعاقبها — أي الحرفين — ابطال
حقيقة اللغة ، وامسأد الحكمة فيها ، والقول بخلاف
ما يوجب العقل والقياس .

« قال أبو هلال : وذلك ان الحروف اذا تعاقبت
خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد منها بمعنى الآخر
فاوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد.
فأبى المحققون أن يقولوا بذلك وقال به من لا يتحقق
المعاني » (2) .

وقال « ابن هشام » تعقبا على قولهم ان بعض
حروف الجر ينوب عن بعض :

« وتصحيحه بادخال (قد) على قولهم : ينوب
عن بعض ، والا تعذر استدلالهم به ، اذ كل موضع
ادعوا فيه ذلك ، لا نسلم ان هذا مما وقعت فيه
النيابة ، ولو صح قولهم لجاز ان يقال : مررت في زيد
ودخلت من عمر وكتبت الى القلم . على ان البصريين
ومن تبعهم يرون في الأماكن التي ادعت فيها النيابة ،
ان الحرف باق على معناه » فان كان تجوز فهو في
الفعل ، لان التجوز في الفعل اسهل منه في الحرف (3)

ونعرض هذا الخلاف على البيان الاعلى فيأبى
ان نتاول حرما فيه بحرف آخر .

من ذلك مثلا :

قوله تعالى : « هم في ريبهم يترددون » التوبة .

قيل ان حرف « في » يمكن ان يتأول بحرف « من »
أو « اللام » على تقدير :

« هم من ريبهم » ، أو ، لريبهم ، يترددون »
ولا يمكن ان يقوم أحد الحرفين مقام الحرف في النص

(1) مغنى اللبيب 163/2 مصر .

(2) أبو هلال المسكري : الفروق اللغوية ، 13 ط الحلبي

(3) ابن هشام : مغنى اللبيب 163/2 .

اثباتهم جميعا على ان ينكحوا اما مثنى واما ثلاث واما
رباع .

واظن ان هذه المثل التي قدمتها تكفي لاجتلاء
سر الحرف لا يقوم مقامه غيره . ويغنى عن مزيد تتبع
هنا ، ما قد يتاح لنا من تدبر الحرف في سياقه القرآني
عند الحديث عن (الظواهر الأسلوبية وسر التعبير) .

« دلالات الألفاظ وسر الكلمة »

من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية
واختلفت مذاهبهم فيها . والبيان القرآني
يجب ان يكون له القول الفصل فيما اختلفوا
فيه ، حين يهدي الى سر الكلمة لا تقسوم
مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول
بترادفها .

والامر كذلك في الألفاظ القرآن ، ما من لفظ منها
يمكن ان يقوم غيره مقامه ، وذلك ما أدركه العرب
النحاة الذين نزل عليهم القرآن مصر المبعث وأماهم
ان يأتوا بسورة من مثله .

واحتاج هنا الى وثقة قد تطول عند مشكلة
الترادف التي طال الجدل فيها والخلاف عليها .

ولا يشغلنا تعدد الألفاظ للمعنى الواحد ، اذا كان
عن اختلاف لغات القبائل ، وذلك ما لا خلاف فيه فيما
اعلم (2) .

وانما يشغلنا الترادف حين يقال فيه بتعدد
الألفاظ للمعنى الواحد دون ان يرجع الى تعدد
اللغات :

منا من يعد هذا الترادف ظاهرة فقدان الحس
اللغوي وعدم قدرته على ضبط الدلالات وتحديد معاني
الألفاظ ، أو يراه من الفضول والتزيد الذي لا غائدة
فيه (3) .

ومنا من يرى هذا الترادف ظاهرة فنى وسعة
وقدرة على التصرف . وما أكثر من يباهون بهذا الثراء
اللغوي ويمدونه ميزة من مزايا العربية الشريفة . وان
يكن تقدم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة

الأعداد التي تجمع تسبان : قسم يؤتى به ليضم بعضه
الى بعض وهو الأعداد الأصول نحو « ثلاثة أيام في
الحج وسبعة اذا رجعت ، تلك عشرة كاملة » ،
« ثلاثين ليلة واتبعناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين
ليلة » .

« ولم يقولوا ثلاث وخماس ، ويريدون ثمانية ،
كما قال تعالى : « ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا
رجعت » وللجهل بموقع هذه الألفاظ استعمالها
« المتنبى » في غير موضع التقسيم يقال :

« أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالنضادي »

ونستأنس في مهم مثنى وثلاث ورباع بآية ناطرة :

« الحمد لله ناطر السموات والأرض جامل
الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » 34
وآية سبا : « قل انما أعظمكم بواحدة ان تقوموا لله
مثنى وفرادى » 46 .

فتدرك الملحظ البياني للواو في مثل هذا السياق ،
بما تفيد من كون الملائكة ليسوا جميعا سواء ، بل منهم
أولو جناحين ومنهم أولو ثلاثة وأولو أربعة . وفي آية
سبا ، تضيير يكون لهم فيه ان يقوموا فرادى وأن
يقوموا مثنى . ولو قيل « مثنى أو فرادى » للزم ان
يقوموا جميعا اما مثنى واما فرادى ، ولم يكن لهم
ان يقوموا في بعض الحالات مثنى ، وفي بعض
الحالات فرادى .

ويهذا الاستئناس لا نرى السياق يستقيم ، بل
لا نراه يصح إطلاقا ، اذا ما وضعت (أو) مكان
(الواو) في آية النساء . لأن مقتضى التعبير بحرف
(أو) انه لا يسوغ لهم الا ان ينكحوا جميعا مثنى أو
ثلاث أو رباع ، بحيث لا يختلف رجل من رجل ، وليس
هذا هو الحكم المستند من الآية في اباحة تعدد الأزواج
ما بين مثنى وثلاث ورباع ثم لا يتجاوز وزنها السى
المحظور وراء رباع (1) ويخطئ سر العربية من يفرق
بين : مثنى وثلاث ورباع ، وبين اثنتين وثلاث وأربع
المعادلة لتسع !

كما يخطئه من لا يميز بين « مثنى وثلاث ورباع »
وبين : مثنى أو ثلاث أو رباع ، بما تفيد « أو » من

(1) انظر تفسير الطبري والزمخشري : سورة النساء .

(2) السيوطي : المزهري 405 ط الحلبي

(3) ابن فارس : الصحابي في معناه اللغة 11 .

المفاضلة الساذجة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ووجهنا الى البحث في خصائص العربية منتفعين بما قدمت البحوث العلمية الحديثة في اللغويات والصوتيات ، فلم تعد كثرة الالفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة ، وانما أصبحت قضية تلتهمس حلا .

وحين ننظر فيما وصل اليه من كتب اللغة ومعاجمها ، نراها تسلك مسلكين مختلفين متباعدين :

منها ما يترر وجود الترادف فيحشد للمعنى الواحد الفاظ ذات عدد ، وهذا هو مسلك « ابي سهل الامري » (في القرن الثاني هـ) في كتابه (النوادر) و « ابن السكيت » (ق 3 هـ) في (الالفاظ) . وللفيروزبادي صاحب (التاموس) كتاب في المترادفات اسمه (الروض المسلول فيما له اسمان الى اللف) .

وكتاب آخر في أسماء العسل جمع فيها ثمانين اسما .

ونقل « ابن فارس » قول من سمع « ابن خالويه » يقول :

« جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحبة مائتين »

كما نقل خبر « الأصمعي » حين سأل « الرشيد » في شعر غريب ففسره ، فقال الرشيد : يا أصمعي ، ان الغريب عندك لغبر غريب .

فقال : يا امير المؤمنين : الا اكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ (1) .

ومن قالوا بالترادف : الفراء ، وتطرب ، والفخر الرازي ، والتاج السبكي . ويوشك ان يكون هذا هو مذهب « جلال الدين السيوطي » .

وانكره علماء آخرون انكارا باتا ، الا ما كان منه في لغات عدة . منهم « أبو علي الفارسي » الذي سمع « ابن خالويه » يقول في مجلس سيف الدولة بحلب : احفظ للسيف خمسين اسما .

فتبسم أبو علي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا هو السيف .

ولما سأل ابن خالويه : ما بين الهند ، والصارم ، والتضيب ، والحسام ، و .. و .. ؟

اجاب : هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الاسماء والصفات (2) .

وصنف أبو هلال العسكري « كتابه » (الفروق اللغوية) لبيان أن اختلاف الالفاظ في لغة واحدة ، يوجب اختلاف المعاني . فاذا جرى اسمان على معنى من المعاني أو عين من الاعيان في لغة واحدة « فان كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، والا كان الثاني فضلا لا يحتاج اليه » .

قال : « والى هذا ذهب المحققون من العلماء ، واليه اشار « البرد » في تفسير قوله تعالى من آية 48 ، سورة المائدة :

« لكل جعلنا منكم شرمة ومنهاجا » فمطف شرمة على منهاج ، لأن الشرمة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه ... ويمطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد ، اذا كان في أحدهما خلاف للآخر ، فاما اذا أريد بالثاني ما أريد بالأول فهو خطأ .

قال أبو هلال : « والذي تاله « البرد » هاهنا في المطف ، يدل على أن جميع ما جاء في القرآن ومن العرب من لفظين جارين مجرى ما ذكرنا ... معطوف أحدهما على الآخر ، فاما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق في المعنى . ولولا ذلك لم يجز مطف زيد على أبي عبد الله ، اذا كان هو هو (3) .

والى هذا ذهب « ثعلب » ونقل قول « ابن الامري » : « وكل حرفين أو تعتهما العرب على معنى واحد ، في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه فآخبرنا به ، وربما فمض علينا فلم نلزم العرب جهله .

ومرح « ابن فارس » في كتابه الصحابي : « ومذهبنا أن كل صفة منها - أي الصفات الواقعة على الشيء الواحد - معناها غير معنى الأخرى . وقد خالف قوم في ذلك فزعموا انها وان اختلفت الفاظها فانها ترجع الى معنى واحد »

(1) السيوطي : المزهري في علوم اللغة 405 حلي بالقاهرة

(2) ابن فارس : الصحابي في لغة 15 السلفية بالقاهرة

(3) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ص 12

ونبه « الجاحظ » في أكثر من موضع في كتبه ورسائله إلى بطلان الترادف ، إلا أن يكون اختلاف لغات (1) .

*

وظلت القضية فيما أعلم محلقة لم يستقر فيها أصحاب العربية على رأي حاسم ، وإن كان مذهب القول بالترادف هو الذي غلب وراج في المعصور المتأخرة . ويقول به اليوم عدد من أصحاب التخصص في لغة وعلم الاجتماع (2) .

والى ماض قريب ، كانت قضية الترادف من بين ما شغل به المجمع اللغوي في القاهرة . وقد اقترح أحد السادة المجمعين أن نتخلف من عبء المترادفات فنصنف معجبا للألفاظ العربية يستبعد ما زاد في المعنى الواحد من لفظ واحد يختاره المجمعيون من معاجم العربية (3)

*

والقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر ، ومن الحق ألا نأخذ في هذه القضية برأي دون عرضها على الكتاب العربي المبين .

ولقد شهد التتبع الاستقرائي لما درست من ألفاظ القرآن الكريم ، أنه ينفي الترادف ، إذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن أن يؤديها لفظ سواء ، في المعنى الذي تقدم له المعاجم وكتب التفسير عددا من الألفاظ قل أو كثر .

وهذه بعض أمثلة تجلو موقف البيان الأعلى من قضية الترادف التي اختلفوا فيها :

الحلم والرؤيا :

تفسر المعاجم أحد اللفظين بالآخر .

ونستقرى مواضع ورودهما في القرآن ، ونتدبر سياقاتها فلا يترادفان :

استعمل القرآن الأحلام ثلاث مرات : يعطى سياقاتها جميعا أنها الأضغاث المشوشة والهواجس المختلطة . وثاني في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع ، دلالة على الخلط والتشوش ، لا تتميز فيه .

يقول تعالى على لسان المشركين :

« بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » الانبياء : 5 .

وعلى لسان الملا من قوم العزيز :

« قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » يوسف : 44 .

أما الرؤيا فجاءت في القرآن سبع مرات ، كلها في الرؤيا الصادقة . وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد ، دلالة على التميز والوضوح ، وجلاء المرئي وصفاء الرؤيا .

ومن بين المرات السبع ، جاءت الرؤيا خمس مرات للأنبياء ، فهي من الإلهام القريب من الوحي :

رؤيا إبراهيم عليه السلام في آية الصافات :

« وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين » 109 .

ورؤيا يوسف إذ يقول له أبوه :

« يا بني لا تصمص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين » 50 .

نتابع سياقاتها في السورة فنراها قد صدقت وتحققت :

« ورفع أبويه على المرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا » 60 .

ورؤيا المصطفى عليه الصلاة والسلام في الإسراء :

« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » 60 . ورؤياه في الفتح :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم

(1) انظر مثلا : الحيوان : 4/56 ، 200/7 .

(2) منهم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (دلالات الألفاظ) والدكتور علي عبد الواحد في مقال نشره عن مزايا لغتنا العربية ومضائلها وشرمها ، سنة 1963 .

(3) المجلد الثامن ، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ومقتصرين لا تخافون ، فاعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » 27 .

فهذه خمس مرات من استعمال القرآن للرؤيا للأنبياء . والمرتان الأخريان في رؤيا العزيز ، وقصدت . وفي آيتها عبر عنها القرآن على لسان الملك بالرؤيا لوضوحها في منامه وجلالها وصدق الهامها ، وإن بدت للملأ من قومه هواجس أو هام واضغاث أحلام .

« وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » سورة يوسف 43 — 44 .

وتمضي القصة في سياقتها القرآني ، فإذا هي رؤيا صادقة وليست كما بدت للملأ من قوم الملك اضغاث أحلام .

✱

آنس وأبصر :

في المعاجم : آنس الشيء أبصره ، والصوت سيمه ، واستأنس استأذن .

فهل نقول في « آنس نارا » أبصرها ، أو نظرها ، أو أشبه ذلك من الالفاظ التي يحتمل أن تتعاقب على هذا المعنى ؟

نستقرئ استعمال القرآن فيعطينا حسس العربية المرفه لا تقول : آنست في الشيء تبصره أو تسمعه دون أن يؤنس .

فإذا قال العربي : آنست ، فقد رأى أو سمع ما يؤنسه . والقرآن قد استعمال الفعل «آنس» خمس مرات ، منها أربع في النار التي رآها موسى عليه السلام حين سار بأهله في البرية فأنس إليها . وهذه آياتها :

طه 10 :

« إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجود على النار هدى » .

النبل 7 :

« إذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب تبس لعلكم تصطلون » .

القصص 29 :

« فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جدوة من النار لعلكم تصطلون » .

والمرة الخامسة في آية النساء :

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فآنس منهم رشدا فادعوا اليهم أموالهم » .

ليس الايناس هنا مجرد ابصار لظواهر الرشيد المادية الحسية ، ولكنه الطمانينة المؤنسة ، بعد الإبتلاء والامتحان ، الى أنهم قد رشدوا حقا .

وجاءت من المادة في القرآن صيغة الفعل المضارع من الاستئناس في آية النور :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » 27 .

والاستئناس فيها ليس مجرد استئذان ، وإنما هو حس الايناس لأهل البيت ممن يدخل عليهم . ولا يسوغ في ذوق العربية أن يقال مثلا : استأنسس الشرطي . أو جابي الضرائب أو الدائن ، وإنما هو الاستئذان ليس فيه حس ايناس .

كما لا يسوغ استعمال « آنس » في رؤية عدو ، أو سماع هزيم رعد أو زئير وحش .

✱

الآنس والانسان (1) :

وحس الآنس نقيض الوحشة ، هو الملحظ العام المشترك في الدلالة لكل صيغ المادة .

ومنها الآنس والانسان :

يلتقيان في الملحظ العام لدلالة مادتهما المشتركة « أن س » على نقيض التوحش .

(1) قدمت الاستقراء الكامل لاياتها في كتابي « مقال في الانسان » « دراسة قرآنية » المعارف 1969 .

لكنهما لا يترادفان ، بل ينفرد لفظ الانسان بلحظ خاص من الدلالة يميزه عن الآخر .

لفظ الانس يأتي في القرآن دائما مع الجن على وجه التقابل يطرد ذلك في كل الآيات التي ورد فيها اللفظ تسيما للجن ، وعددها ثمانى عشرة آية .

ولملاحظ الانسية فيه ، بما تعنى من تقييـض التوحش ، هو المفهوم صراحة من مقابلته بالجن في دلالتها أصلا على الخفاء الذي هو من ظواهر التوحش .

وبهذه الانسية يتميز جنسنا من اجناس اخرى خفية مجهولة غير مألوفة لنا ، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا .

وأما الانسان فليس مناط انسانيته فيها نستقريه من آيات البيان المعجز ، انه انس محسب ، وانما الانسانية فيه ارتقاء الى الدرجة التي تؤهله لاحتمال تبعات التكليف وامانة الانسان ، وما يلابس ذلك من تعرض للابتلاء بالخير والشر (1) .

وقد ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم : في خمسة وستين موضعا نقتدر سياقاتها جـيـمـا متهدينا الى الدلالة المميزة للانسانية .

هو في جنسه العام انس :

« خلق الانسان من صلصال كالفخار . وخلق الجن من مارج من نار » آية 14 سورة الرحمن .

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » آية 24 سورة الحجر .

لكنه مع انسيته يختص بالقراءة والعلم (الملق) والبيان (الرحمن) والكسب والتكليف (الانسان ، النجم 39 ، القيامة 14 ، الاسراء 17) . والجـدـل (الكهف 54) .

ويحتل الوصية (لقمان 14 ، المنكوت 8) .

وهيوم المكابدة وانتحام العقبة (البلد 4) .

ويحمل الامانة التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها واشفقن منها (الاحزاب 72) .

وهو الذي يتعرض لتجربة الابتلاء ومحنة الغواية (الفرقان 29 ، ق 16 ، الحشر 16 ، الانسان 2 ، النجم 15) .

ويزدهيه الغرور فيطغى ويستكبر ، ويفضله وهم الاستغناء من خالقه (الملق 6) وما اكثر ما يذكر القرآن الانسان بضعفه وهو انه كبحا لجحاح غروره كيلا يتجاوز قدره فيطغى ! وهو مظنة أن يتمادى به الطفيان والغرور الى حد الكفر بخالقه والوقوف منه سبحانه موقف خصيم مبين (النحل 4 ، مريم 67 : الانطار 6 ، فصلت 49 ، الزخرف 15 ، عبس 17 ، المعاديات 6) .

*

النعمة والنعيم :

وكذلك يلتقي لفظا « النعمة والنعيم » في الدلالة العامة لمادتهما الواحدة المشتركة ، ثم ينفرد كل منهما في البيان القرآني بلحظ خاص يميزه عن الآخر فلا يترادفان .

والمعاجم اللغوية لا تكاد تفرق بين الصفتين ، والمسرون يؤولون النعيم بكل ما تحتله الدلالة المعجبة للمادة .

ونستقري الصفتين في القرآن كله ، فنراه يفرق بينهما تفرقة واضحة :

كل نعمة في القرآن انما هي لنعم الدنيا على اختلاف انواعها . يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها ، مفردا وجمعا ، في القرآن وعددها ثلاثة وخمسون موضعا .

أما صيغة النعيم فتختص بنعيم الآخرة . يطرد ذلك أيضا ولا يتخلف في مواضع استعمال القرآن لها وعددها ستة عشر موضعا .

منها خمسة عشر موضعا لا يحتل صريح سياقاتها أي تأويل :

التوبة 29 :

« وجنات لهم فيها نعيم مقيم » .

(1) انظر تفصيل ذلك الاستقراء في الجزء الثاني من كتابي (التفسير البياني) .

الطور 17 :

« ثم لتسالن يومئذ عن النعيم »

« ان المتقين في جنات ونعيم » .

الواقعة 89 :

ولا نستطيع امام اطراد تخصيص القرآن صيغة النعيم لنعيم الآخرة ، ان نفسرها بما حشدت كتب التفسير فيها من نعم الدنيا التي لا تأتي في القرآن الا بصيغة نعمة او نعماء .

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم »

المعارج 38 :

وسر البيان فيها ان الذين الهام التكاثر في اعراض الدنيا عن التزود لآخراهم سيسألون يوم يرون الجحيم من اليقين ، عن النعيم الحق ما هو . وعندئذ يعلمون علم اليقين حقيقة النعيم الذي اضاعوه والهوام عنه التكالب على نعم الدنيا الفانية وأعراضها الزائلة (1)

« ابطع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم »

المطففون 22 :

النسأ والبعد :

« ان الأبرار لفي نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم نظرة النعيم » .

الانسان 20 :

« وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا »

« واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا »

المائدة 65 :

« ولادخلناهم جنات النعيم »

يونس 9 :

يأتي بهما جمهرة اللغويين والمفسرين ، تأويلا لاحدهما بالآخر ، دون اشارة الى فرق بينهما .

وفرقت بينهما من انكروا الترادف . ونستقرىء مواضع الاستعمال القرآني للنسأ والبعد فلا يترادفان :

فليس في القرآن ناسأ ، الا بمعنى الاعراض والصد والاشاحة ، بصريح النص والسياق في آيات .

الاسراء 83 :

« واذا انعمنا على الانسان اعرض وقاى بجانبه »

الانعام 26 :

« حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ، وهم ينهون عنه ويننأون عنه وان يهاكون الا انفسهم وما يشعرون »

اما « البعد » فيأتي في القرآن على الحقيقة او المجاز ، في البعد المكاني او الزماني . المادي منهما والمعنوي ، كما هو واضح في آيات :

التوبة 42 :

« لو كان مرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعموك ولكن بعدت عليهم الشقة »

سبا 19 :

« فقالوا ربنا بعد بين اسفارنا »

« الملك يومئذ لله ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم » معها آيتا : الصافات 43 ، الواقعة 12 .

لقمان 8 :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » .

القلم 34 :

« ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم »

الشمراء 85 :

« واجعلني من ورثة جنة النعيم » .

وتبقى آية التكاثر :

(1) اوضحت ذلك بمزيد تفصيل في تفسير سورة التكاثر بالجزء الاول من (التفسير البياني للقرآن الكريم) .

حلف ، والقسام :

يقال بترادفهما كما نرى على ذلك صاحب التاموس . وقد تلى حلف في شواهد من الشعر الجاهلي بمعنى اقسم ، في مثل قول النابغة :

« حلفت فام اترك لنفسك ربية »

والامشى :

« حلفت له بالراقصات الى منى »

وشاس بن عبده :

« حلفت بما ضم الحبيج الى منى »

لكن التتبع الاستقرائي للمادتين في القرآن الكريم يمنع ترادفهما :

جاءت مادة « حلف » في ثلاثة عشر موضعا ، كلها بغير استثناء في الحث باليمين .

والغالب ان ياتي بالفعل مستندا الى المنافقين كآيات التوبة :

« وسيعلفون بالله لو استظننا لخرجنا معكم ، يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون » (42)

« ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم » (56)

« يحلفون بالله ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين » (62)

« يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم » (74)

« يحلفون لكم لترضوا فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » (96)

« وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد بانهم لكاذبون » (107)

ومعها في المنافقين كذلك آيات :

النساء 62 ، المجادلة 14 ، 18 .

وآية القلم :

الزخرف 28 :

« قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين »

الانبياء 109 :

« وان ادرى الاقرب ام بعيد ما تومدون »

الفرقان 12 :

« ذا رانهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا »

النمل 22 :

« فمكت غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنبا يقين »

سبا 52 ر 53 :

وانى لهم التناوش من مكان بعيد ، وقد كفروا به من قبل ويقدفون بالغيب من مكان بعيد »

نعلست 44 :

« اولئك ينادون من مكان بعيد »

ق 32 :

« وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد »

آل عمران 30 :

« تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا »

المارج 6 :

« انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا »

الانبياء 101 :

« اولئك عنها مبعدون »

هود 83 :

« وما هي من الظالمين ببعيد »

هود 95 :

« الا بمدامدين كما بعدت لمد »

هود 14 :

وقيل بعدا للقوم الظالمين »

مما هود 60 ، 68 المؤمنون 41 ، 44 .

وابعد في المعنويات مثل شقاق بعيد (البقرة 176 ، الحج 53 ، فصلت 52) وضلال بعيد (ابراهيم 3 ، 18 النساء 6 ، 126 ، 136 ، 167 ، الحج 12 ، الشورى 18 ، سبا 8 ، ق 27 ، الشورى 18) .

ياتي دائما في مقابل القرب .

على حين يخلص الناي للمعنوي المحض ، في الصد والامراض نقبض الاقبال .

« ولنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » البقرة
35 والاعراف 19 .

« فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك »
طه 117 .

على حين يستعمل « امرأة العزيز » وامرأة نوح ،
وامرأة لوط ، وامرأة فرعون .

وقد يبدو من اليسير ان يقوم احد اللغظين مقام
الآخر ، فنفس زوج آدم بامرأة آدم ، وامرأة فرعون
بزوج فرعون .

وذلك ما يباه به البيان المعجز .

وهو الذي يعطينا سر الدلالة فى الزوجية مناط
العلاقة بين آدم وزوجه فى قصة اول زوجين من
البشر . ولم تكن زوج آدم نمطا من النساء او امرأة
من اخريات ، بل كانت وحدها الزوج ، وكانت الزوجة
ولا شئ غيرها ، مناط علاقتها بآدم وسر وجودها .

وليس الامر كذلك فى امرأة العزيز وامرأة نوح
وامرأة لوط وامرأة فرعون ، وسياق الحديث عنهن من
حيث هن أنعام من النساء ، وليس من العلاقة الزوجية
بينهن وبين أزواجهن . والعبرة فى قصصهن ان كل
واحدة منهن مضرب المثل :

امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ؟

امرأة نبي وتخونه !

امرأة طاغية متجبر كافر ، تؤمن بالله .

ونستقري استعمال القرآن للفظ زوج وأزواج
فنجد هذا الملحظ فى كون العلاقة الزوجية هي التي
يوجه اليها السياق :

آيات (النساء) فى النفس الواحدة خلق منها
زوجها (الاعراف 189 ، الزمر 6 ، الروم 21 ، النحل
72) وفى الزوجين خلقهما الله من نفس واحدة ، او
من ذكر وانثى : (النساء 1 ، الاعراف 188 ، الزمر 6 ،
النحل 72 ، الروم 21 الشورى 11) ومعها : النبا 8 ،
الشعراء 166 ، والذاريات 49 ، النجم 45 ، القيامة
19 ، فاطر 11 .

وفى فلك نوح جعل فيها من كل زوجين اثنين :

المؤمنون 27 ، هود 40 .

وفيما شرع الله من أحكام الزوجية ، وما نزل
فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من توجيهاً ،

« ولا تطع كل خلاف مهين ، همار مشاء بنميم .
منايع للخير معتد اثيم »

وجاء الفعل مرة واحدة مسنداً الى الذين آمنوا ،
نوجبت عليهم كفارة الحنث باليمين :

« ذلك كفارة إيمانكم اذا حلفتم » المائدة 89 .

* x *

اما القسم فيغلب استعماله فى الايمان الصادقة .
وجاء موصوفاً بالعظمة فى آية :

« وانه لقسم لو تعلمون عظيم »

وجاء الفعل فى الشهادة ومثلها ، حيث لا يحمل
الحنث باليمين . كالشهادة حين الوصية (المائدة
106 ، 107) .

وحين يسند القسم فى القرآن الى المجرمين او
الكفار ، فانهم يقسمون عن اقتناع بصدق ما يقسمون
عليه .

الروم 55 :

« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة »

الانعام 109 :

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية

ليؤمنن بها »

ومعها آيات :

الاعراف 49 ، ابراهيم 44 ، المائدة 53 ، النحل
38 ، النور 53 ، فاطر 42 .

وامام هذا البيان القرآني ، لا يهون ابدا ان نفس
القسم بالحلف ، وصنيع القرآن يلفت الى فرق دقيق
بين هذين اللغظين المقول بترادفهما .

فان لم نقل ان القسم لليمين الصادقة ، والحلف
لليمين الكاذبة ، على اطلاقهما . فلا اقل من ان يكون
بين دالتهما الفرق بين العام والخاص : فيكون القسم
لمطلق اليمين بعمامة . ويختص الحلف بالحنث فى
اليمين ، على ما اطرده استعماله فى البيان الاعلى .

* x *

زوج ، وامرأة :

وترى البيان القرآني يستعمل لفظ « زوج »
حيثما تحدث عن آدم وزوجه :

مثل آيات البقرة 230 ، 240 ، آل عمران 90 النساء
11 ، 19 الانعام 139 ، الحجر 88 ، النور 6 ، 30 ،
طه 131 ، التحريم 1 : 5 ، المجادلة 1 ، المتحنة 11 ،
الاحزاب 28 ، 37 ، 50 : 59 .

* × *

واكتفى بما قدمت من شواهد وأمثلة تؤيد ما
ذهب اليه المحققون من أهل اللغة في انكار الترادف الا
ان يجيء في لفتين : « فاما ان يجيء في لغة واحدة
فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن غير
المحققين من النحويين واللفويين ، وانما سمعوا العرب
تتكلم بذلك على طبائعا وما في نفوسها من معانيها
المختلفة ، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها ، ولم يعرف
السامعون تلك العلل والفروق فظنوا ما ظنوه من ذلك
وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم » (1)

وقد ينبغي لي ان اعترف هنا بقصوري من لمسح
سر الدلالة لبعض الفاظ تبدو مترادفة ، فليس لي ان
اثر بالمجز وانا اتمثل بكلمة ابن الامرابي :

« كل حرفين او قمتها العرب على معنى واحد ،
في كل منهما معنى ليس في صاحبه ، ربما عرفناه
فاخبرنا به ، وربما قمض علينا فلم نلزم العرب
جهله » (2) .

الاساليب وسر التعبير

قد تكون مرثنا البلاغة العربية علما وثقافتها
صناعة ومنطقا .

غير اننا ما نزال في أشد الحاجة الى ان نجعلها
ذوقا أصيلا وحسا مرهقا في آيات الفصاحة العليا
والبيان المميز .

الاستغناء عن الفاعل :

واحاول فيما بقي من المجال المحدود للبحث ،
ان اقدم بعض ما هدى اليه البيان القرآني في اساليب
غاب عن كثير منا سر التعبير فيها والبيان .

(1) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية 12 .

(2) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية 65 .

من الظواهر الاسلوبية اللافتة في البيان المميز
ظاهرة الاستغناء عن الفاعل التي توزعت في دراساتها
وكتبتنا بين ابواب شتى متباعدة ، لا تغطي سر هذا
الاستغناء ، فانت تقرا في الصرف كيفية بناء الفعل
للمجهول وصيغ المطاوعة . وفي النحو احكام نائب
الفاعل . اما لماذا حذف الفاعل فذلك موضوع آخر
ندرسه في علم آخر هو علم المعاني التي انفصلت عن
الامراب فعاد هذا الامراب صنعة ، وهو في الاصل من
صميم المعنى . كما ندرس في علم البيان اسناد الفعل
الى غير فاعله على سبيل المجاز ، دون ان نحاول جمع
هذا الشتات المنتشر للظاهرة الاسلوبية لاجتلاء سرها
الذي من أجله تستغنى العربية عن الفاعل فتسند الى
غير فاعله : بالبناء للمجهول ، او بالمطاوعة ، او
بالاسناد المجازي .

— ♦ —

وقد لفتني اطراد ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في
البيان القرآني في موقف واحد هو موقف القيامة :

اما بالبناء للمجهول في مثل آيات :

« فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة »

« وحملت الارض والجبال فهدمتا دكة واحدة »

« اذا رجت الارض رجا . وبست الجبال بسا »

« يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا »

« وفتحت السماء فكانت ابوابا . وسيمرت

الجبال فكانت سرايا »

« فاذا النجوم طمست . واذا السماء فرجت .

واذا الجبال نسفت »

« اذا الشمس كورت . واذا النجوم اكدرت .

واذا الجبال سيرت . واذا المشار عطشت . واذا

الوحوش حشرت . واذا البحار سجرت . واذا النفوس

زوجت . واذا المودودة سئلت . باي ذنب قتلت . واذا

الصحف نشرت . واذا السماء كسحت . واذا الجحيم

سعرت . واذا الجنة ازيلت . علمت نفس ما احضرت »

« كلا اذا دكت الارض دكا دكا »

« وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان واني له الذكرى »

« افلا يعلم اذا بعث ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور »

ومعها آيات النفخ فى الصور ، وكلها بلا استثناء مبنية للمجهول .

واما ان يستغنى عن ذكر الفاعل ، باسناد الحدث الى غير فاعله مطاوعة او مجازا كما فى آيات :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

« فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »

« اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت »

« اذا السماء انشقت . وادنت لربها وحقت »

« واذا الارض مدت . والقت ما فيها وتخلت »

« يوم تشقق الارض عنهم سراعا »

« يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا »

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين »

« فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع

الشمس والقمر »

« واخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان مالها .

يومئذ تحدث اخبارها »

والبلاغيون يقولون فى حذف الفاعل ، انه يحذف

لخوف منه او عليه ، وللعلم او الجهل به .

وقد مضى المفسرون على تقدير فاعل محذوف

لاحداث يوم القيامة ، هو الله سبحانه ، او ملك من

ملائكته ؛ مع وضوح العمد فى البيان القرآنى الى صرف

النظر من الفاعل والاستغناء عن ذكره . واكثر ما قالوه

فى تاويل ذلك ، ان الفاعل محذوف للعلم به . وفى القرآن

آيات لا تحصى لم يحذف الفاعل فيها مع يقين العلم

به . فما سر ظاهرة الاستغناء عنه فى احداث القيامة ؟

يهدينا تدبر السياق الى :

ان اساليب البناء للمجهول والمطاوعة والاسناد

المجازي الى غير الفاعل ، تلتقي جميعا فى الاستغناء

عن ذكر الفاعل .

ان اطراد هذه الظاهرة فى موقف البعث

والقيامة ، ينه الى اسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة

الاعرابية والاحكام البلاغية التي تجمدت فى اجراءات

المنطق البلاغى .

فبناء الفاعل للمجهول ، فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه .

والمطاوعة ، فيها بيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائيا او على وجه التسخير ، وكأته ليس فى حاجة الى فاعل .

والاسناد المجازي ، يعطي المسند اليه فاعلية مؤكدة محققة ، تجعله يحل محل الفاعل الاصلي ويغني عن ذكره .



السجع ورعاية الفواصل :

مند بدا عصر التأليف فى الدراسات القرآنية والبلاغية ، فرضت قضية الفواصل نفسها على الاجيال الاولى من علماء العربية ، وان لم تستقل بمباحث مفردة ، بل جاءت عارضة فى ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة .

فابو عبيدة من القرن الثاني للهجرة ، يقف فى كتابه (مجاز القرآن) عند الفاصلة بين حين وآخر ، اذا لاحظ فيها عدولا عن مألوف الاستعمال اللغوي ، موجها همه الى الاحتجاج لهذا العدول بان « العرب تفعل ذلك فى كلامها » وهي العبارة التي تلقانا كثيرا فى (مجاز القرآن) .

كذلك لم يعرض « الفراء » وهو من لغوي القرن الثاني - ت سنة 207 هـ - لمسألة الفواصل عرضا مباشرا فى كتابه (معاني القرآن) ولكنه حدد رايه فى موقف القرآن منها تحديدا صريحا فى تفسيره اللغوي لمعاني القرآن ، وترجيحه بين القراءات . وعنده ان القرآن يراهي الفاصلة عمدا ليتحقق بها جمال النظم ؛ فيقدم او يؤخر ويؤثر لفظا على آخر فى منسأه ، او يعدل من صيغة للكلمة الى صيغة اخرى ، رعابنة للفاصلة ، او رموس الآيات ، كما يسميها ، كالذي تراه مثلا فى توجيهه لفواصل من سور الرحمن ، والضحى ، والفجر .

وعلى كثرة ما عرض « القراء » للفواصل وبخاصة فى السور المكية ، لم يذكرها باسم الفواصل وانما هي عنده رموس آيات ، وان ثبت على مذهبه فى ان القرآن يرهاها قصدا الى رعاية الجرس الصوتي والمشاكلة اللفظية . مع تحاشيه ذكر « السجع » .

وانكر « ابن قتيبة » مذهب « الفراء » فى هذه الرعاية اللفظية للمقاطع ورموس الآيات .

والسجع عيب ، وظل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني . وهذا غير صحيح » (3) .

وحرر الموقف فقال ان التكلف كما يعرض في السجع عند تماثل الحروف ، يعرض في الفواصل عند تناسب الحروف ، والتكلف في كليهما مدموم مرفوض . اما ان يأتي التماثل والتقارب طوعا سهلا وتابعا للمعاني ، فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان . ولم يرد في القرآن الا ما هو من هذا الضرب لعنوه في الفصاحة .

ثم قال ... « واظن ان الذي دما اصحابنا الى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . وهذا في التسمية قريب ، فاما الحقيقة فما ذكرناه » (4) .

وكذلك لم ير « ابن الاثير » في (المثل السائر) وجها لدم السجع على الإطلاق ونفيه عن القرآن جملة . فهناك سجع بليغ ، الفاظه حاوة حادة طنانة رنانة لا غنة ولا باردة ، والمعنى فيه تابع للفظ ، وكل فقرة من المجموعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه اختها » (5) .

« وأبو هلال العسكري » في فاتحة (أسرار البلاغة) يرى من السجع ما هو حسن بليغ ، اللفظ فيه استدعاء المعنى . وعنده أن مثل هذا السجع حلية في الكلام ، ويعجبه منه الرونق اللفظي الذي هو عنده من أسرار الامجاز (6) .

« وابن حمزة العلوي » في باب التسجيع من (الكتاب المرسوم بالطراز) لم يعرض للخلاف بين الاسجاع والفواصل ، ولا ناقش القائلين بالسجع في القرآن والقائلين بنفيه ، لكنه قرر ان التسجيع « من علوم البلاغة ، كثير التدوار عظيم الاستعمال في السنة

وحتى القرن الثالث الهجري ، كان التحجرج واضحا من القول بالسجع في القرآن . وكأنما كان الحسن المؤمن ينبو بالكلمة ، لكثرة ما اطلقت من قديم على سجع الكهان .

ولكن القضية ما لبثت ان دخلت معترك الجدل الكلامي بين الفرق الاسلامية ، فاربطت بالامجاز بالنظم ، وبدأت تستقل بمباحث مفردة :

الاشاعرة قرروا نفي السجع عن القرآن ، وآثروا لفظ الفواصل على السجع ، محاولين ان يفرقوا بينهما ، بان الفواصل تتبع اللفظ فيها المعنى فيه اللفظ (1) .

ولا يبدو لنا وجه تمييزهم بين السجع والفواصل القرآنية واضحا ولا قويا ، فيما نقل عنهم « الباقلاني » فهو يقيم الفرق أحيانا على ملاحظ شكلية من تفاوت المقاطع بين الفاصلتين طولا وقصرًا ، وهذا عنده اخلال بضوابط السجع ومقاييسه .

والمعتزلة نفوا كذلك القول بالسجع في القرآن نفيًا باتًا ، مقررين ان الفواصل بلاغة والسجع عيب . وبسط « الرماني » هذا المذهب في رسالته في امجاز القرآن ، محتجا للفواصل القرآنية بأن العبارة فيها بالمعنى . وان لم يمتنع عنده أن يكون للجرس الصوتي والتلاف الإيقاع حظه من التقدير (2) .

ولكن من البلاغيين من لم يطمئنوا الى هذه التفرقة بين الفواصل والسجع ، وان أجمعوا على امجاز البيان القرآني .

منهم « ابن سنان الخفاجي » السدي قال في (سر الفصاحة) :

« واما الفواصل التي في القرآن ، فانهم سموها فواصل ولم يسموها اسجاعا . وفرقوا فقالوا ان السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه . والفواصل هي التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها . وقال الرماني ان الفواصل بلاغة

(1) الباقلاني : امجاز القرآن ، (في نفي السجع عن القرآن) .

(2) ثلاث رسائل في امجاز القرآن : ص 97 ، ط الدخاير .

(3) الخفاجي : سر الفصاحة : 164 .

(4) الخفاجي : سر الفصاحة : 166 .

(5) ابن الاثير : المثل السائر ، ص 74 ، 97 - ط البهية بالقاهرة سنة 1312 .

(6) اسرار البلاغة : 7 .

البلغاء ، ويقع فى الكلام المنشور ، وهو فى مقابلة التصريح فى الكلام المنظوم الموزون فى الشعر » (1) وواضح من مسئكه فى الاستشهاد لكل نوع من انواع التسجيع بايات قرآنية ، انه يذهب مع القائلين بوجود السجع فى القرآن .

« وابن ابي الاصبح المصري » (585 : 654 هـ) فى كتابه (بديع القرآن لا يبدو مستقرا على راي فى الموضوع ، ففي باب (انتلاف الفاصلة) ينفي السجع عن فواصل القرآن ، وفى باب (التسجيع) ياتى بشواهد قرآنية على فنون التسجيع (2) .



وارانى اطلت فى عرض اقوال السلف فى الفواصل القرآنية والسجع ، توطئة لتدبر أسرار التعبير فى هذه الظاهرة الاسلوبية من البيان المعجز .

وقد راينا كيف تباعدت بهم السبل بين الطرفين المتقابلين :

ففى البيئة الكلامية ، اختلفت الفروق الاسلامية بين نفي السجع فى القرآن نفيا باتسا على ما نقلنا من كلام الاشاعرة والمعتزلة .

وبين القول بوجوده فى النظم القرآني . قال به من الشيعة « يحيى بن حمزة العلوي » وفى البيئة اللغوية والبلاغية ، تباعد الخلاف بين مذهب « الفراء » فى ان السجع فى القرآن مقصود لذاته ، وانه ربما عدل من نسق الى آخر وءاثر لفظا على غيره فى معناه ، قصدا الى المشاكلة واتفاق رؤوس الايات .

وبين من انكروا ، كابن سنان الخفاجي وابن الانير ، ان تكون معاني الفواصل القرآنية تابعة للالفاظ .

وراينا من الاقدمين من فرقوا بين الفواصل والاسجاع ، اما بملحظ شكلي من توازن المقاطع طولا وقصرا وتمائل او آخرها او تقاربها ، وهو راي « القاضي الباقلاني » . واما بملحظ معنوي فى مجيء اللفظ تابعا للمعنى او العكس كراى « على بن عيسى الرماني » .

لكن اكثر البلاغيين لم يروا فرقا بين الفواصل

والسجع ، فكلاهما يعرض له الاستكراه والتكلف فيهبطان عن مستوى البلاغة ، كما قد ياتي كلاهما طواحية دون قلق او استكراه بتوجيه المعنى ، فيرقى الاسلوب بلاغيا وتكتمل له قوة المعنى ورونق اللفظ .

وعندهم ان الامر فى التفرقة بين الاسجاع والفواصل ليس الا كراهة القول بالسجع فى القرآن ، بعد ان شاع اطلاقه على سجع الكهان .

وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع ، لطول ما ابتدته الصنعة اللفظية والزخرف البديعي ، فى اساليب المصور المتأخرة ، بعد ان اصطنعه الكهان فى العصر الجاهلي .

ومن ثم نؤثر ان نمضي على تسمية مقاطع الايات فى النظم القرآني بالفواصل ، وهو ما جرى عليه اكثر المفسرين .

وبعد الذي سقناه من خلافهم فيها بين اللفظ والمعنى نتدبر الفواصل القرآنية فلا نرى البيان القرآني يتعلق فى اى فاصلة منها بمجرد رعاية شكلية للرواق اللفظي ، وانما تاتي فواصله جميعا لمقتضيات معنوية بيانية مع نسق الايقاع بهذه الفواصل ، وانتلاف الجرس ، على نحو تتقاصر دونه طاقة البلغاء .

واختار هنا شواهد من الفواصل التي وهم « الفراء » ومن ذهب مذهبه فحملوها على قصد المشاكلة اللفظية بين رؤوس الايات بايثار نسق على آخر او المدول عن لفظ الى غيره فى معناه .

ونختلف معهم ابتداء فى القول بلفظين لمعنى واحد . وقد سبق بيان ذلك فى الترادف وسر الكلمة .

ثم ننظر فى هذه الفواصل :

« والضحى والليل اذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى »

قال « الفراء » ان القرآن جرى فيها على طرح الكاف من « قلاك » - ومن : فاوى فهدى ، فافنى - لمشاكلة رؤوس الايات .

وعد « الفخر الرازي » من وجوه حذف الكاف ، رعاية الفاصلة (3) .

(1) الطراز : باب التسجيع ، ط المقتطف بالقاهرة 1914 .

(2) بديع القرآن : ص 89 ، 108 ط نهضة مصر بالجالة 1957 .

(3) الرازي : التفسير الكبير ، سورة الضحى .

ومثله « النيسابوري » في تفسيره آيات الضحى (1) .

ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا الحذف لمجرد النسق اللفظي ، لما عدل من رعاية الفاصلة في الآيات بعدها :

فأما البيتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر .
وأما بنعمة ربك فحدث .

وليس في السورة كلها ثناء فاصلة .

بل ليس فيها ثناء على الإطلاق .

وعلى مذهبه كانت الفواصل ترمى بمثل لفظ « فخير » - وأما بنعمة ربك فخير - لتستقيم العنونة البلاغية .

ونرى أن حذف الكاف من « وما قل » مع دلالة السياق عليها ، تقتضيه حساسية معنوية مرهفة بالغة الدقة واللفظ ، هي تحاشي خطابه تعالى حبيبه المصطفى في موقف الإناس : « وما قلاك » لما في القلى من حس الطرد والإبعاد وشدة البغض . أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الاحباب ، والفراق فيه على كره ، ومع رجاء العودة .

وحذفت كاف الخطاب في الآيات بعدها ، لأن السياق بعد ذلك أغنى منها ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنياً عن الكاف ، فذكرها من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان .



وآيات الفجر :

« ... والليل إذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر . ألم تر كيف فعل ربك بعاد . أرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . ونمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد ... »

قال « الفراء » في (معاني القرآن) أن ياء العلة حذفت من الفعل : يسر (ي) قصد المشاكلة بين رؤوس الآيات . وكذلك ذهب « ابن سنان الخفاجي » إلى أن حذفها وحذف ياء : بالواد (ي) لتماثل الفواصل

(1) على هامش تفسير الطبري . ط مصر .

ويكفي للرد عليهما وعلى كل من ذهب إلى مثل ما ذهبنا إليه ، أن نذكر أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذف الياء هنا في مقاطع الآيات ، ليقل أنه قصد إلى مجرد رعاية الفواصل وتماثلها .

وإنما حذفت ياء الممثل الآخر المرفوع ، وواوه أيضاً ، وياء المنقوص المحلى بال ، في أواسط الجمل ودرج الكلام ، كالذي في آيات :

ق 41 :

« واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب »

التازعات 16 :

« إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى »

طه 12 :

« فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة »

النمل 18 :

« حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون »

السرود 53 :

« وما أنت بهما المسمى من ضلالتهم »

هود 105 :

« يوم يأت لا تكلم نفس إلا بأذنه »

الاسراء 11 :

« ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير »

البقرة 186 :

« وإذا سالك مبادي بني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي »

القمر 6 :

« فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر »

القمر 8 :

« يحطمين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم مسر »

- ولا مجال لقول في هذه الآيات وأمثالها بحذف ياء المنقوص المرفع بال ، أو آخر المضارع المرفوع الممثل بالواو والياء ، لرعاية الفواصل ومشاركة رؤوس الآيات . وهذا ما فات الذين تعجلوا بمثل هذا

القول في آيتي الفجر ونظائرهما ، محتكبين إلى قواعد اللغويين في احكام الحذف لحرف العلة او الالبات ، في المضارع المعتل الآخر والاسم المنقوص . حين ينبغي ان نعرض قواعدهم على ما يهدي اليه الاستقراء لكل مواضع الحذف والالبات في الكتاب المحكم والبيان المعجز .

وآيتنا الاعلى :

« سبح اسم ربك الاعلى . الذي خلق نسوى »

والليل :

« الا ابتغاء وجه ربه الاعلى . ولسوف يرضى »

ليست صيغة الاعلى معدولا اليها فيها عن العلى لمجرد رعاية الفاصلة ، ولا اريد بها المفاضلة بين اعلى وعال ، على ما وهم بعضهم . وقد اشار « الفخر الرازي » الى ما تعاق به الملاحظة في : ربه الاعلى « من اقتضاء ان يكون هناك رب آخر » (1) على ما يقضي به منطق التفصيل وقواعده .

وذلك من عقم الحس فيهم ، يغيب عنه السر البياني في اطلاق هذه الصيغة دون قصد الى مفاضنة او ترتيب ، وانما القصد الى المضي بالملو الى نهايته القصوى بغير حدود ولا قيود .

وهو نفس الملحظ الدلالي لصيغ : الحسني ، واليسري ، والاتقى ، والاشقى ، في سورة الليل ، للدلالة على غاية الحسن والتقوى ، واقصى السوء والشقاء الذي لا يماثله شقاء .

ومثلها صيغة الاكرم في آية القام :

« اقرا وربك الاكرم . الذي علم بالقلم »

تناولها المفسرون على المفاضلة بين اكرم وكريم ، وساقوا وجوها لاكرميته تعالى . (2)

والاستقراء القرآني ، يشهد بان صيغتي الافعل والفعل ، تفيدان الاطلاق الى أقصى المدى ، بغير قيد ولا حدود .

وهذه هي دلالة الآية الكبرى في (النزاعات والنجم) وآياتنا الكبرى في (طه) والبطشة الكبرى في (الدخان) والطامة الكبرى في (النزاعات) والشار الكبرى في (الاحقاف) والكلمة السفلى والكلمة العليا في (التوبة)

— * —

وفي التقديم والتأخير قالوا برعاية الفاصلة في في مثل آية الليل :

« ان علينا للهدى . وان لنا الآخرة والاولى »
علل البيان القرآني فيها عما هو مألوف ومتبادر ، من تقديم الاولى على الآخرة . وليس يتعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى وحده تقديم الآخرة هنا على الاولى . وانما اقتضاه المعنى في سياق البشري والوعيد ، اذ الآخرة خير وابقى ، وعذابها اكبر واشد ، واخرى وابقى .

وكذلك قدمت الآخرة على الاولى في سياق البشري للمصطفى بآية الضحى : « والآخرة خير لك من الاولى » .

كما قدمت الآخرة على الاولى في سياق الوعيد لفرعون اذ ادبر وتولى « فاخذه الله نكال الآخرة والاولى »

النفس مع القسم :

ومن الظواهر الاسلوبية اللافتة في البيان القرآني مجيء القسم بعد لا النافية في مثل قوله تعالى :

« لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة »

وقد اختلف اللغويون في تاويل حرف « لا » وتوجيه القسم بعده . وجاء به « ابن هشام » في باب : لا ، الزائدة في الكلام لمجرد تقويته وتاكيد .

ولخص مختلف اقوالهم فيها :

— قيل هي نافية . ثم اختلفوا في تاويل المنفى بها :

منهم من قال انها تنفي شيئا تقدم في سورة اخرى . انكر المشركون البعث فقبل لهم : لا ، ليس الامر كذلك . ثم استؤنف القسم : اقسم .

وجه هذا التاويل مندهم ان القرآن كنه كالسورة الواحدة . ولهذا يذكر الشيء في سورة ، وجوابه في سورة اخرى ، ومما ذكروه من ذلك ، قوله تعالى :

« وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون »
جوابه في سورة اخرى :

« ما انت بنعمة ربك بمجنون »

ورده ابو حيان بانه لا يجوز ، لان في ذلك حذف اسم « لا » وخبرها . وليس جوابا لسائل سال

(1 ر 2) الفخر الرازي . التفسير الكبير ، سورة الليل . وسورة القلم .

فيحتمل ذلك ، نحو قوله : لا ، لمن قال : هل من رجل
في الدار (1)

واما انها تنفي الفعل « اقسام » وذلك على ان
يكون اخبارا لا انشاء ، على تقدير ان المقسم به يستحق
اعظاما فوق القسم «

وقيل هي زائدة . على خلاف كذلك في فائدتها:
منهم من قال انها زيدت توطئة وتمهيدا للنفس
الجواب محذوفا . وتقديره في آية القيامة « لا اقسام
بيوم القيامة . ولا اقسام بالنفس اللوامة » لا يتركون
سدى .

ورد هذا التأويل بان الجواب مثبت في مثل
قوله تعالى :

« لا اقسام بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد .
ووالد وما ولد . لقد خلقنا الانسان في كبد »
وقوله تعالى :

« فلا اقسام بمواقع النجوم . وانه لقسم لو
تعلمون عظيم . انه للقرآن كريم » .

— وذهب آخرون ممن قالوا بزيادتها الى انها
زيدت لمجرد التاكيد وتقوية الكلام ، كما في قوله
تعالى :

« لئلا يعلم اهل الكتاب الا يتدرون على شيء من
فضل الله » الحديد 29 .

ورد بانها لا تزداد لذلك في صدر الكلام ، بل يجب
ان تزداد حشوا . لان زيادة الشيء تفيد اطراحه ، وكونه
في اول الكلام يفيد الاعتناء به (2)

وقول ثالث : انها ليست نافية ولا زائدة ، وانما
هي لام الابتداء كقول الشاعر :

« اهوذ بالله من العقاب »

اشبعت الفتحة فتولدت منها الف ، وانما هي :
لا قسم . وهي قراءة الحسن لآية « فلا اقسام برب
المشارك » اشبعت فتحة اللام حتى تولدت منها الف ،
كقراءة هشام لآية ابراهيم : « فاجمل اثنيده من الناس

تهوى اليهم » بياء بعد الهمزة ، تولدت من اشباع
كسرتها (2) .

ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الفعل ، قدروا
دخولها في الآية على جملة من مبتدا وخبر : فلان
اقسم . ثم حذف المبتدا .

ورد « الزمخشري » بان اللام في هذه القراءة
لا تصح ان تكون لام القسم لامرين : احدهما ان حقا
ان يقرن بها النون المؤكدة ، والاخلاق بها ضعيف قبيح ،
والثاني ان سياق الآية يرشد الى ان القسم بمواقع
النجوم واقع ، ومقتضى جعلها جوابا لقسم محذوف
ان تكون للاستقبال ، وفعل القسم يجب ان يكون
للحال (3) .



وبعد هذا كله نرد الى القرآن ما تنازعوا فيه ،
فنستبعد باديء ذي بدء ان تكون (لا) في آيات القسم ،
وددت على كلام سبق في سورة اخرى . وهذا التأويل
يبدو غريبا فيما نظرنا له من قوله تعالى : « ما انت
بنعمة ربك بمجنون » ردا على ما حكى من قولهم « انك
لمجنون » ووجه الغرابة فيه ان الرد سابق في النزول
على ما حكى القرآن من قولهم : « انك لمجنون »

اذ كيف تكون آية من سورة القلم ، وهي ثاني
سورة نزلت من القرآن ، ردا على آية نزلت بعدها في
سورة الحجر ، وترتيبها في النزول الرابعة والخمسون ؟
وتأويل « لا اقسام » بانها « لا قسم » اشبعت فتحة
الالف فيها فتولدت منها الف ، يبدو من شطط التأويل
نجاه اطراد مجيء « لا » في كل آيات القسم القرآني
حيثما كان الفعل مسبعا الى الله تعالى :

الواقعة 75 :

« فلا اقسام بمواقع النجوم . وانه لقسم لو
تعلمون عظيم . انه للقرآن كريم »

الحاقة 38 :

« فلا اقسام بما تبصرون . وما لا تبصرون . انه
لقول رسول كريم »

(1) البحر المحيط : 8 / 212 سورة الواقعة .

(2) ابن هشام مغني اللبيب 1 / 184 — وأبو حيان في البحر المحيط : ج 8 .

(3) الزمخشري : الكشاف 4 / 61 سورة الواقعة .

المعارج 40 :

« فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنا لقادرون »

القيامة 1 :

« لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة . أيعسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوى بنانه »

التكوير 15 :

« فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسس والصبح إذا تنفس . انه لقول رسول كريم »

الانشقاق 61 :

« فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا انسق . لتركن طبقا عن طبق »

البلد 9 :

« لا أقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد . ووالد وما ولد . لقد خلقنا الإنسان في كبد »

ولم يات فعل القسم في القرآن كله ، مسندا الى الله تعالى بغير « لا » .

كما لم تات « لا » مع القسم مسندا الى غيره تعالى .

وهذا الاطراد يبعد احتمال ان تكون « لا » هي لام الابتداء ، اشبهت فتحتها فتولدت منها الف .

كما يبعد احتمال ان تكون (لا) زائدة والمعنى : أقسم ، كما اختار أبو حيان . وقد قالوا هم انفسهم ان زيادة الشيء تفيد اطراحه ، ولا يمكن اطراح « لا » وما من آية أسند فيها فعل القسم الى الله سبحانه وتعالى ، لم يجيء بعد « لا » .

فهل هي مزيد توطئة للنفي وتأكيد له ؟ قالوا ان ادخال لا النافية على فعل القسم جاء في كلام العرب واشعارهم كقول امرئ القيس :

فلا وابيك ابنة العاصري

لا يدمى القوم اني انسر

وقال غوبة بن سلمى :

الا نادت امامة باحتمال

لحزنني فلا بك ما ابالي

وقال آخر :

* فلا وابى امدائها لا اخونها *

وجملوا منه قوله تعالى :

« لئلا يعلم اهل الكتاب الا بقدرتون على شيء من فضل الله » الحديد 29 .

والآية ، كما لاحظ ابن هشام ، في سياق النفي . وكذلك كل الشواهد الشعرية التي ذكروها ، سياقها النفي . وليس الامر كذلك في آيات « لا أقسم » وكلها في سياق الاثبات والتقرير .

ونفهم ان تاتي « لا » في سياق النفي فتؤكد ، اما ان تاتي لتؤكد الاثبات بالنفي فذلك ما يبدو غريبا حقا !! والقسم هو اقوى اساليب التأكيد ، ولا يمكن تأكيد بنفيه ، لان النفي يقضي التأكيد ، فاذا نفيت القسم انتقض بنفيك اياه . والجمع بينهما أولى بأن يستطهما كليهما على القاعدة الاصولية في الدليلين تعارضا فتساقطا .

افلا يهدينا تدبر سياق آيات « لا أقسم » لله تعالى ، الى ان « لا » تنفي حاجته تعالى الى القسم ؟

بلى ، وانما نحتاج نحن البشر الى ان نقسم دفعا لمظنة الاتهام وازاحة للشك . ومن ثم نلجس سر العربية اذ تستعمل هذا الاسلوب حيث تنفي الحاجة الى القسم ، في مواضع الثقة واليقين .

ومن نفي الحاجة الى القسم ياتي التأكيد والتقرير ، لانه يجمل المقسم او المقسم عليه ، في غنى بالثقة واليقين عن الاتسام . والسر البياني لهذا الاسلوب يعتمد في قوة اللفت على ما يبدو بين النفي والقسم من مفارقة مثيرة لافصى الانتباه . وما نزال في مالوف استعمالنا نؤكد الثقة بنفي الحاجة معها الى قسم ، فتقول لمن تثق فيه : لا تقسم او : من غير يمين . مقررنا انه موضع ثقتك فليست بحاجة الى ان يقسم لك . كما تقول لصاحبك : لا اوصيك بفلان ، تأكيداً للتوصية بنفي الحاجة اليها .

واذا اكنفي بهذا القدر مما هدى اليه البيان القرآني من اسرار لغتنا في الحرف لا يفني عنه سواء ، وفي الكلمة لا تقوم مقامها اخرى غيرها ، وفي النظم لا تعرف العربية ما يدانيه بلاغة وبيان .

ارجو ألا يظن بي أنني أجهد جهود سلفنا الصالح فيما اصلوا من علوم العربية والاسلام ، فالحق انني

وبعد فما أزعج ، وما ينبغي لي ، انني فيما
اجتليت واجتلي من أسرار العربية في البيان القرآني
قد شارفت أفقه العالي .

ولكنها محاولة ابتغي بها ثواب المسمى وشرف
الوسيلة والقريب ، بطول المكوف على خدمة القرآن
الكريم ، وجهد التدبر لاسرار بيانه المعجز .

وينفذ القول ولا تنفذ كلمات ربي :

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا . »

صدق الله العظيم

د. عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

استلا الدراسات القرآنية بجامعة القرويين

اشعر بالقصور والخبجل تجاه ما تركوا لنا من عطاء
سخي باذل ، كان لنا على مر المصور وتنايع الاجيال
ذخيرة ومددا . وما ارانا تكون خلف صدق لهم اذا لم
نحمل امانة وجودنا ، فنضيف الى تراثهم ما نتركه
للاجيال من بعدنا عطاء وميراثا .

وقد يشق علينا ان نضيف الى ما اصوله من علوم
العربية والاسلام جديدا ذا بال ، الا ان يفرغ
المتخصصون منا في الدراسات العربية والاسلامية
لتدبر القرآن الكريم نجتلي من أسراره ودلالاته ما
يكون قد غاب عن سلفنا الصالح وهم عاكفون على
تأصيل قواعد علومهم ، بالكتاب الاكبر الذي يظل على
امتداد الزمان والمكان سر وجودنا وذخر حياتنا .



(تصويبات)

- وقعت أخطاء مطبعية في هذا البحث لستذكرها فيما يلي (1 : يتحدى (بدل ويتحدى) : ص 12 سطر 4 - فطرح 1 -
(2 : في مثل آية (بدل في آية) : ص 13 - 20 - ص 1 - 3) يؤنس (بدل يؤمر) : نفس الصفحة - ص 26 - 4) يحبس
(بدل يحبس) : ص 15 - 5 - ص 2 - 5) لا احتمل (بدل لا يحتمل) : ص 16 - 4 - ص 2 - 6) وصير (بدل وصر) :
ص 18 - 30 - ص 1 - 7) وطى (بدل وما) : ص 19 - 25 - ص 2 - 8) ثلاث أو رباع (يهدف ما بعدها وهو : بحيث لا
يختلف رجل من رجل ..) : ص 21 - 28 - ص 1 - 9) لا يتجاوزون (بدل لا يتجاوز) : ص 21 - 30 - ص 1 - 10
من لا يفرل (بدل من يفرل) : ص 21 - 31 - ص 1 - 11) التفسير بين (بدل التفسير جميعا على) : ص 21 - 1 - ص 2
(12 : الواحد الفاصلا (بدل الواحد الفاصلا) : ص 22 - 10 - ص 1 - 13) 105 (بدل 109) : ص 19 - 2 - ص 5 (بدل 50) :
ص 22 - 2 و 100 (بدل 60) : ص 26 - 2 (ص 23 - 14) حس (بدل وحس) : ص 24 - 28 - ص 2 - 15) وهوانه
(بدل وهو انه) : ص 25 - 6 - ص 2 - 16) صيلة (بدل صيلة) : ص 25 - 26 - ص 2 - 17) وان كان كلها في
الواقع حذفت بعد « عليه » : ص 28 - 14 - ص 1 - 18) الزوجية (بدل الزوجية) : ص 28 - 14 - ص 2 - 19) الا ان
(بدل ان) : ص 29 - 15 - ص 1 - 20) مرهلا (بدل مرهلا) : ص 29 - 25 - ص 1 - 21) الا جاء (بدل لم يجيء) :
ص 36 - 27 - ص 1 - 22) مزينة (بدل مزينة) : ص 36 - 28 - ص 1 - 23) فوية (بدل فوية) : نفس الصفحة - ص 33
- ص 1 .

من خصائص أصل اللغة العربية

الأستاذ أحمد عبد الرصيم الساجي - جامع الأزهر

اللسان العربي

اللسان العربي

اللسان العربي خصائص ومميزات لا تعداها فيها لغة من اللغات فانت تستطيع ان تمنع من مفرداتها المألوفة قطعاً ، ما تحربه الابواب وتأخذ بالافهام وتتألق بالمقول في عالم السمو والحر والابداع .

وعناية العربية بجمال الالفاظ وحسنها ، لا لدات الالفاظ . وانما اهتماما من اللغة العربية بالمعنى . وذلك حتى يقع القول من نفس السامع الموقع المرجو الذي يهيء له الحالة النفسية التي تحفزها الى الحركة والعمل وتبعث به الى المقصود في ثوب مغوف ووسام لامع جذاب اخاذ ساحر .

1 (الدلالة المعنوية

ولقد ثبت من المقارنة بين اللغات ان اللغة العربية من اكثر اللغات دلالة معنوية بل ان الكثير من الالفاظ العربية قد فقد الدلالة الحسية .

قال جورج زيدان : فالفعل « قضى » معناه « حكم » والاصل فيه القطع الحسي والفعل « عقل » معناه « فهم » وهو مأخوذ من عقل الناقة اي ربطها والفعل أدرك ، الاصل فيه البلوغ الحسي فيقال : فلان أدرك القطار اي لحقه ، والفعل « بنغ » وضع اصلا للدلالة على الوصول الحسي في المكان والزمان ، بل ان الاصل في معنى الفصاحة قولهم : فصح اللبن اذا ذهب رفوته ، ثم قيل : فصيح بمعنى وضع و « الرأي » اصله من « رأى » اي شهد بعينه

وفي العربية ابنية وصيغ وقوالب دالة على معان وصفات واحوال . فما كان على « إعلان » (بالتحريك) دل على الحركة والاضطراب كالنزوان ، والفلييان والضربان والهيجان . وما كان على « إعلان » (بسكون

العين) دل على صفات تقع من احوال كالمعشجان والغرمان والشعبان والريان والفضبان ، وما كان على « افعل » دل على صفات بالالوان نحو : ابيض واحمر واسود واصفر واخضر ، وكذلك العيوب تكون على افعل نحو ازرق واحول واعمور واقرع واقطع واهرج واخيف وتكون الادواء على « فعال » كالصداع والركام والسعال والخناق والكباد .

والاصوات اكثرها على هذا كالتصراخ والنباح والضباح والرهاء والثغاء والخوار ، وفصل آخر منها على « فاعل » كالضجيج والهدير والهدير والصهيل والنهيق والزئير والنفيس والنعيق والنعيب والخرير والصرير . وحكاية الاصوات على « فاعلة » كالصرصر والقرقرة والفرقرة والقعقة والخشخشة واطمية العرب على « فاعلة » كالسحينة والنغينة والمريرة والنقيصة والعقيقة ، واكثر الادوية على « فاعول » كاللوق والسعوط والوجود والبدود والدرود والنطول ، واكثر العادات في الاستكثار على « فاعول » نحو مطعم ومطعم ومضرب ومضرب ومطشاف ومكثار ومهذار وامراة معطار ومذكارة ومثناة ومثشام ،

وصيغ الافعال واوزانها في اللغة العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على شروقي وظلال تنصاف الى المعنى الاصلي ، دون زيادة في اللفظ ومع الاحتفاظ بطابع التركيز والدقة قال الثعالبي في الاكثر الاغلب (فعل) يكون بمعنى التكثير كقوله عز ذكره « وغلقت الابواب » وقوله ، يذبحون ابتداءكم » و (افعل) يكون بمعنى (افعل) نحو خبر واخبر وكرم وكرم ونزل وانزل ويكون مضافا له نحو افطر اذا جاوز الحد وفطر اذا قصر قال الشاعر :

لا خير في الانراط والتفريط

كلاهما عندي من التخليط

وقلت في كتاب المبهج : اياك والانراط الممل ، والتفريط المخل .

و (افعل) يكون بمعنى فعل نحو استقى وسقى وامحضه الود ومحضه ، وقد يتضادان نحو نشط العقدة اذا شدها وانشطها اذا حلها .

(وفاعل) يكون بين اثنين نحو : ضاربه وبارزه وخاصمه وخاربه وقاتله ويكون بمعنى فعل كقوله عز وجل ، قاتلهم الله اي قتلهم .

(وتفاعل) يكون بين اثنين وبين الجماعة نحو تجادلا وتناظرا وتحاكما ، ويكون من واحد نحو تراءى به ويكون بمعنى اظهر نحو : تفاضل وتجاهل وتمازى وتساكر اذا اظهر غفلة وجهلا ومرضا وسكرا وليس يتفاضل ولا جاهل ولا مريض ولا سكران .

(وتفعّل) يكون بمعنى فعل نحو تخلصه اذا خلصه كما قال الشاعر :

تخلصني من غفلة التي منعمنا

وكنت زمانا في ضمان اساره

وكما قال عمرو بن كلثوم :

تهددننا واعدننا رويدا

منى كنا لامك مقتويننا ؟

ويكون بمعنى التكلف نحو تشجع وتجلد وتحكم ويكون لاخذ الشيء نحو : تادب وتفقه وتعلم ويكون تفعّل بمعنى : فعل نحو تعلم بمعنى اعلم كما قال القطامي :

تعلم ان بعض الشر خير

وان لهذه القمم انقسام

(واستفعل) يكون بمعنى التكلف نحو استعظم اي تعظم واستكبر اي تكبر ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو استعظم واستنقى واستوهب ويكون بمعنى فعل نحو استقر اي قر ويكون بمعنى صار ، نحو استنوق الجمل واستنسر البغاث .

(وافتعل) يكون بمعنى فعل نحو اشتوى اي شوى واقتنى اي قنى اي كسب ، ويكون لحدوث صفة نحو : افتقر واقتنن واما افعل فهو فعل المطاوعة نحو : كسرتة فانكسر وجبرته فانجبر وقلبتة فانقلب قال ابن جني : « فاذا رايت العرب اصلحوا الفاظها - العربية - وحملوا حواشيها وهدبوها وصقلوها غروبا وارفعوها فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ : بل هي عندنا خدمة للمعاني وتبويه وتشريف ونظير ذلك اصلاح الوماء وتحسينه وتركيبه وتقديسه وانما المعنى بذلك منه الاحتياط لنوعى عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يمر جوهره كما قد تجد من المعاني الفاخرة السامية ما يهجنه ويفض منه كدرة لفظه وسوء العبارة عنه .

وذاك ان العرب كما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ احكامها بالشمر تارة وبالخطب اخرى وبالاسجاع التي تلزمها وتكلف استمرارها . فان المعاني اقوى عندها واكرم عليها وافخم قدرا في نفوسها فاول ذلك منابتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار اغراضها ومرايها اصلحوها ورتبوها وبالضوا في تحجيرها وتحسينها ليكون ذلك اوقع لها في السمع واذهب بها في الدلالة على القصد .

فكان العرب انما تحلى الفاظها وتلبيحها وتشبيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراها وتوصلا بها الى ادراك مطالبها وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعتقد هذا في الفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد واشراكا للقلوب وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعاني والمخدوم لا شك اشرف من الخادم والاخبار في التلطف بفدوية الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يؤتى عليها او يجشم للحال تعب بها .

واعلم انه لما كانت الالفاظ للمعاني ازمة وعليها ادلة واليها موصلة ، وعلى المراد منها محصلة هيت

العرب بها فأولتها صالحا من تثقيفها وإصلاحها (1).
 وشيء آخر يجعل اللغة العربية أكثر مرونة في
 الواقع من غيرها . وهو أنها أكثر اللغات قبولا
 للاشتقاق . والاشتقاق باب واسع تستطيع به اللغة
 أن تؤدي معاني الحضارة والاشتقاق في العربية يقوم
 بدور لا يستهان به في تنويع المعنى الأصلي وتلويحه إذ
 يكسبه خواص مختلفة بين طبع وطبع ومبالغة وتعدية
 ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا ينيسر التعبير عنه
 في اللغات الآرية مثلا إلا بالفاظ خاصة ذات معان
 مستقلة ، وصيغ الالفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة
 بين الجواني والبراني وبين ما هو حركة في النفس
 وما هو حركة في الجوارح . العربية تفرق مثلا بين
 الكبر والتكبر والعلم والتعلم والفقه والتفقه .

وقد التفت المستشرق الفرنسي كرادولو إلى
 هذه الظاهرة فلم يسعه إلا أن ينوه بها في كتابه عن
 الغزالي فقال « لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي
 والكبر الخارجي . الداخلي هو استعداد في النفس
 والخارجي ناتج من أفعال الجوارح واللفظ الفرنسي
 الذي يدل على معنى الكبر هو Orgueil أما التكبر
 فأولى أن يكون مرادفه الفرنسي Superbe .

ولاحظ كارا دونو أيضا أن هذه الفروق المصنوية
 الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية
 ليس من اليسور نقلها في لفظ واحد إلى اللغات
 الأخرى . وخاص من هذه الملاحظة إلى التنويه بما
 تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل
 الفلسفي العميق ما دام أن أحداث تغيير طفيف في
 بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين
 الحالة النفسية وبين العادة البدنية التي تطابقها .
 ولا نزاع في أن منهج اللغة العربية الفريدة في الاشتقاق
 قد زودها بذخيرة من المعاني لا يسهل ادائها في
 اللغات الأخرى في نطاق التركيز الجواني الذي هو
 شيمة الأسلوب العربي الأصيل وقد لاحظ السيوطي
 هذه الزيادة في المعنى المشترك حين عرف
 الاشتقاق بأنه « أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها
 معنى ومادة وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى
 الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافا حروفا أو هيئة .

وجلي : أن هذه الطريقة في توليد الالفاظ بعضها
 من بعض تجعل من اللغة جسما حيا تتوالد أجزاؤه
 ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة ، وتفني

عن عدد ضخم من المفردات المفككة المنزلة التي كان
 لابد منها لو عدم الاشتقاق ، وأن هذا الارتباط بين
 الفاظ العربية الذي يقوم على ثبات عناصر مادية
 ظاهرة وهي الحروف أو الأصوات الثلاثة . وثبات
 قدر من المعنى سواء كان ماديا ظاهرة أو مختفيا
 مستترا . خصيصة عظيمة من خصائص هذه اللغة
 تشعر متعلمها بما بين الفاظها من صلات حية تسمح
 لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وأن طريقتها حيوية
 توليدية وليست آلية جامدة .

قال الدكتور عثمان أمين : وإذا أردنا مثلا على
 ثروة العربية بهذا الضرب من الاشتقاق والتصريف
 فلننظر إلى كلام رجل من المشتغلين بالعلوم الطبيعية .
 فهو يرى في كلمة مثل « صهر » أي أذاب الجسم
 بالنار أنه يستفاد لتأدية هذا المعنى بكلمات دقيقة
 من حالات الجسم تخالف غيرها من الحالات فنقول
 انصهر واستصهر وتصاهر ومنصهر ومصهور ، وفي
 العربية منهجا آخر مخالفا للغات الأخرى فإن
 العربية تبدل بالحركات على المعاني المختلفة .
 من غير أن تكون تلك الحركات أثرا لقطع أو بقية من
 أداة فيكون ذلك في وسط الكلمة وأولها وآخرها
 فهم يفرقون بالحركة بين اسم الفاعل واسم المفعول
 في مثل مكرم ومكرم وبين فعل المعلوم وفعل المجهول
 نحو : كتب وكتب وبين الفعل والمصدر في مثل علم
 وعلم وبين الوصف والمصدر في مثل فرح وفرح وبين
 المفرد والجمع في مثل اسد واسد وبين الفعل والفعل
 في مثل قدم وقدم وبين الاسم والاسم في مثل :
 سحور وسحور .

2 - العربية وفلسفة الإعراب

اللفة العربية : من اللغات العربية المنبت
 الواسعة الأفق اتسعت فاحاطت بأبعد انغلاقات
 الفكر وارتفعت حتى وصلت أرقى اختلاجات
 النفس .

ولقد زادت مرونتها تبلورا وتفاعلا ونماء وقدرة
 على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الذي
 تعيشه الإنسانية في مسيرتها .

وكان لها عبر الزمن الإصالة الجاهدة المولدة
 المعطاءة . والميزات المطوعة المتطورة .

وانك لتحس هذا في كلماتها التي تمثل
خطرات النفوس ونبضات القلوب وكل كلمة لها في
الجملة مكان يحس بها المتكلم أو تحس بها الكلمة
نفسها .

ولهذا صارت - بفعل عوامل مختلفة - لغة
حية بأوزة ، ذات دلالة ووضوح ، وزادها مائة وإبانة
والصاحا من المعاني : الأعراب .

والعربية لغة تتوخى الإيضاح والإصالة والأعراب
أحدى وسائلها لتحقيق هذه الغاية : غابة الإيضاح
والانصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض
ومن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها .

وفي اللغات الخالية من الأعراب يعتمد أهل
اللغة على القرائن وعلى إضافة كلمات إلى الجملة لفهم
المقصود من المعاني ولكن الاعتماد على القرائن ربما
لا يطرء - كما يقول صاحب الطراز - فأوجبت
العربية التفريق بين الفاعل والمفعول والا وقع اللبس
والإبهام .

والأعراب : مصدر أعربت من الشيء إذا أوضحت
عنه . ويقال : فلان معرب عما في نفسه أي مبين له
وموضح عنه ومنه : عربت الفرس تعريبا إذا برغته .
وذلك بأن تنسف أسفل حافره .

ومعناه : أنه قد بان بذلك ما كان خفيا من أمره
لظهوره إلى مرءاة العين بعد ما كان مستورا وبذلك
تعرف حاله أصلب هو أم رخو وأصبح هو أم
سقيم وغير ذلك .

وأصل هذا كله قولهم : « العرب » وذلك لما
يمزى إليه من الفصاحة والأعراب والبيان ومنه
قولهم في الحديث « الشيب تعرب عن نفسها »

والعرب صاحب الخيل العرباب وعليه قول
الشاعر :

ويصهل في مثل جوف الطوى
صهيلاً تبين للمعرب

أي إذا سمع صاحب الخيل العرباب صوته علم
أنه عربي ومنه : العروبة . والعروبة الجمعة وذلك
أن يوم الجمعة أظهر أمرا من بقية الأسبوع لما فيه من
التأهب لها والتوجه إليها وقوة الأشعار بها قال
الشاعر العربي القديم :

يوالم رهطاً للعروبة صيما

ولما كانت معاني السمين مختلفة كان الأعراب
الدال عليها مختلفا أيضا . وكأنه من قولهم : « عربت
معدته » أي لصدت . كأنها استحالته من حال إلى
حال ، كاستحالة الأعراب من صورة إلى صورة .

الأعراب إذن مطلب العقل في اللغة ولذلك يرى
بعض الباحثين والدراسين من علماء مقارنة اللغات
أن الأعراب أولى ما وصلت إليه اللغات في الوضوح
والإبانة وهذه المرتبة قد بلغتها العربية الفصحى ،
ولا يشاركها فيه من اللغات القديمة إلا اليونانية
واللاتينية ، ولا يشاركها فيه من اللغات الحديثة إلا
الألمانية .

أما اللغات الآرية الحديثة - وتشمل معظم لغات
أوربا الحديثة - فقد خلت من حالات الأعراب ولا ميمز
فيها بين الرفع والنصب والجبر ، وإنما يقوم مقامها
الحاق أدوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر
أو بتقديم الألفاظ وتأخيرها مما لا يخرج عن الوضع
الخارجي في المكان ، هذا في حين أن اللغة العربية
قد استلومت من أول الأمر - ما دام الأعراب مرصيا -
وأن يكون الفكر الوامي محددا للوضع الخارجي وأن
يكون النظر إلى المعنى هو المبرر للتقديم والتأخير
وتأكيد الإسناد ، وغير ذلك إلا تسرى أنك إذا
سمعت : أكرم سعيد أباه ، وشكر سعيدا أبوه ، علمت
برفع أحدهما ونصب الآخر ، الفاعل من المفعول ولو
كان الكلام نوعا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه .

فبالأعراب يعرف الخبر من الإنشاء والمفعول
من الفاعل وبه يتميز المضاف من المنعوت والمتعجب من
الاستفهام والنمت من الحال إلى غير ذلك .

وبالجملة : فتميز المراض المتكلم عند السماع
يكفي فيه الأعراب فالأعراب في مثل (ما أحسن زيد)
يفتح نون أحسن وضم دال زيد كانت « ما » نافية
وإنت تريد أن ليدا لم يحصل منه أحسان .

وإذا قلت (ما أحسن ليدا) يفتح النون والدال
كانت « ما » تمجبية وإنت تريد أن شيئا عجيبا جعل
زيدا حسنا .

وإذا قلت (ما أحسن زيد) بضم النون وكسر
الدال ، كانت « ما » استفهامية وإنت تريد معرفة
أي شيء حسن في زيد علمه أم أدبه أم أخلاقه ..
الخ ..

وقد يفرقون بين المعاني بالحركات وغيرها
فبالحركة يقولون : « مفتاح » للالة بكسر الميم وفتح التاء
و« مفتاح » بفتح الميم لموضع الفتح ، وللفتح نفسه .

وقد يفرقون بين المعاني بغير الحركات كالتمييز
بناء التائيث وعدمها فيقولون امرأة طاهر بدون
التاء اذا ارادوا طاهرة من الحيض لان الرجل لا
يشاركها فيه واذا ارادوا طهارتها من العيوب الخلقية
قالوا امرأة طاهرة لان الرجل يشاركها فيها فيحتاجون
الى التمييز بينهما ومثله امرأة قاعد اذا انقلبا الحبل
وقاعدة من القعود اي جالسة لان الرجل يشاركها فيه
فيقال : رجل قاعد . ويروى ان رجلا دخل على امير
المؤمنين علي - كرم الله وجهه - فقال له من فيسر
اعراب : « قتل الناس عثمان » فقال له امير المؤمنين
« بين الفاعل من المفعول رض الله فاك » .

وبنت ابي الاسود الدؤلي وقفت مرة تشاهد
السماء وتتعجب لجمالها . فقالت لايها « ما احسن
السماء » فقال ابوها : نجومها ، فقالت « ما عن هذا
اسأل وانما انا اتعجب » فقال لها اذن قولي « ما احسن
السماء » وافتحى فاك . وسمع ابو الاسود قارئا
يقرا قوله تعالى « ان الله بريء من المشركين ورسوله »
بكسر اللام في رسوله فاكبر ابو الاسود ذلك وقال :
عز وجه الله ان يبرأ من رسوله .

وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب
للمصحف بأمر زياد .

ويروي ابن قتيبة ان رجلا من الخوارج مدح
رئيسهم شيبا بن يزيد الخارجي بقصيدة في بيت
منها :

ومنا سويد والبطين وقعناب

ومنا امير المؤمنين شبيب

فاخذه عبد الملك بن مروان وسأله وهو يحاكمه
عن هذا البيت فقال لم اقل هذا بل قلت : ومنا امير
المؤمنين شبيب بفتح الراء في امير اي يا امير
المؤمنين فامر بتخلية سبيله .

وقد اشار ابن خلدون في مقدمته الى الامراب
عند العرب فقال : ان كلامهم اي العرب - واسع وكل
مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الامراب والابانة
الا ترى ان قولهم : زيد جامني مغاير لقولهم : جامني
زيد . من قبل ان المتقدم منهما هو الاهم عند المتكلم .

فمن قال : زيد جامني أفاد ان اهتمامه
بالشخص قبل المجيء المسند وكذلك التعبير من
اجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او مبهم
او معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة كقولهم : زيد
قائم وان زيدا قائم وان زيدا لقائم متفائرة كلها في
الدلة وان استوت من طريق الاصراب فان الاول
العاري عن التأكيد انما يفيد الخالي الدهن والثاني
المؤكد يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر .

وكثير من كواكب الاستشراق وعلماء اللغات،
نوهوا بخصوصية الاعراب في العربية قال العلامة
« بركلمان » عند حديثه عن لغة الشعر العربي :

لقد تميزت لغة الشعر العربي هذه بثروة عظيمة
من الصور النحوية وبلغت من حيث دقة التعبير عن
علامات الاعراب والنحو ذروة التطور في اللغات
السامية .

وقال البهانة : « لوي مسينيون » في حين
ان اللغة السريانية قد نقلت اجروميتها عن اللغة
اليونانية نقلا صرفا ، استطلعت لغة الفداد ان تشيد
بناء ضخما من الاعراب يضع امام الابصار مشهدا
فلسفيا ذا روعة واصالة .

فاللغة العربية لها من الخصائص لافهام المعاني
الدقيقة والمعاني الثانوية التي تصل الى نهاية الابداع
وكمال الصنع ، ما يملك على السامع مشاعره
ويستخدم حواسه ويدفعه حيث يشاء .

والاعراب في ذاته فلسفة لقوية تضع كل شيء
في مكانه الملائم له وتعطي كل ذي حق حقه .

فلا ابهام ولا لبس ولا غموض ولا تعقيد . بل
وضوح وابانة وهدى وانصاح .

3 (العربية والحركة

اللغة العربية من ارق اللغات منبتا واكثرها
رسوخا والقواما جلادة واشدها بنيانا وفي ظل
الحضارة الاسلامية صارت ابعد اللغات مدى واوسعها
افقا واقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر
التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطلعت العربية في رحاب عالمية الاسلام ان
تتسع لتحيط بابعد انطلاقات الفكر وترتفع حتى تصعد
ارقي اختلاجات النفس .

ولقد زادت مروتها وقهرتها على التفوق ببلورا
وتفاعلا ونماد وأعطتها طاقة خلاقة وحياة مدهشة .

وكان لحركتها التي امتازت بها : الأصالة
الجاهدة المولدة المعطاءة والميزات المطوعة المتطورة ولم
تعد حروفا وقوالب فارغة يملأها الفكر فتحمله ،
بل أنها بعض الإنسان المسلم بعض كينونته ، هو
ينبوعها وهي مجراه وقلنا أنها بعض الإنسان المسلم
لأنها لغة القرآن الكريم وإنك لتجد الاحساس الدقيق
متمثلا في مفرداتها ويتجلى هذا في التركيب ، لكل
كلمة لها في الجملة مكان يحس بها التكلم وإن شئت
بمباراة أخرى فقل : تحس بها الكلمة نفسها .

وتكاد تمثل كلماتها خطرات النفوس وتصور
الفاظها مشاهد الطبيعة تكاد تتجلى معانيها في أجراس
الالفاظ وتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها
نبضات القلوب ورحيق الحياة ومشاعل القوة .

فليس هناك معنى من المعاني ولا فكر من
الأفكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات
تعجز اللغة العربية ، عن تصويرها بالأحرف والكلمات
تصويرا صحيحا هي المقاطع يأود القسما .

والحياة في العربية حياة خلاقة مبدعة ذات
مبقرة خاصة وكلماتها تنم بهذه الحياة في الحين
الذي نجد الكلمات في سائر اللغات أدوات جامدة
لا يعرف فيها معنى الحياة إلا بعد أن تجتمع منها إلى
بعضها وتؤلف بمباراة .

وإذا كانت بقية اللغات أدوات للتعبير متى
بلغتها فقد بلغت الغاية القصوى وانتهت مهمتها فإن
اللغة العربية لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريد أن
يكون التعبير جميلا وتريد أن يمتد هدفها إلى أكثر
من ذلك فيتحول إلى فكرة مستمرة للجمال واللون
والذكاء فكرة تندلع بصورة تلقائية وتتوالد من نفسها
لأنها في تفاعلها وتطورها كأنها كائن حي يذهب ويجه
وتموج فيه العواطف والاحاسيس ، وكلماتها الحية
ذات الأصول الثابتة تنفرد منها المعاني المتقاربة فمثلا:
النون والباء إذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف
معاني البروز انظر إلى فروع هذا الجذر فنجد أن
معنى :

نبت : برز من الأرض ، ونبسط : أخرج
ماء البشر

ونبغ : خرج من العين ، ونبغ :
خرج وظاهر

إلى ماخر ما هناك من الكلمات التي تتشابه في
الأصل والعربية في مبقريتها لم تكتف بهذا المنطق
الذي هو في حد ذاته قاعدة بل عمدت إلى أكثر من
ذلك وها هي ظاهرة من ظواهر حياتها حتى في
الكلمات فهي تتساهل أشمل ما يكون التساهل حيال
من يتكلمها كما يفعل الرجل الشهم أزاء صاحبه
تماما ، خذ مثلا كلمة « فضرور » أن اجتماع الغين
والضاد ينقل أحيانا على اللفظ وتناسق الحروف في
الكلمة يجعلها سريعة الانفصال من أخواتها في
المباراة وفي السرعة ، فماذا تفعل العربية لتتألى
هذا الأمر أنها تتساهل معك وتقول لك إذا لم تستطع
أن تلفظ كلمة « فضرور » فألفظ « فضرور » فإنها
هي نفسها ، فهي لا تمتنع إلى الدرجة التي تشمر
بالفرض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى .

وكان اللغة العربية بهذه الحركية والحياة تريد
أن تدفع بآبناء الإسلام إلى المجد دفعا وتصل بهم في
ظل القرآن الكريم إلى ذروة ما قدر لهم من نجاح وفز
وسؤدد ، وتفسر فيهم حب العمل والحركة
والإتماد على أن لا أمل لهم إلا في أنفسهم وتبث
في قلوبهم النشاط وتقشع السكون والاستكانة فلا
ينبغي أن تكون لغة القرآن متحركة حية وأهلها
جامدون ساكنون .

ولقد ارب من الحياة في اللغة العربية العالم
النحوي أبو الفتوح عثمان بن جني فوضع القول من
الكلام والقول وانما يدلان على الحركة والسرعة
والقوة .

وذكر أن معنى « ق و ل » ابن وجدت وكيف
وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه
إنما هو للخفوف والحركة وجهات تراكيبيها الست
مستعملة كلها لم يهمل شيء منها وهي :

ق و ل ، ق ل و ، و ق ل ، و ل ق ،
ل ق و ، ل و ق .

الأصل الأول : « ق و ل » وهو القول وذلك
أن الفم واللسان يخفان له ويقلقان ويمدلان به وهو
بضد السكوت الذي هو داهية إلى السكون إلا ترى
أن الابتداء لما كان داخل في القول لم يكن الحرف
المبدوء به إلا متحركا ولما كان الانتهاء داخل في
السكوت لم يكن الحرف الوقوف عليه إلا ساكنا .

الاصل الثاني : « ق ل و » منه القلو حصار
الوحش وذلك لخفته واسرعه قال المعاج :

تواضع التقريب قلووا مفلجا

ومنه قولهم : قلو ت البسر والسريق فهما
مقلوان وذلك ان الشيء اذا قلى جف وخف وكان
اسرع الى الحركة والطف قال :

قد مجبت مني ومن بعيليا

لما راتني خلقا مقلوليا

اي خفيا للكبر طائشا

قال :

وسرب كمين الرمل عوج الى الصبا

بواعف بالحدادي حور المدامع

سمعن غناء بعد ما نمن نومة

من الليل فاقولين فوق المضاجع

اي خفن لذكره فزال عنهن نومهن واستلقاوهن
على الارض .

الاصل الثالث : « و ق ل » منه الوقل للوعل ،
وذلك لحركته وقالوا : توقل في الجبل اذا صعد فيه
وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعتمال .

قال ابن مقبل:

مودا احم القرا ازمولة وقلا

ياي تراث ابيه يتبع القدا

الرابع : « و ل ق » قالوا ولق يلق اذا اسرع
قال :

جاءت به عنس من الشام تلق

اي تخف وتسرع وقريء «اذ تلقونه بالسنتكم»
اي تخفون وتسرمون .

الخامس : « ل و ق » جاء في الحديث لا تأكل
من الطعام الا مالوق لي .

اي ما خدم وامملت اليد في تحريكه وتلييقه
حتى يطمئن وتضام جهاته ومنه اللوقة للزبدة وذلك
لخفتها واسراع حركتها .

(2) حتنى : اي مستوية

السادس : « ل ق و » منه اللقوة للعقاب ،
قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها قال :

كاني بفتخاء الجناحين لقوة

دفوف من المقبان طاطات شلال

ومنه اللقوة في الوجه والتقاؤهما : ان الوجه
اضطرب شكله فكانه خفة فيه وطيش منه وليس له
مسكة الصميم ووفور المستقيم ومنه قوله :

وكانت لقوة لاقت قبيسا

واللقوة الناقة السريعة اللقاح وذلك انها
اسرعت الى ماء الفحل فقبلته ولم تنسب عنه نبو
العاصر .

واما « ل م » فهذه ايضا حالها وذلك انها
حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة
والاستعمل منها اصول خمسة وهي : ل م ،
ل م ل ، ل م م ، م ل ل ، م ل م واحملت
منه ل م ل فلم تات في ثبت .

فمن ذلك الاصل الاول « ل م » منه الكلم
للجرح وذلك للشدة التي فيه وقالوا في قوله تعالى:
«دابة من الارض تكلمهم» قولين احدهما من الكلام
والآخر من الكلام (بضم الكاف) اي تجرحهم وتأكلهم
وقالوا : الكلام (بضم الكاف) ما غلظ من الارض وذلك
لشدته وقوته ، وقالوا رجل كلم اي مجروح وجريم
قال :

عليها الشيخ كالاسد الكلم

الثاني : « ل م ل » من ذلك كمل الشيء وكمل
فهو كامل وكميل وعليه بقية التصرف والتقاؤهما :
ان الشيء اذا تم وكمل كان حينئذ اقوى واشد منه
اذا كان ناقصا غير كامل .

الثالث : « ل م م » : منه اللكم اذا وجات
الرجل ونحوه ولا شك في شدة ما هذه سبيله
انشد الاصمعي :

كان صوت جرهما تساجل

هابيك هانا حتنى (2) تكابل

لدم المعجى لكهما الجنادل

السابقين الامرة والقضاء وقد جاء في القرون :
« وادبناه الحكم صيبا » أي دابناه الحكمة

ومن الحكم بمعنى الحكمة اشتقوا « الحكيم »
مثل اشتقاق الطبيب من الطب واللطيف من اللطف ،
والنبيل من النبل وبسبب ازدحام المعاني على كلمة
« الحكم » اختصت لفظة الحكيم بمعنى الحكمة وبقيت
« الحاكم » تعني الامر او القاضي ولا تعني الحكيم
خلاف الامر والامير والفاضل والفضيل والجاهل
والجهول التي تشترك كل واحدة منها في معنى
صنوها .

وقد كثر استعمال صيغة « الحكمة » لمعنى
الحصافة والفتنة لانها ابين من الفرض من لفظة
« الحكم » المزدوجة المعنى ، التي كانت ما تزال
تستعمل في كلا المعنيين عند ظهور الاسلام وهكذا
زال معنى الحصافة من الحكم والحصيف من الحاكم
بدافع من الرغبة في اجتناب اللبس فتخصص
معناها في التسلط والقضاء كما زال معنى الامرة من
« الحكمة » و« الحكيم » فاختص معناها بالحصافة ولما
كانت المحاكمة تتطلب مناقشة القضايا وتمحيصها ،
فقد صارت هذه الكلمة تعني بالاضافة الى ما تقدم
نفاذ الفكر وسداد المنطق فقالوا : « فلان قوي
المحاكمة » أي ثاقب البصيرة في تمحيص المسائل
العقلية دون ان يكون للامر علاقة بالقضاء بين
المتحاكمين من الناس .

وفي العهد الاسلامي اطلقت « الحكمة » على
الفلسفة وما هو بسبيلها من العقلانيات ثم اطلقت
« الحكمة » على الطب وسمى الطبيب حكيما وظاهر
ان سبب ذلك هو ان الكثيرين من « الحكماء » - أي
الفلاسفة زاولوا الطب على ذلك العهد مثل الكندي
والخيام وغيرهما .

ولا بأس ان نورد هنا مثلا كان شائعا في العراق .
يوم كان الطبيب يسمى حكيما هو قولهم : « لا سلط
الله عليك حاكما ولا حكيما » ولا زال يستعمل في
صعيد مصر .

وهكذا تعددت مناحي تطور هذه الكلمة فصار
لها نشاطها الخلاق في ميادين السياسة والادارة
والقضاء والفلسفة والطب بالاضافة الى معناها
الثقافي العام .

هذه هي الحياة في اللغة العربية حياة جملة
اكثر مرونة من غيرها من اللغات فانت ترى انها اكثر

الحكمة : كلمة ثقافية جليلة وهي كلمة مصامية
نشأت وارتفعت من اصل متواضع اصلها من اربطة
الدواب ، ان الحكمة جاءت من « الحكمة - وزان
السكة - وهي جزء من لجام الفرس : الجزء المحيط
بالحنك من اللجام قالوا - العرب الاقدمون « حكمت
الفرس واحكمته » - من باب ضربته وادبته بمعنى
وضعت الحكمة في فمه ، ووضعك الحكمة في فم
الفرس يعني سيطرتك عليه ، ومن هنا صار « الاحكام »
وزان الاحسان بمعنى التوثيق والالتقان ، وصار
« الحكم » وزان اللطف يعني السيطرة ، و« الحاكم »
يعني المسيطر والامر والسلطان ، ثم اشتق من هذه
المادة « التحكم » وهو تكلف الحكم او التمسك فيه
وبعد ان ثبت هذا المعنى للحاكم اشتقوا منه
« المحاكمة » فقالوا : « حاكمك الرجل » بمعنى
خاضعته الى الحاكم ، و« تحاكم الرجلان » اليه
بمعنى تخاضعا اليه « فحكم بينهما » أي اصدر حكمه
فيهما ، ومن هنا صار « الحكم » يعني القضاء أي
الفصل بين « المتحاكمين » ايضا ومن هنا اشتقت
« المحاكمة » وهي دار « الحكم » او دار « المحاكمة » او
دار « التحاكم او الاحتكام » ، وصار الحاكم يعني
القاضي وهكذا أصبح للحاكم معنيان : أحدهما :
الامر المسيطر ، والثاني القاضي والقاضي غير
القاضي الشرعي ، يسمى في العراق « الحاكم »
والجمع « الحكام » وبعد ان اخذت الكلمة معنى
القضاء أصبح من السهل اشتقاق « الحكم » - وزان
القلم والتحكيم منها ، كذلك أصبح للتحكيم نفس
المعنيين أي التسلط وطلب الرأي فقالوا مثلا : حكم
الرجل عاطفته او عقله في المسألة بمعنى سلط
عاطفته عليها او عرضها على عقله للوصول الى رأي
فيها ، وقالوا : حكمناه في الخلاف بمعنى طلبنا
حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب
الجاهلية (الحكومة) بمعنى طلبنا حكمه فيه او
جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة)
بمعنى : « حكم الحكم » فقال شاعرهم :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

ولكننا لا نستعمل « الحكومة » الآن الا بمعناها
السياسي المعروف .

ولما كان الناس انما « يحكمون » الى ذي عقل
وفطنة فقد اصطبغ « الحكم » وزان الشكر - بهاتين
الخصلتين ، أي العقل والفطنة بالاضافة الى معنييه

فالعربية بحيويتها المدهشة لم تمجز ولم تفق
بكل ما أدركه الإنسان من علم وثقفة من صناعة ،
والعربية لغة القروان الكريم ، القروان الذى حفظها
رغم ما مر بها من مصور الركود والجمود وما فشت
فى ظل القروان تفيض بالقوة والانطلاق .

(للحديث بقية)

اللفات قبولاً للاشتقاق ، وجلي ان طريقة العربية
فى توليد اللفاظ بعضها من بعض جعلت من اللغة
جسماً حياً تتوالد اجزأؤه ، ويتصل بعضها ببعض
بأوامر قوية واضحة وهذا الارتباط بين الفاظ
العربية الذى يقوم على ثبات عناصر أصيلة خصبة
عظيمة تسمح لنا بالقول بأن ارتباطها حيوي وان
طريقتها توليدية .

المراجع

- (1) الخصائص لابن جنى طبعة الفجالة بمصر سنة 1913 م .
- (2) الكامل للمبرد . القاهرة سنة 1956 .
- (3) الطراز لليمنى الجزء الاول .
- (4) ميون الاخبار لابن قتيبة - القاهرة .
- (5) ادبيات اللغة العربية طبعة 1909 .
- (6) الفلسفة اللغوية . جورجى زيدان .
- (7) مقدمة ابن خلدون طبع كتاب التحرير سنة 1966 القاهرة .
- (8) فلسفة اللغة العربية للدكتور عثمان أمين .
- (9) تاريخ آداب اللغة العربية جورجى زيدان الجزء الاول .
- (10) احياء النحو ابراهيم مصطفى 1926 م القاهرة .
- (11) الزهر للسيوطى طبعة دار احياء الكتب العربية
- (12) فقه اللغة للشمالبي المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .
- (13) فقه اللغة لمحمد المبارك . دمشق 1960 م
- (14) مجلة الاقلام المجلد الاول . العراق .
- (15) مجلة اللسان العربي . الرباط المغرب . « جميع الاعداد الاربعة الاولى » .

هَلْ كَانَتْ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةً خَلِيلِ الرَّحْمَنِ؟

الأستاذ عليم الخطيب ، مجمع بحوث الإسلاميه ، القاهرة

صفحات عدة من هذا السفر العظيم (1)، نوجز تلخيصه وتحديد موضوعاته فيما يأتي :

1 - تحدث عن الشخصيات الطاهرة التي نزلت مكة وقت كان ليس بها أحد ولا ماء ، وهم : الخليل ابراهيم ، وهاجر وابنهما الرضيع اسماعيل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

2 - نبع زمزم لهاجر وولدها .

3 - قدوم بطن عربي جرهمي واستئذانه هاجر في السماح له بالإقامة في مكة راضين بشرطها « الا حق لهم في الماء » ، وأستقدموا اهلا لهم ، وقد شب اسماعيل عليه السلام بينهم ، وتزوج منهم مرتين .

4 - زيارات ثلاث لل خليل الى مكة لوديعته - هذا الاولى التي قدم فيها بأهله اليها ، وكان آخرها تلك الزورة التي بنى فيها البيت مع ولده - عليهما الصلاة والسلام - وأمر فلان في الناس بالحج .

وهذا الحديث الشريف يعطي حقائق موضوعية هامة توضح بعض ما غاب عن التاريخ في منهجه الحديث :

اولها : بيانه الواضح من مبدأ تاريخ العمران في مكة ، والذين يمتنون بتسجيل العصر التاريخي للامم القديمة ليس امامهم وثيقة أدق من هذا الحديث لبيان بدء العمران بمكة وارتباع الناس فيها وسكناهم بها ، فاذا كان الخليل - صلوات الله عليه - قد عاش

لغة خليل الرحمن ابراهيم - عليه الصلاة والسلام - شغلت الباحثين من علماء الاديان في العصر الحديث ، وبخاصة بعض الذين يهمهم أن ينحرفوا ببحوثهم في اتجاه معين مسبوق بتخطيط ينسلخ بسببه العرب من صلتهم بال خليل ، على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام .

واذكر ان الاستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - قد وضع كتابه : « ابو الانبياء : الخليل ابراهيم » و « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » وتصدى فيهما لهذه القضية واستطاع أن يرد الى نحر المنحرفين سهامهم . وتبع - رحمة الله عليه - منهج «تقصي الحقائق» في بحثه الذي اشتمل عدة مناهج تلاقت نتائجها في النهاية عند حقائق مشيرة تثبت صلة ابراهيم الخليل الوثيقة بالمعروفة في وقت مبكر يقع بين القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد .

ونحن نقصر هنا - مستعينين بالله - على منهج « الحديث النبوي الصحيح » في الكشف عن لغة خليل الرحمن ، فان السنة المطهرة قد استقام بها كثير من حقائق التاريخ والكون حين تعرض لها رسولنا الكريم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد ساق الامام البخاري رضي الله عنه في صحيحه حديثا ، رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ابان عن امر الخليل بمكة واقاض فيه حتى ليكاد يكون الحديث الوحيد الذي استنوب

(1) صحيح البخاري 172/4 مطابع الشعب بالقاهرة 1378 هـ

بين القرنين السالفين من قبل الميلاد ، كان ذلك يعني ان هذه الفترة مبدا دخول مكة عصرها التاريخي .

ثانيها : يوضح هذا الحديث الشريف في جلاء نادر « حلقة مفقودة » لدى المؤرخين الذين توصلوا الى ممالك الاسماعيليين في شمال الجزيرة مثل : تيماء ، ودومة الجندل وغيرهما ، دون ان يصلوا - عن طريق منهجهم - الى «مهاد» هذه الرؤوس الشريفة من ابناء اسماعيل ، اعني الصدر الاول من ابنائه لا احفاده ومن بعدهم ، فقد ظلت هذه المهاد حلقة مفقودة الا في هذا الحديث ، فهو وحده الذي يقدمها عبر ضوء شديد ينير من حولها كل السبل ويقطع بان الاسماعيليين صعدوا من الجنوب (مكة) فامتلكوا في الشمال (اعالي الجزيرة) وليس العكس.

ثالثها : لغة خليل الرحمن - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ، وهنا يعني ان نتحدث عنها وحدها دون ان نتعرض للغة اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وذلك الامر واحد ، هو ان اسماعيل نشأ رضيعا في قبيلة جرهم وتلقى العربية عنهم ، وفي هذا الحديث الشريف جاء عنه .. « وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم » لذلك نريد ان نتحدث عن لغة خليل الرحمن وحده ، وهو الذي لم يقطن مكة ولم يجاور جرهم الا سويعات في الزيارة الثانية والثالثة ، ومدة بناء البيت في الرابعة . اما الاولى فلم يكن بمكة يومئذ احد وربما لم يمكث فيها ساعة من نهار ، وها هو الجزء من الحديث الخاص بها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما عن «هاجر» - عليها السلام : ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم في اعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ احد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، ثم قفى ابراهيم منطلقا ، فتبعته ام اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم ! اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مرارا ، وجعل لا يلتفت اليها ، فقالت له : الله الذي امرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : اذا لا يضيعنا . ثم رجعت . »

ولا يمكن ان يقال : ان ابراهيم مكث شيئا ذا بال بمكة ، انه ما ان وضعهما حتى انطلق راجعا ، وبالتالي ما كان فيها من احد لغير اهله .

ولما كانت الزيارتان الثانية والثالثة كلاهما ذا اهمية في الموضوع نسوقهما لنعرف منهما : ما لغة

خليل الرحمن عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ؟ وكلاهما كانتا بعد زواج اسماعيل صلى الله عليه وسلم . واسماعيل تزوج مرتين من قبيلة جرهم العربية ، قال :

« فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد اسماعيل ، فسأل امراته عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سالها عن عيشهم وهبشهم فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت اليه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يغير عتبة بابي ، فلما جاء اسماعيل كانه آنس شيئا ، فقال : هل جاءكم من احد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك ، فاخبرته ، وسألني : كيف عيشنا ؟ فاخبرته : انا في جهد وشدة ، قال : فهل اوصالك بشيء ؟ قالت : نعم ، امرني ان اقرا عليك السلام ، ويقول : غير عتبة بابك ، قال : ذاك ابي ، وقد امرني ان افارقك .. الحق باهلك ، فطلقها »

هذه كانت الزيارة الثانية ، ويمكن ان يضع لها القاريء تقدير الوقت الذي استغرقته ، وهذه هي الثالثة .. قال :

وتزوج منهم (يعني من جرهم التي تزوج منها اولا) اخرى ، فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ، ثم اتاهم بعد ، فلم يجده ، فدخل على امراته فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ، قال : كيف انتم ؟ وسألها عن عيشهم وهبشهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، واثنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : فما شرايبكم ؟ قالت الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دها لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه ، قال : فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يشرب عتبة بابي . فلما جاء اسماعيل قال : هل اناكم من احد ؟ قالت : نعم ، انا شيخ حسن الهيئة ، واثنت عليه ، فسألني عنك فاخبرته ، فسألني : كيف عيشنا فاخبرته انا بخير ، قال : فاوصالك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك ان تثبت عتبة بابك ، قال : ذاك ابي واثت العتبة ، امرني ان امسكك . »

ونعيد لفت نظر القاريء الى النظر في قدر هذه الزيارة الزمني . ثم نلاحظ ان الخليل نسي كلتي

الزياريتين اعقبهما بالرحيل فلم يمكث بمكة مقدار شهر او اكثر حتى نقول : انه اخذ اللسان العربي ابان اقامته .

واذا كان من الحقائق الهامة التي يقدمها هذا الحديث الشريف ان زوجتي اسماعيل : الاولى والثانية من جرهم - اذ نص على ذلك حيث يقول عن الاولى : « فلما ادرك زوجوه امرأة منهم » وعن الثانية « وتزوج منهم اخرى » . - فهذا يعني ان كلا الكنتين هريشان خالصتان ، ومن العسف ان يدعي مدع انهما تعلمتا لغة اخرى غير العربية .

كذلك ثبت لنا ان خليل الرحمن - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - لم يمكث بمكة قدرا يعلمه العربية ، وكان يخاطب كنتيه، وقد انفرد بكل منهما - دون ثالث يمكن ادعاء انه ترجم بين لسانيهما .

وهذا امر يعني - دون تردد - ان الخليل - صلوات الله وسلامه عليه - كان ذا لسان عربي مبين فما كانت «المخاطبة» بينهما - في كل مرة - كلمة عابرة تؤديها اشارة ، ولكنها حوار دار بين اخذ ورد انتهى بحكمه على كل منهما ، فواحدة كانت شؤم بيت زوجها والاخرى كانت حسنه وخيره

واذا كان الخليل - عليه السلام - ذا لسان عربي ولم يكن من اهل مكة ، ولا كان من اهل الجنوب (اليمن وما حولها) وكان من الشمال ، فهذا يعني ان العربية كانت مسيطرة - كلفة حياة ومعاش - في هذا الشمال الذي كان فيه الخليل وهنا نلتقي بالاستاذ العقاد - رحمة الله عليه - الذي يعطي بحثه نفوذ العربية القديمة في شمال الجزيرة حتى تخطت العراق وما كان الى غربه وشماله .

وحتى يتم لقاء «علمي» بين الحديث الشريف و « التاريخ » في منهجه الحديث ينبغي النظر في الهجرات العديدة التي تمت في العصر التاريخي لجنوب الجزيرة ، اعني منذ اربعة آلاف سنة من قبل الميلاد ، فقد توالى هجرات منه الى الشمال في خطين . وامتلك بعض هذه القبائل الشمال ودان لها ، وفي منتصف هذه الالف الاربعة ظهر الخليل عليه السلام كمربي اصيل ، لانه منها ، ولانه يستحيل ايضا ان يدعو الى دين الله في قلب الجزيرة : ويؤذن للناس بالحج - وفي مقدمتهم جرهم القاطنة حول البيت - بلسان فير عربي، قال تعالى: «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (ابراهيم 4) والحج شريعة الخليل عليه السلام .

ولسنا نقول : انه عليه السلام تحدث بالعربية التي هي هريتنا - اعني لغة القروان الكريم التي بها انزل - لكنها عربية زمانه بفصاحتها ، وما من شك انها كانت وثيقة الصلة : اصولا وفروعا بعربية القروان الكريم .

ولقد اوحى الى رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ببعض دعائه في تعويذة كان يعوذ بها ولديه : اسماعيل واسحاق عليهما الصلاة والسلام ، فعوذ بها المصطفى - صلى الله عليه وسلم ولديه : الحسن والحسين ، فقال : اهيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »

قد لا تكون هين الالفاظ ، لكنها العربية ، وليس الفرق بينهما الا ان الاولى عربية الخليل عليه الصلاة والسلام ، والاخيرة عربية المصطفى خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الحياة في اللغة العربية

الأستاذ إلياس قنصل "الأرمينية"

- 1 -

شكيلة خلاصتها إضافة زوائد على الكلمة أو تغيير آخرها .

وهذا التحوير يكبر الكلمة في « المين » فقط .
وما هكذا اللغة العربية .

ان اللغة العربية حين تود ان تضع الكلمة في قالب المبالغة تعمد الى « الحياة البشرية » منتبها منها ما يثبت في الكلمة روح هذه الحياة .

واترك الموضوع قليلا على ان اعود اليه بعد سطور .

ان الرجل الذي ينعم بميزات الرجل لا يستطيع ان ينال من تحديقك اليه ما ينال الرجل الذي شامت الطبيعة ان تضع فيه بعض ميزات المرأة .

انك تمر بالرجل « العادي » فلا تحفل به .

ولكنك اذا مررت برجل قد برز نهاده — مثلا — فلا يسمعك الا التفكير به قليلا او كثيرا لان بروز النهدين من خصائص المرأة لا من خصائص الرجل .

وما نقوله عن الرجل نقوله عن المرأة .

ولا نعبأ بشمورك ازاء هذا التجاوز او ذاك على الحدود المرسومة لاحد الجنسين : ما نشير اليه هو ان هذا التجاوز يلفت نظرك .

وقد ادركت اللغة العربية هذه الظاهرة فطبقتها على صيغة المبالغة .

تختلف اللغة العربية من غيرها من اللغات بأن « الحياة » التي فيها حياة خلقة مبدعة ذات عبقرية خاصة . وفي الوقت الذي نجد بقية اللغات أدوات للتعبير متى بلغت بلغت غايتها القصوى وانتهت مهمتها نجد ان الضاد لا تكتفي بهذه الغاية بل هي تريد ان يكون التعبير جميلا وتريد ان يمتد مدنها الى اكثر من ذلك ليتحول الى فكرة مستمرة للجمال والذوق والذكاء : فكرة تندفع بصورة تلقائية وتتولد من نفسها كالطاقة الذرية سواء بسواء .

ولو احببنا ان نضع للامر مثلا بسيطا يقربه الى الاذهان لاستطعنا القول ان بقية اللغات كالساعات العادية تضبط لك الوقت اقرب ما يكون الى الدقة ، اما اللغة العربية فكالساعة الذهبية التي لا يمكن الا ان تكون مثال الدقة في ضبط الوقت لان معدنها يحمل صانعها على مراعاة قيمتها وتوفير الانسجام بين آلاتها الداخلية وغلافها الثمين — دفعة واحدة — آلة لمعرفة الوقت بالدقة المتناهية واداة للزينة تلفت الانتظار ورصيد مادي يحتفظ بقيمته الابدية .

وياتيك البرهان في صيغة من صيغها العديدة :

« المبالغة » في أبسط صورها هي تضخيم الشيء بحيث يتوجه اليه الانتباه وقد حلت اللغات الاخرى هذه المشكلة — اذا جاز لنا ان نسميها مشكلة — بطريقة

وليعذرنا الجنسان — اللطيف والغشن — لما
أردنا الا تقريب القضية الى الاذهان .

ان لغتنا تمتاز كما اشرنا بهذه النفحة من الحياة
التي تطل من تراكيبيها وصيفها ومشتقاتها ومن كلماتها
أيضا . وهذا سر من اسرار عظمتها وجبروتها .

لقد حاربها الطغاة في مختلف مهودهم وحاولوا
ان يقضوا عليها .

ثم .. ذهب الطغاة وظلت لغة المضاد —زود
القومية العربية بالقوة والجمال والخلود .

— 2 —

الحياة في اللغة العربية حياة خلاقة مبدعة ذات
عبقرية خاصة — كما اشرنا سابقا — وهي لا تكتفي
بمسيرة التطورات المستحدثة — كما تفعل بقية اللغات
— بل يجد الباحث فيها « حركة بشرية » في تعاملها .
فكانها كائن حي يذهب ويجيء وتموج فيه المواطنس
والاحاسيس .

ومن أبرز الميزات في اللغة العربية ان كلماتها تنعم
بهذه الحياة وبهذه الحركة التي نصف في الوقت الذي
نجد الكلمات في سائر اللغات أدوات جامدة لا يدب
فيها شيء من الحياة الا بعد ان تجتمع طائفة منها الى
بعضها وتؤلف عبارة .

كتبت فئة من المتبحرين في علم اللغة ان الكلمات
العربية ذات اصول ثابتة تنفرع منها المعاني المتقاربة
— مثلا النون والباء اذا اجتمعتا كانتا الجذر في مختلف
معاني البروز والنبو — فانظر الى نموع هذا الجذر :

نبت = برز من الارض .

نبط = اخرج ماء البئر

نبح = خرج من المين

نبخ = خرج وظهر

نبق = خرج وظهر

نبك = ارتفع

الى آخر ما هنالك من الكلمات التي تتشابه في
الاصل .

هذا ما كتبه فريق من العلماء وقد اتخذوا كثيرا
من الاصول ادلة واضحة صريحة .

فاذا شامت ان تصف رجلا كثير الرحلات قالت
عنه انه « رحالة » .

انها تقدمه لك وقد لحقت به التاء التي كان من
حقها ان تلحق بالكلمة المؤنثة . جعلت ذلك لتلفت نظرك
الى صلة المبالغة فيه .

واذا وصلت لك رجلا واسع العلم قالت عنه انه
علامة .

وهكذا .

ان اللغة العربية في عبقريتها لا تكتفي بالطريقة
الشكلية باضافة التاء الى الكلمة بل تمهد كذلك الى
المعنى فتغير صفته وتبلا « عينيك وخاطرك » في نفس
الوقت .

ان خصائص التانيث في الكلمة هي الوجه الآخر
الذي يضع امام « الفكر » صورة صادقة من المبالغة في
حين ان اضافة الحرف — التاء — وتشديد عين الكلمة
هي الوجه الاول الذي يضع امام « العين » الصورة
المطلوبة .

وانت تنتقل بالمبالغة من « العين » الى « الفكر »
ليتم المقصود من التحوير لتستطيع ان تلم اوسع الامام
بالمبالغة المتوخاة من التغيير .

وما ينطبق على الكلمات المذكورة ينطبق على
الكلمات المؤنثة ولكن بوسيلة مكسبة .

ان صيغة المبالغة في الاولى هي الحاق علامة
التانيث بها .

ومن الطبيعي والمنطقي ان تكون المبالغة في
الكلمات المؤنثة حذاف لامات التانيث منها .

واذا بالمرأة التي تصون نفسها امرأة « مصونة »
— لا امرأة مصونة — . واذا الحرب التي لا تبقى ولا
تذر الحرب الفروس — لا الحرب الفروسة — .

ان هذا التغيير او هذا القلب يجعل عينيك
تلتفت الى ما اريد من المبالغة ، ويجعل عقلك يمتلئ
بالصورة التي وضعت لها .

ان تاء علامة ورحالة وما اليهما هي بروز النهدين
في الرجل .

وان حذاف تاء التانيث من مصونة وفروسة وما
اليهما هي اللحية في ذن المرأة .

واجتهادنا الوضيع في هذا الصدد ان اللغة العربية في معبريتها لم تكتف بهذا « المنطق » الذي هو في حد ذاته قاعدة بل امتدت الى ابعد من ذلك . وما هي ظاهرة جديدة من ظواهر حياتها وحركتها حتى في الكلمات :

ان اللغة العربية « تتساهل » اسمى ما يكون التساهل حيال من يتكلمها كما يفعل الرجل الكريم الشريم ازاء صاحبه تماما .

خذ مثلا كلمة غضروف :

ان اجتماع الغين والضاد يثقل احيانا على اللفظ وتناسق الحركات في الكلمة يجعلها سريعة الانفصال عن اخواتها في العبارة — وفي السرعة الزلل .

لماذا تفعل اللغة العربية لتتلافى هذا الامر ؟ انها تتساهل معك وتقول :

اذا لم تستطع ان تلفظ كلمة « غضروف » فاللفظ كلمة « غرضوف » فانها هي نفسها .

وهكذا تترك لك اللغة المجال واسعا حتى اذا استثقلت اجتماع الغين والضاد وضعت بينهما الراء او اذا انسابت الكلمة من فمك سريعة الانفصال عن مكانها في العبارة امنت الزلل الذي يمكن ان تقع فيه من تناسق الحركات في الكلمة .

ان اللغة العربية لا تمنعت الى الدرجة التي تشمر بالبغض لها ، بل هي تأخذك بالحسنى ماذا أنت من « نبالة عواطفها » ومن « شهامة اخلاقها » اسير لا تكاد تملك من امرك شيئا .

وهاك مثلا ثانيا :

« القاف » حرف حلقى يصعب لفظه على البعض ولا بد من لفظه على من يتكلم الضاد . ولكن اللغسة العربية لا تنزمت بل تتساهل كماداتها وتقدم لك برهانا جديدا على « طيب عنصرها » .

اذا لم يكن من الهين عليك ان تقول :

دق : ومعناها كسر .

فلا بأس قل :

دك : ومعناها هدم .

ان اللفظتين تتقاربان في الاداء بحيث يمكنك ان تشيب الثانية مناب الاولى — هذا اذا كنت كما اشرنا ترى من الصعب التلفظ بالقاف .

وهذا التساهل من طبع اللغة العربية ولا يسري على كلمة مفردة بل على كلمات كثيرة .

وليس من عمل المصدف ان تكون لفظة « ريك » قريبة جدا من لفظة « رقيق » .

وليس من عمل المصدف ان تكون كلمة « قط » مرادفة لكلمة « قد » و « تت » .

وليس من عمل المصدف ان تكون « لفضى » و « لظلف » بمعنى واحد تقريبا .

واذا لم تشأ ان تقنع بهذا التساهل الفريد بين جميع لغات العالم احضناك الى الدليل الذي ما يصده دليل على ان التساهل هو من طبع هذه اللغة .

لقد نوعت اللغة الحركات على كثير من الكلمات حتى اذا لفظتها — على غير يقين من شكلها — لم تكن فيها على خطأ .

البصل البري اسمه المنصل (بضم الصاد) والمنصل (بفتح الصاد) والمنصلا (بضم الصاد) والمنصلا (بفتح الصاد) .

والاربعة الفظها كما يمن على بالك بضم الباء او فتحها او كسرهما .

وهذا التنوع والتشكيل في المصدر :

فاس غوصا وغياصا وغياصة ومغاصا

اتريد ارحب من هذا الميدان ؟

اتريد اكرم من هذا الكرم ؟

لا . لا .

اننا نحن الذين لم نعرف قيمة هذه اللغة الفريدة من نوعها .

اننا نحن الذين لم نجعل حتى الآن الا القليل القليل من اسرارها .

اننا نحن الذين لم ندرك ما في كلماتها وحروفها من حياة وما في تراكيبيها من منطق وشعور .

دخيل أم أثيل؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 2 -

الأتون :

ينطق بضم التاء مشددة أو مخففة ، وهو موقد نار الحمام ، يقال انها من الارمية (اتونو (atouno) التي جذرها (تن tan) دخن . واذا كان هذا الاصل ينقصه الحرف الاول في الارمية فاننا نجده كاملا في العربية بحروفه الثلاثة في صيغة (عثن) . فان عثنت النار : دخنت ، والعثن - زنة الولن - هو الدخان . ونذكر بالنسبة ان الاله الشمس كان من اسمائه باللغة الفرعونية (آتون Aton) يقابلـه بالشومرية (اوتو Utu) فالظاهر ان التسمية اقدم من تاريخ ظهور الارميين في المنطقة ، اي قبل تاريخ نزوحهم من المربة وانشاءهم من بني جلدتهم واستقلال لغتهم .

في العدد الماضي من « اللسان العربي » تناولنا عددا من الالفاظ التي نعدّها هربية ائيلة ولو ان اللغويين يعدونها دخيلة في العربية من ال ارمسي . وقد اخترنا تلك الالفاظ لوضوح هروبيتها ، ولطرافة الحديث منها وردّها الى ائلها العربي .

وستنمضي الآن في تناول الالفاظ التي نظن انها ائيلة في العربية ، بايجاز ، حسب تسلسلها في كتاب « غرائب اللغة العربية » للاب رفائيل نخلة اليسوعي ، على اختلاف اهميتها ، معترفين بأنه لفقدان المراجع الضرورية لدينا عمل يغلب عليه طابع الاستمجال ، أو الارتمجال . وستغفل طبعا الالفاظ التي مالجنّاها في المقال السابق .

الآب :

هو الاقنوم الاول في الثالوث المسيحي ، ومعناه (الآب) . لكن هذه الصيغة خاصة بـ ذات الله ولا تستعمل للبشر . ولا يستبعد ان تكون هذه الصيغة منحدرّة من الارمية (آبو abo) لكن ائلها العربي هو (الآب) ورسها قول الطفل (بابابا) ، قلبت فعارت (آب) كما قلبت (ماما) نصارات (أم) . ولو قلت بسرعة (آب آب آب ...) مرارا لشعرت بـ زوال الهمزة بالتدريج ووجدت نفسك تقول (بابابا ...) .

اسا الجرح :

داواه . ار (1) : (اسي aci) : شفي .

اصل معنى الكلمة في العربية من قولهم آسيته بنفسي مؤاساة أي ساويته ، وقولهم آساه في ماله : قاسمه فيه . وتوسع معنى المؤاساة فصارت تشمل اعانة المنكوب وتمزيته ثم عيادة المريض ، ثم مداواة الجرح ، واخيرا ظهر في الارمية بمعنى الشفاء .

(1) سنقول « ار » بدلا من القول ان الكلمة في الارمية هكذا ..

وفعل (واسى مواسة) ائله (ساوى مساواة)، وكنا قد رسنا من محاكاة صوت انكسار فصح دون انفصال طرفيه احدهما عن الآخر ، هكذا : طو - طوى - زوى - وزى ، وازى - واسى - آسى - اسا .

الاطلس :

نسيج من حرير رفيع . وقد وردت فى الاربعة بنفسى اللفظ .

والكلمة تطلق فى العراق على نسيج اسود لامع . ويخيل لنا ان التسمية جاءت من لونه ، فالدلب الاطلس : هو الاغبر الى سواد ، والاطلس : زنة الدرس : العيلسان الاسود . وائل الكلمة دلس ، ومن معناها تدلس الرجل : تكتم واختفى ، واندلس الشيء : اختفى ، والدلس (زنة البلد) والدلسة (زنة الشرفة) : الظلمة . ومن اخواتها ادلج : سار الليل كله ، والدلج (زنة البلد ايضا) : الساعة من آخر الليل . والظاهر ان دلس من دمس الظلام او الليل : اشتد سواده ، وهذه من طمس النجم او البصر : ذهب ضوءه ، وطمس الشيء : اندرس وانمحي ، وكذلك طلس البصر : ذهب ضوءه ، وطمس الكتاب : انمحي . ومن نفس الاسرة اللغوية درس واندرس .

وقد كان الاطلس يطلق فى العربية اول الامر على النسيج الاسود ، من الحرير او غيره فيما يظهر ، ثم تخصص بالحرير . وربما سمي جبل الاطلس بهذا الاسم لغبرته وسواده ، او ربما اطلق اولا على جزء منه او على ارض ما ، ثم انتقل الاسم الى الجبل بل الجبال المسماة بهذا الاسم ، وهو معروف لدى الاغريق ، وتقول اسطورة لهم ان اطلس كان ملكا جبارا يحمل السماء على عاتقه فلما قتله هرقل هوى على الارض فصار جسده جبل اطلس (Atlas) ومن هنا جاءت تسمية المحيط الاطلسي . وهذا الاسم قديم جدا كان قدامى المصريين يطلقونه حسب رواية افلاطون على قارة اطلنطا - او اطلنطيد - المفقودة : الفاتصة فى البحر .

الاكليس :

هو التاج . ار : (كليلو killo) . اما نفس العربية فمعناه بالاضافة الى التاج :

شبه عصاة تزين بالجوهر ، وما احاط بالظفر من اللحم . وفعل كلل السحاب السماء : احاط بها من كل جانب ، وتكلل بالشيء : احاط به ، والكللة - زنة العلة : الغشاء الرقيق كالخيمة على السرير للوقاية من البعوض ، والصوفة الحمراء فى راس الهودج . فواضح ان مادة الكلمة تعني الاحاطة بالشيء او الارتفاع عليه ، وهذا ما يعنيه الاكليس يعلو السراس ويحيط به . ووزنه الافعل ليس بدعا فى العربية فهو من باب الاضريج (الثوب الاصفر) والاحليل (مجرى اللبن من الثدي) . وعلى هذا ليس مستبعدا ان يكون الاكليس عربيا ائله وصيغته . واذا افترضنا ان الصيغة بهذا المعنى ارمية فتكون مصوغة من مادة (كلل) العربية التي نلن ائلهما ظلل ومنها جلل .

آمن :

يقول الاب نخلة فى شرح معنى هذا الفعل « صدق حقيقة اوهاها الله تعالى » ، وانها من الاربعة (هيمن hayman) .

لكن الايمان لا يقتصر فى العربية على معناه الديني بل ان (آمن به) تعني صدقه ووثق به ، و (آمن له) : خضع وانقاد ، و (آمنه) : امنه - بتشديد الميم - أي اعطاه الامان . واما (هيمن) - بالهاء - فقد وردت فى العربية ايضا بمعنى الايمان .

وائل (وامن) هو (امن) اي اطمأن . والامن جاء من (اليمن) - بضم الباء - لان العرب كانوا يتفادون باليمن ويتشاءمون بالشمال ، ومن هنا اشتق قدامى الحجازيين (الشؤم) من اسم بلاد (الشام) التي تقع على شمالهم و (اليمن) من اسم بلاد (اليمن) التي تقع على يمينهم . ومن معنى اليمن والامن نشأ معنى الايمان اي الوثوق وعدم الخوف ، الذي تطور الى معنى التصديق . ان مشتقات الكلمة فى العربية بصيغتها (آمن) و (هيمن) اكثر منها فى الاربعة ، كما اننا نعرف ترسيبها فى العربية ، وقد تطرقنا اليها فى تايل التيمن (انظر العدد السابق من « اللسان العربي ») .

امهات :

جمع ام . ار : (امهوتو emhouto) .

بالدارجة المراقية يجمعون الاب ايضا على (ابهات) ، وهي موجودة في دارجات عربية اخرى ، ونعتقد انها صيغة عربية مفرقة في الفصحى ، ولا بد ان المعجميين العرب قد وجدوها في الدارجات وربما في لغات بعض القبائل ايضا فاهملوها . يدلنا على هذا ان المغاربة يسمون الاب (ابا) او (ابيه) - بتشديد الباء في كليهما . فاذا وجد جمع الام في الارمية بصيغة (امهوتو) فليس ذلك بكاف لاقناعنا بان العربية قد اقتبست منها صيغة الامهات ، وانما الأرجح حسب القرائن انها عربية وان شبه الارمية بها منشؤه ان اللغة العربية هي اهل الارمية .

الانبوب :

ما بين عقدين من القصب وما اشبهه من كل اجوف مستدير . ار : (ابوبو aboubo) قسبة او انبوب اجوف يسيل فيه الماء او غيره .

الذي يبدو لنا ان الانبوب المشتق من فعل (نب نبيا) اصل معناه الماء وما يتصل به من الاشياء بدليل قولهم (تنبب الماء) بمعنى تسيل - بالتشديد . والفل فعل نب هو (اب) - بالتشديد ايضا - واصل معناه الماء ايضا فان (الاباب) يعني الماء والسراب . ويؤيد ذلك ان الصيغة الارمية بلا نون اي (ابوبو) . ولعل العرب ايضا نطقوا بالانبوب بدون نون اول الامر اي (الابواب) بتخفيف الباء الاولى ثم بتشديدها ثم فكوا الادغام بادخا نون . وما دمننا لا نستطيع ان نجزم كيف تكونت صيغة الانبوب فاننا لا نستطيع كذلك الجزم بنسبتها الا الى اية من اللغتين . لكن المادة عربية على كل حال .

الانبوشة :

يقول انها الشجرة المقلوبة باصلها وانها من الارمية (نبش nbach) : حفر .

ان النبش يعني الحفر في العربية ايضا ، بل انواعها من الحفر : من نبش المستور ونبش الكنز ونبش القبر .

والنبش للعيال : التكسب . والنبش - زنة الفكر - نوع من الشجر . والانبوشة : كل ما ينبت . فالكلمة تعني في العربية الحفر مموما كما تعني اشياء اخرى خاصة ، وليس هناك ما يدل على اقتباس الانبوشة من (نبش) الارمية .

وفعل نبش من الاسرة العربية الشهيرة : نب ، با ، نبت ، نبت ، نبت ، نبح .. نبش ، نبش .. نبح .. الى آخر السلسلة ، وهي اسرة مرفها للفويون العرب قديما واتخذوها مثالا لتعاقب المعاني مع تعاقب الالفاظ وقد اكثر المحدثون ايضا من ترددها والاستشهاد بها .

ايلول :

الشهر التاسع بالتقويم الميلادي . ار : (ايلول ayloul)

الكلمة بابلية ، ولعلها مشتقة من الايلولة اي الرجوع . ويجوز ان تكون الارمية قد توسطت في نقلها الى العربية .

الايسل (زنة السيد)

حيوان من نوع الغنم . ار : (ايلو aylo)

لعل سبب التسمية من الايلولة ايضا ، اي من فعل (آل يؤول) ، فان صح ذلك يكون عربيا لان الله يكون عندئذ آب يؤوب ، وقد رسنا الكلمة من محاكاة صوت الهواء (في كتابنا «مغامرات لغوية») . ولعلها كانت في لغة الاربيين منذ مبارحتهم العربية .

البابوس

الطفل . الصبي الصغير . ار : (بوبوسو bobougo) .

نظن ان لها البؤبؤ : انسان العين ، ورسه هو : بابا ، التي سبق ذكرها ، اطلقت اولا على انسان العين ، ولصغره اطلق بعد ذلك على الطفل . وفي الموصل ينطقونها بببي ، بمعنى انسان العين بلغة الكبار ، والطفل الرضيع بلغة الاطفال . ومنها في اللاتينية pupus يتيم ، وتصغيرها pupus صبي . وهي بالانكليزية pupli بمعنى التلميذ

وانسان المين .. اما بمعنى الرضيع فهي بالانجليزية baby وبالفرنسية bébé . لهذا لا نرى ما يمنع ان تكون كلمة عربية ولها في العربية هذه الوشائج .

يسأل الله :

سبحه . ار : ابرخ (barekh) .

الذي نلظنه باختصار أن البركة اصل معناها من بروك الابل ، اي الابل القادمة بما تحمل من احباب وضيوف او ساج وخيرات . وقد تعددت استعمالات البركة في العربية على الحقيقة والمجاز . ونطقها الارميون بالخاء بدل الكاف ، ولا يستبعد ان يكون معنى تسبيح الله خاصة من استعمال الارميين اقتبسه العرب فاضافوه الى استعمالات الكلمة الاخرى عندهم .

الباكورة :

اول الثمر . ار : (باكورتو bakourto) .

والمقصود اول ما ينضج من الثمر في بكور موسمه ، كما ان الكلمة تعني اول كل شيء . ومادة الكلمة عربية . ولعل اصل المعنى من بكرة البشر وتسابق المستقين عليها من بكور الصباح لذلك صار قولك «بكرت الى الشيء» يعني مجلت اليه ، والبكرة - زنة العقدة - يعني القدوة أي الذهاب صباحا . ومن معنى العجلة والاسراع في صيغ البكر والتبكير والابكار اطلقت الباكورة على الفاكهة التي تسرع بالنضج في اول موسمها . والظاهر انهم اعتبروا هذه الصيغة ارمية لانها من الشؤون الزراعية التي ظنوا الارميين اسبق اليها من جميع العرب . اما نحن فنكتفي بالقول انها من الصيغ المشتركة التي ان لم تكن صيغتها عربية فان مادتها الاملية عربية .

البالوعة :

يقول انها من (بولووتو bolou'to) . وهي في العربية بالوعة ، وبلاعة ، زنة سيارة ، وبلوعة زنة زنوبة . وبذلك سميت لانها تبلع الماء المنساق اليها من صحن الدار . والبلع كلمة عربية ولها مشتقات ، ونحسب انلها : لعب الصبي : سال لعبه من فمه . ولما كان المرء يبلع لعبه فقد انتقل

المعنى بعد قلب الكلمة من اللعاب واللعب الى (البلع) . ومنها في الفرنسية avaler (البلع) . اما صيغة البالوعة فمشاركة ليس لدينا ما يقطع بانتسابها الى احدي اللغتين ، لكن وجود صيغتين اخريين لها (البلاعة والبلوعة) في العربية قد يرجح انلها العربي .

البرخ :

زيادة نماء ، نماء . ار : (بورختو bourkhto) . الكلمة من البركة ايضا ، كالذي قلناه آنفا .

البرانسي :

الخارجي . ار : (برويو baroyo) وهذه من (برونوييت baronoyit) في خارج كذا .

ان الكلمة في نظرنا عربية . وقديما قال العرب (برا وجوا) بمعنى داخلا وخارجا . وما زالت كلمة (برا) وقد تنطق (بره) تعني خارجا في معظم الدارجات العربية ان لم نقل كلها . وقد جاء في الحديث «من اصلح جوانبه اصلح الله برانيه» . والبراني بالمغربية : الغريب عن البلد ، الاجنبي .

واثل الكلمة (برا) بمعنى خلق ، ومن ذلك البريئة ثم البرية : الخليقة . ثم صارت تطلق على البر المشب الزدهر باعتباره خليفة ، وفي الموصل يطلقون (البرية) على البر خارج المدينة في ابان ازدهاره حين يذهبون اليه للنزهة . ومن ذلك اشتقت صيغ البساري : الخالق ، والبسري ، والبراة .. فالمادة مشتركة والائل عربي ولا نجد ما يبرر القول بأن صيغة (البراني) مقتبسة من الارمية .

البرية :

بتشديد الراء والياء : الصحراء . يقول انها من (برو baro) الارمية . ان البر ضد البحر نشأ من صيغة البرية التي تحدثنا عنها توا في (البراني) .

البريمة :

المثقب . ار : (بورومو bouromo) . قد تكون الصيغة ارمية بهذا المعنى لكن مادة

الكلمة عربية من (برم الحبل) لان هذا النوع من المثقب يشبه الحبل المبروم شكلا ويشتب به ببرمه .

الببر :

يقول انه من ار : (برزو) : البازر ، اي نائر البرز .

ويخيل لنا ان اثل الكلمة عربي وهو (برز) لان البرز يبرز من النبات عند نضجه ولاسيما بعد جفافه، ثم قلبت الكلمة فصارت برز ثم بدر . وكون الكلمة زراعية لا يبرر نسبتها الى الارمية ولاسيما ان في العربية الفاظا زراعية كثيرة خالصة النسبة لم تقتبس من الارمية او غيرها مما يدل على انها ليست حالة في الشؤون الزراعية على اللغات الاخرى

بسيط :

غير مركب . سهل . ار : (فشيطو fchltto) .

والمقصود ان هذه الصيغة فقط مقتبسة من الارمية، اما صيغها الاخرى : بسيط ، بساطة ، مبسوط ، منبسط .. فلا يقولون عنها شيئا . لكن صيغة الفعيل كثيرة الاستعمال في العربية فليس مستبعدا ان يصوغ العرب البسيط من فعل (بسط) كما صاغوا الفسيح من فسح والاربط من ارض والبعيد من بعد .. الخ ، وليس ثمة ما يدعو الى اقتباسها من (فشيطو) . ولعل البسيط اطلق أولا على الارض المنبسطة السهلة ثم استعمل مجازا في معنى السهل غير المعقد او العويص . اما بالمعنى الفلسفي اي ضد المركب فلا يبعد انه استعمل في الارمية أولا لانها سبقت العربية في الترجمة من الاغريقية ، لكن صيغة البسيط نفسها بمعناها اللغوي العام قديمة اثيلة في العربية .

البشنقة :

خرقة تشد المرأة طرفيها تحت ذقنها لوقاية الخمار من الاوساخ . ار : (فشموكو fchmogo) .

والذي نراه ان اثل الكلمة هو (البخنق) - زنة القنفذ - بنفس المعنى ، واثله فيما نظن (المخنق) - زنة اللعب - من معنى الخنق لان البخنق يشد طرفاه تحت الدفن كما في حالة الخنق

بالحبل . فعلى افتراض ان البشنقة صيغة ارمية فهي مشتقة من المادة العربية . لكن ابدال النون ميما في الارمية يرجح ان صيغته البشنقة العربية اثل .

البط :

الطائر المائي المعروف . ار : (بطو bato) .

كنا في بحث سابق قد قلنا ان فعل (بط) نشأ من محاكاة صوت انبعاث ضفدع يطؤه الانسان . والاعلم ان اسم (البطة) اطلق أولا على الضفدع ثم انتقل الى هذا الطائر المائي لانه يعوم في الماء كالضفدع . لهذا نرى ان العربية هي الاثل .

البمر :

نجو ذوات الخف والظلف . ار :

(بمورو b'ouro) : نجو ذوات الأربع .

ان ترسييس الكلمة في العربية يطول حديثه لكننا نكتفي بالقول اننا نرى ان اثل البمر هو الربيع - زنة الطبع - وهو الدار ، او ما حولها ، او المحلة والمنزلة ، اي الموضع يرتجعون فيه ، ثم انتقل المعنى الى الجماعة من الناس . وقد قلبوا الكلمة فصارت البمر . وكانوا اذا راوا بمرأ في البادية يقولون انه الربيع او البمر بمعنى ان الموضع كان ربما يحل فيه ناس ، ثم تخصصت صيغة البمر بالرجع الذي تخلفه ماشيتهم فان صح تاييلنا للكلمة فهي عربية اقتبستها الارمية .

البمير :

الحمل البازل اي الذي طلع نابه . ار : (بميرو b'iro) دابة تحمل احمالا او تجر مركبة .

نعتقد ان اسم البمير مشتق من بمره .

الببيب :

مجري الماء الى الحوض . ار : (بيبو bibo) قناة .

ويبدو لنا ان اثل الكلمة هو الانبوب الذي تقدم تاييله من فعل نب نبيا . ومجري الماء الى الحوض

تموز :

الشهر السابع بالتقويم الميلادي . ار : (tamouz)

والاسم بابلي أيضا ، لكنه يرجع الى اثل شومري (دموزي dumuzi) وهو اسم الاله الخضرة الذي يختفي في العالم الاسفل في نهاية الصيف مدة ستة اشهر ، ثم يظهر ستة اشهر من اول الربيع أي من اول السنة الراءدانية القديمة . ويبدو ان اثل الكلمة (دموس) - زنة عروس - والفعل دمس يدمس دمس دمس ودموسا . ودمس الليل : اشتد سواده ، ودمست الشي : غطيته ودفنته واخفيته ؛ فلعلم سمووا هذا الاله الذي يختفي في العالم الاسفل نصف السنة (دموسا) من هذا المعنى . اما صيغة (تموز) فيبالية محرفة من (دموزي) ، ويقال في انتقالها الى العربية ما قلنا في اسماء الاشهر البابلية الاخرى .

التنور :

ار : (تنورو tanouro) من (بيت نورو beyt nouro) مكان النار .

هذا التخرنج لا يبدو لنا حاسما ، فيمكن مقابله القول ايضا بان الكلمة من العربية (بيت النار) . ان بعض المعاجم العربية تدرج التنور في مادة (تنر) لكننا نعتقد انها من مادة (النور) اي النار . وقد وردت في العربية صيغ أفعال اثنار ، وتنور ، وانتور . والظاهر ان التنور قد صيغ من احداها .

تب (بكسر الاول) :

اجلس ، اي فعل الامر من جلس . ار : (تب qeb)

ان (تب) في العربية فعل امر من وثب . وكانت تعني عند اهل اليمن اجلس . وربما كانت يقال اول الامر للراقد لينفض فيجلس ثم صارت يقال للواقف ليجلس . وقد جاء في اخبارهم ان ملك اليمن قال (تب) لحجازي كان وقد عليه في قصره المشرف على الوادي ، يقصد : اجلس ، فظن الحجازي انه يامره بان يثب في هوة الوادي فامتنع ، فكور عليه الملك : تب ، فالتقى نفسه من شرفة القصر فمات ، فتعجب الملك ثم اخبروه بمعنى الكلمة عند

ولاسيما اذا كان مغطى واضح الشبه بالانبوب . ومما قد يؤيد كون البيب ائله الانبوب هو ان الانبوب في الانجليزية والفرنسية : pipe . وعلى هذا يكون استعمال (البيبة) بالدارجة المصرية بمعنى (الغليون) له اثل من العربية . ويخيل لنا ان البيب هذا هو اثل الباب في العربية لانه يفتح ويسد ويغضي الى داخل الدار كما يفتح البيب - مجرى الماء - ويسد ويؤدي الى داخل الحوض . ومما يؤيد ذلك ان بعض اللهجات اللبنانية ما زالت تنطق الباب (ييب) وتجمعه على ييبان .

مما تقدم يبدو ان كلمة (البيب) عربية . ولا يقال ان الارميين سبقتوا الى الحضارة فان الكلمة تعني عندهم القناة بوجه عام ، اما عند العرب فتعني مجرى الماء الى الحوض ، وكل الاعراب يعرفون الاحواض التي يجمعون فيها الماء لسقي ابلهم .

تبر الشيء :

كسره . ار : (تبر tabar)

نظن ائلها بتر بتر ، ومن اخوانها في العربية بتك وبتل ، وائلها بت ، وكلها تعني القطع . ومن فعل التبر نجد في الفارسية (تبر tabar) بمعنى الفأس وعريبتها الطبر .

التبر (زنة الفكر) :

زجاج مكسر . ار : (تبرو tebro) كسرة .

ان القول فيها كالتقول في الكلمة السالفة ، اي من معنى الكسر الذي تطور من معنى القطع .

تشرين :

تشرين الاول والثاني هما الشهران العاشر والحادي عشر بالتقويم الميلادي . ار : (تشرين techrin)

اثل الكلمة بابلي (تشر) . ولا نعرف المادة اللغوية التي صيغت منها والمعنى الاصلي المراد بها . وشأنها شأن بقية اسماء الاشهر العربية المنحدرة من البابلية ، يجوز ان تكون الارمية واسطة انتقالها الى العربية .

(ثعالة) التى توجد صيغة مشابهة لها فى
الارمية .

الثالثون :

ار : (تليتيويو (tlltoyoto) .
الصيغة دينية نصرانية لهذا يصح القول دون
تردد انها مقتبسة من الارمية . لكن مادة الكلمة هي
(الثلاثة) العربية

الثنيان (زنة البنيان) :

من كان دون السيد فى المرتبة . ار : (تنيونو
(tenyono) . الثاني .

لا نرى ما يرجح كونها ارمية لا عربية سوى
حجة الحضارة التى كنا ردونا عليها . ولعل بعض
الاصطاع العربية كاليمين اقدم حضارة من الارميين .
يضاف الى ذلك ان للكلمة مرادفا فى العربية هو
(الثني) - زنة الفكر - وكلتاها من مادة (ثنى ثنيا)
العربية .

(الجبر) :

الجبار : المتسلط ، المتكبر ، العالى . ار :
(كبرو (gabro) قدير
الجبر : الرجل ار : (كبرو (gabro

الجبروت : القدرة العظيمة . ار : (كبروتو
(gabrouito

الجبورة : (بتشديد الباء) : الكبرياء . من
اثل الجبروت .

تجبر : تكبر . ار : (اكبر (etgabar .

هذه خمسة الفاظ محسوبة على العربية من
الدخيل وهي كلمة واحدة من مادة جبر . وفى العربية
اشتقاقات اخرى للكلمة لم يعدوها من الدخيل لانهم
لم يجدوا لها مقابلا فى الارمية . فكان وجود مقابل
للصيغة العربية فى الارمية يكتفى لامتبارها دخيلة فى
العربية ايلة فى الارمية .

ان مادة (جبر) اثلها (جب) اي قطع ، وقد
نشأت منها الفاظ : جبا ، جبت ، جبد ، جبر ، جيس

الحجازيين . فالكلمة مشتركة اذن بين الارمية وبعض
قبائل العرب . وهذا يذكرنا بان بعض العرب البائدة
الذين تبعثروا على اثر انكسار سد مارب قد هاجروا
الى ديار الشام واقاموا فيها واندثروا اي اندمجوا
بأهلها ، ولعلمهم الدين نقلوا هذه الصيغة الى الارمية .

ثسب :

فعل ماضى من وزن ثسب : جلس متمكن . ار :
(يتسب (yiteb

يلوح انها نفس الكلمة السابقة ظهرت لها فى
الارمية صيغتان متقاربتان بمعنيين متقاربين .

الثبور :

الهلاك . ار : (ثبورو (tboro خراب ،
من (تبر (tbar كسر .

الثبور نؤلها فى العربية ايضا من (تبر) التى
قلنا آنفا ان اللفظ بتبر ، فهي مشتركة بين العربية
والارمية ، والمادة عربية .

الثريا :

مجموعة من النجوم . ار : (تورايا (touraya .

ان اسم الثور قد تشعبت منه اسماء كثيرة فى
التاريخ القديم ، وكان مقدسا عند بعض الشعوب
على صور مختلفة . ونحسب ان اثل اسم الثريا هو
(الثورية) تصغير الثورة اي البقرة . وعلى هذا يبدو
ان الارمية هي التى اقتبست منها اسم (تورايا) .
اما الحديث عن اشتقاقات اسم الثور فى اللغات
السامية وغير السامية فطويل وله مقام آخر .

ثعالة :

اثنى الثعلب . ار : (ثعلتو (talto .

ان تحويل الاسماء فى العربية كثير ، واسماء
الحيوانات التى تعدد صيغها غير نادرة . وقد قال
العرب (مثثلة) للارض التى تكثر فيها الثعالب كمثل
قولهم مأسدة ومدابة . وجمع الثعلب ثعال مثل
ثعالب . فاسقاط الباء من الثعلب لا يقتصر على

اجتبى :

اختار . ار : (كبو gbo) .

اي ان اللفظة الارمية هي نفسها التى تعني (الجاية) ، وحكم هذه حكم تلك . وقول العرب : « اجتبى الشيء » كقولهم « اجتبى الشيء لنفسه » اي اقتطعه واستأثر به .

جادف السفينة :

دافعها بالجداف . ار : (كدوفو gadof) .

ان فعل جدف الله (جد) اي قطع ايضا . ومن نظائره : جذب ، جدث ، جدر ، جدع ، جدل ، جدم ، جدا (جدو) .. وكلها كانت تعني القطع اول الامر ثم تطورت معانيها مع الزمن ، وما زال الجدم يعني القطع ، والجدوى تعني العطية اي الهبة المقتطعة من مال المعطي . واصل معاني الجدف هو القطع ايضا .

والرجل المجدوف اليد : المقطوعها ، ومجازا القصيرها .

وجدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين ، تشبيها بالرجل المجدوف اليدين .. ومجازا : جدف الظبي : قصر خطوه ، تشبيها بالطائر الجادف . ويبدو انهم انما قالوا جدف (بتشديد الدال) بمعنى ساق الزورق بالمجدافين تشبيها لهما بالجناحين المقصوصين . صفوة القول ان مادة الكلمة تحمل من المعاني ما يكفي لاستنباط التجديف والمجداف منها . ولا يقال ان الاربيين اسبق من العرب الى الملاحة فان العرب كانوا ملاحين منذ كانوا ، لاحاطة البحر بجزييرتهم . وبالرغم من كل ما اصاب الحضارة العربية من تخلف في العصور الاخيرة ظلت ملاحظتهم مزدهرة في الخليج العربي والساحل الجنوبي الى الهند شرقا واfrica غربا .

جسدف :

الفعل الماضي من التجديف . ار : (كداف gadaf) .

تحدثنا عنها فى (جادف السفينة) .

جبل ، جبن ، جبه ، جبا (جبو) ، جبي . وقد تغيرت معانيها ، لكن معنى القطع لا يزال صريحا فى بعضها مثل جبهه : قطعه ، وجبله (بتشديد الباء) : قطعة قطعا شتى . ويظهر انهم اطلقوا الجبر على كسر المعظم اولا ثم صار يعنى اصلاح الكسر من باب التضاد . ثم قالوا جبره على الامر واجبره بمعنى الزمه به واكرهه عليه . ثم صار الجبار يعنى العالى من معنى اجباره الآخرين على طاعته ، ثم صار يعنى المتكبر ايضا . ومن معنى الكبرياء والعتو نشأت الصيغ الاخرى .

الجبن :

طعام . ار : (كبنو goubno) .

نعتقد ان الجبن ايضا من القطع بمعنييه : الطعام والتهيب .

وما زالوا فى العراق مثلا يقولون ان الحليب او اللبن قطع بمعنى انفرز ماؤه منه . وهكذا يتكون الجبن اي بانفصال مصل الحليب وتجمد مادته . وبلاحظ ان جمد وتجمد من اثل جد اي من معنى القطع ايضا مثلما كان جبن وتجن من اثل جب . واما معنى الخوف فكثيرا ما قال العرب ان الرجل جوبه بكذا فانقطع ، اي لم يعد يقوى على المقاومة قولا او فعلا . فحين قالوا جبن فلان قصدوا انه انقطع اول الامر ثم صار المعنى يدل على الخوف .

فالذى يبدو ان الارمية هي المتبسة لكلمة الجبن ، ولعل الاصح ان الكلمة ائيلة فى الارمية المنسلخة من العربية .

جبا الخراج :

جمعه . ار : (كبو gbo) .

يخيل لنا ان اصل معنى قولهم جبا الخراج هو اقتطعه ، مثلما يقال « جبر له من ماله جبرة » بمعنى قطع له قطعة . وقد تطور معنى القطع لصار قولهم « جبى الماء فى الحوض » يعنى جمعه . والظاهر ان المقصود من القول ان الكلمة ارمية هو استعمالها لجمع الخراج خاصة ، وليس ذلك بمستبعد . وعلى هذا تكون المادة عربية والاستعمال ارميا .

جلااف السفينة :

يقول انها من (جادف) . وقد ابدينا فيها
وابنا .

الجاروشة :

« رحي اليد التي يجرش بها اي يطحن بدون
تنعيم » . ار : (كوروشتو gorouchto) .

اثل جرش هو (جش) بنفس المعنى اي الطحن
دون تنعيم . ومن اخوات جش نذكر : جت ، جث ،
جد ، جز ...

وتظهر جرش في الانجليزية بنفس اللفظ
(crush) ونفس المعنى . ومن اخوات جرش
في العربية جرن الحب : طحنه . وتظهر هذه لى
الفرنسية بصيغة granuler . ومن فعل جرش
صاغ العرب اسم الجاروشة لآلة الجرش ويقال لها
الجاروش ايضا على غرار صياغتهم اسم الطاحونة
والطاحون لآلة الطحن .

الجرام (زنة الغراب) :

النواة ، التمر اليابس . ار : (كرمو garmo) .
ولا ندري لماذا يقال انها من الارمية . قال العرب
جرم بمعنى قطع ، ثم قالوا « جرم الناقة » بمعنى
جز وبرها . وتدرجت الكلمة في تطور المعنى مرحلة
اخرى فقالوا « جرمت النخل » بمعنى قطعت ثمره .
ومن هنا ظهرت صيغة الجرامة - زنة
القلامة - فقالوا « جرامة النخل » اي ما سقط من
ثمره عندما يجرمونه . ولما كان التمر اليابس والحشف
اكثر ما يسقط من التمر حتى من تلقاء ذاته دون ان
يجرمه جادم او تمزه ريح ، فلا جرم ان انتقل المعنى
الى التمر اليابس فسموه الجرام بضم الجيم ،
والجرام بفتحها ، والجرم زنة الكريم . ثم انتقل
المعنى الى النواة .

الجرن (زنة السكر) :

حجر منقور للماء او غيره . ار : (كورنو
gourno) غرفة حمام كلها من حجارة .
فلنا ان فعل جرن الحب يعني طحنه ، وائل

الجرن هو الجرش الذي اصل معناه القطع . ولعلم
من معنى القطع صافوا اسم الجرن وهو الحجر الذي
يقطع على شكل وماء للماء او غيره كما تقدم . اما في
الارمية فقد تطور المعنى فصار يعني غرفة حمام كلها
من حجارة .

الجاسوس :

ار : (كوشوشو gochoucho) .

ان مادة جس خرجت منها في العربية صيغ
كثيرة . وذكر صيغة الجاسوس فقط مع الدخيل
يعني انها عندهم وحدها المقتبسة من الارمية .
وبدون توسع في دراسة مادة الجس نكتفي بالقول ان
الجاسوس له في العربية صيغتان اخريان هما
الجيسس والجساس ، ولم يقولوا انهما ايضا من
الارمية لانهما لا وجود لهما فيها . ولو كانا موجودين
فيها لقبل انهما كذلك دخيلان في العربية . وصيغة
القاعول على كل حال ليست نادرة في العربية لعنما
الطاحون والناعور والماعون والناقوس والناقور .

الجسر :

المبر على نهر او نحوه . ار : (كشرو
guechro) .

يخيل لنا ان اثل الجسر هو السرج ، لان
قنطرة الجسر المنصوبة على مجرى الماء تشبه
السرج شكلا .

الجيل (زنة الخف) :

هو من الدابة كالثوب من الانسان . ار :

(كلو galo) .

نظن ان جلل اثلها كلل ، وقد تحدثنا عنها
عند الكلام على الاكليل . والصيغة الارمية لا توحي
بانها الاثل . فان كانت كذلك فهي مصوغة من المادة
العربية .

الجليد :

الماء الجامد . ار : (كليدو glido) .

الجمد والجلد اثلها جد ، وكلاهما اطلقا على
انجماد الماء . والكلمة في اللاتينية محركة الاول كما

فى العربية (gelidus) متجمد من البرد ، تلجى .
و gelida بارد كالثلج . وقد تسربت الى
بعض اللغات الحديثة منها glace ثلج
بالفرنسية ، و glass زجاج بالانكليزية .

الجلال (زنة الجبار) :

جزاز الصوف . ار : (كولومو goloumo) .

انها من جلم ، ولها فى العربية اخوات : جلع ،
جلخ ، جلف ، جلّه ، جلا . . وهذه كلها تبدأ بنفس
الحرف أي الجيم . ولها اخوات اخريات تبدأ بالقاف :
قام ، قلح ، قلخ ، قلف . الخ . وجلم تعني قطع . وجلم
الصوف : جزه . والجلم والجلمان بصيغة التثنية :
مقص الصوف . فاشتقاق صيغة الحرفة وهي
صيغة المبالغة من اسم الفاعل (الجلام) من كل هذا
لا يتطلب استعانة بلغة اخرى ، بل ان أي امرأسي
خليق بأن يسمي الشخص الذي يحترف جلم صوف
الماشية جلّاما .

جيم المكيال :

ملأه الى رأسه : ار : (كيم gamem) .

لعل ائلل الجم هو الجب - بضم الجيم - أي
البئر العميقة ، ومنها نشأت (الجمّة) - بفتح الجيم :
البئر الكثيرة الماء ، ثم صارت تعني مجتمع مائها .
وجمت البئر : تجمع ماؤها ، وجم الماء : تركه
يجتمع . ومن ثم صار فعل الجم يعني الجمع والتجمع
والامتلاء ، ومنه نشأت صيغة (جمع) نفسها . ومن
قولهم جم المكيال أي ملأه الى رأسه ، نشأت صيغة
طم الاناء : ملأه وقالوا جيم المكيال مثل جبهه .
والجمام والجمم : ما علا رأس المكيال فوق طفافه .
فإن كان الارميون هم الذين بدؤوا استعمارة معنى
الجم لملء المكيال خاصة فمادة الكلمة عربية على كل
حال .

الجمرة :

بشرة عريضة فى اللحم مع التهاب شديد . ار :
(كمورتو gmourto) .

المقصود ان الكلمة بهذا المعنى من الارمية ، واما
(جمر) الحجر او النار فلا . ان مادة الكلمة عربية

من غير ريب ، فائلا (الجرم) أي الجسم ، ومن
ذلك جرم الانسان والاجرام الفلكية والحجارة ، ومنه
نشا (الرجم) أي القذف بالحجارة أي الحجارة .
وسمي المرض المذكور جمرة لشبهه بما يصيب
الجسم اذا احرقته جمرة النار ، فان لم تكن الجمرة
موجودة فى الارمية بمعنى النار فلا يمكن استعمالها
فيها بمعنى هذا المرض الا مقتبسة .

الجنسة :

ار : (كنتو ganto) .

اطلقها العرب على الحديقة ذات الشجر من نخيل
واعناب وغير ذلك . وهي من فعل (جن) أي ستر ،
لان الجنة تستر من يدخلها ، وذلك شبيه باطلاقهم
اسم الغابة على اجمة القصب لانها تغيّب من يدخلها .
وصاروا فى العهد الاسلامي يستعملون بمعنى الجنة
كلمة البستان ربما للتفريق بينها وبين جنة السماء .

المجنن (بتشديد النون) :

الثرس . ار : (مكنو mgueno) .

الصيغة عربية ، فهي صيغة اسم الآلة من فعل
(جن) أي ستر كالذي قلنا توا ، على غرار صياغة
المقص من قص والمسن من سن . ولا نرى وجهاً
لاعتبارها دخيلة .

جنز الشيء :

اخفاه . ار : (كنز gnaz) .

فعل (كن يكن) - بالتشديد - يعني ستر مثل
(جن) ومن كن نشأ فعل كنز ، ومنه ايضا نشأ
فعل جن ومن هذا الاخير نشأ فعل جنز ، وكلها
تعني اخفاء الشيء وستره . فالكلمة مشتركة بين
الفتن والائل عربي .

جنز الميت (بتشديد النون) :

وضعه على سرير ، صلى الكاهن عليه ، وهي
فى الارمية من اصل جنز .

يقول القاموس المحيط ان التجنيز فى قول
حسن البصري : وضع الميت على السرير . وهو فيما

الحرب :

ار: (harbo حرب) سيف ، تدمير ، حرب .
من (حرب harb) : حرب ، حارب ، قتل .

من فعل نقت الدجاجة نقيقا نشأت العمال :
نقر ونقد ونقب ... ومن نقب نشأ نخب ، ومن هذا
نشأ نخرب ، ثم حرب ، ومن هذا نشأ حرب . واما
معنى السيف فى الاربية فله فى العربية نصيفة
خاصة قريبة من معناه وهى الحرب . وفى اللاتينية
harpe تعنى السيف المنحنى . والظاهر ان
الكلمة قديمة ومشتركة بين اللغتين كانت فيهما قبل
انفصالهما .

✱ ✱ ✱

تكتفى بهذا الآن ، ونعقب عليه بملاحظة نعيد
فيها خلاصة رأينا فى الكلمات المشتركة بين اللغتين،
فهى اما (1) ان تكون الاربية قد صاغتها لمعنى
مخصوص من المادة العربية المشتركة ، واما (2) ان
العربية هى التى صاغتها فاقبستها منها الاربية
فظنها النفويون دخيلة فى العربية لمجرد وجودها فى
الاربية بحجة كونها حضارية او زراعية او بدون حجة
احيانا ، واما (3) انها قديمة كانت فى لغة الارميين
قبل انسلاخهم من القبيل العربى الذى يمتون اليه .

نظن تطوير للمعنى الاصلى الذى كان يقصد به ذفن
الميت ، لان مادة كن وجن وكنز وجنل تعنى كلها
الستر والاخفاء كما قلنا . اما صلاة الكاهن على
الميت فتطوير آخر نصراني للمعنى .

الختم (رنة السلافة) :

ما بقي على المائدة من الطعام : ار : (houtomo)
خاتمة ، نهاية .

اثل ختم هو حث الشيء : حكه وازاله . ومنها
نحت . فاصل معنى الختم هو الحث والاصل الاقدم
هو القطع . ومن الختم نشأ الحطم بدليل قولهم
« تحت الزجاج بعفه على بعض » : تكسر ، أي
تحطم . وقد سميت فضلات الطعام على المائدة ختامة
لانها افلاذ وكسر ، ولذلك سموها الفئات ايضا . اما
(حوتومو) الاربية التى تعنى الخاتمة والنهاية فاثلتها
العربى ختم ، وهذه من خت . واصل معنى ختم هو
كسر الطين الذى تسد به الجرة ، ثم انتقل المعنى
الى الطين الذى تختم به الرسالة الذى صار السراة
يخلطونه بالمسك فثقل « مسك الختام » ، ولما كان
ختم الرسالة ياتي بعد الانتهاء من كتابتها صار الختام
يعنى النهاية وصار الخاتم والختم آلة طبع الاسم او
السمة على مادة الختم طينا او شمعا او غيرهما . أي
ان الختم كان اولاً يعنى كسر الطين ثم صار يعنى
اثبات الطين وطبعه ..

حوار في العراق حول اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا

نشرت جريدة التأخي في عددها الصادر بتاريخ 28 / 10 / 1970 مقالا
بمنسوان :

« اللغة كأداة للتعبير في عصر التكنولوجيا » ، والمقال يتضمن مجموعة من
الآراء في الموضوع لعدد من رجال العلم والفكر واللغة والنقد من بينهم الدكتور
السادة : عبد اللطيف البديري رئيس جامعة بغداد وداود سلمان علي وحسن
فهمي جمعة ، والاساتذة السادة : كوكيس عواد ، وجبرا ابراهيم جبرا ،
وجرجيس فتح الله مدير تحرير التأخي .

والكيمياء والرياضيات وما جرى مجراها يحاولون
الكتابة بالعربية في موضوعات اختصاصاتهم فتتقاضى
عليهم الكتابة ولا تستقيم لهم العبارة وإذا كتبوا كانت
لفتهم مختلفة لا تفي بما يرومون التعبير عنه . فما
مرد ذلك ؟

لعل اللغة العربية ضلعا في هذا النقص بسبب
افتقارها الى كثير من مصطلحات تلك العلوم . ولكن في
وسعنا القول ان كل لغات العالم الراقية تعاني مثل
هذه المشكلة . فهي مشكلة لا تقتصر على العربية دون
غيرها ، بل هي عامة تمس سائر اللغات الشرقية
والغربية على حد سواء .

وهذه اللغة الانكليزية ، وهي في طليعة اللغات
التي تحتضن ضروب التأليف في مختلف العلوم . كيف
حلت تلك المشكلة ؟

انها لجأت - في ما لجأت اليه - الى «استعارة»
كلمات لا تدخل تحت حصر من لغات أخرى لا سيما
من اليونانية واللاتينية وأدخلتها في صلب المصطلحات

وفيما يلي موجز للمقال المذكور :

إذا كان المقصود من الموضوع التعبير عن
الافكار العلمية في قالب كتابي مستساغ وباللغة العربية
فان مرد هذا الضعف هو لغوي اكثر مما هو علمي إذ
ان اكثر الاختصاصات كالطب والهندسة والتكنولوجيا
تدرس بلغة اجنبية ، فاذا ما حاول احدهم صياغة رأى
ما أو فكرة كتابة وفي اللغة العربية يعموه الكثير من
المصطلحات وهو ما لا يتوفر في معاجمنا العلمية
الحديثة في الوقت الحاضر وان توفر فهناك تباين
شاسع أو واسع بين ما يقر في بلد عربي عن بلد آخر .
وبعد كل هذا فان الكتابة هي موهبة لا يتساوى جميع
الناس في التعبير فيها . اما عن حل هذه المحنة
أو المشكلة فانه يتطلب وقتا غير قليل لتتفق المجامع
على مصطلحات موحدة تنشر بين المتخصصين في
العلوم ليمارسوا الكتابة فيها والزمن كفيل برفع
مستوى التعبير نطقا وكتابة عند هؤلاء المتخصصين .

ومن جهة أخرى فاننا نرى اليوم جماعة من ذوي
الاختصاص في العلوم ، كالطب والهندسة والفيزياء

التي تعد اليوم انكليزية بحثة . ولم تجد اللغة الانكليزية في تلك الاستعمارة غريبا ولا منقصة . بل ان ابناء تلك اللغة عدوا الاستعمارة دليلا على مرونة لغتهم وقابليتها على ان « تطعم » بما تكنه اللغات الاخرى .

فما احرانا نحن ابناء العربية ان نسلك اليوم هذا السبيل فنستعير ما لا وجود له في لغتنا ، ونلبسه صيغة عربية مقبولة فنكتسب بذلك الوفا من الالفاظ الاصطلاحية المعربة .

ولسنا نقول ان « التعمير » هو العماد الوحيد الذي يركن اليه في هذا الباب . كلا ، فان في كتب التراث العربي من الالفاظ القديمة ما يجب العودة اليه ، ونفض غبار النسيان عنه ، واحياؤه بالاستعمال . اثنا نشر في كتب التراث القديم ، على الالفاظ اصطلاحية غاية في الكثرة ، وقد تناثرت في معجمات اللغة وفي كتب العلوم المختلفة . والا فكيف تسنى لائمة العلماء القدامى كالفراحي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والزهراوي والخوازمي ومن جرى مجراهم في ميادين العلم ، نعم كيف تسنى لهم ان يغموا تلك التصنيفات النفيسة في بابها ويعبروا فيها من الحقائق العلمية بمباراة سليمة قوية ؟

وفي هذا ما يبعد الشبهة عن ضعف اللغة العربية مع تسليمتنا بفارق الزمن وبواقع الحال التي تتجلى اليوم في اتساع العلوم العصرية وترامي اطرافها . فنقد اخذ العلم الحديث يسير بخطى سريعة جدا لا تجارى الا بالجهد المتصل والدأب المنسق .

لن يفوتنا التنويه بمزية تتحلى بها العربية ، وهي « الاشتقاق » لبينما نجد اللغات الغربية تعتمد كثيرا على « النحت » نجد العربية « لغة اشتقاقية » يتاح للباحث ان يستعين بهذه المزية العظيمة ويخرج منها بفوائد جمة تعود على لغة العلم باوفى الشمار .

وبعد هذا التحليل القيم من دور اللغة في التعبير في عصر التكنولوجيا وشرح الاسباب الحقيقية التي تجعل كثيرا من الاختصاصيين في الميدان العلمي كالاطباء والمهندسين قاصرين عن الكتابة في ميادين اختصاصهم بلغة سليمة نجد سؤالا هاما آخر لفرس نفسه في الموضوع ذاته وهو كيف استطاع الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد زكي ان ينشروا مدة كتب ومقالات في موضوعات علمية عويصة في الفلك والرياضيات والجيولوجيا والنبات والكيمياء والفيزياء بلغة سليمة يستسيغها الذوق وترضيها قواعد اللغة .

ان الجواب على ذلك يكمن في الحقائق التالية : ان الطبيب والمهندس والعالم المختص بأحد العلوم العصرية لا شك في انه قد اجتاز في اثناء دراسة مراحل دراسية : ابتدائية متوسطة ، اعدادية . لنضع دراسته العالية ونقتصر على المراحل المذكورة فلم يدرس في سنن هذه المراحل اللغة العربية صرفا ونحوا وانشاء؟ فابن ذهب تلك الدراسة ؟ وهي لو احتفظ بها ، ففي ما ارى بالغاية اللغوية التي يبتغيها العالم المختص . فلماذا نراه ، بعد ذلك يكتب بأسلوب يمتوره ضعف ؟ ولماذا يخطئ في قواعد الصرف والنحو ، وهي امور سبقت له دراستها ؟

لعل من يقول ان هذا العالم المختص بعد ان تعمق في فرعه لم يعد يتسنى له الاستثمار على العناية بلفظه لتركها وشأنها انصرافا منه لفرعه . وقد يكون هذا صحيحا . اما ان نرجع ذلك النقص الى اللغة نفسها ونرميها بما ليست فيه ، فامر فيه كثير من التجني عليها .

وبديهي ان ذوي التخصص هم عادة اناس على قسط كبير من الذكاء والاطلاع ولعلهم من العبث ان يذكرهم المرء بان اداة التعبير نفسه ان يكون موافقا ومن العبث كذلك ان يذكرهم المرء بان العناية بالناحية الادبية من الفكر الانساني لا يجوز اهمالها مهما اهتم الشخص بالتقضية العلمية نفسها . ربما كان هذا بعض السبب في ان الكثير من الجامعات تصر على ان يدرس طلاب العلوم التكنولوجيا على الاقل موضوعا ادبيا واحدا كل سنة عليهم ان ينجحوا فيه بدرجة عالية . فضلا عن الناحية الانسانية التي بهذا يتقنى العالم على صلة بها فانه يتمكن من تلك القوة التعبيرية - القوة اللفظية والاسلوبية - التي تجعله قادرا على صياغة افكاره العلمية في اشكال مستساغة . والذي اهرقه هو ان البعض من اقدر العلماء هو ايضا من اشد الناس فصاحة وقوة في التعبير - مما يجعلنا نتقول ان من كان ضئيل الحظ من الفصاحة وقوة التعبير ربما كان ايضا قليل الحظ من القدرة العلمية الحقيقية - ولو انه لا بد من رفض التعميم في مثل هذا المجال .

اما محنة التأليف والترجمة في العلوم عندنا فهي ذات شقين (او اكثر) : ١ : اولا ، محنة المؤلف النادر الذي يمشق ما يكتب او يترجم فيه بحيث يكون مستعدا للتضحية بوقته وجهده من اجل الكتابة والترجمة مهما تكن نتائج النشر . ثانيا ، محنة القارئ العربي الذي ما زال بعيدا عن الاقبال على الكتب

لا يستطيع التعبير عن أفكاره العلمية في قالب كتابي مستساغ .

وأول هذه الأسباب هو ضعف تعليم اللغة العربية في الدراسة الابتدائية والثانوية وهي المرحلة التي يتعلم فيها الطالب قواعد اللغة وأسسها وحسب علمي أن وزارة التربية تتعاون في الوقت الحاضر مع مركز البحوث التربوية التابع لجامعة بغداد لوضع كتب جديدة لتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية .

والسبب الآخر هو أن تعليم هؤلاء في المرحلة الجامعية على الإغراب يكون بلغة أجنبية في العراق إذ لا زلنا نعتمد على المراجع العلمية الأجنبية ولمدم توفر هذه باللغة العربية أخذنا بطريقة التدريس بلغة أجنبية .

والسبب الثالث هو أن لغة البيت ولغة الشارع تختلف كثيرا عن اللغة الفصحى ولوجرت محاولة لتقريب اللغة العامية من اللغة الفصحى وعدم استعمال الكلمات العربية ونشر الفصحى عن طريق الإذاعة والتلفزة فبعد مرور وقت طال وقصر سنجد أن اللغة العامية تقترب من الفصحى .

وهناك سبب رابع وهو عدم تشجيع التأليف باللغة العربية في المجالات العلمية ويجب أن يكون هذا من الشروط المطلوبة في الترقيات العلمية التي تتطلبها الجامعات من أعضاء الهيئة التدريسية .

العلمية رغم دخول العصر التكنولوجي . كيف نعالج هاتين المحتنتين ؟ لا بد من العودة بذلك إلى الجامعة وما تيسره من فرص للتأليف وما تخلقه من حب حقيقي للملم في نفوس الطلاب . القضية تربوية ، وحضارية معا . ونحتاج إلى دراسة كثيرة الشعب لا تجدي معها إشارة سريعة . في عجلة كهذه .

ولا ننكر أن الصعوبة التي يحسها المختصون في الملم هي صعوبة حقيقية لا ينفعنا مطلقا محاولة التقليل من شأنها . وقد اتفحت لي أنا شخصا يقول الأستاذ جرجيس فتح الله - هذه الصعوبة عندما قمت بنقل كتاب - تراث الإسلام - المعروف إلى العربية قبل ستة عشر عاما ، وبمدها أخذت أكتب وأترجم إلى العربية بعض الكتب والبحوث الخاصة بنظرية الموسيقى العربية وقرائها . فقد أدركت من الوهلة الأولى سبب وقوف - لجنة النشر للجامعيين - المصرية التي تالفت في العام 1935 لنقل الكتاب الأول إلى العربية فاخفقت في منتصف الطريق ، أي عندما اصطدمت بآبواب الطب والرياضيات والهندسة والقانون والتعريف الخ ...

وزيادة في الإيضاح يجدر بنا أن نشير إلى أن هناك أسبابا كثيرة تجعل من حملة الشهادات العالية المتخصصين في الملم كالأطباء والمهندسين والتكنولوجيين في وضع لا يستطيعون فيه الكتابة في اختصاصاتهم بلغة سليمة بل حتى أن البعض منهم

العوامل الطارئة على اللفنة دراسة لقضايا اللفنة وتصحيحات توليد لغوية... في ضوء علم اللفنة الحديث الدكتور محمد عيسى : كلية دارالعلوم جامعة القاهرة

فقال : اوليس بظريف ابن اخي يتكلم بالفارسية ،
فلن معاوية ان الكلام بالفارسية لحن « ومن ذلك
البيت المشهور للفارسي

منطق صائب وتلحن احيانا
وخير الحديث ما كان لحنا

ومن معانيها ايضا « التورية » باستخدام معنى
قريب وارادة معنى بعيد ، وعلى ذلك الف ابن دريد
كتابه « الملاحن » قاصدا به استخدام الكلمات وارادة
معان اخرى لا تخطر لأول وهلة على الذهن عند سماع
الكلمة ، وفي مجال المعنى ايضا اطلقت على الخطأ في
المعاني ، وذلك باستعمال الكلمة او التركيب كله على
غير وجهه الذي قرره له العلماء ، وقد الف الفضل
ابن سلمه كتابه « الفاخر فيما تلحن فيه العامة » من
هذا النوع من الخطأ في المعاني ، وجاء في مقدمته
قوله : « هذا كتاب معاني ما يجري على السن العامة
في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب » وهم لا يدرون

لكتابة هذا البحث حول معنى اللحن في الكلام
العربي وتطور استعماله ومقاومته ينبغي - كما هو
واضح في عنوانها - تناول الامور الآتية :

1 - معرفة المقصود باللحن وبيان مظاهره مع
تقديم نماذج لها .

2 - بيان تطور استعماله في الكلام العربي
باختصار .

3 - حركة المقاومة العلمية التي تمثلت في
جهود العلماء لتنقية اللحن .

لقد بحث كثير من الدارسين في كلمة « اللحن »
وتعدد معانيها ، وتطور هذه المعاني ، ويذكر في هذا
الصدد ان من معانيها « الفطنة والذكاء » استنادا الى
قول الرسول (لعل احذكم ان يكون اللحن بحجته من
بعض) او التطرف في الحديث بخلطه بالكلام الاجنبي
او الكلام المتعمد فيه الخطأ كما روى ابن دريد انه
« قيل لمعاوية : ان عبد الله بن زياد يلحن في كلامه ،

معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فبيناه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره .

فهذه المعاني وغيرها تدرج تحت كلمة « لحن » وربما استعملت فى تصور متفاوتة خاضعة فى ذلك لتطور الدلالة كما هو شأن الكلمات فى كل اللغات أو استعملت بمعان متعددة فى عصر واحد بعد أن تجمعت حول الكلمة ، والذي يمين أحد هذه المعاني ظروف الدلالة للنص الذى وردت فيه .

ولا علينا من ذلك كله ، فان اللحن الذى تقصده هنا هو « خروج الكلام الفصيح من مجرى الصحة فى بنية الكلام أو تركيبه أو امرأه بفعل الاستعمال الذى يشيع أولا بين العامة من الناس ، ويتسرب بعد ذلك الى لغة الخاصة » واللحن بهذه الصفات امر طاريء على اللغة الفصحى ، اذ ان المفترض فى نطق العرب لها أولا هو الصحة والسلامة امتدادا على الفطرة والسليقة ، فهذا هو الاصل ، فما حاد عن هذا الاصل الفطري المتوارث فهو خطأ ، ويوصف نطقه حينئذ بأنه « لحن » وغالبا ما يضاف « اللحن » الى « العوام » أو « العامة » تنبيها على الاصل الذى جاء منه الخطأ فى الاستعمال .

— قال ابن دريد : فاما اللحن فى العربية ، لانك اذا قات (ضرب عبد الله زيد) لم يدر ايها الضارب ولا المضروب ، فكانك قد عدلته عن وجهه ، فاذا امرت من معناه فهم (1) منك .

— سمع ابو عمرو بن العلاء ان ابا حنيفة يبطل القود الا ما كان قتلا بحديد ، فقال له ابو عمرو : ارايت ان ضربه بكذا ، ارايت ان ضربه بكذا ، قال لو ضربه بابو قبيس لم يكن عليه قود ، فقال ابو عمرو : هذا كلام شنع ، قال : وما الشنع ؟ قال : ولا تعرف الشنع ايضا !! (2)

— روى الزجاجي : كان سيبويه مستمليا لحماذ بن سلمة — وكان حماد فصيحاً — فاستملاه يوما قول رسول الله (ص) : ليس من اصحابي احد الا ولو شئت اخذت عليه ليس ابا الدرداء ، فقال سيبويه (ليس ابو الدرداء) فصاح به حماد : لعنت

يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبت وانما هو استثناء ، فقال سيبويه : لا جرم والله لاطلبن علما لا تحنني معه ، فمضى ، ولزم مجلس الاخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين (3) .

— قال ابن الجوزي : واعلم ان غلط العامة يتنوع ، فتارة يضمنون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون المدود ، وتارة يشددون المخفف ، وتارة يخففون المشدد وتارة يزيدون فى الكلمة ، وتارة ينقصون منها ، وتارة يضمنونها فى غير موضعها ، الى غير ذلك من الاقسام (4) .

ويستنبط من النماذج السابقة الدلالة على السمات التى يوصف الكلام من اجلها « باللحن والخطأ » فابن دريد يرى الاخلال بالامراب فى مثل (ضرب عبد الله زيد) لحن فى العربية ، وهذا حق ويفسره بالمدول عن الوجه فيه من نصب (زيد) فى العبارة السابقة ، وهذا حق ايضا لكنه يتوسع فى فهم المدول عن الوجه فى الكلام بما يشمل الدلالة ايضا « لم يدر ايها الضارب ولا المضروب فاذا امرته فهم منك » وهذه وجهة لفهم اللحن فى المعنى ، ويصادفها المرء كثيرا فى الكتب التى تناولته بالدراسة ، وان لم تصل الى الفهم الشائع منه من الخطأ فى الاعراب .

وابو عمرو بن العلاء يصف نطق ابي حنيفة (ضربه بابو قبيس) بأنه « كلام شنع » مستخدما صيغة المبالغة فى وصف الخطأ الامرابي فى الكلام الذى هو « اللحن » وهو ما ذكره صراحة حماد ابن سلمة لسيبويه حين اخطأ فى مثل ما اخطأ فيه ابو حنيفة من قوله (ليس ابو الدرداء) ، اذ صاح به حماد (لعنت يا سيبويه) فمن ذلك يتضح ان اللحن يطلق على الخطأ فى الاعراب اذا حدث فى اللغة الفصحى ، فاستعمل فيها تأثرا بما شاع بين العوام وفى الكلام الدارج ، كما انه يشمل ايضا ما مدده ابن الجوزي من ضم المكسور وكسر المضموم الخ... وهذا فى معظمه يتعلق ببنية الكلمات ، وقد سماه « غلط العامة » ايضا .

(1) الملاحن ص 6 .

(2) مجالس العلماء ص 110 .

(3) السابق ص 154 .

(4) تقويم اللسان ورقة 2/ .

3 - ومن ذلك (الحشمة) يضعها الناس موضع الاستحياء ، قال الاصمعي ، وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب ، وحكى عن بعض فصحاء العرب انه قال : ان ذلك لما يحشم بني فلان ، اي يغضبهم (3) .

4 - ويقولون (بكرت اليك) بمعنى هدوت خاصة ، وقال ابو بكر (ابن دريد) البكور التعجل في جميع اوقات الليل والنهار ، يقال : انا ابكر اليك العشية ، وانشد ابو زيد لضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وهن في الندي
بسل عليك ملامتي ومقابلي

يقال : بعد وهن ، يعني حيناً من الليل (4)

5 - قولهم للثوب (وشاح) قال محمد (الزبيدي) والوشاح نظمان من لؤلؤ يغالف بينهما ، ويعطف احدهما على الآخر ، وتوشح به المرأة على كشحها (5) .

6 - ويقولون (ذو نفع وضر) فيضمون ، قال محمد (الزبيدي) والصواب (ضر) بالفتح ، واما (للضر) فهو السقم ، قال الله عز وجل : « وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » (6) .

7 - ومن ذلك (الاستحمام) يكون عندهم بالماء الحار والبارد ، وليس كذلك ، انما الاستحمام بالماء الحار خاصة (7) .

8 - قول المتكلمين (هذه المحسوسات) خطأ ، والصواب (المحسات) لانه يقال : احسست الشيء بمعنى ادركته ، فاما المحسوس فهو المقتول ، ممن حسه اذا قتله (8) .

9 - وتقول (استخفيت من فلان) والعامية تقول (اختفيت منه) وانما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش (مخنف) (9) .

10 - وتقول (اصبح القوم) اذا صاحوا وجلبوا ، والعامية تقول (ضجوا) وانما يقال (ضجوا) اذا جزموا (10) .

ومما ذكره ابن الجوزي قوله « وثارة يضمون الكلمات في غير مواضعها » وانهم من ذلك ما يشمل تأليف الكلام العربي ووصف الكلمات في التراكيب اللغوية ، وما يشمل معاني الكلمات في استخدامهما على غير ما قرره لها علماء اللغة ، وهذا الاخير جانب اطلق العلماء عليه ايضا انه « لحن وخطا » وان لم يكن من الكثرة والشهرة ما للاخلال بالامراب او بنية الكلمات .

فقد اندرج تحت ما اطلق عليه « اللحن » امور ثلاث ، اقلها شهرة واهتماما الخطأ في المعنى باستعمال اللفظ او التركيب في غير ما هو له من المعنى ، واعظمها شهرة وكثرة واهتماما من علمائنا الخطأ في بنية الالفاظ او الامراب ، وساقدم هنا امثلة قليلة لهذه المظاهر الثلاثة ، الهدف منها تقديم النماذج لا الاستقصاء ، فان مؤلفات اللحن وحدها - فيما استقرانه - بلغت اكثر من اربعين مؤلفا ، تحوي مادة لغوية ضخمة لهذه المظاهر الثلاثة ، وسبأتي عرض ذلك فيما بعد .

اولا : من نماذج الخطأ في المعاني :

1 - مما تضعه العامة في غير موضعه قولهم (خرجنا نتنزه) اذا خرجوا الى البساتين وانما (التنزه) التباعد من المياه والارياض ، ومنه قيل : فلان يتنزه من الاقدار ، اي يتباعد منها ومنه قول الهذلي :

اقب طريد بنزه الفلاة لا يرد الماء الا اثيابا (1)

2 - ومن ذلك (الطرب) يذهب الناس الى انه في الفرح دون الجرع ، وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور او لشدة الجرع ، قال الشاعر وهو النابغة الجعدي :

واراني طربا فسي الرهم
طرب الواله او كالمختبل (2)

(1) اصلاح المنطق ص 287 .

(2 - 3) أدب الكاتب ص 18 - 19 .

(4 - 5 - 6) انظر لحن العوام ص 137 - 206 - 244 .

(7) لحن العوام ص 256 .

(8) ذيل الفصيح ص 102 .

(9 - 10) رسالة في اغلاط العوام ورقة 101 .

يخلط فيه العامة ، والعرب تقول (دخل في خمار الناس) أي فيما يواريه ويستتره منهم حتى لا يبين (1)

2 - ويقولون (مقداف السفينة) قال محمد (الزبيدي) والصواب (المجداف) ومنه جدف الطائر بجناحيه يجدف جدوفا ، اذا كان مقصوفا ، فرايته كأنه يرد جناحيه الى خلفه ويدارك الضرب (2) .

وواضح ان الخطأ في هذين المثالين سببه التطور الصوتي ، لقرب المخرج بين كل من الخاء والفين في (خمار وغمار) وكذلك بين كل من الجيم والقاف في (مجداف ومقداف) وربما نطقت الجيم اولا (ج) ثم تطورت الى القاف .

3 - قال الجاحظ : كان هند عمر بن عبد العزيز رجلا ، فجعلنا يلحنان ، فقال الحاجب (قوما فقد اوديتما امير المؤمنين) قال عمر : انت آذى لي منهما (3) .

4 - قال ابو عمرو : يقال : ازلت له زلة ولا يقال (زلت) وقد اغلقت الباب فهو مغلق ، ولا يقال (مغلق) وقد اغلته فهو مقفل ولا يقال (مقفول) (4) .

5 - ويقولون (هبت الارباح) مقايضة على قولهم (رياح) وهو خطأ بين ، والصواب ان يقال (هبت الارباح) كما قال ذو الرمة :

اذا هبت الارباح من نحو جانب
به اهل مي هاج قلبي هبوبها

والعلة في ذلك ان اصل (ربح) (روح) لاشتقاقها من (الروح) وانما ابدلت الواو ياء في (ربح ورياح) للكسرة التي قبلها ، فاذا جمعت على (ارباح) فقد سكن ما قبل الواو ، وزالت العلة (5) .

6 - ويقولون للمطهرة (ميضة) وبعضهم يقول (ميضاه) والصواب (ميضة) بالهمزة ، والجمع (مواضي) (6) .

ويكفي هذه الامثلة العشرة لهذا النوع من الخطأ في المعنى ، او ما وصف بأنه « لحن العوام » والملاحظ على هذه الامثلة - وشبهها كثير - ان الحكم عليها باللحن كان من زاوية الاستعمال في فترة خاصة ، فالتزم هذا الاستعمال وتوقف ، ولم يؤخذ في الاعتبار بالنسبة لها تطور الدلالة التي قد تتغير من جيل لجيل ، فالكلمات ليست احجارا جامدة ، ولكنها وسيلة اجتماعية يطرا عليها التفسير في معانيها ، والتطور في دلالاتها بحسب العرف النفوي السدي يستخدمها ، ومن المفيد ان نلاحظ ايضا ان معاني هذه الكلمات العشر التي حكم عليها بالخطأ ظلت منذ القديم سائدة حتى الوقت الحاضر - وانه لا يخطر ببال احد استعمالها بالعرف الذي رأى العلماء انه هو العرف الصحيح ، فمن ذا الذي يفهم من (خرجنا ننزله) التباعد عن المياه والارياض ، ومن (الطرب) الحزن والسرور معا ، ومن (الحشمة) معنى الغضب لا الاستحياء ، ومن (البكور) التمجل عامة ، ومن (الوشاح) نظمان من اولاد لا الشوب ؟ ومن الذي يستخدم (الضر) بالفتح في مقابل النفع ، ويترك (الضر) بالضم ويفهم من (الاستحمام) انه للماء الحار خاصة ، ومن (لاخفاء) الاستخراج لا التوارى عن العيون !! فمن الواضح ان تفكير علماء اللغة على هذا النحو تفكير التزم التقعيد والتحديد ولم يأخذ في اعتباره المرونة والتطور ، فبقيت دراستهم في واد والاستعمال في واد آخر ، ولست مغالبا ان قلت : ان هذه الجهود كلها افادت من حيث الدراسة في ذاتها ، لكنها لم تتفق مع طبيعة اللغة ، ولذلك لم تفد كثيرا في تعديل ما اطلق عليه (اللحن) في عصرهم او بعد عصرهم .

ثانيا : من نماذج الخطأ في بنية الكلمات :

1 - قولهم (دخل في غمار الناس) هذا مما

(1) الفاخر فيما تلحن فيه العامة ص 246 .

(2) لحن العوام ص 69 .

(3) البيان والتبيين ج 3 ص 24 .

(4) اصلاح المنطق ص 227 .

(5-6) لحن العوام ص 169 - 174 .

7 - ويقولون (يوم مهول) ، والصواب (يوم هائل) و (امر هائل) يقال : هالني الشيء يهولني هولا ، فهو هائل (1) .

8 - يقولون (استهتر الرجل فهو مستهتر) (بالكسر) والصواب (استهتر فهو مستهتر) (بالفتح) وهو الذي يخلط في اقواله وافعاله ، حتى كأنه بلا عقل (2) .

9 - وتقول : هذه مروحة ومخدة ومقنعة ومنحفة وملة ومذبة ومغرفة ومقطرة ومطرقة ومدقة ومقرعة ومنطقية ومبسررد ومطررد ومبضع ومنديل والمساح - موضع بطريق مكة - والمرنج - النجم - كله بكسر الميم والعامة تفتحها (3) .

10 - ويقولون في جمع بيضاء وصفراء وسوداء ، يضاوات وصفراوات وسوداوات ، وهو لحن فاحش ، لان العرب لم تجمع فعلاء التي هي مؤنث افعل بالالف والتاء ، بل جمعتها على (فعل) نحو بيض وصفر وسود ، كما جاء في القرآن (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) وفي قول امرئ القيس :

وتحسب سامي لا تزال تسمى طلا

من الوحش او بيضا بميثاء محلال (4)

فالنماذج العشر السابقة - ومثلها كثير - تتعلق ببنية الكلمة العربية ، وتدخل تحت مباحث علم الصرف ، وترتب على ذلك ان الحكم عليها « باللحن والخطا » جاء في ضوء القواعد الصرفية لبعضها يتعلق باخلال بنطق حروف الكلمة بوضع حرف مكان آخر في (شمار وخمار) و (مقداف ومجداف) او باجراء الاعلال وتركه على غير مقتضى قوانين الاعلال والابدال كما في (ازلت وزلت) او صياغة المشتقات على غير الطريقة المحددة لها في شكل الحروف وكميتها مثل (مفلق ومفلوق - مقفل ومقفل مهول وهائل - مروحة ومروحة .. الخ) . او في الهمز والتسهيل كما في (ميضاء وميضاة) او بناء الفعل للمعلوم والمجهول حسبما ورد من العرب وقرره كتب الصرف كما في (استهتر واستهتر واستفحك

واستفحك) او في صيغة الجمع للمفرد كما في (يضاوات وبيض) . فكل هذه المباحث قرر لها علماء النحو والتصريف مبادئ محددة ، وفي ضوء هذه المبادئ غالبا نظروا الى طريقة استعمال اللغة على مدى العصور ، فكل ما وجدوه مخالفا لها ، حكموا عليه « باللحن » ونسبوه الى العوام .

ومن المفيد ان يعرف ان هذا النوع من الخطا قد حظي بعناية العلماء مناة فائقة في « كتب لحن العامة » مما لم ينل مثله المظهران الاخران من مظاهر اللحن اللذان يتعلقان بالمعاني او التركيب والاعراب ، ولعل ذلك يرجع الى الاعتقاد بان هذا المظهر من اللحن اشد خطورة على اللغة من المظهرين الآخرين لما يترتب عليه من « تشويه اللغة » وطمس المعاني واضطرابها ، بالاضافة الى ما اطمأنوا اليه من ضخامة الجهود النحوية التي تقي من « اللحن » في الاعراب بالنسبة للجهود في بنية الكلمات ووضع القوانين لها .

ثالثا : من نماذج الخطا في التركيب والاعراب :

1 - تقول (شكرت لك ونصحت لك) ولا يقال (شكرتك ونصحتك) وقد نصح لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب ، قال الله تعالى (واشكروا لي ولا تكفرون) (ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم) (5) .

2 - قال الاخفش : اخبرني المبرد قال : انشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه :

وقد مضت لي عشرونان ثنتان

فقلت له : ايها الامير ، هذا لحن ، لان امرابا لا يدخل على امراب (6) .

3 - من اللحن قولهم (العوام) فيه تبارك وتعالى (هذه صفة ذاته ، وهو مبين بالذات) قال محمد (الزبيدي) ولا يجوز ان يلحق الالف واللام (ذو ولا ذات) في حال افراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات ، وانما تقع ابدا مضافة الى

(2،1) لحن لعمام ص 253 - 255 .

(3) تقويم اللسان ورقة 25 .

(4) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ورقة - 104 .

(5) ما تلحن فيه العوام ص 25 .

(6) الوشح ص 357 .

الظاهر ، - الا ترى انك لا تقول (الدو ولا الدوان ولا اللون ولا الذات ولا الذوات ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها ، ولا تقول : مررت بذاته ولا بذاتك) وقد غلط في ذلك اهل الكلام واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب والفقهاء (1) .

4 - قال ابو زيد الانصاري : لقيت ابا حنيفة ، فحدثني بحديث فيه (يدخل الجنة قوم حفاة حراة منتنين قد احمشتهم النار) فقلت له : انما هو (منتنون قد محمشتهم النار) فقال : ممن انت؟؟ فقلت : من اهل البصرة ، فقال : اكل اصحابك مثلك؟؟ قلت : بل انا اخسهم حظا في العلم ، فقال : طوبى لقوم يكون مثلك اخسهم حظا (2) .

5 - ويقولون (ادخل باللص السجن) والصواب ان يقولوا (ادخل اللص السجن) لان الفعل تارة يعدي بهمزة النقل كقولك (خرج واخرجه) وتارة بالباء ، كقولك (خرج وخرجت به) فاما الجمع بينهما فممتنع (3) .

6 - العامة تقول (فعل الغير ذاك) فيدخلون على (غير) اداة التعريف ، والمحققون من النحويين يمنون من ادخال الالف واللام عليه ، لان المقصود بدخول آلة التعريف على النكرة ان تخصصه لعينه ، فاذا قيل (الغير) اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى كثرة (4) .

7 - والعامة تقول (لا افعل هذا قط) في المستقبل (ولا افعله ابدا) وهو غلط ، والصواب ان تقوله في الماضي (ما فعلت هذا قط) اي فيما انقطع من عمري (5) .

8 - (غير) اسم ملازم للاضافة في المعنى ، ويجوز ان يقطع عنها لفظا ، ان فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة (ليس) ، وقولهم (لا غير) لحن ، ويقال (قبضت عشرة ليس غيرها) (6) .

(1) لحن العوام ص 12 .

(2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 38 .

(3) تصحيح التصحيف وتحريف ورقة 59 - 240 .

(5) تصحيح التصحيف وتحريف ورقة 254 .

(6) المفنى ج 1 ص 157 .

(7) المفنى ج 1 ص 651 .

(8) رسالة في اغلاط العوام ورقة 122 .

9 - (عند) لا تقع الا ظرفا او مجرورة بمن ، وقول العامة (ذهب الى عنده) لحن (7) .

10 - وتقول (ما رايته من امس ومن ايام) وهو غلط ، لان (من) تخص المكان ومنذ ومنذ يختصان الزمان (8) .

وبلاحظ على الامثلة العشرة السابقة ان الكثير منها يتعلق بتأليف التركيب العربي ، والامر الذي استقر عليه هذا التأليف بين النحاة ، وما جاء مخالفا للطرائق المنظمة لذلك ، ينبغي ان يدخل دائرة «اللحن والخطا» كما هو واضح تماما في (ادخل باللص السجن) و (شكرت لك ونصحت لك) و (لا افعل هذا قط) والصحيح فيه (ما فعلت هذا قط) وكذلك (لا غير) والقواعد تقضي بأن التعبير الصحيح هو (ليس غير) - كما ان بعض الاخطاء تعود - في نظر النحاة - الى استخدام الادوات بطريقة غير ما استقر عليه الامر - وبخاصة حروف الجر - كما في (ذهب الى عنده) وصحتها (جئت عنده) و (جئت من عنده) وكذلك (ما رايته من امس) وتقضي القواعد استخدام (منذ) في هذا الموضع - كما يعود اللحن هنا كذلك الى الشكل الامرابي ، وخروج الكلام عن مقتضاه ، كما في (مشرونان) اذ قال المبرد منبها على الخطا فيها « ايها الامير ، هذا لحن ، لان امرابا لا يدخل على امراب » وكذلك قول ابي حنيفة (يدخل الجنة قوم حفاة حراة منتنين) حيث صححها له ابو زيد الانصاري بقوله (منتنون) تنبيها على الخطا الامرابي في الصنعة .

وطريقة تأليف الكلام واستخدام الادوات النحوية والامراب كلها من المباحث التي يتناولها النحو مع غيرها من المباحث التي تتعلق بالتركيب اللغوي واسرارها .

والذي افهمه ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية في دراسة « لحن العامة » هو ايراد لما حدث في « النفاة الفصحى » وفي الاستعمال الخاص لهذه اللغة

اللعن على أن النحاة انفسهم قد خطاوا فيما بعد قول
النابغة الذبياني :

فبت كاني ساورتني ضئيلة
من الرقش في انيابها السم نافع

وقالوا : كان حقه ان يقول (ناعما) لا (نافع)
فان النكرة لا تصف المعرفة .

وعلى كل حال فان كلمة «اللعن» قد ترددت بين
العرب مع ظهور الاسلام فيما نقل عن عهد المبكر ، اذ
نقل ان الرسول (ص) قال : انا من قريش ، ونشأت
من بني سعد فاني لي اللعن ، ونقل عن الصديق (ص)
قوله : لان اقرا فاسقط احب الي من ان اقرا فالعن .
وما اك قصة الكتاب المشهور الذي بعث به من العراق
ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب وجاء فيه
« من ابو موسى الاشعري » وما رد عليه عمر من قوله :
اضرب كاتبك سوطا واحدا واجز عطاءه سنة (2) .

فان هذه الروايات المتناثرة - ان صحت - تدل
على معرفة اللعن في ذلك العصر وفيما قبل ذلك
العصر الاسلامي المبكر ، اذ ان استخدام اللفظة في
ذلك الوقت المبكر وفهم المقصود منها حينذاك قد
سبقه ما يسوغ هذا الاستخدام وذلك الفهم ، وفي
ذلك دلالة غير مباشرة على حدوث ذلك في الجاهلية
وان لم ينقل ذلك وتنال مظاهره .

وحين تاخر الزمن قليلا - في عهد الامويين في
القرن الاول الهجري - اصبح اللعن قضية ذات
خطر في استعمال اللغة ، وهذا طبيعي اذ اتسعت
الدولة الاسلامية ، وكثرت دواعي الاختلاط بالاجانب
من الحرب والجوار والخدمة والمعايشة ، وجاءت من
ذلك روايات تصور مواقف حدث فيها اللعن بين
الخاصة وفي حضرة الخلفاء ، وهي لهذا السبب
نفسه استحقت الرواية والتناقل ، ولنا ان نتخيل
الاطباء الكثيرة مما لم ينقله احد او يعني به ، لانه كان
يحدث بين الناس العاديين من جمهرة العرب
والمسلمين ، واكبر الدلالة على ضخامة ذلك وكثرته انه
كان سببا في بداية النحو العربي حول النصف الاول
من القرن الاول الهجري على اختلاف الرواة فيمن
تنسب اليه تلك النشأة .

في مجالات المواقف الجادة من القول بين العلماء
والخاصة ، ويصح بناء على ذلك قبول ما رآه بعض
الدارسين من ان « المصوام » الذين اغيى اليهم
« اللعن » في كتب « لعن المصوام » هم مصوام
العلماء والخاصة ، فهو رأي يقبل من هذه الاخطاء
القليلة التي تتعلق بالتركيب والاصراب اما ليسر
ذلك من مظاهر اللعن المتعلقة بالمعاني او بنية الكلمات ،
وكذلك في هذا المظهر في اضافته الى العامة من
الناس العاديين ، فالغلب ظني ان كل ذلك كان شائعا
الى حد الكثرة ، وانه لم يكد القرن الثاني ينقضي
حتى تنوعت الماميات وكثرت الاخطاء بين الناس
العاديين والمتخصصين على سواء .

لكن : متى بدأ اللعن في الكلام العربي وكيف
تطور ؟

لا يستطيع الوصول الى حقيقة حاسمة من هذه
الظاهرة في العصر الجاهلي - شأنها في ذلك شأن
كثير من ظواهر اللغة والادب من هذا العصر - فان
كثيرا من شؤون الجاهلية تكاد تكون مطبوسة
تماما ، او على الاقل غير مؤكدة ، اذ تعتمد على الظن
الفال لا الادلة المقتنعة ، والغالب ان اللغة العربية في
العصر الجاهلي كان لها مستويات متعددة ، تختلف
فيما بينها باختلاف القبائل وعرف كل قبيلة في
لهجتها ، وان اللغة العامة التي كانت وسيلة التفاهم
بين الجميع حدث فيها احيانا اللحن والخطا ، ولو صح
ان الاهتمام باللغة ودراستها قد تقدم به الزمن الى
العصر الجاهلي ، لجامتنا كتب في «لعن العامة» من
هذا العصر كما حدث في القرن الثاني الهجري وما
تلاه حين نظجت الدراسة وتنوعت ، وكان اللحن احد
المظاهر التي اهتمت بها . وقد روى ان طرفة بن العبد
قال وهو صغير :

يا لك من قبرة بمصر
خلا لك الجو فيبضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقري
قد رفع الفخ لماذا تحلدي

لا بد يوما ان تصادي قاصبري (1)

فما هو الوصف الذي كان من المتوقع ان يطلقه
النحاة على مبارزة (ماذا تحلدي) غير الضرورة او

(1) بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ج 3 ص 110 .
(2) انظر : مراتب النحويين ص 5 - 6 .

والعنف مع من يلحن في كلامه كما هو واضح في ذلك
الانكار والردع من الحجاج لهند بنت اسماء - كما
تدل في الجانب المقابل على أن «الخلو من اللحن»
يمثل الجانب الشريف الذي يستحق به صاحبه
الفخر والثناء ، كما هو واضح من أسلوب الإعجاب
الذي يقرر به الاصمعي هذه الحقيقة عن الشعبي
وعبد الملك والحجاج وابن القرية .

فما روي من « مواقف اللحن » في القرن الاول
الهجري قد لا يسه العار والاحتقار او الانكار والردع ،
او استحقاق من يعري عنه الفخر وحسن الذكر مما
يفهم منه أن اللحن كان يمثل في ذلك الوقت اسرا
جديدا خطيرا ، او بعبارة أدق : أن شيوعه بين
الناس كان ظاهرة جديدة خطيرة يستحق من يبرا منها
الثناء والشكران ، كما يستحق مرتكبها الزجر
والنكران .

فإذا ما تأخر الزمن الى القرن الثاني الهجري -
وبخاصة النصف الثاني منه وما تلاه - أصبح ما كان
احساسا بالخطر خطرا حقيقيا ملموسا ، وما كان
مواقف متناثرة تذكر فتنكر أمرا شائعا بين الناس من
غير تكيز ، وترتب على ذلك نشاط علمي متنوع ، ففي
رواية اللغة رحل العلماء للبادية ، وانصرفوا عن
الحضر بعد أن شاع فيه اللحن ، فلم تعد اللغة - في
نظرهم - أهلا للنقل والاحتجاج ، وفي الدراسة
اللغوية نشطت حركة التنقية التي بدأت في هذه
الفترة بكتاب الكسائي الذي لا يزال موجودا بين
أيدينا الآن من « ما تلحن فيه العامة »

قال الرشيد يوما لبنيه : ما ضر أحدكم لو
تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ، أيسر أحدكم أن
يكون لسانه كلسان عبده أو أمته (4) !! .

ودخل الفراء يوما على الرشيد ، فتكلم
بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى : يا أمير
المؤمنين انه قد لحن . فقال الرشيد للفراء : اتلحن
يا يحيى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : أن طباع أهل
البدو والأعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا
حفظت أو كتبت لم اللحن ، وإذا رجعت الى الطبع
لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه (5) .

* كان لخالد بن يزيد بن معاوية أخ ، فجاهه
يوما فقال : إن الوليد بن عبد الملك يعيبني
ويحتقري ، فدخل خالد على عبد الملك - والوليد
منده - فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد قد
احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره - وعبد الملك
مطرق - فرفع رأسه وقال : (إن الملوك إذا دخلوا
قرية أفسدوها - الآية) فقال خالد (وإذا أردنا أن
نهلك قرية - الآية) فقال عبد الملك : أفي عبد الله
تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحنًا ؟ فقال
خالد : أفعلى الوليد يقول ؟ فقال عبد الملك : إن كان
الوليد يلحن ، فإن أخاه سليمان ، فقال خالد : وإن
كان عبد الله يلحن ، فإن أخاه خالد - في كلام كثير
طويل (1) .

* تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة ،
فلحنت وهي عند الحجاج ، فقال لها : اتلحيني وانت
شريفة في بيت قيس !! فقالت : أما سمعت قول أخي
مالك لأمراته الانصارية ؟ قال : ما هو ؟ قالت :
منطق صائب وتلحن أحيانا

وخبر الحديث ما كان لحنًا
فقال لها الحجاج : إنما مني أخوك اللحن في
القول - إذا كنى الحديث مما يريد - ولم يعن اللحن
في العربية فأصلي لسانك (2) .

* وروي عن الاصمعي قوله : أربعة لم يلحنوا
في جد ولا هزل ، الشعبي وعبد الملك بن مروان
والحجاج بن يوسف وابن القرية ، والحجاج
أفصحهم (3) .

والواضح من هذه الروايات الثلاث أنها جاءت
من شخصيات لها تميزها في العصر الأموي سواء من
حدثت منه أو من حدثت في حضرته أو من قبلت
منه ، ويعود هذا التميز الى أنهم من أصحاب الحكم
أو من أهل العلم في العصر الأموي ، فكيف كان
الأمر بين العوام من الناس ؟ ومع ذلك فإنها تدل على
العار والاحتقار اللذين يتعرض لهما من « يلحن » في
حديثه ، كما هو واضح في تلك الملاحظة الحادة بين
خالد بن يزيد وعبد الملك من عبد الله بن يزيد
والوليد ابن عبد الملك كما أن فيها دلالة على التشدد

(1) صبح الأمشئ ج 1 ص 168 .

(2) أمالي المرتضى - القسم الاول ص 15 .

(3) أمالي الزجاجي ص 20 .

(4) صبح الأمشئ ج 1 ص 168 .

(5) صبح الأمشئ ج 1 ص 173 .

على طرق السابلة ، وبقرّب مجامع الاسواق (2) «
وإذا كان اللحن قد امتد الى هؤلاء الاعراب والعلماء
المتقمرين في نطق اللغة ، فلنا ان نتصور ما كان بين
هامة الناس الذين لا يجيدون اللغة بالطبع او بالصنعة .
اما في القرن الرابع الهجري - الذي انهى في
آخره الاستشهاد - فقد وصل الامر الى مده ، وطفى
اللحن على الخاصة والعامة وعلى اصحاب الطبع في
البادية واصحاب الصنعة في الحضر .

* يقول الامدي : والمتأخرون لا يكادون
يسلمون من اللحن ، وهذا في اشعارهم كثير جدا (3) .
* ويقول ابو جعفر النحاس : وقد صار اكثر
الناس يظن على متعلمي العربية جهلا وتمدبا حتى
انهم يحتجون بما يزعمون ان القاسم بن مخيمرة قال :
النحو اوله شغل ، وآخره بني (4) .

والامدي وابو جعفر النحاس من علماء القرن
الرابع الهجري الذين عاصروا فترة نهاية الاستشهاد
باللغة الذي كان من اهم هوائمه شيوع اللحن بين
الناس حتى الشعراء انفسهم ، واصبح اللحن لا
يكاد احد من المتأخرين يسلم منه - كما يقول الامدي
من معاصريه - وصار اكثر الناس يظن على متعلمي
العربية جهلا وتمدبا - كما يقول النحاس - ومن قبل
كان تعلم العربية من الامور التي يتوأسى بها الناس ،
ويحس عليها الخلفاء والحكام ، وهكذا انقلب الامر ،
فاصبح تعلم العربية من طريق الصنعة النحوية موضع
سخرة الناس « والنحو اوله شغل وآخره بني » -
تماما كما كنا نعيش اليوم في عصرنا الحاضر .

وليس من المفيد كثيرا ان نتابع تطور « قضية
اللحن » بعد عصر الاستشهاد ، فقد اصبح « اللحن »
هو القاعدة بين الناس في حياتهم العامة ، وتسرب
الى التأليف العلمي نفسه ، كما هو واضح في بعض
موسوعات التاريخ في القرن السادس وما بعده -
وستأتي نماذج من ذلك - حتى قال احد المتأخرين
« ان اللحن قد فشا في الناس والالسة قد تغيرت ،
حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام
الفصحح عيا (5) » .

لماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

* وكان الرشيد مما يعجبه فناء الملاحين في
الزلازل اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ،
فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء
شعرا يفتون فيه ، فوجه الى ابي العتاهية - وهو
سجين - فمنع لهم « زهديته » التي ابكت الرشيد
حين سمعها منهم ، وفيها :

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح

لتموتن وان عصرت ما عمر نوح (1)

وقد اخترت هذه النماذج الثلاثة قصدا عن
« عهد الرشيد » الذي عاصر الفترة الاخيرة من
القرن الثاني ، وهي تدل على الامور الآتية :

ان اجادة الفصحى اصبحت صناعة يبحث
الرشيد ابتاه على الاخذ منها بما يصلح للسان كيلا
يكونوا كمن يخاطبونهم من العبيد والاماء في اللحن
والخطا .

وان العلماء انفسهم كانوا يلحنون في حياتهم
العادية ، ولم يروا ذلك عيبا يفض من شأنهم ، وقد
اعترف بذلك الفراء قائلا « اذا حفظت او كتبت لم
الحن ، واذا رجعت الى الطبع ، لحت » ونال هذا
الاعتراف استحسان الرشيد ، لانه الحقيقة .

وان العامة كانوا اشد من ذلك لحنًا ، ويثلهم
هؤلاء الملاحون في الزلازل الذين يفتون على مقتضى
طبيعتهم ، فيعجب فناءهم الرشيد لكنه يتأذى بفساد
كلامهم ولحنهم ، فمنع من نفسه التأذي بتقديم الكلام
الفصحح لهم لكن من السدى يمنع ذلك منهم او من
غيرهم حين يفتون او يتكلمون في غياب الرشيد !!

وقد استمرت موجة اللحن قوية مندفعة ،
واطردها نموها بتأخر الزمن ، فالقرن الثالث اقل حظا
في الفصاحة من القرن الثاني ، وفي الجانب المقابل
عظم اللحن اكثر من ذي قبل .

وقد روى الجاحظ نوادر كثيرة من « اللحن في
القرن الثالث » في كتابه البيان والتبيين مما سمعه
ووصفه ، وعابه على من يتكلمون الفصاحة من علماء
اللغة والاعراب ، فقال : « ان اقبح اللحن لحن اصحاب
التقمير والتقميع والتشديق والتعطيط والجهورية
والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاماريب النازلين

(1) انظر : الاغانى ج 3 ص 171 .

(2) البيان والتبيين ج 1 ص 146

(3) الموازنة ج 1 ص 416 .

(4) صبح الامشى ج 1 ص 171 .

(5) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

لقد نظر علماء اللغة اليه من زاوية « الخطأ »
فقاوموه بمنف ، ومع ذلك لم ينتصروا في معركتهم
معه ، بل أن العكس هو الصحيح ، إذ انتصر اللحن
بغلبة الاستعمال وقهر المجتمع اللغوي المتطور
باستمرار .

وقد بدأت هذه المقاومة منذ القرن الثاني
الهجري ، واستمرت فيما تلا ذلك من عصور
والجدول الآتي « لكتب لحن العوام » ومؤلفيها - مما
عرفته على قدر جهدي - يوضح ذلك :

الاشارة الى ما هو موجود	المؤلف وتاريخ وفاته	اسم الكتاب
مطبوع	عني بن حمزة الكسائي (172)	1 - ما يلحن فيه العوام
	يحيى بن زياد الفراء (207)	2 - ما يلحن فيه العامة
	لابي عبيدة معمر بن المثنى (210)	3 - ما يلحن فيه العامة
	لابن نصر احمد بن حاتم الباهلي (231)	4 - ما يلحن فيه العامة
مطبوع	لابي السكيت يعقوب بن اسحاق (244)	5 - اصلاح المنطق
	لابي عثمان المازني (248)	6 - ما يلحن فيه العامة
	لابي حاتم السجستاني (250)	7 - ما يلحن فيه العامة
مطبوع	لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276)	8 - تقويم اللسان (ادب الكاتب)
	لابي حنيفة احمد الدينوري (290)	9 - لحن العامة
	لابي العباس احمد بن يحيى ثعلب (291)	10 - ما يلحن فيه العامة
	لابي الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي (300)	11 - ما يلحن فيه العامة
	هاشم بن احمد الحلبي (377)	12 - اللحن الخفي
مطبوع	لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (380)	13 - لحن العوام
	لابي هلال العسكري (395)	14 - لحن الخاصة
مطبوع	عمر بن مكي الصقلي (501)	15 - تثقيف اللسان
مطبوع	لابي محمد القاسم بن علي الحريري (516)	16 - درة الفواص
مطبوع	لابي منصور الجواليقي (539)	17 - تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة
مصور	لابي الفرج عبد الرحمن الجوزي (597)	18 - تقويم اللسان
مصور	ابن هشام محمد بن احمد اللخمي (600)	19 - لحن العامة
مصور	محمد بن احمد بن جامع (727)	20 - ناظر انسان عين الماني
	لابن هاني محمد بن علي السبتي (733)	21 - لحن العامة
مخطوط	جلال الدين السيوطي (911)	22 - غلطات العوام
مطبوع	لابن كمال احمد بن سليمان (940)	23 - التنبيه على غلط الجاهل والتنبه
مطبوع	رضي الدين محمد بن ابراهيم الحنبلي (971)	24 - بحر العوام فيما اصاب فيه العوام
مصور	مصطفى بن محمد خسرو زاده (1000)	25 - غلطات العوام
مطبوع	محمد صديق بن حسن البخاري (1307)	26 - لف القمط لتصحيح ما استعملته العامة
مصور	(مجهول)	27 - اغلاط العوام والخواص
مصور	(مجهول)	28 - سقطات العوام
مطبوع	حسن توفيق العدل (1322)	29 - اصول الكلمات العامية
مطبوع	حسن علي البدرائي ()	30 - تهذيب العامي والمحرف

ملاحظات على مقاومة العلماء اللحن :

1 - بنظرة واحدة الى الجدول السابق الذي امكنني معرفة ما فيه من كتب لحن العوام - الموجود منها والمفقود - يتضح ان مقاومة العامة كان شديدا في القرن الثاني والثالث والرابع ثم بدأ يقل تدريجيا بعد ذلك ، ولهذا دلالة ، حيث قاوم العلماء بقوة مظاهر اللحن في الفترة التي كانت اللغة موردا للدراسة ، والصلة قريبة بين المادة التي اعتقدوا نقاوتها حين ترد من البادية ، وبين تنقية الفصحى المستخدمة في الحضرة قياسا عليها .

2 - كان من المفترض ان تعتمد التنقية على استقراء لاستعمال اللغة التي يعاصرها المؤلف والتي تستعمل بين الناس في عصره ، ولكن الذي حدث - فيما اطلعت عليه منها - لم يكن كذلك ، بل اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، فكانوا ينقون غالبا ما اورده من سبقوهم في كتبهم وعلى سبيل المثال اعتمد ابن قتيبة في « تقويم اللسان » على ابن السكيت في « اصلاح المنطق » واعتمد الزبيدي في « لحن العوام » على من سبقه من العلماء ، فكان يذكر اسماءهم دون كتبهم - واعتمد ابن الجوزي في « تقويم اللسان » على كتب من سبقوه ، وذكر في مقدمة الكتاب انه جمع فيه ما رآه مبددا في كتب من سبقوه ، وانتخب من ذلك ما تم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر ، ونقل السيوطي كتاب ابن الجوزي برمته ، ونسبه لنفسه تحت عنوان « غلطات العوام » .

3 - يلاحظ انه يقصد بالعوام والعامة فيما اطنمت عليه من تلك الكتب الناس العاديون بدليل النص احيانا على الخواص والخاصة ، ولكن الذي قصدوه بالتنقية هو اللغة الفصحى بعد ان أصبحت تستعمل في مستوى خاص ، وتسرب اليها « لحن العوام » فبقيت النسبة الى العوام ، وان كان المقصود بذلك ما حدث في اللغة الفصحى التي يستعملها الخاصة ، وبذلك نفهم قول الزبيدي (في مقدمة كتابه « لحن العوام » ص 8) « فهذا مما اسدته العامة عندنا ، فاحالوا لفظه او وضعوه غير موضعه ، وتابهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنتها

الشعراء اشعارهم ، واستعمله جلة الكتاب ومنية الخدمة في رسائلهم ، وللاشوا به في محافلهم ، فرأيت ان انبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه » .

وعلى ذلك فانه لا معنى للتكلف بتوجيه معنى (العامة) الى « عامة العلماء » كما حاول ذلك بعض الدارسين في العصر الحديث .

4 - تمنيت ان اجد في احد هذه الكتب حديثا من « اللحن » فكرة وموضوعا ، لكن لم تتحقق لي تلك الامنية في احدها ، اذ يتجه الحديث فيها مباشرة - بعد مقدمة قصيرة - الى ايراد الكلمات وبيان خطئها او صحتها اعتمادا على النقل في غالب الاحيان كما سبق ذلك .

5 - ومع نظرة الى هذه الجهود الطيبة المخلصة في الجدول السابق - والى غيرها مما لم امره - يتساءل المرء : هل نجحت كل هذه الجهود في حل قضية اللحن ، وايقاف تياره المتدفق ؟ تساؤل يتضح المقصود منه في الفقرة التالية ان شاء الله .

نظرة النحاة الى اللحن بين القواعد والاستعمال :

ان تحديد نظرة النحاة الى اللحن امر يسير لا يمر فيه ، فقد نظروا اليه من زاوية « الخطأ » واعتبروه انحرافا عن الطريقة الصحيحة التي ينبغي ان ياتي عليها النطق العربي السليم ، ولم يؤخذ في الاعتبار لديهم قوة الاستعمال وقهره ، وما يترتب على ذلك من تطور وتغير ، فان اللغة - شأنها شأن الظواهر الاجتماعية كلها - تتطور باستمرار في معانيها وبنيتها وتركيبها ولا تخضع طويلا للقواعد المنسقة والنظام الجميل ، لان اللغة نظامها الذي يفرضه استعمالها بين المتكلمين بها ، وعمل الباحث اللغوي ملاحقة التطور لا مصادره ، وملاحظته لا تجميده ، فان المصادرة والتجميد لا يمكن تحقيقهما بالنسبة للغة نفسها ، وان امكن ذلك بالنسبة لدراستها ومن يدرسونها .

ونظرة النحاة لما اسماه « اللحن » من زاوية « الخطأ » كان سندها « القواعد الحادة » التي وضعوها والزموا انفسهم بها ، وان لم يستطيعوا فرضها على الاستعمال المتطور باستمرار .

ويمكن توضيح ذلك وتأييده بالأمور الثلاثة الآتية :

- 1 - جهود النحاة فى مقاومة اللحن ودورانها حول القواعد .
- 2 - خضوع النحاة أنفسهم لسطوة اللحن مع أنهم حراس القواعد .
- 3 - التصاعد الذى قام - واستمر قائما - بين القواعد المصنوعة وواقع الاستعمال .

لقد ارتبطت بداية النحو بحدوث اللحن ، والروايات التى رويت عن ذلك كلها تقر هذه الفكرة صراحة أو تمثيلا بوصف صورة النطق الملعون فيه والذي كان الدافع المباشر لوضع القواعد، ويبدو ان هذه الصلة بين القواعد واللحن فى فترة البداية ظلت قائمة بعد ذلك مع تقدم الزمن ونضج الدراسة ، وهي صلة قوامها التنافر بين القواعد وما خرج من هذه القواعد من مظاهر اللحن ، على أن تكون القواعد - من وجهة نظر النحاة - هي الحكم فى هذه المظاهر ، أو بعبارة أخرى أن القواعد هي « الصواب » وأن ما لا يتفق معها من مظاهر الاستعمال هو « الخطأ » .

* قال ابن سلام : اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراً الناس يلحنون ، ووجوه الناس ، فوضع أبو الأسود باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر ، والرفع والنصب والجزم (1) .

* وروى القفطي عن أبي الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين علي - عليه السلام - فأخرج لي رقعة فيها (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لعنى) قال : فقلت : ما دعائك الى هذا ؟ قال : رأيت فسادا فى كلام بعض أهلي ، فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ ، فأخذ أبو الأسود النحو من علي - عليه السلام - ولم يظهره لاحد (2) ، ثم أظهره فيما بعد .

وينبغي التوقف فى فهم هاتين الروايتين عن نشأة النحو عند عبارتين فيهما هما (غلبت السليقة ولم تكن نحوية) و (رأيت فسادا فى كلام بعض أهلي فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ) فإن هاتين الروايتين تؤيدان ما نزعناه من طبيعة الصلة بين القواعد والسليقة غير النحوية التى يطلق عليها « اللحن » منذ البداية ، واتخاذ القواعد - منذ البداية أيضا - سلطة للتمييز بين « الصواب والخطأ » كما قال - عليه السلام - أن صحت نسبة الرواية الثانية .

وقد بقي هذا الفهم نفسه قائما على مدى الزمن ، إذ طبقة الدارسون ، وخضع له الناطقون بل ازداد مع تقدم الزمن قوة وثباتا ، وفى الوقت نفسه اطرء نمو طرفي القضية من « القواعد » و « السليقة غير النحوية » فزادت مؤلفات النحو تضخما ، وفى الجانب المقابل كان اللحن يزداد انتشارا ، وحين ألف سيبويه « كتابه » كان اللحن فى الحضر خطرا صرف العلماء عن لغته الى البادية .

كما أنه بالاطلاع على الكتب التى ألفت نصا فى مقاومة اللحن - مر جدول عرضها فى الفقرة السابقة - يتضح فيها هذا الفهم نفسه الذى يجعل القواعد مقياسا للصواب فيما رسم باللحن والخطأ من معاني الكلمات وبنيتها وتركيبها ، ويتبين ذلك فى طريقة العرض أو فى ذكر القواعد أحيانا لتصحيح الخطأ .

* قال الكسائي : وتقول : شكرت لك ونصحت لك ، ولا يقال : شكرتك ونصحتك وقد نصح فلان لفلان وشكر له ، هذا كلام العرب (3) .

* وقال ابن السكيت : باب ما جاء على (فعلت) بالفتح مما تكسره العامة أو تضمه يقال (ما عسيت أن أصنع) قال الله جل ذكره (فهل عسيتم أن توليتم) ولا ينطق منها باستقبال (4) .

* وقال الحريري : يقولون : (انضاف الشيء اليه وانفسد الأمر عليه) وكلا اللغتين ليستا من كلام

- (1) طبقات فحول الشعراء ص 12 .
- (2) انباه السرواه ج 1 ص 5 .
- (3) ما تلحن فيه العامة ص 25 .
- (4) اصلاح النطق ص 188 .

العرب ، وإنما يقال (اضيف الشيء اليه وفسد الامر عليه) فلا يأتي منهما ذلك (1) .

فهذه نماذج يتبين منها كيفية الطريقة التي سلكها العلماء في جهودهم لمقاومة اللحن ، وإذا كان الكسائي يصحح الخطأ قائلا (هذا كلام العرب) فابن السكيت والحريري يذكران « القواعد » مقاييس التصويب للاستعمال الموسوم بالخطا واللحن ، فقامدة ابن السكيت في المثال السابق هي « ما جاء على فعلت بالفتح مما تكسره العامة او تضمه » وقامدة الحريري « المطاوعة تأتي من الثلاثي المتعدي ، اما الثلاثي اللازم فلا يأتي منه ذلك .

هذا هو طابع الجهد الذي بذل في مقاومة اللحن ، يلخصه انه « التمسك بالقواعد اساسا للتصويب ، وإيراد ما لا يوافق من مادة اللغة للحكم عليه بالتخطئة »

اما الامر الثاني الذي يدل على سطوة القواعد على اذهان الدارسين بمقدار ما يدل على سطوة الاستعمال على السنة المتكلمين فيمثل تلك المفارقة الطريفة من افراد من علماء النحاة نسب الى بعضهم انه كان يتقعر ويغرب في حديثه على الناس حتى لا يكاد يفهم ، ونسب الى البعض الآخر انه كان يلحن في كلامه ، وربما اعترف احيانا بوقوع ذلك منه ، ولم يعتبره شيئا يفض من شأنه .

وعلى الرغم من ان هذين المظهرين يمثلان طرفين متباينين في الكلام فان النظرة المدققة تكشف انهما يصدران من ظرف لغوي واحد هو « سطوة الاستعمال » الذي وصفه ابن سلام بقوله « غلبت السليقة ، ولم تكن نحوية » فقد دلح ذلك بعض النحاة التي التظاهر احيانا من التمكن من تلك السليقة النحوية : فأهربوا في حديثهم ولغموه ، واستسلم آخرون للاستعمال اللغوي الشائع ، فغضموه له معترفين بأنه الواقع وان خالف قوانين النحو وقواعد الاعراب .

ومن النحاة الاول الذين روي عنهم التقصير والاعراب عيسى بن عمر الثقفي (ت 149) الذي روي عنه ذلك في كتب الطبقات التي ترجمت له ، ومن ذلك هذا الموقف الطريف الذي كان يضرب فيه بالسياط لوديعه اضعافا وهو يصيح قائلا : « والله

ما كان الا ايبا في اسياط قبضها عشارولا (2) » وروي ذلك ايضا عن ابي علقمة النحوي الذي ساق السيوطي منه المشهد الطريف التالي :

* مر ابو علقمة يوما على عبد حبشي وصقلي ، فاذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الارض فادخل ركبته في بطنه ، واصابعه في عينيه ، وعض اذنيه ، وضربه بمعا فشجه ، واسال دمه ، فقال الصقلي لابي علقمة : اشهد لي ، فمضوا الى الامير : فقال له الامير : بم تشهد ؟ فقال : اصلح الله الامير ، بينا انا اسير على كودني ، اذ مررت بهذين العبدين ، فرأيت الاسحم قد مال على هذا ، لا يقع ، فخطاه على فدفد ، ثم ضغطه برضغتيه في احشائه ، حتى ظننت انه تلعج جوفه ، وجعل يلج بشنائه في جحمتيه يكاد يفتقهما ، وقبض على صناريه ببيرمه ، وكاد يحدهما ، ثم علاه بمنسأة كانت معه ، فمجنفه بها ، وهذا اثر الجريان عليه بينا .

فقال الامير : والله ما فهمت مما قلت شيئا .

فقال ابو علقمة : قد فهمناك ان فهمت ، واعلمناك ان علمت ، وأدبت اليك ما علمت وما اقدر ان اتكلم الفارسية .

فجهد الامير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ، ثم كشف الامير راسه ، وقال للصقلي : شجني خمسا ، واعفني من شهادة هذا (3) .

وقد يشير هذا المشهد ابتسامة الشفقة على ابي علقمة الذي يحمل نفسه هذا الجهد الثقيل من التقعر والاعراب ، امام الامير الذي يعاصره ولكنه لا يستطيع فهم كلامه ، لانه يمثل الاستعمال العادي للكلام ، ومع ذلك فان لابي علقمة من ظروفه الخاصة ومن ظروف عصره ما يقدم له المصدر في طريقته الفريية ، فهو نحوي قام في نفسه ان الكلام العادي داخله الفساد ، ومن حقه ان يستعمل طريقة توالق لغة النحو التي يستنبط منها قواعد .

اما لحن علماء النحو في حياتهم العادية واعترافهم بذلك ، فهو مظهر مهم ، اذ ان في هذا الاعتراف نفسه دلالة على سطوة الاستعمال حتى

(1) درة الفواص ص 22 .

(2) معجم الادباء ج 16 ص 149 .

(3) بنية الوعاة ج 2 ص 139 .

على النحاة الذين يناصرون القواعد ، ويفرضون سلطانها على الاستعمال اللغوي .

* اورد الاصفهانى ان مروان بن ابى حفصه وجه كلامه لحماة الرواية فى حضرة الوليد بن يزيد فقال : ما كلام هذا فى مجلس امير المؤمنين وهو لحانة !! فتهاوت الشيخ ، ثم قال : يا ابن اخي ، انا رجل اكلم العامة ، واتكلم بكلامها (1) .

* ودخل الفراء يوما على الرشيد : فتكلم بكلم لحن فيه : فقال له جعفر بن يحيى : يا امير المؤمنين انه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء : اتلحن يا يحيى !! فقال : يا امير المؤمنين ، ان طباع اهل البدو الاعراب وطباع اهل الحضرة اللحن ، فاذا حفظت او كتبت لم اللحن ، واذا رجعت الى الطبع لحننت ، فاستحسن الرشيد كلامه (2) .

* وقال ابو الطيب اللغوي : كان على المدني لا يغير الحديث وان كان لحنًا ، الا ان يكون من لفظ النبي (ص) فكانه يجوز اللحن على من سواه (3) .

فهذه المواقف المتناثرة - على قلتها - قد اعترف فيها بعض النحاة على انفسهم باللحن وانهم يخضعون له جريا على استعمال بقية الناس ، لكنهم فى مجال الدراسة ، لم يأخذوا ذلك فى الاعتبار ، بل حكموا القواعد فى ذلك ، وحكموا على مظاهر اللحن بالخطا

اما الامر الثالث والاخير - فيما نحن بصدده - فهو التصدع بين القواعد المصنوعة واستعمال اللفظ : وهذا امر حدث مبكرا ، ونقلنا اليها بعض نماذج فى المشاحنات التى كانت تحدث بين العلماء والشعراء ، ومن ذلك ما حدث بين ابى اسحاق والفردق وبين الاخفش وشار وبين ابن خالويه والمتنبى - ونماذجه اشهر من ان تذكر - وفى هذه المواقف - على قلتها - يتمثل ايضا الصراع بين القواعد فى يد النحاة والاستعمال اللغوي الذى لا يخضع لتلك القواعد .

واذا كانت تلك المواقف القليلة تمثل هذه الظاهرة فقط ، فان واقع الامر اخطر من ذلك واكثر ، اذ ان مظهر الصراع بين القواعد التى استمسك بها النحاة والاستعمال اللغوي الذى لا يتوافق مع تلك القواعد - على الاقل منذ القرن الثانى الهجري - ترتب عليه

اتساع الهوة دائما بين طرفي القضية ، فعانى النحاة من ذلك قديما ، وما زالت هذه المعاناة قائمة حتى اليوم .

اخيرا :

يتضح من عرض الامور الثلاثة السابقة لموقف النحاة مما اطلق عليه « اللحن » تايد ما افتتحت به هذه الفقرة من رؤياهم له من زاوية « الخطا » وان الذى وجه هذه الرؤية هو مقياس (القواعد لا الاستعمال) وضع ذلك فى جهودهم اللغوية ، وبعض مواقف حياتهم الشخصية ، وفى هذا الفراق والخصومة القائمة بين كلا الامرين القواعد والاستعمال .

تلك وجهة نظرهم ، اما مدى توفيقهم فيها ، فله حديث آخر فى القسم الاخير من هذا البحث ان شاء الله .

— * —

« التصحيف والتحريف »

معنى التصحيف والتحريف وعلاقتها باختلاف المعنى والبنية والاعراب :

« التصحيف والتحريف » لفظتان بينهما صلة حميمة ، وقد جمعهما العلماء احيانا عنوانا لمؤلف واحد ، كما فعل ابو احمد العسكري فى مؤلفه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » وكما فعل من بعده الصفدي فى كتابه الموسوعي « تصحيح التصحيف وتحرير التحريف » وقد شرح « التهانوي » فى « كشاف اصطلاحات الفنون » المقصود منهما فى مكان واحد .

وتعود الصلة بين اللفظتين - مع التجاوز هنا فيهما من جنبات لفظي - الى ان مجال البحث فيهما - كما فهمه المتقدمون من العلماء - واحد ، وهو البحث من الخطا الذى يحدث فى نطق الكلمة العربية نتيجة الخطا الاملائي فى قراءة الحروف المكتوبة ، سواء اكان الخطا فى نطق الحروف او شكلها او تبادلها الامكنة .

فالتصحيف والتحريف مظهران للخطا فى قراءة الخط المكتوب ، ويترتب على ذلك نطق كلمة جديدة

(1) الاغانى ج 14 ص 110 .

(2) صبح الامشى ج 1 ص 173 .

(3) مراتب النحويين ص 6 .

قد تكون صحيحة لغة ومعنى ، لكنها غير الكلمة التي قصدنا صاحبها حين نطق بكلامه ، أو نطق كلمة ذات بنية محرفة في صيغتها ، ويرجع انحرافها الى التغيير في حروفها أو الشكل الداخلي لها ، بل ان مؤلفات « التصحيف والتحريف » قد ورد فيها أحيانا أمثلة - وان كانت قليلة - لاختلاف اعرابية تعود ايضا الى الخطأ في الكتابة أو التوسع في فهم ما يطلق عليه « التحريف » بما يشمل ما يطلق عليه اسم « اللحن » ويتضح هذا المظهر الأخير في كتاب الصفدي (ت 764) « تصحيح التصحيف وتحريف التحريف » إذ أورد كثيرا من أمثلة « اللحن » في كتابه ، ويؤيد هذا نصا ما أوردته في بداية كتابه من أنه نقله من السابقين عليه ، وقال « لم يكن لي في هذا غير التهذيب وحسن الرصف في التنبؤ إلا ما يتخلل أثناء ذلك من تفسير وتقييد وتقرير وتهديد » وقد عدد ما اعتمد عليه من كتب السابقين ، وكان منها ما هو نص في « لحن العوام » مثل « ما لحن فيه العامة » للزبيدي ، و « تثقيف اللسان » لابن مكى و « درة الفواص » للحريري ، و « تقويم اللسان » لابن الجوزي الخ . . فما صنعه الصفدي يحتمل امرين ، الرغبة في تضخيم كتابه فأورد فيه ما يتعلق « باللحن » ايضا وان لم يكن من « التصحيف والتحريف » أو التوسع في فهم المقصود « بالتحريف » بما يشمل اللحن ايضا ، وسواء اكان هذا أو ذاك ، فان ما يهم في هذا الموضع ان الصفدي قد أورد في كتابه كثيرا من أمثلة « اللحن » وان غيره من سابقيه قد ورد ذلك منهم على قسوة .

لكن « ليس معنى ما تقدم إن كل واحدة من اللفظتين « التصحيف والتحريف » لم تكن تستخدم إلا ومعها الأخرى ملازمة لها ، فان لفظة « التصحيف » استخدمت وحدها كثيرا في مواقف الخطأ في القراءة

التي رويت أمثلتها من علماء القرن الثاني الهجري مما نقلته ابننا كتب الأدب العامة أو الكتب المؤلفة نصا في موضوع « التصحيف والتحريف » فيما بعد ، وقد جاءتنا هناوين تلك المؤلفات مقتصرزة على تلك اللفظة وحدها وأقدمها - فيما اعلم - ما صحف فيه الكوفيون لنصولي (ت 335) و « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزة بن الحسن الإصبهاني (ت 360) ويبدو ان كلمة « التصحيف » استخدمت وحدها أولا في وصف خطأ القراءة لما هو مكتوب ، ثم انضمت اليها فيما بعد كلمة « التحريف » مع تداخل المقصود منهما أو تخصيص كل واحدة منهما بنوع من خطأ القراءة كما سيتبين بتفصيل فيما بعد .

هذه مقدمة عامة عن لفظتي « التصحيف والتحريف » من حيث الصلة بين معنييهما واستخدام العلماء لهما ، لندرج من ذلك الى بيان الأمور الآتية من هذين المظهرين من مظاهر الخطأ في اللغة من وجهة نظر علمائنا الأقدمين :

1 - التحديد النظري لمعنى « التصحيف والتحريف » .

2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .

3 - علاقة مظاهر الخطأ التي تربت على ذلك في المعنى والبنية والأعراب والبحث في اللغة مع أنها تعود أصلا الى رسم الكتابة .

قبل سوق ما ذكره العلماء من معنى « التصحيف والتحريف » ينبغي أولا معرفة أنواع التغيير التي يمكن ان تحدث في قراءة الكتابة العربية ، ويترتب عليها رواية خاطئة ، وهي أربعة يوضحها للجدول الآتي :

تغيير في الحروف		تغيير في الحركات		تغيير في النطق	
تغييرها	الكلمة	تغييرها	الكلمة	مقابلها	الكلمة
لو قرأ قاريء في المصحف (إن الله يغيره)	المباي	جمهور	جمهور	النوم	الثوم
يغيره	يغبان	دمشق	دمشق	الفصل	العسل
المشركين ورسوله	رجل	عفريت	عفريت	رجل	رحل
يغيره	من الله من	رصاص	رصاص	غم	عم
(رسول الله)	وغيره	قنديل	قنديل	القاضية	القاصية
يغيره	سراينة				

وهذه النماذج السابقة قد ورد لها مواقف ونصوص تؤيدها ليس هنا مجال ذكرها ، فان القصد من ذكرها هنا ايضاح انواع التغير تمهيدا لايراد آراء العلماء من التصحيف والتحريف .

✽ قال حمزة الاصفهاني : اجاب اهل المعاني في معاني التصحيف فقالوا : ان يقرأ الشيء بخلاف ما اراده كاتبه ، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته ، واما لفظ (التصحيف) فان اصله ، - فيما زعموا - ان قوما كانوا اخذوا العلم عن الصحف من غير ان يلقوا فيه العلماء ، فكان يقع فيما يروونه التغير ، فيقال عندها : قد صحفوا فيه ، اي : روه عن الصحف ، ومصدره (التصحيف) مفعوله (مصحف) فاما (المصحف) فمأخوذ من (اصحف اصحافا) واصله ان الصحف جمعت فيه ، فقليل : قد اصحف - ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز (1) .

✽ قال ابو احمد العسكري : فاما معنى قولهم (الصحفي والتصحيف) فقد قال الخليل : ان الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشباه الحروف . (2)

✽ قال المراكشي : المخالفة في الحديث ان كانت بتغيير حرف او حروف مع بقاء صور الخط ، فان كان ذلك بالنسبة للنقط فالمصحف ، وان كان بالنسبة للشكل فالمحرف . . واما اللحن فلما يرجع للاعراب (3)

✽ قال التهانوي : قالوا : مخالفة الراوي للثقات ان كانت بتغيير الحروف او الحروف مع بقاء صورة الخط في السياق ، فان كل ذلك بالنسبة الى النقط يسمى ذلك الحديث (مصحفا) وان كان بالنسبة الى الشكل والاعراب سمي (محرفا) - وابن الصلاح وغيره سمي القسمين (محرفا) . (4)

ومن هذه الروايات الاربعة لا يخرج المرء بتحديد حاسم موحد للمقصود بكل من التصحيف والتحريف ،

ولا يخرج كذلك بتحديد حاسم لما يشملته التصحيف والتحريف من انواع التغير السابقة اذ ان الذي يفهم من حديث الاصفهاني والمسكري من (التصحيف) انه كما قال اولهما نصا « ولو سمي التصحيف تغييرا او تبديلا جاز » فهو اذا مطلق تغيير او تبديل في قراءة الشيء على غير ما اراده كاتبه - كما عرفه الاصفهاني - او رواية الخطأ على قراءة الصحف باشباه الحروف - كما عرفه العسكري رواية من الخليل - سواء اكان ذلك في النقط او الشكل او الحروف .

لكن المراكشي يفرق فيما تناوله من التغير الذي يحدث للحديث بين التصحيف والتحريف ، بان اولهما يكون في تغيير النقط فقط ، واما ثانيهما فيكون في الشكل ، ويتوقف عند هذا الحد ويزيد عليه التهانوي ان التحريف يكون في الشكل والاعراب ايضا ، وان بعض العلماء يسمي كل ما يحدث له تغيير « محرفا » .

والحقيقة ان المطلع على نماذج التصحيف والتحريف في مصادرها يلاحظ ان الامثلة التي ترد عن ذلك تنوع التغير فيها دون ان ينص على ان هذا تصحيف وذلك تحريف وان منها ما يتعلق بتغيير النقط او الشكل او الحروف واحيانا الاعراب .

ومن كل ذلك نستخلص الاسور التالية دون تحديد حاسم :

اولا : ان كلا من التصحيف والتحريف يطلقان على رواية الخطأ الناتج عن قراءة الرسم العربي ويدلان على مطلق التغير والتبديل فيما يتعلق بذلك .

ثانيا : يكاد يكون من المتفق عليه ان التغير الذي يحدث في النقط والشكل والحروف املايا يندرج تحت « التصحيف والتحريف » اما التغير في الشكل الاعرابي فالظاهر انه خارج عن هذا الموضوع ، فنماذجه قليلة في كتب المتقدمين الخاصة بالتصحيف والتحريف وان اكثر الصفدي - وهو متأخر - من

- (1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 36
- (2) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 13
- (3) منح الفهيت في جواز اللحن في الحديث ص 5
- (4) كشف اصطلاحات الفنون ج 3 ص 836 .

هذه النماذج في كتابه « تحرير التحريف » لأنه اعتمد فيه على كتب لحن العوام ، ونقل منها ما ضخم به كتابه .

ثالثا : ان كلمة « التصحيف » في هذا النوع من الخطا ذات شهرة تفوق في ذلك كلمة « التحريف » وربما كان ذلك لقرب دلالتها على هذا النوع وارتباطها بسببه الذي هو القراءة من الصحف .

رابعا : الفرق بين « التصحيف والتحريف » و « اللحن » ان النوع الاول يتعلق بالخطا المترتب على قراءة الخط ، اما الثاني فنمشره خطا النطق لعدم اجادة اللغة .

لكن ما هو السبب او الاسباب التي جعلت هذه الظاهرة تحدث في رواية اللغة ؟ !

والاجابة على ذلك بمباراة مختصرة هي « يرجع السبب الاساسي في ذلك الى الخط العربي وقابليته للتصحيف » ذلك ان حروفه متشابهة يميز بينها النقط التي توضع فوقها أو تحتها كما ان التمييز بين صيغ الكلمات يعتمد على الحركات التي اعتبرت تابعة للحروف ، ولم تعتبر في الرسم العربي حروفا مستقلة ، بل رسمت أولا نقطا فوق الحروف وتحتها وبين يديها ولما حدث الإعجام - وهو نقط كذلك - ومع تقدم الزمن ، أحدث الخليل بن أحمد رسما أبعاضا للحروف ، كما هي الصورة المستعملة حتى اليوم .

فالخط العربي في البداية لم يكن منقوطة ولا مشكولا ، كما حدث ذلك في المصاحف الخمسة التي كتبها عثمان للأمصار ، واستمر الناس يقرؤون فيها - على هذه الصفة - ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، وفي عهد عبد الملك بن مروان - حين كثر الخطا والتغيير - وضع نصر بن عاصم - فيما يقال - النقط على الحروف للدلالة على ما سمي فيما بعد « بالشكل » ثم كان الإعجام الذي يميز بين الحروف المتشابهة كالجيم والحاء مثلا ، وكانت نقط الشكل تباين في شكل المداد نقط الإعجام ، واستمر الامر كذلك على ما فيه من مشقة - الى أن أحدث الخليل - فيما يقال - الشكل الذي يرسم على هيئة أبعاض الحروف فأراح الناس بذلك من مشقة الكتابة بنوعين من النقط .

فطريقة الرسم العربي في تشبيه حروفه وتمييزها بالنقط وضبط نطقها بحركات - لم يكن لها رسم خاص بها مطلقا ، ثم رسمت منفصلة وتابعة

للحروف العربية - يعود اليها المسؤولية الاولى من ظاهرة « التصحيف والتجريف » .

ومع ذلك فقد هاون على اشاعة هذه الظاهرة وخطرها « النساخ » الذين يسمون « بالوراثين » اولئك الذين تنحصر جهودهم في احترام الوراقة لنسخ الكتب العلمية وبيعها للناس ، ولم يكن النساخ والوراقون غالبا على علم باللغة ، حتى يتمكنوا من التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة أو حركة أو تغيير أحد الحروف ، وحينئذ يحدث الخلط بين ذلك في الكتابة ، وهذا نفسه معنى التصحيف والتجريف .

ويشارك في هذه المسؤولية أيضا - على قلة - علماء اللغة أنفسهم ، فان أحدهم قد يفهم الكلمة فهما خاما يسوغه السياق له ، أو يسوغه هو لنفسه ، ثم يقرؤها ويرونها كما فهم وان لم يتفق ذلك الفهم مع أصلها وما قصده منها صاحبها ، ويترتب على ذلك أيضا حدوث التصحيف ، ومما يؤيد ذلك عنابة مؤلفات « التصحيف والتجريف » بإيراد تصحيقات العلماء في قسم خاص بهم ، بل ان بعض هذه المؤلفات يفرق بين البصريين والكوفيين في ذلك ، فيذكر أشهر العلماء من الفريقين مع ذكر نماذج من تصحيقات كل واحد منهم ، وأول اثر في هذا الموضوع - فيما أعلم - هو كتاب الصولي ، وفنونه « ما صحف فيه الكوفيون » وقد أورد حمزة الاصفهاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » قسما خاصا للعلماء سماه « تصحيقات العلماء في شعر القدماء من 68 وما بعدها » وعدد من علماء المصريين خمسة وعشرين عالما ، فأورد نماذج من تصحيقاتهم ، وفعل مثل ذلك أبو أحمد العسكري ، فجعل قسما خاصا لـ (ما وهم فيه علماء البصريين) وقسما آخر من « ما وهم فيه علماء الكوفيين » .

فهذه الامور الثلاثة السابقة - الرسم العربي والنساخ وهم العلماء - يعود اليها مجتمعة مسئولية « التصحيف والتجريف » وان كان الرسم الكتابي اعظمها مسئولية في ذلك .

✽ قال حمزة الاصفهاني : الذي ابدع صور حروف كتابة العرب لم يضعها على حكمة ، ولا احتياط لمن يجيء بعده وذلك انه وضع لخمسة احرف صورة واحدة ، وهي (الباء والتاء والشاء والياء والنون) وكان

كتابخانه و مركز اعجازى
مخبره واداره المعارف اسلامي

وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مبانسة
للاخرى حتى يؤمن عليه التبديل (1) .

* وقال الجاحظ من تحريف النساخ : لربما
اراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحا او كلمة ساقطة
فيكون انشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف
المعاني يسر عليه من اتمام ذلك ذلك النقص ، حتى
يرده الى موضعه من اتصال الكلام ثم يصير هذا
الكتاب بعد ذلك نسخة لانسان آخر فيفسر فيه الوراق
الثاني سيرة الوراق الاول ، ولا يزال الكتاب تتناوله
الايدي الجانية والامراض المفسدة حتى يصير غاطا
صرفا وكذبا مصمتا (2) .

* وقال ابو احمد العسكري : فلاحتراس من
التصحيف لا يدرك الا بعام غزير ورواية كثيرة وفهم
كبير وبمعرفة مقدمات الكلام وما يصلح أن يأتي بعدها
مما يشاكلها ، وما يستحيل مضامته لها ومقارنته بها ،
ويمتنع من وقوعه بعدها ، وتميز هذا مستعصب
عسير (3) .

فهذه النصوص الثلاثة متجمعة تحتوي على
العوامل التي يحدث بها التصحيف والخطأ في رواية
اللغة بناء على ذلك ، وأخطرها ما ذكره الاصمغاني من
« اتخاذ الصورة الواحدة في الكتابة للدلالة على
الحروف المتعددة » وهذا - في فهمي - نموذج للتشابه
بين الحروف في الصورة .

يترتب عليه التفسير والتبديل الذي هو معنى
التصحيف والتحريف بصورة عامة تشمل هذا النموذج
وغيره من مظاهر التفسير في الكتابة .

والجاحظ يصور بمرارة واسف ما يحدث
لنصوص والمؤلفات من جنابة وفساد بسبب تداولها
بين النساخ - ومن ذلك التحريف طبعا - وما يعانيه
المؤلف - ومثله المحقق - من مشقة اذا اراد اصلاح
ما فسد او اكمل ما نقص .

و ضمانات الاحتراس من التصحيف تلخص
- من النص الاخير - في كثرة الرواية وسعة الفهم
واليقظة لسياق الكلام اوله وآخره ، وكل ذلك - كما

(1) التنبيه على حدوث التصحيف ص 36 .

(2) انظر : العيوان ج 1 ص 79 .

(3) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 2 .

قال العسكري - مستعصب عسر حتى على العلماء ،
ولا غرابة اذن في حدوث التصحيف منهم .

اما الفكرة الثالثة والاخيرة في هذه الفقرة فهي
بيان الصلة بين خطأ التصحيف والتحريف - الذي
يرجع في نشأته اساسا الى الرسم الكتابي - والبحث
في اللفظة .

ان الذي يرد على الذهن لاول وهلة ان هذا النوع
من الخطأ يتعلق بالرسم الاملائي وقصور الكتابة
العربية ، ويشفي بحثه في هذا النطاق ، ولا شأن لذلك
بدراسة اللغة التي تنجه أصلا الى النطق لا الكتابة ،
ويتفرع على ذلك ان الخطأ الذي يوجه باحث اللغة اليه
اهتمامه هو خطأ اللغة حين تنطق ، اما الخطأ الذي
يعود للكتابة ، فيتكفل به ما سماه ابن قتيبة في كتابه
« ادب الكاتب » تقويم اليد .

ذلك امتراض وارد ، وفيه كثير من الحق ، فان
قضية التصحيف والتحريف تعود الى الرسم العربي
قبل أي شيء آخر ، ولو كان الامر مقتصر على ذلك
ما كان لها مكان في البحث عن الصواب والخطأ في
اللغة ، لكن خطأ الكتابة لم يقتصر عليها ، بل تعدى
ذلك الى اللغة المنطوقة ، وبدا ذلك في مظهرين :

الاول : ان رواية اللغة مشافهة كان لها صلة
قوية بالكتابة .

الثاني : ان قراءة الكتابة - وهي نطق - حملت
اخطاء التصحيف والتحريف في معاني الكلمات وبنياتها،
بل ومخالفة قواعد النحو أحيانا .

ان رواية اللغة بطريقة علمية منظمة بدأت نشاطها
في القرن الثاني الهجري ، وأول الرواة العلماء - فيما
هو مشهور - أبو عمرو بن العلاء (ت 154) وخماد
الرواية (ت 155) ، وقد عاصروهم وجاء بعدهم رواية
اللغة الذين يعود الفضل الى جهودهم الرائدة في جمع
التراث اللغوي القديم كله ، ومن المعروف ان هؤلاء
العلماء الرواة لم يقتصروا في رواية اللغة على ما
عاصروهم فقط ، بل رووا الكثير من المصنوع التي
سبقتهم في الجاهلية والاسلام مما لم يعاصروه ، ولم
يسموا قائله ، وقد وصلهم ذلك من طرق متنوعة كان

اهمها - كما قرر ذلك الباحثون في العصر الحديث (1) - ما كان مدونا بالرسم الكتابي وما دأبت الكتابة لنصوص اللغة كالت مصدرا للرواية الشفهية التي تظاهر بها العلماء ، فقد انعكس خطأ التصحيف والتحريف بدآة على تلك الرواية الشفهية نطقا وقد اورد حمزة ابن الحسن الاصبغاني في كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » عبارة منطقية عن ارسطو تقول « كل كتابة تتشابه صور حروفها ، فهي على شرف تولد السهو والغلط والخطأ فيها ، لان ما في الخط دليل على ما في القول ، وما في القول دليل على ما في الفكر وما في الفكر دليل على ما في ذوات الاشياء » (2) ويصح فهم معنى هذه العبارة بطريقة اخرى بان نقول : ان ما في ذوات الاشياء ينعكس على الفكر ، وما في الفكر يعبر عنه القول والخط يثبت التعبير بالقول ويحافظ عليه ، ويمكن الرجوع اليه حين ارادة النطق به مرة ثانية ، فاذا احتمل الخط الغلط والخطا والوهم ، ظهر ذلك في النطق .

ويؤيد هذا الفهم النظري السابق ما حدث فعلا في كتب التصحيف والتحريف ، اذ ان وصفها لتحريف العلماء وتصحيقاتهم فيما اوردته من مواقف وامثلة جاء صريح الدلالة على ان ذلك قد حدث نطقا لا كتابة ، وسماها لا رسما .

ومما ساقه حمزة الاصبغاني عن العلماء المصحفين نصا قوله :

✽ ابو عبيدة : روى بيت امرئ القيس :

تجاوزت احراسا واهوال معشر

على حراس لو يسرون مقتلى

اي : اظهروا ، والصواب في رواية الاصمعي

(لو يسرون مقتلى) ومعناها : يظهرون .

✽ ابو زيد : حكى ابن دريد عن ابن حاتم قال :

انشدت الاصمعي

(جايا ترى بلبه مسجعا)

فقال : صحفت ، وانما هو (ترى قليلة مسجعا) ثم قال : من انشدك ؟ قلت : اعلم الناس فتغافل عني - وانما عني ابو حاتم ابا زيد .

✽ اللحياني : املى اللحياني (منقل استمان بدقنه) فقام اليه ابن السكيت - وهو حدث - فقال يا ابا الحسن ، انما تقول العرب (منقل استمان بدقته) لان البعير اذا رام النهوض استمان بجنبه ، فقطع الاملاء . (3)

فالرواية والانشاد والاملاء كلها من صفات المشافهة لا من صفات الكتابة ، مما يدل على ما نحن بصدده من ان التصحيف والتحريف وان كان منشأهما الرسم والكتابة ، فقد حمل خطأهما نطق اللغة وروايتها

ولقد سبق ان مظاهر التصحيف والتحريف تكون في تبادل الحروف المتميزة بالنقط ، او الشكل الذي يحدد نطق هذه الحروف ، ويفرق بين الصيغ ، او وضع حرف مكان آخر واحلاله محله مما يفسر نطق الكلمة ، وينتج من ذلك احيانا مخالفة بعض الظواهر النحوية وان كان ذلك قليلا .

والذي يترتب على تبادل الحروف المتميزة بالنقط في التصحيف حدوث كلمات جديدة ذات معنى مخالف لما اراده منتج النص اصلا ، وقد تكون الكلمات المجددة من التصحيف لا معنى لها على الاطلاق ، وانما هي هراء لغوي لا يفيد شيئا .

اما تغيير شكل الحروف فيترتب عليه في النطق امثلة جديدة تتدرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه قولا ، وقد تخرج عن صيغ الصرف ومقتضيات اللغة اصلا ، فيحكم عليها بالخطا ، والاول من هذين النوعين انحراف في المعنى ، والثاني انحراف لغوي في بنية الكلمات .

وتغيير الحروف غير المميزة بالنقط يترتب عليه ايضا كلمات جديدة ذات معنى مغاير لما قصده منها صاحبها الاصلي ، او كلمات مجرولة البنية يحكم عليها ايضا بالخطا .

(1) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ، فقد تفصل البحث كله بانها طرق نقل اللغة الى العلماء ومنها الكتابة . وساق لذلك ادلة مقنعة .

(2) التنبيه على حدوث التصحيف ص 37 .

(3) انظر : السابق ص 69 و 77 و 93 على التوالي .

ففي النموذج الاول ترتب على تغيير نقط الحروف وجود كلمتين هما (تعتر) و (تمنز) تنازع حولهما الشيباني والاصمعي ، وكلاهما صحيح لغة ومعنى .

اما النموذج الثاني فان تغيير نقط حروف الكلمات فيه انتج كلمات لا معنى لها حتى ظنها الجاحظ كلاما « بالمرائية » وقدم للمعلم بسببها النصح الآخر قائلا « ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد .

ثانيا : التغيير في شكل الحروف :

* قال خلف الاحمر : انشد المفضل للمخبل :

واذا لم خيالها طرقت

هيني ، فماء شئونها سجم

فقلت : انما هو (طرقت) فلج ساعة ، ثم رجع منه (3) .

* قال ابو احمد العسكري : ومما يقع فيه التصحيف حتى شك في ذلك بعض العلماء ، فجعل له تفسيرا آخر - روى أن النبي (ص) اتاه الملكان ، فشقا بطنه ، ثم قال احدهما (ايتني بالسكينة) فرواه بعضهم (ايتني بالسكينة) بكسر السين على انها مؤنث (سكين) وانما هي (السكينة) بفتح السين والكفاف غير المشددة .

قال : وقد فسره ابن الانباري على انه لغة في (السكين) واكثر اهل اللغة لا يعرفون ادخال الهاء فيها ، وهذا ذهاب من الصواب (4) .

ففي النموذج الاول غيرت (طرقت) الى (طرقت) فوجدت كلمة جديدة ، وكل منهما تختلف عن الاولى في الصيغة الصرفية ، علاوة على ما غير من النقط فيها ، وكل منهما صحيحة من حيث الصيغة والمعنى .

اما الثاني فان التصحيف بتغيير الحركات انتج كلمة ليست من اللغة ، وحكم عليها العسكري بانها « ذهاب من الصواب » .

واما ما يترتب على التصحيف والتحريف من خطأ النحو ، فيبدو اذا حدث التغيير في شكل آخر الكلمة او استخدام اداة في تركيب لغوي لا يطلبها المعنى النحوي له ، وهذا الصنف وان كان قليلا الا انه يمثل جانبا يستحق الدراسة والاهتمام .

واليك نماذج قليلة تمثل الاصناف السابقة واحتمالاتها :

اولا : التغيير في الحروف المميزة بالنقط :

* عن ابي عمرو الشيباني قال : كنا بالرقعة فانشد الاصمعي :

عننا باطلا وظلما كما تمنز من حجرة الربيض الطباء

فقلت له : انما هي (تعتر) من العتيرة . والمنز : الدبح ، فقال الاصمعي (تمنز) اي : تطمن بالعترة ، وهي الحربة ، وجعل يصيح ويشغب ، فقلت : تكلم كلام النمل واصب ، والله لو نفخت في شبور يهودي ، وصحت الى التناد ، ما نفعتك شيء ، ولا كانت الا (تعتر) (1) .

* ومن الجاحظ قال : مررت بمعلم وهو بلقن صيبا :

يا ابا الفباش جنسى

اخرج الفتيان غشا

لبش في الارض ايباس

شربوا املج مشا

فقلت : بالمرائية هذا ؟ قال : لا ، هو بالعربية ، فلما تأملته اذا هو مكتوب :

يا ابا المباس حبسى

اخرج الفتيان مشا

ليس في الارض اناس

شربوا املج مشا

فقلت : ايها المعلم ، انك ضائع بهذا البلد ، قال : نعم ، قدور ومرزايق (2) .

(1) المزهج ج 2 ص 359 - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص 93 مع اختلاف يسير .

(2) محاضرات الادباء ج 1 ص 63 .

(3) التنبيه على حدوث التصحيف ص 78 .

(4) تصحيف المحدثين ص 126 .

ثالثا : التغيير في الحروف غير المنقوطة :

* روى الاصمعي بيت « أوس بن حجر »

اجون تدارك ناقتي بقرالها
واكبر ظني ان جونا سيفعل

قال ابن الاثيري : صحف الدمى ، انما هو
(تدارك ناقتي بقرالها) اي : ما دمت اطمع فيها (1).

* ورد في كتاب « دليل لغة العرب » الكلمات
الآية والتعليق عليها .

الماس - الماذ تحريف

ببخان - ببخلان تحريف (2)

وفي النموذج الاول واضح الفرق بين (قرى لها)
و (قراها) بسبب تغيير الباء باللام ، واما الامثلة الاخيرة
فالصورة الحادثة بالتحريف صورة خاطئة لغويا ،
فالكلمات حرفتا نتيجة تغيير السين ظاء في الاولى ،
وتغيير الباء هينا في الثانية .

رابعا : ظواهر النحو في التصحيح :

* من ابن عمرو قال : انشدت الفرزدق ويده
في يدي لابن أحمر :

فاما زال سرح من معد
واجدر بالحوادث ان تكونا

فلا تصلى بمطروق اذا ما
سرى بالقوم اصبح مستكينا

(1) التنبيه على حدوث التصحيح ص 74 .

(2) دليل لغة العرب ص 32 .

(3) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف ص 77 .

فقال لي : ارشدك ام ادعك ؟ قلت : ترشدني ،
قال : اذا كان ممن يسرى بالحي ، فليس بمطروق
وانما هو (اذا سرى في الحي) فعلت اني افعلت ذلك ،
ونا الامر كما قال .

وهذا من التحريف لا من التصحيح (3) .

لنم الواضح ان الخطا في الجملة جاء من
استخدام حرف الجر (الباء) في الموضع الذي
يقتضي فيه المقام حرف الجر (في) وهو خطأ يعود
الى المعاني التي ترد في النحو لاستخدام حروف
الجر في مواطنها المناسبة ، وقد خلق المسكري على
ذلك بانه من التحريف لا من التصحيح ، ويبدو ان
هذا الفهم لما يشمل التحريف من بعض ظواهر النحو
قد اتسع مداه فيما بعد حتى سوغ ذلك للصفدي في
القرن الثامن الهجري ان يورد في كتابه « تصحيح
التصحيح وتحرير التحريف » ما يشمل مظاهر اللحن
في النطق ، ولا يقتصر في ذلك على النطق المترتب
على الخطا في الكتابة .

واخيرا :

فان الذي سوغ لنا في البحث من الصواب
والخطا في اللغة ان نتعرض لقضية « التصحيح
والتحريف » - مع انهما يرجعان اصلا لرسم الكلمات
وكتابتها - ما تبين مما سبق عرضه من الصلة بين
الكتابة والرواية الشفهية من ناحية ، وما ترتب على
الامرين معا من الخطا اللغوي المنطوق في معاني
الكلمات وبنيها الصرفية ، وبعض الظواهر النحوية .

تعليق نقد

عبد الفاسي

الأستاذ بجامعة القرويين وجامعة محمد الخامس

ان هذا البحث طريف وقيم تناول فيه الدكتور محمد عبد قضايا اللحن ، والتصحيف والتوليد والتعريب في ضوء علم اللغة الحديث .

تحدث أولا عن معنى « اللحن » في الكلام العربي والتطور الذي حدث في استعماله ونفى وسائل مقاومته ، فقد عرف اللحن أولا بمعنى الفطنة والدكاء وبالتظرف في الحديث ، حينما يخلط بالكلام الاجنبي او الكلام الذي يعتمد فيه الخطأ .

ثم اطلق اللحن على التورية وهو الذي عمل له ابن دريد كتابه الملاحن .

ثم استعمل اللحن في الخطأ في المعاني . وفيه لف الفاضل بن سلمه كتابه الفاخر « فيما تلحن فيه العامة » .

كل هذه الاطلاقات استعملت في معنى اللحن ، فصلها المؤلف واستدل لها ولكنه لم يذكر تاريخ التطور الذي تحدث عنه بالمعنى الدقيق للتاريخ . وعلى كل حال فالبحث يتناول بالذات اللحن بمعنى خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصنعة في بنية لكلام او تركيبه او امرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولا بين العامة ويتسرب بعد الى الخاصة .

ولا شك ان هذا اللحن امر طاريء على اللغة اذ المفروض في كلام العرب هو الصحة وما حاد عنه يعتبر خطأ .

ثم يتحدث المؤلف عن السمات التي يوصف من اجلها الكلام باللحن . ومنها الخطأ في الانحراب كنصب الفاعل ورفع المفعول . وكذلك وضع الكلمات في غير موضعها وخطأ المعاني كقولهم خرجنا ننزله اذا خرجوا الى البساتين مع ان التنزه هو التباعد من المياه والارياض ، ومنها استعمال الطرب في الفرح فقط والحشمة في الاستحياء .

وقد اوضح المؤلف سر اعتبار هذا لحننا ، وزعم انهم لم يراعوا تطور الدلالة في الكلمة ، مع ان الكلمات ليست احجارا جامدة .

ثم حاول تفسير الخطأ في احوال بعض الحروف محل بعضها كقولهم دخل في غمار الناس ، مع ان العرب تقول دخل في خماس الناس - بالخاء لا بالعين - بالتطور الصوتي . وبعد ان حدد عشرة امثلة تتعلق ببنية الكلمة قال : ان الحكم عليها بالخطأ جاء في ضوء القواعد الصرفية ، ثم اشار الى نهاية العلماء بهذا النوع من الخطأ .

ثم ذكر امثلة مشرة ، لنماذج الخطأ في التركيب : لامرأب كقولهم شكرت لك ونصحت لك ، والصواب شكرتك ونصحتك ، وبين ان الكثير منها يتعلق بتأليف التركيب العربي والامر الذي استقر عليه ، وهو من مباحث علم النحو . وقد أكد ان ايراد مثل هذه الاخطاء النحوية في دراسة (لحن العامة) ايراد لما حدث في اللغة الفصحى ، ويكون مقصورا على اوساط العلماء وان اطلقوا عليهم العامة ، بخلاف النماذج الاخرى فانها تمت مختلف الطبقات .

وقد اوضح صعوبة الوصول الى معرفة تاريخ بدء اللحن وتطوره في العصر الجاهلي ، وإن انتقد النحاة بعض العبارات الجاهلية لمغايرتها للقواعد النحوية والصرفية الموضوعتين من بعد .

ولكن اللحن تردد عند العرب مع ظهور الاسلام على انه كان معروفا . وفي عهد الامويين اصبح اللحن ظاهرة خطيرة في استعمال اللغة ، وترتب عنها نشاط علمي متنوع . جاء بامثلة منه كالرحلة للبادية وتأليف الكسائي كتابه الذي لا يزال موجودا بين يدينا (ما لحن فيه العامة) . واستمرت موجة اللحن قوية مندفعة ، فالقرن الثالث اقل فصاحة من القرن الثاني واكثر لحنا . وفي القرن الرابع وصل اللحن الى مداه .

فماذا كان موقف علماء اللغة من هذه الظاهرة ؟

نظر العلماء الى هذه الظاهرة من جهة الخطأ ، فقاوموه بعنف ، وبدأت مقاومتهم منذ القرن الثاني ، وهنا جاء بقائمة لاسماء العلماء الذين كتبوا في تقويم اللحن ، تصل حد الثلاثين كتابا .

ثم لاحظ ان هذه المقاومة كانت في القرون الثلاثة الاولى قوية ثم ضعفت بعد .

وقد اعتمد اللاحقون على جهود السابقين ، دون ان يحاولوا استشهادات جديدة وسماحات من العرب غالباً .

وتصدوا غالباً بالعامة الناس العاديين بدليل قولهم الخواص او الخاصة . وجهودهم كلها تنصرف الى تنقية اللغة الفصحى .

لا وجود في هذه الكتب لحديث عن اللحن فكرة وموضوعاً .

ثم يتساءل هل نجحت هذه الجهود التي قام بها أولئك العلماء ؟

وفي فصل خاص يحلل هذا الموضوع ارادة الجواب عن السؤال ، ويقول ان تحديد نظرية النحاة الى اللحن امر يسير ، لانهم نظروا اليه من زاوية الخطأ واعتبروه انحرافاً ولم يأخذوا في الاعتبار قوة الاستعمال وقهره والتطور الذي يمكن تربيته على ذلك . مع ان لحن النحويين انفسهم في الاستعمال دلالة على خطورة الاستعمال . والخلاصة انه يؤكد في النهاية ان ما اطلق عليه النحاة منظور اليه من زاوية الخطأ ، وقبل ان يبين مدى نجاحهم فيما قصدوا اليه ، جاء بفصل في :

معنى التصحيف والتحرير وعلاقتهما باختلاف المعنى والبنية والامراب ، وانتهى الى القول بأن مجال البحث في الكلمتين واحد ، وهو البحث عن الخطأ الذي يحدث في نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الاملائي .

ولم تستعمل الكلمتان دائماً في مكان واحد ، بل في معان لها صلة بالخطأ ، من جهة :

1 - من جهة التحديد النظري لمعنى التصحيف والتحرير .

2 - سبب وقوع ذلك في الكتابة العربية خاصة .

3 - علاقة مظاهر الخطأ التي ترتبت على ذلك .

وقد فصل هذه الجهات الثلاث وارجع السبب في ذلك الى الخط العربي الذي لم يكن منقوطة ولا مشكولا . ثم ميزت حروفه بنقط وحركات منفصلة وتابعة للحروف العربية ، ويسال كذلك عن هذه

المسألة علماء اللغة الذين يعطون لانفسهم حرية رواية الكلمة كما فهموها من السياق .

فالمسؤول اذن الرسم العربي ، والنسخ ووهم العلماء .

وبعد ان اتى بنماذج تمثل الاسباب السابقة ، عقد فصلا لمقاومة التصحيف والتحريف بأسلوب الرواية وتنقية الاخطاء فذكر تطور ذلك على ما يأتي :

1 - ضبط الكتابة العربية بالنقط والشكل .

2 - ضرورة المشافهة في رواية اللغة .

3 - تنقية الاخطاء بجمعها في مؤلفات .

وقد جاء بانتقادات للعلماء على هذه الاساليب الثلاثة وعدم كفايتها لوقاية اللغة من التصحيف والتحريف .

ولاحظ ان هذا الجانب الذي هو تنقية اللغة بجمع ما صحف وحرف في مؤلفات جانب دراسي بدا في القرن الرابع الهجري . كتب فيه المؤلفون الذين لم يكتفوا بنماذج التصحيف بل اضافوا الى ذلك تناول قضية التصحيف والتحريف من حيث نشأتها وعواملها .

ثم تساءل : اكان هذا الجهد حلا للقضية ؟

وقبل الجواب من ذلك فقد فصلا :

لمعنى التوليد في الالفاظ ومصادره اللغوية .

1 - ثم جاء بعرض تاريخي للمولد من حيث استعمال اللفظ ودراسة العلماء لمظاهره .

2 - وبالتحديد النظري لمعنى التوليد كما رواه الاقدمون .

3 - وتحدث عن مصادر التوليد في الالفاظ ودراسة العلماء لنماذجه .

وبعد ان فصل هذه الموضوعات تساءل ايضا عن :

مدى توفيق العلماء في مباحث التوليد ؟

وقبل الجواب منه ايضا انتقل الى بحث عن :

حركة التمريب وتطورها استعمالا ودراسة .

وطبعا فانه يعني بالتمريب معناه الاصيل الذي هو ادخال كلمة اعجمية في الكلام العربي وتبنيها ، لا بالمعنى الحديث الذي نستعمله حينما نطالب بتمريب التعليم والادارة مثلا .

وقد بين في هذه الفقرة :

1 - الصورة العلمية لحركة التمريب في الكلام العربي في عصر الاستشهاد

2 - الصورة العلمية لدراسة العرب في الكلام العربي بعد عصر الاستشهاد .

وقد اجاد في بحث الموضوعين وما تفرع عنهما كوجود الدخيل في القرآن ، وجاء بقائمة المؤلفات المهمة في موضوع التمريب .

ولاحظ ان التأليف في هذه الظاهرة تأخر نسبيا .

وضمنت فكرة التمهيد لذكر الكلمات العربية بمقدمة علمية تتناول الافكار الخاصة بهذه الظاهرة .

3 - كلمة الدخيل جملة عنوانا لبعض الكتب في موضوع التمريب .

4 - من المؤلفات كتب في التعريب وضعت اخيرا الامر الذي يدل على انه لا يريد تناول التعريب في القديم فقط .

- اما الجانب اللغوي فقد عرض فيه نظرا لاقدمين للمعرب وجهودهم في اخضاعه لمسلك الصيغ العربية .

وقد فصل القول في هذا الجانب واتى بتدقيقات مهمة .

ثم تساءل ماذا يستنتج من موقف علمائنا الاقدمين ازاء النقل من اللغات الاجنبية ؟ يتلخص ذلك في امرين :

1 - قصر المعرب على العرب وحدهم الذين عاشوا في فترة زمنية خاصة .

2 - فرض قواعد الصيغ العربية على استعمال المعرب من لغات متعددة .

ولتقييم ذلك احال المؤلف على القسم الاخير الذي يجب فيه من الاسئلة المتقدمة .

وفي هذا القسم تناول رأي علم اللغة الحديث من :

1 - اللحن بين تحكم القواعد وتطور الاستعمال

2 - التصحيف والتحريف من مظاهر الرسم العربي .

3 - الالفاظ المولدة في ضوء تطور اللغة .

4 - التعريب بين قيود النحاة وحاجة الاستعمال .

وقد فصل آراء العلماء اللغويين المعاصرين في هذه النقط وبين ميزة التسامح التي ظهروا بها ازاء المسئلة الاولى ، وادلى بآراء اللسنيين عرب واما جمودها الى :

1 - تنحية الفكرة القديمة عن المجموعة المدونة فيما لحن فيه العوام واعتبارها تطورا يهدينا الى دراستها في مراحل استعمالها

2 - النظر في هذه المادة ودراستها مع غيرها من النصوص الموثقة في عصرها ليعلم مدى انتشارها في الاستعمال فيقبل منها ما تحقق له ذلك . وتناول بعد ذلك امر التصحيف والتحريف وابدى اعجابه بجهود العلماء فيها وقال : ان العلماء بعد ان مرفوا الضعف الموجود في الرسم العربي لم يحاولوا تغييره ، وقال ان الرسم العربي شأن غيره في اللغات الاخرى قد يشتمل على عيوب ، وهذه العيوب ينبغي احتمالها والرضا عنها ارتكابا لاخف الضررين ، واستدل على ذلك بنص للعالم اللسني فندريس .

اما من المولد فقد اعتبر ان الالفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة .

وان موقف النحاة من هذه الالفاظ قد تحكمت فيه اعتبارات اعترفوا بها ثم استسلموا لها ، وينتقد عليهم خروجهم من واجب الاستقرار الى الحكمم بالاباحة او المنع على الالفاظ واعتبر ان الحق المطلق لبعض الناس في ظروف معينة ينبغي ان يعمم على كل جماعة وكل عصر فيقبل ما ولدوه من كلمات دعت اليها حاجة اللغة وهدت اليها سليقتها .

ثم انتهى باستخلاص نظرة المحدثين للعوامل الطارئة على اللغة .

1 - اعتبار التطور في اللغة من اساس النظرية الحديثة للمستوى اللغوي ، وتفسير هذا التطور حسب رأي - فيرس - التغيير المستمر بين عناصر اللغة .

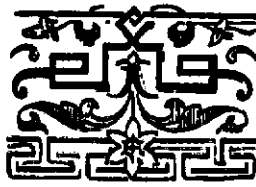
2 - لا تتطابق الكتابة لاية لغة مع نطق هذه اللغة فنحن ، كما يقول فندريس ، لا نكتب كما نتكلم بل نكتب كما يكتب غيرنا .

3 - ان تغير الظروف الاجتماعية ينمكس تأثيره على الالفاظ من حيث اختفاء بعضها واندثاره وحدث الاضر واستعماله .

4 - نقل الالفاظ من اللغات الاجنبية بخضع للحاجات الاجتماعية المتجددة للناطقين انفسهم ، وهذا امر عادي لا خطر فيه .

اعتبر ان هذا الكتاب يكون بحثا قيما خاضعا لمناهج البحث اللغوي الحديثة متسلسلا في افكاره وموضوعاته وفي الاستنتاجات المترتبة عليها ، وانه استقرا باختصار مباحث الاقدمين عن العوامل الطارئة على اللغة بكيفية لم يسبق جمعها في كتاب حديث ، ثم اعاد تقييمها على ضوء آراء علماء اللسانيات ، ومباحث العرب التي شغلت اوقات الجامع العربية ازيد من نصف قرن ، ولم يتقدم المؤلف باقتراحات تلقائية في تجديد اللغة خارجة عما ورد على السنة الباحثين المجمعين في الشرق العربي . ويظهر ان المؤلف لم يطلع على بعض البحوث التي قام بها المفاربة المختصون لاسيما في اصلاح الرسم العربي الذي وضعه الاستاذ الاخضر والذي يسعدني ان اقول مرة اخرى انه يصلح من هيوب الرسم العربي الشيء الكثير ، كما انه فيما يظهر لم يطلع على جهود مكتب التعريب المغربي ومحاولته لاحصاء كلمات الحضارة واستقراؤها والاكتفاء بما هو موجود منها في كتب اللغة او في المجتمعات العربية من اتخاذ الدخيل الذي ينزع اليه عند عدم وجود الاصيل .

والكتاب بهذه الصفة جيد وجدير لقبوله من اللجنة المحترمة واجازته ، وبالمقارنة مع الباحث الاخرى وآراء المقررين فيها يقع التفاضل وبشسم الترجيح ، وان كنت اوصي بكل اخلاص بمجازاة هذا المؤلف على جهده المشرف وطبع رسالته .



الأضداد في اللغة

الأستاذ حسين محمد (القاهرة)

ونحن ننشر في هذا العدد من مجلتنا القسم الاول من البحث «حول الاختلاف في مفهوم الاضداد»
مرجئين الى العدد المقبل بعون الله القسم الثاني حول «جمع الاضداد وتدوينها» :

هذه الالفاظ جميعا تتحدث عن الابل وما تعلق بها ،
فتعطينا الرسائل اللغوية على الموضوعات . او يكون
ذلك الطابع من المصدر السدى وردت فيه ولغت
الانظار ، كان تكون في القراءان او الحديث ،
فتعطينا رسائل غريب القراءان ، وغريب الحديث .
او يكون ذلك الطابع من ظاهرة لغوية تغلب عليها كان
تكون هذه الالفاظ مهمولة ..

ومن الضرب الاخير «الفاظ الاضداد» . فقد
كان الذي لفت الانظار اليها ما تنحلي به من ميزة
خاصة ، اذ ترد بصورة واحدة ، ولكنها تدل على
معان يتقابل منها اثنان تقابلا تاما ..

ولم يكن تدوين الاضداد ليما نعرف من الرسائل
اللغوية الاولى ، ولكنه تأخر عنها قليلا . وفي القرن
الثاني تنبه اللغويون اليها ، فشرعوا يلتقطونها ،
ويشربون اليها ، ويتحدثون عنها .

وكانت الثمرة الطبيعية اول تدوين للاضداد في
اللغة العربية . وكانت هذه الثمرة الاولى باكورة عدة
ثمار : جمعت الاضداد او درستها . وحول هذا
الثمار ندور في الصفحات الآتية : متاملين ، ومتدوقين ،
ومقدريين ..

ودعائي الى الله ان يمنحني التقصد فلا أجور ،
والقدرة فلا أمجز ..

لا يماري انسان اتصال بالصرب او ادبهم او
ثقافتهم ادنى اتصال انهم يرتبطون بلفتهم ارتباطا قل
ان نرى مثيلا له في الامم الاخرى ، وان هذا الارتباط
جملهم يلتزمون بها ، ويشعرون بكل تغيير - مهما
كانت تفاهته - يجري عليها ، ويحاولون المحافظة
عليها ما وسعتهم المحاولة ..

وكانت الثمرة على النحو واللغة . فقد اخذ
العرب يتحدثون في شيء من مسائلهما منذ وقت
مبكر ، لسنا على يقين منه ، بل ربما رجع الى ما
قبل الاسلام ، كما تنبيه بعض اخبارهم . ولست اريد
ان اضرب في وادي الاوهام ، او اركن الى
الظنون . فما اتحدث عنه في هذا الكتاب فني من
ذلك ..

فلا جدال ان علماء بالعربية اخذوا يظهرون في
المجتمع ، ويعملون هذه الصفة ، في القرن الثاني ،
بل ربما لا اغالي اذا قلت اواخر القرن الاول . ولم
يزد جهد الاولين من هؤلاء «العلماء بالعربية» على
مدارسة تلاميذهم ، ومناقشتهم . ثم جاء خلف لم
يرضوا بهذا الجهد وحده ، وطمحوا الى «التدوين» :
تدوين ما قال شيوخهم ، وما وصل اليه جهدهم
الخاص ..

وكانت الثمرة - في المجال اللغوي الخاص -
رسائل تحاول ان تجمع الفاظا لغوية ذات طابع خاص .
ولا يهم ان يكون ذلك الطابع من معناها ، كان تكون

تصريف الأضداد

الأضداد ، ولم يزد عليه غير شيء من البسط والشرح والتبثيل والتفريع . قال أبو علي قطرب : « الكلام فى الفاظه بلغة العرب على ثلاثة أوجه :

1 - فوجه منها - وهو الأعم الأكثر - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، وذلك للحاجة منهم الى ذلك . وذلك قولك : الرجل ، والمرأة ، واليوم ، والليلة ، وقام ، وقعد ، وجاء ، وذهب . اختلف اللفظان لاختلاف المعنيين . وهذا لا سبيل الى جمعه وحصره ، لان أكثر الكلام عليه . وقد نشعر من هذه العبارة الأخيرة ان قطربا لم يسمع بمحاولة الخليل بن أحمد الفراهيدي جمع اللغة فى كتاب العين ، والحق ان القدماء يقولون ان كتاب العين لم يرد الى البصرة من خراسان الا فى زمن متأخر من وفاة قطرب ..

2 - والوجه الثاني اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد . وذلك مثل مير وحمار ، وذئب وسيد ، وسمسم وتعلب ، واتى وجاء ، وجلس وقعد . اللفظان مختلفان والمعنى واحد .. وكانهم انما أرادوا باختلاف اللفظين ، وان كان واحد مجزئاً ، ان يوسعوا فى كلامهم والفاظهم ، كما زاحفوا فى اشعارهم ليتوسموا فى ابنتها ، ولا يلزموا أمرا واحدا ..

3 - والوجه الثالث ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا . وذلك مثل الأمة بريد الدين ، وقول الله : « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله » منه .. والأمة : القامة ، قامة الرجل . والأمة من الامم .

ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجيء على معنيين فصاعدا ما يكون متضادا فى الشيء وضده . وعلى هذه الصورة وصل قطرب الى لغرضه ، اذ أبان ان هذا المشترك من الكلمات - الذى ذكره سيبويه - نستطيع ان نجد تحته فئتين من الكلمات : فئة تختلف معانيها مثل الأمة ، واخرى يرداد التخاليف الى ان تتضاد ، وهي « الأضداد » التى ألف من اجلها الكتاب ..

ان من اقدم الامور التى تطلع اليها علماء اللغة العربية الاولون التفرقة بين الانواع التى يمكن ان تنقسم اليها الكلمة . فالقدماء يكادون يجمعون ان علي بن ابي طالب اول من تحدث فى قضايا نحوية ، ويذهب بعضهم انه اكتشف ان «الكلام كله اسم وفعل وحرف ...» (1) .

ولست فى صدد دعم هذا الكلام او دحضه ، انما يعني ان القدماء كان فى خلدكم ان تقسيم الكلام العربى كان اول قضية نحوية . واذن فغير غريب ان يكون من اقدم القضايا اللغوية تقسيمات اخرى شتى ..

واقدم ما يعني من هذه التقسيمات ما أورده سيبويه فى صدر كتابه ، دون ان يبين انقله من أحد شيوخه أم كان من ابتكاره . والتقسيم الذى أورده ثلاثا رئيسا يمكن ان اضمه على النحو التالي .

انواع من كلامهم :

1 - اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ...
نحو جلس وذهب .

2 - واختلاف اللفظين والمعنى واحد ...
نحو ذهب وانطلق .

3 - اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ...
نحو : وجدت عليه : من الموجدة ،
وجدات : اذا اردت وجدان الضالة ..

والنوع الثانى ما سماه اللغويون (النوع الثالث) ما سموه المشترك ..

وقد كان ما دونه سيبويه « كتاب » النحاة فى بيان ما كان طبيعيا ان نجد هذا التقسيم (2) . وكان طبيعيا بل اوفى فى بيان هذا القول - ان نجد هذا التقسيم فى صدر كتابه الذى ألفه فى

نزهة الألباء 2 .

الاحمد بن فارس 96 ، 201 ، والمزهر للسيوطي 1 : 388 - 9 .

التضاد ، اذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين .

الاختلاف في وجود الاضداد

وقد اختلف موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الالفاظ . فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث مما يندرج تحتها من الفاظ ، وعملها احيانا . وكانت هذه الجماعة اسبق في الظهور من معارضتها ، اذ كان منها ابو عمرو بن العلاء والخليل ابن احمد ويونس بن حبيب وتلاميذهم . واستمر المنتسبون اليها في البقاء الى يومنا هذا . اما الجماعة الاخرى فاعتزفت على الاضداد ، وانكرتها . ولا نعرف من انتمى اليها من القدماء غير عبد الله بن جعفر المعروف بابن درستويه (7) . وكثر اتباعها في العصر الحديث . فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة « ضدان » في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اضداد) وكان منهم اغلب المستشرقين ، الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الاضداد .

وبسبب هذا الاختلاف ، اضطر مؤيدو الاضداد الى الدفاع عن وجودها ، والرد على ما قاله المعارضون . ولعل اهم من قام بهذا العمل احمد بن فارس ، وابن سيده ، ومحمد ابن القاسم الانباري . اما الاولان فقد وجدت جندهما الدفاع . واقامه ابن سيده على الجدل العقلي ، فقال لشيخ منكر للاضداد (8) : « هل يجوز منك ان تجيء لفظتان في

وانتقل هذا التقسيم من كتاب قطرب الى كتاب اخر في الاضداد ، هو الذي ألفه ابو بكر بن الانباري (4) . فقد اورده هذا برمته في مقدمته ، و اضاف اليه بعض التوضيح والاعتراض . فقد روى ان ابن الامرابي اعترض على المترادفات ، وانكرها ، واعلم ان كل كلمة منها لها معنى ليس في اختها ، احيانا نعرفه و احيانا لا نعرفه . وارتضى ابن الانباري رأي ابن الامرابي ودعمه بالحجج التي تؤيده . وصرح ابن الانباري ان الوجهين الاولين من الكلام ، اكثر كلامهم » ، اما الاضداد فانفق هو وقطرب على قلتها .

واذا نظرنا الى حديث قطرب السابق عن الاضداد وجدناه موجزا ومبهما ، لا يعطينا تعريفا شاملا دقيقا لها . وقد حافظت الكتب بعد قطرب على هذا الابهام . فاعتنى ابو حاتم السجستاني بان قال في مقدمة كتابه : « ضد الشيء : خلافه وغيره » . وقال ان الانباري في وصف كتابه (5) : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توهمها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤيدا عن معنيين مختلفين » .

وكان ابو الطيب اللغوي هو الذي ازال كل ابهام عن اللفظ ، حين عرفه في صدر كتابه فقال (6) : « الاضداد جمع ضد . وضد كل شيء ما نأفاه ، نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل . . وليس كل ما خالف الشيء ضدا له . الا ترى ان القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين ، وانما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف اهم من

(4) 6 - 8 .

(5) 1 .

(6) 1 .

(7) ذكر الجواليقي في شرح ادب الكاتب ان ثعلبا انكر الاضداد ، وقال : « ليس في كلام العرب ضد . . لانه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ، لانه لا يكون الابيض اسود ولا الاسود ابيض . وكلام العرب - وان اختلف اللفظ - فالمعنى يرجع الى اصل واحد » (ادب الكاتب 177)

والغريب ان تلميذه ابن الانباري لم يذكر ذلك ، بل اكثر من الرواية في كتابه منه الى درجة تجعل المرء يوقن ان ثعلبا من القائلين بالاضداد . وروى منه ما يدل على ان ثعلبا اعلن ان اللفظ قد يفيد مقابل معناه ، لعله من العلل . قال : « قال ابو العباس (ثعلب) : انما جاز ان يقع الظن على الشك واليقين ، لانه قول بالقلب . فاذا صحت دلائل الحق ، وقامت اماراته كان يقينا . واذا قامت دلائل الشك ، وبطلت دلائل اليقين ، كان كذبا . واذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شك ، لا يقينا ولا كذبا » (الاضداد 16) .

(8) المخصص 13 : 259 .

وأما ابن الأنباري فقد تناول واحدا من أهم آراء المنكرين للأضداد ورد عليه . بل لعله أهم رأي لهم ، إذ صدر عن راسم ابن درستويه ، واستفلكه جماعات متنوعة .

ولما كانت كتب المعارضين القدماء لم تصل إلينا، كنا مضطرين إلى الاعتماد على حكايات غيرهم عنهم ، وما تساقط إلينا من أقوالهم ، في تصور آرائهم . وتؤكد لنا هذه الحكايات أن المعارضين رفضوا الأضداد جملة ، وانكروا وجودها في اللغة . قال أحمد ابن فارس (12) : « وانكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده » . وقال السيوطي مصورا لموقف ابن درستويه ، الذي يعد رأس المعارضين القدماء (13) : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح : النوء : الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للتكوب : قد نام : إذا طلع . وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا ، وأنه من الأضداد . وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد ؟ فاستفدنا من هذا أن ابن درستويه ممن ذهب إلى انكار الأضداد ، وأن له في ذلك تأليفا » .

وعندما نتبع الأقوال التي اتى بها المنكرون لدعم رأيهم لا نجد فيما بين يدينا من مراجع غير أقوال قليلة لا تدل على حقيقة موقفهم دلالة كافية . وأهمها الرأي الذي رد عليه ابن الأنباري ، وجاء ابن درستويه في شرح الفصيح حين قال (14) : « إنما اللغة موضوعة للأبانة عن المعاني . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك أبانة بل تسمية وتفظية .. » .

ونقف هذا القول من ابن درستويه فشان من الناس . أبدا بالغة المتأخرة في الوجود ، إذ عاشت بيننا في العصر الحديث ، وتقبلت القول في نيسة حسنة ، ودافعت عنه في مواجهة بعض ما وجه إليه

اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟ (يشير إلى المشترك) فلا يخلو في ذلك أن يجوره أو يمنعه . فإن منعه ورده ، صار إلى رد ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه ، وشبهت عليه الألفاظ ، فإنها أكثر من تحصي وتحصر ، نحو « وجدت » الذي يراد به العلم ، والوجدان ، والغضب ، و « جلست » الذي هو خلاف قمت ، و « جلست » الذي هو بمعنى اتيت نجدا (وتسمى جنس) . فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه . وإذا جاز وقوع اللفظة للشيء وخلافه ، جاز وقوعها للشيء وضده ، إذا لُصِدَ ضرب من الخلاف ، وأن لم يكن كل خلاف ضدا ..

ولم يلجأ ابن فارس إلى المنطق، والجدل العقلي، في دفاعه عن الأضداد . وإنما اعتمد في أحد رأييه على طبيعة اللغة العربية . فقال (9) : « ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو الجون للأسود ، والجون للابيض » . فالأضداد عنده واحدة من ظواهر اللغة العربية مثل الترادف . واعتمد في رايه الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الأضداد وموقفنا منهم . فقال يصف رأي المعارضين (10) : « هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف «مهندا» والفرس «طرفا» هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد » فابن فارس يوجب أن نؤكد موقفنا من هؤلاء الرواة . فإن شككنا فيما رووا من الأضداد وجب علينا أن نشك في بقية رواياتهم اللغوية ، وذلك أمر مستحيل . فإن وثقنا بما رووا من غير الأضداد، كان واجبا أن نشك بما أوردوه منها . والحق أن ابن فارس كان أكثر توفيقا في دفاعه عن الأضداد ، وأقرب إلى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج . ويؤسفنا ألا نعثر على كتابه الذي ألفه في الدفاع عن الأضداد ، ووصف موقفه من مذهب المعارضين ، في قوله (11) : « وقد جردنا في هذا كتابا ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه » .

(9) صاحب 97 .

(10) صاحب 98 .

(11) صاحب 98 .

(12) صاحب 98 . المهر 1 : 387 .

(13) المهر 1 : 396 .

(14) المهر 1 : 385 . أضداد ابن الدهان 5 .

من نقد على المصور . قال عبد الفتاح بدوي (15) :
 « ينبغي ألا يعزب عنا أن التضاد منافع لطبيعة اللغة ،
 وأنه لا يسهل التفاهم بين الناس . فمن الصعب أن
 نقبل أن المعاني الأولية المتضادة يتفاهم الناس عنها
 بلفظ واحد . والصعوبة التي تنشأ من التضاد أكبر
 جدا من التي تنشأ من الاشتراك . وإذا قيل : أن
 القرائن توضح المراد كان هذا تسليما حقا بمناقضة
 التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ليس
 من طبيعة اللغات في سداجتها . وإنما هو طور آخر
 فوق ذلك » .

أما الفئة الأولى في الوجود فكانت مرببة . ولم
 تقبل القول إلا لتستند إليه في الطعن على العرب ،
 إذ سلمت بصحة القول وصحة وجود الأضداد في
 مان واحد ، واقامت عليهما من الأحكام ما يتسق مع
 مآربها الحاكمة . قال ابن الأنباري (16) : « ويظن أهل
 البدع والزيغ والأزراء بالعرب أن ذلك كان منهم
 لتقصان حكمتهم ، وقلة بلافتهم ، وكثرة الالتباس في
 محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسألون عن
 ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي
 تحته ودال عليه ، وموضع تأويله . فإذا امتور اللفظة
 الواحدة معنيين مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد
 المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على
 المسمى »

وكان رد ابن الأنباري على هذه الفئة الشعبية
 بقوله (17) : « أحدهم أن كلام العرب يصحح بعضه
 بعضا ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب
 منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز
 وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها
 ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون
 الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والأخبار إلا معنى
 واحد . . ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف
 التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادة ،
 فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف
 ويتأخر بعده مما يوضح تأويله » .

وتساقط البنا من أقوال منكري الأضداد ما
 يكشف عن أدلة أخرى لهم . ولكن هذه الأقوال لا

تحاول أن تهدف القاعدة التي قامت عليها الأضداد
 كما استهدف قول ابن درستويه السالف ، بل تسير
 في اتجاه مخالف بعض المخالفة ، يجعلنا نستطيع أن
 نعتمد عليها ونستفيد منها في موضع وآخر . ولذلك
 نرجو عرضها والحديث عنها إلى ذلك الموضع ،
 وننقل إلى المحدثين من الشرقيين والمشرقيين .

فيبرز إمامنا عبد الفتاح بدوي أكثر الرافضين
 للأضداد تطرفا وتوسعا في رأيه ، إذ انكرها انكارا
 باتا ، وأعلن : « وأنتا لتتحدى الذين يرممون أن في
 اللغة أضدادا ونباهلهم ، بجميع كلمات اللغة العربية ،
 أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد .
 فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد » .
 وقد اتخذ عبد الفتاح بدوي من قول ابن درستويه
 أساسا ثم أقام عليه علته في هذا النفي المطلق
 للأضداد . قال : « ينبغي ألا يعزب عنا أن التضاد
 منافع لطبيعة اللغة ، وأنه لا يسهل التفاهم بين
 الناس . فمن الصعب أن نقبل أن المعاني الأولية
 المتضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة
 التي تنشأ من التضاد أكبر جدا من التي تنشأ من
 الاشتراك » . ورد على ابن الأنباري قائلا : « وإذا
 قيل : أن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما
 حقا بمناقضة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على
 القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداجتها ، وإنما
 هو طور آخر فوق » . ثم قسم عبد الفتاح بدوي
 الأضداد إلى طوائف ، وأتبع كل واحدة بما يبطلها في
 نظره . وأعان أن أمثاله موجود في اللغات المختلفة ،
 وإلى بشواهد من اللغة الفرنسية .

وقد اجملت دائرة المعارف الإسلامية والدكتور
 منصور فهمي الأدلة التي اعتمد عليها المستشرقون في
 انكار الأضداد ، فكانت كما يلي :

1 - كانت معظم الكلمات التي أوردتها مؤلفو
 الأضداد معروفة عند العرب بمعنى واحد فقط .

أما المعنى الآخر المضاد له فلم يرد إلا في
 روايات نادرة ، بل روايات جديدة بالشك .
 ولا ريب أن بعض الألفاظ التي أوردتها
 كتب الأضداد من هذا القبيل ، مثل ذلك ما

(15) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أضداد .

(16) الأضداد 1 .

(17) الأضداد 3 .

ما رواه أبو زيد (18) : « تصدق الرجل : اذا اعطى صدقته . وبعض العرب يقول : تصدق : سال ، والجيد : تصدق : اعطى » . ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان القدماء انفسهم - وجامعي الاضداد - هم الذين تقدموا مثل هذا اللفظ ، وابانوا الرديء والجيد منه ، كما نرى في النص السابق ، ومقابله عند ابن الانباري (19) : « يقال : قد تصدق الرجل : اذا اعطى ، وهو المعروف المشهور عند اكثر العرب ، وقد تصدق : اذا سال وهو القليل في كلامهم » وعند أبي الطيب (20) : « قال أبو حاتم : والمعروف عند العرب تصدق : اذا اعطى الصدقة » . وامثال هذا النقد كثيرة عند أبي حاتم وابن الانباري وأبي الطيب خاصة ..

2 - يعوز اكثر ما ذكروا من الاضداد الشواهد الموثوق بها ، حتى قال جيز Gliese انه لم يعثر في الشعر القديم الا على 22 لفظا من الاضداد . وذهب هرشفاند الى ابعد من ذلك . فعقب على قول جيز ملنا (21) ان هذا العدد يمكن ان تقلل منه لو اردادت معرفتنا بالمعاني الاصلية لهذه الالفاظ . وكان ابن الانباري هو الذي لفت المستشرقين الى الشك في الاضداد التي لا يوجد شواهد عليها ، اذ فعل ذلك في الحميم قال (22) : « قال بعض الناس : الحميم من الاضداد ، يقال الحميم للحر ، والحميم للبارد . ولم يذكر لذلك شاهدا ، والاشهر في الحميم الحر .. » . واعلن ان الشاهد هو الدليل على صحة التضاد حين قال (23) : « قال بعض اهل اللغة : الضد يقع على معنيين متضادين ، ومجره مجرى الند . يقال فلان ضدي : اي خلافي ، وهو ضدي : اي مثلي . قال أبو بكر (ابن الانباري) : وهذا عندي

قول شاذ لا يعول عليه ، لان المعروف من كلام العرب : العقل ضد الحق ، والايمان ضد الكفر . والذي ادعى من موافقة الضد للمثل لم يقم عليه دليلا تصح به حجته » .

ولكن الحق ان القدماء اوردوا كثيرا من هذه الالفاظ ، او كثيرا من المعاني المتضادة ، مهمة . فلم يوردوا لها شواهد البتة ، او اوردوا منها ما يشهد للمعنى المعروف وتركوا المعنى غير الشائع بدون شواهد . مثال ذلك دهور ، وزجور ، ونهوز ، وبحتر ، في اضداد قطرب (24) ، وعنه روتيه بقية كتب الاضداد دون ان تكثرث لاضافة الشواهد (25) . والامر نفسه نجده في اضداد الاصمعي (26) ، وأبي حاتم (27) ، وابن السكيت (28) ، وغيرهم . ولكننا يجب ان نحترس هنا ايضا ، فان القدماء لم يكونوا يشعرون بوجوب ايراد الشواهد على كل ما يسمعون ويروون ، وخاصة اذا كان اللفظ قد سمعوه في غير شعر . بل انهم تخففوا في بعض الاحيان من بعض الشواهد التي كانت بين ايديهم ، كما فعل أبو حاتم عندما حذف بعض شواهد الاصمعي من امثال شواهده ومعبده ومغلب .

3 - لا يجوز الاعتماد في اثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الاصل اللغوي لهذا اللفظ . والمراد بهذا النظر الى معنى اللفظ في حال افراده عندما يركب في جملة ، لان السياق قد يكسبه معنى جديدا ، هو الذي يخرج به الى التضاد مثال ذلك قول ابن الانباري (29) : « ومن الاضداد ايضا قول العرب للرجل : « ماظلمتك وانت تنصفني » يحتمل معنيين متضادين : احدهما ما ظلمتك وانت

(18) أبو حاتم 116 . ابن الدهان 14 .

(19) 110

(20) 437

(21) مجلة الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ، سنة 1895 ، ص 223 .

(22) 82 . وانظر اضداد أبي الطيب 208 .

(23) 7 .

(24) 11 ، 15 ، 18 ، 49 .

(25) ابن الانباري 255 ، 242 ، 244 ، 257 . أبو الطيب 273 ، 332 ، 650 ، 85 .

(26) 17 ، 30 - 32 .

(27) انظر مادم ، افلت ، مؤدي ، اسد ، اضب ، اضمن ، وغيرها .

(28) 196 ، 199 .

(29) 160 .

وكيف وجدت في اللغة . واشترك في هذه المحاولة من افقت آراؤهم ، ومن اختلفت ، ومن اختلفوا بها ومن رفضوها ، والقديما والمحدثون ، والعرب والمستعربون . وان كثيرا من الآراء التي اتى بها منكرو الاضداد هي في الحقيقة محاولة لتلبيس وجودها ، ولذلك ادخلتها لاوردتها هنا .

واختلفت الطرق التي سلكها العرب وغير العرب في دراسة هذه الظاهرة اللغوية ، في كثير من الاحيان . فقد اوغل بعض المستشرقين في تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى المصور القديمة ، عندما كان العقل البشري في سداخته ، فلم يكن يفتن لما يعثره من تناقض . وكان قائل هذه النظرية هو ابل Abel . اذ اعلن ان الاضداد هي البقية الباقية مما كان للاول من تناقض منطقي في التفكير . ولكن هذا القول لم يلق راجا حتى في اوساط المستشرقين ، فرد عليه فيل Veil ورفضه هو وراي لجست Leguist الذي ارجع الاضداد الى اشتقاقات مبالغ فيها ..

وتوسط بعضهم في الابدال ، فلم يرجع الى التاريخ البشري ، واقتصر على التاريخ العربي القديم . فاعلن جيز ان العرب افترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ابحاءاته ، فقد ادى ذلك الى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك بلفظ (جلل) . اعلن ان العربية اخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . واذا كان الشيء المدحرج ثقيل احيانا ، وخفيفا احيانا ، فقد اعتمدت العربية على هذين الابهامين المتضادين للكلمة الواحدة واعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقيق .

واقتمد بعضهم الآخر ، ونظر في تاريخ الجماعة الواحدة ، فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج . وضرب جيز مثالا لذلك بالفعلين باع وشرى . فقد كان المعنى الاصيل لهما بادل ، حين كان البيع والشراء يقوم على مبادلة السلع . فلما عرفت النقود ، اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل . ولكن رواسب المهد القديم بقيت حية ، فكانت تلقي ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى المثال السابق مثالا من حيائنا الحاضرة ، يلتبس فيه معنى الفعل لحدالة عهد الناس بالحديث الذي يدل عليه . فلما

ايضا لم تظلمني ، بل مذهبك انصافي ، واستعمال ما استعمله من ترك الظلم لك والجنف عليك والمعنى الآخر : ما ظلمتك لو انصفتني ، فاما اذ لم تنصني فاني اكافئك بمثل فعلك . وقول الله عز وجل : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يفسر تفسيرين متضادين : احدهما : وما كان الله معذبهم واولادهم يستغفرون ، اي قد وقع له في عنقه جل وعز انه يكون لهم ذرية تعبد ويستغفر لهم . فلم يكن ليوقع بهم عذابا يجتث اصلهم ، اذ علم ما علم من صلاح اولادهم وعبادتهم له جل وعلا . والتفسير الآخر : وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون ، فاما اذ كانوا لا يستغفرون فانهم مستحقون لعزوب العذاب التي لا يقع معها البوار والاصطلام ، بل تكون كما وقع بهم من عذاب الجذب في السنين التي لحقتهم فاكلوا فيها الجيف والعلهز ، وكذاب السيف والاسر الذي لحقتهم يوم بدر وغيره . والله اعلم بحقيقة ذلك كله واحكم .

ولم يلتفت المؤلفون الاولون في الاضداد لهذا النوع ولم يشيروا اليه في كتبهم . وانما ظهر في القرن الرابع عندما شاعت بين الكتاب الرغبة في الاحاطة والاسراع والايان بما لم يات به السابقون . فتجلى عند ابن الانباري ، ومن اخذ منه من اللاحقين عليه كابن الدهان والصفاني .

واضاف الدكتور منصور فهمي الى الاسباب السابقة سببا آخر ، يمكن ان نسميه - اذا احسنا الظن - تساهل اللغويين ، واذا اسأناه سمينا حجب التكثر والتزيد والتباهي بما اورده كل منهم من الاضداد . فقد دفعهم ذلك الى ايراد كثير من الالفاظ لا صلة لها بالاضداد ، وانما هي من المشترك ، مثل المعصر والحزور والروح والقلب والماد وزنا ونسل .. الخ .

وتوجد الى جانب ما ذكرت عدة اسباب اخرى اوردها المستشرقون والدكتور منصور فهمي ، ولكن تنقصها صفة العموم التي تتحلى بها الاسباب التي ذكرتها . فهي لا تتحدث الا عن نوع واحد من الاضداد ، ولذلك ابقينا الى حين معالجة انواع الاضداد ..

اصل الاضداد

منذ تلبس اللغويون الى الاضداد ، واختلفوا فيها ، وهم في محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها ،

عليها حتى يؤدي بها ذلك الى التضاد . مثال ذلك الدفر ، التي تطلق على الرائحة الطيبة والكريمة . وسبب ذلك اختلاف شعور الانسان بها ، اذ يحبها شخص ويرتاح اليها ، ويتأفف منها اآخر وينفر لشذوها ..

اما اللغويون العرب فقصوروا جهودهم على الاضداد العربية ، ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا ، وحاولوا ان يثبتوا اصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها . واكثر الآراء التي رأيتها شيوعا عندهم كون كثير من هذه الاضداد من آثار اللهجات الكثيرة التي ضمتها العربية الفصحى . قال ابن الانباري (30) : « قال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال ان يكون العربي اوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ولكن احد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الاخر لحي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بعض فآخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .. فالجون الابيض في لغة حي من العرب ، والجون الاسود في لغة حي اآخر . ثم آخذ احد الفريقين من الاخر .. » . وترددت اصدااء هذا القول عند أبي علي الفارسي (31) ، وابن الدهان (32) ثم الكتاب المحدثين . وكان احد الدعائم التي استند اليها ابن درستويه (33) في انكار الاضداد ..

واورد ابن الانباري رأيا آخر لم ينسبه الى احد ، وكان له صداه ، ايضا في الدراسات اللاحقة . قال (34) : وقال آخرون : اذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالاصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك الصريم ، يقال ليل صريم . وللنهار صريم ، لان الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فاصل المعنيين من باب واحد ، وهو القطع . وكذلك الصارخ المستغيث ، سميا بذلك لان المغيث يصرخ بالاغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فاصلهما من باب واحد .. » .

وقد جعل الشيخ محمد الخضري هذا القول واحدا من رأيين له في تحليل نشأة الاضداد قال (35) :

كنا حديثي مهد بالقناطر (الكباري) التي تفتح وتغلق ، لم نستطع ان نستقر بعد على اعطاء لفظ واحد لكل من عملها . فنحن نقول : فتحت القنطرة اذا اغلقت في وجه المارة وفتحت للمراكب ، واذا فتحت امام المارة واغلقت طريق المراكب ايضا . وربما اجتمع الى حدائة المهد اختلاف النظرة .. فاصحاب المراكب يقولون عنها : فتحت ، اذا فتحت لهم واغلقت نسي وجه المارة ، وهؤلاء يقولون : فتحت ، ان حدث العكس . ولكن هؤلاء وهؤلاء غير منفصلين ، ومن هنا صار للكلمة معنيها المتضادان والشائعان معا ..

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد ، وما يسودهما من ظواهر ذات تأثير في اللغة . فذهب الى ان بعض المعاني المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتداوى في الذهن ، فتؤدي الى الاضداد . مثال ذلك كلمة « البين » التي تطلق على الفراق والاجتماع ، والسبب في ذلك ان الانسان قد يفترق وحده عن جماعته ، وقد يفترق فيلحق بجماعة اخرى . ولا يختلف هذا القول كثيرا عن القول الاخر الذي اورده دائرة المعارف الاسلامية ايضا منسوباً الى جيز ، ويرى ان الارتباط بين المعنى قد يكون بسبب ان احدهما نتيجة للآخر . مثل خفي البرق بمعنى ظهر واستتر . فان البرق لا يكاد يظهر حتى يخفي ، فالظهور والاختفاء متلاحقان ، وثانيهما نتيجة لاولهما . ومثل « ناء » بمعنى نهض بالحمل في مشقة ، وحمل الحمل . ومثلها ما سماه تداخل الاحداث ، فما كان اآخر الامر قد يكون اولا لغيره ، وما يكون اولا لامر قد يكون اآخر لغيره مثل « السدفة » فهي الوقت الذي بين النور والظلمة ، يمكن ان تختلف فيها القبائل او الافراد بل سامعوها من اللغويين فيظنوا ان المراد بها النور وحده او الظلام وحده .

وآخر ما جعله جيز من اسباب التضاد فموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها واختلافها من شخص الى اآخر ، وتسرب هذا الفموض الى الالفاظ التي تدل

(30) 11 .

(31) المخصص 13 : 59 .

(32) 5 .

(33) الزهر 1 : 385 .

(34) 8 .

(35) الاصول 174 .

التخالف عنده تداخل اللغات ، وحذف حرف التعدية من الفعل اللازم لكثرة الاستعمال ، وتشبيه الفصل بمرادفه في المعنى أو ما نعرفه اليوم باسم التضمين . ويجدر بنا - قبل أن نترك ابن درستويه - أن نلاحظ أنه اضطر إلى الاعتراف بأنه « قد يجيء الشيء النادر من هذا » في اللغة ، فهو لم يستطع أن ينكر وجود هذا النوع المتخالف والمتضاد من الالفاظ في اللغة ، ويعلم خلوها التام منه ، وإنما أعلن أنه « نادر » وله علله ..

واسم أبو علي الفارسي في التعليل أيضا ، فاضاف العلة المجازية . روى ابن سيده عنه (37) : « اما .. اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي الا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا . ولكنه من لغات تداخلت ، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء ، فتكثر وتقلب فتصير بمنزلة الأصل » . وقد كان لهذا الرأي الأخير صداه الواسع في تقسيم الأضداد بعد ذلك .

هذه هي الآراء التي جاء بها القدماء في معرض تعليل الأضداد حيناً ، ومعرض انكاره حيناً آخر . وتلقفها عنهم المحدثون فأذاعوها بينهم مقتصرين عليها تارة ، ومتسعين فيها أخرى ، ومتشعبيين بها في أحوال كثيرة حتى خلصوا إلى آراء ما كانت تدور في خلد القدماء ..

وبقي أمامي المذهب الثاني الذي جعله الشيخ محمد الخضري (38) علة لنشأة الأضداد وهو أن يطلق اللفظ على شيء واحد ، تتغير مظاهره أحيانا ، فلا يفتن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد .. مثال ذلك عنده الجون ، فالأصل فيها أن تطلق على السحاب . ولما كان من السحاب الأبيض ومنه الأسود فقد ظن اللغويون أن هذه الصفة مراعاة في اللفظ ، وأنه يطلق على الأبيض من السحاب تارة ، وعلى الأسود أخرى ، فهو إذن من الأضداد . وليس الأمر كما ظنوا ، فلا تضاد في اللفظ لأنه لا يدل إلا على السحاب مجردا من كل صفة ..

وأخر العلل التي عثرت عليها ما أضافه الدكتور منصور فهمي مستقيا إياه من أقوال القدماء عن

أولهما أن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه في هذه الفكرة . وحين يفتل الناس من هذه الفكرة المشتركة يظنون أن اللفظ من الأضداد . مثال ذلك الصريم ، هو الليل أو النهار . وأصل اللفظ من الانصرام بمعنى الانسلاخ ، فالليل صريم لأنه ينسلخ من النهار ، والنهار صريم لأنه ينسلخ من الليل ، وهما متداخلان . ومصدق ذلك الآية الكريمة : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » .

ونستطيع أن نضع تحت هذا القول ما علل به عبد الفتاح بدوي التضاد في الفعل باع . فقد رأى أن المعنى الأصلي له مد باعه ، سواء للاخذ أو العطاء ، ومن هنا اطلق على الشاري والبائع لأن كلا منهما يفعل ذلك في وقت البيع .

وجاء ابن درستويه بعلمتين أخريين للتخالف والتضاد في معنى الكلمات . قال السيوطي (36) حاكيا قوله : « : فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلل ، كما يجيء فعل وأفعل . فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين ، وأن اتفاق اللفظان . والسماع في ذلك صحيح من الصرب ، فالتأويل عليهم خطأ . وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع في الكلام ، حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ . وذلك أن الفعل الذي لا يتعدى فاعله ، إذا احتيج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر ، بأن يراد في أوله الهمزة ، أو يوصل به حرف جر بعد تمامه ، ليستدل السامع على اختلاف المعنيين . إلا أنه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب في كلام العرب ، حتى يحاولوا تخفيفه ، فيحذفوا حرف الجر منه ، فيعرف بطول العادة ، وكثرة الاستعمال ، وثبوت المفعول وأمرابه فيه خاليا من الجار المحذوف . أو يشبه الفعل بفعل آخر متعدد على غير لفظه ، فيجري مجراه لاتفاقهما في المعنى ، كقولهم : حبست ، الدابة ، وحبست ما لا على المساكين » . فأسباب

(36) الزهر 1 : 385 .

(37) المخصص 13 : 59 .

(38) الأصول 174 .

التفاؤل والتطير والتهكم ، اذ ان العرب اعتادوا ان يعدلوا عما يكرهون من الفاظ الى ما يحبون ، فسموا الصحراء المهلكة : المفازة من الفوز ، والاعمى : البصير ، والملدوغ : السليم : ونادوا الجاهل بقولهم : « يا هائل » . ولا زلنا نحن نسمع في المقاهي عبارة : « خذ الملبان » يريدون بها الاكواب الفارغة .

ويؤدي بنا التأمل الدقيق في العلل التي أوردتها الدارسون للغة العربية نفسها دون محاولة للفلسفة او للثبوت على نظرية عامة او الإبتداع في مجاهل التفكير البشري ، يؤدي بنا هذا النوع من التأمل الى ان اهم ما قالوا من علل واطهره هو « المعنى الاصلي للالفاظ » . فنحن في حاجة الى اعادة النظر في هذه الالفاظ ، وفيما ذكره لها اللغويون من معان ، وفي حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذي لا يابه بما حولها من ملايسات ، ولا بما يرتبط بها من ظواهر ، ولا بما يؤدي اليه من نتائج ، ولا بما قطعه اللفظ من اشواط سائرا في طريق معتدلة انا ومعوجة داوئة . فان وصلنا الى ذلك المعنى ، فمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما أحيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض أحيانا ، وهرة للخطأ أحيانا اخرى .

واما بقية العلل فهي ارتباط بعض الطرق التي سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد مثل اللغات ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما اليها من امور . كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق في الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة . اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد في اللغة العربية الفصحى . فمن رفضوا الاضداد رفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضعت اصلا للمعنيين المتضادين . ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين في كل شيء ، بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدهما لفظين متمايزين ، غير ان معنييهما متضادان . كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها في تيسار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة . فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع

من الالفاظ (الذي نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد ، والطرق التي سلكتها حتى وصلت الى التيار الحالي .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون ، هي قلة الاضداد في اللغة العربية الفصحى . فابن درستويه من المعارضين يصفها « بالشيء النادر » ، وابن الانباري من المؤيدين يقول (39) : « هذا الضرب من الالفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب » .

شروط الاضداد

اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا عنه ، عندما استقصى النظر في اللغة ، او احتوى قوله على ما يوميء الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعضهم .

فقد كان في وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ قلائل في اللغة . فحاولوا جمعها وابرازها . وتحت اثر من هذا الاحساس ، ومن هذه الغاية ، جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة عدوها اضدادا ، وهي واهنة الصلة بها . وكان اكثر المؤلفين وقوعا تحت هذا الاثر قطرب : اول من كتب عن الاضداد .

فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله في كتابه كيلا يتهم بانه فاته من الاضداد شيء (40) . ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا بتخلصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا امامهم من كتب في الاضداد . فاحذوا يمدون النظر فيها ، وفي اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا . وعند تتبع هذا النقد استخلصت كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر في اللفظ حتى يدخلوه في الاضداد . ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها في كتبهم . وبالرغم من ذلك اتبع هذه الشروط لاهميتها في توضيح «صورة الاضداد» في اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق في كتبهم .

واهم مؤلفا يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد بن القاسم الانباري . ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية في اللفظ ليعده من الاضداد :

(39) 6 .

(40) ابو الطيب 688 .

1 - ان تكون صيغة اللفظ ذي المعنيين المتضادين واحدة . فخرج من الاضداد ما كان احد المعنيين لافعل والاخر لفعل . قال (41) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد خدمت النمل : اذا انقطعت مروتها وشسمها ، واخدمتها : اذا اصلحت مروتها وشسمها . وهذا ليس مندي من الاضداد ، لان (خدمت) لا يقع الا على معنى واحد ، وكذلك (اخدمت) . ولفظ اخدمت يخالف لفظ خدمت . وما لم يمر الا من معنى واحد بلفظه لا يكون من الاضداد » . واتفق ابو الطيب اللغوي مع ابن الانباري في هذا الرأي ، بل في كلامه الذي اذكره بعد ما يدل على اتفاهه معه في حديثه عن كل الصيغ التالية .

واخرج ابو بكر منها ما جاء على فعل المجرد وفعل المضاعف . قال (42) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : بدن الرجل : اذا حمل اللحم والشحم ، وبدن تدينا : اذا اسن وكبر وضعف . قال ابو بكر : وليس الامر مندي على ما ذكر قطرب ، لان (بدن) لفظه يخالف لفظ (بدن) . وما لا يقع الا على معنى واحد لا يدخل في حروف الاضداد » .

واخرج منها على ما كان على فعل ولعل ولعمل من الصفات . قال (43) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : رجل نجد : اذا كان سريع الاجابة الى الداعي اذا دعاه .. ويقال : رجل نجد : اذا كان مغرما من أي وجه .. وقال غير قطرب : يقال للمفزع : منجود ونجيد .. قال ابو بكر : وليس النجد مندي من الاضداد ، لان العرب لا توقعه الا على معنى واحد ، وما كان بهذه الصفة لا يدخل في الاضداد » .

واخرج ما كان على فاعل ومفعول ، قال (44) : « ومن حروف الاضداد : الطاحي : المنضجع . والطاحي : المرتفع ... هذا قول قطرب . وليس

الطاحي مندي من الاضداد ، لانه لا يقال طاح للمنخفض ، انما يقال للمنخفض مطحو ومطحى » .

واخرج ما كان فعلا واسما ، قال (45) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم : قد جمرت المرأة : اذا جمعت لها كالنومتين من حلق ونشف - والنزعة : ما ينحسر من شعر جانبي الرأس الذي يعضد ثابت في الجبين - قال : ويقال للدوابة جمار . ويقال : للمرأة جماران ، اي ذؤابتان صفرتا مقبيلتين على وجهها .. فقول قطرب : جمرت المرأة ولها جماران من الاضداد ، ليس بصحيح ، لان جمرت لا يكون بمعنى وفرت الشعر ، ولا يقال : جمار لما يضاد للدوابة ، فلا وجه لادخاله في حروف الاضداد » .

فابن الانباري يشترط ان يكون المعنيان المتضادان لفعلين أو اسمين أو صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ من ذلك .

كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد ، قال (46) : « قال بعض الناس : طرب : حرق من الاضداد . يقال : طرب اذا فرح ، وطرب اذا حزن .. ولم يصب هذا القائل مندي ، لان الطرب ليس هو الفرح ولا الحزن ، وانما هو خفة تلحق الانسان في وقت فرحه وحزنه » .

واتفق ابو الطيب اللغوي معه في هذا الرأي ، قال (47) : « ابو حاتم وقطرب قالا : ومن الاضداد الماتم . فالماتم النساء المجتمعات في فرح وسرور ، والماتم النساء المجتمعات في غم وحزن ومناحة ... وقال غيرهما : الماتم جماعة النساء ، لا واحد لها من لفظها ، وسواء كن في وليمة او مناحة او في غيرهما بعد ان يكن مجتمعات . فعلى هذا ليس الماتم من الاضداد » .

(41) 276 . وانظر 583 ، 291 ، 298 ، 304 .

(42) 310 .

(43) 320 .

(44) 302 .

(45) 279 .

(46) 57 . وانظر 58 ، 92 .

(47) 21 . وانظر 37 ، 57 .

واشترط ابن الأنباري أيضا أن يكون هذان المعنيان فصيحين لا من ابتكار العامة ، قال (48) : « قال قطرب : الحرفة من الأضداد ، يقال : قد أحرف الرجل أحرافا إذا نما ماله وكثر ، والاسم الحرفة من هذا المعنى . قال : والحرفة عند الناس الفقر وقلة الكسب . وليست من كلام العرب إنما تقولها العامة » .

واشترط أن يكون المعنيان معروفين استعمالهما العرب في حوارهم . قال (49) : « قال قطرب : من الأضداد : الهجر ، يقال : هجرت الرجل : إذا عرضت عنه ، وهجرت الناقة : إذا شددت في انفها الهجار - وهو حبل - لتعطفها على ولد غيرها . . وهذا القول عندي بعيد ، لأن المعنى الثاني لم يستعمل في الناس » .

ويبدو أن أبا الطيب اللغوي يتفق مع ابن الأنباري في هذا الرأي أيضا ، وإن لم يطن ذلك صراحة « قال مثلا (50) : « قال قطرب ، ومن الأضداد التفل . فالتفل المنتن ، والتفل المتطيب . قال أبو الطيب : المعروف من التفل المنتن » .

واشترط أبو الطيب ألا يكون المعنى الثاني مجازيا . فأخرج من الأضداد (51) : « ما جاء مسمى باسم غيره ، لما كان من سببه » مثل العشاء الذي يطلق على الناقة التي بلغت مشرة أشهر في حملها ، والناقة التي نتجت حديثا ، والآرة الذي يطلق على الحفرة التي فيها النار ، وعلى النار نفسها .

واشترط في المعنى ألا يكون مقلوبا أو مزالا عن جهته ، مثل قولهم ناه بي الحمل ، وبأ خيل الله أركبي . ولم يعد ذلك من الأضداد (52) .

وانفرد أبو الطيب اللغوي بإخراج مجموعة من الألفاظ تتضاد في معانيها وتتماثل في صورتها ،

ولكن هذه الصورة المتماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها ، إذ تختلف الملل ، الصرفية التي وصلت بها إلى صورتها . مثال ذلك قوله (53) : « ومن الأضداد - زعم التوزي - قولهم : رجل مود أي هالك ، ورجل مود إذا كان ذا سلاح قويا . قال أبو الطيب : وليس كذلك ، لأن المودي الهادي غير مهموز ، وفاء الفعل منه واو ، يقال : أودى الرجل يسودي أبداء أي هلك . . والمؤدي من السلاح مهموز ، وفاء الفعل منه همزة ، وإنما معناه ذو أداة الحرب . يقال : قد أدى يؤدي : إذا تمت أدائه للحرب وسلاحه . . فهذا غير الأول » . وقد أدى به هذا التصور للأضداد إلى أن يخرج منها ما جاء على مفتعل ومفتعل مما عينه متقلبة عن ياء أو واو ، إذ لا يبين فيه كسر العين وفتحها لسكون الألف ، مثل الميتاع والمجتاب والمجتاح ، ومن المدغم العين في اللام ، مثل المبتز والمحتز والمختص . ووضع في آخر الكتاب (54) .

وأخرج مجموعة تماثلها لاختلاف حرف العلة الأصلي فيها ، قال (56) : « قال أبو حاتم : ومن الأضداد قولهم : ضاع فلان ، من الضياع ، وضاع الشيء إذا ظهر وبدا . . قال اللغوي ، وأما أنا فلا أرى هذا من الأضداد ، لأن شرط الأضداد أن تكون الكلمة الواحدة بعينها تستعمل في معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها . وقولهم : ضاع يضيع من الضياع إنما الألف فيه متقلبة عن ياء . . . وقولهم ضاع إذا ظهر الألف فيه متقلبة عن واو »

بل ذهب إلى أبعد من ذلك وأخرج من الأضداد ما اختلفت صيغ المجرد والمصدر منه من الأفعال ، وعد ذلك اختلافا بينهما . قال (57) : « ومن الأضداد القانع ، زعموا . قالوا : فالتقاع الراضي ، والقانع السائل الطالب . . . قال عبيد الواحد : ليس هذا عندي من الأضداد ، لأن شرط الأضداد ، على ما أصلنا

(48) 267 .

(49) 213 . وانظر 288 ، 289 ، 300 ، 346 .

(50) 113 . وانظر 163 .

(51) 711 .

(52) 720 .

(53) 671 .

(54) 691 .

(56) 452 .

(57) 577 .

أولاً ، أن تكون الكلمة الواحدة تنبيه من معنيين متضادين ، من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها . والقانع بمعنى الراضي يقال منه قنع يقنع ، مثل شرب يشرب ، والمصدر قناعة وقنعا وقناها وقنعانا - أي رضي - فهو قانع وقنع . والقانع - بمعنى السائل - يقال منه قنع يقنع مثل صنع يصنع ، والمصدر قنوعا لا غيره . . . وإذا تغير البناء لتغيير المعنى فليس من الأضداد .

ونستخلص من هذا غموض صورة الأضداد في ذهن قطرب أو عدم وجود حدود لها ، وأخذها في الوضوح والجلالة والتحدد على مر الزمن . فكانت اللغات الأولى منها عند أبي حاتم السجستاني . ثم كان كمال البروز والتحدد عند ابن الأنباري وأبي الطيب .

أنواع الأضداد

نستشرف من الحديث السابق من أسباب الأضداد ، والاختلاف فيها ، وتغير صورها عند اللغويين ، نستشرف منه أن الأضداد لم تضم فئة واحدة من الالفاظ كان من المحتمل أن يتفق عليها العلماء أو على كثير من الظواهر المتصلة بها .

وبالرغم من احساس العلماء المبكر بأن الأضداد ثبات مدة ، لم يجد بين القدماء من حاول أن يصنفها ، تصنيفاً قاصراً أو شاملاً . وبالرغم من أن المحدثين اضطروا إلى الفصل بين أنواع منها ، ليسهل عليهم رفضها أو تأجيلها ، فإنهم لم يرتقوا بهذا الفصل إلى أن يكون تصنيفاً .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئاً من ذلك هو عبد الفتاح بدوي . ويبدو أنه أراد أن يعرض ما فات اللغويين ، فامطأنا تقسيمين لا واحداً . أما التقسيم الأول لصغير ومحكم ، ويقوم على أساس نحوي . فقد جعل الأضداد أربعة أنواع :

1 - أضداد في اللفظ المفرد ، كالقصر للحيض والطهر .

2 - أضداد في الفعل ، كظن للشك واليقين .

3 - أضداد في التراكيب ، كعبارة « تهبيت الطريق وتهبتي الطريق » .

4 - أضداد في المتعلقات ، كرهب منه وrehب فيه .

وكان التقسيم الثاني واسعاً ، ينظر إلى عدة أسس بحيث تغيب عن النظر الذي يريد أن يصل إليها . فالأضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف ، هي :

1 - الأضداد التي تحقق المعنى في كل من المتعلقين على حد سواء ، مثل اطلاق الصارخ على كل من المغيث والمستغيث .

2 - الأضداد التي يكون أحد معنييها حقيقيًا والآخر مجازياً ، مثل اطلاق الكأس على الإناء والشراب الذي فيه .

3 - الأضداد الآتية من لهجات مختلفة ، مثل وثب وسجد .

4 - الأضداد التي يصح أن ينسب مصدرها إلى أي من الطرفين ، مثل اطلاق المولى على السيد والخادم .

5 - الأضداد التي تتوافق منطقاً وتختلف تصريفاً ، مثل اطلاق المختار على الشخص الذي اختار ، والشئ الذي اختير .

6 - الأضداد الناتجة عن المتعلقات ، مثل رغب فيه ورهب عنه .

7 - الأضداد الناتجة عن السياق ، مثل : « نسوا الله فنسيهم » .

8 - الأدوات والحروف ، مثل ان واذا وإذا .

9 - الأضداد الناتجة من التفسير ، مثل شاة درهه ، ومائم . .

10 - الأضداد الناتجة من تصف اللغويين ، مثل بعض .

ومهما يكن من شيء ، فأنني لن أنسى كثيراً بالتقسيمات النظرية ، وأن كنت لن أهملها كل الإهمال . وأجعل ههنا كله في تتبع الأنواع المختلفة التي ادخلها مؤلفو الأضداد فعلاً . في كتبهم ، إذا اختلف النظر والتطبيق عندهم . وأبدأ بأول مؤلف : قطرب ، إذ توسع في تصور الأضداد أكثر من غيره ، حتى اضطرن من جاء بعده إلى نقده . ورفض كثيراً منها . ولن أقف عند التقسيم ، بل أتبع كل صنف بما وجه إليه من نقد . وهالك ما وجدته من أصناف عند قطرب :

1 - الاضداد الحقيقية ، ائني الالفاظ ذات المعنيين المتقابلين عنده . قال (58) : « المقسوق للحامل والمقسوق للحائل ايضا » . وقال (59) : وقالوا في الاضداد : النحاحة : السخاء ، والنحاحة : البخل . ونازعه غيره في تضاد بعض ما جاء به من الفاظ .

قال ابو الطيب (60) : وحكى : يقال : بردت الماء ، من البرد ، أي جعلته باردا . وبردته : سخنته . قال : وانشدنا بعضهم :

شكت البرد في المياه ، فقللنا

برديه توافقيه سخينا

قال قطرب: معنى برديه في هذا البيت سخنيه . وقال ابو حاتم : هذا خطأ ، انما هو برديه (يريد : بل رديه) من الورد ، ولكنه ادغم اللام في الراء ، كما يقرأ (كلا ، بل ران على قلوبهم) قال ابو الطيب : وهذا الصحيح ، وبه يستقيم معنى البيت . وقال ابن الانباري من لفظ آخر (61) : « ومن حروف الاضداد البحتر : يقال رجل بحتر ، اذا كان قصيرا - او بهترا بالهاء ايضا - ويقال : رجل بحتر اذا كان عظيما . ذكر هذا قطرب ، وما علمنا احدا وافقه على ان البحتر يقال للعظيم » .

2 - الالفاظ المتضادة المعاني من اختلاف الصيغ ، مثل فعل وافعل ، وفعل وفعل من الالفعال ، وفعل وفعل وفعل من الصفات . وقد اوردت اثنا امثلتها ، وما وجهه اليها ابن الانباري وابو الطيب من نقد ، واخراجهما اليها من الاضداد . والحق معهما ، ولذلك لم يوافق قطريا من اتى بعده من مؤلفي الاضداد . فاستبعده

اكثرهم من كتبه . وربما كان واجبا ان نستثنى ابا عبيدة والتوزي من هذا الحكم ، اذ يبدو انهما اورداه في كتابيهما . قال ابو الطيب (62) : « قال ابو عبيدة : ترب الرجل يترب تربا : اذا لصق بالتراب من الفقر .. واترب الرجل يترب اتربا : اذا كثر ماله كثرة التراب . فالترب المحتاج ، والترب الفني » وقال ابو الطيب ايضا (63) : « قال التوري : ومن الاضداد ثبت الرجل اذا اعطيته من الثواب ، والبتة اذا طلبت نواله . قال ابو حاتم : ولا امرئ الثاني الا توهما » .

اما الاصمعي فوجدت عنده مثالا لو صح وضعه مع ابي عبيدة والتوزي . قال (64) : « قسط : جار . واقسط بالالف : عدل لا غير . قال الله جل ثناؤه : (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) اي العادلين . وقال في الجائرين : (واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .. » . ويخيل لي ان في العبارة سقطا ، وتمتها : « قسط : جار ، وقسط : عدل . واقسط بالالف : عدل لا غير » بدليل صراحة (لا غير) وبدليل ورودها على هذه الصورة عند ابن السكيت الذي يروي كثيرا من الاضداد عن الاصمعي ، وورودها كذلك عند غيره .

3 - الالفاظ التي تنفق في الصيغة والحدث ، وتختلف في نسبتها الى من قام به او من وقع عليه . ومثالها فعمل التي تدل على الفاعل والمفعول . قال (65) : « الريبة : التي تربب . والريبة : التي تربت . قال الله عز وجل في الريبة : « وربائبكم اللاتي في حجوركم » .

(58) 69 . واورده ابو حاتم 224 ، وابن الانباري 114 ، وابو الطيب 495 ، وابن الدهان 15 والصغاني 588 .

(59) 133 . واورده ابو حاتم ، 253 ، وابن الانباري 301 وابو الطيب 650 وابن الدهان 20 ، والصغاني 670 .

(60) 86 . واورده ابن الانباري 31 ، وابن الدهان 7 .

(61) 257 . وارده قطرب 49 ، وابو الطيب 85 ، وابن الدهان 7 ، والصغاني 389 .

(62) 115 . واورده ابن الانباري 291 .

(63) 124 .

(64) 21 . واورده قطرب 98 ، وابن السكيت 293 وابن الانباري 26 وابو الطيب 594 ، وابن الدهان 17 ، والصغاني 625 .

(65) 84 . واورده الاصمعي 80 ، وابو حاتم 174 ، وابن السكيت 353 ، وابن الانباري 85 وابو الطيب 310 ، وابن الدهان 11 ، والصغاني 472 .

الفاعل . والتواب : الله تعالى . قال : (وان الله تواب حكيم) . وقال الله تعالى : (ان الله يحب التوابين) .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان الاحداث التي تدل عليها هذه الالفاظ او اغلبها تحتاج الى الاشتراك ولا يمكن ان تقع لفرد واحد . فالتربية مثلا تحتاج الى من يقوم بها والى من تقع عليه ، والركوب يحتاج الى راكب ومركوب .. الخ .

4 - الالفاظ المشتركة المعنى المختلفة مظاهره ، مثل قول قطرب (69) : « اهنف الرجل اهنافا - بالنون والتاء : ضحك ضحكا وريدا . واهنف ايضا : بكى . ويقال : تهافت الرجل تهافتا : اذا ضحك ضحك تعجب » . وقال ابن الانباري : « تهافت معناه قال : ايها ايها في البكاء » . والواضح ان الاهناف هو الحركة والصوت اللذين يصدران من الباكسي والضحك ، فالمعنى واحد ، غير ان مظاهر مختلفة تنصل به . ومثله الماتم كما رأينا .

ولم ينفرد قطرب بهذا النوع ، بل وجد عند غيره من اصحاب الاضداد . فقد اورد الاصمعي في كتابه الطرب ، التي مر بنا نقد ابن الانباري لها . ولم اجد عند ابي حاتم من هذا النوع الا ما نقله من قطرب وأبي زيد . مثال ذلك قوله (70) :

« قال ابو زيد : طبخته : اذا شويته ، وكذلك اذا طبخته في القدر . قال : ويقال ، طبخته الشمس اي احرقته ، وطبخته في التنور : اي شويته .. » فالمراد بالطبخ الانضاج ، سواء اكان بالشئ ام بالغلي في القدر ..

والغريب ان ابن الانباري الذي نقد كثيرا مما ذكره غيره ، وقع هو نفسه فيه ، ورضي من كثير منه . ومن اغرب ذلك قوله (71) : « الصلاة من الاضداد . يقال للمصلي من مساجد المسلمين صلاة ، ويقال لكنيسة اليهود صلاة . قال الله عز وجل :

وصيغة فعول ، قال (66) : « ومنها قول الله عز وجل : (فمئنا ركوبهم) لما يركب . وركوب للفاعل ايضا مثل غروب وقتول . وقالوا : مكان ركوب : اي مركوب . وقال الآخر : « يدمن صوان الحمص ركوبا » اي مركوبا . طريق ركوب ، وطرق ركب . وقال اوس :

تضمنها وهم ركوب كأنها
اذا ضم جنبه المخارم رزق

وهو الصف من الناس اذا انقطعوا ، وهو بالفارسية رزده .

وصيغة فاعل ايضا ، قال (67) : « وقد جاموا بفاعل في معنى مفعول ضدا ، قالوا : سر كاتم ، اي مكتوم ، وامر عارف ، وما انت بحازم عقل : اي محزوم عقل ، وهذه تطلقة بائية : اي مبانة فيها . اخبرنا الثقة : ومثله قول الله جل وعلا : (لا ماصم اليوم من امر الله) كانه يريد لا معصوم ، و (هو في عيشة راضية) من ذلك اي مرضية ، وقد يجوز ان يكون المعنى في راضية لاهلها ... » . ويرى بعض النحويين ان العبارات تحتوي على فاعل مقدر بعد الصفات ، فالتقدير عنده سر كاتم صاحب او سامعه وامر عارفه الناس ... الخ .

ووافق اللغويون قطربا في مد هذا النوع من الاضداد ، وادخلوه في كتبهم . وتنبه بعضهم الى جميع الالفاظ المختلفة تحت صيغتي فعول وفعليل ، وفترتها بعضهم الآخر . فجمع قطرب معظم صيغ فعول ومقد لها عنوانا خاصا بها ، ولم يجمع صيغ فعليل . واتبعه في الامر ابن ابو حاتم ، حتى اشتركا في كثير من الالفاظ التي اوردها (154 - 163) . وجمع الاصمعي بعض صيغ فعول دون عنوان (87 - 91) واهمل صيغ فعليل . فاتبه ابن السكيت .

واضاف ابو حاتم صيغة فعال ، التي تطلق على الفاعل والمفعول اليه . قال (68) : « التواب : التائب

(66) 13 . واورده الاصمعي 90 ، وابو حاتم 154 ، وابن السكيت 362 ، وابن الانباري 239 وابو الطيب 306 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 481 .

(67) 33 - 44

(68) 196 . واورده ابن الانباري 338 ، وابو الطيب 111 ، وابن الدهان 8 ، والصفاني 411 .

(69) 52 . واورده ابن الانباري 258 ، وابو الطيب 683 ، وابن الدهان 21 .

(70) 211 . واورده ابو الطيب 462 ، والصفاني 554 ، ووضعه ابن الانباري في اشباه الاضداد 185 .

(71) 225 . وانظر 227 .

(يا ايها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى)
 اراد لا تقربوا المصلى ، هذا تفسير ابي حبيدة وغيره .
 وقال عز ذكره : (لهدمت صوامع وبيع وصلوات
 ومساجد) والصلاوات عني بها كنائس اليهود ،
 واحداثها صلاة ... فالصلاة موضع صلاة الانسان ،
 مسلما كان او مسيحيا او يهوديا او غيرهم .

ويتمثل هذا النوع ايضا في اعداد ابي الطيب ،
 وابن الدهان ، والصفاني ، بسبب كونها تستهدف
 الجمع ، فهي تورد ما اورده الكتب السابقة عليها .
 بل اضاف بعضها الفاظا جديدة لم ارها فيما بين
 يدي من كتب . ومثاله ما اورده الصفاني في
 قوله (72) : المجباء : التي يتعجب من حسننها ،
 والتي يتعجب من قبحها . واللفظ غني عن التعليق ،
 فالواجب ان يفسر بانه التي يتعجب منها ، سواء كان
 ذلك التعجب للحسن او القبح او غيرهما .

5 - المشترك المعنى المختلف المفهوم تبعاً
 لاختلاف التعلقات ، مثل قول قطرب (73) : « ومنه
 ايضا راغ عليهم : اناهم . وراغ عنهم : ذهب عنهم
 وتنحى . وقال الله جل ثناؤه (فراغ عليهم ضربا
 باليمين) اي اقبل عليهم ضربا بالالفة .. » وقد نقد
 بعضهم قطربا على هذا اللفظ ، قال ابن الانباري :
 « قال الفراء : لا يقال لمن رجع : راغ ، الا ان يكون
 مخفيا رجوعه .. وقال غير الفراء : لا يكون راغ ابدا
 الا بمعنى رجع على السبيل الذي ذكر الفراء ، وليس
 بحرف من الاضداد على ما ادعى قطرب » . وواضح
 ان معنى راغ واحد ، وهو الحركة الخفية ، ثم يحدد
 الحرف الذي يوضع بعد الفعل اتجاه هذه الحركة .
 فاذا كان الى او على ، كانت الحركة اقبالا ومجيئا .
 واذا كان من ، كانت الحركة ادبارا وابتعادا .

ولكن قطربا لم ينفرد بهذا النوع من الاضداد ،
 بل وجد عند غيره من المؤلفين في الاضداد . ومثاله
 عند الاصمعي ما جاء في قوله (74) : « وحكي ان
 الاقهام الجوع ، وانشد : - وهو الى الزاد شديد
 الاقهام - يقال : اقهم من الطعام واقهى : اذا لم

يشتهه . واورد ابن السكيت وابو حاتم وابن الانباري
 وابن الدهان والصفاني ما ذكره سابقوهم من هذا
 النوع ، دون تعليق او نقد . واحسن من نقد هذا
 النوع هو عبد الفتاح بدوري في قوله : « جلي الا تفاد
 في شيء من الرغبة او السروغ او الانصراف (في
 قولنا رغبت فيه وعنه ورغبت عليه وعنه وانصرفت
 اليه وعنه) انما الضدية بين معنى في وعن ، وعلى
 وعن ، والى وعن . وهذه الحروف الفاظ مختلفة ،
 ليست من الضدية التي نبحث عنها في شيء ، فابن
 اللفظ الذي له معنيان متقابلان ؟ » .

6 - الالفاظ التي اختلفت في العدد الذي تدل
 عليه قال قطرب (75) : « وقالوا ايضا : الزوج ،
 الفرد ، يقال : عندي زوجان من خفاف اي خفان .
 والزوج : الزوج ايضا » . وعلق ابن الانباري (240)
 على ذلك بقوله : « وهذا عندي خطأ ، لا يعرف
 الزوج في كلام العرب لاثنتين ، انما يقال للاثنتين
 زوجان . بهذا نزل كتاب الله ، وعليه اشعار العرب .
 قال الله عز وجل (وانه خلق الزوجين الذكر
 والانثى) اراد بالزوجين الفردين ، اذ ترجم عنهما
 بذكر وانثى . وقال عز ذكره : (ثمانية ازواج من
 الضأن اثنتين ، ومن الماعز اثنتين) وكذلك ما بعدهما ،
 فالازواج معناهما الافراد لا غير . والعرب تفرد الزوج
 في باب الحيوان ، فيقولون : الرجل زوج المرأة ،
 والمرأة زوج الرجل ... فمن ادعى ان الزوج يقع على
 الاثنتين فقد خالف كتاب الله جل وعز ، وجميع كلام
 العرب ، اذ لم يوجد فيما شاهد له ، ولا دليل على
 صحة تأوله . واظن ان سبب هذا الخلط ، ان
 اللفظ لا يطلق على كل فرد وانما الفرد الذي لا بد من
 اقترانه بآخر . وعلى اي حال فاللفظ لا يحتوي على
 معنيين متضادين ، وانما اختلف الناس في العدد
 الدال عليه فحسب : واحد او اثنتين ، وليس هذا
 بتضاد .

ووقع فيما وقع فيه قطرب من اللغويين ابو
 حبيدة ، قال ابن الانباري (76) : « ضعف حرف من
 الاضداد عند بعض اهل اللغة ، يكون ضعف الشيء

(72) 574 .

(73) 209 . واورده ابو الطيب 328 ، وابن الدهان 11 ، ونقده ابن الانباري 92 .

(74) 13 . ورواه قطرب 104 ، وابن السكيت 288 ، وابن الانباري 144 ، وابو الطيب 596 وابن الدهان
 18 ، والصفاني 636 .

(75) 112 . واورده ابو الطيب 338 والصفاني 492 ونقده ابن الانباري 281 .

(76) 78 . واورده ابن الدهان 14 ، والصفاني 551 .

وغيثنا ورغيثنا ، لعلنا بانه اذا فعل شيئا فعلناه
ابناؤه . ولهذه العلة قال الله جل ذكره : أرسلنا ،
وخلقنا . ثم كثر استعمال العرب لهذا الجمع حتى
صار الواحد من هامة الناس يقول وحده : قمنا
وقعدنا ، والاصل ذلك .

ومهما يكن ، فليس هذا النوع من الاضداد ،
واسوتنا في ذلك من اعمله من اللغويين امثال الاصمعي
وابي حاتم وابن السكيت وابي الطيب ..

7 - الاضداد من اللغات . قال قطرب (79) :
« المعصر - في لغة قيس واسد - التي قد دنت من
الحيف . وامعرت المرأة امصارا . وقد دنا امصارها .
وبلغة الازد : التي قد ولدت او تعسنت » . وسار
على هذا المسلك جميع المؤلفين في الاضداد ، وان
عارضهم بعض اصحاب المعاجم مثل ابن دريد . ومثال
هذا النوع عند الاصمعي قوله (80) : في المادة الاولى من
كتابه : « القراء عند اهل الحجاز الطهر ، وعند اهل
العراق الحيف .. » . وفي اصداده ايضا (81) :
« قال ابو زيد : السدفة في لغة تميم الظلمة ، وفي
لغة قيس الضوء . قال ابن مقبل :

وليلة قد جعلت الصبح موعدها
بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

اي اسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح .
وقال المجاج : « - واقطع الليل اذا ما اسدفا - اي
اظلم » . وقال ابو حاتم (82) : « العنوة : القهر .
واهل الحجاز يقولون الطاعة . يقال : اخذته عنوة
اي قهرا ، وقال اهل الحجاز طاعة ، وانشدوا :

هل انت مطيعي ايها القلب عنوة
ولم تلح نفس لم تلم في احتيالها

وقال كثير :

مثله ويكون مثليه . قال الله عز وجل (يضاف لها
المداب ضعفين) قال ابو العباس ، من الاثوم ، من
اي حبيدة معناه يجعل المداب ثلاثة امدية ، قال :
وضعف الشيء مثله ، وضعفا مثلاه . وقال ابو عبد
الله هشام بن معاوية : اذا قال الرجل : ان اعطيني
درهما فلك ضعفاه ، معناه فلك مثلاه قال : والعرب
لا تفرد واحدهما ، انما تتكلم بهما بالتثنية . وقال
غير هشام وابي حبيدة : يقع الضعف على المثليين .
قال ابو بكر : وفي كلام الفراء دلالة على هذا .
وفي هذا القول مغالطة ، لان ضعف الشيء اما ان يراد
الشيء معه فيصير الجميع مثلي الاول ، واما ان
يراد وحده فيكون مثله فحسب .

وكذلك سار في طريقهما ابن الانباري ، اذ ارتضى
قول الفراء (77) : « مثل حرف من الاضداد ، يقال :
مثل ، للمشبه للشيء والمعادل له ، ويقال : مثل ،
للضعف فيكون واقعا على المثليين . زعم الفراء : انه
يقال رايتمكم مثلكم . يراد به رايتمكم ضعفكم ، ورايتمكم
مثليكم يراد به رايتمكم ضعيفكم . من هذا قول الله عز
وجل : (يرونها مثلهم راي العين) معناه
يرى المسلمون اي ثلاثة امثالهم ، لان
المسلمين كانوا يوم بدر ثلاث مئة وارمة عشر رجلا ،
وكان المشركون تسع مئة وخمسين رجلا . فكان
المسلمون يرون المشركين على عددهم ثلاثة امثالهم
وفي هذا القول ما في اللفظ السابق من خطأ في
الشرح .

ويقرب من هذا الضمير (نحن) ، الذي ادخله
ابن الانباري في اشياء الاضداد قال (78) : « ومما
يشبه حروف الاضداد نحن ، يقع على الواحد والاثنتين
والجمع والمؤنث فيقول الواحد : نحن فعلنا .
وكذلك يقول الاثنان والجميع والمؤنث . والاصل في
هذا ان يقول الرئيس الذي له اتباع يفضبون بفضبه ،
ويرضون برضاه ، ويقتدون بافعاله : امرنا ونهينا ،

(77) 79 . واورده ابن الدهان 19 ، والصفاني 657 .

(78) 113 . واورده ابن الدهان 20 .

(79) 101 . واورده ابن الانباري 136 وابو الطيب 509 وابن الدهان 15 والصفاني 584 .

(80) واورده قطرب 99 ، وابو حاتم 134 ، وابن السكيت 276 ، وابن الانباري 8 ، وابو الطيب 571 ،

وابن الدهان 17 ، والصفاني 620 .

(81) 43 . واورده قطرب 5 ، وابو حاتم 114 ، وابن السكيت 316 ، وابن الانباري 564 ، وابو الطيب

346 ، وابن الدهان 12 ، والصفاني 500 .

(82) 185 . واورده قطرب 173 ، وابن الانباري 42 ، وابو الطيب 491 وابن الدهان 15 .

تجنبت ليلي عنوة ان تزورها
وانت امرؤ في اهل ودك تارك

الى كتب الاضداد . ولذلك لم يوردهما احد ممن جاء
بعده .

وورد في اضداد الاصمعي تفسير عارض للفظ
الانقياس ، اذ قيل في مادة (قلص) (86) : « ويقال
قد قلص الظل : اذا قصر ... وقلص ماء البئر : اذا
جم وكثر . قال الراجز :

يا ربهما من بارد قلصاص
قد جم حتى هم بانقياص

والانقياص : ان تنشق الركبة طولاً او السن ، قال
أبو ذؤيب الهذلي :

فراق قميص السن فالصبر انه
لكل اناث عشرة وجبور «

وسها ابن السكيت في غمرة تتبعه لالفاظ الاصمعي،
فالتقط اللفظ ، وخصص له مكاناً بين اضداده ، بعد
مادة قلص . ولكن احداً غيره لم يقع في هذا
السبو ..

10 - الالفاظ المختلف في تفسيرها . قال ابن
الانباري (87) : « فوق حرف من الاضداد ، يكون
بمعنى اعظم كقولك : هذا فوق فلان في الصلح
والشجاعة ، اذا كان الذي فيه منهما يريد على ما في
الاخر ، ويكون فوق بمعنى دون قولك : ان فلاناً
لقصير وفوق القصير ، وانه لقليل وفوق القليل ،
وانه لاحمق وفوق الاحمق ، اي هو دون المذموم
باستحقاقه الزيادة من الدم . ومن هذا المعنى قول
الله عز وجل (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما
بموضة فما فوقها) يقال : معنى قوله : « فما
فوقها » : فما دونها .

ويقال : معناه فما هو اعظم منها . وقال الفراء:
الاختيار ان تكون فوق في هذه الآية بمعنى اعظم ،
لان البموضة نهاية في الصغر ، ولم يدفع المعنى الاخر
ولا رماه خطأ وقال قطرب : فوق تكون بمعنى دون مع

اي طائفاً . وكل ما ذكره السالفون من
اضداد اللغات نجده عند اللاحقين منهم مثل ابن
السكيت وابن الانباري وابو الطيب وابن الدهان
والصفاني .

8 - الالفاظ الثنائية التي لا تفرد . قال قطرب
(83) : « الصرعان : ناحيتا النهار ، اي اوله وداخره .
ومنه مصراماً الباب يلماح ايضاً . ضدان . ذلك لاول
النهار وداخره . وتابعه في هذا ابن الدهان وحده .
واعترض عليه ابن الانباري قائلاً : « وقال غيره :
الصرعان الفداة والمشى جميعاً ، ولا يقع على واحد
منهما دون صاحبه . وكذلك القرنان والبردان كما
يقال لليل والنهار : اللوان ، والفتيان ، والردفان ،
والمصران ، والجديدان ، والاجدان ، وابناسبات .
واغفله غيرهما ، مما يدل على ان القدماء انفسهم لم
يرضوا عن هذا النوع .

9 - المشترك من الالفاظ دون ان يتضاد .
ونشأله ما اورده مانفا من جمرة الشمر ، والمرأة
جماران . ونقد ابن الانباري له . ويرغم ذلك لم يبرأ
بعض اللغويين من الخلط بين الالفاظ ذات المعاني
المتضادة والالفاظ ذات المعاني المختلفة فقط ، كما فعل
قطرب فهذا هو الاموي يقول (84) : « نار غاضية :
اي مظيمة . وليلة غاضية : شديدة الظلمة » .
والنضاد غير واضح فيه ، الا اذا فهمنا ان الغاضية
هي النار الشديدة الاضاءة .

ووردت في اضداد الاصمعي كلمتان لا تمتان
الى الاضداد ، هما ضنين وظنين ، قيل (85) : « واما
قوله : « وما هو على الغيب بضنين » و « بظنين »
فهما وجهان معروفان . فالضنين البخيل ، يقال :
ضننت اخن ضناً . والظنين المتهم ، وهو من الظنة
اي التهمة .. » فهما اقرب الى كتب الابدال منهما

(83) 106 ، وابن الدهان 14 ، وابن الانباري 127 .

(84) الاصمعي 62 ، وابن السكيت 336 ، وابن الانباري 209 ، وابن الدهان 16 ، والصفاني 559 ،
وابو الطيب 524 .

(85) 109 .

(86) 11 ، وابن السكيت 286 .

(87) 153 . واورده ابو حاتم 178 ، وابو الطيب 536 ، وابن الدهان 17 ، والصفاني 616 ، وانظر
قطرباً 163 .

لما لم يقع . وفي التفسير (منع منا الكيل) . أي يمنع منا . و (نادي اصحاب النار) أي ينادون . وقال الحطيثة :

شهد الحطيثة حين يلتقي ربه
ان الوليد احق بالمدح

يريد : يشهد ، لانه قال : حين يلتقي ربه ، ولم يلقه بعد .

« ويكون ايضا يفعل : لما وقع ، ولما لم يقع ، مثل قوله :

ولقد امر على اللثيم يسبني
فمضيت عنه وقلت لا يعنيني

كانه قال : ولقد مررت ، لانه قال : فمضيت عنه . وقال الآخر :

واني لايبكم تشكر ما مضى
من الامر واستيجاب ما كان في غد

أي ما يكون في غد .. » .

وقال ايضا (90) : « ومن الاصباد - وهي آخره (يريد آخر الكتاب) - : اذ في القرآن لما مضى في معنى اذا ، واذا لما يستقبل ويجري ايضا في معناها . وقال الله عز وجل (ولو ترى اذ فرغوا فلا فوت) و (لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) المعنى يفرغون اذا ، ويوقفون ولم يوقفوا بعد . وقال ايضا : (واذا قال الله يا عيسى ابن مريم) وكان القول يكون في القيامة . فهذا لما لم يقع . وقال ابو النجم :

ثم جزاه الله عنا اذ جرى
جنات عدن في العالسي العلى

كانه قال : اذ يجري ، لان هذا لم يقع بعد ... وقال اوس :

والعافظ الناس في الزمان اذا
لم يرسلوا تحت هائد رعبا

وهبت الشمال البليل واذا
بات كميع الفتاة ملتفعا

الوصف كقول العرب : انه قليل وفوق القليل ، ولا تكون بمعنى دون مع الاسماء كقول العرب : هذه نملة وفوق النملة ، وهذا حمار وفوق الحمار قال : لا يجوز ان تكون فوق في هاتين المسألتين بمعنى دون لانه لم يتقدمه وصف ، وانما تقدمته النملة والحمار وهما اسمان ... » .

وهذا التعليل لجعل « فوق » من الاضداد خاطيء ، فهذا اللفظ لا يكون بمعنى « دون » ابدا . ومباراة انه لاحق وفوق الاحق ، أي يريد منه حمقا ، لا دونه حمقا . فالتكلم بهذه العبارة يريد منها المبالغة في وصفه بالحمق لا التقليل وكذا حال « فوق » مع جميع الصفات . اما مع الاسماء فاختلف فيها ، ولكننا نقول ايضا انها بمعنى « اعظم » لا لغير . فمعنى الآية « ان الله عز وجل لا يستحيي ان يضرب الامثال بالبعوضة ، وما هو اكبر منها حجما من الحشرات والحيوان ، مثل الذباب والطيور والكلب والحمار ، التي استمد منها الامثلة في الآيات المختلفة . فاذا كان يقصد من البعوضة الضالة والصغر ، فالمعنى انه سبحانه وتعالى لا يستحيي ان يضرب الامثال بالبعوضة وما هو اعظم منها صفرا وضالة شأن . فالتفسيران يبينان ان « فوق » لم تخرج من معناها الاصلي ، وهو « اعظم » .

ونلحق بهذا النوع قول قطرب الذي يثير منا ابتسامة (88) : قالوا : ليال درع : سود الصدور وببيض الامجاز ، وليال درع : ببيض الصدور وسود الامجاز ، وشاة درعا يا هذا : ببيض المؤخر سوداء المقدم ، وشاة درعا - سوداء المؤخر ببيض المقدم » وقال ابن الانباري معلقا « وتابع قطربا على هذا جماعة من البصريين » .

فماذا كان يضيره لو فسر الليلة الدرعا والشاة الدرعا كما فعل عبد الفتاح بدوي بما اختلط بياضها وسوادها كأنها تلبس درعا ، دون اشارة الى المقدمة والمؤخرة فاستراح من هذا في الاضداد . وما اكثر الاضداد التي من هذا النوع .

11 - الافعال ذات الدلالة الزمنية المختلفة ، قال قطرب (89) : « وقالوا فعل : لما وقع ، وفعل :

(88) 142 . واورده ابو حاتم 132 ، وابن الانباري 165 ، وابو الطيب 271 . وابن الدهان 10 ، والصغاني 465 .

(89) 121 .

(90) 218 .

فقال : اذ واذا فى معنى واحد ... » .

واردضى ابو مبيدة هذا النوع من الاضداد ،
وادخله فى كتابه . قال ابن الانباري (91) : « قال
ابو مبيدة : كان من الاضداد ، يقال : كان للماضي ،
وكان للمستقبل . فاما كونها للماضي فلا يحتاج لها
الى شاهد ، واما كونها للمستقبل فقول الشاعر :

فادركت من قد كان قبلي ولم ادع

لمن كان بعدي فى القصائد مصنعا

اراد لمن يكون بعدي . قال وتكون كان زائدة ،
كقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيم) معناه والله
غفور رحيم .

« قال ابو مبيدة : ويكون من الاضداد ايضا ،
يقال : يكون للمستقبل ، يقال : يكون للماضي . فكونه
للمستقبل لا يحتاج الى شاهد ، وكونه للماضي قول
الصلتان يرثي المفيرة بن المهلب :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا

والباكرين وللمجد الرائح

ان الساحة والشجاعة ضمنا

قبرا بمرور على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به

كوم الجلاذ وكل طرف سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها

فلقد يكون اخادم وذبالح

اراد : فلقد كان .

« قال ابو بكر : والذي نذهب اليه ان « كان
ويكون » لا يجوز ان يكونا على خلاف ظاهرهما ، الا
اذا وضع المعنى . فلا يجوز لقائل ان يقول : كان عبد
الله قائما ، بمعنى يكون عبد الله . وكذلك محال ان
يقول : يكون عبد الله قائما ، بمعنى كان عبد الله .
لان هذا ما لا يفهم ، ولا يقوم عليه دليل . فاذا انكشف
المعنى حمل احد الفعلين على الآخر ، كقوله جل
اسمه (كيف تكلم من كان فى المهد صبيا) معناه : من
يكون فى المهد فكيف تكلمه ، فصلح الماضي فى موضع
المستقبل لبيان معناه . وانشد الفراء :

فمن كان لا ياتيك الا لحاجة

يروح لها حتى تقضى ويفتدي

فاني لا يكتم تشكر ما مضى

من الامر واستيجاب ما كان فى غد

اراد ما يكون فى غد . وقال الله عز ذكره
(ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار) فمعناه :
وينادى ، لان المعنى مفهوم . وقال جل وعز : (يا ابا
منع منا الكيل) فقال بعض الناس : معناه يمنع منا .
وقال الحطية :

شهد الحطية يوم يلقي ربه

ان الوليد احق بالمدر

معناه : يشهد الحطية . وقول ابي مبيدة : كان
زائدة فى قوله تبارك وتعالى : (وكان الله غفورا
رحيما) ليس بصحيح ، لانها لا تلغى مبتدأة ناصبة
للخير ، وانما التأويل البتداء عند الفراء ، « وكائن الله
غفورا رحيم » فصلح الماضي فى موضع الدائم ،
لان افعال الله جل وعز تخالف افعال العباد ، فافعال
العباد تنقطع ، ورحمة الله جل وعز لا تنقطع وكذلك
مغفرته وعلمه وحكمته . وقال غير الفراء : كان القوم
شاهدوا الله مغفرة ورحمة وعلم وحكمة ، فقال الله
جل وعز : (وكان الله غفورا رحيم) اي لم يزل الله
عز وجل على ما شاهدتم « (92) » .

ويرى الباحثون البلاغيون ان هذه الانفصال لم
تخرج من زمنها ، سواء ادلت على الماضي ام على
المضارع ، فهي مختلفة بمعناها الاصيل . وانما
استعمال المضارع فى الماضي التفات ذهني ، كي يبرز
القائل الصور والاحداث الماضية ، ويجلبها تحت
سمع السامع والقارئ وبصرهما ، وكأنها تحدث فى
الحاضر ، لتكون اشد تأثيرا فيه ، وانطباعا فى
ذهنه . واستعمال الماضي فى الزمن الحاضر التفات
ذهني ، كي يبرز القائل تأكده من حدوث هذه الافعال
فى المستقبل ، وتيقنه من ذلك ، وكأنما قد وقعت
حقا وانتهى الامر . اما استعمال الانفصال الماضية
والمضارعة فى غير زمنها فى بعض الشعر لغير غرض
بلاغي ، فانما هو امر فرضته - فى غالب الظن -
الضرورة ، وليس بالتوسع اللغوي ولا الاضداد .

(91) 28 - 69 .

(92) أورده أبو حاتم 198 ، وابن الدهان 18 ، والصفاني 646 .

أرى ثم وجها شوه الله خلقه
فقبج من وجهه وقبح حامله

وقال أبو دواد يذكر فرسا :

فهي شوهاء كالخوالق فوها
مستجاف يضل فيه الشكيم «

وأورد أبو حاتم وغيره هذا اللفظ أيضا ، ونسره
الأول تفسيراً واضحاً ، إذ قال : « قال أبو عبيدة :
مهرة شوهاء : قبيحة وجميلة . قال أبو حاتم : لا
أظنهم قالوا للجميلة : شوهاء إلا مخافة أن تعيبها
مين ، كما قالوا للفراب : أمور لعدة بصره » .

وهذا النوع من التعبير ليس من الأضداد
أيضاً ، لأن قائله يريد أن يوهم السامع بحقيقة اللفظ
لا ضده ، أو يوهم نفسه أيضاً ، فهو حين يصف
الملدوغ بالسليم يريد أن يوهم نفسه وسامعيه بأنه
سليم معافى ولا خوف عليه . ولا يريد بأي حال من
الأحوال أن يتصوره ملدوغاً مثالماً . وكذا الحال في
بقية الألفاظ . وقد تقدّم بد الفتح بدوي هذا النوع
فقال منه : « إذا طبقنا بسائط علوم اللغة على أمثلة
هذه الطائفة وجدنا المعنى الثاني مجازياً للكلمة ،
والأول هو المعنى الحقيقي ليس غير ، ومعنى الضدية
لا يتحقق بين الحقيقة والمجاز لأنهما لا يتساويان في
فهمهما من الكلمة ، وإنما الذي يفهم هو المعنى
الحقيقي فقط ، ولا يفهم المعنى الثاني إلا بقرينته ،
وبالانتقال من المعنى الأول حتماً ، فيفوت معنى
الضدية » .

13 - صيغة افعل قال قطرب (98) : « ومنه
أيضاً شكاني فلان فاشكيت : إذا شكاك فامتنته ، وقد
يقولون أيضاً : فاشكيتك ، أي زدت شكوى . ويقال :
شكا الي ما لقي فما أشكيتك أشكاه ، وقال الراجل :

12 - عبارات التفاؤل والتطير ، قال قطرب
(93) : « ومنه أيضاً : رجل أمور : للذهاب العين ،
ورجل أمور : للحديد البصر . ويقال غريب أمور ،
لعدة بصره ، وقال الشاعر : - في الدار تحجبال
الفراب الأمور - » وقال (94) : « وقالوا : البصير :
الصحيح البصر ، والبصير : الأمبى . والآدم :
الابيض ، والظبية الإدماء : البيضاء . وآدم : أسود .
وبعير آدم : حسن البياض شديد سواد المقلتين » .

ووجد هذا النوع عند مؤلفي الأضداد جميعاً ،
وعند غيرهم . قيل في أضداد الأصمعي (95) : « قال
أبو زيد : الناهل في كلام العرب : العطشان ،
والناهل : الذي قد شرب حتى روي ، قال النابغة :

الطامن الطنعة يوم الولى
ينهل منها الأسل الناهل

أي يروى منها العطشان . وقال الأصمعي : الإنثى
ناهلة ، والجميع نهال ، ورجل منهل : أي معطش ،
وأبل نهال : أي مطاش ، يتطيرون بها من العطش
فيقولون : هذه أبل ناهلة .. » .

وقال الأصمعي (96) : « سموا المفازة مفعلة من
فاز يفوز : إذا نجا ، وهي مهلكة ، قال الله جل
لناؤه : (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) أي منجاة .
وأصل المفازة مهلكة ، تنفادوا بالسلامة والفوز ،
كقولهم للملدوغ سليم ، والسليم : المعافى » .

وأضاف أبو عبيدة عبارات التطير ، إذ قيل
في أضداد الأصمعي (97) : « قال أبو عبيدة يقال :
فرسي شوهاء . أي حسنة ، ولا يقال للذكر هذا
شيء . ويقال : لا تشوه علي ، أي لا تقتل : ما أفصحك ،
فتصيبني بالعين . قال : وما سمعتها إلا في هذين
الحرلين ، وأما القبح فيقال : قد شوه الله خلقه ،
ورجل أشوه ، وامرأة شوهاء ، قال الحطيئة :

(93) 75 . وانظر ابن الأنباري 269 ، وأبا الطيب 508 ، وابن الدهان 16 .

(94) 76 ، 17 . وانظر أبا الطيب 63 ، 12 ، وابن الدهان 7 .

(95) 45 . وأورده قطرب 55 ، وأبو حاتم 135 ، وابن السكيت 318 ، وابن الأنباري 65 ، وأبو الطيب
637 ، وابن الدهان 20 ، والصفاني 680 .

(96) 38 . وأورده ابن السكيت 319 ، وابن الأنباري 59 ، وأبو الطيب 560 والصفاني 615 .

(97) وأورده أبو حاتم 220 ، وابن الأنباري 181 ، وأبو الطيب 408 ، وابن الدهان 13 .

(98) 201 . وأورده أبو حاتم 147 ، وابن السكيت 365 ، وابن الأنباري 140 ، وأبو الطيب 390 ،
وابن الدهان 13 ، والصفاني 526 .

وتأثم : اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل ، اذا تجنب الحوب ، ولا يستعمل الحوب فى المعنى الآخر . . . وقال ايضا تحت حرف من الاضداد ، يقال : تحت الرجل : اذا اتى الحنث ، وقد تحت اذا تجنب الحنث . . . »

وقال الرضى 103 : « والاعلم فى تفعل معنى صيرورة الشيء ذا صفة ، كناهل وتأثم . . اي صار ذا اهل ، والم . . . فيكون مطاوع فعل الذي هو لجعل الشيء ذا صفة اما حقيقة كما فى البتة فتأثم واصلته وتأصل ، واما تقديرها كما فى تأهل ، اذ لم يستعمل اهل بمعنى جعل ذا اهل . ومن الطبيعى ان هذه الصيغة تأتى من الافعال التى تصلح فيها المطاوعة . .

وقال الرضى ايضا (104) ان تفعل تأتى للتكلف نحو تشجع وتحلم ، وما هو بشجاع ولا حليم . . اي الصفة منتفية عنه مسلوبة منه ، وللاخذ ، ويشترط ان يكون اصل الصيغة اسما لا مصدرا مثل تردى وتوسد من الرداء والوسادة . فهذا المعنى يأتى من الاشياء المادية لا المجردة . وتأتى ايضا للعمل المتكرر فى مهلة نحو تجرع وتفهم . وكذلك بمعنى استفعل فى الطلب ، والاعتقاد فى الشيء انه على صفة اصله ، نحو تنجزه واستعظمته ، ومن الواضح ان الفعل فيهما متعد لا لازم ، واخيرا تأتى للتجنب .

ولو وضعنا هذه المعاني المختلفة لصيغة «تفعل» بجوار معنى التجنب ، لظهر لنا الفرق الجلي . فالصيغة فيها جميعا - ماعدا التكلف - متعدية لا لازمة ، بخلاف الحال فى معنى التجنب . فالاختلاط والتشابه اذن بين التكلف والتجنب . والانان يفيدان السلب كما رأينا ، لان متكلف الشيء يشمر بعدم وجوده فيه ، ولذلك يتكلفه . ولكن هناك امرا ذاتيا فيهما يفرق بينهما : ذلك هو الاصل المشتقة منه الصيغة . فاذا كان الاصل مكروها فالصيغة للتجنب ، مثل تأثم وتحوب . واذا كان الاصل محبوبا فالصيغة

تمدد بالاعتناق او تلويها
وتشتكى لو اننا نشكيها
وارضى الاصمعي هذا النوع ، وادخله فى
الاضداد ، قال (99) : « اطلب الرجل : اعطيته
ما طلب ، واطلبته : الجأته الى ان يطلب ، ومنه قول
ذي الرمة :

اضله راحيا كلية صدرا
عن مطلب وطلى للاعتناق تضطرب
يقول : بعد الماء منهم حتى الجاهم الى طلبه ،
ويروى : - عن مطلب قارب وراده عصب - .
« ويقال : اشكيت الرجل : اذا اثبت اليه ما
يشكو منه ، واشكيت : نزلت شكايته .

قال الراجز :

تمدد بالاعتناق او تلويها
وتشتكى لو اننا نشكيها

والامر فى هذا النوع يسير ايضا ، فالمعنى
الاصلي فيها التعدية ، قال الرضى (100) :
« المعنى الغالب فى افعل تعدية ما كان ثلاثيا » ،
فالمعنى الاصيل لاطنب واشكى جماله يطلب ويشكو .
ولكن هذا الطالب ، وهذه الشكوى ، كانا سببا فى
الاستجابة ، اي ازالة اسباب الطلب والشكوى .
فارتبط السبب (الشكوى) والسبب (ازالته) فى
ذهن العربي ، فربط بينهما فى لفته ، واطلق عليهما
لفظا واحدا . ولكن هذا اللفظ كان حقيقيا حين
اطلقه على السبب ، وكان مجازيا حين اطلقه على
المسبب . .

14 - صيغة تفعل ، قال قطرب (101) :
« ويقال : تأثم فلان : كره الاثم ، وهو من لفظ الاثم ،
وخرج ايضا بخرج : اثم » .

وقال ابن الانباري (102) : « وتأثم حرف من
الاضداد ، يقال قد تأثم الرجل اذا اتى ما فيه المأثم ،

(99) 92 . واورده ابو حاتم 179 ، وابن السكيت 364 ، وابن الانباري 48 ، وابو الطيب 457 ،
والصغاني 561 .

(100) شرح الشافية 1 - 86 .

(101) 90 .

(102) 105 . وانظر ابا الطيب 17 ، وابن الدهان 6 ، وابو حاتم 231 .

(103) 111 . واورده ابن السكيت 445 ، وابن الدهان 9 .

(104) شرح الشافية 1 : 104 - 107 .

للتكلف والظواهر مثل تكرم وتحلم وتشجع . ويؤكد لنا ذلك ان الالفاظ الستة التي قيل انها تأتي للتجنب مأخوذة من امور مستكرهه ، وهي : تحنت ، تأثم ، تخرج ، تحوب ، تنجس ، تهجد ، والهجود مستكره للاتقياء الذين يجعل بهم ان يقضوا الليل في العبادة وذكر الله ، ومن هنا وصفته بالاستكراه (105) ولما كان العرب يستعملون هذه الصيغة في احد المعاني كانوا يحرمون استعمالها في غيره الا اذا كان لا يلتبس به ، ولذلك قال الرضى (106) : « ليست هذه الزيادات قياسا مطردا ، فليس لك ان تقول في ظرف : أظرف ، وفي نصر : أنصر ... وكذا لا تقول : نصر ولا دخل . وكذا في غير ذلك من الابواب ، بل يحتاج في كل باب الى سماع استعمال اللفظ المعين ، وكذا استعماله في المعنى المعين ، فكما ان لفظ اذهب وادخل يحتاج فيه الى السماع فكذا معناه الذي هو الثقل مثلا ، فليس لك ان تستعمل اذهب بمعنى ارال الذهب ، او عرض للذهب ، او نحو ذلك » . وبدلنا عن ذلك انهم لم يرووا لنا شواهد على استعمال هذه الالفاظ في غير التجنب . وصرح ابن الانباري بان تحوب للتجنب وحده .

15 - الصيغ التشابهية في ظاهرها المتضادة

المعاني وفقا لاختلاف تصريفها واصلها . قال قطرب (107) : « ومنه ايضا اردات الرجل : امنته وارديته ، وقول الله جل ثناؤه (ودعا يصدقني) وقالوا ايضا : ارديته : امنته ، وارديته : اهلكته » وظهر امثلة من هذا النوع صيغة اسمي الفاعل من « افعل » و « انفعل » من الاجوف والمضارع . وقد زاد هذه الفئة ابو حاتم في اعدادها ، قال (108) : « ما كان من المعتل من بنات الياء والواو التي في موضع الفين ، او من المضارع على مفتعل ومفتعل ، لفظهما فيه سواء ، كقولك : مختار ، للفاعل والمفعول به ، اخترت عبد الله من الرجال فانا مختاره وهو مختار ، وكذلك المزدان من الزين ، والمعاذ ، والمقتال والمعتد ، الفاعل والمفعول به ، يقال : اعتد فلان شيئا ، فالرجل معتد ، والشيء معتد . وكذلك المنقاد ، تقول : اتقدت لك ، فانا منقاد (لك) ، وانت منقاد لك .

والاصل : انا منقاد لك ، وانت منقاد لك . قال ابو حاتم : « والاصل في المختار اذا كان فاعلا : مختير ، فكريها حركة الياء فاستكنوها ، ثم قلبوها الفا للفتحة قبلها . واما مختار مفتعل ، فالاصل : مختير ، الياء مفتوحة فكريها حركتها فاستكنوها ثم قلبوها الفا . وكذلك مكتال ، لانه من بنات الياء ، من كال يكيل ، فكريها حركة الياء فاستكنوها ، ثم قلبوها الفا لانفتاح ما قبلها . ومعتد ، اسلمها معتدد ، بالكسر للفاعل . ومعتدد ، بالفتح للمفعول به ، فتحركت الدالان : فاستكنوا الاولى ثم ادغموها في الثانية فاستوت اللفظتان » .

ورضى التوزي وابن الدهان من هذا النوع فادخلاه في اعدادهما ، ولكنه لم يحفظ بمثل هذا القبول منه غيرهما ، فنقده ابو الطيب - كما رأينا - نقدا مرا ، ونفاه من الاضداد واكتفى غيره باهماله . وكشف عبد الفتاح بدوي عن رايه في هذا النوع في قوله : « ولا جرم ان دعوى التضاد في هذه الطائفة انما هو اعتبار للنغمة الصوتية فقط ، مع تناسي حقيقة الكلمة ومقاييسها فمختار الذي اصله مختير بكسر الياء لا يمكن ان يقال انه مختار الذي اصله مختير بفتحها . ومن ثم تكمن دعوى التضاد في هذه الطائفة اشبه بالهدر منها بالحقائق العلمية ، لان التضاد انما يتصل بالمعاني لا بالانغام » .

ونسى هذا الكاتب ان التضاد يقوم على الانغام (اصوات الكلمات) ومعانيها في نفس الوقت ، وانه لو فرق بين الاثنين ما وجدت الاضداد ، وما وجد بحث فيها . ونسى ان الصرفيين عندما يقولون ان مختار اصلها مختير بكسر الياء اذا كانت اسم فاعل ، او بفتحها اذا كانت اسم مفعول ، فكريها حركة الياء فعدلت ، وقلبت الياء الفا ، لا يريدون بذلك ان العرب نطقوا بها - اول ما نطقوا - بالياء المحركة ، ثم مر عليهم طور نطقوا فيه بالياء الساكنة ، ثم في الاطوار الاخيرة بالالف . فحسبهم اللغوي ، وذوقهم اصوات الالفاظ ، جعلهم يستعملون اللفظ بالالف منذ الوهلة الاولى ، لانهم لم يستحسنوا غيرها ، حتى قبل وجوده . اما الصرفيون فيفترضون انه لو كانت اللفظة في اصلها على هذا البناء ، لاستمر بها

(105) انظر تاج العروس : حنت .

(106) شرح الشافية 1 - 84 .

(107) 185 .

(108) 175 .

التغيير الى ما صارت عليه . فكانما اقام الكاتب رده على افتراضات . واعتبرها حقائق علمية ، فانهار نقده ، ولم يستطع الوقوف على قدميه . فالصفتان في الحقيقة والواقع لا فرق بينهما ، ولم يكن يوجد فرق صوتي بينهما فقط ..

ولكننا - بوجه انهيار نقده - لا نستطيع ان نلحق بهذا النوع من الالفاظ معنيين متضادين وانما نقول ان فيها تضادا في اتجاه المعنى ، لا المعنى نفسه . فهو مرة متجه الى الفاعل ، واخرى الى المفعول ، ولكنه هو هو في المزمين . فالاختيار لم يتغير ، وانما اتجه القائل ذات مرة الى فاعل هذا الحدث ، واتجه في المرة الثانية الى الذي وقع عليه الحدث . تلك هي الانواع التي اطلق عليها قطرب لفظ الاضداد ، وادخلها في كتابه . وقد ارتضاها اكثر المؤلفين كما رأينا - وزادوا عليها انواعا اخرى، فتتبعها في كلامنا التالي ..

16 - الاضداد المجازية ، اي التي احد معنييها حقيقي ، والاخر مجازي . ويتمثل هذا النوع في صنفين من المجاز :

1) فالصنف الاول : الالفاظ التي تطلق على الاناء وما فيه . وظهر هذا الصنف عند أبي عمرو بن العلاء . قيل في اضداد الاصمعي (109) : « قال أبو عمرو : الآرة : النار ، والآرة : الحفرة التي فيها النار » . ووجد عند أبي زيد ، قيل في اضداد الاصمعي (110) « الظمينة : المرأة على البعير ، ويجوز أن تكون في بيتها . قال أبو زيد : الظمائن : الهودج ، وانما سميت النساء ظمائن لانهن يكن فيها » . وارتضى أبو عبيدة هذا الصنف ، قيل في اضداد الاصمعي (111) : « قال أبو عبيدة : الكاس : الاناء الذي يشرب فيه ، والكاس : ما فيه من الشراب » وسار على ذلك الاصمعي ، وروى في اضداده (112) :

« ويقال ناقة نني : اذا ولدت بطنين ، وثنيها : ما في بطنها .. »

وسار المتأخرون على هذا النهج ، الذي اختطه الرعيل الاول من اللغويين ، فأورد ابن السكيت وأبو حاتم وابن الدهان والصفاني ما أورده السابقون عليهم من أمثلة هذا الصنف من الاضداد . وأورد أبو حاتم مثالا لم يورده من قبله ، قال (113) « المجمر : المود الذي يدخن به . والمجمر ايضا : الذي يوضع فيه الدخنة ، ومنه قول ابن احمر :

لم يعد ان فتق الشجاع لهاته
وافتر قارحه كلز المجمر

اراد انه اول ما بزل ، فقارحه مثل الحديد التي يلزمها المجمر مثل الشميرة او اصغر .

ونستطيع ان نضع في هذا الصنف امثال ما جاء في اضداد الاصمعي (114) : « الراوية : البعير الذي يستقى عليه الماء ، يقال : رويت عليه اروي رية : اذا استقيت عليه ، وبه سميت الراوية التي عليه ، وانما هي المرادة ، قال أبو النجم :

تمشي من الردة مشي الحفل

مشي الروايا بالمواد الانقل

يقال : اردت الناقة ، وذلك اذا كانت معشى ثم رويت فمطنت ، فيفتح ضرعها حتى تحسب انها حامل . »

وجعل عبد الفتاح بدوي هذا النوع والفاظ التفاضل والتطير طائفة واحدة ، ووجه اليها النقد الذي ذكرته وانما . والحق ان المعنى لم يتغير ولم يتضاد في أي لفظ منها . وانما كان من سنن العرب اطلاق اللفظ الواحد على الشيء وما يلزمه ، لاتجاه الدهن الى الاثنين معا كلما ذكر احدهما . فكان اللفظ في اصله يدل على احد المعنيين ثم انتقل مجازا

(109) 64 . وأورده ابن السكيت 338 وابن الانباري 208 والصفاني 373 .

(110) 68 . وأورده ابن السكيت 342 وابن الانباري 100 وابن الدهان 15 والصفاني 566 .

(111) 67 . وأورده ابن السكيت 341 وابن الدهان 18 والصفاني 639 وجعله ابن الانباري من اشياء الاضداد .

(112) 65 . وأورده ابن السكيت 339 وابن الانباري 211 وأبو الطيب 119 وابن الدهان 8 والصفاني 416 .

(113) 273 . وأورده ابن الدهان 8 .

(114) 69 . وأورده ابن السكيت 343 وابن الانباري 101 وابن الدهان 11 .

الى المعنى الثاني لما بينهما من تلازم فى الواقع والذهن .

(ب) لفظ امة ، الذى زاده ابن الانباري ، اذ قال (115) : « امة حرف من الاضداد يقال : امة للواحد الصالح الذى يؤتم به ، ويكون علما فى الخير ، كقوله عز وجل : (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) . ويقال : امة للجماعة ، كقوله عز وجل : (وجد عليه امة من الناس يستقون) . ويقال : امة ايضا للواحد المنفرد بالدين .. » .

وواضح ان مد هذا اللفظ من الاضداد فيه تصف . فالمعنى لم يتضاد فى اطلاق اللفظ على المفرد او الجماعة . بل اني اعتقد انه - حين يطلق على الفرد - يحتفظ بدلالته على الجماعة . فالآية تصف ابراهيم عليه السلام بأنه كان يعادل فى دينه وورعه وتقواه الجماعة من الناس ، او انه جمع ايمان الامة وورعها وتقواها فى شخصه ، او انه كان كل المؤمنين فى وقته القانتين الحنفاء ولم يكن مؤمن غيره .

واضاف ابن الانباري الى ما سبق انواما اخرى ، لست على يقين اكها من عنده ام ينقلها من غيره ، اذ لا دليل يميل بالمرء الى احد هذين الرايين الا فيما استند الى غيره . وهالك هذه الانواع :

17 - الافعال التعدية واللازمة بمعنى واحد . قال (116) : « زال حرف من الاضداد . يقال : قد زال المكروه من فلان ، وقد زال الله المكروه عنه بمعنى ازال ... » . وخان حرف من الاضداد . يقال : خان النعيم فلانا ، وخان الدهر النعيم فلانا . فيكون النعيم فاعلا فى حال ، ومفعولا فى حال ، وخان غير متغير اللفظ .. وطل حرف من الاضداد . يقال : طل فلان دم فلان اذا ابطله ، وطل دم فلان : اذا بطل ، والاختيار طل دمه ... ولا شك ان ابن درستويه كان يتحدث عن هذا النوع ، حين ذكر ان العرب تحذف احيانا حرف الجر للتخفيف عند كثرة الاستعمال . فالاستعمال الاصيل للفعل كان باللحوم ثم حدثت منه اداة التعدية للصفة ..

(115) 169 واورده ابن الدهان 6 ، والصفاني 381 .

(116) 175 - 177 . واوردها ابن الدهان 12 ، 10 .

(117) 116 .

(118) انظر كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر .

(119) 191 .

18 - الحروف والادوات ، التى تدل على معان مختلفة مثل قوله (117) : « قال بعض اهل العلم : ان حرف من الاضداد اعني المكسورة الهمزة المسكنة بالنون ، ، يقال : ان قام عبد الله ، يراد به : ما قام عبد الله . حكى الكسائي من العرب : ان احد خيرا من احد الا بالعافية . فمعناه : ما احد . وحكى الكسائي ايضا من العرب : ان قالما ، على معنى ان انا قالما ، فترك الهمز من انا ، وادغمت نون ان فى نون انا : فصارتا نونا مشددة كما قال الشاعر :

وترميني بالطرف اي انت مذنب
وتقليبني لكن اياك لا اقلي

اراد : لكن انا اياك ، فترك الهمز وادغم . يقال ان قام عبد الله ، بمعنى : قد قام عبد الله . قال جماعة من العلماء فى تفسير قوله جل وعز (فذكر ان نفعت الذكرى) معناه : فذكر قد نفعت الذكرى . ومن هذا الصنف ايضا علاجه لهل ، وما ، واو ، وقلده فيها الصفاني وابن الدهان ولم يكن اعتبار هذه الحروف من الاضداد من ابتكاره انما هو مقلد فيها ، بدليل عبارة « قال بعض اهل العلم » ويبدو انه يريد بذلك الكسائي فى هذه المادة . وحقيقة الامر فى هذه الحروف والادوات انها بقايا الفاظ قديمة ، تخلفت لدينا من الاطوار الاولى من اللغة ، وان معظمها يتألف من عناصر اشارية مثل النون . فهذه المعاني المنسوبة اليها ، وصلت اليها من مراحل مختلفة من التطور اللغوي ، ولا يستطيع الحكم بان هذه الانواع من الالفاظ من الاضداد (118) .

وقد مقب عبد الفتاح بذوي على هذا النوع بقوله : « ودعوى التضاد فى هذه الطائفة تهايت لان معنى اللفظ لا تضاد فيه لان الاوضاع مختلفة فما النافية ليست ما الموصولة حتى نفقد تضادا او غير تضاد بين المعنيين » .

19 - التصغير ، اضافته ابن الانباري فى قوله (119) : « من الاضداد ايضا التصغير ، يدخل معنى التحقير ، ولمعنى التعظيم . فمن التعظيم قول

العرب : أنا سر يسير هذا الامر ، أي أنا أعلم الناس به . ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة : أنا جديتها المحكك وعذيقها المرجب ، أي أنا أعلم الناس بها . فالمراد من هذا التفسير التعميم لا التحقير . والجديل : تصغير الجدل ، وهو الجدع ، وأصل الشجرة . والمحكك : الذي يحتك به ، أراد أنا يشتفى برأيي كما تشتفى الأبل أولات الجرب باحتكاكها بالجدع . والعذيق : تصغير العلق ، وهو الكباسة ، والشمرخ = العظيم . والمرجب : الذي يعتمد لعظمه . وقال لبيد في هذا المعنى :

وكل أناس سوف تدخل بينهم

دويبة تصفر منها الانامل

فصغر الداهية معظمها لها لا محقرا لشأنها ...» .

واختلف العلماء في التصغير ، قال الرضى (120) : « قيل : يجيء التصغير للتعظيم ، فيكون من باب الكناية ، يكنى بالصغر عن بلوغ الغاية في العظم ، لأن الشيء إذا جاوز حده جانس ضده ... واستدل لمجيء التصغير للإشارة إلى معنى التعظيم بقوله :

وكل أناس سوف تدخل بينهم

دويبة تصفر منها الانامل

ورد بأن تصغيرها على حسب احتقار الناس لها وتهاونهم بها ، إذ المراد بها الموت : أي يجيشهم ما يحترقونه مع أنه عظيم في نفسه تصغر منه الانامل . واستدل أيضا بقوله :

فويق جبيل شاهق الرأس لم تكن

لتبلغه حتى تكل وتمملا

ورد بتجاوز كون المراد دقة الجبل وإن كان طويلا ، وإذا كان كذا فهو أشد لصعوده » .

نضيف إلى ذلك أن تصغير اللفظ المفرد لا يفيد إلا الصغر وما أحاط به من ظلال وإبهاء كالرحمة والاشفاق والعطف والتدليل وما إليها . أما المعاني الأخرى التي تسبغ على الألفاظ المصفرة فتأتيها من تليقها مع الفاظ أخرى في سياق واحد واللفظ لا

محالة يتغير معناه بعض الشيء عند التأليف : ضيقا واتساعا ، ليألف مع جيرانه ويتجه معها في اتجاه واحد . ويجب أن تقوم دراسة الإضداد على الألفاظ المفردة ، لا المؤلفات في عبارات .

20 - ما يحتمل معنيين متضادين من العبارات . واعتقد أن الذي دفع ابن الأنباري إلى الخوض فيه اتصاله بالقرءان . ونستطيع أن نصنفه إلى ثلاث فئات ، هي :

أ - الآيات القرآنية ، وهي أكثر الفئات ورودا في الكتاب ، وأكبرها حظا من تناول المؤلف ، الذي يطيل في بعضها ، ويورد أقوال المفسرين المختلفة . ومن أقصر الأمثلة على ذلك قوله (121) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله جل اسمه : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) فيقول بعض المفسرين : الرجل المؤمن هو من آل فرعون ، أي من أمته وحبه ومن يذانيه في النسب ... ويقول آخرون : الرجل المؤمن ليس من آل فرعون ، إنما يكتم إيمانه من آل فرعون . وتقدير الآية عندهم : وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون » .

ب - الشعر ، وهو أن كان أقل من الآيات عددا إلا أن حفظه من التناول لا يقل عن حفظ الآيات طولا . ومثاله قوله (122) : « ومما يفسر من الشعر تفسيرين متضادين قول قيس ابن الخطيم :

اتعرف رسما كاطراد المذاهب

لعمره وحشا غير موقف راكب

ديار التي كادت ونحن على منى

تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال ابن السكيت : أراد بقوله : غير موقف راكب ، إلا أن راكبا وقف ، يعني نفسه . وقال غيره : لم يرد الشاعر هذا ، ولكنه ذهب إلى أن «غيرا» نعت للرسم ، تأويله : اتعرف رسما غير موقف راكب ، أي ليس بموقف للراكب لاندراى الآثار منه وامحاء معالمه فمتى بصر به الراكب من بعد دهر منه ، فلم يقف به ... » .

(120) شرح الشافية 1 : 191 .

(121) 292 . وانظر 167 - 8 ، 196 ، 223 ، 234 ، 237 ، 265 ، 270 ، 272 - 3 ، 297 ،

299 ، 333 ، 341 ، 353 - 57 .

(122) 183 . وانظر 197 ، 219 ، 238 .

ج - الأقوال . وهي تعادل الشعر كثرة ، ويتفاوت حفظها من طول التناول . وأقصر أمثلتها قوله (123) : « ومن الأضداد أيضاً : قولهم : أئتمت أن تذهب معنا ، يحتمل معنيين : أحدهما أئتمت ألا تذهب معنا ، والآخر أن تذهب معنا . وكذلك نشدتك أنه أن تذهب معنا ، يحتمل المعنيين جميعاً ... » .

ووضع هذه العبارات في الأضداد غريب ، أنكره بحق المستشرقون وعبد الفتاح بدوي . فلا يوجد لفظ معين يمكن أن يلحق به معنيان متضادان . وإنما يستفاد المعنيان من السياق والقرائن .

21 - المقلوب من العبارات ، بأن ينسب الحدث إلى غير فاعله . وأمثله نادرة عنده كقوله (124) : « ويقال تهيب الطريق وتهيبني الطريق بمعنى ، وهذا من الأضداد .. قال أبو بكر : وهذا عندي مما يقلب لأن اللبس يؤمن في مثله ، فيقال : تهيبني الطريق ، لأنه معاوم أن الطريق لا تهيب أحداً ... » .

ووجد ابن الأنباري مجموعة من الألفاظ تقارب الأضداد ، ولكنها لا تماثلها كل المائلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها أحياناً « أشباه الأضداد » وأحياناً « ما يجري مجرى الأضداد » ونجد تحت الاسم الأول الأصناف التالية :

1 - الألفاظ ذوات المعاني الحقيقية والمجازية قال (125) : « سمع حرف من الحروف التي تشبه الأضداد يكون بمعنى وقع الكلام في أذنه أو قلبه ، ويكون سمع بمعنى أجاب . من ذلك قولهم : سمع الله من حمده ، معناه أجاب الله من حمده . ومن هذا قوله عز وجل : (أجيب دعوة الداعي إذا دعان) قال بعض أهل العلم : معناه أسمع دعاء الداعي إذا دعان . وقالوا : يكون سمع بمعنى أجاب ، وأجاب بمعنى سمع ، كقولك للرجل : دعوت من لا يجيب ، أي دعوت من لا يسمع ، وأنشدنا أبو العباس :

دعوت الله حتى خفت أن لا

يكون الله يسمع ما أقول

أراد يجيب ما أقول . وقال جماعة من المفسرين : معنى الآية أجيب دعوة الداع إذا دعان فيما الخيرة

للداعي فيه ، لأنه يقصد بالدعاء قصد صلاح شأنه ، فإذا سئل ما لا صلاح له فيه فإن صرفه عنه أجابة له في الحقيقة » . والحق أن الإجابة معنى مجازي لسمع ، لأن السمع أول مرحلة من مراحل إجابة الطلب أو الدعاء ، أو هي نتيجة السمع عند الرضى . فلا إجابة بدون سماع . ولما كان الأمران بهذا الارتباط صح توسيع معنى السمع والإجابة بحيث تشمل المراحل كلها . فهذا الاستعمال توسع وتجاوز لا تضاد . ولا شبهة . ويبدو من عبارة ابن الأنباري أنه ينقل كلام بعض الناس قبله . ونفع في هذا السنف لفظي كس وطبخ الذي سبق الكلام عليهما . واعتبرهما ابن الأنباري من أشباه الأضداد .

2 - الألوان . قال (126) : « ومما يشبه حروف الأضداد الأحمر ، يقال : أحمر للأحمر . ويقال رجل أحمر إذا كان أبيض . قال أبو عمرو بن العلاء : أكثر ما تقول العرب في الناس أسود وأحمر .

قال : وهو أكثر من قولهم أسود وأبيض ، وأنشد ابن السكيت لآوس بن حجر :

وأحمر جمدا عليه النسور
وفى ضئلة تغلب منكسر
وفى صدره مثل جيب الفتى
ة تشفق حيناً وحيناً تهر

قوله : في ضئله : معناه وفى إبطه . والغلب : ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . وقوله : تشفق حيناً : شقيق الطمئة أن تدخل الريح فيها فتصوت . ونهر : معناه تقبب . وكذا قال عن الأصفر والأخضر والأسود . ولكن هذه الألفاظ جميعاً لا تضاد ولا شبهة فيها ، وإنما الألوان نفسها لا تكون خالصة ، فبعضها أصفر مائل إلى السواد ، وبعضها أبيض يشوبه شيء من حمرة ، وبعضها أخضر يغلب عليه السواد ... وهكذا . ولم تضع العرب اللفاظ خاصة لجميع هذه الألوان الفرجية ، اكتفاء بالرئيسية منها ، فأصبح اللفظ الواحد يطلق على الدرجات المختلفة من اللون ، فظن أنه من الأضداد . وأدخل الصفاي وابن الدهان هذه الألوان كلها في أضدادهما ، كما أدخل قطرب فيها الأصفر .

(123) 200 - 202 . وانظر 159 ، 160 ، 206 .

(124) 56 .

(125) 80 . وأورده ابن الدهان 12 ، وعقب عليه بأن فيه نظراً .

(126) 231 .

3 - عبارات الاستهزاء . قال (127) : « ومما يشبه الاضداد قولهم في الاستهزاء : مرحبا بفلان ، اذا احبوا قربه ، ومرحبا به اذا لم يريدوا قربه . فمعناه على هذا التأويل : لا مرحبا به . فالمعنى الاول اشهر واهرف من أن يحتاج فيه الى شاهد . والمعنى الثاني شاهده :

مرحبا بالذي اذا جاءه الـ

خير او غاب غاب عن كل خير

هذا هجاء وذم ، معناه مرحبا بالذي اذا جاء غاب عن كل خير ، جاء الخير او غاب . وتأويل مرحبا : لا مرحبا به

« ومما يشبه الاضداد ايضا قولهم للعاقل : يا عاقل ، وللجاهل اذا استهزؤوا به : يا عاقل ، يريدون يا عاقل عند نفسك ، قال الله عز وجل : (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ، ذق انك انت العزيز الكريم) معناه عند نفسك ، فاما عندنا فلست عزيزا ولا كريما . وكذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن مخاطبة قوم شعيب شعيبا بقولهم : « انك لانت الحليم الرشيد » (ارادوا انت الحليم الرشيد عند نفسك) قال الشاعر :

فقلت لسيدنا يا حليم

انك لم تأس اسوا رفيقا

اراد يا حليم عند نفسك فانما عندي فانت سفيه » .

وهذه العبارات لا تضاد ولا ما يشبه فيها ، فالمتكلم حين وصف الجاهل بالعاقل لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واهني بذلك انه لم يقصد قط ان يصفه بحقيقته وهي الجهل ، بل اراد وصفه بالعقل . واهني بذلك انه لم يرد ان تصور انسانا جاهلا بقوله « يا عاقل » ، بل ارادنا ان تصور انسانا عاقلا ، ونستحضر هذه الصورة امامنا حتى نمثلها احساسا بها ، ثم ننظر الى هذا الجاهل ونرى مدى انطباق

الصورة عليه . ومن المفارقة في الصوريين يأتي الاستهزاء والضحك . ولو كان يريد منا ان نتصور انسانا جاهلا بقوله هذا ، ما جملنا نضحك ، لان الصوريين ستنطبقان : ولا تبرز المفارقة بينهما ..

اما الصنف الثاني ، او ما يجري مجرى الاضداد عنده ، فهو الاعلام التي يختلف في هروبتها او امجيتها . قال (128) : « ومما يفسر من كتاب الله جل وعز تفسيرين متضادين قوله عز وجل : « طه » . قال بعض المفسرين : معناه ، يا رجل ، بالسريانية . وقال غيره : معناه : يا رجل ، بلغة عك ، وزعم ان عكا يقولون للرجل : طه ، وكذلك للرجال والنسوة ، وانشد :

ان السفاه كله من خليقتكم

لا قدس الله اخلاق الملامين

وقال الاخفش : طه علامة لاتقطاع السورة من السورة التي قبلها . وقال الفراء : طه بمنزلة السم ، ابتدا الله جل وعز بها مكتفيا بها من جميع حروف المعجم ، ليدل العرب على انه انزل القرآن على نبيه باللغة التي يعلمونها والالفاظ التي يعقلونها كي لا تكون لهم على الله حجة . » .

وقال (129) : « ومنها ايضا يعقوب يكون عربيا لان العرب تسمي ذكر الحجل يعقوبا ويجمعونه بعاقيب ، قال سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب

اودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه

لو كان يدركه ركض البعاقيب

واجري نفس القول على اسحاق ، وعلى لفظ من غير الاعلام ، هو مشكاة ، التي قيل انها حبشية ، وقيل عربية . ولا شك ان الاساس الذي اقام عليه ابن الانباري القول بتضاد هذه الاعلام او جريانها مجرى الاضداد منهار لا قائمة له ، ولا يحتاج الى تفنيد ..

(127) 156 ، 157 . واوردهما ابن الدهان 11 ، 16 .

(128) 314 .

(129) 337 .

تحليل ونقد

الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني
الرباط

وكان أبو الطيب اللغوي هو الذي أزال كل إبهام من اللفظ فقال : ضد الشيء ما نأفاه ، وليس كل ما خالف الشيء ضدًا له .

وذكر في الفصل الثاني أن موقف اللغويين القدماء من هذا النوع من الألفاظ اختلف ، فارتضى جماعة منهم وجودها ، واعترف بها ، وتحدث عما يندرج تحتها من الفاظ ، وعلمها أحيانًا ، وكانت هذه الجماعة أسبق في الظهور من معارضتها إذ كان منها أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وتلاميذهم ، واستمر المنتسبون إليها في البقاء إلى يومنا هذا .

أما الجماعة الأخرى فاعتزلت على الأضداد وانكرتها ، ونعرف من انتمى إليها من القدماء غير ابن درستويه ولا تصح نسبة ذلك لشعوب ، وكثير أتباعها في العصر الحديث ، فكان منهم عبد الفتاح بدوي كاتب مقالة (ضدان) في دائرة المعارف الإسلامية (مادة أضداد) وكان منهم أغلب المستشرقين الذين كتبوا المقالات والرسائل الصغيرة في رفض الأضداد .

وقد دافع القائلون بها عن وجودها وردوا على ما قاله المعارضون ولعل أهم من قام بهذا العمل أحمد ابن فارس ، وابن سيده ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، فأقام ابن سيده دفاعه على الجدل العقلي ، واعتمد ابن فارس في أحد رأيه على طبيعة اللغة

كتاب (الأضداد في اللغة) تأليف حسين محمد ، من الجمهورية العربية المتحدة تناول فيه بالدرس العميق الهادي الرزين المستوعب ظاهرة الأضداد في اللغة العربية من جوانبها المختلفة ، وأولى عناية خاصة لدراسة مواقف المؤلفين من الأضداد قديمًا وحديثًا خصوصًا المشتبين والنافين لها . ويقع في 129 ص ، وقد جمعه في مقدمة وبابين وخاتمة ، فاستعرض في المقدمة نشأة الدراسات اللغوية في اللغة العربية ، مؤكداً أن اللغويين تنبهوا للأضداد في القرن الثاني فشرعوا يلتقطونها ، ويشيرون إليها ويتحدثون عنها .

وكانت الشجرة الطبيعية أول تدوين للأضداد في اللغة العربية ، وكانت هذه الشجرة الأولى باكورة عدة ثمار جمعت الأضداد ودرستها ، وحول هذا الثمار تدور الصفحات الآتية : متاملين ، متدقيقين ، ومقدرين .

وتناول الباب الأول الاختلاف في مفهوم الأضداد وفيه خمسة فصول : تعريف الأضداد ، والاختلاف في وجود الأضداد ، وأصل الأضداد ، وشروط الأضداد ، وأنواع الأضداد .

فذكر في فصل تعريف الأضداد أن قطرباً ذكر أن من اللفظ الواحد الذي يجرى على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً في شيء وضده ، وتابعه ابن الأنباري ، وأبو حاتم السجستاني .

العربية . وفى الراي الثاني على الرواة الذين نقلوا لنا الاضداد ، وكان ابن فارس اكثر توفيقا فى دفاعه عن الاضداد واقرب الى طبيعة اللغة وما تفرضه من مناهج ويؤسفنا الا نعثر على كتابه الذى الفه فى الدفاع عن الاضداد .

واما ابن الانباري فقد تناول واحدا من آراء المنكرين ورد عليه بل لعله اهم راي لهم .

ولما كانت كتب المعارضين من القدماء، لم تصل الينا كنا مضطرين للاعتماد على حكايات غيرهم عنهم .

وقد اجملت دائرة المعارف الاسلامية والدكتور منصور فهمي الأدلة التى اعتمد عليها المستشرقون فى انكار الاضداد ...

وفى أصل الاضداد ، ذكر ان اللغويين منذ تنبهوا الى الاضداد واختلفوا فيها وهم فى محاولة دائبة لتعليلها والكشف عن نشأتها وكيف وجدت فى اللغة ، واشترك فى هذه المحاولة من انفقست آراؤهم ومن اختلفت ، ومن اعترفوا بها ومن رفضوها والقدماء والمحدثون والعرب والمستعربون.

واختلفت الطرق التى سلكها العرب وغير العرب فى دراسة هذه الظاهرة اللغوية فى كثير من الاحيان ، فقد اوغل بعض المستشرقين فى تاريخ البشرية وارجع ظاهرة الاضداد الى العصور القديمة عندما كان العقل البشري فى سذاجته فلم يكن يفتن لما يحتويه من تناقض ، وتوسط بعضهم فى الايفال فام يرجع الى التاريخ البشري واقتصر على التاريخ العربى القديم . وان العرب اقترضوا بعض هذه الاضداد من اللغات المجاورة لهم ولما كان معناها الاصلي قد تختلف ابعاءاته فقد ادى ذلك الى التضاد فى اللغة .

واقصد بعضهم الآخر ونظر فى تاريخ الجماعة الواحدة فوجد فيه من التطور ما يؤدي الى التضاد دون استعارة من الخارج .

ولم يلتفت فريق الى التاريخ وبحث عن العلة فيمن يراه من جماعة وفرد وما يسودها من ظواهر ذات تاثير فى اللغة فذهب الى أن بعض المعانسي المتضادة يرتبط بعضها ببعض وتتدامى فى الذهن فتؤدي الى التضاد .

اما اللغويون العرب فقصروا جهدهم على الالفاظ العربية ولم يبعدوا عنها لا تاريخا ولا لغة ولا اجتماعا، وحاولوا أن يتبينوا اصولها ونشأتها ومسالكها فى اللغة العربية نفسها ، ويؤدي بنا التأمل الدقيق فى العال التى اوردها الدارسون للغة العربية نفسها دون حاجة الى الفلسفة او للعشور على نظرية عامة او الابعاد فى مجاهل التفكير البشري الى ان اهم ما قالوه من علل واخطره هو المعنى الاصلي للالفاظ فنحن فى حاجة الى اعادة النظر فى هذه الالفاظ وفيما ذكره لها اللغويون من معان ونسب حاجة الى محاولة استكشاف الطريق الى المعنى الاصلي الحق لها ، الذى لا يابه بما حولها من ملابسات ، ولا بما يربط من اشواط، سائر فى طرق معتدلة آنا ومعوجة آونة ، فان وصلنا الى ذلك المعنى غمرنا الضوء من كل مكان ، واستبان لنا تطور اللفظ ، وما اكتسبه من معان ودلالات ، وما احيط به من ظلال ، جعلته مشوبا بالغموض احيانا ، وعرضة للخطأ احيانا اخرى.

واما بقية العال فهي ارتباد لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ليصل الى درجة التضاد ، مثل اللغات، والمجاز والحذف للتخفيف وما اليها من امور .

كذلك يؤدي بنا التأمل الدقيق فى الاقوال السالفة الى نتيجة قد تبدو غريبة ولكنها حقيقة واقعة ، اعني انه لم يوجد من اللغويين على قدر ما نستطيع الحكم من خلال ما عندنا من معلومات من ينكر وجود الاضداد فى اللغة العربية الفصحى ، فمن رفضوا اضدادا ورفضوا اصالتها ، اريد انهم رفضوا ان تكون وضمت اصلا للمعنيين المتضادين ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع او المجاز او الحذف ادى الى وجود لفظين متماثلين فى كل شيء بحيث لا يمكن ان نفرق بينهما ونعدها لفظين متمايزين غير ان معنييهما متضادان ، كذلك ادى انصباب الروافد القبلية دون تمييز بينها فى تيار العربية الفصحى الى ما اشبه الظاهرة السابقة فالفصحى بصورتها الراهنة تحتوي على هذا النوع من الالفاظ (الذى نسميه الاضداد) باعتراف جميع القدماء ، وان اختلفت اصول هذه الاضداد والطرق التى سلكتها الى التيار الحالي .

ويؤدي بنا ايضا الى نتيجة اخرى اجمع عليها المنكرون والمؤيدون هي قلة الاضداد فى اللغة العربية الفصحى ...

ولم شروط الاضداد ذكر انه اذا كان من انكر الاضداد اطلق قوله فيها ثم اضطر الى التراجع قليلا منه عندما استقصى النظر في اللغة ، او احتوى قوله على ما يومية الى تراجع ، فاننا نجد الظاهرة نفسها عند المؤيدين لوجود الاضداد او بعينه .

لقد كان في وهم المؤلفين الاولين ان الاضداد الفاظ تلال في اللغة فحاولوا جمعها وابرازها وتحت اثر من هذا الاحساس ومن هذه الغاية جمعوا مع الاضداد الفاظا كثيرة مدوها اضدادا وهي واهنة الصلة بها وكان اكثر المؤلفين وقوها تحت هذا الاثر قطرب اول من كتب من الاضداد ، فاضطر من جاء بعده الى ادخال ما قاله في كتابه ، كيلا يتهم بأنه فاته من الاضداد شيء .

ولكن اهل القرنين الثالث والرابع كانوا قد اخذوا بتخفصون من هذا الاثر ، بعد ان راوا ما راوا امامهم من قبل كتب الاضداد ، فخذوا يبيدون النظر فيها ، وفي اضداد قطرب خاصة ، وينقدون منها كثيرا .

وعند تتبع هذا النقد استخلص المؤلف كثيرا من الشروط يجب ان تتوفر في اللفظ حتى يدخلوه في الاضداد ، ولكن الامر المؤسف ان هذه الشروط اهملها واضعوها انفسهم ، ولم يطبقوها على كثير من الالفاظ التي دونوها في كتبهم .

وبالرغم من ذلك تتبع المؤلف هذه الشروط لاهميتها في توضيح صورة الاضداد في اذهانهم ، وان لم تتحقق كل التحقق في كتبهم .

واهم مؤلف يكثر عنده هذا النوع من الاقوال هو ابو بكر محمد ابن القاسم الانباري ونستطيع ان نقول انه يضع الشروط التالية في اللفظ ليعده من الاضداد :

1 - ان تكون صيغة اللفظ في المعنيين المتضادين واحدة ، اي ان يكون المعنيان المتضادان لفعليين او اسميين او صفتيين ، وكل منهما على صيغة واحدة ، ولا يحكم بالتضاد فيما شذ من ذلك .

2 - كذلك اشترط ان يكون للصيغة الواحدة معنيان متضادان لا يمكن ردهما الى معنى واحد .

3 - واشترط ابن الانباري ايضا ان يكون المعنيان لصيحين لا من ابتكار العامة .

4 - واشترط ان يكون المعنيان معروفين استعمالهما العرب في حوارهم . . . ويبدو ان ابا الطيب يتفق مع ابن الانباري في هذا الرأي ايضا ، وان لم يعلن ذلك صراحة .

5 - واشترط ابو الطيب ان لا يكون المعنى الثاني مجازيا .

6 - واشترط في المعنى ان لا يكون مقلوبا او مرالا من جهته .

7 - وانفرد ابو الطيب- اللغوي باخراج مجموعة من الالفاظ تتضاد في معانيها ، وتماثل في صورتها ولكن هذه الصورة التماثلة في ظاهرها مختلفة في حقيقتها اذ تختلف العنل الصرفية التي وصلت بها الى صورتها .

8 - بل ذهب الى ابعد من ذلك واخرج من الاضداد ما اختلف صيغ المجرد والمصدر منه من الافعال . ثم استخلص من هذا غموض صورة الاضداد في ذهن قطرب ، او عدم وجود حدود لها ، واخذها في الموضوع والجلال ، والتحدد على مر الزمان فكانت اللمحاحات الاولى منها عند ابي حاتم السجستاني ، ثم كان كمال التحدد والبروز عند ابن الانباري وابي الطيب .

ويعتبر الفصل الخامس في (انواع الاضداد) اطول فصول الباب الاول ، اذ يستغرق احدى وثلاثين صفحة . وبالرغم من احساس العلماء بان الاضداد ثبات عدة ، فان المؤلف لم يجد بين القدماء من حاول ان يصنفها قاصرا او شاملا ، وبالرغم من ان المحدثين اضطروا الى الفصل بين انواع منها ليسهل عليهم رفضها او تحليلها فانهم لم يرتقوا بهذا الفصل الى ان يكون تصنيفا .

والرجل الوحيد الذي حاول شيئا من ذلك هو عبد الفتاح بدوي ، ويبدو انه اراد ان يعرض ما فات اللغويين فاعطانا تقسيمين ، اما الاول لصغير ومحكم ، ويقوم على اساس نحوي ، فقد جعل الاضداد اربعة انواع .

وكان التقسيم الثاني واسعا ينظر الى عدة اساس بحيث تغيب من النظر الذي يريد ان يصل اليها فالاضداد في هذا التقسيم تقع في عشر طوائف .

وبعد ان ذكرها المؤلف ذكر انه يعني كثيرا بالتقسيمات النظرية وان كان لن يهملها كل الاهمال

وانه سيجمل همه كله فى تتبع الانواع المختلفة التى أدخلها مؤلفو الاضداد فعلا فى كتبهم اذ اختلف النظر والتطبيق عندهم ، وانه سيبدأ بأول مؤلف : قطرب اذ توسع فى تصور الاضداد اكثر من غيره ، حتى اضطر من جاء بعده الى تقضيه ورفض كثير منها ، وانه سيتبع كل صنف منها بما وجه اليه من نقد .

قد وصلت الاصناف عنده الى ستة عشر صنفا و اضاف ابن الانباري اليها خمسة انواع اخرى فصارت واحدا وعشرين نوعا ، قبل مؤلفنا منها نوعا واحدا هو ما سماه بالاضداد الحقيقية ويبين فى العشرين الباقية كلها انها ليست من الاضداد فى شيء .

ووجد ابن الانباري مجموعة من الالفاظ تقارب الاضداد ولكنها لا تماثلها كل المائلة ، فميزها عنها بعض التمييز ، وسماها احيانا (اشباه الاضداد) . وتناول الباب الثاني جمع الاضداد وتدوينها وفيه اربعة فصول : اسباب هذا الجمع واهدافه . وبواكير جمع الاضداد ، وكتب فى الاضداد وفصول فى الاضداد .

وقد لخص الفصل الاول فى اخره فذكر ان الدافع الذى حمل القفوين على تدوين الاضداد تغير من جيل الى آخر ، فقد بدأ هواية فى القرن الثاني ، ثم صار تقوى تحمل على ازالة ما قد يمتري بعض الآيات من غموض فى القرن الثالث ، ثم تحول الى رغبة فى الدفاع عن العرب ولغتهم امام الدهاوي الشعبية فى اوائل القرن الرابع وحب المعرفة المجردة فى ذلك القرن ايضا ، وانتهى الى الرغبة فى مدح الباحثين من المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة فى العصور المتأخرة .

وتغير الهدف الذى سعى اليه كل من هؤلاء المؤلفين : فبينما كان اولهم قطرب يسعى الى استقصاء الاضداد من نهر اللغة مباشرة ، استكثر هذا ابو لحاتم ووجد الا لسبيل اليه واقتصر على التطلع الى جمع ما أمكن ، ثم سعى ابن الانباري الى الجمع ولكن من الكتب المؤلفة قبله ، و اضاف بعض الشواهد والمثل ، وسعى ابو الطيب الى ذلك مع التمييز ، فقد ، ثم كان الهدف الاختصار والجمع معا .

وبواكير جمع الاضداد ، ذكر ان الخليل كان بعد الاضداد من عجائب الكلام ووسع العربية

قد اشار الى قدر منها فى (المعين) وروى واحد من الاضداد من يوسف بن حبيب ، ورويت ثلاثة عن الكسائي وما نسب الى الفراء لا يتمدى الضد او الاثنين .

وتكثر الاضداد بعض الشيء عند ابى عمرو الشيباني ثم تكثر وتنوع عند ابى زيد الانصاري ، وبقي بعض الناس يوردون اضمادا بعد عهد التأليف فيها ، دون ان يشاركوا هم فى تدوينها فى كتب خاصة ، مثل ابن الامرابي .

ويعتبر الفصل الثالث من الباب الثاني الخاص بكتب الاضداد اطول فصول الكتاب اذ انه يقع فى 52 صفحة .

فقد عثر فى اثناء بحثه عن الاضداد على اسماء ثلاثة وعشرين كتابا فيها ، ثم اورد اسماءها مرتبة بحسب وفيات مؤلفيها ، مع بيان المفقود والوجود منها والمخطوط والمطبوع .

ثم تصدى للكلام على كل واحد منها بخصوصه ، واصفا دارسا مقارنا ناقدا . فى اناة وثبت وانصاف .

وفى الفصل الرابع والاخير عن فصول فى الاضداد ، درس ما ورد فى الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام وادب الكاتب لابن قتيبة ، والمخصص لابن سيده ، والمزهر للسيوطي .

ولخص فى (الخاتمة) النتائج التى توصل اليها فى الكتاب .

الاضداد ظاهرة لغوية :

فالدهر ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده ، وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها ، ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء وقلة من المحدثين ، وكانت الفئة الاخيرة او افراد منها هي التى حاولت ان تملل هذه الظاهرة الغريبة ولعل ظاهرة لغوية اخرى لم تحط بمثل سوء التفاهم الذى احيطت به ظاهرة الاضداد ، فمنذ عهد مبكر اختلف اللغويون فيها ، وما زالوا مختلفين ، فاذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاهم ومباراتهم تتناثر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا ، فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد . وفى

مجالين لا مجال واحد ولو تحدثوا عن تصور واحد ، وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة وبطل كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للأضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز أية لهجة قبلية على حديثها ، ولما لم ينعثروا على الأضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الأضداد برمتها وأبوا أن يسموا بالأضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وأن ضمتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ في وضعها الاول واعتلوا أنهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه الا على معنيين متضادين ، أما اذا كان الاستعمال أو التبدلات اللغوية أو التغيرات الصرفية قد أدت بعد ذلك الى أن تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة فتبدو الآن في صورة واحدة ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الأضداد عندهم .. وتستطيع أن تقول : أن كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يأبى المنكرون أن يسموه ضدا ، مهما كان السبب : لهجات قبلية أو حداثا ، أو تخفيفا ، أو ابدالا ، أو اعلالا ، أو مجازا ، أو تبالا وتطيرا ، أو ما شاكل ذلك من أمور ، وإنما الضد عندهم يجب ألا يكون هناك سبب في دلالة هذه ، بل وضع أصلا لها .

أما المؤيدون للأضداد فوسعوا نظريتهم ومجالهم : نظروا الى اللغة العربية في شمولها وعمومها فنفت نظرهم وجود هذه الفئة من الأضداد ، ثم لم ينعثوا بالبحث عن أسبابها ، أو - أن شئنا الدقة - لم تهتمهم الأسباب فقد عرفوا أسبابا للظاهرة ، وأعلن أكثرهم أن كثيرا من الأضداد دالية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ ، ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير أنهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالأضداد ، ولم يرتضها الآخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظريتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل أغفلوا هذا الوضع حامدين أنه لا أهمية له عندهم . وامنوا النظر في الالفاظ العربية التي يسمونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون ، فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ التقطوها ومنحوها اسم الأضداد ، دون أن يأبهوا للأسباب التي أدت الى ذلك ودون أن ينكروا هذه الأسباب ، بل لقد شاركه

بعضهم قطرب في الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله لأن وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الإجابة عن الأسئلة التالية تزيل كل لبس أمام المتألمين :

1 - هل توجد في العربية الفصحى التي نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ومعنيين متضادين ؟

اعتقد أن أحدا لا يستطيع أن ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد أن أحدا لا ينكر هذا أيضا ، وأضيف الى ذلك أن هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد في بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفي بعض اللغات الأوروبية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي ، وأذن لوجود الأضداد ليس منقصة للغة العربية كما ظن الشمويون قديما ، وكما يفهم من أقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع - في اعتقادي - التي حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة في رفض الأضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد أن كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها أن يكون لها اسم خاص ، أما المؤيدون فقد سموها (الأضداد) فإذا كان المنكرون يجدون لها تسمية أكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 - هل الأضداد بالشيعوع الذي صورته القدماء ؟ واضح من الدراسة الماضية أن تصور الأضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاقت حينها واتسع آخر ، فكان تصور الأضداد ضيق المجال في بادئ الأمر عند المتحدثين فيها دون أن يحاولوا لها جمعا أو تدوينا ، ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غربيا عند أول مؤلف في الأضداد ، قطرب ، لشمّل شتاتا غربيا من الالفاظ ، مما يدل على أن قطرب لم يكن يحسن تصور الأضداد ، ولا أحسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها ، واضطر أكثر من جاء بعد قطرب الى تضيق المجال الذي وسعه ونفى كثير من الفئات والالفاظ التي أدخلها في كتابه ، فأخذ تصور الأضداد في الوضوح وحدودها في البروز ، ثم اتسع المجال مرة أخرى عند ابن الأنباري خاصة لما أدخل من أنواع جديدة من الأضداد ، وأذن فالمجال

كان متغيراً عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند
المحدثين وان كان اضيق مندهم منه عند القدماء .

5 - هل تعد كل الانواع التى اتفق عليها
القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل ،
وان بعض ما هذه القدماء من الاضداد لا يستحق
هذه التسمية ، وضرب لذلك امثلة :

1 - ما اختلف فى تفسيره من الايات والاشعار
والاقوال .

ب - الفاظ وعبارات التفاضل والتطير
والاستهزاء

ج - ما وضع فى الالفاظ تعسفا او تكثرا ،
مثل الالفاظ التى تختلف معانيها دون ان تتفاد ،
والالفاظ التى تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من
ادوات كرفب عن والى

6 - ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم
الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى
الذى يدل عليه اللفظ ، وهنا احتراز فاقول المعنى
الذى يدل عليه اللفظ ، واعني بهذا الاحتراز امثال

هذه الالفاظ التى لم يحسن بعض اللغويين التنبيه الى
معناها الحق ونسبوا اليها معاني بدت متفسدة ،
فالصريم الوقت المنقطع اعني الوقت المنقطع من وقت
آخر ، كالليل يقطع من النهار والنهار يقطع من الليل ،
وليس الصريم الليل خاصة ولا النهار خاصة
وامثال ذلك كثيرة ، تفتن اليها بعض القدماء
انفسهم ...

واذن فما وجدنا من الالفاظ معانيه تؤول الى
معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد ،
وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى
خارجيا او ذهنيا يجب ان نخرجه من الاضداد ، وما
دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى
خارجيا او ذهنيا يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا
صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يكن
الجمع بينهما ، تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد ،
وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

ويتجلى من هذا المرض القيمة العلمية لهذا
الكتاب وما يدل فيه مؤلفه من الوقت والجهد وما
تحلى به من الصبر والثبات والثبات ، وما تحراه من
دقة التعبير والتجرد .

النظرة اللغوية ونشوء العربية

الأستاذ محمد يوسف نور الدين
بيروت

ان اللغة هي منزل الكائن البشري هيدجر... وان اساس اللغة لا يقوم على ما تحويه من كلمات ، وانما يقوم على تركيبها الخاص وبماكانا ان نقول : ان العرب في ظل الاستعمار ، لجأوا لحماية هويتهم الى اللغة العربية أو بالحرى الى اللغة العربية القديمة . ومن هنا نلمس قوة وصلابة قيم ومزايا العربية التي ناضلت بنجاح ، لا ضد غزوات اللغات الغربية المسلحة بقدرة علمية ، على الاتصال وحسب ، وانما كذلك ضد اللهجات « المحلية العامية » التي حاول الاستعمار تغذيتها لزorc الفرق والتجزئة (المستشرق جاك بيرك) .

— والتطور اللغوي ونشوء العربية مفامرتان في قلب الزمان ، وشوق الانسان اليهما ، الاولى : سفر في التاريخ وغوص الى اعماقه ... ثم ارتفاع مالد الى شواطئ الحاضر ، محمل بلاليه الاعماق . والثانية : ارتقاء الى المستقبل ، وحوم على اماليه... ثم اكتشاف فني سعيد يعود بالبشرى المقامر . من هنالك كانت نشأة اللغة العربية ، وبهذا السبيل النشوي تسير فلان توقف بعد اليوم .

فاللغة بالاصل وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين في ايها نظرت تطالعك البهجة . فحاضرنا مشكل ، عديد المشاكل ، وقد زج انساننا العربي في اعتم المقلقات واطرها ، ان في لغته ، او في عقيدته او في وجوده .

ومندي ان في هذه المقلقات اللغوية متشابكة تشابكا .

وقد ماش هذا القلق المصري ، مفامر ، يتخطى ، لكتب منذ ثلاثين عاما ، كتاب « مقدمة لدرس لغة العرب » لذا فهذا يعني بان هذه المقدمة هي لاقتضاءات معاصرة ، تتأثر في كل مكان من ارضنا العربية وتسير الى صعوبات اللغة العربية ومشكلاتها ، او تؤكد سهولتها واطمئنانها حتى لقد تألفت في ذلك مؤلفات جملة . وبعد فاقول : بان اللغة هي وجدان يتراعى بالكلمة ، وهما مرآة ذات وجهين ، في ايها نظرت تطالعك البهجة .

من هنا كانت نشأة العربية ، وبمجراها تسير ، فلا تتوقف بعد اليوم .

العربية واللغات الاخرى :

فاذا هاجر السكان او ماتوا ، خلت المنازل والفتقر غناها ، لهم روحها التي بها تحيا ، واذا قبحت العيون وشاحت الوجوه حالت المرايا وتمكر صفالها وانسد استمدادها ، فالصور المطبوعة عليها وجهها الذي تبدو .

اللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره ، يلجأ اليها لتأكيد وجوده وينطلق بها لتحقيق رغباته .

لكن المنازل تغشى بسكانها ، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناضرة اليها والوجوه المصورة عليها .

ادوار اللغات ونشوء العربية

ان تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة ، من المواضيع التي لا تزال أقرب الى الغموض منها الى التبيان . ومحاولة الكشف عليها تبسط رأيا جديدا حول موضوع الغموض ، لم تتوقف عند بحوث المتكلمين وجدلهم بقضية اللغات اهي توقيفية، هكذا وردتنا من الله ؟ ام وضعية ، تعارف عليها الانسان ؟ كما لم تقتنع بتقسيمات ، علماء المقابلة اللغوية في هذا العصر .

والحديث عندنا هو ان اغلب اللغات ان لم تكن جميعها قد مرت في ادوار ثلاثة ، مرتقية منها ام غير مرتقية .

1 - دور المقطع البسيط : وهذا يعني بان المقطع كان واحديا غير مركب مثل (ba) وفي هذا الدور ولد الجدول الهجائي (ا ، ب ، ت ، ث ، ...) الخ .

بمختلف اصواته، بمختلف حركاته العربية، وان كل صوت يدل دلالة معينة ، فمثلا ، (عو) يدل على الحيوانات الزيرية و (وا) يدل على الصوت المخاف والمتكرر بحركة الفكين .

2 - دور المقطعين : اي دور الجمع بين مقطعين واحدتين للدلالة على معنى جديد ، ويعتبر هذا الدور دور محاكاة الطبيعة في مختلف اصواتها ، وفي آخره قصد الانسان الى التاليف من منطقه ، فجمع الانسان السامي بين المقطعين البسيطين (عو) و (وا) للدلالة على ان الحيوان يعوي فتوصل الى (هوا) بمعنى حيوان يصوت او يواصل التصويت .

والى هذا الدور تنظر المعلمات في العربية ، فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدتين فقط .

وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها ، وتستحصل مثل (هوى) بمعنى صوت الحيوان .

3 - دور المقاطع : اي دور الجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع الثنائية ، لتاليف دلالة مركبة .

وكان هذا الدور بقصد الانسان تلبية لحاجته العاسة اليه . وفيه اتخذت العربية وحدتها الكاملة واستقرت في الثلاثي .

اللغات موطن الشعوب ومرايا اشواقهم .

واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم . فالمقارنة بين طبيعة اللغات ومميزاتها الحيوية من جهة، وبين طبيعة اللغة العربية وخصائصها من جهة ثانية . فالمقارنة الحقيقية بعيدة عن طبيعة اللغة العربية ، وملاساتها في حياة العربي ، وعلى تحديدها وادراكها يتوقف تصحيح الاسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي ، واقتصاد الجهود المبذولة .

لان هذه الاسباب اثرت على النفس العربية تأثيرا شديدا وطبعها بطابع غريب من الزهد باللغة .

ومن هذا التأثير وهذا الطابع .

1 - طغيان اللغات الاجنبية على حياتنا العامة في كل مرافقها الضرورية كالبيع والشراء ، حتى يكاد العربي يشعر بالغربة في محيطه العربي وبين ذوي قرباه .

2 - الرغبة الثقافية : وهذه الرغبة لا تنحصر للعربي ، ما لم يلم العاما كبيرا بلغة او اكثر من اللغات الاجنبية ، لان الانتاج الفكري والعلمي المعاصر اجنبي بكل نواحيه .

واننا في حاجة ضرورية لان نعد عقلا عربيا اعدادا ثقافيا كاملا ولا يتسنى له ذلك الا بالاقبال على اللغات الاجنبية ، فالمستحضرات الكيماوية ، وقطع الفيار للصناعات الثقيلة وغيرها والادوية كلها لا يوجد لها مفردات مترجمة في العربية ، فاضطر المثقف العربي لان يلم باكثر من لغة ليتسنى له ان يسير في تيسار التطور والرقي العالمي والعلمي والادبي .

3 - الامتياز : بمعنى ان متعلم اللغات الاجنبية المتحدث بها ، شخص ممتاز او مميز ، لان هذه اللغات بالنظر العام ، عنوان الحضارة في الحياة والشخصية وعنوان الترف العلمي ، والاجتماعي ، والعقلي من كل الوجوه .

وليس في جميع اسباب الشكوى ما يرجع الى طبيعة اللغة وجوهرها وانما هي اسباب مرضية ، غير موضوعية ، خامرت احيانا ، فلم تلم بلفتها الام واستصعبتها، ومالت الى اللغات الاجنبية واستسهلتها الا ان في نظري بان اللغة العربية هي اسهل اللغات ، ان في قانون نحوها ، وصرفها ، او املاءها او اشتقاقها بل اكثرها آلية اذا صح التعبير .

كل هذا لا يعني خلو العربية من الغوضى .

وإذا كان الإنسان الفطري لم يتوصل إلى الجدول الهجائي بترتيبه الحالي ، فأنما توصل إليه كمجموعة لكلمات اللغة الفطرية .

وإذا كان الجدول لا يضمن الدراسات نكل كلمة من كلمات اللغة على وجه التحقيق ، فإنه يمكننا الاطمئنان إلى انفصال اللغة عنه ثنائية ثلثية .

كما يمكن الاسترواح بترتيبها الحالي هي ثمانية وعشرون حرفا .



ان الإنسان القديم جمع بين مقطعين واحدتين للدلالة على معنى جديد .

لقد شرع الإنسان يسمى وراء مقاصده في هذا الدور ، وأخذ يحاكي الطبيعة ومن هذه المحاكاة التي تعتبر مصدره اللغوي الوحيد ترك ثروة لغوية هي أكثر المقاطع الثنائية .

ومن طبيعة الإنسان معاني الجدول الهجائي يوقفنا على مستوى الاخيلة الواضحة ، ويساعدنا على تحقيق التطور الوصفي وتاريخ الاشتقاق .

واننا نورد هنا مقالين يوضحان ان الثنائي من وضع هذا الدور ، هما عبي ، والمعلات .

المثال الاول : عبي، تحلل إلى حروفها ع : وتدل على الحيوان الزليري ، ب وتدل على البيت .

ا - ابدال الهمزة : وهذه ظاهرة قليلة من باحثي الاشتقاق العربي قد تنبهوا لها ، مع ان لها خطورتها في بناء الكلم وتحرير معانيها ، فمثلا : اخي اصلها وحي :

ب - الحذف والتضعيف : وهذه ايضا ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمة الاهمية من حيث وجوه المعرفة .

وخلاصة القول : في ان الإنسان حاكم الطبيعة بمختلف أصواتها ، وقصد في آخرها إلى التأليف من منطقته بالمعنى الذي أوضحناه ، للتأليف والجمع بين مقطعين احاديين وتركه ثروة هي أكثر المقاطع الثنائية .

وختام تمهيدنا هذا لادوار اللغات ونشوء العربية لقد مرت شتى ضروب اللغات بأدوار ثلاثة : المقطع البسيط والمقطعين والمقاطع . وأنها لتؤلف جميعها الدور اللغوي البدائي .

ولقد حييت لغات واميتت لغات، وهناك لغات اخذت بالحياة ، وهذه الأخيرة وحدها الفت المهد اللغوي الثاني عهد اللغات المرتقية .

وتقسم هذه المرتقية باعتبار مرونتها للتصريف والاشتقاق إلى متصرفة وغير متصرفة .

دور المقطع البسيط :

ا - الإنسان الفطري: ان لبحث الإنسان الفطري، علما قائما بذاته هو علم الإنسان « الانثروبولوجيا » وما يهمني من ذلك الإنسان الفطري في موضوعي هو البحث من أصواته السليقية ، التي استقرت في هايتها على صورة وكانت لهجة ، ولا تعتبر الاصوات لهجة ما لم تستقر .

اما اذا اخذنا في تحليل كلمات العربية على معاني الجدول خرجنا بمقارنات يمكن عليها فرض التطور، واليك بعض الامثلة من الكلمات التالية : شجر ، جبل ، جمل ، سمك .

المثال الاول : شجر ، شجرة وتحل إلى حروفها، ش : معناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات ، ج ومعناه جبل ، وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع، ر : ومعناه رأس .

اما المعنى المؤلف : نبات مرتفع له رأس ، وهو تماما معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بما له ساق .

المثال الثاني : جبل وتحل إلى حروفها ، ج : ومعناه ينظر إلى الارتفاع ب ، ومعناه بيت ، ل ومعناه الملاصقة والمساس .

والمعنى المؤلف : بيت مرتفع ملاصق ، وكأنه للسحاب أو للارض وهو تصور صحيح من الجبل .

ومن هنا لا نطمئن إلى القول ، بأن لغات العالم تفرمت من مصدر واحد ، وانما هي وليدة اسباب مكانية اجتماعية ، وانفرادية كالعادات وليدة الطابع والظروف .

ورأينا كذلك حالة لا بد منها في نشوء اللغات ،
واليه يرجع الثاني بما في ذلك المجلات ، راسا على
وجه الاطراد لان واحدا من هذه الحروف ليس اصلا .



لقد كان يقصد الانسان تلبية حاجته ، اذ كان
يجمع بين المقاطع البسيطة الواحدة وبين المقاطع
الثانية لتأليف دلالات مركبة . ان العربية اتخذت
وحدتها في هذا الدور واستقرت في الثلاثي .

ان هذا الدور هو عصر الحجر المهدب الذي تم
فيه للانسان كثير من الرقي ، واننا نستعرض ادوار
النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير
أخذة سبيلا من الطفرة او قائمة على اسس المفاجئات
المحضنة .

ولقد كان الانسان بحاجة في هذا الدور الى
الخطاب المبسوط ، بحكم عوامل الرقي والحضارة
والطور ، فلقد وجه العناية الكاملة الى اصلاح المنطق .

ولقد قسم هذا الدور الى حلقات ، تعاقبت على
اعتبار الثلاثي ، ولم تتغير في اساسها ، وانما اختلفت
في نسب جعلت بينها تفاوتات ارتقائيا فقط ...

— وفي بحث هذه الحلقات ، حصرنا النظر في
التطبيق على العربية ، ان تطبيقها فيما عدا العربية
يحتاج الى مجهود اكبر ، وعرض اوسع .

1 — يتكون المنطق اللغوي والتعبير عن حاجته .

ب — تكثير اللغة وخوض الزيادة ...

ج — النضج اللغوي عند العرب كما يظهر في
قاعدة القلب ، ومستلزماتها ونتائجها .

د — المعاني التركيبية ، وطريقة الغربي في
وضع الرباعي من الثلاثي ...

ه — المنطق اللغوي ... والتعبير عن الحاجة .

لقد بدل الانسان ما في وسمه في سبيل ان
يخضع ما حوله من اجل معاشه ، واعمل الحيلة لتكوين
منطقه بين مطالب العيش الجديدة فصارت له لغة على
مقياس من تفكيره وحوالجه ...

ومن المعقول بان المنطق اللغوي قد امتد الى
آخر العصر البرونزي الذي تم فيه للانسان وضع
الحجر الاساسي في بناء الحضارة .

لقد بقيت لغة الانسان في المنطق اللغوي على
غير تناسب ولا نظام ، اجتهد في اصطناع كلماتها لابرار
ما في نفسه ولنقل ما يريد الى من يشاركه الحياة
ويجاور المسكن .

وتتألف من :

1 — المفردات ذات المقطع الواحد .. أصبحت
فيما بعد الجدول الهجائي .

ب — المفردات ذات المقطعين ، وهي المجلات
في دور النضج اللغوي .

ج — واخيرا ذات المقاطع ... وهي في النهاية
ذات وحدة في العربية منها تصدر كلمات العربية واليها
تنسب .



ولقد اخترمت الكتابة في هذا العهد ، ما يثبت
لنا التقدم الاجتماعي ، وعلى العقلية اللغوية الراقية ،
ويشير الى سمو هذا القسم من الوجهة اللغوية .

المهم ان اللغة لم تعد اتكالية ابدا بمعنى ان الانسان
لم يعد يتكلم في تكثير اللغة وتسمية الاشياء ، على
المصادفات الطبيعية والملابس الظرفية بل اصبح
يلجأ الى التأليف والتركيب عند الحاجة وحسب
المقتضيات .

ولقد بقيت اللغة فوضوية لسببين :

1 — لم يهتد اللغويون الى ترتيب جدول الهجاء
على وجهه .

2 — وكذلك لم يهتد اللغويون الى قانون الزيادة
ومكانها ، فكان يزيد على الثاني هكذا من غير تقرير
لموضع الزيادة .

وهناك تباين بين المنطق اللغوي ، والاكثر من
اللغة ويرجع هذا الى فرقتين أساسيتين هما: التركيب
والقصص .

1 — فالثلاثي في المنطق اللغوي كان عبارة عن
تركيب مؤلف من ثلاث كلمات ، فلم يكن مفردا في
مفهومه وان تعين بحكم دلالاته وموضوعه والثلاثي في

الاكثار اللغوي كان عبارة من مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الابية .

2 - ان الثلاثي في تكثير اللغة دخله القصد في ان يكون ثلاثيا بينما كان ثلاثيا بضرورة تشخيص الموضوع للواضع .



بعد الاطلاع على ما سبق نعتقد بأنه تم النضج اللغوي عند العرب فلم تعد اللغة في حاجة الى شيء مما كانت تحتاجه أولا ، بل خضعت خضوعا عاما لا اصول في الوضع ، اعتبرها اللغويون (الفيلولوجيون) اسما وارفع ما عرفت امة من الامم ، لقد رتب العربي الجدول الهجائي في طور الاكثار من اللغة ، فلقد كان لصرب الجنوب على ترتيب خاص يكتبون بها .

ولقد اجتهد في تنظيم قاعدة الوضع حتى استخلص قاعدة موزونة جدا ، وهكذا رتب الجدول الهجائي واصبح ضروريا ان نتكلم في تحديد معاني حروف الهجاء بما تسمح به النصوص المحفوظة .

ومعقول العربي ، في ترتيب الجدول الهجائي ، وفي اعتماده القاعدة بكل فروعها ، وفي ثورته اللغوية التي اخضع فيها لقاعدة جميع مواد اللغة ، هذا معقول وحده يكفل بقاء العربية في مواجهة المستقبل ...

ومن هنا كانت ثورة اللغويين على الانحرافات المضلة ، والاهوام العربية التي تشد معقول العربي حسب العربية للفرد العربي .

ولقد عبر العربي عن معقوله اللغوي الراقى بقاعدة على مواد اللغة .

1 - تصحيح المعاجم

ب - الوقوف على الدخيل من الاصيل .

ج - ان نأخذ الوضع الجديد على مقتضاة لنسد نقص اللغة ونكفي حاجتها .

معاني الحروف العربية

بما تقدم من شرح ، ولر العربي للغة كل عناصر البقاء ، فاعتمد الجدول الهجائي ، بمعانيه العمومية ، نواة اللغة .

واعتمد كذلك خصائصه الحوية ، ووحدة الكلمة حتى لقد اخضع جميع القوانين اللغوية وكرسها خدمة للغة .

ولم تعد لغة العربي في حاجة لغير مكملات تتحكم باللغة وتنفي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها الى المد غير المنجزر .

ولو بقي العربي في جزيره العربية لبلغت اللغة العربية اوجها في الازدهار والتطور وتنظيم تلك المكملات ، ولما بقيت على فوضى الموازين ، والجموع والمصادر والافعال .

فتوقف تطور هذه اللغة بداهي الخروج من جزيره ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

حتى لقد صادف الفرد العربي من لغته المعاني التركيبية ما لم يؤديه له في النضج اللغوي ، ولقد لاحظ ان معاني هذه اللغة لا تبني سوى على الثلاثي ، كما لاحظ ايضا ان هنالك زيادة في المعنى تفتقر الى ما يؤديها لتتم دلالتها .

من هنا انبثقت حاجة الفرد العربي الى الزيادة ولقد توصل العربي في هذه الحقبة من الزمن الى التعرف على زيادات تصريفية ، جعل موضعها في اول الثلاثي ولم تولد الافعال الرباعية والخماسية ، وكانت هذه الزيادة ، قد استنطقت في وقتها لان العربي كان بحاجة اليها ، وعليه فالزيادات على اقسام :

1 - زيادة البناء : وتتكون هذه الزيادة من الثلاثي ولوضعها الوسط .

2 - زيادة الاشتقاق ، وتتكون من الثلاثي لكي يحصل العربي على الرباعي وما اليه وموضوع الآخر .

3 - زيادة التصريف : من قبل كتفعل واستفعل ، وموضعها الاول غالبا لعدم الالتباس .

4 - اما زيادة الاسناد : كغربت ليست من اقسام الزيادة على معنى التأليف ، بل ان الكلمة تصبح مركبة ، لانها سواء كانت علامة او ضميرا فانها حاجة غريبة عن الكلمة ، وقد تصاف لجمال الاسلوب .

هذه هي الطريقة الفضلى التي كان على العربي ان يسير اليها منذ حقبة من الزمن بعيدة . لاستحصال الرباعي والخماسي .

التطور في اللهجة

لهجة منزلة كبرى وذات أهمية من اللغة ، ولا تقل شأنًا من الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقا على خطر . ويجدر بنا أن نقول أن تعرضنا للهجة العربية بحد ذاتها ، فهي متعددة الوجوه ، ومتعددة الاجناس ويتكلمها خلق كثير فعلى اذن أن نتناول هذا البحث من هذه الزاوية من خلال الوجهة العامة وليس تعرضي لكل قبيلة أو لكل جنس على حدة بل بصورة شاملة عامة .

1 - التطور الصوتي :

أن الباحثين والمدققين من اللهجات اخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما علما عليها وحدها ، ولم يراعوا اعتبارات اللهجة الواحدة .

فهذا هو الخطأ بعينه لانه لا يصح من كل وجوهه ، وبالتالي لان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، بل انها بقايا تركها التطور الذي لم ينته من تكامله .

ومن الامثلة التي خفيت على اللغويين ما يلي : يعقيد : وهو المسل الذي يعقد على النار وكذلك يعصيد وهي بقلعة مرة لها لبن لرج .

النفويون لا يترددون فيما ذهب اليه صاحب المصباح وغيره من الكتب اللغوية ، مع اعتبار أن الكلمات السابقة هي ابنية اسمية اشتق عليها توسمه .

ولكن القول بأن العربي مر بهذه الكلمات في عهد من المهود اللغوية السابقة كافعال فقط ، فقد كان العربي يتخذ من الفعل وصفا ينطبق بالحركة حرفا ، فلا عجيبة أن يكون العربي قد وصف بهذه الافعال ، مثل يعقيد وينبوع .

وهكذا تطورت اللغة وظلت هنا دالة على مسمياتها مع الاحتفاظ بكونها الالير الذي ينظر الى وجوده السابق ، وبرهان ذلك يتلخص في :

1 - بقاء اللهجة المتدرة على لسان بعض القبائل العربية فمثلا لقد ورد في الجاهلية على لسان الشاعر الاسود عنتر كلمة ينباع في قوله :

ينباع من ذفرى غضوب جصرة
زيافة مثل الفنيق المكدم

وان هذه الطريقة هي نظرية ليس للمرء أن يشك بها ومستوجبا الاخذ بها ، ولا بأس من ايراد امثلة تؤكدتها ، كالقرطاس ، والعنقاش ، وختلم .

فالقرطاس : ذكرت المعارف الاسلامية معتمدة تحقيقات : ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى الى انها دخيلة .

ولو عدنا الى ما قبل هذه الحقبة لوجدنا بأن القرطاس يرجع الى قرط ، والقرط هو ورق الكراث ، ولما كان الورق من البردي على نسق ، أبسط ، اضافوا اليه السين لكي يبرهن ويدل دلالة على اهم سميات الورق النباني المذكور .

ف ، قرط + س = ورق البردي .

فالقرط مجموعا الى السين يدل على السعة والبسطة ويعطي المعنى التحليلي للقرطاس .

- وعنقاش : ومعناه المتجول في القرى وهو كذلك بحسب القاعدة يرجع الى الثلاثي .

عنق : ومعناه شدة المسير ، والشين تدل على التفشي وعدم النظام ، وعليه فالدلالة التامة له السير على غير نظام ، وهو المقصود من التجول في القرى .

- وختلم : ويرجع الى ختل في الاصل وهي موضوعة لاخذ الشيء خفية .

وهكذا كان فاخذ العربي من الاولين هذه القواعد لقاعدة العربي هذه فوائد أهمها :

1 - وضع حد للتعريب .

2 - وضع قاعدة صحيحة لابعاث اللغة .

3 - افادة غير محدودة في الوضع للمستقبل ، وسد حاجة اللغة من بين هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات .

4 - تصحيح المعاجم من الاقدمين ، الذين كان اعتقادهم بأن الرباعي وما اليه تولد بالتركيب والاختزال ، فظن بأن بعثر من بعث - اثير - ومثل شعثب من شق - حطب -

وقد يظن بأن هذا الاخذ الجديد الذي تدل العربية عليه ، من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الاقوال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع كل هذا لتصل العربية الى المستوى الذي كانت ستصل اليه لو بقيت في محيطها بدون براح .

والانتهاء بمتحرك هو الضمة الممدودة أو الواو ، ويدعو اليه احتفاظ عمرو بالواو في أملايته. ومن يديهي القول ان معرفة العرب للكتابة قديم جدا وان كان تطورها بطيئا ، وهكذا نرى بان عمرو ، كلمة زيدت عليها الواو التي لا فائدة منها ولا غناء ، اما القول بانها للتفريق بين عمرو وعمر فأمر هو اقرب الى التخريف منه الى التطور ، وانطلاقا من كلمة عمرو نرى :

١ - النصوص الحميرية : مثل اخت امهوى
اخت امه .

ب - ما في لسان بعض القبائل من تحريك ضائير الجمع للغائب من مثل عليه اليهم وهو معروف في الكلام على قراءات القرآن الكريم .

ج - احتفظت العربية بالوقف بالروم في بعض المواضع ، والروم مختلطة تميل الى الضم .

د - لقد زادت العرب النون في فعل فعلوا واصبحت فعلون ، لتمكين المنطق والتخلص من الصوتية .

هـ - بناء فعلين ، يرجع بأمره الى بناء فعل فعلون فهذا من أفعال الاتباع وهو قانون شائع في اللغة

الدورة اللغوية الطويلة

ان الظن في هذا القسم هو انه من المؤكد انها محركة الاخر ولم تتحرر الكلمة من التقاء الساكنين ومعنى هذا ان اسبابا من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تنهيا للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل ، وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفا في كثير من مواضع الكلمة أي لم تعد تنطق كذلك بأطراد ، ومن ثم كان وجه للتحلل وان لم يكن على الوجه الاكمل وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفا في كثير من مواضع الكلمة لم تعد تنطق كذلك بأطراد ومن ثم كان وجه للتحليل .

وفي امتدادنا وبحسنا ان اللغة دارت دورتها وكانت طويلة جدا ومثمرة كثيرا وخلفت فيه من حركة الاخر ، ولكنها تخبط في تجارب كثيرة حتى خرجت العربية نهائيا بتجربة الاعراب المدهشة .

- ولقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى صاحب كتاب (احياء النحو) درس هذه الظاهرة على وجه تعليمي نشوي ولو درس العربية للنهج التطوري الذي ناخذ اللغة للوصول الى حلول حقيقية وغير رايه في اشياء كثيرة .

ووردت عند غيره ينبوع ، فهنا يبرز التباين في اللهجة ، بينما يرجعها اللغويون في المعاجم القديمة الى بابي طرب يطرب ، وحقد يحقد ، نبع ينبع .

2 - ويذكر بعض اللغويون كابن الاثير والانباري وابن منظور في لسان العرب وغيره من اللغويين وكتبهم ، كلمة نعم بانها نصت بنعم كما كذلك وردت في نعم .

اما النتيجة فواضحة بان هذه الكلمات هي افعال مضارعة اثرية بقيت في اللغة على سبيل التحفة الالرية .

ورى بعض اللغويين كابن فارس والفيروزابادي وتاج العروس بان العربية مرت بمهدين :

١ - العهد الصوتي : ويمتاز بقيام اللغة العربية على الحروف ، ومحافظة على اسلوب القرآن الكريم بالفاظ متفاوتة حركة وصرفا . مع الترداف المعنوي - مثل شيمال وشمال - .

ب - العهد اللفظي : ومن اهم مبتكراته قيام العربية على الحركات وبثرتها ، ولكن تحررا موضعيا من الصوتية وبتركها قوانين تمد اللغة للتحرر على الاطلاق .

ونقدر ان نقول بان في هذا العهد بلغت اللغة الشوط النهائي من ترقى اللهجة .

ب - صوتية اللغة :

يجب ان يمتاز هذا القسم من الفصل الثاني تطور اللغة العربية بأمور هامة جدا وهي :

- على المتكلم ان ينطق كل حركة حرفا ، فهذا مما يدلنا انه كان هنالك كلمات في اللغات العربية ولدت بمهود صوتية كما في المثل المتقدم سابقا ، شيمال وشمال ، ومما لا شك فيه بانها وردت كذلك بمهود كانت أكثر صوتية ، حيث كانت مركبة من حروف ذات اصول للقلولات بمينها .

- يفرض على المتكلم ان يبدأ كلامه بحركة ساكنة ، وان ينهي حديثه بمتحرك ، نظنه الواو كما في الاشورية والبابلية فالابتداء بالساكن ، وهذا مما يدلنا على ان اللغة مرت في عهد أكثر سكون ونطقت فيه ساكنة الاول مثل : اجفيل ، واخريط ، امشوشب ، وقد اضيفت الهمزة للتوصل الى النطق الساكن من مثل : امرؤ امرأة ابن الخ ...

ونخلص الى القول بان الفرد العربي كان همه ان يميّز التطور الصوتي ولا يقصد الى التكاثر والترايد، ولكن وجدت هناك اسباب عملت على حفظ تلك الاتريات في اللغة، مما ساعدنا على استنتاج ما نستنتج لتصحيح ما اخطأ به اللغويون ومن اقرار العربية في الوجهة التي قصد اليها العربي، والتي تستطيع بها وحدها ان تكون لغة للمستقبل بين اشياؤه الباقية.

الاسباب التي حفظت الاتريات

من الاسباب التي ساهمت في حفظ الاتريات في اللغة العربية هي :

- 1 - التشخيص العلمي : ومن ذلك يربوع ويسروع .
- 2 - القصد الكنائي : ومن ذلك باجوج وماجوج .

- 3 - حدائة الارتقاء : ومن ذلك انظور وطومار
- 4 - الكتابة : وذلك لاحتفاظ الفرد في الاملاء بواو عمرو الزائدة مثلا .

1 - التشخيص العلمي : وقولنا هذا يعتمد على ان نتخذ اللفظ مفهوما شخصيا وان يحتفظ بمبدول معين ، فمن الممقول جدا الا يتأثر اللفظ بالتطورات التي تعرض لاصله الا نادرا بعد التشخيص العلمي لانه فارقه في المعنى . ومن الاتريات في هذا القسم من حفظ الاتريات من الافعال المضارعة .

- 1 - يسروع : اسم دويبه تكون في الرمل .
- 2 - يربوع : اسم دويبه اكبر من الفارة .
- 3 - يعسوب : اسم دويبه من النحل شبيهة بالجرادة .
- 4 - يقطين : نبات معروف .

ب - القصد الكنائي : القصد الكنائي يشابه التشخيص العلمي ، ولكن ذلك في المعاني ، فدلالة الكلمة او التركيب ليس الا المعنى المثلى فقط ومن الاتريات المحفوظة في القصد الكنائي باجوج وماجوج .

اما القصد بكلمة باجوج ما يلزم عن معناها الكنائي من التأجيح المتدافع ، والتأجيح في كل شيء . اما لغويا فباجوج فعل مضارع من ثلاثي ايجج .

اما ماجوج فهو اسم مفعول منه ، وهو التأجيح للمتدافع واظن انه كله يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى .

ومما ساعد على حفظ مثل هذه الكلمات ووردها في النصوص القرآنية . فبقي لها امكنة واسعة رحبة . وكذلك ورد في الاحاديث النبوية الشريفة على ما اظن جوع يرقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب وارض يخضور ، واعتمدنا في تفسير حركات الافعال في ابوابها الستة فالابواب الستة المشهورة هي :

نصر ينصر ، ضرب يضرب ، فتح يفتح ، علم يعلم ، كرم يكرم ، ورت يرت .

- الكتابة : ومن اهم الاسباب التي حفظت ، وعملت على بقاء الاتريات في اللغة هي الكتابة اطلاقا ومن ذلك قولنا في اسم عمرو والواو الزائدة فلولاً الكتابة لما وجدت الواو في آخر الاسم .

وان النتائج في هذا البحث تتجلى في تاريخ التفريغ اللغوي وضبط مبن الثلاثي ، وانطباع العربية بطابع الاعراب لهذا البحث اهميته الكبرى وهو تاريخ التفريغ اللغوي لانه الاداة الوحيدة للتاريخ والتشعب المديسر .

ان التطور في اللهجة يؤكد البرهان على اهمية الثلاثي ، كما يؤكد كذلك بان اللغة العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في اكمل ما تكون لغة بما لها من مميزات فانها في المميزات المبينة في الاعراب والبنية لادق لغة في ملابسات اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية .

ومن ذلك ان المثني شاهدا قاطعا لا يقبل التردد في غيرها ، فاننا حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ندهش كثيرا وعلى وجه غير محدود للدقة العربية ، التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئا كئارا يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمقدار التسامي اللغوي في طبيعة الفرد العربي .

التطور في اللغة

كان بإمكاننا ان نلج هذا الفصل نظرا لاهميته في طليعة تعرضنا للبحث عن اللغة العربية ولكننا تركناه الى الفصل الثالث ، بعد تعرضنا لغربيين أساسيين من

ولهذا الامتناع عن الزيادة وعزو ذلك الى القرآن الكريم ، انه نظم حواشي العربية ، وأخضعها لقانون بياني ثابت وأمات ما هو متراوح الفوص فيها، وانعشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الانجرار وقد صرحت به غير مرة من المقدمة. وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية العربية على وجه خرج جدا من النطاق اللغوي .

فالقرآن هو الذي اعتمد لغة قريش في افصح محتوياته ، والذي أمات منها القسم الغوضوي وقد رجع بعض اللغويين الى اعتماد تجديد هذه الغوضى .

وخلاصة القول بان التطور عمل عمله في مادة اللغة كما عمل في صورتها ، وكان من ابرز ما قام به من اعمال منتجة في حروف الاعلال .

— من ابرز القوانين التي وقفت على تاريخ ماهية اللغة هي :

ا — ان لقانون منع الانتقال من الكسر الى الغم اقدم من تمام تحليل اللغة من الصوتية الى اللغوية .

ب — كان لاببدال حرف اللين الهمزة تخلصا من الصوتية ، ولبد ضرورة وهو متأخر عن قانون منع الانتقال .

ج — ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جدا .

ان لكل قبيلة نطقا خاصا ولهجة خاصة بها، وكلمات تختلف عن كلمات الاخرى ، فمنهم من نطقت بـ ثدلان، وكذلك أخرى تقول زبر ، فهذه الكلمات متخلفة تمام التخلف عن الارتقاء والتطور اللغوي واللهجي . اذن فالاستناد الى معرفة التطور من خلال قبيلة واحدة او من خلال قبائل خطأ ، فيجب على من نصبوا انفسهم لهذه الدراسات ان يجعلوا معلوماتهم صحيحة ويقارنوها الى محيطات متطورة ومتحفرة وليس الى محيط خاص بجماعة معينة بل ان يعرفوا المحيط المتطور ثقافيا ، واجتماعيا ، ولغويا ويلجوا بابه لمعرفة مدى تطور لغته ، وان يقارنوا هذا التطور مع تطورات أخرى من جهات أخرى لمعرفة النسبة التي سوف تكون نتائج حاسمة بالنسبة لهذه الدراسات .

ج — تطور الافعال :

لقد سبق لنا أن بينا قاعدة الافعال في الاثريات المحفوظة من بقايا اللغة وبسطنا معقول العربي في

ضروب دراستنا ، وما يتبعهما من تشعبات وافضان يستندان الاهمية التي امتدحنا في الفصلين السابقين فمن ذلك ادوار اللغات ونشوء العربية ثم التطور في اللهجة وقد طبقنا كل شيء على العربية ، وقد عنينا باللهجة شكل اللغة المتطور من الصوتي الى اللفظي ، وهنا نصوغ الفكرة .

ا — نظرية التطور :

لقد مرت اللغة العربية كغيرها من اللغات في ثلاثة ادوار كما افصحنا سابقا ، دور المقطع ، والمقطعين ، والمقاطع وهذا يعني انها جابهت تطورا من الاحادي الذي كان مجموعة حروف الجدول الهجائي التي تمثل لغة الانسان الاول المعرض في القدام .

ومنها صارت الى الثاني والثلاثي حيث استقرت فيه ونشطت في حلقات خمس ومن هذه النشاطات كان الرباعي والخماسي والسداسي .

فاللغة كانت كما اسلفنا بتطورها صوتية ، ثم لفظية لكنها في تطورها الصوتي احتفظت بعدة وجوه صوتية بسبب مفادرة العربي لجزيئته من جهة وبسبب الذين تناولوا اللغة ، وكان طابع مدرستهم الجمع فقط، ثم الوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي الى تحرير اللغة من الاثريات القلقة في الافعال والموازين ، والجموع الا ان خلاصة قولنا ان اللغة العربية تطورت لغة ولهجة ، ولكنها توقفت قبل بلوغ ما كان يقصده العربي منها .

ب — اللغويون الاولون :

للمعنى التطور من قبل اللغويين الاولين صفة ذات اهمية ، ولرايهم الخاص بهم ، كذلك اهمية نعلق عليها املا كبيرا اذ ان الذين يبدون اراءهم بتطور اللغة ليسوا ممن لبدتهم الحياة ، بل من اولئك الذين عرفوا كيف يبدون رأيهم وفي هذه الراء زبدة دسمة نحن بحاجة ماسة اليها والى معرفتها والاطلاع عليها .

قال ابن اسحاق: وان الزيادة في اللغة العربية امتنع العرب منها بعد بمث الرسول العربي (ص) لاجل القرآن . وان معنى هذه العبارة صريح وواضح ، وهي ان العربية كانت خاضعة للتغيير المستمر ، فاللغة بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة ، وهذا هو الغرض المقصود من التطور .

هو تمام العمل الارتقائي ، كما تشهد مباراة الفيومي في كتابه المصباح ، وتصديق كل ما رأيناه وجئنا به .

وخلاصة القول في هذا الموضوع اننا نستنتج مما تقدم :

— ان الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور أميتت وآخرها ارتقاء الامر ، ثم استقر في انه يتبع المضارع .

— ان تهذيب الافعال سبق التحلل من الصوتية .

— ان توحيد ابواب الافعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

— الاعلال متأخر في الطبع العربي .

تطور اسم الفاعل

وجدنا مما تقدم في بحثنا عن تطور اللهجة ان صيغ اسم الفاعل ، فاعل ، فاعيل ، فعل ، تنسوي كلها في اصل الدلالة ، وانها ارتقاءات عن فاعيل المات قصد ببعضها التنويع وبالبعض الاخر الامانة .

ونرى بان الفرد العربي كان قصده طرد الفاعل في كل ثلاثي مجرد بدون نظر الى الاسواب ، واذن لا حاجة لاختلاف اللغويين في ابحاثهم حول صيغة (ايها القياسي) وحول ابحاثهم في اسم الفاعل من الثلاثي المجرد .

فصيغ اسم الفاعل تطورات تفيد افادة واحدة ، وقد قصد العربي أن يعرض بها على كل المواد اللغوية ، فحال بينه وبين قصده ما ذكرناه من مفادرة الجزيرة ، وعمل اللغويين المحافظ ، فاكفى بما وصل اليه وأمر الاكتفاء معروف عند اللغويين الاولين فقد قالوا في المصدر من الفعل أن العرب استغنوا في بعضه بأسماء وقعت موقع المصادر كما في وصاة مكان توصية وزكاة فأضاف تركية وصلاة مكان تصلية .

تطور الاعلال :

الاعلال وسيلة لبقة وسامية ، والاعلال يفيد المعنى الطبيعي ، كما في طال : فانه يفيد الطول بنمو طبيعي ، وأما التصحيح مع موجب الاعلال ليفيد المعنى بتكلف أو باضطراب ، كما في طول فانه يفيد التكلف في الطول .

الارتقاء في تطور الاعلال فيعود الى الامثال :

نسوية الاختلاف بين ابواب الماضي والمضارع ، ونحن نتناول الان الفكرة بشكل اوسع من خلال الكلمات واليك بعض النماذج :

1 - دراك ، هيهات ، وى واننا نقول بان دراك اسم فعل أمر بمعنى ادرك وهيهات اسم فعل ماضي بمعنى بعد ، ووى بمعنى أعجب بكذا

وان كلمة دراك وامثالها بقايا تمثل الفعل الامر قبل تهذيبه على الشكل الذي وصل اليه .

2 - براع ، ينبوع وهذان يعبران عن صورة الافعال في العهد الصوتي .

— براع : فعل ماضي متخلف ...

— ينبوع : فعل مضارع متخلف ... ايضا ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان مما يدل على ان ترتيب الافعال على وضع مهذب سبق تمام التحلل الصوتية ، ولكن ما زالت الخلافات بين الافعال الماضية والمضارعة ، وقلنا بان هذه الافعال هي افعال اثرية ، والواقع ان اختلافها كان له مفهوم في طبع العرب الاقدمين ، لان شكلية الحروف كان لها تأثير في تمام له مفهوم في طبع العرب الاقدمين لان هذه الشكلية كان لها تأثير في المعنى واتمامه .

لقد ادركت اللغة العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، وحاولت التخلص من الاختلافات المذكورة التي لم تعد لها اى معنى في الوضع الاخير .

3 - وهل ويوهل : ومن معانيه الوهم والخطا والضعف والخوف .

— واول وهلة : اول شيء والمثال يلي ما قدمنا ويظهر فيه عمل التطور بنقله الى باب : فعل ، يفعل واعتبارها اصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة في باب فعل يفعل ، وهذا المثال متخلف لوجهين :

1 - التصحيح مع موجب الاعلال .

ب - الدوران بين بابي طرب يطرب ، وحسب يحسب ، ويظهر من هذا ان العربي فكر بتوحيد الابواب قبل تمام عمل الاعلام ولذا تقدم المثال الاخير والارقي

4 - وثق يثق : ومصدر هذا الفعل هو الثقة ، والوثوق ، والموثق ، ومعناه الائتمان ، وهذا المثال ارقى من سابقه لانه جاء من باب موات مع الاعلال الذي

واضحة في منطق القبائل المختلفة ، ومنطق القبيلة الواحدة وبالتالي نقف موقفا مخالفا من علماء البيان فهم يتقدمون لها وجوها من التحليل ، كاختلاف القبيلة ، تداخل اللغات ، والغرائر والشذوذ والغلط ، وغير ذلك من حيل المتحيل .

ان التطور الذي قلنا عنه في المفردات يصدق عمله في الاسلوب والبيان على شتى اوضاعهما ، فكتاب (المجاز) لمعمر بن العثني المعروف بابي عبدة يعالج التطورات المختلفة في هذه الناحية التي سماها مجازات اي اساليب ، والحق انها ابعد ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث الا تطورات وبقايا من مجازات انقرضت .

2 - أثر التطور في النظم والشعر :

حتى تطور الاوزان الشعرية لم تفلت من الانعقال والتشذيب ، ولكي يتسنى للباحث أن يربط بين بحور الشعر العربي القديم ، فهناك أبحر أميتت ، أن الشعر انتهى الى نتيجة خطيرة وهي أن البيان العربي ابتداء نظميا وتطور كذلك أخذ نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه ، والرجز المرمع الذي منه تحللت الاسجاع وبدل على التحام الترصيع الشعري والسجع عند الشعراء وعليه فيكون السجع بين الشعر والنثر .

فمن هنا انبثقت القصيدة النثرية ، وهي التي تأخذ طريقا نحو الارتقاء في عالم القصائد .

أثر القرآن الكريم في التطور :

ان القرآن تناول العربية ولما تستقر ، بحيث كان سببا قويا في تهيئة الاستقرار على اكمل وجوهه :

ويوجد في النص القرآني شتى التطورات النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثرية ، حتى يكاد يحتبك النثر بالنظم في بعض السور « انا اعطيناك الكوثر » ، وهذا يعني بأن القرآن يجمع بين مختلف السور البليانية ويأتي بها على نحو معجز جدا ثم يسوق اسلوبا جديدا لا ينتسب الى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه السور الشتى من الاساليب في القرآن على مسحة متسامية ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وان الروح القرآنية والاسلوب القرآني ، فقولنا في ذلك ان روح البيان فيه مختلفة وأجدر بنا أن ندرس

1 - هوية وتعني صوت الدلب ، وتعتبر اقدم الامثلة .

2 - الاتمام : منها ما هو مكسور ومنها ما هو مضموم ، فالاتمام ليس حركة كانت في اللسان العربي كما توهم اللغوي عبد القاهر الجرجاني ، في كتاب الابضاح ، ويظهر أن الاتمام اعلال بين ابدي التطور ، فمثلا نطق اول مرة شوق .

- ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقليل : شيق وفي ذلك اتمام فالاتمام يعني نطق الضمة قبل الياء مع خفة المتكلم .

- وخلاصة قولنا في تطور الاعلال هو : ان المل كان على التصحيح اقدم عهد اللغة .

- ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .

- ان الاتمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة أميتت .

- ان الاتباع يعمل في الاعلال على التناسب ولو لادنى ملابسة .

والخلاصة ان التطور اللغوي يرجع الى شعبتين اساسيتين : يتفرع عنهما كل شيء يتعلق بالعربية مادة وصورة ، وهاتان الشعبتان هما :

1 - اثر التطور في الاسلوب البياني .

2 - اثر التطور في الشعر .

1 - فالتطور الاول وهو الاسلوب والبيان - فهو معين تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة : فالدراسة العميقة في البيان والاسلوب البياني قادنا الى :

1 - كان الجدول الهجائي بحركاته لغة للانسان القديم .

ب - نشأت العربية نشوا تطوريا من الجدول ، فالاحادي اصل الثنائي وهذا اصل الثلاثي .

ج - تطورت العربية اللفظية من اصلها الصوتي على ادوار متعاقبة .

وعلى هذه النتيجة ومراقبتها نتائج النظرية : فالبيان ، يساعدنا على مراقبة مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الانماء سواء في الاشتقاق ، والامراب والموازين والاعلال والاعمال والمصادر وتطلعنا على تلك المسافات التي بقيت

بيان القرآن لانه الوثيقة السامية في البيان والاسلوب العربي حتى نطبع به على الدوام فاشد الكتاب تطرفا عنه اشددهم تعلقا به على الحقيقة ، لان البيان غدى القرآن والغاية ، ان القرآن امارت الفوضى في اللغة واجبرها للانصياع لقانون بياني ثابت ، ودل فيما دل على تطورها ، كما اوضحنا في الفصول الاولى لنظرية التطور اللغوي :

ونستخلص من استعراض التطور في اللغة وجوه التخلف اللغوي الذي رافقنا خلال دراستنا .

فالعربية لم تزل على فوضى من الافعال والمصادر والجموع والموازن ، ولن تستقر على ما كان ما يريده العربي من لفته ، ولن تطمئن بين اشياء المستقبل الباقية .

الا بازالة ما بقي متشبها بها من علائق الفوضى بسبب ظروف العربي ومغادرته لجزيرته .

وبسبب اللغويين وتشدهم في السماع وفي ما يكتنم العربية ، ويمنعها من الانفتاح على الحياة اللغوية المصرية والمستقبلية .

التنقيح في اللغة العربية

في الفصول السابقة التي اوضحنا فيها تطور اللغات ونشوء العربية في المقدمة ، رأينا حمل التطور في العربية خلال هذه الفصول ، ان العربية تجاوزت حدا بعيدا دون ان تنتهي ، ولكنها مع ذلك اخذت بالاستقرار شيئا فشيئا واستمدت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل وما اليه ، ولقد يكون الاخذ الجديد الذي تدل عليه العربية ، من اقرار الموازين بدلالات ثابتة ، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع وهذا يعني الوصول بالعربية الى المستوى الذي كادت تبلغه لو بقيت في محيطها بدون براح .

ولكن الامر الذي يضع اللغة في مواضع قلق وبصورة تكاد تجعل منها لغتين :

1 - لغة القرآن الكريم :

ب - اللغة التي تبتدأ بالقرن العشرين .

وقد تفاوتت كلتا اللغتين تفاوتاً يكون لا اقل في اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية هذا هو موقف اللغويين التقليدي وهذا هو رأيهم في

امر اللغة العربية ، وهذا الامر المتناقض ، وتهمجهم على اللغة العربية تهجما يجيزه هذا الدرر الذي ياخذون الناس به ، واعني به جمع لغات الجزيرة ، وبكلمة ادق تعبيرا لهجات الجزيرة ، والمداخلة بينها ، مداخلة مطلقة ، بغير تمييز ولا تنبيه ، بالاستنتاج منها مجتمعة قواعد اللغة في حين انهم شهدوا بالاختلاف فيما بينها بصورة مؤكدة ، وهذا الموقف التقليدي لم يلج باب المحدثون .

- ولا تكون على مقربة اذا قلنا بان موقف اللغويين المتفاوت بأسباب اهمها ، عدم تفاهم لغويي البصرة والكوفة واتخاذ الخلاف بينهم صبغة تعصبية صرفا .

فلقد تشددوا بمنطق الاستماع وهدم الحفظ اخذا على مذاهب الخصوم ، ان هذا الاغراق الشديد فيه هو من جراء التعصب القائم والتحامل البالغ ... وهذا ماخذ شعروا به ، ولكنهم دعوه تنقيحا .

وينتظم التنقيح للغة العربية باربعة ادوار :

1 - كان بما قدمته قبيلة يعرب بن قطحان .

2 - كان بفضل اسماعيل لما اصهر الى جرحم .

3 - بمعونة قريش بالتدريج انتخابا من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام .

4 - كان بعمل علماء المصريين ، الكوفة، البصرة، اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب ، لم تحك بغيرها ...

- التنقيح الجديد :

ان الظروف التي رافقت العربي بعد هجرته من جزيرته ، وبعد مواقف اللغويين الذين خرجوا مما كان يقصد من لفته ، في هذين السببين يكمن مرض العربية الذي قصر بها مطالب العصر ، ناهيك عن مطالب المستقبل ولا شفاء لها الا بمعاودة الدرس مرة ثانية وتنقيحها تنقيحا جديدا لا يخرج عليها بالاساس ولا يقصر بها عن مطالب العصر ، وتطور المستقبل . ولا بأس بتسمية ما نحاوله تنقيحا كان يكشف وحده حقيقة الماضي وينير طريق المستقبل ومن ثمة اصبح ضروريا ان نقول ما هي الاهداف الاساسية التي تلخص التنقيح الجديد .

اهداف التنقيح الجديد :

ان من اهداف التنقيح الجديد ان :

1 - نحذف السماع من اللغة العربية الا بالمعنى الذي سنقرره فيما يلي : وهذا يميننا ان نخلص العربية من هوائى الفوضى فى افعالها ونقرها على باب واحد هو باب ضرب يضرب : وفاقا لما اوضحناه فيما قبل .

كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار بان التنقيح يجب ان يجارى معقول العربي فى لغته ، ان فى قواعد الاعلال او فى كل ما يتفرع من بحث الافعال : ثلاثية وغير ثلاثية من اشتقاق وغيره ...

2 - يجب ان يسمح بصوغ موازين الثلاثي كان ، وكذلك الرباعي وموازنه ، لان التزايد المستمر فى اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق اى الموازين او قل التحرك من الداخل ، لان العربية غنية فى موازينها التي تبلغ الثلاثمائة لثلاثي الواحد ، كما اعطانا اياها سيبويه فى كتابه النحو الضخم .

3 - تخصيص هذه الموازين مفردة او مجموعة بدلالات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد ، ففعال يخص بما يدل على الزائدة الاجنبية auto وفعالية يخص بما يلاقي فى الاجنبية ism وبذلك تسهل مهمة الوضع الجديد ويكون اكثر علمية ، كما رأينا فى وجوه التخلف .

4 - توحيد المعاني فى المادة الواحدة ... ونمضى بذلك جعل كل معاني المشتقات من مادة ما معاني لها سواء اكانت مجردة ام مزيدة ، مما يصح معه اشتقاق المجرى من المزيد وبهذا تزيد الوحدات المادية للمادة الواحدة .

5 - الاستفادة من قاعدة الدوائر او القاعدة الدائرية ، بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها او وضعوها واميتت ...

6 - الاستفادة من سنة الرباعي وما اليه بزيادة الحرف على الاخر بعد تحرير معاني الحروف الهجائية

7 - المعاقبة او الابدال .

ان الهدف الخامس والسادس والسابع هي ذات اهمية خطيرة فى نتائجها .

ومن مجموع هذه الاهداف التي جاء بها تنقيحنا الجديد للغة العربية : وضع المعجم العربي بطريقة

تلبى متطلبات وحاجات العصر وتمت المستقبل بما يحتاج اليه ، وعلى تفصيل هذه الحاجة المزدوجة ، وايضاح الشكليات اللغوية من خط واملاء ، وبيان ومعان ، وعروض ، وبديع وصرف ، ونحو وسجع وغير ذلك من التابيعات ، كالايجاز والتضمين ، والفك ، فى حمل الادغام للدلالة والتصحيح فى موجه الاملال لغرض ما .

مستقبل اللغة العربية

1 - داء العربية ودواؤها :

ان الفن كله قضية تعبير . والانسان الخالد كله قضية تعبير .

وقد قيل ان العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحسه ونشعر به ، وتفقدون البيان منه باى الفاظ من اية لغة فهي جديرة بان لا تكون الا فى متحف يكتفى الناس منها بالنظر اليها . وانني غير مطمئن الى ان الجماعة تقرر فكرتها على هذا النحو ، ولكنها تعني معنى آخر هو ما سبق لنا ان ما تكمنه وهو ان الجدير بكلمة العربية هي : مجموعة الكلمات التي تضمنها المعاجم بالنقل من لسان العرب قبل ان عراه ما عراه ، وهذا الوضع الحرج الذي وضعوا فيه العربية ، الحق بها فيما ارى نتائج كاسواء ما تكون نتائج ومن اهمها :

1 - قصور العربية من تناول مقتضيات الفكر ، ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح فى اللغة العربية (المادة والجهة والموجهة) وقد ذكر فى تعريفها ان كيفية النسبة فى القضايا (مادة) واللفظ الدال عليها (جهة) والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) .

2 - جمود اللفظ فى معناه فلا تجد فيه شيئا من المرونة والبساطة كما يجب ان يكون ، بل تشعر بانه ينكمش فى طبيعته حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تفاذتها السيول ببقى كما هي حصاة غير متحولة شكلا ولا اعتبارا ، ومن هنا اتهم بعض مستشرقى الانرنج ، اللفظ العربي بانه (كليشة) لا اكثر وسمى العربية (لغة الاكليشات) .

- نشوء العامية : وقد يرى عجيبا ان يمد تشدد اللغويين للغة هذا التشدد جر الى نشوء العامية ، او كان الاثر الفعال اليها ، ولكنني على ما يرى من عجيب اؤكد بصورة لا تقبل الريب وذلك لان الوقفة المترتبة

بهذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يمبرهن أغراضهم اليومية وهي لا تنفصل منهم بحال أو لا يثنى لهم أن ينفصلوا بأى وجه ، جعل العامة يهجرون تباعا هذه اللغة التي للخاصة رغم أنها لغة التشريع والابتهالات ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة إلا لأسباب ماسة لها حدتها ولها منتهىها .

فالانصراف الذي نلمسه فى العامية قد كان اذن لأسباب لا يحقر أبدا شأنها .

وكيف تحقر وقد سببت انصرافا عاما ، ولقد أوخذ بأن هذه النتائج التي لرتبها اذا سلم بأن العامية نجمت عن الانصراف المذكور ، ولم تكن لأسباب أكثر وضوحا مثل الدخيل والامتزاج .

الا ان الأعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح ، والمفردات المتميزة المنتقاة ، التي تشمل عليها لغة الخطاط .

— ان الفوارق فى اللغة قد حملت الواضع على اختصاصها الا اذا ان الفوارق هذه تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول الرواة ، وقد يقوى هذا الظن ان تكون آخذة شكلا تقنيا ، اذا ما تفحصنا هذه الكلمة نراها رجعت الى تقن العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والمواقف من كل الجهات ، على منحنى موزون خذ مثلا ، (ففعيل) الذي يظهر أن أصله (فيعل) (وفعليت) الذي يرجع الى (فعل) و (فعلين) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الراي به جميعه ، باعتماد المقارنة التشاكلية ، وان كنت أقطع بأنى مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكنى أطمئن اليها على اى الاحوال .

الا أن الملاحظة التي لازمتنا فى دراسة الموازين ، ان العربية كانت تصدر عن لواحق تراء على الوزن اذا كان المراد الافادة من معنى اللاحقة زيادة على معناه ، بدليل السوابق وما لها من المعنى المعتبر فى العربية كسابقة (است) فى استعمل التي تفيد الطلب او الصيرورة او المد . واظن بأن هذا يقطع حرق النزاع كما يقولون من انه كان فى العربية سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

واننا لا نريد ان نفوس فى اشياء نحن بغنى عنها لأسباب وجاهية .

1 — انها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا تخلو من البعثرة والغوضى ، وليس ذلك من عدم صدق النظر وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه ، ولندرة الامثال المحفوظة على هذه موازين العربية التي تحتفظ باللواحق من وجه آخر .

2 — حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة ، ان ينضاف اليها ما لم يكن منها ومعنى هذا بعيدا عن الميزان ثم اضافتها على الوزن لتحقيق المعنى المطلوب يؤدي الى تزايد كبير فى الموازين الجديدة على اشكال لم تعرفها العربية العريقة ، وان كانت ظواهر الدرس تقتضي بأن العربي كان يعتمد لواحق بعينها للدلالات بعينها ، ومن يشك فى هذا اذا تناولنا بعينين من تشبيه الدهشة من استنفار هابت مثل فعلوت ، وفعلوت ، وفعلوت ، وفعلان ، فعلم وفعلين ، وفعلن ، وفعليت .

وانما خصصت هذه الموازين بالذكر الخاص لانه يظهر فيها صورة قاطعة للتردد فى أن العربية كانت خاضعة لما يدعونه باللواحق فى مذهب زيادتها ، ولكن تشدبت هذه اللواحق حتى عادت وهي جزء من الوزن لا تنفصل منه وكان هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

ان هذه الموازين هي اصطناع للعربية بخلاف ما اذا كان التفرع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط فانه يكون فى غايته اشتقاقا متوسعا . وقد تدرج فرقا واضحا بينهما وان كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذي اخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا وانه مذهب العرب ، ودليله ان لاحق (وت) لم تختص بوزن ما ، له طابع يميزه كما رأيت فى مفعلوت ، وتفعلاوت ، ولكنه كان مع ذلك خاضعا لشروط من أهمها :

1 — ان لا تزيد الكلمة باللاحقة على أكثر العدد الذي تكون منه كلمة فى العربية . ان لاجتمع فيها لاحقتان (كفعلان) مثلا فلا يجيء منه (فعلائين) (وكففعيل) لا يجيء منه ففعيلين) وهكذا من مثل هذه الانماط .

من الظاهر بأن اللاحقة تعتبر فى أكثر من حرف ، فكل ما كانت الزيادة فيه حرفا فقط كان وزنا أصليا يمكن أن تسيره اللاحقة . وتنضاف عليه ونحن رغم انا نظن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة فلاخذ به فقط على شكلية المحافظة للعربية لا يقدر ان

يعطينا الموازين المحفوظة مغنية من احياء اللواحق
والاشتقاق فيها .

اما اذا ما تأملنا في لائحة الافعال فنرى .

فعل : انه يختص بالدلالة على الاتصاف بوحدة
المادة تقول (ربح) للشئ فيه الغلق .

فعلل : وهو يختص بالدلالة على ما تعددت فيه
الوحدات من الوصف تقول (زبد) للمتعدد الزبد .

فعلاء : وخصوصية الدلالة على المكان الذي
يوجد فيه الشئ وعلى معنى التميز وعلى تعدد الشئ
في غير انفصال ، تقول حرجاء لمكان الغابات الكثيرة
وصنعاء للمكان الذي تكثر فيه المصانع .

فعلان : وهو يختص بالدلالة على تكامل الوصف
في الشئ تكاملا من كل الجهات تقول (رومان) أى
صوت متكامل وآلة ذات روناك .

فعلت : وهذا الفعل يختص على سرعة التأثير أو
الانفعال وعلى سرعة الاحتراق تقول (عصيت) لتأثر
الاعصاب السريع .

فعلن : ويقال هذا النفوذ الوصف الى غاية
الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر الباطن ، تقول
(نفسن) للرجل المختص بالأعمال النفسية كالمشوم
المغطيسي .

وهناك ضروب شتى من انواع الفعل يتعذر
علينا ان نوردنا هنا .

وهناك الزيادة بالتاء ، مثل :

تفعال : وهو يتم على تجسيم المعنى ، مثل
تمثال أي صورة شاخصة تقول (تظلال) للظل يتجسم
فيصير صورة .

وتفعل : وهذا يدل على المتفعل من الوصف بأسباب
مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تنور) للحشرة
التي تضيء في الليل .

— وكذلك الزيادة بالميم :

مفاعل : وتدل على المتصرف بالمفاعلة بين
منفصلين تقول (مداور) للذي يدبر شيئا آخر في حركة
دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مفعلاء : وهي تدل على الذي يوجد في المكان
ويميز عنه حين تقول (مفعناه) للذي يوجد في مكان
العفن النتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح ان يسمى به
مكروب العفونة .

مفعل : وهو يدل على الآلة ، وكذلك مفعال
وفعللة .

مفعلان : وهو يدل على اسباب الوصف فنقول
للمكان الذي نستظل به الجلوس فيه في ضوء القمر
مقمران .

وكذلك مشمسان لحمام الشمس ، ويدل أيضا
على مضاعفة خصوصية (مفعل) فنقول (منظران)
للمجهر المضاعف ...

وهناك زيادة أخرى الا وهي زيادة النون .

فنهال : فنهال : فنعلى ، فنعلاء ، فنعلال ،
فنعنلوه ، فنعنل ، فنعلة ، فنعمل .

الزيادة بالسواو .

هفعولة : وتدل على اشاعة الوصف بحيث ينتسب
الى كل جزء على انفراد اذ نقول (هرمول) للارض التي
تشيع الرمال ، في كل مكان من انحاءها ، ونقول كذلك
هركولة ، ولقد اتى في هذا المعنى عند الشاعر الجاهلي
الامشي ، بقوله :

هركولة فسق درم مرافقهـ

تمشي الهويناء كما يمشي الوجي الوجلي

وهذا في وصف امرأة في أحد ابائاته الشهيرة في
وصف النساء ، فهناك كلمة هر كولة في المعنى
المناسب .

فهركولة اذن هي المرأة السمينة ذات الارداق

— وهناك الزيادة لبعض الافعال من مثل :

فموال ، فموال ، فموال ، فموال ، فموال ،
فموال .

الاوزان الكيماوية

فعليل ، وهو يعني في علم الكيمياء الاوكسجين،
الذي يعرف في اللغة الغربية بكلمة اكسيد . قبل

الاسم المتزج ، ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التسماء المتحركة وبصير الوزن فعليلة .

فعليت : وتعني في علم الكيمياء الهيدروجين وقد يحوي خواص الاسيد الحقيقي ويميز باسم ادراسيد ويسمونها في الاجنبية بزيادة اسيد ، على الاسم المتحد مثل (اسيد كلوريدريك)

الاوزان العددية :

فعل وهو مخصوص للدلالة على الاحادي نقول فقد لما فيه عقدة واحدة الى عشرة .

فعلان : وهو يدل على المئوي نقول (مئدان) لما فيه المائة الى الالف مقدة .

مفعل : خصوصيته الدلالة على الربيع نقول (مشهر) اي ربيع شهر يقال (مجلة مشهيرة) للمجلة الاسبوعية ولكنها لا تستعمل لانها صعبة اللفظ .

وهكذا نكون قد انتهينا من اعداد بعض الافعال والاوزان ، التي كانت داء في العربية وعرضنا كذلك الدواء لذلك وهو الذي يعالج الامراض التي رافقت اللغة العربية طوال مهبها .

اللفة العربية غاية لا وسيلة :

ان ما نبوح به في هذا القسم من الفصل الخامس هو ان اللفة العربية الفاظ يعبر بها كل قوم عن افراضهم ، وهما يحتاجون اليه ، فاذن هي غاية كي يجعلها دون الغرض تتناوله للكشف منه ، ومشاركته عندما نتجه بنظرنا الى اللفة في دورها النشوي، واما هي بعده فمجموعة من الافكار ، والتقاليد، والمواطف، والاحاسيس ، والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات تنتظمها الالفاظ انتظاما أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

اذن أصبح للالفاظ وجود معنوي على مقدارها لا لوال دونه في الاعتبار كما لا يقع دونها كذلك .

والزيادة التي يتاني لنا ان نصفها بالطفيلية لا يسهل تعليلها اذا كانت اللفة وسيلة ، فقط تكيفها المعاني المتجددة على مقاديرها ، وانما تكون اقرب قصدا من التعليل حينما نجعل للالفاظ وجودها اشخاص او الشاهد قيمة معنوية ، وبعبارة اخرى كيانا معنويا ، تقصه افكارنا ، وقصته هذه تتوسل به

الى الكشف عنها بالقياس على كون الالفاظ ، وهذا راى لا نفرد به قيل من قبل ، والعربية هي غاية دون الابعاد والامتدادات ، وان كان بالنظر الى ما يفيدنا منها تكون غاية بملحظ من الوسيلة ، واكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية يفرض فيها التعاون مما يتاني لنا تسميتها بالغاية المطاوعة ، والمقصود من هذا التنحي في اسلوب الشرح بيان انه دلالة الالفاظ على المعاني المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فلذا اردنا ان نؤدي صورة ما فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضنة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معاني الالفاظ المستقرة .

فكان لالفاظ اللفة اية لغة ، التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد احيانا تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كمالها في خيال الاديب او العالم .

وهذا غير المجال التعبيري الذي يتاثر كل من يتذوق البيان لان ما نعني به نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الديباجة ورونة الالفاظ ورصاعة التعبير .

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء غموضا ، ولذا عبر وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . ان في الادب لا بل في محيط البيان العربي عموما ، وجد يربي وحرى بكل عربي ، ان ينطوي على حفيظة مفرضة من هذا النوع واسمها ، مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفهم ابدا ولا تسمح باية مناقشة دون رعاية اساسها .

ولهذا نقصد ان نهدم بتحقيق اللفة غاية كما يكون الحساب ، والهندسة ، وما اليهما من انواع الرياضيات والعلوم ، وقرر مالم يكن في معرفة الكثيرين الذين يفرعون اذا ما قالوا العربية قالوها عن عبث .

وان دلالة مفردات اللفة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنه ، والا لو دلت بالنفس لكان لها وجوات متعددة بتعدد الاشخاص اللافين .

لنقول شيئا من بيان ابيات الشعر لنل فيهما على ما يجدر بالنقاد البصير ان يميزه ، اهني به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ وبين زائدة اللفظ وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح فقد قال تيس بن الملوح في ليلي :

بعيشك هل ضمنت اليك ليلي
قبيل الصبح او قبلت فاهها

هذا داء العربية تنفثه جهات خارجية من طبيعتها .

اما دواؤها فتخليصا من التزوير عليها ، الا زورا عما تريد هي وعما كان يريد اصحابها منها .

هذا الدواء الشافي لقد افصحنا عنه وهو حذف السماع من اللغة وتحكيم القياس لمفنى العربية انما يجيبها من غنى قواعدها وانتظامها لا من اي شيء آخر وفي تحديد معاني الموازين وصولها من اي ثلاثي كان وكذلك موازين الرباعي وفي توحيد معاني المشتقات جميعا للمادة ومن التنسيق لشكلياتها المختلفة ، الخارجية كالخط والاملاء ، والداخلية كالبيان والمعاني والمروض والصرف والنحو .

في الفصل الاول كان نشوء اللغة والتطور في اللهجة واللغة . وادراك المعقول العربي من خلال ادوارها النشوية ويرجع هذا التأخير في اللغة لسببين :

خروج العربي من جزيرته .

وتزمت اللغويين القدامى وتمسكهم بالسماع ، ومتابعة اللغويين المحدثين لهم رغم ضرورات العصر الجديدة ...

ولقد كانت اهداف التنقيح الجديد الذي اوردناه في احدي الفصول بالسير بالعربية بمد توقفها ، ولدفعها نحو المستقبل اللامحدود لتكون خالدة بين اشيائه الباقية .

وفي سبيل ذلك المستقبل المنشود لفتنا العريزة وشعبها العظيم تنادي اخوة لنا في المغرب الى اخراج مثل هذه الدراسات والابحاث .

وفي هذا السبيل افتتم الفرصة لابداء بعض الملاحظات .

1 - ضرورة اعتماد الفكرة التطورية لانها وحدها الفكرة الجدية والحقيقية التي بها تزال مشكلات حياتنا اللغوية .

2 - الانطلاق بثورة صحيحة في اللغة العربية وكتابة قواعدها واساليب تدريسها وتفجير المزيد من طاقاتها اللغوية .

3 - نتمنى ونحلم ، وهاتان قدرتان معجزتان ، فاذا ترجمنا عملا نحقق كل تطور وابداع .

ونتمنى على حكومات ومجامع الدول العربية ان تسير بالعربية وتمد يد المساعدة الى اللغويين ونحلم بذلك .

وهل رقت عليك نروع ليلى
رفيف الاقحوانة فى مدامها
ويكاد يكون هذا الجزء عاما على لسان الشعراء العرب جميعا .

وهو لا يريد فى اعتبارهم على (بريك) او لعمرك وما يتبعهما وهذا ما يدلنا على ان قيس كان يقول هذه العبارات ليس اكثر من الحنف والتاكيد . وهذا ما يسمى مزاحمة تعبيراً فى محل تعبير .

كل هذا من زائدة الالفاظ وذلك حين نرى بان المجنون يرى الحب فى ظل التي يهوى ويحب سعادة دونها السعادات الاخرى . وهو من نشدانها بقي ييكها ابدا فى انشودة الحزن المرة . بهذا النظر الطالع للقس حين يستفهمه من شكل من الاشكال تلك السعادة ولون ثرى من الوانها مرسوما بضمة السحر وقبلة فى عين الصباح .

ومهما يكن من امر فان غاية كل لغوي خدمة العربية واغناؤها والخروج بها من قوتتها الضيقة فاذا لم تكن للفرد غاية تامة صحيحة فلن يكون للجماعة فكر تام صحيح ، وفرض انسان بدون لغة معناه فرض انسان بدون فكر .

وبهذا نقدر ان نجدد القول بان اللغة العربية هي لغة غاية لا لغة وسيلة .

والخلاصة ان قصة العربية هي قصة الحرية ، وان الفكر العربي مغلول بعبوديات كثيرة اهمها عبودية العادة والتاريخ ويتجلى هذا الامر فى الجانب اللغوي منها .

فاللغة هي بيت الكائن الحي ومراة فكره ، بل قد تكون اللغة هي وحدها الوسيلة للابداع والخلق ومرادف الانسان ، فالانسان لغة لا انسان بلا لغة ، واللغة غاية لا وسيلة ، منذ كان الانسان غاية سخر له كل شيء .

من هنا كان الاهتمام بالعربية اهتماما بالانسان العربي ، ليست كما يزعمون اصعب اللغات ان لم تكن اسهلها وامرنا والينها ، هي اصلح من اثربها من اللغات للحياة والتطور والنمو والترقي .

كل ذلك اثبت الفوضى فى تاريخنا واستجلاء بداية العربية ثم مسابرتها فى ادوار رقيها وحلقات تطورها حتى خروج اصحابها من جزيرتهم وتوقفها المفاجيء قبل اتمام دورتها التطورية ، مما حملها بعض الفلاقي المتخلفة فى الافعال والمصادر والجموع ، والاوزان ومما زاد فى عمر هذه المتخلفات تزمت اللغويين القدامى ، ومتابعة المحدثين لهم .

تعريب العلم

بترجمة الإنتاج الفكري والتقني الإنساني

أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة أكدت فيها أن مجلس الجامعة قد اتخذ في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (مارس 1970) بشأن تعريب العلم في الدول العربية القرار التالي :

3 - أن تعمل الادارة الثقافية وبالاتفاق مع الدول الاعضاء على تكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما أمكن) بعلماء متخصصين ممتازين ، تكون مهمتها :

1 (ا) الاشراف على وضع خطة للترجمة واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية .

ب (المساعدة (1) في اصدار المعجم العلمي العربي الموحد الذي باشرت العمل فيه وزارة البحث العلمي في الجمهورية العربية المتحدة .

ج (وضع الميزانية المناسبة للاتفاق على هذا المشروع الضخم لشراء الكتب والمراجع والدوريات في اللغات المختلفة من البلاد المختلفة ، مع توصية الامانة العامة بأن تدرج بمشروع ميزانيتها للسنة القادمة 70 - 1971 اعتماداً قدره خمسة آلاف جنيه حتى يمكن تنفيذ المشروع على أساس سليم .

إيماناً من اللجنة بقيمة الترجمة العلمية باعتبارها حجر الأساس في النهضة العلمية العربية الشاملة .

وتقديرًا منها لضرورة التنسيق بين الدول الاعضاء في هذا المجال الخطير في حياة امتنا ومنمّا للازدواج أو التكرار ، وحتى تكون الترجمة على هدى من المعرفة والتجربة والخبرة بموضوع الترجمة

فانها توصي بما يلي :

1 - أن تواصل الادارة الثقافية اتصالاتها مع الدول الاعضاء من أجل استكشاف حال الترجمة العلمية في الوطن العربي .

2 - وبعد ذلك تدعو الادارة الثقافية المكتب الدائم للجنة للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح هام للترجمة العلمية في البلاد العربية يستخلص المكتب منها عدداً من امهات كتب العلوم يوصي بترجمتها .

1 (من المعلوم أن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي يعمل الآن ضمن اختصاصاته وفي نطاق جامعة الدول العربية على اعداد معجم علمي وتقني عام موحد بعدة لغات .

اساسية لا غنى عنها للباحث او طالب العلم المتخصص الى اللغة العربية .

ولى ضوء اجابات الجهات المختصة فى الدول الاعضاء يمكن الوقوف على حال الترجمة العلمية فى البلاد العربية ثم دعوة المكتب الدائم للجنة الثقافية « للنظر فيما انتهت اليه اتصالات الادارة الثقافية من مسح عام للترجمة العلمية فى البلاد العربية يستخلص المكتب منها عددا من امهات كتب العلوم يوصى بترجمتها » .

2 - اما فيما يختص بتكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما امكن) وهي المشار اليها فى البند (2) من قرار المجلس المشار اليه فان الامانة العامة ترى ان يتم ذلك عند انعقاد المكتب الدائم وبعد ان تكون الدول الاعضاء قد امدت الادارة الثقافية بالامانة العامة بالصورة الحقيقية لحال الترجمة فى البلاد العربية .

3 - وعلى ذلك ، وحتى تكون نقطة البداية فى هذا العمل القومي العلمي الجليل قائمة على اساس سليم ، فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ، تكرر رجاءها الدول الاعضاء ان تزودها بما سبق لها طلبه منها فى هذا الخصوص من اجل ان تستفيد من الفترة (ج) من البند (3) من قرار مجلس الجامعة المشار اليه والخاص باعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه فى ميزانية 70 - 1971 ، فتبادر الى تكوين اللجنة المشار اليها لاختيار عدد من المصادر الهامة فى مختلف فروع العلم الاساسية والتطبيقية لنقلها الى العربية

هذا والامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة الدول العربية تأمل فى ان تتلقى فى وقت قريب مناسب البيانات المطلوبة لتتمكن من تنفيذ قرار مجلس الجامعة ترحو التفصيل بأن تراسى جهات الاختصاص الجديدة 70 - 1971 للامانة العامة تبدأ اول يوليو (تموز) 1970 .

وتنهر الامانة العامة هذه الفرصة لتعبر عن فائق تقديرها واحترامها . . .

4 - تعمل على ترجمة عدد من الكتب كل عام توزع على فروع العلوم الاساسية والتطبيقية المختلفة من كيمياء وطبيعة ورياضيات ونبات وحيوان وحشرات وجيولوجيا وفلك وارصاد واحصاء بالإضافة الى العلوم الطبية والفسيولوجية والهندسية والزراعية والصيدلية والبيطرية . . الخ .

5 - متابعة كل ما ينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات فى اللغات المختلفة من انجليزية وفرنسية والمانية وروسية واختيار ما ترى نقله الى العربية .

ولما كان هذا القرار يشتمل على عدة نقاط هامة فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة تتشرف بذكر ما يلي :

1 ان الادارة الثقافية بالامانة العامة للجامعة سبق لها ان كتبت الى الدول الاعضاء الموقرة من اجل :

(ا) تزويد الادارة الثقافية بالامانة العامة لجامعة الدول العربية ببيان عما تم تعريبه حتى الآن من الكتب العلمية التي تعد مراجع اساسية ومصادر لا غنى عنها للباحث فى ميدان تخصصه .

(ب) ان تفضل الجهات المختصة فى حكومتكم الموقرة بتزويد الادارة الثقافية ايضا باقتراح ما تترتب تعريبه من امهات كتب العلوم العالمية (بكافة الفروع) التي لم تعرب حتى الآن ، واذا كانت هناك بعض الدوريات التي ترتفع فى مستواها وبما تعالج من موضوعات وابحاث الى مستوى المصادر الاساسية وترى تعريبها فلا بأس من ذكرها ايضا ، بين ما يجب تعريبه .

(ج) ان تفضل الوزارة الموقرة ايضا بالإيعاز الى جهات الاختصاص فى حكومتها الجلية من اجل تزويد الادارة الثقافية ، كل ستة شهور أو كلما دعت الحاجة الى ذلك ببيان بما يتم تعريبه مفصلا من الكتب العلمية

لذلك فان الامانة العامة (الادارة الثقافية) للجامعة ترحو التفضل بأن تراسى جهات الاختصاص فى الحكومات العربية الجلية ان الترجمة العلمية مقصود بها نقل امهات الكتب العلمية (فى العلوم الاساسية - البحتة - او التطبيقية) التي تعد مصادر

تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله

الأستاذ عبد الحميد المهيدي - الجزائر

لقى الأستاذ عبد الحميد المهيدي رئيس اللجنة المصغرة للتعريب في الجزائر محاضرة قيمة في مقر الجامعة الجزائرية حول تعريب التعليم ، تعطي صورة عما يتخبط فيه تعريب التعليم في المغرب العربي من مشاكل ، ونحن نلخصها فيما يلي :

ذكر المحاضر في البداية أنه لا يريد القاء محاضرة بالمعنى المتعارف وإنما إثارة المناقشة حول الموضوع .
ثم قال أن ما سيعرضه من أفكار ليست أفكاره ، وإنما آراء نضجت مع الزمن عند المهتمين بالتربية في الجزائر .

وقال أن تعريف المشكل يضعنا في نهاية التحليل وجها لوجه ، أما ضرورة تحديد اختيار لغة أو لغات التعليم ، وهو اختيار لم تتم به بعد ، ذلك لأن على الجزائر أن تضع سياسة بعيدة المدى للتعليم ، وهنا يلقي السؤال : هل يحسن بنا أن نتخذ لغة واحدة للتعليم ؟ ، وأن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة كما يتبادر إلى الذهن ، فهذه القضايا تثير مجموعة من المشاكل منها ما له صبغة لغوية بحث ، ومنها ما له اتصال بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية في نفس الوقت .

ولهذا فإن معالجة المشكل لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الدراسة الكاملة لكل هذه الجوانب ، والاقتصار على جانب واحد يؤدي بنا إلى حلول ناقصة .

وقال أن هذا التعقيد الناجم من طبيعة القضية قد يتخذ ذريعة لابقائها دائما تحت الدرس والمناقشة .

ولن نستطيع أن نوفى جميع جوانب المشكل حقها من الدرس في محاضرة واحدة . ولكن نكتفي بإثارة القضايا التي يتكون من مجموعها ما نسميه قضية « تعريب التعليم » .

وأول الاعتبارات التي ينبغي إثارتها قضية اللغة العربية نفسها . فهي ليست اللغة الأم لجميع الجزائريين ولكنها اللغة الوطنية لجميع الجزائريين .

واختيار هذه اللغة لم يأت ارتجالا ولا بصفة اصطلاحية ولكنه تم عبر القرون والتجربة التاريخية الطويلة . وكانت لغة التعليم في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي هي اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة . وهذه حقيقة تجعلنا نقرر أولا بأن هذه المشكلة تهم سائر الجزائريين وبأن حلها ينبغي أن يشارك فيه جميع الجزائريين بدون استثناء .

الحقيقة الثانية أن العربية كلفة ظهرت فجأة على المسرح العالمي وهي مكتملة من جميع النواحي . ولم يستطع اللغويون على ما أمرف إيجاد تحليل كاف لهذه الظاهرة .

ذكر المحاضر بتاريخ اللغة العربية الطويل وتطورها واضطلامها أبان العصر المباني بدور ضخم

هو تمثل مختلف ألوان الحضارات ونقل هذا التراث إلى الأجيال اللاحقة .

ثم أصاب العربية انتكاس نتيجة تخلف المجتمع العربي نفسه . وفي الوقت الحاضر تعرف هذه اللغة نهضة جديدة .

وأشار المحاضر إلى ظهور لهجات التخاطب في البلدان العربية ، مبينا أن هذه اللهجات على اختلافها تكون وحدة تمكن المتكلمين بها من التفاهم بجهد بسيط

وخلص المحاضر من ذلك إلى القول :

باننا أمام لغة قديمة قامت بدور أساسي وأمام لغة خطاب مختلفة احتفظت بوحدتها . ثم أمام ظاهرة ثالثة وهي ظهور ما يسمى باللغة المشتركة أو العربية المعربة التي تجمع الإمالة ونوعا من التبسيط في منحنى وتراكيبها بجعلها قادرة ومتفتحة على التيارات اللغوية المتصلة بها بشتى طرق الاتصال .

ثم أشار إلى أن الاستعمار جعل ظل اللغة العربية يتقلص تدريجيا في المدرسة الجزائرية إلى أن تفردت بها اللغة الفرنسية ، وهذا جعل المدرسة أداة لمسح الشعب الجزائري وفرنسته .

وعند الاستقلال ، كان لا بد من تغيير هذه الوضعية ، وأدخل في البداية وكخطوة أولى قدر أدنى من اللغة العربية كمادة درس أساسية في كل فصل .

وهنا وضعت مشكلة الاختيار أينصب على لغة واحدة للتعليم أم ينبغي الاحتفاظ بالازدواجية ؟ .

وقد رأينا كيف أن هذا السؤال صعب الجواب نظرا لتشعب الموضوع ، وكيف أن طبيعة التشعب هذه تتخذ ذريعة لبقاء المشكل دائما تحت الدرس والمناقشة .

وقبل أن نتخذ الجزائر حلا جذريا ، حاولت ألا يكون مجهودها المدرسي استمرارا لنشر الفرنسية في المدارس . فحريت مواد التاريخ والتربية الدينية والفكرية والمغربية والجغرافية مع كثير من التحفظ وحريت السنتان الأولى والثانية من التعليم الابتدائي وأحدثت بعض التنازلات المعربة في أوائل الاستقلال . وكان هذا ما يمكن أن نسميه بالتجربة الجزائرية في حقن التعريب .

هل تكفي هذه الإجراءات لإخراج المدرسة الجزائرية من طبيعتها الموروثة وجعلها تعمل وفق الاختيارات الأساسية للجزائر ؟

امتنادي الخاص وكثير من الإخوان في لجنة إصلاح التعليم أن ذلك لا يكفي وإنما إن كانت خفت من هذه الطبيعة الموروثة ، فإن المدرسة الجزائرية ما زالت وسيلة لنشر نوع من الفرنسية غير منظور . وهي لهذا السبب أخطر من المدرسة الفرنسية التي كانت تجابه الجزائريين بما يكرهون كاشفة القناع من وجهها .

والسبب الرئيسي لهذه الوضعية هو أن المدرسة الجزائرية لا من اختيار بل لتوقفها على اختيار طريقة ناجمة للتعريب ، انتهت إلى الازدواجية : العربية في الدراسات الأدبية (النظريات) والفرنسية في العلوم

هذا الوضع يقدم للطفل الجزائري صوريين ، صورة الماضي متمثلا في اللغة العربية ، وصورة المستقبل وبالتالي للفعالية متمثلا في اللغة الفرنسية .

وإذا استمر الوضع على هذه الحال فإنه يوشك أن يحدث اختلال في شخصية المواطن الذي تكونه وإن امتنا لا نريد أن نزيل ماضيها من الأذهان بعيدا عن الفعالية وقد يرتبط هذا الماضي منها باللغة العربية .

وبعد ما أشار المحاضر إلى الحجج التي يقدمها البعض من قصد حسن نية إصلاح جهاز التعليم وجعله ملائما لتوفير العدد الكافي من الأطارات لمقاومة التخلف ، ونولهم أن المهم أن يكون في البلاد مثل هذه الأطارات وأن اللغة شبه ثانوي . هذا التيار في نظر المحاضر يمتد على نظرة ليس فيها حق ، لأن التعريب لا يمكن أن يكون منافيا لهدف التنمية .

مقدرة اللغة العربية :

ويبدو من الوضع الحالي للتعليم بالجزائر أن هناك تعارضا ظاهريا بين تعريب التعليم وتقنيته . قد ينجم منه الشك في مقدرة اللغة العربية كما قد يكون نتيجة نظرة سطحية إلى واقع العالم العربي .

فمن حيث الشك في مقدرة اللغة العربية ، يمكن أن يرجع إلى أن هناك دولة عربية تستعمل اللغة العربية كأداة لتعليم جميع الموادر ، هي سوريا .

والمختصون بالدراسات اللغوية يؤكدون بأن اللغة العربية قطعت شوطا بعيدا في تطوير نفسها ، واصبحت مرشحة لان تكون لغة عالمية .

نعم هناك مشكل المصطلحات ما زال قائما لكون الجهودات الفردية بشأنه مبعثرة غير منسقة . ولكن المشكل حاصل في مستوى معين . هو غير حاصل في مستوى التعليم الابتدائي ولا الثانوي ولا حتى بعض الدراسات الجامعية . وانما يوجد في مستوى الاختصاص الفيق - والبحث العلمي ، والتبادل مع الفير .

فما يقال من عجز اللغة العربية انما يقال بدون تمحيص . فهي صالحة كل الصلاحية بدون ادنى عائق في مستوى الثانوي على الاقل .

على أن هناك الادعاء القائل بأن اللغة العربية صالحة كأداة في تلقين الدراسات الادبية والانسانية ، وغير صالحة لتلقين التقنيات .

اولا : مصطلحات العلوم الصحيحة قليلة ومحدودة .

ثانيا : الصفة التي تمتاز بها المصطلحات هي الدقة والوحدة .

وهذه مطالب غير عسير تحقيقها على جهود العاملين في هذا المجال .

على أن هناك حقيقة يجعلها الكثير ، وهي أن مشكلة المصطلحات في الدراسات الادبية والانسانية ، أكبر منها بكثير في العلوم الصحيحة . وذلك لشعب تلك الدراسات وصعوبة وضع المصطلح الدقيق بشأنها واعتقادنا أن هذا الامر المكسوس للفاية . وان القصد من ذلك تبرير الوضع القائم وأكثر منه تعبير عن حقائق علمية .

الجانب الثاني : النظرة السطحية الى واقع العالم العربي .

تجارب العالم العربي في ميدان التعريب :

اعتبر المحاضر ثلاث تجارب أساسية

(1) تجربة سماها شاملة ، هي تجربة سوريا .

ليست جديدة، ابتدأت أثناء الحرب العالمية الاولى تمت بتشجيع الخبراء الفرنسيين الذين كانوا يصنعون

التقارير تلو التقارير يؤكدون أن العربية صالحة في جميع مراحل التعليم . وكان حانزهم الى الرغبة في وقف انتشار اللغة الانجليزية في المشرق العربي .

امطت هذه التجربة نتائج يمكن أن تعتبر حجة كافية على صلاحية اللغة العربية . لكنها تصطبغ بنقص عابه السوريون أنفسهم هو عدم اهتمامها بتدريس اللغات الاخرى .

هذا جعل المتخرجين ، وخاصة المختصين والمشاركين في البحث العلمي يجدون بعض الصعوبة في ميادين الاختصاص نظرا لضعفهم في اللغات الاجنبية .

لكن هذا يمثل مرحلة هي الآن في طريق الزوال.

(2) تجربة وقفت في نصف الطريق ، تمثلها ، مصر والعراق

وقفت منذ الابتدائي والثانوي والدراسات الادبية والانسانية في التعليم الجامعي ، وبقيت المواد العلمية باللغة الاجنبية .

وكان من نتائج هذه السياسة تناقض واضح يتمثل في انشاء المجامع العلمية اللغوية من جهة ، ورفض استعمال العربية في العلوم من جهة اخرى .

لوقوف التعليم في الجامعة بالعربية لدى العلوم ليس منطقيا ، ولكنه مرتبط بأوضاع .

هنا استعرض المحاضر الكفاح الذي خاضه الشعب المصري تحت الاحتلال الانجليزي لفرض اللغة العربية في الابتدائي والثانوي ، واضطرار الحكومة للاستجابة وأصرارها على عدم تميمه على الجامعة .

وكيف ان الجامعات المصرية قامت بمجهودات الشعب الاهلية ولم تساهم فيها الحكومة .

وكيف ان القائمين عليها اقتصروا على تعريب النظريات لانها كانت في متناول مجهوداتهم المتواضعة ولا تكلف كثيرا .

وكيف ان تجربة العراق تشابه كثيرا تجربة مصر ، ثم قال :

ان الاتجاه الذي في سوريا ومصر والعراق هو التفكير الجدي في اكمال الحلقة .

(3) الطار المغرب العربي :

تتميز تجربة الطار المغرب العربي بالتوفيق من البت في اختيار لغة واحدة للتعليم ، وتخصيص اللغة الفرنسية لتلقين العلوم والتقنيات .

وهذه تجربة قد تؤدي الى مخاطر ، لانها مبنية على احكام سابقة غير مخصصة .

ثم لخص المحاضر الوضع في العالم العربي ككل ، فقال ان التجربة ككل تعتبر عامل اللغة ، وتناسى اشياء اساسية ، وهي ان حركة التعريب بدأت في وضع سياسي كان العالم العربي فيه خاضعا لنظم استعمارية ، وان المجتمعات العربية في ذلك الحين كانت مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية .

ولهذا فان تجربة التعريب كانت منعزلة تعتمد تطوير اللغة بمفردها ، دون البحث في الاسباب المؤدية الى تطوير المجتمع ككل . اذ مدى تطوير اللغة مرتبط بتطور المجتمع . وقد كانت تجربة تستهدف احداث ثورة في اللغة ، في نفس الوقت الذي تريد تلاني احداث ثورة في المجتمع .

وهذا من شأنه ان يؤدي الى الاخفاق .

اذ كيف يمكن ان تتطور اللغة العربية في مجتمعات اقطاعية او شبه اقطاعية لا وجود فيها لاساس مادي للعلوم والتكنولوجيا .

التعريب يبدأ الآن

وعلى هذا ، فان التجربة الحقيقية للتعريب تبدأ الآن بعد ان اصبح واضحاً ان هذا لا يمكن ان يتم الا في نطاق ثورة شاملة . في اطار هذه الثورة يمكن ان تستكمل التجربة جميع اسباب النجاح .

النتيجة

انه اذا كان التعريب لم يؤد في نظر الاجانب الى نتائج ايجابية ، فالمسؤول عن ذلك ليس اللغة العربية . ولكن فساد النظم التي كانت سائدة ، تمكس صورة للمجتمع ، ونفا على طبقة محظوظة ، محشوة بالنظريات ، بعيدة عن مجالات التطبيق يتميز بغلبة التكوين العام او الثقافة العامة على حساب العلوم الصحيحة والتقنية .

هذا الوضع لم يتغير جذرياً . وهو قسمة مشتركة بين سائر اقطار العالم العربي ، ولا تشذ الجزائر عن ذلك .

ان الجزائر تحاول الآن ان تلوم بثورة شاملة في جميع المجالات وسلوك سبيل اصلاحات الجدرية بغية تطوير المجتمع اقتصاديا واجتماعيا . واننا متجهون الآن الى اصلاح نظم التعليم بما يوافق اختياراتنا الاساسية . وهذا عنصر مساعد جدا .

سياسة رجعية ؟

على اننا نرى بعض المتحمسين للثورة ينكرون امكانية ان تكون العربية في الجزائر اداة للتربية . ويلهبون الى ابعد من ذلك اذ يتصورون ان العربية التي مضى عليها ربح من الزمن انكشفت فيه واصبحت لغة التعليم الديني فحسب ، وانقطعت من تيار الحضارات والانكار الحديثة والعلوم التقنية ، لا يمكن ان تكون الا اداة لسياسة رجعية .

ومع ملاحظتنا على هؤلاء انه سواء بسواء يمكن ان تنفذ سياسة رجعية من طريق الفرنسية ، فاننا اذا سلمنا ان العربية بما اصابها من تاخر بفعل تاخر المجتمع ، نرى ان احسن وسيلة لاجبار العربية على القيام بدور سلبي ، هو ابقاؤها بعيدة عن ميدان العلوم الصحيحة . لا غرو اذا اننا اردنا ان تلعب العربية دوراً ايجابياً في تطوير البلاد وتحقيق الثورة ، يجب ان نتخذها اداة للعلوم . هذه الاختيارات النظرية . -

اضيف الى ذلك شيئا أساسيا هو الدعوة الى الازدواجية . وبهذا الصدد تعدد مزايا الازدواجية في التعليم وفي الحياة .

امتد ان الازدواجية ليست ذات معنى واحد . لهذا اللفظ يمكن ان يطلق على اشياء كثيرة تختلف من حيث الدرجة كما تختلف من حيث الطبيعة .

ونحن نرفض الازدواجية مبدئياً لاسباب بديهية هي :

(1) ان الازدواجية بين العربية والفرنسية ليس لها سند سكاني .

كان الامر يختلف لو ان الاثلية الاوربية قررت البقاء في الجوائر اذن لكان المشكل فالما .

(2) نحن نفرض الازدواجية ، اذا كانت تعني اعتماد الفرنسية كوسيلة وحيدة للتفتح على الحضارة المصرية ، لاننا لا نسلم بمعجز اللغة العربية عن تادية هذا الدور .

يبقى هنالك نوع من الازدواجية نسميه بالازدواجية التربوية . ويدعو اليه الكثيرون من المربين في العصر الحديث . معناها تعلم اللغات الاجنبية .

والازدواجية بهذا المعنى يمكن اعتبارها اذا كانت لغة التعليم موحدة والعربية لغة تدريس لجميع المواد في جميع المراحل ، يمكن ان نذكر ان تفكر في تعليم اللغات الاخرى من اجل التفتح والاتصال .

والازدواجية بهذا المعنى بدا تطبيقها في بعض البلدان على سبيل التجربة وهي ما زالت في طور التجربة .

ونحن نستطيع ان نسلم جدلا بان الجزائر في استطاعتها ان تبني هذه التجربة في النطاق الوطني العام . وهذا يمكن ان يناقش ويستفاد منه .

التعريب من الناحية العلمية

الجميع يقر بان العملية لا يمكن ان تتم دفعة واحدة . والتدرج نفسه اذا لم يطبق بدقة قد يكون سببا في الفشل وذريعة تتخذ لفرض مبدأ التعريب نفسه .

والتدرج يصطدم بصعوبات اهمها :

صعوبة توفير الوسائل البشرية والمادية والتربوية لتعريب صف كامل (التدرج العمودي من الاسفل الى الاعلى) . وهذا التدرج العمودي منطقي ، ولكن صعب تخطيطه . فهو يضع المسؤولين امام آجال لا تقبل التأخير . وفيه ايضا اجبار التلاميذ على تغيير اداة التعليم فجأة (ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية الآن) : هنالك التدرج الافقي = ان تعرب كل سنة مجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية تعريبا شاملا وفق سلم التعليم .

مثلا = مائة مدرسة ابتدائية

وفي نفس الوقت 10 اعداديات

وبعد سنة 5 ثانويات

وقد يمكن التوسع اكثر اذا سمحت الامكانيات . هذه الطريقة تضمن للتلاميذ ترقيا في السلك يوصلهم الى الباكوريا بدون هائق .

ويمكن ادخال اللغة الاجنبية ابتداء من السنة الرابعة او الخامسة ليتمكنوا من مواجهة تعليم الجامعة بالفرنسية ، اذا لم تكن قد تمكنا من تعريب الجامعة ان ذلك .

خضم لوحدة التعليم :

هنالك من يرى في هذا التدرج خصما لنظام وحدة التعليم الواقع ان الامر لا يخلو من ذلك . وقد نعيش لفترة طويلة على نظامين تعليميين يختلفان قليلا . ومع ذلك فان الفرق بين النظامين يكون في العلوم الصحيحة فقط . ومن السهل ان نتصور التلاميذ الذين يتابعون النظام الانتقالي الحاضر بما يحصل لهم من ملكة في اللغة العربية ، يصبحون قادرين على مواصلة تعليمهم العالي باللغة العربية .

هذا التدرج يمكن من التغلب على كثير من المشاكل ، الا انه لا يعفينا ايضا من الاحتياجات البشرية والتربوية والمادية ، ومن الآجال الواضحة .

واخيرا فان تعريب التعليم لا يمكن ان يتم بواسطة الجهاز التقليدي لوزارة التربية ولا بد من انشاء مؤسسات تسهر على حركة التعريب ، وهي في نظري :

(1) مركز وطني لتيسير اللغة العربية ونشرها . لا كمجمع ، اذ لا فائدة من ذلك بل مركز يجمع بين البحوث الاساسية في العربية ومحاولة ايجاد الحلول لمشاكل العربية ، وليست العربية بدعا بين اللغات في ذلك . وقد تكون المشاكل في العربية تختلف من حيث الدرجة ولكنها لا تختلف من حيث الطبيعة بالنسبة للغات اخرى .

اتصور المركز ملتقى الباحثين من رجال التربية واللغة والتعليم ، لايجاد احسن الحلول لتعليم اللغة العربية لا في المدرسة وحدها ، ولكن بأساليب عصرية ووظيفية للعديد من الجزائريين المنتمشين للتزود بهذه الاداة التي تمكن من الاسهام الحقيقي في تعميق جذور الثورة وجعل معركة التعريب معركة الشعب .

مدرسة الترجمة

من هذه النواة يمكن الانطلاق لاعطاء مفهوم جديد للترجمة يجعل منها لا عملا هامشيا ، ولكن أساسا لتطوير المجتمع وتنظيم العلاقة بينه وبين الشعوب .

ينبغي اذن تكليف المدرسة برسالة اخرى . لا ينبغي ان تقتنع بتكوين الترجمة للأعمال اليومية ، بل أن ننزع الى تخصيص علماء في مختلف المواد والعلوم لتكريس جهودهم لعمل الترجمة الذي هو على ما اعتقد عمل أساسي في بناء النهضة العلمية .

المؤسسة الثالثة

تنظيم واسع شعبي اعتقد من السابق لاوانه تعود جميع عناصره . ولكن انصوره على شكل مؤسسة تجمع بين مسؤولين معينين يحتلون مراكز حساسة بالنسبة للعمل الإداري والجماعي ، يسهرون على تطبيق المخطط العام للتعريب وربط تعريب التعليم بتعريب بقية الميادين .



تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك النجاي «سنغال»

«... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنة وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه... والفكرة الدائمة لإنشاء المدارس العربية الفرنسية هي أن تصبح محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر.» (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتل عقلية قرآنية تستحق أن تنكف السياسة لجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الإغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم اغراءات الحكومة وضغطها على الناس لإرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية فلم تستطع أن تحمل الناس على الأمراض من الكتابات ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على أن 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتابات ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتابات سنغال البالغ عددها في العام المذكور 1385 كتابا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطق المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الإعلانات والمناسبات التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشايخ يرسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب «دراسات اسلامية من سنغال» يقول الافريقاني الفرنسي «بول مارتي» أن جميع المشايخ كانوا يرسلون السلطات الادارية بالعربية ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لاغراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقاني الفرنسي «روبير ارنو» Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

(1)

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الالهية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن اهم النواحي للتعريب في هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجالين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريدية في جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سعد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الانشاء باسمائهم واسماء من تفرع منهم . ولكون هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون في اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يغيرهم اسماء لمواليهم من المريدين وعلى من اهدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا نشأ الابوة الروحية محل الابوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المتهدي الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم « محمد الامين » والسرايري المتهدي باسم « ثسر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاقي المتهدي باسم « جول » ان يحمل اسم « علي » وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الدين سماوا الحاج مالك والخليفة ابا بكره والحاج منصوره من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سماوا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمنه للقيام بهذا

المعمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية عموما في تعريب اعلام الاشخاص الا ان نتكلم من دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب يرت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاق المريدية في تعريب اسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب اسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدعتها مجازاة للمريدية في دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها . فنشروا على ارضها هذه الاسماء الطيفة في السمع مثل : طوبي - دار السلام - دار المصطفى - دار الفصور - دار المنن - دار المنان - دار النسيم - دار العليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشام - مدينة - طائف - عالية - طوبي فال - طوبي كن ، وسماوا سوق طوبي مهد المريدية هناك .

ونشاط المريدية في تعريب اعلام الامكنة يضاهيه نشاط التجانية في تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تنامت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المتهدين - دائرة المنة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والانصار - دائرة المقتدين - دائرة المحسنين - دائرة الابوار - دائرة الخليفة الاكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المومنين . الى غير ذلك من الاسماء الزائدة التي اطلقت على مئات الجماعات .

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسماء التي يختارونها للقرى والأشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة لعرب الكثيرين منهم أسماء القرى التي اسسوها ويتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها أسماء مثل : فاس - نساط - طوبي - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الامضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او أسماء الجنود في احدى الشكاات العسكرية او أسماء التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من أسماء القرى والساكن والاشخاص العربية .

قامت انا شخصيا لاختبار سرعة التعريب في أسماء الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المؤيدين المعدين عن قوائم أسماء كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ في عام 1966م

اما الطريقة التي سلكتها في هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمين الاوليين . ولبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار ماثان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم أسماء النواب المرشحين للانتخاب للحزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عدديها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة أسماء النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

المذكور مكمل بمشرين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم ماثوية مصدرها الجريدة المذكورة في عدديها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي اكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة أسماء الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب أسماء هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يتسلون ويدونون بها خواطرهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الانمال الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم علامة الفارع على اصل الفعل والتلفظ بعلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الالف والتكفور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الالف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها « المصدور » يتألف البيت منها من صدر ولغي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولغي . ومنها المعشو يحشي القسم الالفسي بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولفيين .

طبق المستعربون الفلايون والولفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات افراض مختلفة كالقصة والوعظ والمدح والهجاء والرناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من اللغو المنافي للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الالفية والعربية ظاهريتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الالفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تأثيرها فيها باندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من المفردات الالفية المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين - بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء واللغويين الالف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على افراد بالالفية الالفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث والالفية مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه انشاء تطور لفة الحديث بقيت الالفية الشبيهة بالكتابة متحجرة يتناقلها المستعربون كابرا من كابر وحفظت الكثير من المفردات المندسة من الدواكر . وفي العصر الحاضر لا يمكن لاحد تأليف معجم ولفي كامل قوي دونما استمداد واستعانة هؤلاء المعممين المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الالفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستنبات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الالفية لغير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المعممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الالفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الالفية

نتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الالفية خلال الاحتكاك الطويل بين الالفيتين . والكلمات التي انتحمت على الالفية عربيا ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الفائرة التي اصابتها انشاء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي واصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تفزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية الالفية اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادق » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الالفية .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الالفية الى ذكر ما يعترض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في الالفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالالفية ، اصلا ، تعرض لتحريف لا محيد منه ، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ ه . اما اشهر دواعي التحريف المبني فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به الالف لظهور التحنن على المبر منه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف عن الصور الالفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زئب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رنية	رق
نفية	نف	»	مبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يلقبون الشاء ، والذال والزي والشين والصاد والفاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 - يلقبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانساجها أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولفية خصوصا من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » أصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الراي في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا . .

3 - تغلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالبا في وسط الكلمة : حبيب (ابيب) حليلة (الة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) هائشة (ابسة) هرون (آرون) محمد (مد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

الكلمات العربية المولفة :

الزواية (مكان تجمع الصوفية للذكر)	حساء	انتجى	اجل (نسم)
الزيارة	الخاتم	التوبة	آدم
الزكاة	الخبر	التوفيق	ابيس
الساعة	الخطبة	النسيم	الانين
السبب	ال خليفة	الثلاثاء	الاحد
السبب	الخميس	الجمعة	الاخرة
سجوح	الدائرة	الجامع	الاربعة
الشر	الدابة	الجان (الحبة)	اسرائيل
السجادة	الدار	الجاهل	الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)
السجود	الدبران	جبريل	البيت (الجزء من القصيدة)
السر	دجنبر	الجلباب	البدعة
السطر	الدراة	الجمعة	البرادة
السطل	الدرجة	الجن	البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)
السكر	الدرهم	الجنة	البركة
السلام	الدنيا	الجنزة	البطاقة
السلام عليكم	الدواة	الجهاد	البلاء
السماء	الدبة	جهنم	البهيمية
السنة	الدين	الجو	التخممة
السورة	الذكر	الجيب	التربية (بالمعنى الصوفي)
الشرح	ذو الوجهين	الحاج	الترجمان
الشرط	الراية	الحاجة	التبيح
الشريف	الربا	الحج	التفسير
الشفل	الركمة	الحديث	التهمة
الشیطان	الركوع	الحرام	
الصابون	الروح	الحرف	
المصبح	الروضة	الحرمة	
الصدقة		الحق	

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
 بهيم ليل سوادا فعادة نومه
 لكن للشيب في فودي وجمجمتي
 وخطا وخطا فعدراء النسا نومه

— * —

الا ارمواء لمن ولت شبيبته
 وآذنت بمشيب معلم هرمه
 بل كل ضيف كريم القوم حوله
 قرى عليه وهذا شيبه كنمه
 فاقره - ان ترى ما عشت شادي من
 هو الشفيح وكل قائل تلجه
 من ذاته كل ذات لازمت هرفها
 في عشر شعرها لو تفتدى سقمه
 من كل جرم له قدر يعمره
 عند الفراغ فدهاء والفداد بومه
 من دونه كل منطوق بحرف هجا
 في الاسم الا الها غيره سكمه

من تحتته كل موجود له جهة
 من أي ست وربني أنني نرمة
 محمد سيد السادات لا أحد
 منهم مدائيه او قاللا كنمه
 صلى عليه اله المرش ما رجيت
 شفاعة منه او قول له ولمه
 يا من شفاعة يرجو وياملها
 اهل الكباثر امثالي فدا نومه
 فان جاهك عند الله منجمل
 هو العظيم ففى الاهوال فتلكمه
 احوال دنياي او احوال آخرتي
 او برزخ ثم من ذكرالك ديلتمه
 لا زلت انيبك واسمع ما اردده
 يا خير من يرجيه مريج وبمه
 وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاخي
 مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بمب :

المصراط	القلم	ما رغبته عليه	النافة
الضر	القطفان	مارس	النصراني
الضميف	الاقوال	الحراب	النفس
الطالب	القياس	المدارة	الهديّة
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقصة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المسكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصاحبة	الورد
المعيب	الكمال	المعنى	الوفاء
الفنوث	الكرامة	المقامة	الولي
الفتنة	كش	المكان	يرحمك الله
الفجر	الكفر	الملحفة	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملاك	يوم القيامة
القبر	الكوب	المهدي	الزمن
القبة	لا بد	المنبر	المرش
فدوس	الله	الميراث	اليهود
القعيدة	الروح	ميكايل	القصة
القطب	الماموم	المنافق	الشر
القرنفل	الثال	لنافة	الآية

لم انهمت بعد شيب هبرة وبمه
 اراقها كلمتا سمدى بيه وبمه ؟
 اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
 هول ومزج بدا لي انها بومه
 وان جبل وصال صار منصرما
 او واهنا خلقا تجدیده نومه
 مالي اراشي ان لامت هانية
 عصر الشباب تقبل او تقل بومه
 واليوم ان لامت خودا يدي لمبا
 تاففت ثم نادى : « يا ابي سرمه ا »
 وكل ناهدة الشديين تلحظني
 بعين سخط فتعلي صوتها فومه
 وان لهوت تلمت او دنوت نات
 وان اسل فجاب مندها خممه
 كل كامب واعدتني زورة مثقا
 زمان شرخي ولما جئتها نغمه

أبدى الكجوري فنا في البديع « كمن
ندف » بديعا كما أبدى وما بديعا

أن الحقيقة بحر غاص فيه « تفسر
درمو » عند التقاط الفائص الودعا

أجاد مدح النبي الهاشمي « توح
سخلا مبتم » وأجاد المدح والقدما

فالابث ليث عريض الساعدين « كجس
جغم » تيقن أن قد طال ما صرعا

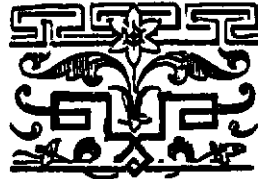
نقى وحوش الفلا عن أرضه « بجدو
جنى ج سو لم س » لاسيدا ولا ضيما

— * —

لكن هنالك شبل رابض « بجكى
ج خمن » أن سيجهيد الصيد والنقما

لولا حياء وتقوى ربه « اكتم
د دول يم » شب ببرا عالما ورعا

وحرمة الشيخ « اكتم مولك مك ث بدون
ك ملن من » رد ماء حيشما نبعما



نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التوحيجي

(2)

يلام نطقها العربي ، فابدل الحرف بحرف يدنو من مخرجه ، ان لم يكن هذا الحرف نفسه ، لان نطقه في الفارسية لا يوازن نطقه في العربية ، فحور في الشكل ، ولام في المخرج .

وقد جرى هذا ، اما بابدال حرف مكان آخر ، واما بزيادة حرف او حرفين ، واما بتغيير البناء كله ليصير من ابنية العرب ويتمكن من الاشتقاق منه . وقد ينقص حرفا او يبدل في الحركات ، او يسكن ، او يحرك الساكن . وقد يتركه على حاله دون تغيير ان لم يحوجه الامر الى ذلك .

والجدير بالملاحظة ان العربي اخذ اسماء ولم يأخذ افعالا او حروفا ، وحينما احتاج الى افعالها اشتق ما حلا له وما شاء . فمن (الجم) قال : الجمعت الفرس . ومن (مهر) : مهر الكتاب . ومن (ديوان) : دون الحساب . ويمكن حصر هذه الاسماء ، فهي اما اسماء نبات او حيوان او معادن او آلات او مأكولات او مشروبات او عادات مما لم يكن يعدها العربي من قبل .

فكلمة (طبرزين) التي هي في الفارسية (تبرزين) اسم لسلاح ، كان يعمله الفارس الفارسي معه . وقد تكلمت به العرب . قال جرير

وكان من نتيجة اتجاه الحكم وجهة الشرق ان تآثر العرب باساليب حكم الفرس ، وبمظاهر حياة جديدة افوتهم جذتها وجذبهم لمآنها ، مما اضطر بعض خلفاء بني العباس خاصة الى التعرف على تاريخ الفرس والاطلاع على اخبار ملوكهم ومواضع حكمائهم كجزء هام من ثقافة الخليفة او الامير . ولا زلنا نذكر ان المأمون حكم في بلاد فارس ردحا من الزمان ، واستعان بالفرس على اخيه الامين في بغداد .

ولقد تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف واللهو والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والاثاث والانبية . وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسموها باسمائها الفارسية او اليونانية او الهندية .

ونحن اذا تصفحنا المعجمات العربية - وليس ذلك بعسير - وجدنا عددا وافرا من المفردات كتب المؤلف عنها انها اعجمية او معربة او ان اصلها فارسي . كذلك اذا نظرنا الى القواميس الفارسية وجدنا اكثر من ثلث الفاظهم - ولم اغال في ذلك - عربية ومستخدمة في لغتهم الى اليوم .

ولم يتوان العربي عن اخذ اية مفردة احتاج اليها من جاراته ، وقد تجرأ على تغيير شكلها بحرية بشكل

في رجل من بني كليب ، يقال له (مجيّب) ، اتهم بقرّة ، فلم يلحقوا عليه شيئا فخلوا عنه :

كان مجيد الخبث تلقى يمينه

طبرزين قين مقضبا للمفاصل

تداركه عضو المهاجر بعدما

دعا دعوة يا لهفه عند نائل

وكانوا يبدلون الحرف (ب) بثلاث نقط باء
أحيانا ، وأحيانا أخرى فاء ، لأن نطقه واقع بين الباء
والفاء ، والثلاثة من الحروف الشفوية . فقالوا لـ
(برند) فرند وافرند وبرند وهو السيف أو جوهره .
وكذلك قالوا لـ (بنتكان) فنجان . ومثلها : الأصفهانى
والاصهباني وكلاهما واحد . وكذلك قلبوا الشين
سينا . فقالوا للصحراء (دست) وفارسيته (دشت)
قال الاعشى :

قد علمت فارس وحمير وال

أعراب بالدست إيكم نزلا

وحولوا كلمتي (بنفشه و لشكر) الى بنفسج
وعسكر . أما حرف (الكاف الفارسي) فقد أكثر
من تبدله وتحويله . فبعض الكلمات الفارسية قلبت
كافها الفارسية الى كاف عربية مثل : (كردن : عنق)
فقالوا لها: كردان . وقالوا لـ (الكنج) كنزا . وهنا
حصل ابدالان ، فالكاف مكان الكاف والزاي مكان
الجيم . وقد تبدل الكاف الفارسية فينا كما في غربال
التي أصلها (كربال) . أما تحول الكاف العربية والكاف
الفارسية الى جيم وقاف ، فقد كان كثيرا مثال :
لكام - لجام . كربه - قريبق ، ويعربها بعضهم
(كريبج وكريق) ، وهي بمعنى دكان البقال قديما ،
لأننا سنرى بعد أسطر أنهم كانوا يبدلون الهاء جيما
أو قافا إذا كانت في آخر الكلمة .

أما الكلمات الفارسية التي تنتهي بهاء السكت
فأنهم بدلوها جيما ، فكلمة (بالوده) عربت الى
(فالودج) ، وهي حلوى من الطحين والنشاء
والشراب ، والموام عندنا يلفظونها (بالوظا) لفظا
تركيا . و(برده) عربوها الى (برديج) وهي السبي من
الجواري أو الغلمان . قال المعجاج :

كما رأيت في الملاء البردجا

وقالوا للقصر (جوسق) وأصلها (جوسه) وقد
تحولت في العامية الى (كشك) . وقد يبدلوها قافا
كما في (باشه) وهو صقر الصيد ، قالوا له (باشق) .

وإذا أتى قبل الهاء حرف الدال فإنهم يبدلوها بالدال
فالجيم مثل : ساده ونموده ، قالوا : ساذج ونموذج .
وبدلوها التاء طاء ، فقالوا لـ (تازه) طازج .

وقد يزيدون على الكلمة حرفا أو ينقصون منها
حرفا ، فقالوا لـ (كليد) التي هي بمعنى المفتاح (مقليد)
أو (اقليد) . قال الراجز :

لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم تعالج غلقا بأقليد

ونلاحظ أنه لم يجتمع في كلمة عربية الجيم
والقاف إلا بحاجز ، ولا الصاد والجيم . وليس في
أبنة العرب اسم فيه نون بعدها راء مثل : نرجس .
ولا زاي بعد دال مثل : اندازه ، ثم ابدلوا الزاي سينا
فصارت هندسة . كما أنه ليس في العربية كلمة مبنية
من باء وسين وتاء ، وإذا وجدنا كلمة رباعية أو
خماسية وليس فيها حرف أو حرفان من حروف
الزلاقة ، وهي ثلاثة من طرف اللسان : الراء والتون
واللام ، وثلاثة من الشفة وهي : الفاء والباء وأليم ،
فالكلمة ليست عربية مثل : صهريج وشبارق وهو
فلذات اللحم التي تقطع للطبخ .

كما كان يتم التأثر عن طريق الجواري أو
الأميرات الفارسيات اللواتي انتقلن الى البيت العربي
فكان لابد لهن من أن تؤثر لفتنهن وعاداتهن في
أزواجهن وأولادهن ، وكم عشق الشعراء هؤلاء
الجواري وكم نظموا فيهن . فلقد أهدى الوليد بن
يزيد ابن ميادة الشامر جارية طبرستانية رائحة
الجمال ، كان تقصها الوحيد في نظره أنها لا تحسن
العربية ، فقال فيها :

بأهلى ما الدلك عند نفسي

لو أنك بالكلام تعريينا !

ويتبدى هذا التأثر بواسطة الأسر الفارسية
التي هاجرت من إيران الى البلاد العربية ، كما حصل
لوالد المهلب الذي هجر بلاده ، وسافر الى عمان ،
فطلق ديانته الزردشتية ، واسلم وجعل اسمه أبا
صفرة . والعرب إذا كانوا يأخذون اللفظة للحاجة ،
فقد أخذوها للتفكه ، فنزل أبي المهدي :

يقولون لي شنبدا ، ولست مشنبدا

طوال الليالي أو يزول تبير

ولا قائلا زودا ليمجل صاحبي

وبستان في صدري علي كبير

وشنبذ : من الكلمة الفارسية شنبه أي يوم السبت . وزودا من زود معناها جبل . وبستان : خد . أو يأخذونها للتفاح بمعرفتهم الفارسية ، كما نجد الأمثال الكثيرة على ذلك في كتابي : يتيمة الدهر ودمية القصر .

وعلى هذا فقد تأثر العرب بالفرس لغويا كما تأثروا بالأمم المجاورة ، على أن تأثرهم بالفرس أكثر وأوسع نطاقا . وقد جرت هذه الالفاظ الى العربية في أزمان متفاوتة . فلم تزحمهم كثرتها ولم يعقبهم نطقها . ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه العصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآننا ، وشعرنا ، ونثرنا ، وأمثالنا .

وإذا كنا تأثرنا بهم حكما وسياسة وثابعية ودينا ولغة قبل الاسلام ، فإننا أثروا باستقلالهم واديانهم ومادابهم ولغاتهم بعد الاسلام ، ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الاسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت اديانهم وذابوا في الديانة الاسلامية ، انغمسوا في اللغة العربية ومادابها وعاداتها .

وكنا ذكرنا في مقالنا السابق أن الأثر العربي الأول في الفارسية كان في تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل .

على أننا لا نلبث نراهم يقتبسون الالفاظ الدينية لتتبعها الالفاظ العلمية ثم الالفاظ الادبية . ورغم أن اللغة العربية هيمنت على الأرض الفارسية ، ورغم أن القرون الثلاثة الأولى كانت العربية لغة العلم فيها ، فإن العربية لم تستطع أن تمحو الفارسية تماما . فقد ظلت متداولة بين الناس على الأقل ، وبين الشعراء لحاجتهم إلى القوافي ، ولا يمكنهم استخدام الالفاظ الفارسية في القافية دائما لأن الفاظهم غير كافية لذلك . ويكفي أن ينظر المرء في ديوان فارسي ليجد أن ثمانية بالمائة تقريبا من الفاظ القوافي عربية .

ولقد بدأ الفرس في مقاومة العربية منذ القرن الرابع ، فقد لاحظهم أن تكون العربية رائجة كل هذا الرواج في بلادهم ، وأن يكون العرب حكاما لهم ، وأول هذه المقاومات كان استقلال الدويلات الفارسية في مناطقها ، وتشجيع الشعراء الفرس على نظم القصائد الحماسية والقومية . فقام شعراء ينظمون الشاهنامات ، ويعتمدون الاقلال من ذكر الالفاظ

العربية . وقام ادباء يحضون على الكتابة الفارسية - غير أن هاتين الطيقتين لم تستطعا الحد من التأثير اللغوي للحاجة الماسة الى كل ما دخل من الفاظ ، حتى أنهم انفسهم استخدموا الالفاظ العربية في موضوعاتهم الحماسية والقومية هذه .

وكما دخلت القوام الكريم الفاظ فارسية فقد دخل الحياة العربية كثير من الفاظ دالة على الزينة والتشريف مما لم يكونوا راوها ، كما راوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال . فاضطروا أن يقتبسوا من الاسم المفتوحة الفاظا يدخلونها في لغتهم ، وكانت اللغة الفارسية أقرب نبع يستقون منه ما يحتاجون .

- فمن أسماء الزهور الفارسية : النرجس . البنفسج . النسرين . الخيري . السوسن . الجلنار . الأرجوان .

- ومن الطيب : المسك . العنبر . الكافور . الصندل . القرنفل .

- ومن الاطعمة : السميد . الكمك . السكاج . الدجاج . الكبة . الخريز وهو البطيخ . الفستق .

ومن الحلوى : الفالودج (وعربت الى البالوظة) . الجوزنج . اللوزنج . الزردة . الجلاب .

- ومن التوابل : الفلفل . الزنجبيل . القرفة . الكراوية (وهي الاكلة المعروفة في دمشق خاصة) .

- ومن المفردات الحضارية : مهندس . روزنامه . نرد . برسيس (برجيس) . طربوش . بابوج . كوز ابريق . طست . خوان . طبق ، كاسة (عربت الى قصعة) . خز . ديباج . سندس . لجام . غربال . كردان . ساذج . طازج . نموذج . برنامج . سمسار دهقان . صولجان . فتجان . نيزك . زنديق . بازار .

- ومن مفردات الدواوين : مهر . ديوان .

- ومن الأسلحة والحرب : سبيد وهو كالامير والقائد عند العرب . درفش (علم) . طبرزين . جند . مسكر . لجام . صولجان .

- ومن الحيوانات : شاهين . باشق . جاموس جؤذر (كاونر) . ذنب .

ولقد عمد العربي الى ما خفف على اللسان ، واستعذبت الأذن جرسه ، وأن كان عنده اسم لها ، لاستعار : مسك . ثوت . وصاص . ميزاب .

مكان : مشوم . فرصاد . صرفان . مشعب .

— كما اخدوا بعض التراكيب منها :

— جلاب (ماء الورد) . ميزاب (سيل ماء) .
سرداب (الماء البارد) سراب (رأس الماء) . زركشة
(التطريز بالذهب) .

— كما استعملنا في عاميتنا عددا كبيرا من
الالفاظ كانت الخلافة العثمانية سببا هاما في نقل
بعضها لان اللغة الرسمية في بلاط استانبول كانت
اللغة الفارسية :

كبة . كفتة . نازيك . سيخ . كباب . كفكير .
يشكير . خولية . عرموط . جادة . جاكوج .
بوقالة . نهنا . بقلالة . ارمغان . برشت . كشتبان .
بابوج . طربوش .

ولقد استخدم الادباء العرب الكلمات الفارسية
في تراكيبيهم . من ذلك قول الجاحظ في البخلاء :
« ويسكروا الدرياجة على صغار السمك » .
والدرياجة هي البحيرة ، و (سكر) كلمة سريانية .
وكان الاخفش يقول لتلاميذه : لا تقولوا عندي كلمة
هم وبس . وهكذا لا تقولوا لفلان بخت . وفي حديث
مجاهد : يغدو الشيطان بغيروانه الى السوق .
وغيروان معربة عن كاروان معناها القافلة .

اما المفردات العربية التي استخدمها الفرس في
لغتهم ، فقد كانت في كل باب . اذ انهم اخدوا :

— مفردات دينية : زكاة . حج . مسلم .
مؤمن . كافر . منافق . فاسق . حنث . خبيث .
قروان . اقامة . تيمم . متعة . طلاق . زواج . قبله
محراب . منارة . ابليس — زقوم . سلسبيل .
حلال . حرام . بركة .

— ومفردات في الادارة والسياسة : خليفة .
ملك . امير . وزير . حاجب . قاض . غلط . خطأ .
مارية . نصح . فضيحة . جلاد . سياف . مستخدم

— ومفردات الدواوين : كتاب . حجر . قلم .
مداد . خط . درس . فصل . باب . الاعداد حتى
العشرة .

— ومفردات الالبسة : جبة . ازار . لحاف .
مخدة . طراز . رداء .

— ومن اسماء الاطيار : فاخشة . قمري .
بلبل . لقلق . غراب .

— ومن اسماء ادوات الرينة : حناء . غالية .
بخور .

— ومن اسماء البلاد والافلاك : بلد . صحراء .
طبيعة . بركة . حوض . سهيل . فاك . مشرق .
مغرب . شمال . جنوب . طالع . صبا : دبور .

— ومن اسماء اصحاب المهن : خياط . نقاب .
بيطار . بقال . صراف . دلال .

— واسماء خاصة بالاطعمة واللهمو : قمار .
سفرة . قثينة . شراب . خمرة . غذاء . حلواء .
هريسة . قطائف . قلية . نقل .

— واسماء في الحرب : حرب . جهاد . علم .
طبل . مرادة . منجنيق . ركاب . لواء . نصل .
دبوس . حربة . حلقة . قفل .

— واوصافها : نبيل . لطيف . ظريف .
عاشق . شاعر . كاتب . وفاء . احمق . جاهل .

— كما اخدوا تراكيب واتصلا ، واعتبروها
بشكل مفرد :

سرحدات : رأس الحدود . فهميدم : فهمت
(من الفهم) .

مرد لا ابالي : رجل مهمل . زمين لا يزرع :
ارض لا يمكن زرعها . بالاضافة الى عشرات
المفردات التاريخية . وعشرات المفردات الجغرافية ،
وكذلك الطبية والفلكية . واذا طالعنا نثرا او شمرا
فارسيا وجدنا ان النسبة المئوية للمفردات العربية
تبلغ احيانا 45 او 50 ٪ ، واذا سعى الاديب ان يقل
من الالفاظ العربية ، فانه لا يمكنه ان يستغني عن
20 ٪ من المفردات العربية .

والجدير بالملاحظة ان اغلب الالفاظ العربية
التي دخلت الفارسية بقيت محفوظة على شكلها
الذي اخذوه لعدم وجود الاشتقاق عندهم ، اما اللفظة
الفارسية التي دخلت العربية فانها صهرت بالعربية
واشتقوا منها حتى ضاع اصلها على المطالع . وربما
فيض الله يوما لائمة اللغة من الامتين تجميعهم حبة العلم
وفريضة الادب ليتحلوا حول الدواوين والمعجمات
سنوات ليصفوا ما لنا وما علينا ، وما احسب ان الامر
يسير ، لما حدث من تلاحم واندماج ، بل لما هنالك من
تشابهات وصدف . وهل اخدت اللفظة من العربية ام
من العبرية ام من السريانية . ومن ناحية ثانية هل

أخذت من البهلوية أم السنسكريتية أم الفارسية
الدرية ؟ .

ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه تدل على مدى
التبادل اللغوي بين الامتين . ذلك ان العرب
استخدموا أسماء فارسية لمسميات ، في حين ان
الفرس استخدموا أسماء العربية . وقد حصل
هذا في العصر الحديث خاصة :

فنحن نقول روزنامه ومعناها (كتاب اليوم)
والفرس يستخدمون (تقويم)

ونحن نقول كهرباء ومعناها (جاذب القش)
والفرس يستخدمون (برق)

ونحن نقول دستور ومعناها (قانون) والفرس
يستخدمون (قانون)

ونحن نقول اركيلة - ناركيلة ومعناها (جوز
الهند) والفرس يستخدمون (غليان)

ونحن نقول كنار ومعناها (طرف) والفرس
يستخدمون (حاشية)

ونحن نقول كاسة ومعناها (زبدية) والفرس
يستخدمون (باطية)

ونحن نقول دستور ومعناها (القانون الاساسي)
والفرس يستخدمون (مشروطة)

ونحن نقول شرشف ومعناها (غطاء الليل)
والفرس يستخدمون (ملانة أي ملحفة)

ونحن نقول خرقة ومعناها (القراصة والاشياء
الدقيقة) والفرس يستخدمون (خرزة)

ونحن نقول بخشيش ومعناها (الانعام)
والفرس يستخدمون (انعام)

وقد اخذ العرب أسماء فارسية وتسموا بها
مثل : قابوس وهو معرب عن (كاووس) . وقد لقب
بها النعمان بن المنذر . ومن النساء دختنوش ، وهو
اسم بنت لقيط بن زرارة وهو معرب عن (دخت
نوش) .

كما اننا نلاحظ وجود مدثر عربية اسمائها
فارسية مثل : بغداد ومعناها اعطى الصنم أو الله
المعطي . البصرة ومعناها بعد الطريق وكانت (بس
راه) . الانبار ومعناها المخزن ثم حورت الى منبر .
القيروان ومعناها القافلة . ونجد عددا من القرى

والنواحي حول دمشق اسمائها فارسية مثل : مرة ،
كيوان ، برامكة ، بلودان ، زبداني ، جرجانية . وقد
تكون هذه التسميات اطلقها النازحون من بلاد
فارس الى بلاد الشام .

وقد استعملنا اعلاما فارسية حديثة مثل :
شيرين . مهتاب . شهرزاد . شهنار . سوزان .
كيثي . مهيار . فرهود . جهان . فرزان . وقد
تكون هذه الاسماء أسماء غلمان وجوار وقد تكون
استخدمناها تحببا لبرقتها .

واذا دخلت الاعلام الفارسية . فان اغلب
اسماء الفرس كانت عربية أو مركبة مع العربية .
فقد تأثرت الاعلام الفارسية بالاسلام فاستقوا من
الدين الاسلامي ، ومن المذهب الجعفري خاصة هذه
الاعلام . فمنها : خير الله . شكر الله . وقد تكون
هذه الاعلام غير مستعملة عند العرب مثل : ذبيح
الله ، قدرة الله ، يد الله . وقد يركب العلم من كلمة
فارسية وكلمة عربية مثل : خدا مراد . خدا رحم .
خدا كرم . وقد يستخدمون أسماء الانبياء واسماء
آل البيت مثل : عبد . محمد . عبد الرسول . عبد
النبي . وقد يتغير اسم محمد الى مدد ، واسم محمد
علي الى مدد لي . ويسمون كلشوم فيقولون لها
كرسوم .

ثم هناك : علي . حسن . حسين . باقر .
صادق . اصغر . كاظم . رضا . تقي . تقي . وقد
يعرفون بعضها فيقولون لزين العابدين زينل أو زينل
لايدين . وقد يركبونها أو يدخلون عليها لفظة (عبد) :
عبد الحسين . علي اصغر . عبد الرضا . غلامحسين .
غلامعلي . كما ادخلوا عليها أسماء الاشهر الهجرية
فقالوا : صفر علي . رجب علي . رمضان حسين .

وقد تأثروا بأعيادهم التقليدية القديمة ، وأهمها
النوروز والمهرجان . وبالرغم من ان الامويين لم
يتعمدوا التأثير بالأعياد الفارسية . لأنها أخذت
تتسرب الى العرب بدون استئذان ، حتى اذا كان
العصر العباسي نقلوا اليها الكثير من عاداتهم ، والتي
كان لها النفع الكبير لمحبي اللهو والطرب ، والآثر في
الادب العربي .

ونوروز ومعناها اليوم الجديد أي عيد رأس
السنة ، ويأتي في 21 آذار من كل عام ، ويعتبر
أول الربيع ، وهو أعظم أعيادهم . أما المهرجان ولفظه
الفارسي مهرگان ، فهو عيد الخريف ، ويبدأ في أول
الخريف ، وأوله 23 ايلول . وأهم أمر في هذين

العبيد اهداء الملابس والاموال الى الشعب وتقديم
الاطعمة المتنوعة . يحكى انه قدم لسيدنا علي كرم الله
وجهم طعام فارسي ، فاجبه وسال : ما هذا ؟ قالوا :
هو النوروز . فقال : نوروزنا كل يوم . كما يحكى ان
الحجاج اول من رسم هدايا النوروز والمهرجان في
الاسلام ، وابطلها عمر بن عبد العزيز . وشاعت في
العصر العباسي اذ كان الامراء يوزعون البستهم على
حاشيتهم ، كما كان يفعل الاكاسرة . وصار من
الشائع ان نسمع عن النوروز في الشعر ، كما في
قول البحري وهو يصف الربيع :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النوروز في غسق الدجى
اوانل ورد كن بالامس نوما

وقد مدح المتنبي ابن العميد وهو يهنئه بعيد
النوروز بقوله :

جاء نوروزنا وانت مراده
وورت بالذى اراد زناده

عظمت ممالك الفرس حتى
كل ايام عامه حساده

وصف ابن الرومي عيد المهرجان حينما هنا
عبيد الله بن عبد الله به فقال :

ما رات مثل مهرجانك عينا
اردشير ولا انو شروان

مهرجان كانما صورته
كيف شامت مخبرات الاماني

اما الحركة الادبية فقد حصل فيها تبادل تام
بين الامتين : ولكن هذه الصلة وهذا التبادل يقل
ظهورهما في الجاهلية ، الا ما ذكرنا من الفاظ ومور.
واذا بقي الشعر الجاهلي الى اليوم واستطعنا تمييز
ما اقتبسوه من الفرس ، فان الادب الفارسي ضاع
قبل الاسلام ، فلم نعد نعرف بماذا تأثر العرب
وبماذا اثر العرب .

على اننا عندما نقول الادب الفارسي فانما نعني
الادب الذي يظهر بعد الاسلام ، وبعد ان ترعرع ونشأ
في حقل الادب العربي ، وبعد ان غدته اللغة العربية
والثقافة الاسلامية بجملها وتراكيبها وامثالها
واساليبها وبلاغتها .

واذا طالعنا كتبهم الادبية وجدناها زاخرة
بالافاصيص العربية والحكايات الشهيرة كحكايات
حاتم الطائي ولقمان الحكيم وقيس وليلى . ومن اهم
هذه الكتب : كلستان . بوستان . منطق الطير .
قابوسنامه . كما انهم اقتبسوا من القروان
والحديث وقصائد الشعراء المشهورين كالمثنوي
والمرعي ، وكذلك تأثروا بالمقامات . والفوا على منوالها
في القرن السادس الهجري . على انهم اذا بدأوا
مقلدين لمذاهب واغراض الادب والشعر فانهم مسا
لبثوا ان تخطوا مراحل تجديدية ومبتكرة لدرجة
انروا فيها بالادب العربي والهندي والتركي .

اما الادب العربي فقد تأثر بدوره بالادب
الفارسي وثقافته ، ذلك ان كثيرا ممن دخلوا في
الاسلام اضطروا الى تعلم اللغة العربية ، وسرمان
ما ظهر منهم ومن نسلهم كتاب وشعراء بالعربية
في حين ان نطقهم للحروف العربية لم يكن سليما
- في بادئ الامر - ومن اقدم هؤلاء : زياد الاعجم ،
اسماعيل بن يسار النسائي . ابو العباس الاعمى .
موسى شهوات . فهؤلاء وغيرهم نشأوا نشأة فارسية ،
وتأدبوا بالادب الفارسية ثم صاغوا ادبهم بالقالب
العربي فاحكموا التقليد اذ ان الفاظهم عربية وتراكيبهم
عربية واوزانهم عربية ، وكان الخيال الفارسي ،
والروح الفارسية ، والمعاني الفارسية بادية في
شعرهم العربي الذي يصوغونه .

وعندما كان الشاعر الفارسي يفخر بقومه على
العرب ، كان يستوحى من تراث اجداده ما يقدر
ويتخيل ما كانوا فيعرضه بشكل تفاخر ، كقول
اسماعيل :

رب خال متوج لي وعسم
ما جد مجتدى كريم النصاب

انما سمي الفوارس بالفرس
س ، مضاهاة رفعة الانساب

فاتركي الفخر يا امام علينا
واتركي الجور وانطقي بالصواب

وانسالي - ان جهلت - عنا وعنكم
كيف كنا في سالف الاحقاب

اذ نربي بنائبنا وتدسو
ن سفاها بناتكم في التراب

وكان اشعب في السامعين ، فقال له : صدقت
والله ، اراد العرب بنائبهم لغير ما اردتموهن له . قال

اسماعيل : وما ذلك ؟ . قال اشعب : دفن العرب بناتهم خوفا من العار ، وريثموهن لتكهنهن ، (ويقصد انهم كانوا يتزوجون بناتهم) . فضحك القوم واخلج اسماعيل .

ومع قلة ما وصلنا ، فقد استفاد من ذلك الادب قداماؤنا فكثيرا ما يقول ابن قتيبة في عيون الاخبار : وفي كتب المعجم كذا ، وقرأت كتاب ابرويز الى ابنه شيرويه . وكثيرا ما ينقل صاحب التاج اشياء من اخلاق مالوك الفرس وادابهم وكتبهم .

كما ان كثيرا من الشعراء والادباء من العرب كانوا ينزلون فارس او العراق ، ويخالطون اهلها ، ويرون مدنيته ، ويكون لذلك اثر في ادبهم وفي شعرهم . فقد نزل الطرماح وابو النجم التراجيز وجريز والفردق العراق ، وابو تمام والتميمي فارس . وقد كان الفرس شديدتي الامجاء بالشعر العربي فكانوا يتوخون محاكاة في كل اشكاله واغراضه .

فال موضوعات التي نظموا فيها ، بعضها تابع لموضوعات العرب كالمديح والفخر والهجاء والغزل والثناء والوصف والحكمة ، وتفوقوا في موضوعات الحماسة والقصص ووصف الطبيعة . وقد قلدوا العرب في وصف الاطلال مع انه عربي خالص كالشاعر متوجهمري في القرن الخامس الهجري وهو اول من قلد الاطلال . كما قلدهم في بكاء الديار والاناتر كما فعل خاقاني في وصف ابوان كسرى الذي سبقه البحرني بقرون في وصفه . وكذا بكى حميد الدين البخلي مدينة بلخ عندما خربها الفرس سنة 548 هـ . كما انهم غالوا في الموضوعات الشعرية التي اخذوها من العرب كالمديح والخمرة والغزل . وبرهوا في الشعر القصصي ، وتجلت براعتهم في نظر الفردوسي للشاهنامة التي يزيد عدد ابياتها على خمس وخمسين الفا من الابيات على بحر واحد هو المتقارب . ثم هناك يوسف وزليخا ، خسرو وشيرين ، ليلي والمجنون .

والتصوف من الموضوعات التي تآثر العرب بها واهم الشعراء المتصوفين الفرس جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي . اما الاوزان والقوافي فقد نشأ العروض الفارسي في احضان العروض العربي وفي دوائره وبحوره واصطلاحاته وقوافيه . الا ان الفرس آثروا بعض الاوزان العربية لانها اكثر طواعية لآلتهم واقرب الى انطباعهم ، واصلوا ثلاثة ابحر وهجروا بعضها ، واكثروا من المتنوي أي الشعر

مزدوج القافية بين الشطرين . كما اخترعوا الرباعيات ونظموا بها قبل الخيام وقبل العرب . وخالفوا الموشحات العربية بموشحات سموها ترجيع بند منذ اوائل القرن الخامس الهجري .

ومن الشعراء العرب الذين تأثروا بالصور الفارسية : الكمي . العتابي . الفردق . البحرني . ابو تمام . المتنبي . المعري . وتورد بعض الكتب الادبية قطعاً وابياناً تشير الى انها مقتبسة عن الشعر الفارسي كالبيان والتبيين للجاحظ ، وبتيمة الدهر لابن قتيبة ودمية القصر للباخري . على ان المجال الضيق لا يسمح لنا باستعراض نماذج من ذلك . ونذكر ان ابا نواس له قصائد فارسية لا يعرفها الادباء العرب ، سميناها (فارسيات ابي نواس) .

وما يقال عن الادب والشعر والعروض يقال عن البلاغة ، فقد كانت قواعد الاسلوب الادبي الفارسي مطابقة تماماً لقواعد الاسلوب العربي من حيث اليجاز والاطناب والتشبيهات والاستعارات . كما ظهر نوع من الشعراء زادوا من التبادل الثقافي ، لانهم نظموا باللغتين فسما (ذوي اللسانين) .

ويحسن ان اتوقف لحظات عند الخمرة والغزل المكشوف قبل ان اختتم الموضوعات الشعرية . فالخمرة كانت معروفة في الجاهلية ، تاجروا بها ، وشربوها ، وحرّمها القرءان ، ووصفها الشعراء . وازدادت مع الزمان حتى بلغت اوجها في الاتساع والجرأة في العصر العباسي . وعلى هذا فالشعراء العرب الذين وصفوا الخمرة لم يقتبسوا عن الشعراء الفرس لسبب بسيط هو ان ميلاد الشعر الفارسي لم يبدأ قبل اواخر القرن الثالث الهجري ، ونعلم ان الاخطل وشارا وابا نواس ومن لف لفهم عاشوا وماتوا قبل ذلك بكثير . ولكننا نقول ان الترف الذي عرفه العرب عند تماسهم بالفرس فسح الطريق لمثل هذا اللهو اكثر .

والغزل المكشوف كان معروفا كذلك عند امريء القيس والنايفة والاعشى منذ الجاهلية ، وعند الاخطل وعمر والوليد وغيرهم في العصر الاموي . ويزداد الغزل المكشوف حرية حتى يبلغ العصر العباسي عند بشار وابي نواس واسماعيل بن يسار وغيرهم . ولم يتأثر الشعراء العرب بالغزل الفارسي للسبب الذي ذكرناه في الخمرة ، ولكنهم تأثروا بالحضارة الفارسية التي زادت من جهة هذه الجرأة في الكشف . اما الغزل الغلامي فالجاهلية لم تعرفه

ولا القرن الاول ، ولكن جاء به الترف والحضارة الجديدة وكثرة الفلمن والسقا . على ان الفرس ليس عندهم ضمير خاص بال مؤنث وضمير خاص بالذكر ، فالضمير لكليهما واحد ، وكذا الامر في المخاطب والمخاطبة واسم الإشارة ، لذا فاذا نادى الفارسي لم يعرف السامع هل النادى مذكر ام مؤنث ، على ان هذا ليس دفاعا عن الفرس فهذا هو الواقع ، كما ان الفرس لم يقولوا الشعر قبل رواج الفزل الفلامي ، وبعدئذ برعوا فيه ، انما الحضارة وكثرة الفلمن والترف هي التي ساقطت الشاعر والحياة الى هذا اللون من الفزل . وجدير بالملاحظة ان العرب في الطرف الغربي من الامبراطورية العربية لم يفعلوا فعل الشرقيين في الفزل المكشوف والفزل الفلامي .

وما يقال عن كل ما مضى من تبادل في التأثير والتأثير نقوله من القصص والحكايات ، فقد تأثرنا بأساطيرهم وحكاياتهم وتأثرنا بهم في حكاياتنا وقصص قراءنا . وكذا استفاد الفرس من الامثلة العربية ، كما استفاد العرب من الامثال الفارسية .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثيرا في الامم وفي ادابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي المجوسية ، والمناوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلفهم بها وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من عناصر الطبيعة التي عبدها الفرس والشرق ، وبدا كل ذلك في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار الشعراء بعد الاسلام كبشار والمري والمتنبى وابي تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، عند كلامه على اديان العرب في الجاهلية : « وكانت النصرانية في ربيعة وغسان ، وبعض قضاة . وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم ، وكانت الزندقة في قريش . اخذوها من الحيرة » . وقد رفض المنذر الثالث اعتناق المزدكية فعزله قباز وعين مكانه الحارث ابن عمرو امير كندة بعد ان اعتنق المزدكية .

وقد تأثر الاسلام بالزردشتية كما يقول احمد امين بعقيدة العامة من المسلمين في بعض الامور ، كما تأثرت المعتزلة بمسألة الجبر والاختيار . ومن الجدير بالذكر ان الاعاجم عندما دخلوا الاسلام كانوا على دين خاص ورثوه من اجدادهم ، ولم تمنح من مخيلتهم ملامح دينهم القديم فاضافوها على ما يتعلمونه من الدين الاسلامي .

ووجود الزندقة ، وبقايا المجوسية خلق حركة فكرية ومعركة ادبية جديدة ممثلة في مدارس علماء الكلام واهمهم المعتزلة . وقد الفوا الكتب ضد هؤلاء الزنادقة ، ونظم الشعراء القصائد في الرد عليهم او مشاركتهم آراءهم . ومن اهم من الف في هذا المضمار واصل بن عطاء في كتابه (الالف مسالة) للرد على المناوية . والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) .

ورغم كل ذلك فقد ازال العرب من ارض فارس تلك الديانات التي وزعتهم لفرقا ، وشتمتهم موقبا ، فجمعتهم تحت راية التوحيد ، الطاهرة ، وحررتهم من النظم الاجتماعية والطبقة الفاسدة .

وقد تبع هذه الحركة الفكرية ، حركة ادبية قريبة الشبه منها وفي مسالة تفاخر الموالي على العرب ، ورد العرب مزاعم الموالي الشعبيين . ومهما كانت النتائج ونوعية الخصام فقد نتج من ذلك تبادل ثقافي تام الاركان فيه التاريخ والفلسفة ، وفيه الشعر والنثر ، وفيه التأليف الواسعة ، والاطلاع على الفلسفة . ومهما غشت هذه الحركة من مزاعم بشوبها الخطا ، فان نتيجتها الادبية والفكرية الجديدة واقعة على الاديان العربي والفارسي على السواء .

ولقد كانت حركة المناواة شديدة في العصر الاموي ، وتضعف الحدة ويتسع نطاقها الادبي كلما دنونا من العصر العباسي او خطونا فيه . ولقد شرقت قصور الخلفاء العباسيين بالموالي رجالا ونساء وغلمانا وفصحت الجيوش بهم .

واذا كان الموالي يتخوفون من الرد على الشعراء العرب في العصر الاموي فانهم لم يتورعوا عن التفاخر بجودهم امام خلفاء العصر العباسي ، وها هو الشاعر المتوكلي ، شاعر المتوكل ونديبه يقول :

انا ابن المكارم من نسل جم
وحائز ارب ملك العجم

ومحيي الذي باد من مزهم
وعفى عليه طول القدم

الى ان يقول :

نعود الى ارضكم بالحجاز
لاكل الضباب ورعي الغنم

وقد امتدت حركة الشعوبية الى ارض الاندلس
بلون دأخر ، فقد ألف ابن غرسية رسالة في التهجم
على العرب ، فرد عليه عدد من الادباء منهم : يحيى
ابن مسعدة وابو جعفر احمد البلسني .

كما ان الموالي ناهضوا افكارهم بخلفيق احاديث
مكدوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) .
من ذلك : لا تسبوا فارسيا ، فما سبه احد الا انتقم
منه عاجلا او آجلا . كذلك اخترع العرب احاديث
ترفع من قيمة العرب وتحط بالمعجم ، من ذلك :
" من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ، ولم تله
مودتي " . على ان هذه الحركة لم تنفع التبادل
الثقافي ولم تنفع الحركات الادبية بل ضررها . كما ان
انتصار الموالي للرواة الفرس كابي عبيدة ، وانتصار
العرب للرواة العرب كالاصمعي لم يات بالنفع بل
ابى بالضرر . ومن اجمل الردود على مزاعمهم
الشعوبية قول المتنبي :

وانما الناس بالملوك وما
تفلح عرب ملوكها معجم

لا ادب عندهم ولا حسب
ولا مهود لهم ولا ذمم

اما الحكم والامثال : فالانسان مع انه يفضي
عينيه اذا سمع حكمة فانه ينصت اليها ويميل الى
الاستفادة منها والاستشهاد بها . ولقد كان للفرس
اثر كبير في الاخلاق السامية والاداب من ناحية
حكمهم . ذلك ان الاخلاق الاسلامية تأثرت بثلاثة
مؤثرات :

1 - بالتعاليم الدينية التي وردت في القرمان
والانجيل ، ومن الانجيل والتوراة .

2 - بالفلسفة اليونانية التي نقلت في العصر
العباسي .

3 - وثالثاً بحكم واقاسيم الفرس او ما نقل
بواسطةهم من الهندية ، بما نقل عن الملوك والوزراء
ورجال الاديان الفارسية ووعاظهم . وقد ملئت كتب
الادب بها ، ومن اهم الكتب التي ملئت بامثال هذه
الحكم ، هيون الاخبار ، سراج الملوك ، وكتب الجاحظ
وابي حيان . المقد الفريد .

ومن جملة الامثال الفارسية التي عرفها العرب
واستخدموها :

- اذا جاء البعير حام حول البير .

فاني ساعلو سريرو الملوك
بعد الحسام وحرف القلم

ويتهجم ابو نواس على العرب بوسيلة اخرى ،
هي تهكمه الكثير بطريقة العرب في التقديم لقصائدهم
بالفزل وبكاه الاطلال ، ودعوته الملحة الى بدء القصائد
بالخمريات . ولا يمكننا - كمرب - ان نعتبره تجديدا
في الادب لان ابا نواس احاط برغبته هذه بالسخرية
والوضع من قواعد الشعر العربية ، وقد كان
يستطيع ان يجدد بغير تندر ، كما في قوله :

عاج الشقي على دار يسائلها
وعجبت اسأل من خمارة البلد

دع ذا ، هدمتك ، واشربها معتقة
صفراء تمتق بين الماء والزبد

كم بين من يشترى خمرا يلد بها
وبين بالك على نوى ومتنفسد

اما التجديد الحق ، فهو الذي قام به المتنبي ،
حينما عجب من الشعراء المتكلفين للحب ، اذا افتتحوا
مدائحهم بالفزل ، فقال صادقا :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم
اكل فصيح قال شعرا متيم ؟

لحب ابن عبد الله اولى فانه
به يبدأ الذكر الجميل ويختتم

على ان الامر لم يقف في هذه المعركة على الشعر
بل انبرى الطرفان بتأليف كتب في هذا المضمار .
فمن الكتب التي ألفت انتصارا للشعوبيين من الموالي :

- فضل المعجم على العرب وانتصار المعجم من
العرب . تأليف : سعيد بن حميد البختكان .

- ادعياء العرب . لصوص العرب . فضائل
الفرس . تأليف : ابي عبيدة معمر ابن المنذر .

- المثالب . تأليف : علان الفارسي . المثالب
الكبير والمثالب الصغير . تأليف : الهيثم بن عدي .

ومن الخير للطرفين ان هذه الكتب فقدت ،
ولم يبق بين ايدينا الا الاسم ، والا النور القليل
منتشرة في كتب الادب وهيون اخبارها . ومن اهم
الكتب التي ردت على مزاعمهم :

- العرب - لابن قتيبة . البيان والتبيين
للجاحظ .

- سالوا الشاب اين شاهدك ؟ قال : ذنبي .
- احذروا صولة الكرم اذا جاع ، واللثيم اذا
شبع .

- اذا اردت ان يقبل قولك فصصح رأيك ولا
تشوبه بشيء من الهوى . فان الراي الصحيح يقبله
منك العدو ، والهوى يرده عنك الولد والصديق .

- اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ، ولا
تشغل طرفك عنه بنظرة الى غيره ، ولا اطرافك بعمل
ولا قلبك بحديث نفسي .

- استع الحياء كله من ان تخبر صاحبك انك
عالم وانه جاهل ، مصرحا او مبرضا . الى غير ذلك
مما تزخر به كتب الادب والحكم .

على ان الفرس اخذوا حكمهم كذلك من القروان
والحديث ومن حكم حاتم ولقمان والمنتبى والمصري
وغيرهم واستفادوا منها بعد الاسلام .

ومن اهم الامور التى ادخلت العربية فى
الفارسية ، والفارسية فى العربية التصرف ،
والجوارى خاصة من اسباب الترف . فلقد ادخل
نظام التسري الى الاسر العربية عادات وتقاليد
والوانا من الامور الاجتماعية ، وفنوننا وموسيقا ما
كانت معروفة عندهم انما جاء بها هؤلاء الجوارى من
بلادهم .

ولقد كان العربى يشتري القينة لفن تجيده ،
والشعراء كان عندهم قينات ، واغرموا بهن ومرفوا
منهن اسماء الآلات الموسيقية والازهار ورقة الفناء
والوان الطعام . كان كل ذلك يتابع للشعراء على
تأوين شعرهم وتطعيمه باوصاف وتشبيهات لم تكن

عربية . واذا استهجن الامويون ابناء الاماء فان الملب
امهات الخلفاء العباسيين كن اماء وقينات فارسيات
وغير فارسيات .

وختما لحديثي ، انه لمن الخطا والفلو - كما
يقول احمد امين - ان نعتبر ان العرب كانوا بمعزل
مما حولهم من الثقافات والاديان ، وان آراءهم
وادابهم وعلومهم نبتت وحدها من عقول عربية ، من
غير ان تغذى بغيرها .

فقد راينا انهم - حتى فى جاهليتهم - لم يكونوا
بمعزل ، وانهم كانوا بعد الاسلام اكثر اتصالا والتحاما
وعلاقة . ولا يقدح التبادل الثقافى اية امة ، فالعلم
ملك شائع ومرفق مباح يفترق منه الناس جميعا ،
وليس له حدود فاصلة كالتى ترسمها السياسات ،
وانما الذى يقدح فى الامة حقا ان تغمض عيونها ،
وتسد اذانها عما حولها من نظريات وافكار ، او ان
يدغمها التعصب الاعمى ان تنسب لنفسها ما ليس
عليها ، وتعزو اليها خلق ما لم تخلق ، وابتداع ما لم
تبتدع . كما على الامة ان تبحث عن تراثها ، ولا تتهاون
فيه ، وتحافظ عليه ، فهو الدخيرة الدسمة والمجد
الايل الذى عليها ان تبقى عليه .

ولشدة الارتباط الوثيق بين الادب العربى
والادب الفارسى الاسلامى فى العصر العباسى هذا
لزاما على دارسى الادب العربى من الفرس دراسة
الخطوط العريضة على الاقل للادب العربى ، واصبح
من الضرورى لفهم الادب العباسى العربى تفهم الثقافة
العربية التى كانت مفرقة من ارض الجزيرة العربية
شرقا وغربا ، او مستقاة من الامم المجاورة ودراسة
تطور الادب الفارسى لمعرفة الجديد فى ادبنا والجديد
فى ادبهم .

لغة البادية

الأستاذ عبدالله بن خميس
«الرياض»

هذه الصفات دلت بالامراء ، والرؤساء والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يمعنوا بابنائهم الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطى الشاب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضية ، وتكوننا متكاملًا غارها .. تعطيه قوة الشخصية ، واستحصاء الرأي ، ونفاذ الإرادة ، ومصادر الشجاعة والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة المارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، بينا وشجت عروقه ، وعلينا تدلت غصونه ، فنحن نجني منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما املولح وخبث ..

وقال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتع ، ولا ائفع ، ولا آتق ، في الاسماع ، ولا اقود للطباع ، ولا ائفق للسان ، ولا اجود تقويما للبيان .. من كلام الاعراب الفصحاء المعقلاء .

ووصلهم الحارث بن كعدة امام كسرى فقال : لهم انفس سخية ، وتلوب جرية ، وعقول صحيحة ، وانساب صريحة يبرق الكلام من افواههم — روق السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارق من الهواء يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، وهزهم لا يرام ، وجارهم لا يضام .. ووصف اهدم امرأة فقال : كاد الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

وأوجز اهدم تصيدة كاملة في جملة مقتضبة فقال : سبقنا الحي ، ونبيهم ادوية السقام ، فقران بالحق السلام ، وخرست الالسن من الكلام ..

البادية خلاف الحاضرة ، وجميعها بسوادي ، وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بسداوي ، بالفتح والكسر ، وبدوي أيضا .

وهي من بدا اذا نشأ ، أو اذا ظهر وبرز . وهو الارجح ، لبروز البادية في الليالي والقنار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يتبعون مساقط الفيت ، ويطلبون الكلا والمرمى لما شبتهم ، ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصل الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من المياه . والبادية هي اصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ، وسفر لغتهم المعتقد ، منها تكونت الحواضر ، واليها ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تفرمت الشعوب والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل ، وفي الاسلام — كما قال عمر — اصل العرب ومادة الاسلام . صريح اللغة ومصيحها مصدره البادية ، وعادات العرب الكريمة ، وتقاليدهم الاصيلة ، ومميزاتهم الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المتأويل والخطباء المصانيع ، والمتكلمون اللسن .. اعلامهم ومبرزوهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سحنهم ، ولم تئن السننهم ولم تفسد لهم صعدة ، ولم تفل لهم حد .. يتكلمون بالسليقة والقطرة ، منتفرون شفاهم من قول فصل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر من طبع ابي ، وخاطر ذكي ، ولسان ذرب طلق ..

في هذه البيئة المتأبئة ، واللغة الصريحة .. تربي سيد العرب عليه السلام ، وتربي اعلام الخلافة ، وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقته البادية ، واصلحت لسانه ، فكان لحنه ، وظل لحنه وصمة عار في تاريخه . قال ابوہ : اخر بالوليد حبنا له حيث لم نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد مقراً في خطبته : يا ليتها كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز : عليك وارا حنا الله منك .

وعن البادية اخذ علماء اللغة فصيحها ، ومتوتحها ، وتعلموا في اختيار الانصح ، والا بعد عن الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فعنوا عناية فائقة بما دونوه ، فاخلصوا لغة العرب في صيغها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخذشها شذوذ : ولم يداخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ، واسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاة ، وغسان ، وايد .. لجاورتهم اهل الشام . وكذلك تحاشوا لغة تغلب ، وبين الجزيرة ، وبكر ، وعبد القيس ، وازد عمان ، واهل اليمن ، وبني حنيفة ، وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولجاورة الآخرين للاباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، ونقل ، واختلاط بمشبهوي اللغة ..

فاخلصوها من ثلثة بهراء ، ومن طيطنانية حمير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ، ومخلفه هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، ومجمعة قضاة ، وشنشنة اليمن ووتها ، وعجرفة ضبة ..

ومن اخذ عن البادية ، ولقيهم في مراتبهم ومراتهم ، وسمع منهم : يونس بن حبيب الفسبي ، وخلف الاحمر ، والخليل بن احمد ، وابو زيد الانصاري ، والاصمعي ، وابو عبيدة ، والكساني .. وهؤلاء هم من اول من رحل الى البادية واخذ عنها ، وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء في القرن الاول يعتمدون الفطرة ، ويرجعون الى السليقة ، ويستأنسون بمن يلتقونه من الامراب ، ولما اوغل العلماء في التحقيق ، وثائقوا في الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية من البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الامراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا في سلامة لغته ، امتحنوه ، وربما وضعوا له تياسا غير صحيح ، او جمعا غير وارد ، او لفظا غير فصيح ، فان نطق به ، او اقره ، طرحوا لغته ، وان ثبت سليقته ذلك اخذوا عنه ..

قال الاصمعي : سمعت ابا عمرو يقول : ارتبت بفصاحة اعرابي ، فاردت امتحانه ، فقلت بيتا . والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسحب
صار لحم النسر والعقبان

فأفكر فيه ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى قالها مرات : فعملت ان فصاحته باقية ..

وقال ابن جني : سألت مرة الشجري - وهو اعرابي من عتيل ، كانوا يرجعون اليه في اللغة - ومعه ابن عم له ، كان دونه في الفصاحة ، وكان اسمه غصنا - فقلت لهما : كيف تحترقان حمراء ؟ فقالا : حمراء ، وواليت من ذلك احمرنا وهما يجنيان بالصواب ، ثم دسست في ذلك طلباء ، فقال غصن : علياء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء : تراجع كالدعور ، ثم قال : آه عليبي ..

وقال في موضع آخر : سألته يوما - يعني الشجري - : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت : فسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان ؟ قال : ايش عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثمانين ؟ قال : ايش عثمان ؟ ارايت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ؟

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على غير مهيج حرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ، والقول الفصل .. في كل ما تكلمت به امة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام برميل ممتاز من الشمرات المتأويل ، وبصفوة من الخطباء المصانق ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما تعيظ به ترائع القوم ، وما تتدفق به خواطرهم .. كانت تلك البيضة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ، وترشيحا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة .. فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غاية في الابداع ، ونموذجا حيا في تاريخ اللسان العربي .. والا لما وقعت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المتأويل ، موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكائهم الفطري واستعدادهم الذهني .. قوم استماع ولهم محاسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا في تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لغته ..

سال مير بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التقمص . قال مير : هل تجد له شاهدا من لغة قومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرجل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السلن

وكان ابن عباس - وهو حبر الامة ، وترجمسان القرآن - يقول : الشعر ديوان العرب : ماذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة العرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتبسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثم يكتنفه الناس ، يسألونه عن التفسير ، وثبته من كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما سألته عنه نافع بن الازرق .

وتابى سليقة الاعراب ان تقبل ما خرج عن معاييسها الفطرية ، او تفهم ما جاني لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل اعرابي على الوليد بن عبد الملك - وقد اسلفنا انه لحن - وكان عنده مير بن عبد العزيز ، فقال الوليد للاعرابي : من انت بوصل الهمة ؟ فظن الاعرابي انه يقول : مننت فقال : المنة لله ولا مبر المؤمنين . فقال مير بن عبد العزيز : ان امير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شأنك وفتح النون ؟ قال جدري في وجهي ، ولمحج بساتي . فقال مير بن عبد العزيز : وبك ان امير المؤمنين يقول : ما شأنك وضم النون ؟ قال ظلمني خنتي . قال الوليد : ومن خنتك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا امير المؤمنين حجام مئندنا بالبادية قال مير : ان امير المؤمنين يقول لك : من خنتك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا ندرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعناها الاصيل ، وهي المرجع فيها اخطف فيه ، حتى في الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات ، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لغتها من انتكاسات ، وعلق بها من اوزار ، وداخلها من محبة .. مما جعل المول في حفظها ، وبقائها .. على القرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تمترز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبياناتها الجميل .. غلي هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. تباثل ثابت لغتها على الواكز واللاكز ، وانفتت من اللغسة الحضرية اللينة الملوحة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة ، ولا تواكب لغة امرئ القيس ، والناطقة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل في الحسبان اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء فهم قبيلة لهجة اخرى في بعض الاستعمالات والمسميات . ومعلوم ان لغة القرآن حصرت في لسان قريش .. كما نجعل في الحسبان ايضا ما هنالك من تسهيل في الهمز ، وتسكين لواخر الحروف ، وادغام لبعضها في بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يلقى فيه نطق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون .. ظنهم يرتضفون عجمة موهلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتقدم حقيقة النطق .. تكشفت له حقائق ما كان يظنها باقية في قومه .. وبرز ما يكون هذا في بلاد عسير ، وسراة تحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجد ..

في احدى زياراتي لتلك المناطق ، كنت يوما جالسا في مكان احد الاخوة في مدينة ابها ، فدخل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الغامق ، ويلف اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا من جنبه ، برداء سهك اغيث ، يشد وسطه على خنجر مغرطة الطول ، بحزام من الادم - هذا الرجل قصير اسمر ، نحيف ، هاري الاشاجع ، تتوقد عيناه ، وتريغان نظرها هنا وهناك ، مكشوف الرأس ، من لمة منسحلة على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا في جوانبها طاقات من اقصان البمشران والشيخ .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فمبه صاحب الدكان وأنا لم امهمه .. ولما قضى حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، ومطرقة ، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فمأخذ يسأله من قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيتته ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة .. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة ،

ويسمون المنجل : مخلصا

ويسمون البندقتية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الأخرى ، عن أختها .. غير أنها تلتقي في صميم اللغة ومصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتلقى أهلها على نقد ما تاباه اللغة وتكرهه .. ادخل أحد الحضريين أنه في حديث في الإبل ، بحضرة رجل كبير في بلادنا ، نجاء هذا الواغل بمفرد للإبل ، فقال : ما راينا ولا (بلة) واحدة ، فكانت مثار سخرية ، وهمز وهمز ، واستهجان وممـسـروف أن الإبل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : إبل واحدة للمجموعة الواحدة من الإبل ، وفي المجموعتين من الإبل يقال : فلان يملك إبلىن . ويقولون إذا تجاوزت الإبلين : فلان يملك ثلاث رعايا ، أو ثلاث مصي ، فيكنى بالمعصا عن الإبل . وهكذا .

واسماء أعضاء الناقة ، وأجزاء جسمها ، تختلف عن أسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرها ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. فإذا أعطى حضري ، أو مستعرب ، اسما أو صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني ، فقد استهدف للنقد ، وتعرض للسخرية والهزاء .

ونجد أن من يعيش في أحضان البادية من الحاضرة ، أو يكثر الاحتكاك بالأمراب ، أو يعيش في قرى أو مواضع تربها البادية .. نجد لفته تتسم بالفعولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ أقدم العصور ، تغنى به وغمر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب ، وولج شتى الأبواب .. ولم يزل كذلك لما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعتزف لهم بسلامة اللغة وأصالة المنطق ؟

رغم أن شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعبيا ، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر غارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على ألف سنة ، ولكنه ينزع إلى أصله ، ويمت إليه .. تفرؤه على أنه شعر شعبي ، ويقروؤه الكل كذلك ، ولكن إذا وقعت عنده وثقة المدارس ، وأردت أن تواسج بينه وبين الفصح ، وجدته يعود إليه ، ويعمل في أوزانه ، وروبه وقوائمه ، عليه ، ويلتقي معه في أغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجمال ، ودفقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتعجب ..

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وتترك المهز في بعضها ، لم يفتني من عربيته الأصيلة شيء ..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة . ومعلوم أنها ربيعة اليمن لا ربيعة أخت مضر .

أما بادية نجد ، فهم صميم القبائل التحطانية ، والعدنانية . تحطان ، والدواسر ، وسبيع والمجبان ، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهمول ، وعتيبة ، ومطير ، وشمر ، وحرب ، وعنزة ، والقرينية .. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من اليسير على العارف أن يلتقي فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من أيلة القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك أنه من القبيلة الفلانية ..

فمثلا قبيلة شمر : تشير إلى شيء من لهجتها : هي تقلب الهزة (شيء) إلى نون ، فنقول : ما رأيت شيئا ، وما وجد شيئا ، وما حظيت بشيء .

وهي أيضا تستعمل لفظ (دهج) بمعنى مر ، أو ألم ، تقول : دهجت المنهل الللاني : يعني مررت به ، أو الممت به .

وتستعمل (نهج) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب أو سافر ، أو راح .. كما أن لهجتهم على مذهب القائل :

أيها السائل عنهم وهنسي
لست من قيس ولا قيس مني

فهم يحذفون نون الوقاية ، من (هن) و (من) الشاذ حذفها فيهما لغة ، إذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون لمقط . وهل سأل عني بكسر النون لمقط وهكذا ..

وهم أيضا يقلبون الهزة من (ماء) نونا فيقولون : مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير يضمونها ، فيقولون : ما به مان : أي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريا ، وهذه موازنة للغة القرآن .

ويسمون السنبيل : سبلا

وليه أيضا :

علي من قديم العمر نفس عزيزة
أضى على عصيانها بالنواجذ

منذ نعومة أظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ،
ولا ترغى بالهون ، وإذا راودتني عصيتي ، وعضت
على عصيانها نواجذي ، فهي عزيزة أبدا ..

وتوليه :

مقام الفتى في منصب العز ساعة
ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتمني تبلغ النفس حظها
ولا بالتأني فاز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن إلا ساعة
واحدة ولو هاش ألف عام ، وهو في ذل ، فليست
حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورغى
التمني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات ..
فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتمس من غرط في
الفرص وأضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

تأبى من الطمع الزهيد نفوسنا
ومروجنا تأبى من الفحشاء

نفوسنا ابية لا تقودها المطامع الى ذلّة ،
ومروجنا عفة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصلوات
صلواتهم .

وقال بركات الشريف :

نلا تعد تعدلاني لاني من وقولي بريهما
لمن قبلكم خالفت بالنصح عذالي

اروم الامور العاليات بهمة
ويمعني خذلان قومي واتلالى

وجزت مجاج الارض شرقا ومغربا
على كل عيص تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بعد اجتهداه
ولا يدفع القدور حيلات محتال

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع ..
يجده ذلك الشعر الفصيح بمينه ، بل يمتاز عليه شعر
البادية اليوم ، او الشعر الشعبي ، بانطلاقه من
بيئة عربي اليوم ، ومجتمعه ، وحمله طبع العربي ،
وصفته كما خلقه الله ، من غير تحمل ، ولا تحمل ،
حيث ينطلق من الغباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة ،
والقرية ، والمسكر . الخ .. اما شعرنا الفصيح اليوم ،
فهو ابن المدرسة ، او المدينة المترفة ، او المجتمع
المتحضر ..

تعالوا نستقريء طاقة من شعر البادية ، ونظمس
خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ما جد القباني :

لما الناس الا من تراب معادن
وما طب من تلك المعادن طابا

بيت من قصيدة شعبية طويلة ، قالها امراي في شملته
انطلق منها من سجيته ، وقرأها كما يقرأها غير من
رواة الشعر الشعبي ، ومريديه ، بلغة عامية دارجة ..
ولكن حينما تمود بهذا البيت الى اصله ، بصفتك دارسا
للشعر الفصيح ، ومنذوقا له ، الست تجد بيتا موزونا
متقنا ، سليم اللغة بكر السبل يرمز الى حكمة نبوية
كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ .

ثم انرا للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شقا لو نديبه
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دابا لو دأبناه على
ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على
لغة من لا يهز ، وقلب الهزة ياء ، كما هو شأن
الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله فوتهها
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما تويت فهناك يد اقوى منها ، هي يد
الله ، وكل غالب قاهر ، فله اقوى منه ، وقادر على
قهره ودمره .

الى ان قال مادحنا :

فتى لا يرى الاموال الا ودائعا
لديه سوى سيف ورمح وسربال
وعدة بولاد ولدن من القنسا
وصلرا علنداة من الخيل مصهال

الستم معي في ان هذا الشعر الى جانب كونه
محبيا فصيحاً ، فهو يحمل صورة حية من الجمال ،
ولفتات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانه
بهذا يمثل الشعر العربي الناصح ، رغم انه قيل
بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟ !

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نثرها وشعرها ،
تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الاعراب ، وتشف من
طبائعهم الكريمة ، وأخلاقيهم المثلى ، وتنبيه عن الآصرة
التي تربطها بالصحى ..

لنا اذا لغة في بطون الاسفار ، نجتزها ، ونرجع
اليها ، ونصدر عنها .. تلتقي أخرى توارثتها السنة
الاجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها
السليقة ، ومنطقها الطبع ، وحارسها الغيرة ..

وعلى الغياري من علماء هذه الامة وأدبائها في
هذا الجيل مسؤولية حملها ايهم اسلافهم البررة
الافياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبة
وربية ، ولم يزلوا قوامين عليها ، غيرا على حماها..
يلقون ما يחדش لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلون ما
يأنفونه بالرد الموجه ، ويلاحقون الواغل الدخيل ،
كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت اليها ..

فما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، في عصر
العلوم ، والفنون ، والمخترعات . وعصر تواشج
الامم ، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة —
تقليد الاضعف للاقوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه
التيارات ، وتنقصها من اطرافها ، وتنازعها البقاء ..
تريد منا غيرة ولا كفيرتنا على التراب ، والكبان ،
والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية — وقد علمنا مكانتها من
لغتنا وقومنا — ان نتخذ الوسائل الكفيلة برعايتها ،
وحمايتها وجعلها منطلقا لحياء لغة الضاد ، سليقة
وطبعا ، في السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو
ما كان اسلافنا يعملون ، في الاستفادة من لغة البادية ،
وطبعمها ، وخشونتها ، ورجولتها ...
واننا ان شاء الله لمفاعلون .

الصِّراع بين الفصحى والعامية

أو أثر الازدواج اللغوي في أسلوب يوسف السباعي

الدكتور زكي عبد الملك

أستاذ الأدب العربي والعلوم اللغوية
جامعة يوتا (الولايات المتحدة)

واللغة الفصحى مشتركة بين العرب أينما وجدوا فالمغربي يقرأ ما يكتب في مصر فيفهمه ، والمصري يقرأ ما يكتب في المغرب فيفهمه . أما اللهجات العامية فتختلف باختلاف المناطق ، واستخدامها في كتابة الأدب يحول بين الأدباء في كل منطقة وبين القراء في المناطق الأخرى .

بقيت حجة أعرب عنها الدكتور محمد مندور حين زعم أن العامية الدارجة تفيق عادة بالتعبير عن أعمق المشاعر وأدق المعاني « بحكم أنها لا تزال مقصورة على حياة الأميين الذين لا يستعملونها إلا في التعبير عن حاجات حياتهم الضيقة في تنوع المشاعر ودقة التمييز بينها ، فضلا عن عمق الخطأ أو أصالته » (3) .

ولما ظهرت القصة الحديثة في الأدب العربي ونشأ فن المسرح العربي الحديث ، أخذ بعض الأدباء يتبرمون باضطرابهم إلى انطاق الشخصيات القصصية والمسرحية باللغة الفصحى . وتساءل أولئك الأدباء : أفليس عجيبا أن يجري الحوار بلغة فصيحة متينة السبك بين أشخاص لم يصيبوا من الثقافة كثيرا ولا قليلا ؟ اليس ذلك مما يفسد القصة والمسرحية وبنائهما ؟

في العالم العربي ازدواج لغوي قوامه اللغة الفصحى واللهجات العامية الدارجة . فأما اللغة الفصحى فتستخدم في أكثر الأغراض الكتابية كما تستخدم في أكثر الأحاديث التي يلقب عليها الطابع الرسمي . وأما اللهجات العامية فيستخدمها الناس في غير تكلف لتضاه حاجاتهم العادية . والأغلبية الساحقة من المثقفين في البلاد العربية يرون أن اللهجات العامية لا تصلح للتمثيل الأدبي ، ولهم في ذلك حجج يجدر بنا أن نعرض لها في أيجاز :

وأهم تلك الحجج أن اللغة الفصحى لغة القروان وعلى معرفتها يتوقف فهم القروان . لذلك تحمل علماء اللغة فيما مضى ألوانا من المشقة وضروبا من العناء في شرح قوامها (1) ، ولذلك يأبى العرب اليوم أن يستبدلوا بها اللهجات العامية في كتابة الأدب فيقصوها من حياتهم أقصاء لا ندرى أتمود بعده أم لا تعود .

ثم إن اللغة الفصحى تعتبر عند العرب أرقى من اللهجات العامية وأعلى ، وإتقانها دليل مندهم على الثقافة العالية والدوق الرفيع . ليس فريبا إذن أن يرد طه حسين جهل فريق من الشعراء بالفصحى إلى الكسل والتقصير والتصور (2) .

- (1) « المقدمة » للعلامة ابن خلدون (القاهرة : مطبعة التقدم) ، الجزء الأول ، ص 455 .
- (2) « حديث الأربعماء » لطه حسين (القاهرة : دار المعارف ، 1957) ، الجزء الثالث ، ص 200 - 201 .
- (3) « المسرح النثري » للدكتور محمد مندور (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، 1959) ، ص 81 .

بهما عن الواقع الذي تجتهدان في تصويره ؟ ومع ذلك ظل أكثر الأدباء والنقاد يرون **اللغة الفصحى غير أداة للتعبير في المسرحية والقصة ، ويقاومون استبدال العامية بها ؛** فالدكتور محمد مندور مثلا لا يتردد في رفض الدعوة الى استخدام العامية في المسرحية ، وهو يعمل رفضه على النحو التالي :

« كل مسرحية انما هي حكاية حال ... ولا يمكن أن تكون حكاية لسان ، فالمؤلف لا ينطق لسان مقال شخصياته الروائية بل ينطق لسان حالهم ، والواقعية ليست في اللغة وانما في التصوير النفسي للشخصيات ومدى مطابقة هذا التصوير لواقع الحياة الظاهر منها والخفي ، والذي تستطيع الشخصيات التعبير عنه أو لا تستطيع . والذي يحدث فعلا هو ان المؤلف يمبر بلفته هو ولسانه ، وكل ما يطلب منه هو ان يأتي تعبيره صادق التصوير لواقع شخصياته . وسبب في ذلك - من الناحية الفنية - أن يستخدم لغة عربية فصحة أو عامية أو أية لغة أخرى » (4) .

والاديب المصري يوسف السباعي ممن يرون أن للعامية في القصة والمسرحية دورا يجب أن تؤديه . وقد عرضه ذلك لنقد عنيف رد عليه أكثر من مرة ثم تظاهر بالامراض عنه ، ولكنه تأثر به ما في ذلك شك ، فقد مر أسلوبه القصصي بمراحل ثلاث : كان في المرحلة الاولى أسلوبا جزلا فصحا يكثر فيه الاستشهاد بالشعر ويوشك أن يبرا من العامية . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب «اطياف» (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1947) ، فانت تقرا فيه الصفحة تلو الصفحة فلا تجد من العامية (5) إلا ألفاظا قلائل متفرقة ، يدل عليها المؤلف ويميزها من بقية الالفاظ كأنه يعتدل منها الى القارىء : (6)

اني لم أرك منذ كنت تصطاد السمك على شاطئ الترمه « بالبنطلون القصير »

ما زالت ذاكرتك قوية « يا عم محمد »

سأجهز لك « سنارة » لصيد السمك .

(4) المرجع السابق ، ص 57 - 58 .

(5) اللهجة العامية التي يستخدمها يوسف السباعي في قصصه هي اللهجة القاهرية .

(6) ص 82 .

(7) المثال الاول مقتبس من صفحة 25 والثاني مقتبس من صفحة 28 .

وقد تجد بين صفحات الكتاب احيانا ما يبعث في نفسك شعورا قويا بأن المؤلف يشق على نفسه في الكتابة ، ويتكلف من العناية شيئا غير قليل في اختيار الالفاظ حتى تستقيم له العبارة ويبرا أسلوبه من العامية : (7) .

— قم يا ابن الليمة . ماذا تفعل ههنا ؟ تالله لئن رايتك خطوت الى هنا مرة ثانية لادفن عنقك .

— لتقر عينك يا ابا لهب ، ولتهدأ بالا . لتتخذن لك من دارى مأوى ومخبا .

وفي المرحلة الثانية تنقسم القصة من حيث الاسلوب الى قسمين : القسم الاول هو ما يقدمه السباعي نفسه بين يدي القارىء من تحليل ووصف للزمان والمكان والاحداث والشخصيات . واسلوب هذا القسم فصيح رغم أن الالفاظ العامية تتسرب اليه بين الحين والحين . والقسم الثاني هو الحوار ، واسلوبه عامي ليس فيه من آثار الفصحى إلا الهجاء . ومن خير الامثلة على أسلوب هذه المرحلة كتاب « السقامات » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1952) الذي شرح السباعي في مقدمته موقفه من العامية :

« التقيت ذات يوم بالاستاذ احمد بك عباسي كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف ، فانباني ان الوزارة كانت توشك أن تقر بعض كتيبي لمدارسها لولا أن اللجنة المختصة رأت أن الكتب تحوي بعض عبارات بالعامية »

« وعلى هذا فلم اكدم أبدا هذه القصة حتى ذكرت وزارة المعارف ومطالبها التي تتفرع من اللغة العامية، وعزمت أن اقيم سياجا منيعا يحول دون تسرب الالفاظ العامية التي تأبى إلا أن تفرض نفسها فرضا في سياق الحديث . واخذت في الكتابة محاولا اجراء الحوار بين أبطال القصة باللغة الفصحى ، ولكنني لم اكدم أكتب بضع صفحات ، ولم اكدم « أحصي » في الكتابة ، حتى وجدت ابطال القصة ينطلقون على الرغم مني في الحديث بالعامية ... »

« ولست أشك أننا في فترة صراع بين العامية والفصحى »

« وهذه قصة يبدو فيها هذا الصراع بين الفصحى والعامية . ولا جدال هناك في أن الغلبة - في الحوار - للعامية ، لأنه من المستثقل المجوج أن نحاول انطاق أشخاص القصة باللغة الفصيحة وهم لا يمكنهم في حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها » . (8)

واستثناء العامية بالحوار جاري في العبارات التالية التي نقتبسها من الكتاب : (9) .

— ما فيش لزوم يا شحاتة أفندي . أنا رايح القهوة بتاعتنا عشان عندي شوية شغل عايز اقصيهم .

— وماله . تقضي شغلك وبعدين نروح سوا .

بقي أسلوب المرحلة الثالثة ، وهو يفوق الاساويين السابقين في الاهمية لسببين :

أما السبب الأول فهو أن السبامي يلتزم ذلك الأسلوب في أكثر ما كتب من قصص ، ولعنه قد استقر واتخذ مذهباً دائماً . واذن فقد يكون ذلك الأسلوب النتيجة التي انتهى إليها الصراع بين العامية والفصحى عند السبامي . وما دامت خصائص الازدواج اللغوي واحدة في كل مكان (10) فقد يكون في أسلوب هذه المرحلة من الخصائص ما هو شائع في الاساليب القصصية أينما يوجد الازدواج اللغوي .

وأما السبب الثاني فهو أن السبامي من أكثر العرب إنتاجاً ، فقد نشر بين عامي 1947 و 1968 خمسة وأربعين كتاباً ، منها خمس مطبوعات مسرفة في الطول هي : « رد قلبي » و « ناديا » و « جفت الدموع » و « ليل له آخر » و « نحن لا نزرع الشوك » . وأكثر قراء السبامي من الشبان الذين تبدأ حياتهم الأدبية عادة بتقليد ما يطالعون . وقد ظفر السبامي من ثناء النقاد (11) بما يفري القراء بتقليده أن كانوا في حاجة إلى الإلهاء ومنهم من يعجبون به إعجاباً يخرجهم من

طورهم أحياناً . (12) لن يدهشنا إذن أن يكتب عدد كبير من قصص المستقبل بأسلوب المرحلة الثالثة .

لهذين السببين يجدر بنا أن نحلل أسلوب المرحلة الثالثة في شيء من الإناة والتفصيل . وأول ما نلاحظه أن السبامي في تحليله ووصفه يصطنع أسلوباً فصيحاً تعترضه أحياناً ألفاظ عامية أو أجنبية كالألفاظ التالية :

برنيطة ، معيز ، بنج بونج ، دكة ، شلة ، شورت ، بوز ، تنس ، مد موازبل .

لكن الجديد حقاً في أسلوب هذه المرحلة هو ما تجده في الحوار . ذلك أن لغة الحوار ليست فصيحة صرفاً ولا عامية صرفاً ، وإنما هي بين بين ، تأخذ من هذه بمقدار ومن تلك بمقدار . ومن خير أمثلة على هذا الأسلوب كتاب « نادبة » (القاهرة : مؤسسة الخانجي ، 1960) . تقرأ ذلك الكتاب فيخيل اليك أن الأشخاص يتخاطبون على فطرتهم بالعامية ، ولكنك تتأمل ما يقولون فإذا أنت مضطر إلى الاعتراف بأن للفصحى أثراً ظاهراً لا سبيل إلى إنكاره . على هذا النحو يجتهد السبامي في التوفيق بين العامية والفصحى وهو يتوسل إلى هذا التوفيق بأربع وسائل هي : اقتباس ، واصطناع كلمات « الطبقة الدنيا » ، وترجمة التعبيرات العامية إلى الفصحى ، وتجريد الكلمات من علامات الإعراب . ولنفصل :

الاقتباس

يقتبس السبامي من الإنجليزية والفرنسية عدداً غير قليل من المفردات ولكنه ، كما يتضح من الأمثلة التالية ، قل أن يقتبس العبارات :

هالو

ول

تيم

جمنزيم

بونجور

(8) ص 6 - 8 .

(9) ص 261 .

(10) Charles Ferguson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), pp. 325-340.

(11) من هذاثناء ما كتبه توفيق الحكيم في « يا أمة ضحكك » ليوسف السبامي (القاهرة : مطبعة روز اليوسف 1955) ، ص 5 - 8 .

(12) سجل يوسف السبامي شيئاً من هذا الإعجاب في كتابه « اني راحلة » (القاهرة : مؤسسة الخانجي 1950 ، ص 10 - 15 .

غير أن ما يقتبسه السبامي من اللغات الأجنبية قليل إذا قيس بما يقتبسه من العامية . ذلك أن السبامي لا يقتنع في اقتباسه من العامية بالمفردات بل يتمداها ، كما ترى في الأمثلة التالية ، إلى التعابير ولا سيما التعابير المجازية والأمثال السائرة :

ماما	فسحة	صبيطة
بابا	جائكة	يزغند
شماعة	فائلة	طس
زور	فتلة	

أمال سي (سي عمر)

الله ! ياربيت

اما (اما مفاجأة !) وماله

على سن ورمح - عيون فارغة - يفتح الله

لا هنا ولا هناك (أنا لا هنا ولا هناك)

جه نقبها على شونة

اكف الجرة على فمها تطلع البنت لامها

الله يخرب بيته - الله يعمر بيته - لا مؤاخدة

راح الله لا يرجعه - أشيل مين فيهم - راجل اليط

انت بنت مابعة - مياعة بنات - مش بطل - برك

على انفاسي - حاضري يا فندم .

ولمة نوع آخر من الاقتباس يتميز به الحوار في المرحلة الثالثة هو اقتباس التراكيب من العامية . ومن أمثلة ذلك :

(1) العطف بدون حرف عطف :

قومي البسي

(2) تكرار اللفظة للدلالة على الاستهتار :

شيوعيون شيوعيون

(3) مخالفة البديل للمبدل منه في التعريف

والتنكير :

هند دادة فاطمة

(4) استكمال الواو للدلالة على الاستمرار :

ثلاث ساعات وأنا واقف على قدمي

(5) مخالفة بعض الصفات للموصوف في

التذكير والتانيث ، أو في الأفراد والتثنية والجمع :

فستان بمبة - زهور بمبة - ناس بلدي

ولنلاحظ أن السبامي في اقتباسه من العامية متأثر بالفصحى من حيث لا يدري . فما ينطق في بعض الكلمات العامية همزة يكتبه السبامي قافا ، وما ينطق في البعض الآخر دالا يكتبه ذالا :

نقبا - خذ بالك

اصطناع كلمات « الطبقة الدنيا »

الكلمات المشتركة بين اللغة الفصحى والنهجة العامية القاهرية ثلاثة أنواع :

(1) كلمات لا تختلف صيغها العامية من صيغها الفصحى ، ومن هذه الكلمات « كتب » و « درس » و « بلد » و « من » وهلم جرا .

(2) كلمات لكل منها صيغة فصحة وأخرى عامية : والصيغتان يختلفان اختلافا يقرره قانون لغوي عام . فالصيغ الفصحى « نائم » و « صائم » و « عائم » و « دائم » و « فائد » تختلف من نظائرها في اللهجة القاهرية (« نايم » و « صايم » و « عايم » و « دايم » و « فوايد »)

اختلافا يقرره القانون اللغوي القائل أن المشتقات من مجرد الثلاثي الأجوف تكون عينها في العامية القاهرية ياء إذا كانت في الفصحى همزة .

(3) كلمات لكل منها صيغة فصحة وأخرى عامية : والصيغتان تشابهان إلى حد وتختلفان إلى حد ، ولكن ما بينهما من فرق لا يقرره قانون عام . فالفرق التي تميز الصيغ الفصحى « رجل » و « امرأة » و « عربية » من نظائرها في اللهجة القاهرية (« راجل » و « مره » و « عربيه ») لا تقررهما قوانين عامة .

ومن الكلمات المشتركة ما له مترادفات تنفرد بها الفصحى من دون العامية ، ومنها ما ليس له مثل هذه المترادفات : فالفعل « دوخ » مشترك بين العامية والفصحى ، وله مرادف فصيح لا تشترك فيه العامية هو « أرهق » . واسم الفاعل « صائم » مشترك بين العامية والفصحى كذلك ، إلا أننا لا نجد له مرادفا تنفرد به الفصحى من دون العامية .

مسطحجة

يرهقونه

راقدة

يدوخونه

ترجمة التعابير العامية الى الفصحى

نصح الدكتور محمد مندور للقصاصين بترجمة اقوال العامة كلما دعت الى ذلك مشاكلة الواقع (13). وقد وفق السبامي الى نوع من الترجمة لا نؤم انه يرعى الدكتور محمد مندور ، ولكنه أبرز ما يتميز به الحوار فى المرحلة الثالثة .

يعمد السبامي الى العبارة العامية فيبقى فيها على النوع الاول من الكلمات المشتركة ، أما بقية الكلمات المشتركة فانه يستبدل صيغها العامية بالصيغ الفصيحة ، وأما الكلمات التي تنفرد بها العامية من دون الفصحى فانه يستبدلها بنظائرها الفصيحة . وفيما يلي بعض العبارات العامية ، والترجمة التي يستعملها السبامي ، والعبارات التي يؤثرها انصار الفصحى :

يمكننا اذن ان نقسم الكلمات الفصيحة الى ثلاث طبقات : طبقة عليا تألف من كلمات تنفرد بها الفصحى من دون العامية (مثل « حذاء ») ، وطبقة وسطى تألف من كلمات مشتركة لفصيحة الصيغة ليس لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « صائم ») ، وطبقة دنيا تألف من كلمات مشتركة لفصيحة الصيغة لها مترادفات بين كلمات الطبقة العليا (مثل « دوخ ») .

وكلمات الطبقة الدنيا تنسم بطابع عامي مصدره وجود مترادفات لها فى الطبقة العليا . لذلك يزور انصار الفصحى عن كلمات الطبقة الدنيا ؛ اما يوسف السبامي فيتعمد اختيار تلك الكلمات ليلبغ ما يريد من التوفيق بين العامية والفصحى . وفيما يلي بعض ما يستعمله السبامي من كلمات الطبقة الدنيا ، وما يؤثره انصار الفصحى من كلمات .

كلمات الطبقة العليا

انهضى

كلمات الطبقة الدنيا

قومي

العبارات العامية	الترجمة	العبارات الفصيحة
سليم اربعة وعشرين قيراط	سليم اربعة وعشرين قيراطا	معافى تماما
سليم ميه فى الميه	سليم مائة فى المائة	معافى تماما
زي الجبن الازرق	كالجبن الازرق	معافى تماما
فاتك نص ممرك	فاتك نصف ممرك	ضاع عليك الكثير
وراني نجوم الفهر	اراني نجوم الظهر	ارهقني من امري عسرا
تشتغل عليه	تشتغل عليه	تنصب له اشراكها
ادهاني وانا واقف	امطاهالي وانا واقف	امطاني اياها فى الحال
ميهمنيش رمضان	لا يهمني رمضان	رمضان لا يعنيني فى شيء
راجل امير	رجل امير	رجل طيب القلب
تعملي العملة	تعملين العملة	تأبين ما يشين
لمي جسمك	لمي جسمك	احتشمي
لازم الفستان ما جاش عند	لا بد ان الثوب لم يات من عند	لا بد ان الثوب لا زال عند
المكوجي	المكوجي	الكواء

(13) « فى الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور (القاهرة : مطبعة نهضة مصر) ، ص 55 .

ونحن نصر على أن نقطة الانطلاق ليست المبارات
الفصيحة ، أي أن السبامي لا يعمد إلى العبارات
الفصيحة فيختار منها أقربها إلى العامية . ولو كان
ذلك مذهبه لما عثرنا في كتبه على تعابير مثل « رجل
أمير » و « تشتغل عليه » لأنها لا تؤدي في اللغة الفصحى
ما يقصد إليه من معنى .

تجريد بعض الكلمات من علامات الاعراب

أكثر الكلمات التي يجردها السبامي من علامات
الاعراب هي أسماء العلم ، وهو يجردها مادة من علامة
النصب ومن التنوين . غير أن السبامي أحيانا يجرد
من علامات الاعراب ومن التنوين كلمات غير أسماء
العامية . وستجد في الجمل التالية أمثلة على ما نقول:
العلم ، ولا سيما إذا كانت تلك الكلمات مقتبسة من

سعود إلى البيت لاري فاضل

لا بد أن أذهب لاري عصام

أنا أحب عصام

أريد غيار لنادية

وضع الدكتور لها مرهم

اتظنين الرئيس جمال عبد الناصر فاضي ؟

يرى تشارلز فرغيسون أن « التخصص من أهم
مميزات الازدواج اللغوي » . (14) وهو يقصد بذلك
أن العامية قل أن تؤدي من وظائف الفصحى شيئا ،
وأن الفصحى قل أن تؤدي من وظائف العامية شيئا .
ذلك حق ، ولكننا نرى مما سبق أن العامية والفصحى
تتنازعان في بداية الأمر ، وأن ما يكون بينهما من تنازع
على وظيفة بعينها لا يتمخض عن نصر حاسم إلا بعد
مرور زمن قد يطول . فظهور وظيفة جديدة في الأدب
العربي ، هي قصة الحديثة ، قد أثار بين العامية
والفصحى خصومة شديدة وصراعا عنيفا . وليس
أسلوب المرحلة الثالثة عند السبامي إلا أثار من آثار
هذه الخصومة وصدى من أصدا ذلك الصراع .

Charles Fergusson, « Diglossia », Word, Vol. XV (1959), p. 328. (14)



أساليب مناهج صياغة اللفظ في التعبير العربي

للدكتور باناهي (بباكو) الأستاذ فؤاد حمودة "الرباط"

وثمة خطر آخر يواجه اللغة العربية يتمثل في نقل المصطلحات الفنية انطلاقاً من اللغات الأوروبية وترجمتها إلى العربية . وليس يخاف أن معظم الكلمات المركبة والأوروبية الأصل قد استعارتها بحالتها الإنشائية الثابتة أي أخذت الكلمة بصورتها الأوروبية وكتبت بأحرف عربية . بالرغم من أنه كثيراً ما نجد أن الكلمة الأوروبية تلك إنما يتكون هيكلها من مزيج مركبين أو أكثر الأمر الذي ينتج عنه في بعض الحالات أن العديد من تلك الالفاظ لا يتواءم ومقتضيات مفهوم الكلمات ومعناها . لا سيما وأن منها ما هو متعدد المعنى ، أي يمكن استعماله للدلالة على أكثر من معنى واحد فهي - والحال هذه - ليست محكمة الضبط للتعبير عن معنى بعينه ، مما قد يؤدي في النهاية - حال استعمالها بشام شكلتها الأوروبية معربة - إلى عدم تحديد مؤداها وما تستهدفه على وجه التدقيق - من معنى أو صفات وسمات مميزة تلك هي النتيجة المبصرة التي يؤدي إليها استعمال تلك الكلمات والتي مردها عدم أحكامها وتوثيقها والاقتصار على مجرد تغيير ملامحها باستبدال الحروف العربية بالأحرف الأوروبية . ولهذا فإنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أي تركيب لغوي - يراد تحويله إلى كلمة مركبة أو تغيير فني أو مصطلح علمي - يجب التيقن بادئ ذي بدء أنه يتوفر على صيغة متماسكة معينة كما يحتوي على مضامين مدققة فكما أن من شأن ذلك تلخيص هذا التركيب من خاصية تعدد المعنى وتكريسه للدلالة على مفهوم محقق ومضبوط ، فإنه من شأنه أيضاً أن يؤدي إلى

لم تول صياغة الكلمات التي تعالج شتى مناحي الحياة الاجتماعية تشكل القضية العلمية التي تواجه المصطلح اللغوي أو الفني الحديث في اللغة العربية ، والتي لما يتوصل بعد إلى حلها .

أن مراجعة معاجم اللغة واستقراء المواد والنشرات العلمية لتعطي للقارئ فرصة الوقوف - بين الحين والآخر - على بعض المصطلحات الأوروبية الدخيلة .

وفي العصر الحاضر وخلافاً لما كان سائداً في المصور الوسطى فإن عدداً وافراً من تلك المصطلحات الأوروبية الغربية ، تحيد عن قواعد اللغة العربية من حيث الصرف والأعراب وفن تركيب الكلمات وضبط التهجئة بل وفي قواعد علم الأصوات والسمميات اللغوية ويتمثل ذلك في علوم الفسيولوجيا . والمتروlogia . والجيولوجيا . . . الخ .

ولا مناص من القول بأن أقسام مثل هذه الكلمات في اللغة العربية من شأنه أن يتهدد مستقبل تلك اللغة وموامل تطورها ، فضلاً عما يؤدي إليه من بلبلة واضطراب في ضبط التهجئة وأحكام الإملاء وصحة اللفظ وصياغة الكلمات وأخيراً في قواعد الأعراب .

فاذا وفرت في الأذهان تلك الحقيقة العلمية فإنه يجب أن يكون التدرج في الأخذ بتلك الكلمات الأوروبية وفسح مجال لها في معاجم اللغة العربية ومراجعتها بكيفية محدودة للغاية .

تفهم صياغة الكلمات المتزاوجة وليدة هذا التركيب . وهذا التركيب في اللغة العربية يطابق ما يسمى بالمركب المزجي الذي يساير كل القواعد اللغوية . وكما ان اساليب متنوعة قد استخدمت في انشاء التركيب المزجي هذا فان طبيعة المادة التي هي موضوع التركيب تسهم في الدور الذي يؤديه التركيب المزجي في تشكيل علم الاصطلاح اللغوي لوضع الاسماء العلمية ومصطلحات الفنون .

وتسود علم اللغات العربية آراء متضاربة فيما يتعلق بكيفية تأليف تلك المصطلحات الفنية في نطاق المركب المزجي .

وعلى ضوء ما هو ملموس لدينا يمكن القول بان استيعاب المؤلفين لاسلوب صياغة المصطلح من خلال المركب المزجي لا يركز على قواعد التحول او التطور الدائي للغة العربية .

كما يبدو لنا انه في صدد صياغة المصطلح الحديث - نجد لزاما علينا استخدام نماذج واساليب من تلك التي كانت سائدة في العصور الوسطى والاستعانة بها . ومن ثم ، فان النماذج يجب ان تكون - دون غيرها - الانماط التي تتمثلها اللغة العربية وتهتدي بهديها . كما ينبغي ان تكون الكلمات المركبة الوليدة متوائمة وقوام اللغة العربية .

ويختلف تركيب هذه العناصر اختلافا جذريا عن تركيبها في اللغات التركية والهندو - اوروبية

ولما كانت الكلمات المركبة يجب ان تتساوى مع نماذج ثابتة محددة المعالم في بنية اللغة العربية فان عملية المركب المزجي قد تتم بالاحتفاظ بحرف ساكن أو حرفين من كل مركب وطرح ما تبقى من أحرف ، أما الأحاد المعجمية واللغوية فتتركب من عناصر مختلفة بواسطة الإبقاء على ثلاثة أو أربعة حروف أو خمسة - في حالات نادرة - تتشكل طبقا لقواعد قارة .

والتركيب المزجي الذي كان بمثابة حقل تزدهر فيه صياغة الكلمات المركبة في العصور الوسطى قد لا يكون هذا شأنه اليوم . وقد يكون العكس صحيحا . اذ بمقارنة النماذج التي تؤلف فيما بينها المصطلحات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة مع تلك كانت سارية في اللغة التقليدية - نلاحظ ان هناك توافقا فيما بينها وقصورا في الصلة بين اللغتين في هذا المجال :

ففي العصور الوسطى كانت الكلمات المؤلفة في سياق المركب المزجي تنشأ من ادغام اداة النفي (لا) في الاسم أو اسم الفعل على الشكل التالي :

(لا + بد) = لا بد ، (لا + شيء) = لاشيء ،
(لا + ابالي + به) = لا اباليه ، (لا + مبالاة) = اللامبالاة .

وبتتبع هذا المنهج من مناهج المركب المزجي في معاجم اللغة العربية نلمس انه لم يكن له نصيب وافر في صياغة الكلمات المركبة ، بينما نجد في الطور المعاصر من اطوار اللغة العربية ان مثل هذه الصياغة للمصطلحات الحديثة معتادة مألوفة .

وعلى ضوء هذه الحقيقة اقر المجمع العلمي العربي بدمشق صلاحية العديد من الكلمات المركبة طبقا للقاعدة المذكورة واجاز استعمالها في مجالات الفلسفة والاحياء والطب والصيدلة الخ مثل :

اللا ادريه ، اللادينية ، اللاسياسية ، لا تعري ، لا توبيجي ، اللاتراوحي اللاتزامل ، اللدماغية ، اللامقلة اللامكوسية ، اللاجن ، لاسلكي ... الخ .

وهناك ايضا عدد من الكلمات المركبة نشأ من دمج الاداة (ما) فيما يتلوها من كلام مثل :

(ما + هي + ية) ماهية ، (ما + جري) = مجريات اوماجريات ، (قل + ما) = قلما ، (حيث + ما) حيثما ، (لا + سي + ما) = لا سيما .

وهكذا نجد في اللغة العربية المعاصرة بعضا من تلك المصطلحات الفنية في ميادين الفلسفة والصيدلية وسائر فروع العلوم صيغت جريا على قاعدة دمج حرف (ما) فيما يلحقه من كلمات مثال ذلك :

(ال + ما + لا + حرف) = المالايمررف .
(ال + ما + كشف) = المايكشرف ، (ما + فوق) = بنفسجي ، (ما فوسجي) .

وعلى اي حال فان استعمال تلك المصطلحات الحديثة على النمط المشار اليه - ما زال يحدهو عامل الندرة في الوقت الحاضر .

هذا وان استحالة التركيب اللفظي المستقل الى مزيج لغوي قد لوحظت فقط بالنسبة للغة العربية المصرية نتيجة لترجمة بعض المصطلحات الحديثة من اللغات الاوربية مثل :

جيهوالسي = حي بالهواء - airobic ،
الحلماة - التحليل بالماء = hydration يحلّماء =
يحلل بالماء hydrolyse (to)

ويتبين من استقراء تلك الامثلة أن النهج الذي
اشيع في صياغة تلك الكلمات المركبة كان باضافة
الحرفين الاولى من المركب الاول الى المركب الثاني،
وتلك القاعدة كانت متبعة من زمن بعيد في اللغة العربية
تشهد بذلك الامثلة الآتية :

(مش « من شمس » + لوز) - شلوز ،
(شق « من شق » + حطب) - شتحطب ، (حب
« من حب » + ع « من ع » - حقر .

ونجد اليوم ان تلك الصياغة اصبحت نسبيا
مشيرة وان المصطلحات الحديثة التي صار تشكيلها على
هذا النمط قد حظيت بموافقة المجمع العلمي العربي
مثال ذلك ما تم اقراره منها مثل :

(حرارة + ماء) الحرمائي ، (بر + ماء) =
البرمائية ، (تحت + تربة) التحتربة (شبه + بلور)
= شباور ، (ماء + غول) - ماغول ، (شبه + غراء)
شيفغراء .

(لبنان + أرز - لبارز ، (حيزر + زمن) =
حيزمن ... الخ .

فاذا ما كان الحرف الاول او الثاني في التركيبين
همزة ساكنة فانها تحذف عند صياغة المركب المرجي:
مثل : (رأس + مال) - رسمال .

وقد كان العديد من الافعال والصفات الموصولة
تم صياغته منذ زمن بعيد يرتد الى العصور الوسطى
بوصل الحرفين الاولين من كل مركب على وزن تفاعل،
فطل وقد كانت صياغة التركيب على هذا النحو اجدي
في ابتكار العديد من التركيبات بالقياس الى غيره مثل:

(جمعت فدالك) - جمعقد ، (عبد شمس) =
تمبشم ، (عبد القيس) = تمبقس ، (عبد الدار) -
عبدري ، (امري القيس) - مرقسي .

ويظهر الكثير من تلك المصطلحات الحديثة في
الادب العربي المعاصر مصوغا على نهج الامثلة السابق
تبيانها وقد حظيت هي ايضا بموافقة المجمع العلمي
العربي عليها ومثال ذلك :

(أنف + لم) - أنفمي ، (بروم + حديد) =
برحد ، (كبريت + أكسوجين + حديد) = كباحد .

وبانعام النظر في التركيب الاخير (كباحد) يتضح أن
اشتقاقه تأتي من وصل الحرفين الاولين في كل من
المركبات الثلاثة بعضها ببعض .

وتحتوي اللغة العربية القديمة على عدد من
النماذج لم تمدها في العصر الحديث مثال ذلك ما
تضمنه من كلمات مركبة تصاغ باضافة الحرف الاول
الصامت من المركب الثاني الى المركب الاول مثل :

(مين + دم) - دمع حيث اخذت ع من عين
واضيفت الى دم فصار دمع (خرم + شرم) - خرمش،
اضيف الحرف ش اخذا من شرم الى خرم فصارت
خرمش .

ويمكن متابعة نفس القاعدة في الكلمات المركبة
التي يرجع اصلها الى اللغة الفارسية والتي صار
استعمالها من قبل اللغة العربية مثل :

(لك مأخوذة من كاه . P = ق A + خورن
= خوردن .) الخورنق A = خوردنكاه . P
وليس ثمة جدال أن اللغة العربية كانت تشمل على
الكثير من الانماط في كيفية صياغة الكلمات وان بحثا
خاصا في تاريخ جذور اللغة العربية وصلتها بالالفات
الاخرى التي كانت متأخية معها لبدو ضروريا للتعرف
على ماهية هذه الانماط وتبيان معالمها .

ولقد استطاع اللغويون في العصور الوسطى ان
يتعرفوا على العناصر او المركبات التي صيغت منها
الكلمات التالية :

(برق + نقش - برقش ، (برق + رقعة) =
برقع الخ .

بيد انه من الصعوبة بمكان تحديد الاحرف
المأخوذة من كل مركب في المثال السابق ، لبالنسبة
للمصطلح الاول نجد انه يشتمل على الاحرف ب، ر، ق
من الكلمة الاولى، كما يشتمل على الحرفين ق، ش من
الكلمة الثانية . وايضا بصدد المصطلح الثاني نجد انه
يشتمل على الحرف « ب » من (برق) والحرف «ع»
من الكلمة الثانية . الا انه يعوزنا الاساس او الدليل
حتى يتأتى لنا الجزم بأن الحرفين (ر، ق) انما ينتسبان
الى واحدة من الكلمتين دون الاخرى لان كلا الكلمتين
تشتملان على ذات الحرفين فليس من وسيلة الى
ارجاع كلا الحرفين الى الكلمة الاولى دون الثانية او
العكس . وما يقال عن المصطلح الاول في هذه الحثية
ينصب على المصطلح الثاني .

وأنه من المتعذر تحديد النمط أو النهج الذي استعمل في صياغة مثل هذين المصطلحين الآخرين أو التعرف على الأسلوب المتبع في تدبيرها . كما أنه يتعذر أيضا مقارنتهما أو القياس عليهما بالنسبة للمصطلحات اللغوية الحديثة التي تشكلت في اللغة العربية المعاصرة .

هذا ولا غرابة في أن وصل الحرف الأخير من الكلمة الأولى بالحرف الأول من الكلمة الثانية من شأنه أن ييسر عملية الاشتقاق وتوليد المصطلح المقصود بمعنى أن نهج هذا الأسلوب من خاصيته توفير الجهد وتخفيف المشقة في صياغة الكلمات المركبة . مثل :
حيز + من أو حيز + زمن أو (حيز + زمن) -
حيز من .

وهناك عدد من التغيرات الحديثة في اللغة العربية المعاصرة تختلف عن المصطلحات المشار إليها في طريقة صياغتها وعن الأنماط التي يمكن اتباعها من أجل توليدها ، ويمكن تحديدها في النقاط التالية :
والتي صيغت من امتزاج المركبين (orthos + pteron) يتضح لنا أن الاختزال قد تناول المركبين معا وليس أحدهما فحسب كما بالنسبة لصورة الكلمة بالعربية السالف شرحها .

الكلمات المركبة التي تشير إلى طرفين الزمان والمكان والمترجمة حرفيا عن الأصل الأوروبي والتي صيغت من وصل المقطع الهجائي الأول من المركب الأول بالمركب الثاني مثل :

قبل التاريخ - قبلتاريخ وأصلها
الفرنسي ... Préhistoire

ثم الصفات المركبة التي تكونت من تراكب اسمين جغرافيين متساويين . ومما يميز هذه الحالة من الصياغة أن المركب الثاني من تلك الصفة المركبة لا يفقد قوامه الذي كان عليه قبل التركيب بحيث يبدو دائما وكأنه كلمة مستقلة تؤدي ذات المعنى الذي كان متعلقا بها قبل الصياغة والكلمات التي من هذا القبيل قد صيغت في العربية مرتكزة على حرف الوصل « ي » الذي استبدل بحرف O في اللغات الأوروبية مثل :

انجلو أمريكي Ingilu : amriki

أفرو آسيوي Ifru : asilavi

أسيوي أفريقي asilu : afriki

هذا وإن استعمال التراكيب المقترحة طبقا لهذه الحالة في الخطابة ولغة الصحافة قد حظي بقبول المجمع العلمي العربي في سنوات 1946 - 1947 الأمر الذي ثارت بسببه الجادلات والمساجلات بل وأحيانا مشادة بين العلماء .

وختاما لهذا البحث لم يبق إلا أن نقرر أن نشأة المصطلحات الحديثة في ظل المركب المزجي وانتشارها إنما يركز على الأصول الآتية :

أولا : من المسلم به أن الكلمات المركبة قد شاع استعمالها في اللغات الأوروبية وهكذا نرى الكثير من المصطلحات الحديثة التي ذاعت في الوقت الحاضر في شتى مجالات العلوم ، قد قامت صروحها على هذا التركيب . كما أن تلك المصطلحات الحديثة قد وجدت طريقها إلى اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية ومن ثم كان ظهور الكلمات المركبة وفقا لأسلوب التركيب المزجي فيها .

ثانيا : أن المصطلحات المركبة هذه ليست بالشيء الجديد أو الغريب على اللغة العربية التي عهدت أنماطها وطرق صياغتها ومناهجها منذ زمن بعيد وهذا ما يفسر تقبل اللغة العربية المعاصرة لهذه المصطلحات وتبنيها .

1 - التعابير التي تتكون من تزاوج كلمتين مثال :
(عرض + حال) - عرضحال ، (قائم + مقام) = قائمقام ، (قبل + فكى) - قبلفكى ، (يا + نصيب) = يانصيب .

فإذا ما كانت الهمزة هي حرف استهلال المركب الثاني في مثل هذه الكلمات فإنه ، كقاعدة عامة ، تسقط من الحساب عند الصياغة كما تبين من الأمثلة التالية :
(حمض + أمين) حمضمين ، (غول + أثير) - غولثير .

وأحيانا ما تجوز الصياغة بتألف الكلمتين بتمامهما معا مثل :
البادزهر ، يوسف أفندي .

2 - الكلمات المركبة من حرفي التصدير من المركب الأول والحرفين الآخرين من المركب الثاني على وزن فعلل مثل :

(قل « من قلم » + بر « من حبر ») - قلمبر .

3 - الكلمات المصوغة من المقطع الهجائي المكون من حرفين من المركب الاول والحرف الاخير من المركب الثاني فتأتي الكلمة المشتقة على وزن فعليل مثل :

(كهرباء + مفنطيس) - كهربطيس .

4 - الكلمات المولدة من ربط المركب الاول بالحرفين الاخيرين من المركب الثاني وبذا تكون الكلمة الناتجة على وزن فعليل مثل :

(حمض + أسيل) - حمضيل .

5 - الكلمات المركبة من اضافة الحرفين الاولين من المركب الاول الى المركب الثاني - اي الحالة العكسية للكلمات المشتقة وفقا للاسلوب المتبع في البند السابق - ومثل هذه المصطلحات تستعمل في حالات المجمع مثل :

(جوف + معى) - الجومعيات ، (مستقيم + جناح) = مسجناحيات ، (شمال + غرب) - الشمغربيات .

(1) يبدو ان هناك نقصا في الاصل .

والكلمات المركبة وفقا لهذا الاسلوب دخلت اللغة العربية من طريق استعارتها من اللغات الاوروبية بعد ترجمتها الى العربية وتشكيلها وفقا لما يتلاءم وقواعدها مما ادى الى تباين في كيفية صياغة الكلمة في اللغتين - (لغة الاصل واللغة الناقلة) - ففي كلمة مسجناحيات التي تأتت من امتزاج المركبين (مستقيم + جناح) يلاحظ انه عند الصياغة قد جرى الاختزال بالنسبة للمركب الاول وحده في الوقت الذي ظل بمنأى عن المركب الثاني اي ظل هذا بكامل هيئته . بينما لو اتمعنا النظر في اصل كلمة مسجناحيات هذه في اللغة الفرنسية : orthoptères (1)

ثالثا : ان استعمال المصطلحات الحديثة يجب ان يكون بكيفية واضحة لا يكتنفها غموض .

رابعا : ان استمارة تلك الكلمات المركبة من اللغات الاخرى ونقلها الى اللغة العربية حرفيا دون تعديلها بما يتواءم وقواعد تلك اللغة قد يضر بها بل قد ينتهي الامر تدريجيا الى اسادها .



الشعر العربي اللفظ عنصر من عناصر الحياة

يجب أن يتجدد باستمرار
الأستاذ الياس قنصل ، بوينوس آيريس

ترجمة الأستاذ محمد محمد الخطابي

تلقينا هذا البحث القيم من الأستاذ الياس قنصل وهو عبارة عن محاضرة ألقاها حضرة الأستاذ باللفة الإسبانية من الإذاعة الأرجنتينية تحت رعاية المعهد الثقافي الأرجنتيني - العربي بعنوان : « تمهيد لمعرفة الثقافة العربية » وقد نشرنا الأصل في مكان آخر من هذا العدد

سنجد في الشعر العربي الجاهلي تعبير الروح النقية الصافية لمشاكل الحياة المصرية ، هذه الروح التي هي شبيهة « برادار » كفيل بالتقاط أقل ذبذبات القلق الانساني .

لقد كانت « الكعبة » التي تقع في مدينة « مكة » بمثابة المكان المقدس لدى القبائل العربية ، وفي مطلع كل عام ، كان يهرع نحو هذه المنطقة ، ذوو الوقار والمهابة من مختلف الميول والاتجاهات ، لإقامة تجمعات كبيرة ، كانت ذات موضوع مميز ألا وهو الأدب ، حيث كانوا ينشدون القصائد التي تخضع لنقد بناء ، ويحللون فيها تلك التي تتواءم وأهواء العامة ، وأجود هذه القصائد - أي التي كانت تحظى برضى الحكام الثقات - كانت تكتسب على رفوف فاخرة ثم تملق على « الكعبة » . في هذا المكان الذي كان ينال احترام الجميع من شيخ القبيلة العظيم إلى الرجل العادي المجهول ، كان في إمكان الجميع قراءة هذه القصائد ، وبهذه الوسيلة يصبح للفن والبلاغة شعائر وطقوس .

ولما جاء الإسلام التي هذه العادة التي كانت تتضمن بعضاً من الوثنية البدائية . وفي تلك الحقبة نفسها كانت تقام دعائم المباريات الأدبية التي ما زالت لها ردود فعل عديدة في الوقت الحاضر . لقد كان « سوق عكاظ » ضرباً من « الأولمبياد » الفني ، كان يضم

ليس هناك شعب من بين الشعوب القديمة فاق الجنس العربي في تقديره للشعر ، ونستعمل كلمة « تقدير » ونحن على علم أنها لن تستطيع أن تعطينا التعريف القاطع للاحترام الذي كان يوليه العرب لفن الشعر .

البديهيات على ذلك كثيرة ، فحتى تاريخ العرب في الجاهلية إنما هو تاريخ الشعر .

وكل ما نعرفه من أخبار الحقبة التي سبقت الإسلام جاءت مروية ضمن « القصائد » التي وصلتنا منذ ذلك العهد ، والتي ما زالت حتى أيامنا هذه موضع بحوث ودراسات مختلفة .

تلك القطع الشعرية الموضوعة على نسق واحد - التي جادت بها القرائح في عزلة الصحراء وفي لحظات الضيق الروحي - رغم القرون البعيدة - ما زالت تحتفظ حتى الآن بالنكهة التي تصور لنا حينها موسيقياً نحو الأوطان .

وإذا استثنينا من هذه القطع الشعرية الكلمات التي فقدت مدلولها بمرور الزمن - ونحن نعتبر اللفظ عنصراً مجهزاً من عناصر الحياة ينبغي له أن يتجدد بصفة مستمرة - أي إذا استثنينا الكلمات التي لم تعد تكتسب صبغة الحاضر - والتي هي قليلة جداً - فإننا

أحسن الشعراء ينشدون أمام الجميع آلاف من أجود القصائد المنتقاة . ودأبوا كان هناك مراقبون من « حكام الكلمة » التسمين بالنزاهة والانصاف ، يدلون بأفكارهم القيمة ، والذين كانوا صريحين في آرائهم وموجهين في أحكامهم ، وكانت القصائد المختارة بمثابة البرهان الكبير على عظيمة القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر الفائز .

ان الاسلام لم يضع حجر العثرة في طريق الشعر المزدهر - كما يزعم ذلك بعض المستشرقين ذوي النظرة السطحية المبلى - وانما جعل الاسلام حدا لعبادة الوثنية وحولها الى اهتماماته العادية ؛ ويحسن القول انه احل محلها معرفة فنية خالصة .

« حسان ابن ثابت » الشاعر العظيم الذي كان صديقا حبيبا للرسول « محمد » رافقه في مديد من غزواته ، وتفنى بانتصاراته ، كان النبي يوليه أهمية خاصة واضعا بذلك الشعر في مكانه المناسب من الاعتبار دون ان يسو به الى قمة الالهوية أو يهوى به الى سفح الانحطاط .

وحينما بسط العرب نفوذهم حول العالم طفر الشعر العربي طفرات جديدة ، تحول الى وسيلة لنشر الافكار ، وتمضيد قوى الفتح الجديد ، وتسخير الاتجاهات السياسية ، رافلا في ثوب جديد من الثواب البيان ؛ تحول الى قاعدة للنشر والديوع ، وقام بالدور الذي تقوم به الآن الجريدة والمذيع والتلفاز .

كانت الامور غريبة ، بحيث يحدث ان نجد اثنين من الشعراء المرموقين ذوي نزعات متباينة وهما يجاهدان تحت سياسة واحدة ، ذات مصلحة عليا تمهم العالم العربي واماراته التي كانت تمتد من الشرق الى الغرب .

وكانت للمعركة ايدولوجيات مختلفة ، فاحيانا تكون معمقا ذات سلاح متنوع قاطع ، تكون الكلمة البليغة احده واخطره ، واحيانا اخرى تكون سخرية حرة من خلال تطاحن الكلمات ، الشيء الذي يوضح لنا بجلاء التمكن التام من اللغة ، ويبرز لنا - في ذات الوقت - الذكاء الخارق للعادة المسخر لخدمة المثل العليا .

سيطول بنا الحديث اذا عددنا الامثال ، وترجمنا القصائد ، أو اذا شرحنا المواقف ، غير انه لا يد لنا ان نورد ثلاثة من الشعراء الذين يشكلون في رأينا - صروح القمة في الشعر العربي القديم .

انهم ألوان مختلفة ذات قدرة بلاغية ، دعائمها الخيال الغصيب ، والملاحظة الحازمة والحجة القاطعة . ان دواوين الشعراء الثلاثة ما زالت تدرس - حتى ايامنا هذه - في المدارس ، وسوف تظل دائما موضوعات بحث وتحليل .

« المتنبي » الشاعر الذي اودع الخيال العربي في القصائد ، وهو الذي عين في امثال سيارة طريقة التفكير عند العرب ووسيلة تصويرهم للحياة وكل ما هو موجود فيها من سمو وقوة .

ككل عبقر كان « المتنبي » يعد من المفتونين الاكابر الذين ينشرون - في كل مكان - اشعارهم وامثالهم بين الامعاء المتطرفين الذين كانوا ينتقدون على المتنبي كبريائه وغروره اللذين جاوزا كل حد .

لقد كان المتنبي ، في نظره الرجولية يمي جيدا طموح الماضي العربي ، كان تذكيرا متحمسا لوحدة العرب ، وواحدا من المبشرين بالقومية النقية من كل تعصب .

الشاعر الثاني هو « المعري » الذي كان ضريبا منذ طفولته البعيدة ، الرجل الواسع المتبحر العارف باحاسيس البشرية ، لقد كان فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة ، وكانت فلسفته متنوعة بحيث شملت كل انواع الاضطرابات وجميع مستويات العقل ، سواء كان يتخللها حزن متعاقب أو يعلوها حدث سعيد . انه ساخر رقيق تكاد تكون سخريته غير مرئية ، ولقد كان يضمن سخريته هذه افكاره التي كانت تمارض ووجهات نظر الحكام .

وحسب البحوث الاخيرة الخالية من كل تعصب ، فقد تأثر « دانتي » في كتابته لعمله الخالد « الجحيم » أو (الكوميديا الالهية) - تأثر « برسالة الففران » للمعري التي كانت مترجمة في ذلك العهد الى لغات مختلفة .

الشاعر الثالث هو « ابن الرومي » وهو الذي يكمل الثلاث الحاكم في الشعر العربي ، هذا الشاعر الذي اثرى الشعر العربي بفنائياته التي هي جديرة بكل اعجاب ، هذا العاشق الواله للجمال في جميع اشكاله ، لقد استطاع هذا الشاعر ان يسبر ابعاد افوار التفكير ، فطبع كل ذلك في قصائد حافلة بالحركة والحياة . لقد كانت عيناه المتلهفتان أبدا الى التقاط كل مظاهر الحياة ، بمثابة عدستين فوتوغرافيتين غاية

كل - القوالب المعقدة للحياة المعاصرة ، ولا نجزم بأن الشعر العربي الحديث يسير في طريق محكم سهل توضحه بل انه قد تعرض لجميع المشاكل المتنوعة في حياتنا الراهنة .

ان المؤرخ النزيه الذي يؤرخ لتطور الشعر العربي المعاصر لا يستطيع الاستغناء عن ذكر - ظاهرة من ظواهر هذا الشعر - التي تكاد تنفرد بنفسها بين توارىخ الادب عامة . فاذا كان حقا ان الشعر العربي قد بلغ أوج عزه في موطنه الاصلية ، فانه لحق كذلك ان هذا الشعر قد اكتسب لمعانا واشراقا ملحوظين في بلاد امريكا .

ان مئات من الآلاف المهاجرين وعلى الخصوص في الارجننتين والبرازيل - كان من بينهم شعراء كبار ، ساهموا مساهمة محمودة في الادب العربي .

ان سماء هاتين الجمهوريتين ، وجمهوريات اخرى قد جمعت تحتها كثيرا من الشعراء العرب الذين رفعوا عاليًا أمجاد اوطانهم النائية معبرين بذلك عن الحب الذي يكنونه لبلادهم الام الكائنة وراء البحار ، ومشيدين - في نفس الوقت - بعظمة الانثر المكتوب

ان هؤلاء الشعراء البعيدين عن مساقط رؤوسهم والذين كانوا ملجئين من طرف قوات اجنبية ، قد وجدوا فرصة نشر قصائدهم الحماسية بعد ان تهيأ لهم جو من الحرية ، كانوا يتوقون اليه من قبل .

لقد وجد هؤلاء الشعراء في المواطن الارجننتين الاخ الذي فتح لهم ذراعيه بحرارة وصدق - ونحن نقول هذا من تجربة - ووجدوا في الارجننتين نفسها الركن الذي رحب بهم اشد الترحيب ، وهو بالنسبة لهم ينبوع الهام لتفكيرهم وتاملاتهم .

بهذه الكلمات الختامية ، نقدم شكرنا من هذا الكرم النبيل ، ونستأذن لنحمل لهذا الوطن الجديد تحية شعرية من اوطاننا الاصلية .. مرات تفوق الآلاف .

في الحساسية تلتقطان ادق دقائق الامور ، بامثتين الحياة في كل الاشياء ، ان اوصافه لما كان يراه أو يحس به أو يجري وراءه - انما هي استمرار متوال من الصور التي تفوق كل شيء حيوية ونقاوة ولمعانا .

لم تتوان المرأة العربية في مشاركتها المحمودة في الشعر العربي ، لقد مررت الكثيرات ممن قرصن الشعر ، ولكي تتضح لنا مشاركة المرأة في عالم الفن نورد الحكاية التالية :

سال خليفة أحد رعاياه المشهورين مرة فقال له :
— بلغني انك تستطيع ان تنشئ ألف قصيدة فهل هذا صحيح ؟

فاجاب الاعرابي :

— اجل يا صاحب المهابة ، ولكن هل تريدون ان اسمعكم الالف قصيدة من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ (1)

ان الشعر العربي المعاصر قد تأقلم مع طبيعة الحياة المعاصرة ، مدفوعا بتجدد العقل العربي بعد ان عاش أحداث اربعمائة سنة من الضيق الخارجي محتفظا - في جوهره بكآبة خفية - عن اجياله الماضية .

ان الشاعر العربي المعاصر يقف حاملا بين اطراف قلبه حيرة يصعب تحديدها ، هذه الحيرة التي كانت تستولى على روح الاعرابي الذي كان عليه ان يقطع كل يوم صحاري لا نهاية لها ، محدقا في الافاق التي تنتهي عند خط مستقيم دون حافز للتساؤل .

ولا نفي القول بأن الشعر العربي المعاصر قد احتفظ بماضيهِ المشرق ، ذلك لان « فن القول » في العالم قد تدهور ازاء الاكتشافات العلمية الحديثة ، ولم تكن الثقافة تكتسب قيمتها من الخيال الفسيح ولا من الكلمة المؤثرة الجميلة ، ولكن رغم كل ذلك ما زال الشعر العربي يحتفظ - بأصالته وقدرته الهائلتين - في عقل هذا الجنس ، وهذا حامل من الاهمية في شيء بالنسبة للنهوض العربي الفائق .

لا نقول ان الشعر العربي المعاصر يتميز بطابع معين يحدد هذا الشعر ، ذلك انه عائق كل - أو تقريبا

(1) وفي رواية اخرى ان شاعرا زار شاعرا آخر ، فلما طرق باب بيته خرج خادمه ، فقال له : ان سيدي لا يستقبل الا من كان يحفظ - على الأقل - ألف قصيدة . فاجابه الشاعر الزائر : اذهب وقل لسيديك هل يعني ألف قصيدة من شعر الرجال أم من شعر النساء ! (المترجم)

الألقاب عند العرب والمسلمين

الشيخ طه الولي «بيروت»

في لغتهم الرجل الذي يفرق بين الحق والباطل . وكان عثمان بن عفان يعرف «بذي النورين» لرواجه من النتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اطلق على علي الخليفة الرابع بعد وفاته لقب «أبي تراب» هذا اللقب الذي قال قوم بأنه من صنع خصومه الامويين لنزبه وتحقير شأنه بنسبته الى التراب كما قال قوم آخرون بأنه من صنع شيعته الذين ارادوا به التعبير عن تواضعه وكثرة التصاق جبهته بالتراب للالزمته الصلاة اثناء الليل واطراف النهار . ولعلنا نستطيع ان نعتبر كلمة «صحابي» من الكلمات التي اصبحت لقبا على كل رجل أدرك النبي صلى الله عليه وسلم واجتمع اليه وآمن به كما نستطيع ان نعتبر كذلك كلمة «تابعي» من الكلمات التي اصبحت لقبا على كل رجل أدرك ، وهو مسلم ، واحدا أو أكثر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع اليه .

ولكي لا نقف طويلا عند عصر الرسالة النبوية والسنوات القليلة الأولى التي تلتها فاننا نأتي الى العصر الاموي الذي اختلف المؤرخون فيما نسب الى اركانه من الألقاب . فذهب قوم الى أن الخلائف من بني أمية اتخذوا لانفسهم القابا . بينما ذهب قوم آخرون الى أن هؤلاء الخلفاء عرفوا بأسمائهم من غير القاب اضيفت اليها أو حلت محلها . وفي هذا يقول المسعودي في كتابه «الإشراف والتنبيه» :

إذا أردنا أن نتحدث عن الألقاب عند العرب والمسلمين ، فليس لنا بد من طي السنين بله القرون والمودة بأذهاننا الى صدر الاسلام اذ نجد بين المؤرخين من يقول بأن الألقاب عرفت سبيلها الى العرب منذ هاتيك الايام . وبالفعل فاننا نعرف أن أول لقب اطلق بين يدي الاسلام كان ذلك الذي اطلقته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل بعثته وهو «الأمين» فلما كانت البعثة أصبح لقبه عليه السلام : «رسول الله» وبهذا اللقب كان يخاطب الناس ويكتب رؤساء القبائل العربية وملوك الدول الأجنبية . وكانت كلمة «رسول الله» منقوشة على خاتمه الشريف الذي استعمله هو بنفسه كما استعمله من بعده ثلاثة من خلفائه الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان ، وفي عهد هذا الأخير سقط هذا الخاتم في يثر أريس وفقد منذ ذلك الحين كما هو معروف في التاريخ .

ثم ان كبار الصحابة رضي الله عنهم عرفوا كذلك القابا رافقت اسماءهم بل هي حلت محل هذه الاسماء في بعض الاحيان حتى ان بعض هؤلاء الصحابة عرفوا بالقابهم دون اسمائهم لدى المؤرخين فيما بعد ، وكان عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الخليفة الاول يعرف باسم «الصديق» الذي لقبه به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عمر بن الخطاب الذي تولى الامر من بعده يعرف «بالفاوق» الذي قيل ان قوما من السريان اطلقوه عليه لان معناه

« وقد رأينا بعض المتأخرين من ينحرف عن الهاشميين ، الطالبين منهم والعباسيين ، ويتحيز الى الامويين ويقول باماتهم ، يذكر انه كانت لمن ملك من بني امية القاب كلقاب خلفاء العباسيين وذكر في ذلك روايتين :

احدهما : قال ، روى محمد بن عبد الله بن محمد القرشي ، قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن ابيه عن جده ، قال ، حدثني سابق موسى عبد الملك بن مروان قال : « سمعت امير المؤمنين عبد الملك يقول : « تلقب امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ، « بالناصر لعق الله » ويزيد بن ابي سفيان « بالمستنصر على الربيع » ومعاوية بن يزيد « بالراجع الى الله » ومروان بالمؤمن بالله » .

وبالثانية قال حدثنا ابو مطرف عن ابيه عن جده قال : تلقب عبد الملك « بالمؤثر لامر الله » والوليد بن عبد الملك « بالمنتقم لله » وسليمان بن عبد الملك « بالمهدي » لما احدث من قطع ما كان على المنبر ، وهذه الى عمر بن عبد العزيز وتلقب هو « بالدامي بصنع الله » وسمي هشام بن عبد الملك « بالنصور » فلم يزل على ذلك حتى عهد ابيه يزيد فلقب بالتخير من مال الله . وتلقب الوليد بن يزيد « بالمتكفي بالله » ويزيد بن الوليد « بالشاكر لانعم الله » وابراهيم بن الوليد « بالتميز بالله » ومروان بن محمد بالقائم بحق الله . وكان عبد العزيز بن مروان ، وكان ولي العهد ، يدعى على المنابر « بالمعظم لحرمان الله » وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينة على خليج القسطنطينية سماها « مدينة القهر » وتسمى هو « بالقاهر بعون الله » .

على ان السعودي لم يكن مقتنعا بما نقل عن تلقب ملوك بني امية فاردف قائلا على ما تقدم : ... ان الكافة على خلافه . فلو كان الامر على ما ذكر ، لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الاخبار المتقولة القاطعة والاعمال المروثة . فلما لم يذكره الجمهور من حملة ونقل السير والاثار ولا دونه مصنفو الكتب في التواريخ والسير . من ذكر اخبارهم ووصف ايامهم من تولاهم او انحرف عنهم ، علم ان ذلك لا اصل له .. »

على انه ما ان ادبرت ايام الامويين واقبلت ايام العباسيين حتى اصبح لكل من هؤلاء الاخيرين لقب يرافق اسمه الى جانب « امير المؤمنين » واول من

تلقب منهم كان اول خلافتهم : ابو العباس المعروف « بالسفاح » واختلف الناس في تفسير هذا اللقب ، فقالت طائفة بان الرجل تلقب بالسفاح لكثرة ما سفح من الاموال في التمهيد لوثوبه بالدولة الاموية واحتلال مكانها في السلطان والحكم . كما قالت طائفة ثانية ان هذا اللقب التصق باسم اول خليفة عباسي بعد ان اكثر هذا من وضع السيف في اعيان بني امية سافحا دماءهم في سبيل تأثيل ملك قومه بعد اجتثاث كل اثر لاي اموي تتوهم قدرته على الثورة او التفكير في العودة الى دست الولاية .

وبقي بنو العباس على ما ابتدأوا به من اعتماد الالقاب للخلفاء الى جانب اسمائهم الاصلية الى اخر عهدهم بالخلافة حين انتقل السلطان سليم العثماني بالتوكل على الله اواخر الخلفاء العباسيين ، من مصر الى اسطنبول واضعاً بذلك حدا للعباسيين وانصارهم من سلاطين المالك في مصر والشام والعراق وباقي الجزيرة العربية . وهكذا كان اول القاب العباسيين : السفاح ، واورها : المتوكل على الله .

ففي اليوم الثامن من شهر محرم الحرام 923 هجرية (1517 م) دخل الاتراك العثمانيون مدينة القاهرة واصبح سلطان اسطنبول سيد الشرق العربي بلا منازع وافلت دولة المالك بغير رجعة . وفي ذلك يقول محمد فريد في كتابه « تاريخ الدولة العلية العثمانية » : « ومما جعل لفتح وادي النيل اهمية تاريخية عظيمة ان اواخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر اجداده لمصر بعد سقوط بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاء خان التتري سنة 656 هـ (1091 م) وكانت له الخلافة بمصر اسما ، تنازل من حقه في الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثماني وسلمه الانار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة وسلمه ايضا مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني « اميرا للمؤمنين » و « خليفة لرسول رب العالمين » اسما وفعل . » ا. هـ .

غير اننا نجد في كلام محمد فريد عن انتقال لقب « امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين » الى السلطان سليم العثماني وزواله عن المتوكل على الله العباسي ، مجرد استنتاج لا تدعمه الوثائق التاريخية لاسيما تلك التي كتبت من قبل المؤرخين الذين عاشروا تلك الفترة ودونوا وقائعها وتفصيلها ، دون ان يدعوا من هذه الوقائع والتفاصيل لا شاردة

ولا واردة امثال ابن اياس الذى قال فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» وهو من ادق ما كتب فى هذا الموضوع . قال هذا المؤرخ وهو شاهد ميان :

« .. وفى يوم الجمعة سلخ سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة .. خطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : « .. وانصر اللهم السلطان ابن السلطان ، مالك البرين والبحرين ، وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخدام الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه . اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا ، يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين » .

وفى حوادث سنة 923 هجرية قال ابن اياس : « .. وفى يوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدا للسفر الى اسطنبول ، وخرج صحبته اولاد ابن ممة خليل وهما ابو بكر واحمد ، وخرج صحبته الناصري محمد بن الملاى علي بن خاص بك صهر الخليفة .. وءآخرون من الاعيان ، فتوجهوا الى بولاق ونزلوا من هناك فى المراكب ليتوجهوا الى نهر رشيد . فحصل للناس على نقد امير المؤمنين من مصر غاية الاسف وقالوا : لقد انقطعت الخلافة من مصر وصارت فى اسطنبول ، وهذه من الحوادث الموهلة .. الخ » .

يتبين من هذا النص ان السلطان العثماني لم يجرد المتوكل على الله من لقب الخلافة وينتقله لنفسه وان الناس لم يقولوا يومئذ بان الخلافة انتقلت من بني العباس الى بني عثمان ، بل كل ما حصل هو ان السلطان التركي المنتصر اراد ان يفرض الإقامة الجبرية على الخليفة العباسي فى اسطنبول كيلا يشكل بقاءه فى القاهرة سببا لاثارة الناس الى خلق المتاعب فى وجه العهد الجديد ، وربما لتصبح اسطنبول مقرا رسميا للخلافة .

غير انه مما لا شك فيه ، ان المتوكل على الله كان آخر من حمل لقبى « الخليفة و امير المؤمنين » من العباسيين وان هذين اللقبين بقيتا شاغرين لم يحملهما احد من ملوك بني عثمان الا ابتداء من السلطان محمود الثاني ، فان هذا السلطان وجد ملكه يضطرب تحت وطأة ثورات داخلية اضرم نيرانها بعض حكام العرب المسلمين تحت شعارات اسلامية فما كان منه الا ان واجه هذه الشعارات بالانتحاء الى

لقب الخلافة العظمى كي يفسد على الثالسين به خطتهم الدينية ويتقوى عليهم باللقب الذى كان اباؤه واجداده بغير حاجة اليه لتمكنهم من اسباب الغلبة والقوة العسكرية بحيث لم يكن لقب الخلافة عنصرا مؤثرا فى هذه الاسباب من قريب او بعيد .

اما عندما كانت السلطة العثمانية فى اوج مجدها فان لقب ، او بالاصح ، القاب ملوكها كانت كما نقلها فيما يلي من مقدمة الرسالة الجوابية التى ارسلها السلطان سليمان القانوني الى فرانسوا الاول ملك فرنسا الذى استنجد به على حماية مملكته من عدوه شارلكان ملك اسبانيا وذلك فى سنة 922 هجرية (1526 م) :

« الله العلي ، المغني ، المعطي ، المعين :

بمناية حضرة عزت الله جلت قدرته وملكت كلمته ، وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدوة فرقة الاصفياء محمد صلى الله عليه وسلم الكثيرة البركات ، وبمؤازرة قدس ارواح حماية الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وهابي رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اولياء الله ،

انا ، سلطان السلاطين وبرهان الخوفاين متوج الملوك ، ظل الله فى الارض ، سلطان البحر الابيض والبحر والاسود ، والاناضول ، والروملي ، وقرمان الروم ، وولاية ذي القدرية ، وديار بكر وكردستان واذريجان والمعجم والشام ، وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن ، وممالك كثيرة فتحها ايضا اباي الكرام واجدادى العظام ، بقوتهم القاهرة اثار الله براهينهم ، وبلادا اخرى كثيرة افتحتها يد جلالتي بسيف الظفر ، انا السلطان سليمان خان ، ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ، ... الى فرنسيس ملك « ولاية » فرنسا ... وصل الى اعتساب ملجأ السلاطين المكتوب الذى ارسلتموه مع تابعكم فراقبيان النشيط .. الخ ... »

اما بعد ان هزمت الدولة العثمانية وتقطعت منها الاوصال بانفصال ما كان تابعا لها من الولايات الاوروبية واحتلال الاجانب لكثير من ولاياتها العربية فى اسيا وافريقيا . بعد ان مال امر هذه الامبراطورية الى هذه النهاية المحزنة فقد اصبح لقب السلطان العثماني فى ايام المغفور له ساكن الجنان عبد الحميد الثاني ، « السلطان العظم والعاقبان الاعظم » امير

المؤمنين وخليفة المسلمين ومولانا السلطان ابن السلطان
الغازي عبد الحميد خان .»

حتى اذا استمر دولاب مر العثمانيين في
تقهقره الى الوراء اخذت المدارس الحكومية في عهد
السلطان محمد رشاد الملقب بالخامس تعلم طلابها
لقب العاهل التركي كما يلي :

« جناب رب ، منان ، باديشاه ، خاقان البرين
والبحرين وخادم الحرمين الشريفين ، ولي نعمت
بي منت ، امير المؤمنين ، محمد رشاد افنديمير ،
حظرتلري .. »

وماخر من حمل لقب « امير المؤمنين الخليفة
الاعظم » من ملوك بني عثمان ، كان السلطان محمد
وحيد الدين الملقب بمحمد السادس الذي اقاله مصطفى
كمال باشا من السلطنة ثم من الخلافة سنة 1923
ميلادية وبانتهاء السلطنة والخلافة من بني عثمان
اصبح لقب « امير المؤمنين والخليفة الاعظم » .. في
ذمة التاريخ على الرغم من المحاولة التي قام بها
الشريف حسين بن علي ملك الحجاز في بلدة
الشويك الاردنية حينما استدعى اليه بعض اميان
البلاد لمبايعته « خليفة للمسلمين واميرا للمؤمنين » .
وهي محاولة لم يخلدها احد في ذلك الحين على
محمل الجد وسرعان ما تجاهلها المسلمون حينما
تناقلت اسلاك البرق الانذار الذي وجهته الحكومة
الانجليزية سنة 1922 الى حليفها بالامس القريب
الذي طمع في الحنول محل سلاطين بني عثمان في
حمل لقب « امارة المؤمنين وخلافة رسول رب
العالمين » .. وهي البرقية التي تقول للحسين بن علي
شريف مكة وسليل اشرافها :

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح على وجوب
مغادرتكم العقبة ، ولا يمكنها ان تسمح لكم بالبقاء اكثر
من ثلاثة اسابيع »

ومن العقبة الى قبرس ، ففي هذه الجزيرة
كان « آخر المطاف باللاهت وراء لقب « امير المؤمنين
وخليفة رسول رب العالمين » وكان ذلك في سنة
1924 ميلادية .

ومنذ ذلك الحين .. لم يعد احد يحمل اعظم
الانقلاب الاسلامية : امير المؤمنين وخليفة رسول رب
العالمين ، بوصفه اعلى مرجع اسلامي في العالم .
وان كان ما يزال في بعض الاقطار العربية من يدعي

الى الان بلقب امير المؤمنين . كما هي الحال في
بلاد المملكة المغربية حيث لقب الملك فيها : امير
المؤمنين . وكما هو الحال في المملكة المتوكلية
اليمنية حيث يلقب امامها بامير المؤمنين . وكما هو
الحال كذلك في بعض الجماعات الدينية المنتشرة في
جنوب الجزيرة العربية حيث توجد بقايا الخوارج من
الطائفة الاباضية ببلاد عمان التي ما تزال تدعو امامها
بلقب امير المؤمنين .

وليس من شك في ان هذه البلدان وما فيها
من فرق وطوائف ، حيث تلقب عاهلها او رئيسها
بامير المؤمنين فانما تعني في الواقع انه « امير
المؤمنين الخاضعين بالفعل لسلطته السياسية في
حدود بلاده الجغرافية » . ومن الطبيعي انه لا يخطر
ببال احد ان هذا اللقب ينسحب في ايماننا على المعنى
الذي كان يحمله صاحب الخلافة العظمى الذي كان ،
ولو شكليا ، المرجع الاعلى لجميع المسلمين في العالم
على اختلاف بلدانهم وطوائفهم .

وها نحن الآن ، نتقل من لقب رئيس الدولة
في الاسلام الى بيان لقب الشخص الذي كان يليه في
حمل تبعات الادارة والاضطلاع بمسؤولية الحكم ،
وهو الشخص الذي تواضع الناس من اهل زماننا على
تسميته برئيس الحكومة او رئيس الوزارة .

قال القلقشندي : « كانوا في اوائل امر الخلافة
يمرون منه بالكاتب ، لا يعرفون غير ذلك كما اشار
اليه القاضي في « عيون الاخبار » فلما جاءت الدولة
المباسية ولقب ابو العباس اول خلفائهم كاتبه ابا
سلمة الخلال « بالوزير » استقر لقب الوزارة من
حينئذ ورفض التلقب بالكاتب » .

ولقد استعملت كلمة « الوزير » مستقلة ،
للدلالة على الرجل الذي يختاره الخليفة لمعاونته في
تحريك اطارات الدولة ومهبط اجهزة الحكم
وعناصره . على ان كلمة « الوزير لم تبق منفردة
لوحدها مدة طويلة ، اذ ان الشراء ، ما لبسوا ان
اضافوا اليها لقبا يتقدمها ، زيادة في تعظيم حاملها ،
واشعارا للناس من خاصة او عامة ، بسمو المهمة
التي يمارسها . فقد نقل الراهب الاصفهاني في
محاضراته ان الشاعر جحظة البرمكي توجه الى
الوزير الذي كان في ايامه بقوله :

قل للوزير ادام الله « دولته »
اذكر مناديتي والخبر خشكار

اذ ليس في الباب بواب «لدولتكم»

ولا حصار ولا في الشط طيسار

فانصاف الشاعسر لقب «الدولة» الى لقب «الوزير» فاصبح كلا اللقبين متلازمين لا يكاد يفترق احدهما عن الآخر منذ ذلك الحين الى ايامنا هذه ، رغم جميع القرارات « الثورية » التي صدرت في المهود الاخيرة ، بالغاء الالقاب وعدم استعمالها ، لاسيما في المكاتبات الرسمية .

ثم ما لبث لقب الوزير ان اضيف اليه فيما بعد لقب «آخر» ، فكان ابو سلمة الخلال وزير السباح يعرف بلقب « وزير مال محمد » ولما ولي المهدي ابن ابي جعفر المنصور مدة الخلافة ، لقب وزيره يعقوب بن داوود بن طهماز « الاخ في الله » ، والمأمون بن هرون الرشيد لقب وزيره الفضل بن سهل حين استوزره « بلدي الكفائيين » كما لقب اخوه الامين وزيره الحسن بن سهل « بلدي الرياستين » .

وان ارباب السيوف من امراء الدولة العباسية وكبار ممالها ، اصابهم ما اصاب غيرهم من المدنيين في الادارة . فكان لقب ابي مسلم الخراساني « امير مال محمد » وقيل « سيف مال محمد » ولقب ابو الطيب طاهر بن محمد « ذا اليمينين » ولقب الخليفة المعتمد قائد مسكره حيدر بن طاووس « بالافشين » من حيث انه اشروسني والافشين لقب على ملك اشروسنة . .

والى جانب لقب دولة الوزير الذي كان يقال لمساعد الخليفة في نفس عاصمة ملكه فلقد عرف العهد العباسي لقباً آخر استحدث فيما بعد لاطلاقه على ممثل الخليفة ، نفسه في البلدان التي كانت خاضعة لسلطانه . ذلكم هو لقب « الاستاذ » واستاذ ، كلمة فارسية الارومة ، وكانت تكتب « اوستاد » ومعناها بلغة الفرس « معلم او سيد » وعن الفرس اخذها العرب بعد ان كثر بين الامتين التداخل والاختلاط بعد الاسلام .

واول ما استعمل لقب « استاذ » كان في العهد العباسي وذلك حين اطلق على نائب الخليفة في الديار المصرية والبلاد الشامية ابي المصك كافور بن عبد الله الاخشبيدي ، الذي عرف باسم الاستاذ كافور الاخشبيدي . وهو الخصي الاسود الذي اشتراه سيده ابو بكر محمد الاخشبيدي بشمانية عشر ديناراً ورباه واعتقه قبل ان اصبح الحاكم المطلق باسم

الخليفة على مصر والشام وما اليهما من نفور وبلاد . والاستاذ كافور هذا هو الذي بالغ في مدحه المنهني عندما كان طامعا في بره وصلته ثم عاد فسلقه باهاجيه المقدمة عندما وجد ان طمعه فيه كان في غير محله .

وقد استعملت كلمة «استاذ» في اوساط النحاسيين الذين كانوا يتعاطون تجارة الرقيق فكانت تتداولها الالسة في هذه الاوساط للاشارة الى مالك رتبة الملوك فكانوا يقولون: فلان استاذ الملوله الفلاني اي صاحبه ومالك رقبته بالرق ، ثم ما لبثت كلمة استاذ ان تطورت في العهد العثماني لاسيما في الهزيع الاخير من ايامه ، كما تطورت طريقة التلفظ بها . فلقد تحولت كلمة استاذ الى كلمة «اوسطا» او «اسطه» وبهذا الشكل الاخير ما زالت تلفظ في ايامنا . وقد اصبح لقب استاذ يطلق على ارباب الصنائع واصحاب الحرف اليدوية منهم على الاغلب . والمعاصرون من اهل مصر كثيرا ما يستعملون كلمة « اوسطا » بقصد المنداة على الشخص الذي يجهلون اسمه ، وتقابلها في بلاد الشام سورية وفلسطين ولبنان ، كلمة « معلم » والفرض والمعنى، هنا وهناك واحد كما هو معروف .

على انه لا بد من القول ، بان كلمة استاذ قد تشعبت فيها اساليب الاستعمال في ايامنا حتى انها كثيرا ما غدت تطلق على الشخص العادي من الناس ، ولو كان من سوقة القوم وصعاليكهم او حتى اراذلهم ، كما انها تطلق كذلك على واحد من اثنين من ارباب السن الفكرية . المحامي الذي يتوكل للترافع عن اصحاب القضايا المدنية ومعلم المدرسة مهما كانت درجته من الثقافة او رتبته من الوظيفة .

وعلى الجملة فان كلمة «استاذ» هي اليوم « عمومية » الاستعمال بدون ضابط ولا ميزان ، من اي انسان لاي انسان .

ونعود الى القاب حكم الولايات والاطراف في الدولة العباسية ، فنقول : انه عندما تراجعت قبضة السلطة المركزية التي كانت تمارسها بغداد في علاقاتها مع ممالها في الولايات والاطراف التابعة لها ، واستشرى نفوذ هؤلاء العمال واصبحوا يتسامون الى الانفراد بالسلطة في مناطقهم ، عندما اصبح الامر كذلك نزح منهم الى مشاركة الخليفة بمظاهر الملك من مراسيم والقاب حتى اصبح الخليفة يجد نفسه

وقد أصبح شبه مجرد من كل حول ومن كل طول ، ان ينزل عند رغبات هؤلاء الموظفين الكبار في دولته ، وان يلبي رغباتهم ويحقق مطالبهم وان يمنحهم من الالقاب السلطانية ما يتطلعون اليه راغبا ام كارها على حد سواء .

ويصف لنا ابن مسكويه في كتابه « تجارب الامم » حالة الخلافة في تلك الايام حين لم يبق للخليفة من اثار السلطان الا نقش اسمه على السكة والدعاء له فوق احواد المنابر ، لا اكثر ولا اقل ، فيروي لنا هذا المؤرخ عن المطيع لله العباسي (سنة 361 هـ) انه لما سأل بختيار تزويده بالمال لاجل الغزو والجهاد ، اجابه الخليفة على طلبه بقوله :

« ان الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي ، والى تدبير الاموال والرجال ، واما الآن ، وليس لي منها الا القوت القاصر من كفاي ، وهي في ايديكم وايدي اصحاب الاطراف ، فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء ، مما تنظر الائمة فيه ، وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به على منابركم ، تسكتون به وعيائكم ، فان احببتم ان اعتزل ، اعتزلت من هذا المقدار ايضا ، وتركتكم والامر كله ! ... »

وهكذا ، لما أصبح لقب الخلافة في مثل هذا التهافت والوهن ، وعدم النفوذ وقلة الجدوى ، اذا باللقاب الحكم والسلطان تأخذ سبيلها الى اولئك العمال الذين هم من حيث المبدأ والوضع القانوني مجرد موظفين لدى الخليفة خاضعين لولايته في التعيين والاعزل والسلطة والصلاحيات .

ويقال ان اول من اتخذ اللقب لنفسه من هؤلاء الموظفين هو الحسين بن قاسم بن عبد الله الذي لقبه الخليفة المكتفي « بولي الدولة » فكان هذا الامير اول من لقب بالاصالة الى الدولة في الاسلام

ثم وافت الدلالة لآل بويه الديلم ، فسمى الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي « بركن الدولة » وهو الذي كان صاحب اصهبان والسري وهمدان ، وجميع عراق المعجم ، واستمر في الملك اربعا واربعين سنة وشهرا وتسعة ايام ، ونحا نحوه في اتخاذ الالقاب ابناؤه الذين قسم عليهم الممالك التي كانت تحت يده اثناء حياته فتلقب بفخر الدولة ، حتى ان اولهم فناخسرو اضاف الى لقبه عضد الدولة لقباً ثانيا طلبه من الخليفة الطائع لله ، وهو « تاج الملة » ثم انه لم يكتف بهذين اللقبين الساميين ،

وتطلع الى لقب ثالث ، يجعله فوق جميع اصحاب الالقاب من امثاله الماصرين له ، فتلقب بشاهنشاه (اي ملك الملوك) وامر خطباء المساجد ان يشركوه بالدعاء الى جانب الخليفة نفسه بهذا اللقب الاخير وهذا اللقب الذي كان الفقهاء يمانعون في اطلاقه على اي انسان ، مهما سما مركزه وقويت شوكته ، لما فيه من المعاني التي لا يجوز ان يقال الا لله عز وجل الذي هو جلت قدرته ، ملك الملوك وحده دون سائر خلقه من بني الانسان .

ولقد كان اطلاق اللقب على احد الحكام من قبل الخليفة ، يتم وسط مراسم حكومية تجري في غاية الابهة والفخامة ، فلقد حكى صاحب تاريخ الاسلام في اثناء الكلام من تلقيب عضد الدولة الذي اشرنا اليه من قبل ، بتاج الملة :

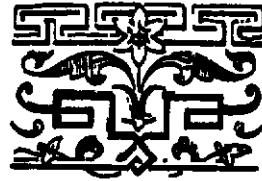
ان الخليفة ، الطائع لله ، جلس في هذه المناسبة على السرير ، وحوله مائة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة ويده القضيب ، وهو متقلد سيف النبي صلي الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعشها عضد الدولة ، وساله ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين احد من الجند قبله . ودخل الاتراك والديلم وليس مع احد منهم حديد .. ووقف الاشراف واصحاب المراتب من الجانبين ، ثم اذن لعضد الدولة ثم رفعت الستارة . فقبل عضد الدولة الارض ، فارتاب زياد القائد لذلك وقال ، بالفارسية : « ما هذا ايها الملك ، اهذا هو الله عز وجل ! ! » فالتفت اليه عبد العزيز ابن يوسف وقال له : « فهمه » فقال له : « هذا خليفة الله في الارض » ثم استمر (اي عضد الدولة) يقبل الارض سبع مرات ، فالتفت الطائع الى خالص الخادم ، فقال : استدنه فصعد عضد الدولة ، فقبل الارض دفعتين ، فقال له ادن الي ، الى ان دنا وقبل رجله ، وثنى الطائع بيمينه عليه ، وامره فجلس على كرسي بعد ان كثر عليه « اجلس » وهو يستعفي ، فقال له ، اقم لتجلس ، فقال : عندي معلوم ، فقال ، نيتك موثوق بها ، وعقيدتك مسكون اليها ، فاوما براسه . ثم قال له الطائع : قد رايت ان افوض اليك ما وكل الله الي من امور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي واسبابي . فتول ذلك مستخيرا بالله ، قال عضد الدولة يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته ، واريد وجوه القواد ان يسمعوا لفظ امير المؤمنين ، فقال

الله ، وانهاك مما نهالك عنه ، وابراء الى الله مما سوى ذلك، انهض على اسم الله . »

ثم اخذ الطائع سيفا كان بين المحدثين فقلده به مضافا الى السيف الذي قلده مع الخلعة ، وخرج من باب الخاصة ، وسار في البلد . . . »

والجدير بالذكر ، أن حكام الديلم من بني بويه المذكورين ، كانوا قدوة في هذا الباب ، لمن جاء بعدهم من ارباب الحكم في ولايات الامبراطورية الاسلامية العباسية ، خارج بغداد ، فكثرت الاسماء التي التصقت بها الالقاب من مثل **صمصام الدولة** ، و**غضنفر الدولة** ، و**شرف الدولة** وما شابه ذلك .

الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ، ومحمد بن عمر وابن معروف ، وابن أم شيبان ، والزينبي ، فقدموا . فأعاد الطائع لله القول بالتفويض ثم التفت الى طريف الخادم ، فقال ، يا طريف ، تفاض عليه الخلع ويتوج فنهض الى الرواق ، وألبس الخلع - وخرج فأومأ يقبل الارض ، فلم يطلق لكثرة ما عليه ، فقال له الطائع : حسبك ، حسبك ، وأمره بالجلوس ، ثم استلمى الطائع تقديم الويتة ، فقدم لواوين واستخار الله ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقدتهما ثم قال : يقرأ كتابه فقريء فقال له الطائع : « خار الله لك ولنا وللمسلمين ، آمرك بما أمرك



تطور الفكر العلمي وكيفية التقنيات بالمغرب منذ العصور الوسطى الأستاذ: عبد العزيز بنغالب الرباط

التكد الموصلي وابن سينا والرازي وداخرين ونظمت صناعة الطب منذ عام 295 هـ (2) باقرار الخليفة المقتدر نظام الامتحانات مخرج في عام 319 هـ وحدها ببغداد 860 طبيبا واجري اول امتحان للصيادلة ايام المعتمد عام 221 هـ واول مارستان بنى في الاسلام كان بالشام في عهد الوليد الأموي عام 86 هـ (3) ثم في مصر في عهد أحمد بن طولون وكان في المارستان العسدي اربعة وعشرون طبيا فيهم الكحالون والطبايعون والجراحون .

ومن اطباء الأندلس وصيادلته في هذا العصر ابن جلجل (وهو اعظم طبيب طبائعي) والوليد المدحجي الذي دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وهو طبيبه الخاص، وعبد المالك بن حبيب السلمي المرداسي القرطبي المتوفى عام 238 هـ ، واول من انخل الطب الى المغرب هو اسحاق بن عمران وابن الجزار صاحب « زاد المسافر وتوت الحاضر » وهو أحمد بن ابراهيم بن ابي خالد المتوفى عام 395 هـ (4) ومحمد بن عبدون الذي اشرف على مارستان القاهرة ورجع الى

لقد استعرضنا مختلف العوامل التي كان لها اثر قوي او ضعيف في تطور الفكر واللغة بالمغرب ومن تلك المؤثرات العناصر الحضارية الاموية والقيروانية والاندرلسية ثم الثقافية من قرآن ولغة ودين وادب وتصوف غير أن نظرنا الى هذا التطور لن تتم ما لم نستشف من خلال البحوث والدراسات ذات الطابع العلمي ما امكن للكيمائيين والرياضيين والطبايعين والاطباء والصيادلة والفلكيين والفلاسفة أن يسهموا به من آراء ونظريات ومصطلحات لبلورة اللغة العربية واستكمال تطورها في المغرب ، وبما أن المغرب الاتصى لم يكن يعيش في تفص متغل بالنسبة للشرق العربي وأنه دشّن منذ القرن الثالث الهجري مع الأندلس عهد تبادل مكثري اوثق فان من الضروري استكناه محتويات هذه الاواني المستطرقة (1) جميعها للتعرف على الهيكل العلمي ومقوماته ، فلي خصوص الطب والصيدلة والكيمياء المستجدة في المغرب الاتص نلاحظ بأن الأندلس ، وبالتالي المغرب ، كانا حالة على الشرق حيث ظهر امثال جابر بن حيان والحسن بن

(1) وهو مبدأ غاليلي Galilée المعروف بـ Vases Communicants

(2) (القطبي ص 130) .

(3) المقرئ في الخط والاثار ج 2 ص 405 طبعة بولاق .

(4) صبح الأمتى ج 3 ص 337 .

الاندلس عام 360 هـ (5) وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (6) .

ويظهر أن هذه العلوم بدأت تزدهر في المغرب الأندلس منذ هذا العصر حيث كانت جامعة القرويين وملحقها جامع الأندلس بفاس تدرسان الطب ضمن الكتب المقررة وقد أشار لوكير إلى هذا الازدهار (7) ولاحظ (8) أن المغرب أشد أقطار الإسلام عمقا من الناحية العلمية وهو يقصد المغرب الثلاثة وخاصة إفريقية ، وقد لاحظ القفطي (9) أن المعز الفاطمي نقل معه إلى مصر كثيرا من الأطباء المغاربة واشتهر تسطنطين التونسي آنذاك كطبيب ماهر وأسس مدرسة طبية منذ القرن الرابع (10) وكان القرنان الخامس والسادس الهجريان أبرز العصور العلمية في الأندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تخلف عن تدخل المرابطين ثم الموحدين وذلك بفضل العناية التي أولاها هؤلاء الخلفاء للعلم والعلماء، اذ يمكن القول - والدكتور لوكير يؤكد هذا (ج 2 ص 72) - بأن الفكر لم يسبق له أن تحرر كما وقع في هذا العصر

وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد (الذي هو أعظم فيلسوف أنجبته الأندلس) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو أبو مروان عبد الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية ، يضاف إلى هؤلاء الفاطمي (11) وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الداني اللذان ألفا في تاريخ الطب الطبيعى وابن المصوم (12) مؤلف « كتاب الفلاحة » الذي لا يوجد له نظير في الأدب العربي لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق تديبية ثمينة (13) بل هو أعظم ما أنتجه ، لا العرب وحدهم، بل حتى المصور التديبة (ص 110) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال القرن المقبل أمثال ابن البيطار (14) المالقي وأستاذه ابن العباس النبطي وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الأثناء من أعظم العلماء سوى فخر الدين الرازي فاستطاع الأندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الإسلامي (15) .

- (5) يوجد الجزء الأول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط وكذلك مختصر كتاب « الامتداد » في الأدوية المفردة لابن الجزار ومختصر الطب لابن حبيب الرمداسي .
- (6) (النسخ ج 1 ص 444) والزهراوي هو صاحب (التعريف لمن عجز عن التأليف) وهم أعظم جراح عربي (لوكير - الطب العربي ج 1 ص 334) اعتنقه مؤلفو الجراحة في المصور الوسطى وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تلتقيت حماسة المثانة ومالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في الجراحة ويوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط جزء من هذا الكتاب ((عدد 1427 د) الذي طبع بالهند وقد مات بعد الأربعمئة كما عند حاجي خليفة والحسن الوزان الذي أرخ وفاته بـ 404 هـ (موافق 1013 م) وهم كازيري Casiri الذي أكد في المجلد الأول من فهرسته (ص 137) أنه عام 500 هـ (لوكير ج 1 ص 437) .
- (7) نفس المصدر (ج 1 ص 334) .
- (8) (ج 1 ص 407) .
- (9) في (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) ص 75 .
- (10) (شهيرات المغرب) للكانوني وهو مخطوط نقل من كتاب حول (الإسبان بالمغرب الأقصى) لعالم فرنسي لم أتبع اسمه بوضوح في المخطوط المذكور .
- (11) هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن قسوم الفاطمي صاحب « المرشد » في طب العيون ويوجد « كتاب الامشاب » للفاطمي في دار الآثار العربية وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات ومقائير وحيوانات متقنة الرسم .
- (12) هو أبو زكرياء يحيى بن محمد الذي لا نعلمه إلا من خلال مصنعاته ويذكر كازيري أنه عاش في القرن السادس الهجري .
- (13) (لوكير ج 2 ص 11) .
- (14) ابن البيطار تولى عام 646 أكل عتارا ثائلا لمبات من ساعته (نفع الطيب ج 2 ص 874) .
- (15) (لوكير ج 2 ص 72) .

والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم في العلاج وتدريس الطب - فاماد المغرب كثيرا من نكبة الاندلس .

ويظهر ان علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقنا في عهد المنصور عندما حارب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد الى التخلي عن الخوض في ذلك ، والمنصور هذا وان كان لم يقصد اضطهاد رجال الطب حيث اناط بابن زهر نفسه مأمورية تمتع بالفلاسفة ثقة به الا انه بعد الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها فانتجها الناس اليها انجذابا للمادة فغل المعتنون بالحكمة والطب ، على ان امتثال المنصور لابن رشد وابى جعفر الذهبي زاد الناس رغبة في مصير الفلاسفة والاطباء ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فاماد الخطوة الى الرجلين وكلف ابا جعفر بالسهر على مصالح الاطباء وطلبة الطب ، وتلك من المنصور محاولة لا بأس بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو Reinaud أن المغرب لم يبق على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبقية العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في أسبانيا المجاورة ، ولكن منذ أواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلاديين - وهما أبرز عصور أسبانيا المسلمة - امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين « فكيف يمكن إذن أن نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين انجبتهم الاندلس او الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى ماس او مراكش او انجات ، فللمغرب الحق إذن أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد « الخ (18) وكانت الحكمة تشمل آنذاك جميع

وبفضل الانبعاث العربي في الاندلس (16) صارت أوروبا تنفض عنها اودية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند Raimonde اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ، ثم ورد جبرار دوكريسون على طليطلة حيث استتر نحو من نصف قرن نقل خلاله من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او افريقيا مغربا .

وقد بدأت حركة الترجمة في افريقيا منذ القرن الرابع لهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس مدرسة سالرنه وهي أول مدرسة من نوعها في أوروبا وكانت مبعث أنوار الطب الحديث في العالم الغربي ، ولد حوالي عام 400 بتونس وحمل مخطوطات طبية الى سالرنه Salerno بقيت غذاء أوروبا مدة ترون وترجم الى اللاتينية أهم كتب الطب العربي منها « زاد المسافر » لابن الجزار وكتب للرازي واسحق ابن سليمان الاسرائيلي والى نحو من 24 كتابا في الطب منها قانون الطب في 12 مجلدا و « فياتيكوم » في الطب العام في سبعة أجزاء ومات عام 475 .

وكان القرن السابع في الشرق مصر ازدهار ثم انهيار نسبي للعلوم كما كان قبله القرن السادس في الاندلس ولكن لم يكد يمضي المئذ الاول من القرن السابع (17) حتى بدا صرح العلم ينهار وطيمست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تآلق نجمه منذ عهد الناصر الاموي طوال ثلاثة قرون .

نعم في العهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت - كما يقول لوكليز (ج 2 ص 340) جماعة من الاطباء التفتت حول ملوك المرابطين

(16) وقد نبغ في القرن السابع أمثال السويدي صاحب التذكرة المتوفى عام 691 هـ (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط مختصر للتذكرة لعبد الوهاب الشعرائي المتوفى عام 973 هـ في 141 ورقة) وابن أبي أصيبعة وجمال الدين القفطي (على بن يوسف المصري الوزير الملقب بالقاضي الاكرم المتوفى في عام 646) وعبد اللطيف البغدادي (المتوفى عام 629 هـ والذي امتاز في وصف اشخاص مصر) وابن النفيس المصري المتوفى عام 687 هـ والذي كان أعظم أطباء عصره وهو صاحب « كتاب الشامل » الذي لم يكمل المؤلف منه سوى 80 مجلدا من بين 300 (يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط موجز قانون ابن النفيس لعلي بن أبي الحزم القرشي المتوفى عام 687 في 38 ورقة) .

(17) أي بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام 609 « وكانت السبب في هلاك الاندلس » كما يقول ابن مغازي في « البيان المغرب » (ج 4 ص 240) .

(18) الطب القديم بالمغرب - رينو Reinaud نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72 ابن القاضي (درة البحال ص 117) .

سحب الفلسفة والعلوم وأن كان مفهومها سيقتصر في القرون الأخيرة عندما يضعف الفكر العلمي بالمغرب ليتصر على جزء من الطب هو الكعالة أو مرض الميون.

ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد أن كان طبيب المعتد بن عباد بأشبيلية (19) ووالد أبي العلاء هو أبو مروان عبد الملك ابن أبي بكر محمد بن مروان بن زهر الذي تولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (20) وكانت له آراء شاذة في الطب منها منعه من الحمام اعتقادا منه بأنه يعفن الأجسام ويسد تركيب الأمزجة (21) وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب من تاليفه لكتاب «التذكرة» (الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالأدواء الغالبة في مراكش والأدوية المناسبة.

وبعدما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى كان أبو العلاء سجلها في أوراق وهي «المجربات» (22) وولده هو أبو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل أبيه والف ككتاب

الاقتصاد (23) وهو أعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازي في الشرق.

وقد قرأ عليه أبو الحكم ابن غلندو الأشبيلي الشاهر عام 535 كتاب «الاقتصاد» في سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشرين سنين. وكان ابن رشد يفضل ابن زهر على غيره من أهل عصره (24). وقد نهج ابن زهر في كتاب «التيسير» أسلوبا جديدا في الحكمة القياسية مستخدما التحميم العقلي للوصول إلى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتحميم العلمي وليس من صناع اليد كما يقول في «التيسير» ولذلك توصل بفضل قياساته الطبيعية وتجربته الشخصية إلى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فقد أهتم بالأمراض الرئوية وأجرى عملية القصبة المؤدية إلى الرئة وتكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة في مرض الذبحة لمعولج المريض وقد اختص في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صوابة كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة — إذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر

(19) ذكر المراكشي في «المعجب» أن المعتد استدعى أبا العلاء لمعالجة «الربكية» عندما كان أسيرا بأفغيات.

(20) (النسخ ج 1 ص 445).

(21) الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ج 2 ص 64 — 66

(22) جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (844) وقد ترجم جان دوكابو التذكرة من العبرية إلى اللاتينية (نسخة من مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالى التراجم عام 1280 والمطبوعات (عشر مرات بين 1490 و 1554).

وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها إلى 1531 وهي تحتوي أيضا على كليات ابن رشد.

وهناك رسالة في أمراض الكلى كتبها أبو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة بباريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات، ولابن العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندي حول تركيب الأدوية.

وتوجد نسخة من (جامع أسرار الطب) لابن العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة.

(23) لإبراهيم بن يوسف أخي علي (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة في الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بهروف عبرانية وعرغ من الكتابة عام 515 هـ.

(24) ابن عبد الملك في «الذيل والتكملة».

شأن الجهاز البشري — تكني وحدها في الغالب لمعالج
الادواء (25) .

الذي يقتبس منها في « جامع المفردات » . ومن تلاميذه
ابن باجة سفيان الاندلسي المتوفى عام 537 الذي كان
أحد أطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة
في تأليف كتاب التجريتين (31) .

ومن الأطباء الذين نبغوا في هذا العصر : أبو
جعفر بن هارون الترجالي طبيب يوسف وهو تلميذ
المعافري في الحديث وشيخ ابن رشد في التعاليم والطب
وكان عالما بصناعة الكحل (طب العيون) (32) .

أما الوليد ابن رشد فاهم مصنفاته كتاب الكليات
الذي طلب من ابن زهر أعداد ملحق له (33) في
الجزئيات لتكون جملة كتابيهما كتابا كاملا في الطب، وقد
نظم عليه المنصور وأجبره على المقام باليسانة الأهلة
باليهود قرب ترطبة وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن
سينا ما يفسد الأطباء اليوم وهو تبديل الهواء في
الأمراض الرئوية ، أشار إلى جزيرة العرب وبلاد النوبة
كمراكز شتوية (34) .

والحنيد أبو بكر بن مروان كان طبيبا شاعرا متين
الدين خدم الدولتين اللبثونية والموحدية (عبد المؤمن
ويوسف ويعقوب والناصر) تولى عام 596 هـ بمراكش
ألف « الترياق الخبثيني » ليعقوب المنصور ودس إليه
ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت
هي وأماها عالمتين بالطب لاسيما في أمراض النساء
وتدخلان إلى نساء المنصور (26) وكان أبو بكر يحفظ
صحيح البخاري (27) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة
وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (28)

أما أبو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف
بابن باجة (29) فهو شيخ ابن رشد ، وقد استوزره
أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك
الأطباء في صناعتهم لمحسوده وقتلوه مسموما عام
533 هـ (30) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية
المنسوبة لابن باجة ولا يعرف إلا عن طريق ابن البيطار

(25) (حضارة العرب) جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية . وقد وهم كودارد لمزعم في كتابه
حول تاريخ المغرب (ص 452) أن أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن ابن زهر استعاض بالمنهج
التجريبي والطريقة العقلية من التقليد في ممارسة من الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شمس
ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

(26) (ابن أبي أصيبعة ص 67) .

(27) (الانيس المطرب) (ج 2 ص 180)

(28) (المطرب لابن دحية) .

(29) المتوفى بفاس (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 63)

(30) وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتلمذ لابن باجة الذي مات عام 1138 (525 هـ) أي عندما كان لابن
رشد 12 سنة وابن أبي أصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة .
(مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420) .

ويذكرون أن وفاته كانت سنة 533 هـ بفاس فيكون قد أتبع بذلك لابن رشد أن يتتلمذ له .
كما خطأ عمر فروخ في كتابه « ابن طفيل وقصة حي بن يقظان » ص 31 « المراكشي » حينما زعم أن ابن
طفيل ترا على ابن باجة » .

واضطرب الفتح بن خاقان في ابن باجة حيث نسبته في القلائد للتعطيل وانحلال العقيدة وحلاه في
« مطمح الانفس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة (والسلسلة ج 3 ص 262) .

(31) (لوكليز (تاريخ الطب العربي) (ج 2 ص 79)

(32) ابن أبي أصيبعة (ج 2 ص 75) وذكر ابن عذارى في « البيان المغرب » (ج 4 ص 49) أن الخليفة
أبا يعقوب اعتل عام 573 فوفدت عليه الأطباء في الاندلس للمعالجة إلى أن وجد الراحة » .

(33) وذكر أيضا أن أبا يعقوب لما خرج في الغزوة التي مات أثرها بالاندلس كان الأطباء الحاضرون لديه
هم ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم (ج 4 ص 70) .

(34) (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية) .

بوقة مع مصطلحات الشرق العربي عدا غروي ترجع الى اللون المحلي كالثباتات والازهار والاعشاب العقاقيرية التي تحمل اسماء خاصة متأثرة بالعقاقير الجبوية ونضرب مثالا لذلك بالجوزة الصحراوية التي عرفت في المغرب بهذا الاسم بينما عرفت في كل من الشرق والجزائر بجوزة الشوك (41) وقد استعمل الطبيب هرون بن اسحاق ابن عزرون في أرجوزته التي استدرج فيها على الحيات الواردة في أرجوزة ابن سينا (وهو من رجال القرن الرابع ماض في عهد عبد الرحمان الثالث) نحو ثلاثين كلمة مغربية أندلسية بدل مقابلها الفصح منها :

- تين مكة (اخضر)
والحلحال (= اسطوخودوس)
والمعتربان (= استولونديون Scolofendre)
والناسوخ (= أشق :
(Gomme Ammoniaque
وشيبة العجوز (= اسنتين Absinthe)
والمجبية (= اكليل الملك Mellilot)
وحبة حلاوة (= أنيسون Anis)
والرجلة (= بقلة حمقاء Pourpier)
ويربوز (= بقلة يمانية) Blette)
وحبق الاترج (= ترنجان Basilic citronnelle)
والصمصام (= خلاف Saule ou Peuplier)
والجزر البري (= دوقو Carotte sauvage)
والناعع (= بزر الرازيانج Graine de fenouil)
والبرستم المكور (زراوند مدحرج)
(Aristolochie ronde
والهندبا (= سريس Chicorée)
والحمودة (= سقمونيا Scammonée)

وابن رشد هو أول (35) من اشار الى الدورة الدموية وعملها في كتابه « الكليات » الذي استمد منه ويليام هارفي William Harvey معظم نظرياته . وهناك أطباء آخرون ينف مدد البارزين منهم على المشيرين ، ازدهر بأبحاثهم القطاع العلمي في عهد المرابطين والموحدين (36) نخص بالذكر منهم عالمين اثنين من سبقة هما علي بن يقطان الطبيب الشاهر الذي زار مصر عام 544 هـ ثم اليمن والعراق ، وابن سمعون أبو الحجاج يوسف بن يحيى (37) الذي كان طبيبا ليهون أمير حلب ولملك مصر الظاهر ، وذلك علاوة على ابن الرومية النبطي الاشبيلي أحمد بن محمد بن مخرج المعروف بابن المشاب الذي رحل الى الشرق عام 614 (38) بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع ، وكان لرحلة ابن البيطار الى المغرب اثر قوي في نقل المصطلحات البربرية الى معجمه العربي الجديد الذي أصبح المرجع الاساسي في الشرق وخاصة بمصر حيث عين ابن البيطار رئيس المشابين (39) .

ومن أبرز من ظهر في هذا العصر أيضا الشريف الإدريسي الذي صنف كتابه « النزهة » في الجغرافية عام 548 هـ (1154 م) ووضع كرة لمضية للعالم جعلت منه استاذ أوروبا كما شحن كتابه في الادوية بنتائج تجاربه الشخصية القيمة ، هذت الطبائمي الشرقي الكبير ابن البيطار الى الاقتباس منه في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (40) والامتناد عليه وحده في ثلاثين موضعا مع الإشارة الى اسمائها بالبربرية . ويتجلى من هذا المرض ان العلوم ازدهرت في المغرب الأقصى الى القرن السابع وانصهرت معطياتها ومفرداتها في

- (35) ابن النفيس المصري ، اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 - بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33) وقد اشار ابن النفيس الى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .
(36) تحدثنا عن جسيمهم في كتابنا « الطب والاطباء بالمغرب » المطبعة الاقتصادية 1960 بالرباط .
(37) القنطري ج 2 ص 160 و 193 و 256 .
(38) توفي عام 637 هـ وصنف كتابا في الحشائش رتبته على حروف المعجم وناق أهل زمانه في معرفة النبات (نفع الطيب ج 1 ص 635) وتلميذه ابن البيطار هو أعظم نباتي العرب الذي قارنه لوكليز (ج 2 ص 225) بالفانقي والشريف الإدريسي ورشيد الدين الصوري والنبطي .
(39) نفع الطيب ج 2 ص 683 .
(40) لوكلير Leclert (ج 2 ص 680)
(41) ابن البيطار في « جامع المفردات » وعبد الرزاق الجزائري في « كشف الرموز في بيان الاعشاب » (طبعة الجزائر 1903 و 1917) .

— الجفن — الحاجب — الحبو — والحدبة — حك
الورك (أي حك وهو مغرز رأس الفخذ) حلقوم —
حنجرة — خرطوم — أما في عموم الحيوان فنذكر من
المفردات :

الحيوان — البغل — الجبع (خلية النحل)
والجمل والحمار والبرغوث والبق والنحل — والبموض
والنساج والتيس — والثعبان — والحية — والحنش
والانمى — والجحش والجراد والجرثومة والجرو
والجماد والحجل — والحدأة ، والحرجة (جماعة الفم
والابل) والحظيرة والحلس والحوار (ولد الناقة)
والحوت والحولي — والحيتان (الدراج) (الحيقون
في زمير) وختل الصياد — والخروف والدلفين —
ودوارة البطن (أمعائه) والديك — والدباب — والدب
— والخيل — والخيال — والخطاف — والخفاش —
والخنفساء الخ .

أما في عصر المرينيين فإن الملكة العلمية تضاملت
وصار حفظ النصوص هو الغالب لا في علوم الآلة
كالنحو أو علوم الشريعة بل حتى في المنطق والحساب
والطب وسائر العلوم العقلية (42) ويظهر أن هذه الأمة
الفكرية قد أصابت بشلل جزئي تطاعات علمية في
الشرق حيث بدأ عصر الانحطاط العلمي في القرن
الثامن وبداية التاسع على أثر السيول الجارفة التي
حطمت في طريقها معالم الدنيا تحت أمرة جنكيز خان
وتيمورلنك ، وإذا كان ابن بطوطة قد تحدث لنا عن
المدرسة النظامية التي كانت ما زالت قائمة البنيان فإن
أساندها وطلبتها اندرسوا وقد لاحظ لوكليز أنه أمكن
في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعين عالما فصلهم من
الاندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لقلة الطرافة
والاكتفاء بالجمع والتأليف (43) .

ويرى بعض المستشرقين أن جامعة فاس التي
ظلت تدريس الطب بكتب أبقراط وجالينوس وديوجينيس
المعربة لم تكن لتعتمد جامعات العواصم العربية
الأخرى (44) . والواقع أن الفكر العلمي بدأ يتحجر
ليجهد على النصوص الظاهرة بالرغم مما يقال من

والحبق القرنفلي (= شاهسبرم Petit basilic)
ومشيشترو أو (= نمناع Menthe فونذج)
وحب الملوك (= تراسيا Cerise)
والكروية البرية (= تردمان Carvi sauvage)
وقصة الحية (= تنطوريون Centaurée)
والشمع الأبيض (= Cire blanche) (موم)
وغير ذلك .

وكان النباتيون يسمون الشجارين والحشائشيين
بالشرق بينما يعرفون بالعشابين في المغرب ومنهم ابن
المشاب المعروف بابن الرومية .

ولعل العامية المغربية من أغنى اللهجات العربية
الدارجة في مصطلحات العلوم بالرغم من وجود مرادفات
بربرية ولنضرب لذلك أمثلة مقتبسة من معجمنا في
« الأصول العربية للعامية المغربية » .

ففي خصوص الأعشاب والأزهار : بابونج
(بابنوج) — بسباس (المعجم الوسيط) مقدونس
(معدنوس ترفلس) — الترنج (الكباد بالشام) —
ترياق (دواء للسموم) الجلبان — حب الرشاد —
الحرف — الججلان — جلنجن — الجوز — الباذنجان
— البهيرة (البستان) — برقوق — أجاص — البصل
— المنصل — الفول — البطيخ — البرسيم — التبن —
الثوم — الحطب — الحرمل — الحنيس —
الحلبة — حلفاء — حفاض — حمص — حناء — حنظل
— خبزة — خزامى — خس — خشخاش — خشاش
— خوخ — خيلار — ذرة .

وفي العلوم : التوتيا — الجلود (الصخر) —
الجدول — الجذري — الجذام — الجذر — الجليد —
الحادور (المكان المنحدر) — الحارة (الفضاء) —
حامض الرئة أي مر النفس — الحبل (حمل المرأة)
والحرقة والحصاحص (الأرض الحجرية) — الحكة
والحراج — والخنان والدمل الخ .

ومن أمضاء الجسم : بمصوص (عظم بين
الابنتين) (المعجم الوسيط) جمجمة — اقنف الانف

(42) « نشر الثاني » ج 2 ص 97 « وسلوة الانفاس » ج 1 ص 74 نقلا عن كتاب لعلي بن ميمون
الناسي .

(43) كتاب الطب العربي لوكليز (ج 2 ص 258) .

(44) ليفي بروفنصال Lévy-Provençal (هسبريس Hesperis عام 1952 ص 3) ولوكليز « الطب
العربي » (ج 1 ص 575) وقد وصف كل من الرحالة باديا ليليش المعروف بعلي العباسي والدكتور
رينو Renaud (الطب القديم بالمغرب ص 77) مدينة فاس بأنها أئنة إفريقية أي شبيهة بعاصمة
الفكر اليوناني بأوربا .

وجود مدرسة للطب في سلا (45) ومن ظهور دراسات مغربية حول علل وطرق علاج «الطاعون الاسود» (46) الذي ظهر في منتصف المائة الثامنة .

وأبرز من ظهر من الاطباء انما عاشوا في اوائل عهد المرينيين امثال ابي العباس الشريفي السلوي الذي قرا الطب في الشرق على ابن بنان (47) ومحمد ابن خليل السكوني الذي صنف في الخواص الطبية والكليات في الاغذية والبيطرة ومن ركوب الخيل وتدبير الحروب (48) .

اما في القرن الثامن فان العلماء أصبحت لهم مشاركة محدودة مثل احمد ابن علي المياني المراكشي الذي جمع بين الشعر والكتابة والطب (49) بينما كانت لهذه المشاركة سمة الضلعة والعمق عند التنبؤ مثلا الى اوائل القرن السابع حيث كان الى جانب اختصاصه في علم النبات اماما في الحديث حافظا ناقدًا .. « لوجود القدر المشترك بين صناعتني الحديث والنبات اذ موادهما - كما يقول ابن الخطيب في الاحاطة - الرحلة والتعبد وتصحيح الاصول » ، وقد شملت المشاركة جوانب شتى عديدة من العلوم والتقنيات أهمها الرياضيات والهندسة والهيئة . وكان العرب اساتذة النهضة الاوربية في الحساب (50) وقد نجد سيديو Sedillot (51) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرًا الى ما أبدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة للدائرة Tangentes في الحسابات ، والاستعاضة عن الاساليب المعقدة بحلول مبسطة أصبحت أساسا في حساب المثلثات الحديث Trigonométrie

وقد لاحظ العالم ثال Charles انه كان للعرب فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة ،

ونؤكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen

ومن بينها بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطرق هندسية، ويقال بان الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Equation de 2° Degré وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر ابن ابراهيم (52) ولعل لفظي الخوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمي الذي يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش في عصر المأمون العباسي. ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية ، وقد ابدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اي المغرب الكبير والانفلس في بلورة هذا الاشعاع العلمي العربي فظهر ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوغريتم ، واشتهر في الانفلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى ابن يحيى المعروف بابن السبينة وابو القاسم اصبح بن السمع (له تاليف منها المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس ، وكتاب كبير في الهندسة) وابو القاسم ابن الصغار وابو الحسن الزهراوي (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات) وابو الحكم عمر الكرماني (من الراسخين في العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابن برغوث (اختصاصي في العلوم الرياضية) وتلميذه ابو الحسن مختار الرمياني (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطي (ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع في العدد والهندسة) وابو هي القرطبي

(45) ورد في الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وبقائله » المتعلق بالرباط ونهايته (ص 32 و 225) ان « المدرسة البوعنانية » المنسوبة الى ابي عنان المريني بسلا كانت « مدرسة للطب » ونسب ذلك الى « الاستقصا » الذي لم يشر اليه عند تعرضه للمدرسة (ج 2 ص 151) .

(46) الطب القديم بالمغرب - رينو - ص 47 .

(47) توفى بالقيوم عام 641 هـ (الاعلام للمراكشي ج 1 ص 351) .

(48) توفى عام 646 (الاعلام ج 3 ص 145) .

(49) جذوة الاقتباس ص 73 .

(50) كويي Gautier في كتابه « عادات المسلمين واهرامهم » ص 238 .

(51) تاريخ الطب العربي - لوكلير ج 1 ص 320 .

(52) « حاضره العالم الاسلامي » (ج 1 ص 151)

وأبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة من أهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع « البيلة » و « الخسة » بصحن القرويين عام 599 هـ (58) .

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ، علي عام 674 هـ خرج يعقوب المريني إلى ضفة وادي فاس « ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء » توقف على المدينة البيضاء (فاس الجديد) وشرع في حفر أساسها (59) .

ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن البناء في الحساب (60) .

ويوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة بفاس أخذ عنه ابن البناء الحساب والتعالم (61) .

ومحمد بن علي المعروف بالشريف أستاذ ابن البناء المراكشي الذي كان يذاكره مسائل من كتاب الأركان لاتلديس (62) .

(بصير بالهندسة ، رحل إلى مصر عام 442 هـ) وأبو الوثشي الطليطي (الهندسة) (النسخ ج 2 ص 874) ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات بالمغرب الأقصى في مختلف العصور : أبو بكر بن الصايغ المعروف بابن باجة Avempace له تعليقات في الهندسة (53) .

والحاج يعيش الذي صنع لعبد المؤمن ابن علي مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من ألف رجل وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله (54) .

والمهندس عبيد الله بن يونس الأندلسي الذي استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة هندسية (55) .

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان القضامي الذي كان عالما بالهندسة وسائر التعالم (56) .

وعبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين الفاسي وهو بربري توفي بمراكش عام 600 أو أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد والإسكوريال والقاهرة (57) .

53) توفي بفاس « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة (ص 63) وكانت ولما تم عام 533 هـ (الإعلام للمعاصرين بن إبراهيم المراكشي ج 8 ص 6) .

54) فإذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد ربع البسط من موضع المقصورة فتطلع الأضلاع في زمان واحد ولا يفوت بعضها بعضا بدقيقة ، وكان باب المنبر مسدودا فإذا قام الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج المنبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسمع لها حس ولا يرى ، وذكر المقرئ في النسخ أن آثار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ .

55) (نزهة المشتاق للأديسي ص 67 من الجزء المطبوع حول أفريقيا والأندلس) .

56) انتقل إلى فاس حيث توفي في حدود ستمائة (الجذوة لابن القاضي ص 72) .

57) ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المصدي المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » (مخطوط بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسمى « اللعة الماردينية في شرح الياسمينية » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطنبول) وله أرجوزة في أعمال الجذور توجد بخزانة الإسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب 1942 (السنة الأولى - عدد 1) ومن شرح الأرجوزة سعيد المعقباتي التلمساني الملقب برئيس القلاء (نيل الابتهاج ص 106) .

58) (الجذوة بين 37 و 57) .

59) (السلو ج 3 ص 145) .

60) (الجذوة ص 76) .

61) (الجذوة ص 346) .

62) توفي عام 682 هـ (الإعلام ج 3 ص 192) .

في الحساب عارف بالمنطق والهندسة (من أهل القرن
الثامن) (69) .

ومحمد الشريف التلمساني من علماء الحساب
والهندسة والهيئة ، كان لسان الدين ابن الخطيب إذا
الف تأليفا بمثله إليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه (70)

وجمال الدين المارديني خليل بن يوسف المهندس
المتوفى عام 872 هـ (71) .

ومحمد التوري حافظ فاس الحيسوبي الطبيب
المتوفى عام 872 هـ (72) .

وامير المؤمنين في الفرائض والحساب ابراهيم
المصودي ، توفى بفاس عام 912 أو 913 هـ (73) .

واحمد الغزالي الفاسي كان استاذاً مرضياً
حسوبياً له معرفة بالفلك توفي عام 920 هـ (74) .

ومحمد بن قاسم بن توزت التلمساني « استخدم
مقله في حل مشاكل الهندسة » وهو من مواليد نهاية
القرن التاسع الهجري (75) .

وابو العباس بن البنا العددي المراكشي له
« تلخيص » في الحساب ومقدمة في اقليدس واختصار
في الفلاحة (63) .

وابو جعفر بن صفوان الامام في الحساب وهو
تلميذ ابن البنا (64) .

وعلي اليفرنى المكتاسي الشهير بالطنجي امام في
الفرائض والحساب في وقته توفى عام 734 هـ (65)

ومحمد بن محمد بن أحمد التلمساني ولد سنة
748 قرا الهندسة بكتاب اقليدس على والده بفاس (66)

وعلي بن أحمد التلمساني موقت الترويين أيام
أبي عثمان المريني صنع « المنجاة » المقابلة للمدرسة
العنانية عام 758 هـ (67) .

وعبد الرحمن اللجائي تلميذ ابن البنا في العلوم
التعليمية توفي عام 773 حسب تلميذه ابن قنفذ (68)
وأحمد الاوسي المراكشي المعروف بابن الشماع امام

(63) توفى عام 221 هـ على قول ابن قنفذ (نيل الابتهاج ص 42) كان يقصد شيخه عبد الرحمن
الهميري فيما اشكل عليه من مسائل الهندسة (137) وله أيضا جزء في « المساحات » (الجذوة
ص 77) .

ذكر ابن القاضي في « درة الحجال » (القسم الاول ص 5) أن له كتابا في الجبر والمقابلة سماه
« الأصول » وكذلك « رفع الحجاب عن تلخيص أمال الحساب » زيادة على « تلخيص أمال الحساب »
وذكر عباس بن ابراهيم في الاعلام أن كتاب « الجبر والمقابلة » موجود في المكتبة الخديوية (ج 1
ص 379) ومن شرح تلخيص ابن البناء أحمد بن رجب ابن طنبغا القاهري المتوفى عام 850 هـ
المعروف بابن المجدي ومن اختصره وسماه « بالحاوي أبو شهاب القراني المعروف بابن الهائم
المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن غازي المكتاسي وابن القاضي صاحب « الجذوة » (ص 384) ومن
شرح التلخيص أبو العباس بن قنفذ في كتاب سماه « حظ النقب عن وجوه الحساب » ولابن قنفذ هذا
« بغية الفرائض من الحساب والفرائض » (الاعلام ج 2 ص 17) .

(64) (الاعلام ج 2 ص 2) .

(65) (الدرر ص 441) وهو بن عبد الرحمان بن غيم (نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 192) .

(66) (نيل الابتهاج ص 127) .

(67) (جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 31) .

(68) السلوة ج 1 ص 304 .

(69) الاعلام ج 2 ص 10 .

(70) نيل الابتهاج ص 258 و 264 .

(71) له « غاية الانتفاع بالبخش الذي في طرف توس الانتفاع » طبع حجر ، فاس .

(72) السلوة ج 2 ص 116 .

(73) درة الحجال (ص 107) (وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) تلميذه ابراهيم الزواوي نقيه كنو من
السودان (الدرر ص 111)

(74) درة الحجال ص 91 .

(75) نيل الابتهاج ص 340 .

ومحمد بن هلال « امام التعاليم في سبقة وشارح
المجسطي في الهيئة » مات عام 949 هـ (76) .

ومحمد بن يوسف المعروف بابن مشون من
اساتذة المرية رحل الى سبقة ونظم رجزا في علم
الجبر والمقابلة ، توفي عام 989 (77) .

اما في عصر السعديين فلم ينبغ من الاطباء
والرياضيين والجغرافيين وغيرهم من العلماء سوى
عدد محدود ، منهم الطبيب بن عزوز المراكشي صاحب
ذهاب الكسوف (78) وعبد الرحمن سقين الفاسي
المحدث الاديب الذي كان يدرس الفية ابن سينا (79) .
وابو القاسم الوزير الفسائي صاحب شرح حميات ابن
عزرون « و » وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب
والعقار « (80) .

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس
المغربية العليا (81) دراسة حول « حديقة الازهار » ذكر
فيها ان هذا الكتاب « يمتاز بمنهاجه الواضح جسدا في
الوصف النباتي الذي يتسم غالبا بطابع من الاصاله
والطرافه ، وتلما يخلو الكتاب من الاشارة الى منابت
الاعشاب التي توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا
بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بفاس ،
فهي اذن محاولة مبيدة لترتيب ثلاثي يدخل منفسرا
جديدا في وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية » .

ومن اطباء هذا العصر وعلمائه :

عبد الوهاب الزقاق الذي كانت له مشاركة في
الادب والاصلين والطب والتفسير والحديث والنحو
وولي القضاء بفاس (توفي عام 961 هـ) .

وطبيب المنصور ابو عبد الله محمد الطيب (82) .
ومحمد الاندلسي الذي كان مولما بالكيمياء
والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة (83) .

وداود بن عبد الله البغدادي ثم التلمساني الطبيب
الماهر (84) .

واحمد بن عبد الحميد المعروف بالمريد المراكشي
الذي كان اما في جميع الفنون حكيما ماهرا في
الطب (85) .

وعبد الرحمن الفاسي الذي انفرد بتحقيق تعاليم
وتحدث في كتابه « الاقنوم في مبادئ العلوم » عن الطب
وعمليات التشريح وفنون العلاج وعن البيطرة وعلم
الزردية اي طب الحيوان وعن الصيدلة وهو علم
الاقرباذين وآخر هؤلاء الاطباء احمد بن محمد بن
حمدون بن الحاج الذي ساقه رينو كانبودج اخير
للطبيب العالم ، له كتاب « الدرر الطبية » في الطب
والطبائع والهواء والاغذية والاشربة والامراض وطرق
علاجها والادوية مع تقسيم فني جديد لهذه الادوية .

والسلطان احمد المنصور الذهبي له قدم راسخ في
المنطق والحساب والهيئة والهندسة (86) .

واحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم
من حساب وهيئة (87) .

واحمد بن القاضي الكتاسي المؤرخ له (غنية
الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض)
(مفتوحة) و « المدخل » في الهندسة ، ونظم تلخيص
ابن البنا (نشر الثاني ج 1 ص 129) وظهرت في

76 (الاعلام ج 3 ص 263 .

77 (درة الحجال ص 176 .

78 (اقتبس فصيل طب العميون من الكحال المشرقي علي بن عيسى (الطب القديم بالمغرب ص 75) .

79 (توفي عام 956 (نيل الابتهاج ص 153) .

80 (الله للسلطان المنصور السعدي عام 994 (نشر الثاني ج 2 ص 125) .

81 (ج 18 ص 195 .

82 (« نزهة الحادي » طبعة هوداس ص 146 .

83 (قتل عام 980 هـ (الاعلام ج 4 ص 318) .

84 (لقيه ابن القاضي في مصر عام 986 (درة الحجال ص 143) .

85 (توفي عام 1048 (الاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 114) .

86 (نشر الثاني ج 1 ص 77 . فهم كتاب اقليدس من غير شيخ لمرة وجوده بالمغرب مكان يلك شكلا في

كل يوم (درة الحجال ص 51) وتفضل ايضا في الجبر والمقابلة (السلوة ج 3 ص 226) .

87 (توفي ببراكش عام 1022 هـ (الاعلام ج 2 ص 82) .

وقته الحرف المهمة التي لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (88) .

والرحالة محمد بن القاسم ابن القاضي أوحـد مصره في علم الحساب والتنجيم والجداول ، له « البرق الوامض في الحساب والفرائض » (89) .

وأحمد القلصادي موقت القرويين كان يدرس كتاب القلصادي (90) .

ويعتوب البستاني أمام الفرائض والحساب (91) وأحمد التتليتي العارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة ، وهو شيخ « جماعة الفنون » المذكورة بمراكش ، وهو معاصر لمؤلف درة البحال (92) .

ومحمد بن سعيد السوسي المرغيثي صاحب المنفع في التوقيت (93) .

ومحمد ادراق السوسي .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني ، كان يتكن فنون الرياسة وأقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتماطيقي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره (94) .

وقد تنافس الناس في اقتناء الآلة التي اخترعها ، وكان يبيعها بثمن غال وقد ألف رسالة في وصفها وهي منشورة في الأعلام (ص 350) والآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسومها ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (95) .

غير أن هذه « العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سميتها العلمية فأصبحت مجرد (حرف) تقنية ضمنت اختصاصيين في الحساب والهندسة والمساحات » (96) وبما يدل على عدم الصبغة لما لاحظته الحسن الوزان من أن العقائريين بفاس لم يكونوا قادرين على ترتيب الأشربة والأدهان طبقا لوصفات الأطباء فكانوا يجتمعون كلهم لاعدادها ثم يرسلونها الى دكاكينهم لتوزيعها وهي ظاهرة أن كانت ثم من انخفاض في المستوى العلمي فانها تدل مع ذلك على أمانة وإخلاص للمهنة . وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فإن الروح العلمية ظلت تخفي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تسميات أبي علي اليوسي للعلوم : الى فلسفة وملية ، وتحديدده لماهية علم الفلسفة الذي يهدف الى « تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الأشياء بقدر الطاقة » واتسمه — كما يقول — اما نظري واما عملي ، والاول اما مجرد عن المادة مطلقا وهو العلم الالهي ، أو في الذهن فقط وهو العلم الرياضي ، أو مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي . والثاني اما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، وسمى سياسة النفس وعلم الأخلاق ، أو بها وبما يحتاج اليه من شهوات قواها وهو علم تدبير المنزل ، أو بها بعم وهو الملكية والسلطنة ..

وتد أصبحت التعاليم تنحصر على عهد العلويين في عمليات تطبيقية منها ما سنه :

محمد السنوسي مريـنو الاندلسي المنجم الحيسوبي الذي وضع مؤلفات في « تقدير قرض النفقات » بعمل

(88) الأعلام للمراكشي ج 1 ص 46 . (تولى عام 1025 هـ) .

(89) توفى قتيلا بفاس عام 1040 هـ (السلوة ج 3 ص 287) .

(90) توفى عام 1063 (نشر الثاني للقادري ص 207) أما علي بن محمد القلصادي (810 — 891 هـ) فاصـلـمـن بسطة ، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له « شرح الأرجوزة الياسينية في الجبر والمقابلة » و « قانون الحساب » و « كشف الأسرار في الجبر » (الأعلام للزركلي ج 5 ص 163) وله أيضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحوالي والغنية في الفرائض ، أخذ بمصر عن ابن حجر كما في رحلته (النفع ج 2 ص 684) . وقد طبع كتابه « كشف الأسرار من علم حروف الفبار » مرارا بحجر فاس .

(91) كان يقرؤها في الهواء ماذا أراد عاملها يصورها في اللوح ضربه بالتضيق على يده (الجذوة ص 350) . وهذا يدل على استعمال السبورة في شرح العلوم بالمغرب في ذلك العصر .

(92) الدرة 92 .

(93) توفى عام 1809 م (نشر الثاني ج 2 ص 37)

(94) توفى عام 1094 هـ (الأعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الأثر) .

(95) نشر الثاني ص 87 .

(96) الأعلام للمراكشي ج 1 ص 46 .

الرموز والأرقام مرتبا على أطوار حياة المنفق عليهم(97)

والاستاذ المعطي مريينو له مؤلفات في التوثيق ،
منها كتاب في تعديل الكواكب السبعة سماه « كثر
الأسرار » ، وآخر في أبعاد النيرات ورموده ،
وابتكرات أخرى في علم « المزاوِل الرخامية » وغير
ذلك (98) .

واحمد بن الطاهر المراكشي العالم بالأحكام
النجومية والإزياج والهندسة والجدول (99) .

واحمد حدو الهنتيفي الأستاذ في الحساب
والرمد والأسماء (100) .

ومحمد متجنوش أستاذ انفراد في علم الحساب
والتنجيم (101) .

وعبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي
الحيسوبي (102) .

ومحمد بن الرئيس بن الحسن على التركي
الضليح في الهندسة والرياضة . ومن أوضاعه في هذه
مثال سماه « الشكل الكوري » شامل لسائر الزوايا
والخطوط وأشكال الهندسة مما تشمله أصول اقليدس
وتهذيب الطوسي (103) .

واحمد بن عبد الله الثنائي المعروف بالصوري ،
كان عازما بالحساب والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية
وعلم الهيئة ، له مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر
والمقابلة وفي اللوغاريتم ، وحل اشكالا هندسية طبقتها
في الرياضيات ، وكان عيَّنه السلطان سيدي محمد بن

عبد الرحمان « رئيس المهندسين » وعينه مولاي
الحسن « رئيس قواد الطبجية » (أي المدعية في
العامة المغربية) وخليفة وزير الحرب (104)

وهناك رياضيون ومهندسون آخرون تتجلى
قيمتهم العلمية فيما صنّفوه من كتب وأبحاث تكللت
المطبعة الحجرية في فاس بطبعها عندما أنشأها
السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (105) .

وقد اندرس التعليم الرسمي للطب والمعلوم
بجامعة القرويين رغم ما أشار اليه دلفان (106) من
استمرار اعتناء الطلبة آنذاك « بالكامل » للـرازي
« والقانون » لابن سينا « وزبدة الطب » للجرجاني
« والتذكرة » للسويدي « وتذكرة الانطاكي » وكليات
ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز
للجزائري ومع ذلك ظل الأطباء يجرون بمهارة بعض
العمليات التشريحية الصغرى (107) .

وقد بدأ المغرب منذ المعهد السعدي يستدعي
« خبراء فنيين » معدودين كـالطبيب الفرنسي كيوم
بيرار (Guillaume Berard) الذي كانت له ثقافة
متواضعة (108) . وهوبير (Hubert) أستاذ العربية
بجامعة باريس (109) والطبيب الانجليزي لمربيير
والدكتور براون الذي منحه السلطان مولاي عبد
الرحمن رخصة لممارسة مهنة الطب بالمغرب ، وذلك
علاوة على الأطباء اليهود الذين كانت تستقدمهم
الجالية الاسرائيلية ، أو من كان يولد في الاجزاء
الاحتلة من المغرب أمثال الطبيب النباتي الاسباني
السبتي كريستوف دا كوستا . وشعر المغرب

97 تولى عام 1207 (ج 1 ص 136 - الاغتباط) لأبي جندار .

98 تولى عام 1223 (ج 2 ص 116 - الاغتباط)

99 مات عام 1250 هـ (الاعلام ج 7 ص 214) .

100 وكان يحسن نحو من ثمانية عشر ملها تولى عام 1285 هـ (السلو ج 3 ص 82) .

101 توفي عام 1290 - وحمه 31 سنة (ج 1 ص 212) .

102 سافر الى الحج 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر (ج 2 ص 134 - الاغتباط) .

103 الاغتباط لأبي جندار (ج 2 ص 192)

104 الاعلام (ج 2 ص 267) .

105 راجع مطبوعات المغرب للاستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة (

106 في كتابه « فاس وجامعتها » طبعة 1889 Delphin

107 رينو - ص 128 (راجع في كتابنا « الطب والأطباء بالمغرب » نماذج لمهارة بعض المحترمين في
هذا المجال ص 72 - 80)

108 رينو - « نشرة معهد الدروس العليا » ج 18 ص 206 .

109 كودار - تاريخ المغرب ص 399 و ص 490 « المغرب الحديث مملكة تنهار » كامبو 1866 ص 16 .

بتفاضل الاختصاصيين فأسس مدرسة للفنون بفاس الجديد « ومدرسة مركزية للدراسة » بالجديدة (110) تخرجت منها فئات من الطلبة توجهت لاستكمال دراستها في مصر وكذلك في إنجلترا وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا . وقد تابعت بعثة مكونة من اثني عشر طالبا دراستها في جامعة مونتبيلييه (Montpellier) بفرنسا خلال سنوات (1885 - 1888) درست فيها اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية والهيئة والرياضيات والكيمياء والتلغراف والتليفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ومسح الأراضي ولبن تحرير التصميمات الهندسية بالإضافة إلى التمارين العسكرية وبناء الخنادق وأجهزة الدفاع وصنع آلات الحصار ، وحقق هؤلاء الطلبة نجاحا يحسون المذكرات ويتأهبون للانطلاق برسالة تقنية هامة في المغرب الحديث ، وتم الاتفاق بين المغرب وفرنسا على توجيه فوج جديد لاستكمال الأطر المغربية تدريجيا في مدينة فرساي (Versailles) ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، حيث تولى الحسن الأول بعد سنوات ودخل المغرب في خضم من الدسائس الدولية عرقلت توثبه للانبعاث ، ووجه الحسن الأول كذلك إلى أوروبا طلبا لدراسة الطب تابع ستة منهم تمارين بالمستشفى الإسباني بطنجة في ميدان الفحص والتفصيل والتشريح وعين ثلاثة من خريجيها أطباء في الجيش بكل من طنجة ومراكش ، أما مصر فانه لم يتوجه إليها عدا الأستاذ عبد السلام العلمي لدراسة الطب بالقاهرة ، وكأنها كانت النواة الأولى أراد السلطان الحسن الأول أن يستكنه بها قيمة الدراسة العلمية في الشرق العربي غير أن هذه البعثة لم تجدد كمثيلاتها في أوروبا بالرغم من ارتفاع مستوى التعليم في مصر آنذاك ، والواقع أن المغرب أمام كثيرا من الروح الجديدة التي تقمصها الشريف العلمي الذي ما لبث أن صنف بعد هودته كتابا سماه « ضياء النبراس » في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس (111) ذكر فيه شيوخه في « الأسبطالية الكبرى » بالقصر العيني الذي أسس عام 1827 م بأمر من الخديوي محمد ، ويعتبر هذا الكتاب في نظري نقطة تحول في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في الشرق والغرب وفي المغرب مصححا في بعض الأحيان

أغلاط سلفه ومنظرا بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد أطباء المغرب وصيادته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ، ويأتي أحيانا بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والألمانية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالصمغ والتقطير ، وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والمقايير والأدوية ، ويحكى عن تجارب شيوخه في قصر العيني وإسهامه الشخصي في هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالقصر العيني خلال ترامته على الحيوانات (الضياء ص 57) وشارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر (ص72)

وقد نقل من نحو الخمسين مؤلفا منهم ابن الخطيب (ص 80) والوزير الفاسي صاحب الحديقة وعبد الرحمن الفاسي وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلي العجلاني والطبيب المصري أحمد بن حسين الرشدي الذي عاش أول القرن الماضي وابن الحشاء صاحب تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الوائعة في الكتاب المنصوري (108) . وقد أسس الطبيب مولاي عبد السلام العلمي مصحة صغيرة بفاس قبل بها حتى توفي عام 1323 هـ ، ورسالة العلمي هذه مشهونة بالاصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العلمية التي كانت تجري بالقصر العيني وأنواع العلوم التي كانت تدرس به مثل علم التشريح الهيكلي والمفصلي والمفصلي والتشريح العصبي والتاريخ الطبيعي والكيمياء الطبية والأقربالين (الصيدلة) وطب الرمد والأمراض الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات المصبرة وأحجار المعادن وأمراض النساء والأطفال (في أسبطالية أمراض النساء بمصر) .

ويعطينا كتاب « ضياء النبراس » صورة عن الاختلاف الملحوظ في المصطلحات العلمية بين الشرق العربي والمغرب الأقصى الذي عرف عشرات الأعتاب والنباتات باللسان البربري انفرد بها المغرب . ويتجلى من الصراع السياسي والعسكري الذي بدأ المغرب يخوضه منذ بداية هذا القرن أن التعليم العربي أصبح يسير رويدا نحو التقلص إلى أن انحصر في جامعة القرويين وروافدها المحدودة التي بعد مهدها بالعلوم . وازدادت اللغة العربية إبان الحماية تقلصا عندما اتخذ الاستعمار اللغة الفرنسية أداة وحيدة للتلقين في المدارس وقام « التعليم الحر » المغرب بردها لعمل عنيف

(110) الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367 .

(111) طبع بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1318 .

تعريب ، ولذلك يلاحظ أن الأطر ما زالت تستعمل الفرنسية تبعاً للغة الخبراء الفنيين الذين يقل عددهم نسبياً بفضل حركة التعريب (112) على أن هذه المغربية لا تواكب حركة التعريب فقد ظلت لغة معظم الاختصاصيين المغربية أجنبية في تحرير النصوص والخطابات والمنشورات وكذلك التخاطب في المحافل والمؤتمرات باستثناء وزارة العدل والمرافق التابعة لها حيث شمل التعريب جميع المحاكم) ولعل المشكلة واحدة في مجموع أقطار المغرب العربي — عدا ليبيا — نظراً لما نتج عن تعميم التعليم (أزيد من مليون طفل اليوم بالمغرب بدلاً من ربع مليون قبل الاستقلال) من هزيمة في تكوين الأطر وضعف في المستوى والظاهرة المغربية هي أن جامعة القرويين نفسها قد تضائل طلبتها لكون ازدواجية اللغة ما زالت مقياساً لتقييم الاهليات في مختلف مجالات الحياة ، ولم تكن أربع سنوات على الاستقلال حتى شعر جلالة المرحوم محمد الخامس بفعل الرواسب التي تباعد بين جناحي العربية خاصة في حقل المصطلح «العلمي والتقني» فدعا عام 1960 إلى عقد «مؤتمر للتعريب» أنبثق عنه في إطار جامعة الدول العربية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، ذلك المكتب الذي يستهدف الاستفادة من تجربة الجناح الشرقي لدعم حركة التعريب في الجناح الغربي ، وقد نشر هذا المكتب عدة معاجم في العلوم بلغات مختلفة ، كما أصدر «اللسان العربي» وهي مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، وأسس مكتبة للعلوم زاخرة بأحدث ما أصدره الشرق من مصنفات في مختلف القطاعات التقنية ، وقد خطط لنفسه تصميماً مشارياً غايتيه الأساسية استكمال الاداة العلمية والتقنية في أمد محدود بتوحيد المصطلحات واستقرارها تعزيزاً لصراع ثقافي تخوضه لغة الضاد كلفة عمل في كثير من المحافل الدولية ، وقد أدرج هذا العمل التنسيقي ضمن مشاريع تسهم فيها المجالس العليا والاتحاد العلمي العربي والجامعات والهيئات الثقافية في مختلف المواسم العربية ومآت الاختصاصيين الذين يرسلون المكتب الدائم من جميع أنحاء العالم العربي .

وقد بدأ هذا الكناح يؤدي أكله باتنوع النخب المغربية — القليلة الصلة بالثقافة العربية — بفعالية لغتنا القومية في مجال الحضارة والعلم كأداة طيبة للتخاطب في الحقل الدولي ، ولكن هذا الاقتناع لن يتم

تعريب تدريس العلوم وخاصة بشمال المغرب حيث توجهت أنواج من الطلبة لاستكمال دروسهم في الشرق، وكانت الحماية الإسبانية في هذه المنطقة أقل مضيافة للمواطنين فتكاثرت عدد المتخرجين من الشرق المغربي وشجع الباب المفتوح الطلبة على متابعة دروسهم الثانوية في المعاهد المصرية على عكس ما ابتدأه الفرنسيون في منطقة نفوذهم بالجنوب من أساليب المكر والدسائس للقضاء على لغة الضاد . ومع ذلك فقد واصل «التعليم الحر المغرب» رسالته الخالدة محافظاً على كيان اللغة بالرغم من «تفرنس» أغلبية المتقنين وازدواجية ثقافة الأقلية الضليلة من هذه النخبة التي تزعمت بروحها العربية الإسلامية حركة الثورة ضد الاستعمار . وكان التعليم المغربي يستورد خفية من الشرق — وخاصة من مصر — جملة من المصنفات معظمها في الآداب واللغة والنحو وظل الحاجز كثيفاً بين لغة عربية علمية تتطور في الشرق وتواكب النهضة الجديدة وبين عربية تص جناحها في المغرب الأقصى لا كلفة علمية بل كجهد لغة ، وقد قامت الصحابة العربية بدور هام في تجديد الصلة بين الشرق والمغرب متبعة بالبحوث الجديدة ومصطلحاتها المولدة في الاقتصاد والسياسة والقانون وتاريخ المذاهب الشيوعية والاشتراكية والنزعات الأدبية والفنية المستعركة مقتبسة في ذلك ما راج في الشرق العربي من تعابير ومفردات وطلق المغرب بعد استقلاله في عام 1956 . يتطور ببطء نظراً لتراكم المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فمرسم التخطيطات في شتى الميادين الحضارية وضاعف حصص اللغة العربية فاكتمل الآن تعريب السلك الابتدائي وإن كانت قلة الأطر المغربية الصالحة تهدد بتحجر هذه الحركة، وظل الثانوي في طوره يقلن العلوم بالفرنسية هذا التعليم الحر والأصلي أي الإسلامي الذي هو من روافد جامعة القرويين بكلياتها الجديدة (الشريعة بفاس ، وأصول الدين بتطوان ، واللغة العربية بمراكش) كما ظل أقبال المغربية ملحوظاً في مدارس البعثة الفرنسية التي بدأت منذ يناير من سنة (1969) تلقين المغربية لتلاميذها . وقد تزايدت حصة اللغة العربية في معظم الأسلاك بينما أحدثت اتسام مغربية في كلياتي الآداب والحقوق والدراسة العليا للاستاذة مع بقاء الكليات التقنية ككلية العلوم ومدرسة المهندسين ومعاهد الفلاحة والأكاديمية العسكرية في معزل عن أي

(112) ما عدا تسماً يسيراً تعمل وزارة الوظيفة العمومية على تعريبه بدروس خاصة تنظمها للموظفين .

الا اذا استقصينا تدريجيا المصطلحات التقنية التسي
اصبحت حتى عند دول كبرى كفرنسا مثار غزو ثقافي
بسبب ما تزج به مخابر الكشوف في الاسواق الدولية
من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحا في
كل يوم

هذا وان مواكبة حفارة المعر الحديث لن تكتمل
بالنسبة اليها معاصر العرب الا اذا توازت فيها ذاتيتنا
العربية مع انسانيتنا الحضارية ، والمقوم الجوهري
لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي ظلت — كما يتول
ماسنيون Massignon اداة خالصة لنقل بدالع
الفكر في الحقل الدولي وعنصرا جوهريا للسلام في
مستقبل الامم والشعوب « .



تدريس العربية كلغة مية في الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور ساجي عياد - الدكتور نجيب جريس
الولايات المتحدة

مع الناس في أحداث كل يوم العادية . وهناك من يومن بتعليم الفصحى أولا ثم بعد ذلك العامية عن طريق احدى لهجاتها .

وهذه الحلول المختلفة تبدو غير مرضية بتاتا في نظر آخرين يؤمنون بأنه اذا كان الهدف من تعليم العامية هو تمكن الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لان بتعليمه العامية سيحدد له لهجة معينة كما انه وان لم يستعملها في مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلا اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي فلن يتمكن التفاهم الكامل معها . اما اذا تعلم الطالب الاجنبي اللغة العربية المكتوبة او بالاحرى الفصحى بدون التعرض الى اللهجات فهذا يعده البعض اسلوبا غير واقعي في تعليم لغة حية كما انه لا يتفق ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام ياتي أولا وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم . وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة في نظر هؤلاء العلماء لابد ان يكون عمليا ويتفق مع الواقع اللغوي العربي وفي نفس الوقت مع نظريات علم اللغويات الحديثة . معنى هذا انه اذا وافقنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلابد من البدء باللغة العامية . ولكن اية لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على الهدف من تعلم اللغة نفسها .

بالرغم من ان دخول اللغة العربية في برامج عدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فان الاهتمام بها نما نموا مطردا خلال السنوات العشر الاخيرة . وهناك من الادلة ما يفيد بان الدراسات العربية اصبحت ميدانا علميا هاما وان عدد الجامعات الامريكية التي تقدم في برامجها اللغة العربية وحضارتها العريقة تد بلغ أكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسع اثار مشاكل تربوية وأصبح السؤال الذي يردده كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدأ .

فهناك الفصحى والعامية . اما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات عربية عديدة فمنها اللهجة اللبنانية والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الصورة تعقيدا بان كلا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . ففي مصر نرى اللهجة القاهرية واللهجة المصيرية . ثم تزداد المشكلة تعقيدا بان الكتابة العربية نفسها — بدون شكل — تسمح بنطق كلمة واحدة في عدة اوضاع بمعانيها المختلفة . فمثلا (ك ت ب) يمكن نطقها بأشكال مختلفة .

اتقدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يمتد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم الفصحى فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لان الهدف من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم

لنأخذ تعلم الانجليزية كمثال لنا . فالانجليزية الامريكية مثلا التي يتعلمها الاجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفي انجلترا ايضا يتعلم الاجنبي اللغة المعروفة Received English وقد يكون لاختيار هاتين اللغتين عدة اسباب . أولا : انها لغة مهذبة للحديث . وثانيا ان لها أهمية خاصة في التطبيق والاستعمال العام . بمعنى آخر ان اللغة التي تدرس هي التي تمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاهم الكامل مع اصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم وهم يفهمونه .

لنعد الآن الى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما انها لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعمائة مليون مسلم في العالم . ونحن نعلم ايضا انه منذ ظهور الثوبية العربية فقد ظهر في الافق العربي بقطة ورغبة قوية في تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية . شكرا للتبادل الثقافي ووسائل الاعلام المختلفة في البلدان العربية . اما الفروق اللهجية فلم تعترض قط طريق الوحدة الثقافية . وظهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن ان نسميه باللغة المهذبة او لغة المتكلمين خصوصا تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يلها الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الاهم في ان الطالب الاجنبي الذي يرغب في تعلم اللغة العربية يجب ان يتجه الى أحد هذه المراكز الكبرى حيث يمكنه ان يجد وسيلة للتفاهم تساعده ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك ان هنالك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وناس . وكلنا نعلم ان القاهرة بالذات تمتع بكثير من الامتيازات كما ان لهجة « المهذبة » او لهجة المتكلمين فيها تعتبر مهمة جدا بالنسبة للطالب الأمريكي الذي يبحث عن وسيلة تمكنه من التفاهم مع أكبر عدد من العرب في بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا ان اللهجة المهذبة القاهرية هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المهذبة الرباطية والبيروتية والبغدادية يمكنها ان تقوم بنفس العملية وتحقق نفس الاهداف .

واللهجة التي يفترضها اصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي ايضا التي يذاع بواسطتها بعض البرامج الاذاعية

العربية في كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب في اختيار هذه اللهجة هي انها مفهومة تماما في جميع البلاد العربية . وشكرا لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزة وراديو واللام سينمائية التي تربت هذه اللهجة الى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة مقبولة للجميع وتتمتع بشهرتها المعروفة واحترامها .

فالذي يقترحه اصحاب هذه النظرية في اول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المهذبة .

وهنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحى » . غاية لغة من لغات العالم لا تتكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديدا واضحا . بل بالاحرى تتكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفية معينة . ولكي يكون استخدام العربية عملا يجب على الدارس والمدرس ان يكونا متيقظين لهذه المستويات وان العربية نمت وزادت بلافتها على مر الايام والاقبال . وعلى ذلك يمكن ان نميز على الاقل ثلاثة مستويات عامة :

اولا : العربية الفصحى او لغة القرآن الكريم .

ثانيا : العربية الحديثة وهي تشمل ما تقرراه في الصحف اليومية والمجلات والاذاعة . وفي نطاق هذا المستوى لابد من تأكيد الكتابة الرسمية رغم ان هناك الآن كتابة لبعض العامية : الاغاني مثلا ، والامثال العامية ، والقصص الخرافية .

ثالثا : العربية الخاصة بالحوار او التحدث اليومي وهي تمثل اللهجة المهذبة التي تحدثت منها . وهنا يجب ملاحظة ان العامة العرب فيسر المتكلمين يستخدمون الكثير من النماذج بالعربية الفصحى (عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم او الحديث الشريف او اصطلاحات معينة مثل « حالا » و « بسرعة » . و « اهلا وسهلا » . الخ) .

ولسنا في حاجة الى تأكيد الحقيقة وهي ان هذا التقسيم لا يعني مطلقا ان كل قسم منفصل تماما عن الآخر . فهذا ليس من شأن اللغات الحية . ومن هنا يؤكد لنا اصحاب هذا الرأي — وهو رأيي انا ايضا ان « اللهجة المهذبة » تستخدم كقنطرة تسهل الانتقال من لغة الحديث الى اللغة الفصحى ممثلا حرف « القاف » يتردد كثيرا في لغة الحديث خصوصا عند ذكر كلمة « القرآن » و « القاهرة » بهذه اللهجة المهذبة تحتوي

على كلمات كثيرة من الفصحى وتتبع أيضا من قرب
تواعد الفصحى .

كما ان اللغة العربية المعاصرة او الحديثة يمكن
بسهولة تمييزها عن الفصحى من طريق الكلمات
الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون »
او « تلفزة » و « فيلا » .

وبالنسبة للعامية يمكن تمييزها عن الفصحى بما
يحدث من تغيير في بعض الاصوات لمثلا نقول « كتب »
بدلا من « كتب » و « ولد » بدلا من « ولد » ولدا —
ولد .

وايضا الولد او الولد بدلا من الولد — الولد —
الولد ، يفتح بدلا من يفتح (باللهجة المهذبة القاهرية
مثلا) .

وايضا تغيير صوتي في بعض الحروف مثل (ت)
بدلا من (ث) فنقول مرة « ثانية » ، وعشرين ثانية ،
(داب) بدلا من (ذاب) و (ازا) بدلا من (اذا) .

ثم ايضا نلاحظ التنخيم : / مرد / و / فرض /
والاساس الهام الذي يبنى عليه تعليم اية لغة
اجنبية هو التقدم من لغة الحديث الى الكتابة او من
الصوت الى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز
الصوتية فقط في المرحلة الاولى حتى يمكن للطلاب ان
يتلقن كل الاصوات ويميز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق
ذلك نقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs
مثل : (دم) ، (ضم) لتوضيح التنخيم .

(كلب) / (قلب) لتوضيح اهمية نطق احرف
معينة في معنى الكلمة .

(س) / (ساد) لتوضيح اهمية الاصوات
الطويلة .

وفي هذه النماذج يكون التركيز على ابراز اختلاف
واحد فقط لان الاستماع يأتي قبل النطق وان القدرة
على تمييز الاختلاف في الاصوات يأتي قبل اعادة انتاجها .
وبمجرد ان يتمكن الطالب الاجنبي من ترديد النماذج
الصوتية الاساسية يمكنه بسهولة ان ينتقل الى الكتابة
ومنها الى الفصحى .

كيف نقدم الفصحى بعد ذلك ؟

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون
العربية الفصحى في اول سنة ابتدائية رددوا كلمات

وامعلا مشهورة مثل (قتل) ، (ضرب) ، اما في
اللاتينية مثلا فمعلمنا « حب » وما شابهها . وليس
المشكلة في الواقع مشكلة معان ولكن المشكلة هي انه لم
يكن هناك اهتمام بفكرة « التدرج » في تقديم « الاصوات »
وتركيب الجملة او مميزات تركيبية خاصة
Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة الى
الغرب في تعليم العربية وأصبح الاهتمام منصبا على
المفردات والتواعد الصماء .

وفي السنين الاخيرة لاحظنا ان بعض اساتذة
العربية في الجامعات الامريكية التي تقوم بتدريس
العربية تد الفوا كتباً خاصة لتعليم العربية للمبتدئين
ووصلوا في تفكيرهم الى احوال كل المستويات اللغوية
والتركيز على ما اطلقوا عليه اسم « العربية الحديثة »
Modern Standard Arabic وبهذا الاسلوب يبدو انهم
قد فشلوا في تقديم العربية كلفة حية لها مستوياتها
الثقافية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو
التعبير الوحيد للعربية وينتج من هذا انه من المستحيل
للطالب ان يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة »
عندما يستمع الى حديث او اغنية عربية بالاذاعة او
خطبة عامة او ادب شعبي . اضف الى
ذلك انه اذا استخدم الفصحى الحديثة في حواراته
يكون يتكلم ككتاب لا يعبر عن واقع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم الفصحى في
المرحلة الاولى من تعليم العربية في نطاق الاساليب
الآتية :

اولا : ان المحتويات التركيبية يجب ان تقدم بالتدرج
على اساس البساطة في التركيب ، التكرار ،
والقيمة العلمية . وبناء على ذلك فمن الناحية
الصوتية تقدم الاصوات السهلة والتي تماثل
لغة الطالب الاجنبي اولا (محروف القاف والميم
والحاء والخاء والغين توجل الى مترة مقبلة)
ومن الناحية الامرابية والصرفية فالجمل الاسمية
تقدم قبل الجمل الفعلية : مثل انا من ليبيا ،
الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الضمائر
الهامة فقط مثل : انت ، انت ، انتم .

ثانيا : يجب على النماذج التركيبية ان تمثل الثقافة
والحضارة العربية وان تبرز الهام منها . كالحج
وشهر رمضان المبارك والمائلة العربية وخلافه
بدلا من « اين الليل يا خليل » او « مقعد مجلس
الوزراء جلسة خطيرة » .

ثالثا : في تطبيق مبدأ التدرج وربط النماذج بالحفارة يتحقق غرضان مهمان : الاول هو ان الطالب في هذه المرحلة الاولى الحرجة يبدأ بالشمور بالنجاح بدون الالتجاء الى « ضغط من الذاكرة » وثانيا ان رغبته في المزيد من التعليم تزداد ومعها تزداد شهيته لمعرفة الثقافة الجديدة التي تمثلها اللغة . او بمعنى آخر ان النماذج اللغوية يصبح لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم ممتعة وفعالة . وكلنا نعلم ان اول اتصال في تعلم لغة اجنبية له اهمية قصوى في مواصلة تعلم تلك اللغة .

نعم فهناك في بعض الاحيان مرق واضح بين كلمة عامية ومقابلها بالفصحى — مثل (بالزاف) و (كثير) ولكن هنا تبدو ابداعية استاذ اللغة في اختيار النماذج المشتركة بين اللهجة المهدبة والفصحى — كالمثلة التي سبق الإشارة إليها . هذا هو القاسم المشترك الذي عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية للاجانب .

اما من حيث القواعد فكلما ذكرت ان النماذج التي تقدم يشتق منها الطالب القاعدة بدلا من تقديم القاعدة في قالب اجوف لحفظها فقط .

وهنا تلعب التمارين الخاصة بكل درس دورها الهام في عملية التعلم فبدلا من سؤال الطالب اعراب ما يأتي : او استخراج اسم المفعول من كل فاعل — نقدم

تمارين من نوع جديد متفق عليه ونظريات اصول التعلم وعلم اللغويات . فتمارين الاستبدال Substitution مثلا والتحويل Transformation وغيرها من التمارين الفعالة التي « تثبت » ما يتعلمه الطالب .
مثلا : هو من القاهرة

هي

انا

انت

بيروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المفردات فيجب الا تبث في الدروس بلا نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج التركيبية يجب ان يكون اختيارها في غاية الدقة والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية بدلا من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لحدث طرق تدريس اللغات الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها التقاوية المختلفة .

أبحاث مختلفة

- العلوم الطبيعية في القرآن
للشيخ طه الولي
- الإعداد العلمي في الوطن العربي
المؤتمر الثقافي العربي الثامن
- التانيث في العربية
للاستاذ عبد الحق فاضل
- علم الأصوات الحيوانية عند العرب
للاستاذ عبد الهادي الفضيلي
- ملاحظات حول النقد الأدبي
للككتور محمد رجب البيومي
- الحضارة الإسلامية بين الماضي .. والمستقبل
للاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
- نقد الكتب
للككتور ممدوح حقي
- الموسيقى لغة السروح
للاستاذ إبراهيم الدرويش المصري

العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الويلبي « بيروت »

الاسترسال ، من شأنه ان يقودنا الى الخروج من جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد ان نأخذ به نفسنا الآن ، وهو الموضوع الذي أردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي قصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحتة ، وبين المعاني الالهية الخالدة التي تتعلق بها ، بين حين وحين بعض آيات القرآن الكريم في اثناء دعوتهما الناس من كافة الاجناس الى الايمان بوجود الله الخالق الديان .

على انه ، لابد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا ، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول رغبة المؤلف بربط اغراض القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من آراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بان هذا الكتاب ليس جديداً في بابيه او مادته ، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدلي في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا ان يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاكتراعات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بان القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عدها من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاكتراعات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

بين ايدي الناس الآن كتاب جديد عنوانه « العلوم الطبيعية في القرآن » من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية ، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانني لدى مطالعته ، وجدني امام محاولة جريئة لدراسة القرآن الكريم بأسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثار اوارها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار التنافس المزعوم بين المعطيات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلمات العقيدة الدينية ، القديمة . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطربت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق اقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان هذه الحملة ليست وليدة العصر الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مألوفة من قبل ، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب متفاوتة من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين القلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الآن ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الايمان بالله الذي ارسى قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداء الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بغافلة من الالقاء العلمية الجذابة ، لاننا نرى ان مثل هذا

ففي اواسط العقد الثالث من النصف الاول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث عن احد المؤلفين المصريين الذي حاول تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يتجاوب فيه مع روح العصر الذي تطورت فيه الافكار الانسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، او يفوس بهذا القلم ، الى داخل احشاء الارض باحثاً في هذه الاحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس ان الغلاف الخارجي للكون والاعمق الداخلية فيه ، احاط به كتاب الله في كلامه الازلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ طنطاوي جوهرى ، الذي كان استاذاً في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ (1940 م) فقد صنف هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان : « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عدداً ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيراً ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد اخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهرى وملكت عليه احساسه ومشاعره حتى اعتقد بان العناية الالهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبر هذا العمل فاطلق قلمه مير كتابه بنداء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا امة الاسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرما من علم الرياضيات ، فما يالكم ايها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الاسلام .. هذا زمان رقيه . ياليت شعري ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ولكني ، اقول ، الحمد لله ، الحمد لله ، انك تقر في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراساتها افضل من دراسة علم الفرائض ، لانه فرض كفاية ، اما هذه ، فانها للازدياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. ان هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي اففلها الجهلاء المعززون من صفاء الفقهاء في الاسلام .. فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان هذا الشيخ يتابع نداءه مسترسلاً في حماسه واندفاعه ويقول :

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتفاعه ، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما تكتبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله في الارض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيان » فان البيان المذكور ، في سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه باسنانك فتقرأ كما قرأه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والعجائب ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكر ، من البيان الذي اكد الله انه يظهره لامة الاسلام »

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسه بما اقتنع به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التأويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

واذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرآن الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية في توحيد الله عز وجل وبيان اغراض الشريعة في ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهرى قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخرج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والمادية وراء مكاتبهم وتحت اضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بمرض آرائه وتقريرها بصورة متحدية جازمة ، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الاسلام عشرات الالوف من الكتب الاسلامية في علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات اخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز في عقل او شرع ان يبرع المسلمون في علم آياته القليلة ، ويجهلوا علما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا في الفقه ، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات ، لنتم به لترقي الاممة » .

واذا نحن اقبلنا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجده يحشد في هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر

علم الفضاء	11 آية
علم الحيوان	12 آية
علم الزراعة	21 آية
علم الاحياء	32 آية
الجغرافية العامة	73 آية
علم السلالات البشرية	10 آيات
علم طبقات الارض	20 آية
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آية
وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم	
64 آية	

وجريا على العادة التي يتبعها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء اوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينوت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول رينوت » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . فجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاد باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندرى اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دالما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدق القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في مداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلبس البحوث العلمية عادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

الطبيعة وتجارب العلوم لكي يؤكد لقائله ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وغرائب هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تموزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء من افلاطون في فلسفته او بما رده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في آرائه فانه لا يتورع عن الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرآن » بنفس الاسلوب الذي اعتمدته الشيخ طنطاوي جوهرى في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » حتى يتكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدركان القرآن الكريم ويفسران آياته . فالاستاذ يوسف مروه يؤكد في كتابه المذكور ان « ميزة القرآن الكبرى انه اورد صورة بسيطة واضحة وسهلة للكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »

ومثلا فعل الشيخ طنطاوي جوهرى حين احصى في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الايات التي تحتوي على مبادئ العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الايات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضع العلمية القرآنية ومقدار ورودها ووجودها في القرآن لتبين لنا اكثر من عشر الايات القرآنية تتعلق بمواضع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آية
الفيزياء	64 آية
الذرة	5 آيات
الكيمياء	9 آيات
النسبية	62 آية
الفلك	100 آية
المناخيات	20 آية
الماليات	14 آية
الرياضيات	57 آية

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا الفصل اعلن قائلا :

« وانني في محاولتي هذه سأقتصر على اهم واخطر مواضع العلم الحديث وهي الذرة والفضاء والنسبية في الباتي لنفي التنافس بين العلم والدين».

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسه لاثبات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين معاني الايات القرآنية، لم ينس ان يشير الى آخرين من العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى انطباق وتوافق هذه الايات او بعضها مع مواضيع العلم الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهري (الذي تناولناه في حديثنا هذا من قبل) وكذلك الدكتور احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة التحديات المصرية الحديثة للاسلام بالكشف عن المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القرآن الكريم فان الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتعبير عن هذه المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها الله في هذه الايات حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادئ نظرية تخضع في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي هو مستعد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله بالامس ، وان ينفي في الغد ما اثبتته اليوم وهكذا تبعا لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه الحياة .

وان من يعمن قراءة المقدمة التي استهل بها الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بان الكاتب الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القرآن الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل انه اختار من آثار الرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ما كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم وجعله في مطلع كتابه وقال : « اهيجبت بدقة وعمق بحثه ورايت من الواجب ان انقل للقارئ بعض ما كتبه

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل التنطع في جر آيات القرآن الكريم الى ساحة الابحاث العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة في التجديد بما لا طائل منه لصالح القراءان واهدافه الدينية والدينيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذ مروه واحزابه في هذا الصدد ، انما هو في الواقع ، رد فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الانسانية من تقدم وتطور وازدهار في هذا العصر . كما انه يعتبر بمثابة جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض الافهام السقيمة التي اقلت على كاهل الدين الاسلامي وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير من ادراك شوا الحضارة الغربية في مستواها العلمي الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اوائل الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصددده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة هي :

اولا : ان نثبت للمعتزمتين والمتعصين ضد طلب العلوم الحديثة ، أن القرآن قد دعا وشدد في طلب جميع العلوم (الدينية والطبيعية) بلا استثناء ، ولذلك فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسهم على معطيات العلم الحديث لان عدم المامهم بهذه المعطيات قد شجع على انتشار الكفر والانحاد بين افراد شباب المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

ثانيا : ان نثبت للمثقفين المسلمين وغير المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا الدين قائم على العلم وان آيات القرآن وتعاليمه تنسجم انسجاما كليا مع معطيات العلم الحديث في ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة ولنتأكد ان العلم الذي دعا القرآن الى طلبه ، والذي اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشريعة فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل على ما نقول :

هذا الملقب العالم كتقديم للموضوع الخطير السدي
اعالجه .

وانا لا ندري ، لماذا يصير الاستاذ مروه على
اقناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى
الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم
يرغم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى
اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى
الله عليه وسلم واعداء رسالته السماوية ، فانهم لم
يعلوا في شنائهم للنبي ورسالته الى حد انهاهما بانهما قد
العلم واهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقناع
قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة
مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ،
لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان ولزم
على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى
الصدر ، ساير ذلك الذي قال في كلمته ان علماء الدين
يحمون مسؤولية عدم تفسير النصوص القرآنية
والسنن المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . واني من
رأى الشيخ المذكور بان الاطلاع على ظروف علماء الدين
الاسلامي يكشف انهم بذلوا اصعاف امكاناتهم في سبيل
هذه الغاية الشريفة وقدموا عشرات الكتب بهذا
الصدد ، حتى ان بعضهم القوا كتباً في خواص العلم
التجريبية زائداً على تأليف كتب تحاول عرض النصوص
والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة
والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا
الصدد بانه لا يوجد كتاب في طول الارض وعرضها من
بداية التاريخ حتى اليوم ، خدمه أهله من العلماء مثلاً
خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات
تكاد تنوء بأحمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن
بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره
الجبار في توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى
الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى
الكتاب الذي ألفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي
طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان
بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي
صدر مؤخراً وأعيد طبعته مراراً ، من شأنه على ما
نعتمد ان يقنع الاستاذ مروه بان أهل العلم الصحيح
من شيوخ المسلمين لم ييخلوا في أداء واجبههم نحو

القرءان الكريم في العاصر كما ان السلف الصالح من
امثالهم وزملائهم ، لم ييخلوا كذلك في العاصر في القيام
بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين
هؤلاء وأولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته
وعلى طبيعته في التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي
بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور
الالهي عبر الانفعالات النفسية التي انارتها موجة
التحديات المصرية الوافدة علينا من آفاق العالم
الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة
نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، وليس من
مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية ،
او وضع أسس للانتاج الثقافي البشري ، فالقرآن
الكريم يحاول ان يصنع الانسان الكامل الذي هو مبدأ
العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة بأحكامه الفردية
والاجتماعية وعالمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعد لاؤكد ان تناول القرآن لهذه المباحث
(اي العلوم الكونية) هو استطراد ذكر وامثال ، وليس
من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ،
شان الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ
الصدر ما يزيده بيانا وايضاحا فوق ما هو عليه من
البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان يأتي القرآن الكريم
ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية
والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اي
دين ، هي ان يأخذ البشر بالمبادئ التوجيهية التي
ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما
فيه انضباطهم وصلاحتهم في هذه الحياة الدنيا . وليس
من مهمة الدين ، في قليل او كثير ، ان يتناول العناصر
التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود
المقدار الذي يغرب به المثل للمظة والاعتبار
والتأمل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير
التي يضمها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات في
نطاق الروابط التي تحكم اوضاعهم وتشددهم الى
المعيش بعضهم مع بعض دون اي تناقض ولا اصطدام .

ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك قالما » فكانت نكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتى اليوم ...

وبعد ، فلقد اطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرآن » حتى كلنا نوهجم قارئنا بأن الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنخط هذا المؤلف العالم حقه من التنويه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك ، لنجحد له فضله في الإنكباب على دراسة كتاب الله سورة سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا الكتاب الغد الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الفزيوية التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما إليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شباب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بمد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بأن هذا الشاب النابغة يستحق ان يوضع اسمه بين أسماء فطاحل العلماء المسلمين الذين اضافوا لثرائنا القومي صفحة مشرفة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا ان تباهل بمكانته العلمية وان تفاخر بلهونه المتفتح أكثر الامم تقدما وابعدها شأوا في مضمار الحضارة والتطور والازدهار .

واذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فأننا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بأن يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفائاته في علوم الذرة والفيزياء والكيمياء . هذه العلوم التي أصبحت اليوم ، ميدانا تتزاحم فيه الامم الحية لاحتراا قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من أجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية.

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرآن وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في امثالها غيرنا من جهابذة العلماء المسلمين امثال الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره « (المنار) » ينعي على من تأثروا في تفسيرهم بالنزعة العلمية المادية . وان الشيخ رشيد قد نعا على الفخر الرازي ما اورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، واعتبر ان هذا العمل من شأنه ان يصرف الانسان عن القرآن وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلدوا الفخر الرازي في طريقتهم من المفسرين المعاصرين . فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كالهئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهرى) بايراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسما والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارئ مما انزل الله لاجله القرآن .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسرين الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعية . فاننا لا نرى بأسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يبسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتم معشر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيل المبسطة ، لذلك فورا اجل فان اسم هذه الشركة

الإعداد العلمي في الوطن العربي

أصدر المؤتمر الثقافي العربي الثامن الذي انعقد بالقاهرة بين 20 و 30 ديسمبر (كانون أول) 1969 توصيات في موضوع اعداد المعلمين في الوطن العربي جاء فيه :

« التوصية الاولى »

اللغة العربية لغة العلم في التعليم العالي :

شأنها في النهضة العلمية والحضارية ، وكان لها اثرها الواضح في النهضة العلمية الاوربية .

واعتمادا على طبيعة اللغة العربية وسعتها ومرونتها وقدرتها على التطور والاستيعاب والتعبير من العلم الحديث وتطبيقاته ، وقد تبثل ذلك في التجربة الرائدة التي نهضت بمبئها الجامعة السورية خلال نصف قرن بالتدريس والتأليف في الكليات العلمية العملية باللغة العربية ، والتي تتطلب من الجامعات العربية الاخرى الاسراع الى التعاون والدعم والمساندة.

ومع الاعتراف بالصعاب الحالية التي تمتعرض سبيل استعمال اللغة العربية لغة تدريس وبحث علمي في الكليات الجامعية والمعاهد ، والتي تستدعي :

- 1 - اعداد هيئة التدريس .
- 2 - ترجمة المصطلحات وتدريبها وتوحيدها .
- 3 - استكمال النقص في المراجع والمصادر العلمية .

وهي الصعاب التي أمكن التغلب عليها عملا في مراحل التعليم العام وفي كليات الحقوق وفي الدراسات الاجتماعية والنفسية ، التي أصبح التدريس فيها منذ زمن باللغة العربية في كثير من البلاد العربية أمرا واقعا وحقيقة مقرررة ، بعد ان كان التدريس فيها

لما كانت اللغة القومية لكل امة هي الوعاء الفكري للمواطن ، اذ انها اداة التفكير كما انها وسيلة التعبير. وتحقيقا للاهداف العلمية والتربوية لوضع المادة العلمية في متناول ادراك الطالب وفهمه دون هوائق لغوية خارجية تزيد من صعوبة المادة وتعمل على الابطاء في استيعابها .

وايماننا بأن تاصيل العلم والتفكير العلمي لدى اية امة يتطلب استعمال لغتها القومية في كل من التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة .

وادراكا ان استعمال اللغة القومية في التدريس والبحث العلمي يزيد من ارتباط العلماء بشعوبهم ومن ارتباط العلم وتطبيقاته بقضايا وطنهم وحاجات أمتهم ومتطلباتها ، ويساعد على الاحتفاظ بهم والحد من هجرتهم .

وتقريرا للحقيقة التاريخية المعروفة ان اللغة العربية وسعت في عصور ازدهارها جميع جوائب

بلغات اجنبية ، وكانت الافتراضات على تعريبها والصعاب امام ذلك هي الافتراضات والصعاب نفسها التي تثار الآن في مجال استعمال اللغة العربية للتدريس والبحث العلمي .

ومع التأكيد على ضرورة بذل مزيد من العناية باللغات الاجنبية لتكون نافذة تطل على سير العلم في البلاد الاخرى ووسيلة لمتابعة التطور العلمي في العالم .

فان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - المبادرة الى استعمال اللغة العربية لغة للتدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة بالكلية والمعاهد العلمية والتقنية في البلاد العربية ، على ان يصدر في كل بلد عربي تشريع ملزم بذلك ، وان يكون البدء بتنفيذه في السنة الاولى (الصف الاول) بترك الكليات والمعاهد في بداية العام الدراسي التالي مباشرة لصدور التشريع ، وان ينص على ان يكون التنفيذ في السنوات (الصفوف) التالية متتابعاً عاماً بعد آخر دون فواصل زمنية .

2 - انشاء مركز لترجمة امهات الكتب والمراجع اللازمة لتعريب التدريس في الكليات والمعاهد العلمية .

3 - اعادة تأسيس اتحاد الجامعات اللغوية العربية الذي سبق ان وافق مجلس جامعة الدول العربية على تأسيسه وعلى نظامه الاساسي ، وحث مجلس جامعة الدول العربية على ان يرصد له اعتماداً مالياً كافياً يمكنه من القيام برسائلته العلمية والقومية الجليلة في مجالي التعريب والترجمة العلمية . على ان يتطور هذا الاتحاد في المستقبل ليصبح مجعماً لغوياً عربياً مركزياً وتصبح الجامعات الاخرى في البلاد العربية فروماً له .

4 - ارتباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط باتحاد الجامعات وفقاً لترتيب خاص يمنع الازدواج في العمل والتكرار في الجهد .

5 - حث الحكومات العربية التي لا توجد في بلادها مجامع على تأسيس مجامع لغوية ، تكون رسالتها العمل في نطاق التطور نفسه على قيام نهضة لغوية فكرية بشتى الوسائل وتكون في

الوقت نفسه شعباً لاتحاد المجامع ودعامة له في عمله .

6 - تأسيس الجمعيات العلمية لمختلف فروع العلم في كل بلد عربي لتكون عوناً للجامعات والمجامع واتحاداتها والاتحاد العلمي العربي في النهوض بالتعريب والترجمة العلمية .

7 - بذل مزيد من العناية باللغات الاجنبية في التعليم الاعدادي والثانوي والجامعي ، والعمل على رفع مستواها للاستفادة بها في نشر البحوث العلمية العربية على الصعيد العالمي .

« التوصية الثانية »

السياسة العامة للاعداد العلمي :

لما كان المؤتمر يدرك ان المعركة التي تخوضها الامة العربية هي معركة حضارية في المقام الاول وان الامة العربية في حاجة الى تقدم حضاري يستفيد من العلم مضموناً واسلوباً في تدعيم الجبهة العربية ، ولما كان المؤتمر يرى ان التفاعل بين الحركة العلمية والتطور الصناعي والانتاجي امر ضروري للنهوض بها جميعاً ، فانه يوصي بما يلي :

1 - وضع الخطط طويلة الامد لتربية الجماهير العربية تربية علمية اصيلة تقوم على الايمان بالاسلوب العلمي في التفكير والوعي بدور العلم في تطوير الحياة الانسانية ، وباهمية العمل العلمي في حل المشكلات .

2 - ان تقوم اجهزة التعليم والاعلام بالعمل على ازالة العراقيل التي تعوق الحركة العلمية حتى يفسح لها مجال العمل على رفع مستوع الثقافة العلمية بين الجماهير واشاعة الفكر العلمي وتاصيل النظرة العلمية للامور وتربية الاجيال الصاعدة تربية علمية شاملة .

3 - اعتبار عملية الاعداد العلمي عملية متكاملة تبدأ مع الطفل وتستمر حتى الدراسات العليا وان هذا التكامل يقتضي الربط بين مراحل الاعداد المختلفة وتحديد مستوياتها في كل مرحلة ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بانشاء هيئات او مجالس دائمة تكون مسؤولة عن تطوير خطط ومناهج الدراسات العلمية في المراحل المختلفة ورسم

سياسة شاملة للاعداد العلمي ، والقيام بالدراسات والابحاث الخاصة بتحديد نوميئات الاعداد ومستوياته .

4 - توثيق العلاقات بين المؤسسات العلمية ومراكز الانتاج والخدمات بحيث يتم تبادل الخبرات العلمية فيما بينها والعمل على حل المشكلات التي تواجهها تلك المراكز ، واتاحة الفرصة لتدريب الطلاب العلميين بصورة دورية في مراكز الانتاج والخدمات وانتقاء موضوعات البحث من المشكلات التي تطرحها هذه المؤسسات والمراكز .

« التوصية الثالثة »

الاعداد العلمي في التعليم العام :

يقدر المؤتمر الجهود التي تبذلها جميع الدول العربية في مجال تدريس المواد العلمية في التعليم العام ، ويرى وجوب اعطاء مزيد من الاهتمام لتحسين نوعية الاعداد العلمي في جميع مدارس التعليم العام نظرا لاهميته سواء لاعداد المواطن القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه والمساهمة في حلها او لاعداد العلميين المتخصصين .

ولذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

1 - العناية اثناء تدريس العلوم في المرحلة الاولى بالدراسات التطبيقية على الطبيعة ، أي ان تقرر عملية التعليم بالشهادة ما أمكن ذلك وان تنمي المبادرة الفردية واكتساب بعض المهارات العلمية بحيث يمكن تنمية الشخصية العلمية المزودة ببعض المعارف العلمية الاساسية .

2 - اعادة صياغة المناهج العلمية بحيث تهتم بأساسيات المعرفة العلمية دون ازديادها بالتفاصيل على ان تجري عملية متابعة وتقييم لهذه المناهج باستمرار في ما تسفر عنه من نتائج وما يستجد من احتياجات تمثيا مع التطور العلمي الحديث .

3 - تطوير اساليب التدريس ، وهذا يرتبط باعداد المعلم ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بالاهتمام باعداد المدرس وتوفير الجو والظروف المناسبة لكي يقوم بدوره على احسن وجه ، وذلك من طريق تحسين ظروفه المادية والمعنوية وتزويده

بوسائل التدريس اللازمة ومده باستمرار بالجديد في العلم وفي طرق التدريس وتنظيم السدورات التدريبية والتجديدية المناسبة .

4 - الاهتمام بمزج الاعداد العلمي بالاعداد الانساني والقومي ، وبوجه خاص اثناء احساس الطالب بالانتماء للوطن وادراكه لمسؤولياته تجاهه .

5 - العناية بتدريس اللغة العربية باعتبار ان اللغة القومية هي الوسيلة المثلى للتعبير عن الافكار العلمية وتبادلها بين اجزاء الوطن العربي . كما يؤكد ضرورة العناية بتدريس اللغات الاجنبية لانها وسيلة هامة من وسائل تحصيل العلم .

6 - العناية بالمدارس المهنية وزيادة عددها وتنوعها طبقا لمتطلبات خطط التنمية على ان يرتفع مستوى الدراسة العلمية النظرية في هذه المدارس الى ما لا يقل عن مستواه في المدارس العامة على ان لا يكون ذلك على حساب النواحي المهنية مع اتاحة الفرصة للمتخرج في هذه المدارس بمواصلة دراسته في التعليم التقني العالي اذا كان صالحا لذلك ، على ان يراعى في قبول الطلاب في هذه المدارس الميل والكفاءة .

« التوصية الرابعة »

الاعداد العلمي في المرحلة الجامعية :

يقدر المؤتمر الجهد الذي تبذله جميع الدول العربية في التوسع في التعليم الجامعي العالي ، ويرى ان الوقت قد حان للاهتمام بنوعية الاعداد في هذه المرحلة بما يلي باحتياجات الامة العربية . ولهذا يوصي المؤتمر بما يأتي :

1 - ان تحدد كل دولة عربية اهداف التعليم الجامعي بصورة واضحة في ضوء احتياجاتها المحلية من علميين على مختلف انواعهم ، اخذة في الاعتبار الحاجات القومية على نطاق الوطن العربي .

2 - ولما كان تحديد التخصصات وانواعها ومجالاتها امرا يرتبط بخطة التنمية الوطنية والقومية ، فان المؤتمر يوصي بانه اذا لم تتوافر خطط للتنمية طويلة الامد فيفضل ان تكون التخصصات مريحة تتيح للمتخرجين في الجامعة العمل في مجالات متنوعة بحيث يستطيعون سد حاجات

مختلف القطاعات والمشروعات التي يتقرر انشاؤها في المستقبل .

3 - تجنب الازدواج بين الاعداد الاكاديمي والاعداد التطبيقية ومراعاة الاحتياجات الفعلية للمجتمع

5 - زيادة الاهتمام بالعلوم الانسانية والاجتماعية في الكليات العملية العملية .

6 - لما كان توفير المختبرات والاجهزة العلمية والمكتبات يحتاج الى نفقات كبيرة قد لا تتحملها الطاقات المحلية ، فان المؤتمر يوصي بالتنسيق بين مراكز البحث والجامعات بحيث يستفاد من الامكانيات الموجودة وذلك بانشاء معامل ومكتبات مركزية وتوفير خدمات التوثيق العلمي . وفي هذا المجال يوصي المؤتمر بان تبنى البلاد العربية مشروع انشاء مؤسسة عربية لتصنيع وصيانة ادوات واجهزة المختبرات والوسائل التعليمية .

7 - توفير اعضاء هيئات التدريس اللازمين للقيام باعباء التدريس بحيث تصل نسبة هيئة التدريس الى الطلاب في اقرب وقت ممكن الى النسب المقبولة عالميا .

8 - ان تتحمل الجامعات والمعاهد العليا مسؤولياتها في متابعة النمو العلمي للخريجين عن طريق البرامج التدريبية ووسائل النشر والاعلام ومراكز خدمة الخريجين .

« التوصية الخامسة »

اعداد الباحثين العلميين :

ان المؤتمر اذ يدرك ان اية نهضة علمية اصيلية تقوم اساسا على اكتاف مجموعة من الباحثين في المجالات المختلفة ، قادرين على تنشيط حركة البحث العلمي وربطها بالحركة الاجتماعية والاقتصادية ، فانه يوجه النظر الى ضرورة الاهتمام باعدادهم وتوفير الظروف الملائمة لهم ، وفي هذا المجال يوصي بما يلي :

1 - لما كانت اساليب البحث العلمي واهدافه في الجامعات قد تختلف عنها في مؤسسات البحث العلمي الاخرى والتي ينبغي ان يرتبط العمل فيها باحتياجات تنمية المجتمع ، فان المؤتمر يوصي عند تقويم اداء العلميين العاملين في مجالات

البحوث التطويرية والتطبيقية بالاعتماد على الانتاج العلمي بدلا من الاقتصار على اعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .

2 - لما كان خريج الجامعة يحتاج قبل قيامه بالبحث الى تدريب خاص يكسبه المهارات الاساسية اللازمة للبحث فان المؤتمر يوصي بانشاء دراسات خاصة للخريجين الذين يدخلون ميدان البحث العلمي وتقويم مهملهم فيها للتعرف على صلاحيتهم لمتابعة البحث العلمي .

3 - تشجيع الربط بين بحوث الماجستير والدكتوراه وغيرها من البحوث الجامعية وبين احتياجات المجتمع ما أمكن ذلك .

4 - يرى المؤتمر ان هناك حاجة الى مزيد من الاهتمام بالدبلومات المهنية التطبيقية بحيث تتنوع وتأخذ صورة ذات طبيعة تطبيقية يقصد بها اعداد المتخصصين المهنيين اعدادا علميا وعمليا للعمل في مروع التخصص التي يحتاجها المجتمع .

5 - تشجيع الباحثين على متابعة تكوينهم العلمي بالانساب الى دراسات ودورات تدريبية لرفع مستواهم بشكل مستمر .

6 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائيين في التوثيق والنشر العلمي .

7 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائيين في اعمال الادارة العلمية والتخطيط العلمي .

« التوصية السادسة »

اعداد الفنيين والمعاونين في البحث العلمي :

لاحظ المؤتمر ان مرافق المؤسسات العلمية والانتاجية لاسيما المراكز الصناعية في الوطن العربي تعاني نقصا كبيرا في الفنيين ، مع ان العمل في هذه المرافق يستند الى خدمات الفنيين في عمليات التنفيذ بقدر ما يحتاج الى المهندسين والعلميين من ذوي الاختصاصات العالية في عمليات التصميم والبحث . لذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

1 - الاهتمام باعداد ورعاية الفنيين والمعاونين في شؤون البحث العلمي في قطاعاته المختلفة بخامة الفئات التالية :

— القيود التي تفرض في بعض البلدان العربية على حرية المعلمين في التفكير والعمل وعدم الاستقرار في مجالات العمل العلمي وهيئاته : مما يضر باستمرارية العمل .

كما يوصي المؤتمر كل دولة عربية بالعمل على الاحتفاظ بالمعلمين داخل الوطن العربي وعلى حسن الاغادة من طاقاتهم ، وعلى ترغيب من هاجر منهم في العودة ، وذلك بتوفير المناخ العلمي الملائم والمشجع من طريق اتخاذ الاجراءات التالية :

1 — توفير الدخل المادي الكافي الذي يضمن تكريس كل جهود المعلمين لواجباتهم العلمية مع وضع الحوافز المادية والمعنوية لهم .

2 — رفع القيود على تحركات المعلمين داخل الوطن العربي للاغراض العلمية وامطاء العلماء العرب الاولوية في شغل الشواغر في الوطن العربي ضمن برنامج المنظمات الدولية .

3 — انشاء مركز عربي لجمع بيانات عن احتياجات الوطن العربي من المعلمين في حقول التخصص المختلفة وكذلك جمع بيانات عن القوى العلمية العربية العاملة في الوطن العربي وخارجه ، وذلك من اجل التنسيق بين احتياجات الدول العربية المختلفة بما يضمن توزيعا متكاملا للمعلمين واستخدام اكبر عدد ممكن منهم داخل الوطن العربي .

4 — مبادرة الدول العربية الى وضع خطط مشتركة تحدد فيها مشكلاتها العلمية واحتياجاتها من المعلمين وترصد لها الإمكانيات اللازمة لتنفيذ الخطة العربية المشتركة وحل ما يعترضها من عقبات .

5 — متابعة القيام بدراسات ميدانية تهدف الى التعرف على المشكلات التي واجهها ويواجهها المعلمون العرب داخل الوطن العربي ومسببات هجرتهم .

6 — اعادة النظر في مؤهلات العاملين في مختلف الحقول الانمائية في البلاد العربية وشغل تلك الحقول بذوي المؤهلات العلمية القادرة المتخصصة .

ا — المختصون بصيانة واصلاح الاجهزة العلمية .

ب — المختصون باجهزة القياس الدقيقة والتحليلات ومختلف التعضيرات العلمية

ج — الفنيون المدربون على الاجهزة الالكترونية واجهزة الصناعات الكيميائية والتعدينية وغيرها .

د — الفنيون في اعمال التصميم والتجارب نصف الصناعية .

هـ — الفنيون في اعمال الرسم والتصوير العلمي .
و — الفنيون اللازمون للمعاونة في اعمال المكتبات والتوثيق والنشر العلمي .

ويجب ان يكون اعداد الفنيين متناسبا مع متطلبات العمل .

2 — تشجيع الفنيين ماديا ومعنويا وذلك بتحسين اوضاعهم المادية وتنمية الشعور بان عمل الفنيين لا يقل اهمية عن الاعمال العلمية الاخرى .

3 — ان يكون المشرفون على اعداد وتدريب الفنيين من مدرسين ومدرسين من ذوي الخبرة الفنيين المتربين بمثل هذه الاعمال .

« التوصية السابعة »

هجرة المعلمين ووسائل الاحتفاظ بهم :

يوصي المؤتمر بان تراجع كل دولة عربية الظروف التي تدفع المعلمين العرب الى الهجرة مثل :

— ضعف الدعم المادي للعمل العلمي وقلة دخل المعلمين التي تصرفهم من تكريس جهودهم للعمل العلمي المنتج .

— عزلة المعلمين عنهم من بعض على الصميديين المحلي والعربي وعدم اشتراكهم في وضع خطط التنمية في بلادهم .

— التركيب البيروقراطي لكثير من المؤسسات العلمية وطرق التوظيف فيها والتي أدت الى وضع كثير من غير المناسبين في مسؤوليات حساسة في ميدان العمل العلمي ومن ثم سلبية كثير من المعلمين العائدين بعد تدريبهم وتأهيلهم في الخارج .

7 - مبادرة الهيئات العلمية الى خلق مدارس البحث العلمي المرتبطة باحتياجات المجتمع كوسيلة لربط العلمين بجمعهم وللحفاظ على العلمين الذين يعودون الى هذه الهيئات من الخارج ولتوضيح الدور الذي يجب ان يلعبه العمل العلمي في بناء المجتمع العربي .

8 - انشاء صندوق عربي يتولى تنفيذ برنامج لتبادل العلماء العرب داخل الوطن العربي من جهة وبين المؤسسات العلمية العربية ونظيراتها في الدول المتقدمة من جهة اخرى .

9 - اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد ما امكن من خروج الطلبة العرب للدراسة الجامعية الاولى الى الجامعات الاجنبية خشية انصهارهم في المجتمعات الاجنبية التي يذهبون اليها .

« التوصية الثامنة »

مسح الامكانيات العلمية :

يوصي المؤتمر ان تقوم كل دولة عربية بالعمل على تحقيق مسح شامل وكامل للمؤسسات البحث فيها وذلك من حيث تركيبها وامكانها وتجهيزاتها وقدراتها والعاملين فيها (مؤهلهم وخبراتهم) وتمويلها والجهات التي تنبمها ومواقع اختصاصاتها ونشاطها وذلك تمهيدا للاستفادة من امكانياتها في خطط الانماء والبحث العلمي ولاستكمال نواتجها وتمهيدا لاستحداث وحدات جديدة في أماكن وميادين تميز على ضوء الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، كما يوصي بان يكون جمع هذه البيانات والاحصاءات مستمرا ، وان تعمل ادارات الامانة العامة للجامعة العربية (الادارة الثقافية - قسم العلوم والتكنولوجيا وغيرها) على جمع هذه البيانات من الدول العربية وتصنيفها ونشرها .

« التوصية التاسعة »

تنظيم البحث العلمي على النطاق المحلي :

يوصي المؤتمر بان تعمد كل دولة عربية الى انشاء هيئة مركزية على اعلى مستوى تتمتع بالاستقلال الاداري والمالي وتكون مهمتها وضع السياسة العلمية الوطنية وتوجيه البحث العلمي وتنسيقه وتشجيعه

واعداد الباحثين والعلمين على ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ويوصي المؤتمر بان تنظم البلاد العربية مؤسسات البحث العلمي فيها على ضوء المسح الذي تجريه ، وهي تؤكد ضرورة وضع خطة علمية تستهدف التنسيق بين مختلف مراكز البحث بحيث تستفيد الى اقصى حد من الامكانيات العلمية المتوفرة وتوجهها الى تناول مواضيع البحث ذات الاهمية بالنسبة لحسن استغلال الموارد الطبيعية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما يوصي المؤتمر بان تتوخى خطة انشاء وتدعيم مراكز البحث تمكين هذه المراكز من تحقيق دورها في ميادين البحث الاساسي والتطبيقي والتكنولوجي وفي اعداد العلمين والباحثين الرئيسيين والمساعدين على السواء . وان يتم توزيع البحوث على المؤسسات العلمية بحيث تاتي متكاملة في خدمة المصلحة الانمائية العامة وبحيث تتجنب التكرار والازدواجية مع التأكيد على اهمية دور الجامعات في البحث العلمي ، وبحيث يقوم البحث العلمي بسدوره كجسر لنقل التكنولوجيا الحديثة الى البلاد العربية .

« التوصية العاشرة »

تنظيم البحث العلمي على نطاق الوطن العربي :

ان التنسيق بين جهود الدول العربية في المجال العلمي ضرورة ملحة لتحقيق اهدافها القومية ومعبور نجوة التخلف ، وبخاصة ان المشكلات التي تواجهها هذه الدول في حقول التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتشابه موضوعيا ، مما يحتم عليها ان تتعاون وان تنسيق جهودها لاحقا بالتقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، وبخاصة ان التحديات الراهنة والمقبلية التي تواجه وستواجه الامة العربية قد وصلت الى مرحلة بالغة الخطورة ، وان عناصر التقدم العلمي من موارد بشرية وامكانيات مادية وطبيعية ليست موزعة بشكل متوازن على رقعة الوطن العربي .

لذلك يؤكد المؤتمر اهمية التعاون العربي في حقول البحث العلمي ، وضرورة التنسيق والتوثيق وتبادل الخبرات والمعرفة ، ويوصي بما يلي :

اولا - ان يبادر العلميون في مختلف الحقول اينسا وجدوا في الوطن العربي الى انشاء جمعيات علمية عربية تضم الاختصاصيين في الحقول العلمية

الترابطة والتداخل في جميع البلدان العربية
وعلى سبيل المثال تنشأ الجمعيات الآتية :

أ - جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية .

ب - جمعية العلوم البيولوجية .

ج - جمعية العلوم الكيميائية والبيولوجية .

د - جمعية العلوم الهندسية .

هـ - جمعية العلوم الطبية .

و - جمعية العلوم الزراعية .

ز - جمعية العلوم الاجتماعية .

ح - جمعية العلوم الادارية .

ط - جمعية العلوم الاقتصادية

على ان تتضمن مهام هذه الجمعيات اصدار
دوريات علمية لنشر البحوث على مستوى
الوطن العربي وعقد المؤتمرات العلمية الدورية

ثانياً - ان يقوم اتحاد الجامعات العربية - وهو
اطار مناسب للتنسيق العلمي بين الجامعات
العربية - بدور اكثر فعالية في هذا المجال .
ويحتاج ذلك الى :

1 - مزيد من الدعم المادي من الجامعات
والحكومات العربية .

2 - توسيع قاعدة المؤتمر العام لاتحاد
الجامعات ليشمل ممثلين لاهضاء هيئة
التدريس من غير اعضاء مجالس الجامعات
ومن مختلف التخصصات العلمية ، وعلى
ان يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل عام .

3 - تنشيط عمل لجان الاتحاد الفنية واشراك
اكبر عدد ممكن من اعضاء هيئة التدريس
الراغبين والقادرين على المساهمة فيها .

4 - عقد مؤتمرات دورية تمثل اقسام
التخصص في كل جامعة لتنسيق شؤونها
العلمية والتعليمية .

5 - عقد حلقات دراسية لبحث المشكلات التي
تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي
مع الاهتمام بوجه خاص في المراحل
القادمة بالوضوعات الآتية :

أ - مركز الاقسام العلمية وخصوصا البحث
منها نظرا لتداخل لمروع العلم المتقاربة
ولتجنب بعبثة الامكانيات .

ب - التنسيق فيما بين الاقسام التخصصية
في الجامعات المختلفة لتوزيع اهتماماتها
في مجال البحوث والدراسات العليا
وتوزيعها بحيث تصبح متكاملة ومتفاعلة .

ج - اعداد ونشر دليل سنوي لاهضاء هيئة
التدريس والعاملين في الجامعات العربية
في مختلف حقول التدريس .

د - التنسيق بين الجامعات العربية في مجال
المشاركة العربية في المؤتمرات العلمية
والدولية وتنظيم الاستفادة منها .

هـ - اعداد دراسة تستهدف وضع مبادئ
سلبية لتكلفة تعليم وتأهيل الطالب في
مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي .

ثالثاً - انشاء مجلس علمي عربي يضم البلاد
العربية وتكون من بين مهامه الامور التالية :

1 - انشاء وادارة مراكز البحوث الاقليمية .

2 - انشاء وادارة مراكز الخدمات العلمية
الاقليمية .

3 - انشاء وادارة مراكز اقليمية لتدريب
الفنيين العلميين .

4 - انشاء وادارة مركز للتوثيق العلمي .

5 - انشاء مركز يتابع تطور الحركة العلمية
لدى العدو واستعمال العلم في جميع
مجالات حياته .

6 - تميم البحث العلمي عن طريق تقديم المنح
للباحثين حيثما كانوا في الوطن العربي .

7 - تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية باللغة
العربية لمختلف فئات الشعب .

ويرى المؤتمر ان يستفيد هذا المجلس ما امكن
مما هو متوفر من مؤسسات علمية تقوم الآن في
البلدان العربية وذلك اما بتقويتها او بالحاق اقسام
للخدمات والبحث فيها .

ويرى المؤتمر كمداخل لتحقيق ذلك ان تبادر
الامانة العامة لجامعة الدول العربية (قسم العلوم

والتكنولوجيا) الى دعوة عدد من العلماء الاكفاء في الوطن العربي لوضع مشروع نظام هذا المجلس وعرضه على مجلس الجامعة في اول اجتماع مقبل له .

« التوصية الحادية عشرة »

التعاون العلمي العربي :

ينوه المؤتمر بأهمية التعاون العربي في مجال البحوث العلمية والمراكز الاتليبية المشتركة (من امثال مركز النظائر المشعة والمركز الاتليبي العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ومراكز البحوث التي اقرها مركز التنمية الصناعية التابع للجامعة العربية) ، وبالنشاط الذي يقوم على نطاق الوطن العربي وينوه بأهمية « المجلس العربي المشترك للطاقة الذرية » الذي قرر انشاءه مؤتمر القمة الثاني .

ويوصي بأن يكون انشاء مراكز البحوث الاتليبية مرتبطا بموضوعات علمية تهم الوطن العربي والتنمية الاقتصادية فيه .

« التوصية الثانية عشرة »

التوثيق والنشر العلمي :

نظرا لان نتائج البحوث العلمية أصبحت تنشر في العالم في ملايين من التقارير العلمية بمشترات اللغات ، فقد أصبح التوثيق العلمي من أهم الامور التي يجب ان تعنى بها مؤسسات البحث العلمي ، ويعتمد التوثيق العلمي الكامل اليوم على اجهزة حديثة بالفة النفقة لذلك يوصي المؤتمر بأن تتعاون البلاد العربية على انشاء مركز للتوثيق العلمي يستخدم الوسائل والاجهزة الحديثة ويكون في خدمة البحث العلمي على الصعيد العربي كله .

« التوصية الثالثة عشرة »

تنظيم براءات الاختراع والملكية الصناعية :

يوصي المؤتمر بانشاء وتنظيم جهاز براءات الاختراع في كل دولة عربية ، على ان يكون الجهاز ادارة استقبال اسرار التكنولوجيا المرفقة بطلبات براءات الاختراع ، واداة ارسال تلك الوثائق الى مراكز البحث العلمي

والجامعات والمصانع ، واداة متابعة تعميم تطبيق أحدث الاختراعات في الصناعات الرئيسية . على ان تتبع ادارة براءات الاختراع الجهاز العلمي المركزي في الدولة ، وان يتمتع الجهاز بكيان ذاتي . ويتعين ان يتضمن جهاز براءات الاختراع فضلا عن الادارة التقليدية التي تختص بالاجراءات والتسجيل ، ادارة تكنولوجية واقتصادية ، وادارة وثائق واعلام ، وادارة ابحاث قانونية وعلاقات دولية .

ويوصي المؤتمر البلاد العربية بالعمل على اعداد فئة من العلماء والقانونيين والاقتصاديين والخصائيين الوثائق والمكتبات تخصص علماء وعلماء في براءات الاختراع والملكية الصناعية .

« التوصية الرابعة عشرة »

يوصي المؤتمر بالتعاون بين الدول العربية في مجال الملكية الصناعية بتكوين مركز للملكية الصناعية ووثائق براءات الاختراع . ويختص المركز بالعمل على تنسيق تشريعات الملكية الصناعية في الدول العربية وتوجيه حركة التشريع لتحقيق مصالح الدول العربية وحماية حقوق المخترعين العرب كما يختص بالتبصام بالابحاث الخاصة بالائتمانيات الدولية في الملكية الصناعية واعمال وثائق براءات الاختراع ونشر هذه الوثائق .

« التوصية الخامسة عشرة »

تمويل البحث العلمي :

يوصي المؤتمر بأن تخصص كل دولة عربية للبحث العلمي ما لا يقل عن الواحد بالمائة من الدخل القومي العام على ان ترتفع هذه النسبة الى اثنين بالمائة في ظرف ثلاثة اعوام . ويكون توزيع اعتمادات هذه المخصصات مرتبطا بخطة البحث العلمي التسي تنبثق من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

« التوصية السادسة عشرة »

دور العلم والعلميين في مواجهة التحديات :

لما كان الاعداد العلمي يحتاج الى وحدة تكسر وعمل بين جميع الاجهزة المسؤولة عنه ، ولما كان هذا الاعداد يتم ضمن اطار اجتماعي يوجهه نحو

5 - إنشاء معاهد تكنولوجية متخصصة أو إضافة مروع للمعاهد القائمة تختص بالدراسات والبحوث ذات الصلة بالعمل العسكري وفي هذا المجال ، يوصي المؤتمر الدول العربية التي توجد بها نواة لمثل هذه المعاهد ان تضمها في خدمة العمل العربي الشامل بفرض تثبيتها لتحقيق اهدافنا القومية .

6 - الاهتمام بايجاد جهاز من العلماء المتخصصين ضمن القيادة العسكرية لكل دولة عربية في إطار الدفاع المشترك. ويكون هذا الجهاز مسؤولا عن تقديم معوناته بشأن وضع العلم واجهزته وبحوثه في خدمة العمل العسكري .

7 - تعبئة جميع الطاقات العلمية العربية الموجودة في الوطن العربي وخارجه لتوجيهها نحو خدمة متطلبات المعركة الحالية ، وفي هذا المجال يشير المؤتمر بصلة خاصة الى توجيه قدرات البحث العلمي لإنتاج اسلحة مناسبة بموارد متاحة داخل الوطن العربي ، هذا الى جانب تدريب أبناء الأمة العربية على المهارات الحربية والإدارية المناسبة.

8 - بناشد المؤتمر أجهزة الإعلام في الوطن العربي اعطاء مزيد من الاهتمام لنشر الوعي العسكري العلمي حتى يكون جميع المراد الأمة العربية على مستوى متطلبات المعركة سواء بالنسبة للعمل العسكري المباشر أو بالنسبة لوسائل الدفاع المدني .

غاياته المرجوة ، ولما كان للعلم دور رئيسي في مواجهة متطلبات المعركة المستمرة مع الإمبريالية وقاعدتها الصهيونية وهو دور لن يتحقق الا باتخاذ التدابير اللازمة على المستوى الوطني وعلى المستوى القومي فإن المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - ضرورة وضع سياسة عامة للأعداد العلمي تنبثق من واقع الوطن العربي وتكون على مستوى التحديات التي تواجهه عسكريا واقتصاديا وحضاريا ، وتحقق متطلباته واحتياجاته في ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعبئة العسكرية .

2 - الاسراع باجراء الدراسات الخاصة بالمدو وطاقاته وإمكانياته وسياساته العلمية والطرق التي يتبعها في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والتكنولوجية واجراء دراسات من طاقاتها العربية التي يجب حشدتها من أجل المواجهة الحالية والمستقبلية مع العدو . وفي هذا المجال أيضا يشير المؤتمر الى أهمية الاستعانة بملحقين علميين يتم تعيينهم في الدول المختلفة لجمع المعلومات العلمية .

3 - تنظيم وتدريب برامج ثقافية عامة ومناهج في التعليم العام والجامعي تتناول عدونا وطاقاته وطرق مواجهته والتعريف كذلك بالانجازات العربية .

4 - الاهتمام بالدراسات التي تهدف الى رفع مستوى العلوم ذات التطبيقات العسكرية في الجامعات والمعاهد الفنية العالية .

النيث في العرسي

الرواية

الأستاذ عبدالحق فاضل - الدار البيضاء

العدد من الثلاثة الى العشرة ، فقالوا مثلا : (سبعة) رجال ، بدلا من : سبع رجال .

ولا يحق لنا القادي أكثر من هذا في عرض رأي الباحث المستشرق اعتمادا على الذاكرة بعد هذا الإمد المتناول ، مخافة أن نظلم الرجل فنمزو اليه ما نتوهم أنه قاله وهو لم يقله ، أو قاله على نحو آخر . لكننا نذكر أننا حين قرأنا ذلك البحث لم نقتنع بتأويلاته ولو أننا تقبلناه على أنه مقال طريف ومحاولة جريئة لتفسير ظاهرة لغوية غريبة ، من زاوية جديدة .

أما بصدد النقطة الأولى فإن الكثير من أسماء الجادات لا يخضع للقاعدة المذكورة فقد وردت في العربية مؤنثات من الجادات لا مشابهة لها بالأنوثة كالعصا والفأس والذراع ، ومذكرات لا شبه لها بالذكورة كالوادي والغار ، والجب المرادف للبشر المؤنثة .

وأما بصدد النقطة الثانية ماذا اعتبرنا الثاني في بعض الحالات تكريما للمرأة حيث قيل سبعة رجال فإن الباحث لم يذكر فيها نظن أن اسم العدد يذكر أيضا مع المؤنث — مما يقلل هيبة المرأة ويقل من سطوتها — ليقال (سبع) نساء ، بدلا من سبعة نساء . ولعل المستشرق الفاضل قد ذكر ذلك وفسره بطريقة لم نتقننا على كل حال .

قرأت منذ أكثر من عشرين عاما — في مطبوع ما ، لعله مجلة غاب عن بالي عنوانها — لمستشرق نسبت اسمه — بحثا شائقا حاول فيه تفسير ظاهرة الثاني في لغتنا بما فيها من غرابة ومفارقات . والذي تستطيع الذاكرة أن تستعيده الآن من ذلك البحث هو التفتتان الأساسيتان اللتان عليهما كان مدار الموضوع .

النقطة الأولى قوله أن العرب أنثوا من الجادات ما هو شبيه بالأنوثة مما كان مذكوريا أو مهيما أو موطوءا أو نحو ذلك ، كالرحي والبئر والأرض . وبوسعنا جريا على هذه النظرية أن نضيف إلى ذلك من الجادات المؤنثة التي تشبه المرأة ما كان ساميا كالسقاء ، وهاجا كالشمس ، ومقلبا كالريح ، ومحرقا كالجحيم ، ومدمرا كالحرب ..

والنقطة الثانية قوله أن العرب كانوا قد مروا في أحد عهودهم القديس بمرحلة الأمومة كغيرهم من الأمم ، أي مرحلة سيادة المرأة الأم على العائلة قبل الانتقال إلى مرحلة الأبوة أي سيادة الرجل الأب . ويخيل لي أن المستشرق قد استشهد على رأيه هذا بنبذة من كلام هيرودتس عن علاقة مغايرة للباليوف الحديث كانت على عهد قائمة بين الرجل والمرأة ، لدى بعض العرب ، ولا نعتب أن ذلك الاستشهاد كان واثقا بمرامه لأنه لا يدل على سيادة المرأة فيها نذكر . وعلى أية حال كان من تأثير سيطرة الأنثى الأم ، على قوله ، أن العرب أنثوا الكثير من أسماء الأشياء غير المؤنثة ، حتى من الذكور البشر ، كتأنيث اسم

ولاندرى الآن ما اذا كان قد فاته كذلك ان الجمادات
تؤنث وتذكر في اللاتينية وبناتها . فهل نمزو ذلك
الى مشابهة المسيبات للذكورة والانوثة او الى سيطرة
الام على الرومان قبل ان تتوطد لديهم سيطرة الاب
ايضا ؟

الاسماء :

والذي يهديننا اليه استعراض الضمائر العربية
في شتى احوالها وصورها هو ان هذه العناصر
الضميرية البدائية الثلاثة لم تنشأ في مكان واحد عند
تريق معين من الاعراب (العرب الاوائل) ، بل ان
كل طائفة منهم كانت تستعمل واحدا من هذه الضمائر.
فريق منهم كانوا يستعملون ضمير (تا) كما كان فريق
ثان يستعملون ضمير (آ) وفريق ثالث ضمير (نا)
كالذي فصلناه وعلناه في كتابنا الانف الذكر ، فلا حاجة
للامادة فيه هنا .

وهكذا كان نصيب التاء ان الحقوها كأخويها
الضميرين الآخرين بالاسماء والاعمال . وهذا هو سر
وجود التاء في بعض الاسماء مثل : جبهة ، هضبة ،
اجمة ، مقدرة ، خشية .

فليس التانيث هو الغرض من التاء في أسماء هذه
الاشياء المجردة من اي اثر لاي تانيث او تذكير ، وانما
التاء هنا مجرد بقية اثرية من عهد لغوي مندرس بمبد
كانوا فيه يلحقونها بكل الاسماء والاعمال .

وقد كان من نتيجة اختلاط التقبيل الذين يستعملون
التاء بغيرهم من الاعراب الذين لا يستعملونها ان
ضعف شأنها وقل استعمالها حتى انها سقطت من كثير
من الاعمال مثل : اعمل ونعمل ويفعلون ، ومن معظم
الاسماء مثل : جبل ، طير ، نهر ، ارض ، كوكب ،
تراب ، بحر ... وبقيت عالقة باسماء اخرى كالتسي
ذكرناها : هضبة ، جبهة ، الخ ... وبقيت متأرجحة في
اسماء اخرى حيث يمكن حذفها واثباتها في مثل : ليل
ونجم .

قلنا ان التاء الحقوها بالاسماء والاعمال لاداء
معنى الضمائر او أسماء الاشارة اول الامر ، لكن
تطاول الاحتباب وتعاقب الاجيال جعلها تظهر أولا في
صور مختلفة بسبب اختلاف القوم في نطقها كما قلنا ،

وبلاحظ ان اسم الجباد الخلو (1) في اللاتينيات
اما مذكر فقط واما مؤنث فقط . واما في العربية فسان
الكثير من أسماء الاخلاء يجوز فيها التذكير والتانيث .
فهذا يضعف رأي المستشرق الباحث في قوله ان لمشابهة
الاشياء بالانوثة علاقة بالمسالة . ولو نحن مضينا في
التطبيق قياسا على نظريته لقلنا ان جواز التذكير
والتانيث في الكثير من أسماء الاخلاء في العربية يدل
على مرور العرب بعهد سادت فيه الخنثى على العائلة .

قبل الادلاء برائنا في تفسير ظاهرة التانيث
يطالبنا الاتصاف ان نحى هذا الجهد المخلص الذي
أنفقه الفضال المستشرق - المجهول لدينا في الوقت
الحاضر ، وقد نهتدي الى معرفة اسمه ذات يوم -
نحو وامثاله من الباحثين الاجانب ، الذين قاموا بعملية
استكشاف واسعة المجال في قارة التراث العربي ومنه
تراث اللغة ، قد اسدوا الى العربية خدمات قيصة
مشكورة ، ولا عتب عليهم ان اخطاوا احيانا ، فان لهم
الفضل انهم اصابوا احيانا كثيرة اخرى .

الضمائر العربية :

اذا حللنا الضمائر العربية - انا ، انت ، هو ..
الخ - نجدها تتألف من ثلاثة عناصر أساسية : الالف
والنون والتاء . وقد تطرقنا في كتابنا « مخاضات لغوية »
(في فصل اسرار الضمائر) (2) بشيء من التفصيل الى
هذه العناصر الضميرية الثلاثة التي نطقها الانسان
الاقدم (آ) و (نا) و (وسا) اول الامر ، ثم
تطورت لتتعدد صيغها وتنوعت معانيها ، اي ان
الاقدمين كانوا يختلفون في نطق هذه الضمائر فنشأت
لها صيغ كثيرة ، وكانوا لفرهم اللغوي يستعملون كلا
من تلك الصيغ في مختلف المعاني التي يتقنون الى
الامصاح عنها ولا يجدون الالفاظ المعبرة عن كل منها .
وكانوا يلحقون هذه العناصر البدائية الثلاثة
(آ ، نا ، تا) بالاسماء والاعمال كضمائر او أسماء

(1) نستعمل كلمة الخلو - زنة الصنو والشلو - بمعنى الشيء الخالي من الانوثة والذكورة . وموثها :

(2) وفي مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس ، لسنة 1967 .

وتؤدي ثانيا أغراضا مختلفة بسبب الفقر اللغوي الذي المقتضى إليه. ما اضطرهم الى استعمال الكلمة الواحدة في أكثر من معنى واحد .

ومن اختلاف الطوائف العربية في نطقها نجدها في لغتنا مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة . ومن بقايا استعمالها بمعنى مختلف الضمائر سوف يستغرب القارئ ان نقول له ان (تو) ما زالت تعني أنسا بالعربية ، وأن (تا) تعني أنت المخاطب ، و (تي) تعني أنت المخاطبة ، و (ات) تعني هي . لكننا نجد هذا كله جليا مدهشا في الفعل الماضي ، فالتاء المضمومة تعني أنا في فعلت (= فعل + تو) ، والمفتوحة تعني أنت في : فعلت (= فعل + تا) ، والمكسورة تعني أنت في : فعلت (= فعل + تي) ، والساكنة تعني هي في : فعلت (= فعل + ات) . وهذه الصيغة الأخيرة (ات) قد ذابت همزتها كما تذوب الهمزة في كثير من الحالات التي سميت فيها همزة وصل .

وظائف التاء :

أوضحنا في كتابنا المذكور كيف تنفرد الضمائر أحيانا وظائفها أي معانيها ، أو تمتاض منها وظائف أخرى . وقد كان شأن التاء في هذا شأن غيرها من الضمائر فقد تطلبت عليها أحداث لغوية امتدتها وظيفتها أحيانا وأبدلتها بها وظائف أخرى أحيانا أخرى ، في ظروف تطورية مثيرة ، نجملها فيما يلي :

أولا : تعدت التاء وظيفتها تماما في بعض الأسماء مثل : نجمة وضلعة وماءة — فيجوز لك حذف التاء من هذه الأسماء فتقول : نجم وضلوع وماء ، بنفس المعنى . أي ان التاء هنا لم تستطع ان تجد لها وظيفة ما أو تخصص بحالة معينة تميزها عن حالة تجرد الاسم من التاء . فيمكننا على هذا أن نسميها (التاء الزائدة)

ثانيا : وجدت التاء لنفسها بعض الوظائف تؤديها في بعض الحالات ، من ذلك انها تغير معاني بعض الالفاظ مثل : الظهير والهاجر والجر . فهذه الالفاظ تكتسب معاني جديدة ليست لها أية علاقة بمعانيها الأصلية حين تلتحق بها التاء فتصبح : المهاجرة والظهير والجرة . فهذه قد يجوز تسميتها (تاء التغيير).

ثالثا : صارت التاء تخلق معنى لبعض الالفاظ التي لا معنى لها . وبمعبر آخر ان التاء صارت جزءا متما لبعض الأسماء بحيث تصبح لا معنى لها اذا

حذفت التاء منها ، مثل : الأمسية والبكرة والرنة والبورة — فلا معنى للفاظ الأمسي والبكر والريء والبور . أي ان التاء هنا قد التصقت ببناء الكلمة فأصبحت جزءا من نسيجها كحروفها الأصلية . وهذه يصح ان نسميها (التاء اللازمة) .

رابعا : صارت التاء أداة لتكوين بعض المصادر كما في الفعلين : دحرج واستقام ، بمصدراهما : دحرجة واستقامة — وهي قاعدة قياسية لا حيد عنها ، أما في الفعل المضارع فان التاء وجوبية أحيانا في مثل : وصى توصية وعبا تعبئة .. وجوازية أحيانا في مثل : قدم تتدما أو تقديما ، وكرم تكرة أو تكريما .. ومنومة أحيانا كما في علم تعلما وكسر تكسيرا ، فلا يقال تعلمة وتكسرة . وهذه أجدر بأن تسمى (التاء المصدرية).

خامسا : صارت التاء تؤدي معنى الحرفة في مثل : الكهانة والسفارة والسدانة والعيافة — أي حرفة الكاهن والسفير والسادن والعائف . وهذه نسميها (تاء الحرفة) .

سادسا : صارت التاء تؤدي أيضا معنى تأكيد الصفات في مثل : النسابة والدواة والراوية . فإذا حذفنا التاء من هذه الصفات فقلنا النساب والذواق والراوي ، ضلعت قوة المعنى ، على حين انه لا يجوز حذفها من بعض الصفات المؤكدة بها مثل الطلعة والهمزة واللمزة (بضم الاول وفتح الثاني في اللفظات الثلاث) — أي الكثير التطلع والهماز واللماز ، فلا يقال فيها : الطلع والهمز واللمز ، وهذه التاء أجدر بأن تسمى (تاء التوكيد) . وهي تاء لازمة في نفس الوقت في الطلعة والهمزة واللمزة .

سابعا : صارت التاء تدل على معنى الامفراد في بعض الأسماء كالشجرة والحمامة والسكة ، فإذا حذفنا من هذه الأسماء أمثالها صارت تدل على الجمع أي اسم الجنس : الشجر ، الحمام ، السك ، ولا يمكن اعتبارها تاء تانيث حتى في الحمامة والسكة وغيرهما من الأحياء ، لان الكثير من أمثال هذه الأسماء تطلق على الذكر والانثى دون تمييز . وتتجلى وظيفة الأفراد على نحو أوضح في مصادر بعض الأفعال . فالنظرة هي النظر مرة واحدة ، والابتسامة والضمرة والاكلة هي الابتسام والضرب والاكل مرة واحدة . فهي إذن (تاء الأفراد) .

ثامنا : على العكس من هذا صارت التاء تعني الجمع في أسماء أخرى مثل : المعدناني والعطائسي

والمصري والبياني والسيك والخيال . فقد جمعوها على مدنانية وتطحانية ومصرية ويمانية وسياحة وخيالة — أي بمجرد إضافة التاء الى الاسم المفرد دون تغيير في تركيب بنائه . على حين ان بعض الاسماء تتغير بنيتها اذا جمعت بالتاء مثل جمع الماضي والباري على مشاة وبزاة ، وجمع للقائد والسائق على قيادة وساقة ، وجمع الفسائي والمنذري على فسائنة ومناذرة ، وجمع الكاتب والفاعل على كتبة ومعلمة ، وجمع الدب والفيل على دببة وفيلة .

ومن الطريف ان التاء صارت اداة الجمع في بعض اللغات الآرية ايضا كالانجليزية والفرنسية والاسبانية ، لكن بعد ابدالها سينا (s) ، وابدال التاء سينا . موضوع له اهميته النغوية الخاصة ، وقد اوضحناه في كتابنا الآنف الذكر ، والعدد المذكور من مجلة « اللسان العربي » .

هذا في الاسم ، غير ان معالية التاء في ميدان الجمع شملت الفعل ايضا ، كما في : قالت الامهات وتقول الرجال ، فالتاء هنا تعني الجمع لا التانيث كما توهم النحاة ، بدليل ان التاء في قولنا (انفضت الناس) تحل محل واو الجمع في قولنا (الناس انفضوا) ، وانها في قولنا : (تفعل الرجال) تعمل عمل السواو والنون في قولنا (الرجال يفعلون) . وهذه التاء ما هي الا (تاء الجمع) .

تاسعا : واخيرا ناتي الى تاء النحويين ، أي التاء التي تدل على التانيث في اسماء بني الانسان والحيوان أي الكائنات المنقضية الى اناث وفكور مثل : امرأة وهرة ونمرة وسعيدة وعاقلة — تانيثا لمرء وهرة وسميد ومائل . وهي نفس التاء الملحقة بالفعل الماضي في قولهم : جاءت وذهبت — تانيثا لقولهم : جاء وذهب

وكانت التاء الملحقة بالاسماء تنطق صريحة فيما نعتقد حتى عند الوقف عليها في آخر الكلام كما هي الحال في الفعل الماضي (فعلت هي) . وما زال بعض العرب على ذلك أي ينطقون تاء التانيث في الاسماء حتى عند الوقوف عليها فيقولون حين يقرأون في الفصحى : الشجاعت والحرارت والانسانيت — وهي احدي اللهجات في لبنان . ومثل ذلك يفعل الاتراك والفرس في الالفاظ العربية التالفة المستعملة في لغتيهما مثل : محبت امانت ، سلطنت ، انسانيت ، ملت .

وقد نطق بعض العرب اسماء الاناث بهذا الفتحة قبل التاء ، ولا يزال على ذلك بعضهم كالمصريين في نطق ثريات وعنايات (اسم علم للانثى) ، ومع الزمن تخصصت هذه الصيغة الجديدة لدى الامريين بجمع المؤنث السالم ، مثل جيلات وراحيات وغائبات .

في اللاتينية :

وبعض العرب المعاصرين ينطقون تاء التانيث في لغاتهم الدارجة في بعض الاسماء ويهمّلونها في بعض ، كالمراقبين الذين ينطقونها في مثل : المساوات والحيات والشريت ، ويهمّلون نطقها في مثل : الحرية والتربية والصلاة .

واهمال نطق التاء في بعض الالفاظ منحدر من اصل عربي عريق فيما يظهر ، منشؤه ان بعض الامريين صاروا يستقونها في الاسم عند الوقف عليها في آخر الكلام فقط — كما هي الحال في الفصحى الى يومنا . وبذلك زالت التاء وبقي منها اثر هو الهاء الساكنة ، ومن هنا صارت المعاجم العربية تسميها (الهاء) بدل (التاء) . والواقع انها ليست هاءا بالمعنى الصحيح فهي على الاغلب تنطق مجرد فتحة على آخر الاسم . ويظهر ان بعض اللهجات القديمة اتخذت ذلك قاعدة عامة لها حتى عند وقوع التاء في داخل الجملة ، وقد بقيت هذه القاعدة في بعض اللغات الآرية كالاتينية والاطالية ، ففي اللاتينية يقال : filia (بنت) ، و amica (صديقة) ، lupa (ذئبة) — تانيثا لقولهم filius و amicus و lupus . وهذه المؤنثات الثلاث توجد بنفسها في الايطالية — غير ان البنت تكتب filia (وتنطق filia ايضا) . اما مذكراتها في الايطالية فهي : figlio و amico و lupo

واما في الفرنسية فان التاء تنطق صريحة في الالفاظ المؤنثة بها مثل toutes (جميع) ، للمؤنث (و cette (هذه) و coite (هادئة) — ومذكراتها tous و ce و col يضاب الى ذلك في الفرنسية ان تصغير الاناث ايضا يتم بالحاق التاء في مثل : table (منضدة) و casse (صندوق) و française (فرنسية) — وتصغيرها : tablette و francette

اختلاط الوظائف :

صلوة القول ان التاء وردت في معان مختلفة متعددة متميزة ذكرنا ما يحضرنا منها هنا باجمال ، ولا ندري ان كنا قد اغفلنا بعض حالاتها المهمة ، لكننا نتوقع على كل حال ان المستقبل سينتج بحونا مفصلة في هذا الموضوع بعد التتبع الطويل والاستقراء الشامل ، وما نرجو لحدیثنا هذا السريع الا ان يكون خميرة لذلك المستقبل .

ويكفي الان ما تقدم بنا من مظاهر التاء التي سميناهنا بحسب وظائفها : التاء الزائدة ، وتاء التغيير ، والتاء اللازمة ، والتاء المصدرية ، وتاء العرمة ، وتاء التوكيد ، وتاء الامراء ، وتاء الجمع . واخيرا تاء التانيث . افليس من المعجب المعجاب ان النحاة المشهورين بتدقيقاتهم المبالغ فيها في بعض التوافه ، لم يميزوا بين حالات التاء المختلفة هذه بل احتطبوها جميعا ، خبط عشواء ، وكدسوها تحت اسم تاء التانيث ؟

وقبل ان ندرغ من حديث التاء وننتقل الى مظهر آخر من مظاهر التانيث في العربية يجدر بنا ان نلاحظ ان الاعتباطات التطورية قد عملت عملها في خلط وظائف التاء بعضها ببعض شأنها في مختلف التطورات اللغوية . أي اننا نجد للتاء أكثر من وظيفة واحدة في الكلمة الواحدة أحيانا ، مثل : تعمل أنت وتعمل هي ، تملآن انتما وتملآن هما الغائبتان ، اقبلت الجارية واقبلت الفرسان . ومثل ذلك : المرأة العدنانية والعرب العدنانية . بل قد تجتمع في الكلمة الواحدة ثلاث وظائف مثل (النسابة) وهي تمنى المرأة النسابة أو الرجل النسابة أو الرجال النسابة . وشبهه بذلك (السفارة) التي اكتسبت الان معنى حديثا بالإضافة الى معناها القديم — فقد صارت السفارة تطلق على المؤسسة الرسمية التي يرأسها السفير .

غير ان هذا الاختلاط في المعاني لا يرفع الملامة من النحويين الذين لم يفتهموا شيئا من نشاطات التاء أصلا ، فقد كان عليهم — جزاهم الله رفعا ونصبيا ووقاهم الكسر والجر — ان يميزوا بين بعضها وبعضها ويسموا كلا منها باسمه كما ميزوا مثلا بين حالات النصب الكثيرة في الاسماء وسموا كلا منها باسمه .

العدد والمعدود

ونأتي الان الى تلك القاعدة الشذوية التي حيرت الالهام واعتبرت من بدوات اللغة العربية ونزواتها البوهيمية ، وهي قاعدة تانيث العدد (من الثلاثة الى العشرة) مع الذكور وتذكيره مع الاناث . ، لنتفهمها على ضوء تحليل وظائف التاء . فما تفسيرها يا ترى ؟

مفتاح هذا اللغز هو التفريق بين وظيفتي الجمع والتانيث . فقبل كل شيء يجب ان نعترف بان التاء في (الثلاثة) واخواتها انما هي تاء جمع لا تاء تانيث ، فحين قال اجدادنا البداة في عهد جاهلي سحيق : سبعة فرسان ، لم يخطر لهم ان يؤنثوا الفرسان مثلا لم يخطر لهم ان يؤنثوا اليمانيين والغازين والخيالين حين سموهم : يمانية وغزاة وخيالة .

اما في حالة عد الاناث فقد استعملوا اجتباع التامين — تاء جمع العدد وتاء تانيث المعدود — في مثل (خمسة بقرات) فاستطوا احدى التامين ، تخلفنا . ولقد كان التطور اللغوي منطقيًا جدا هذه المرة اذ اسقط تاء الجمع ، لا تاء التانيث ، لان معنى الجمع مفهوم بذاته في اسم العدد . اما لو انهم استطوا تاء التانيث من البقرات والغنات والوالدات لتغير معنى التانيث الذي اراده القائل ، فذلك امتنعوا منه .

وحذف تاء الجمع من العدد ينطبق كذلك على جميع أسماء الاخلاء (الجمادات) المنتهية بالتاء كالتخيلات والهضبات والجففات ، ثم سرى ذلك على جميع أسماء الاخلاء المؤنثة ، ولو لم تكن منتهية بالتاء ، كالعصبي والدور والفؤوس والحروب .

هذا التفسير يؤيده لنا أنهم وازنوا — لفرض التخفيف ايضا — بين التامين — وكلتاها للجمع — في الاعداد العشرة ، فصاروا اذا نطقوا التاء في احد شطري العدد استطوها من الآخر ، فقالوا : خمسة عشر حصانا وخمس عشرة فرسا ، أي أنهم استعملوا تاء واحدة لكل من المذكر والمؤنث في كل من الحالتين .

لم يكن فرض القوم اذن تانيث الرجال ولا تذكير النساء ترضية لغزوز المرأة واعتراها ببأسها .

هو وهي :

هذا جانب من حكاية التانيث ، فلننتقل الآن الى الجانب الآخر منها لنتحسس ابعاده في ضمير الغائب (هو) وتطوراته .

ان تانيث الاسم يعرف من صيغته مثل : جبيلة وذلفاء وعطشى ، او من معناه مثل : مريض وظئير وحامل ، او من الضمير الدال عليه مثل : هي ، هن .

والذي نعتقد ان العرب كانوا اول الامر يستعملون ضمير (هو) 'لدلالة على الذكر والانثى والخلو جيمعا - انسانا وحيوانا وجمادا .. وما زال الامر على ذلك في الفارسية التي ينطق فيها هذا الضمير بصورته البدئية (او - نا) ، اي كما كان ينطقه العرب قبل ان يبدلوا همزته هاءا . نعتي ان العرب كانوا في عهودهم اللغوية الاولى يقولون : هو الرجل ، هو المرأة ، هو الشمس ، هو القمر . ثم ظهرت فئة منهم نطقت (هو) بالكسر : (هي) بنفس المعنى . ثم اختلطت هذه الفئة من العرب بغيرها من اللغات العربية فصار المختلطون يقول بعضهم (هو) وبعضهم (هي) ، ثم نشأ منها جيل يستعمل كلا الضميرين بمعنى واحد . وما يدل على ان الضمير (هي) كان يستعمل اولا للذكر انه ما يزال كذلك في الانكليزية بنفس النطق (هي : he) . كذلك اطلق الساميون القدامى في ارض بابل ضمير (هي) - قبل ابدال همزته هاءا - بصيغة (ايا - Ea) على الاله الذكر (ماء القمر)

وبمرور الزمن تخصصت في العربية صيغة (هو) بالذكر وصيغة (هي) بالمؤنث . وتظهر (هي) بمعنى التانيث في اللاتينية (ايا : ea) اي نفس اسم الاله (ماء القمر) .

ومثل هذا التخصص بالوف في التطور اللغوي حين تظهر لفظتان بمعنى واحد مع وجود معنى آخر لا لفظ له . فالمادة ان المعنى المحتاج الى لفظ يعبر به من وجوده يختلط احد اللفظين المترادفين . وهكذا اختلط معنى التانيث (هي) واستأثر بها لنفسه .

نعمندئذ تناقبت نوى التانيث والتذكير في العربية . ذلك بان الجماد كذي الروح لا بد من الإشارة اليه بضمير ما . وقد كان يقال للجماد (هو)

و (هي) دون تمييز عندما كان معنى الكلمتين واحدا ، اي هابا لثلاثة اصناف : الذكور ، والاناث ، والاخلاء . وهكذا صار بعضهم يقول : هو الروح وهو العنق وهو السكين وهو الطريق وهو السبيل .. وبعضهم يقول : هي الروح وهي العنق وهي السكين وهي الطريق وهي السبيل ، اي انهم اضطروا الى تذكير الجماد الخلو او تانيثه لانهم لم يجدوا ضميرا ثالثا يخصصه به كما خص الانكليز مثلا ضمير it بالخلو الغائب المبرد (لكنهم استعملوا نفس الضمائر للمذكر والمؤنث والخلو في الحالات الاخرى اي في حالات الخطاب والجمع) . ومع الزمن استقر التانيث في العربية لبعض الاخلاء كالنار والحرب والدار ، واستقر التذكير لبعضها كالجبل والنهر والليل والنهار ، وظل بعضها الآخر هائما مترددا بين الحالين اي يؤنث ويذكر دون تمييز كالروح والعنق والسكين ..

من جهة اخرى نجد ان التاء ايضا قد تخصصت بالتانيث في مثل الوالدة والمرأة والسحابة والجنبة ، ومن هنا صارت المادة ان تعامل كل اسماء الاخلاء المنتهية بالتاء بمعاملة المؤنث وكأنها توهم قدامى العرب - كما توهم النحاة من بعدهم - ان تاء البانة والركوة والخيبة والرابية ايضا تعنى التانيث فقالوا : هي البانة وهي الركوة وهي الخيبة .

وبتعبير آخر ان التانيث (الحقيقي) قد تعامل فيه ضمير (هي) في مثل هي الاتان ، مع تاء التانيث في مثل الذئبة والفتاة ، فصارت (هي) تستعمل كتاعدة عامة مع اسماء الاناث سواء اكانت منتهية بالتاء ام لم تكن ، ومع اسماء الاخلاء المنتهية بالتاء . وقد حولت هذه الاسماء بمعاملة الاناث في مختلف حالات الكلام ، فصاروا يقولون : هي الاتان وهي الشمعة وهي الغابات .

اما ما يدل على الذكر والانثى من الاسماء غير التانية مثل الفرس فيؤنث اذا تصدوا الانثى ويذكر اذا تصدوا الذكر .

واما الاسماء التي يجوز نطقها بالتاء وبدونها كالنجم والليله فقد انثوها مع التاء وذكروها بدونها فقالوا : هو النجم وهي النجمة وهذا الليل وهذه الليلة ، وذلك الماء وتلك المادة . لكن الضدعة انثوها في كلتا الحالتين فقالوا : تلك الضدعة وهذه الضدعة ، لانهم اعتبروها انثى في كلتا الحالتين ، اما ذكر الضدع نسوه العلجوم .

صفة التانيث أو استقر في الكلام تانيثه حتى في الدراجات كالشمس والارض والحرب والنار ..

ونشهد القدامى العرب أنهم اصابوا حين انشوا بعض الاسماء مع خلوها من علامة التانيث كالظنر والمرضع والحامل ، لان هذه الصفات لا تكون الا في الاناث ، ولو أنهم — العرب — شذوا حين ميموا صفة الولادة على الرجل . ويبطل استغراب القاريء لقولنا هذا اذا تذكر أنهم يسمون الاب (الوالد) مع استحالة الولادة عليه . واضفاء صفة الولادة على الاب وهو منها براء ليس كذلك من باب مجاملة المرأة او الخضوع لسلطوتها ، وانما جاء من اطلاق (الوالدين) على الام والوالدة والاب ، كما اطلقوا (القمرين) على الشمس والقمر . وقد اطلقوا عليهما (الابوين) ايضا ، لكنهم لم يسموا والدة ابة كما سمو الاب والدا .

الا ان ذلك المنطق — في الظنر والحامل والمرضع — يطير هباء في مثل : الخادم والعائز والرسول والضيف وامثالها من الاسماء التي تطلق على الذكر والانثى ، اي ان الصيغة في هذه الاسماء يمكن اعتبارها خنثى ، وانما تكون ذكرا او انثى حين تميزها قرينة من الضمائر او غيرها حيث يقال : هي الخادم ، وهن العائزات ، وتلك الرسول ، وهذه الضيف .. او : هو الخادم وهم العائزات ..

تانيث الجموع :

والآن وقد رأينا التانيث في حالتيه ، اي نشوئه من اضافة التاء اولا ومن استعمال ضمير (هي) ثانيا ، نأتي الى ظاهرة اخرى منشؤها اختلاط معنى الجمع بالتانيث ، في كلتا الحالتين .

ان معاملة بعض الاخلاء من الجمادات معاملة الاناث قد سرت هداها الى جموع تلك الجمادات ثم الى جموع كل الجمادات ، فصارت تؤنث بالتاء ويشار اليها بما يخص الانثى المردة من الضمائر واسماء الاشارة والصفات ، ما تجتمع نماذجها في مثل قولك : تلك هي (الجبال) السماء الزاهية التي تسر رائحتها . جميع الالفاظ في هذه العبارة خاصة بالانثى مع انها تدل على الجبال التي مفردها (الجبل) مذكر .

واذا كانت حياة الاستقرار والاجتماع في صعيد قد أدت الى ثبوت القواعد اللغوية .، مثل التانيث بالفتحة كتعمدة عامة في اللاتينية ، فان حياة النقلة في العربية وتكرار افتراق اهله واجتماعهم على غير نظام قد جعل من العربية مختبرا لغويا تنع فيه تجارب لغوية كثيرة التنوع والتمتعيد دائمة التفاعل والتخفص والتولد . (وقد استمرت العربية تصدر نماذج منها الى الخارج ، لغات ولهجات ، على السنة الآريين والحاميين والساميين ، منذ سحيق العصور) .

وبنتيجة ذلك التفاعل والتخفص والتولد في العربية صار بعض القبائل يؤنث بعض أسماء الاخلاء كما رأينا ، وبعض القبائل يذكرها ، وبعضهم يؤنثها ويذكرها . فلهذا اختاف اللغويون فيما يؤنثون ويذكرون من أسماء الجمادات لان بعضهم يروي عن هذه الطائفة وبعضهم عن تلك .

وقد اخذ المحدثون من معاصرينا يميلون الى اعتبار (هو) ضميرا عاما للتذكير والتجريد من المنسل (1) معا ، مثل اليوم من يقولون (هي الطريق) واقل منهم من يقولون (هي السوق) فيما عدا قولهم : السوق السوداء والسوق المشتركة . واما كلمة (السلم) فلا نظن اننا قرأناها مؤنثة لاحد من المحدثين ولا حتى المتطلسين منهم . واما (الرمح والغول) فلا نذكر انهما مرا بنا شخصا مؤنثين في شعر او نثر حديث ولا قديم ، بالرغم من ان اللغويين ادرجوها ضمن الاسماء المؤنثة .

وفي اللهجة المصرية يؤنثون الامضاء والهناء مثلا وينطقونها الامضة والهنه لانتهائهما بالفتحة ، وفي اللهجة المغربية يؤنثون الزيت لانتهائه بالتاء . وبعض المراتيين يؤنثون الرأس والباب والبطن ، بل ان بعض ضعاف الكتاب من معاصرينا يفعلون ذلك ايضا ، وقد وجدناه حتى عند ذوي الاسماء الاماتية (اي التي طبقت شهرتها الاماق) .

هذه البلبلة التي كانت شغلا شاعلا للغويين القدامى ، هي التي حدث ببعضهم الى ان يقول بجواز التانيث والتذكير في جميع أسماء الجمادات التي لا تدل صيغتها على التانيث . واصوب من هذا هو الاتجاه الذي ينتحيه التطور في هذا الجيل كالذي نوهنا به ، اي تغليب التذكير على الاسماء الخلوة ، الا ما ورد في

(1) نغصد بالمنسل — زنة المبرد — آلة التفاسيل للذكر والانثى .

وتعامل الاخلاء احيانا معاملة جمع المؤنث السالم
يقال « انهن مصور مطاولات ودهور داهرات » .

ماذا أضلنا الى هذا جموع المؤنثات الحقيقية
من بني الانسان والحيوان علاوة على بعض أسماء
الذكور التي تجمع بالتاء كاليمانية والخيالة ، وتقول
الرجال وتعمل - مما ظنوه تانيثا - اتضح لنا لماذا
تغلب التانيث على أكثر الجموع ، وعرفنا لماذا قال
شعروا النحاة :

ان تومي تجمعوا ويقتلي تحدثوا
لا ابالي بجمعهم كل جمع مؤنث ا

وما سمينا شعروا لفائدة شعره لكن لانه رعم
بالاضافة الى ذلك ان (كل جمع) مؤنث ، متجاهلا
جموع الذكور مثل : هم الرجال ، فعلوا ، يفعلون ،
وماعلون . ولو قد قال بدلا من ذلك « رب جمع مؤنث »
لاحسن واصاب ، بمعنى أن (رب) للتكثير لا للتقليل .

فهذا فيما نظن موجز حكاية هذا التانيث الفوضوي
الذي بلبل بال اللغويين والنحويين ، قديما وحديثا ،
من شرقيين ومشرقيين - المسؤول في احداثه
ضمير (هي) الذي خدع العرب الاتدميين بمعنييه
للتذكير والتانيث ، وشريكته في الجرم (التاء) التي
خدمت العرب الاتدميين والنحاة من بعدهم بمعانيها
الكثيرة المتشابهة .

علم الأصوات الحيوانية عند العرب

الأستاذ عبد الرهادي الفضلي أستاذ اللغة العربية بكلية اللغة
"النجف الأشرف" بعراقه

وثالثة أمادها وهو يربط على ظهر الكلب أو كتفه
وقبيل وضع المسحوق في فمه أيضا .
فكانت النتيجة ذاتها .

فاحتدى من هذا الى ان المنبهات البديلة أو ما
يسمى بها بـ (المنبهات الشرطية) تستدعي الاستجابة
أو ما سماه بـ (الفعل المنعكس الشرطي) كما
تستدعيها المنبهات الطبيعية .

وقد أطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنبهات
الشرطية مصطلح (التعلم الشرطي) .

وانتهى أيضا الى ان هذا اللون من التعلم موجود
في جميع الحيوانات حتى أخطأ .. والى انه يستطيع
بواسطة تفسير جميع مظاهر السلوك الانساني
والحيواني (1) .

ونحن عندما نرجع الى تراثنا العلمي العربي نجد
جذور هذه النظرية تبدأ وبتفصيل من قبل العلامة
النحوي العربي رضي الدين الاسترأبادي المعروف بـ
(الرضي) والمتوفى عام 684 هـ ، وذلك في كتابه
النحوي (شرح الكافية) مدد دراسته موضوع
(الاصوات) .

قال :

« وثالثها : أصوات يصوت بها للحيوانات عند

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم
الشرطي الى العالم الفسيولوجي الروسي إيفان
پتروفيش بافلوف Pavlov المتوفى 1936 م .

وهي من مهمات نظريات التعلم ومن مهمات
موضوعات علم النفس .

ويعني التعلم الشرطي : ذلك الترابط الآلي بين
الاستجابات الطبيعية والمنبهات الصناعية الشرطية ،
والذي تنوب فيه اشارات ورموز اشارة السلوك عن
المنبه الاصلي .

وقد توصل اليها العلامة بافلوف من تجاربه التي
أجراها على الكلب الذي كان يثبت على مائدة التجارب .

حيث كان يضع على لسان الكلب مقدارا من
مسحوق اللحم المجفف ، قارعا جرسا كهربائيا قبيل
وضع المسحوق في فم الكلب .

ولاحظ بعد ان كرر التجربة اكثر من مرة ان قرع
الجرس الكهربائي وحده كاف في المراز لعاب الكلب .

واعاد التجربة مستبدلا قرع الجرس باضاءة
مصباح امام الكلب وقبيل وضع المسحوق في فمه أيضا .

ولاحظ ان اضاءة المصباح وحدها بعد تكرار
التجربة كافية في أن يسيل لعاب الكلب عند رؤيتها .

(1) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح 281.

طلب شيء منها ، أما المجيء كالفاظ الدعاء نحو
(جوت) و (قوس) ونحوهما ، وأما الذهاب كـ
(هلا) و (هج) و (هجا) ونحوها ، وأما أمر آخر
كـ (ساء) للشرب و (هذع) للتسكين .

وهذه الالفاظ ليست بها يخاطب به هذه
الحيوانات المعجم حتى يقال انها أوامر أو نواه — كما
ذهب اليه بعضهم — لانها لا تصلح لكونها مخاطبة ،
لعدم فهمها للكلام كما قال الله تعالى : (كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) (1) ، بل كان اصلها
ان الشخص كان يقصد انقياد بعض الحيوانات لشيء
من هذه الاعمال فيصوت لها اما بصوت غير مركب من
الحروف كالصليخ للدابة عند ايرادها الماء ، وغير ذلك ،
واما بصوت معين مركب من حروف معينة لا معنى تحته
ثم يحرفه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الامر اما
بضربه وتاديبه ، واما بايناسه واطعامه ، فكان
الحيوان يمثل المراد منه اما رهبة من الضرب أو رغبة
في ذلك البر .

وكان يتكرر مقارنة ذلك التصويت لذلك الضرب
أو البر الى ان يكتفي الطالب بذلك الصوت من
للضرب أو البر لانه كان يتصور الحيوان من ذلك
الصوت ما يصحبه من الضرب أو ضده فيمثل عقيب
الصوت عادة ودربة مضار ذلك الصوت المركب من
الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وانما وضعوا مثل هذا الفرض صوتا مركبا من
الحروف ولم يقتنعوا بسادج الصوت لان الصوت من
حيث هو هو مشتبه الافراد وتمايزها بالتقطيع والاعتماد
على الخارج سهل ، فلما كان الاعمال المطلوبة من
الحيوانات مختلفة ارادوا اختلاف العلامات الدالة عليها
فركبوا من الحروف .

وما ذكرنا من الترتيب يتبين منه كيفية تعليم
الحيوانات كالكلب والقرود والكلب وغير ذلك .

هذا .. وانا لا ارى منعا من ارتكاب صيرورة
هذه الاصوات المقارنة في الاصل للضرب أو البر لما
استغنى بها الطالب عنهما اسماء اعمال بمعنى الامر

— كما ذهب اليه بعضهم — فتكون أوامر ونواهي ،
لان الله سبحانه وتعالى جعل الحيوانات في فهم المطلوب
من هذه الاصوات بمنزلة العقلاء ، فلا بأس بان تطلب
وتكلم بها تنبيه كالعقلاء » (2) .

وفي ضوء المقارنة بين هذا النص (الذي نقلته
بكامله ليماد منه) وبين تجارب بالفلوف ونتائجهم ..
نستطيع ان ننتهي الى ان الرضي كان سابقا في الاهتداء
الى هذه النظرية (نظرية التعلم الشرطي) .

وربما انماها من ملاحظاته المتكررة لحياة
الحيوان وسلوكه حيث لم يذكر تاريخيا انه قام بتجارب
مماثلة لما قام به بالفلوف .

والنظرية كما تأتي نتيجة لتجارب تجري في معامل
الترويض ، تأتي ايضا نتيجة للملاحظة المنظمة
الدقيقة للسلوك .

ونستطيع ان نعلل عدم اعطاء اهتداء الرضي
لنظرية الاهتمام الفراسي المطلوب ، بمجيئه سابقا
بقرون لوجود علم النفس ، ولانه كان في مجال غير
نفسى وهو المجال النحوي .

وعاين آخر عدم دراسة نظريات الرضي لغوية
وغيرها من قبل الباحثين العرب أو غيرهم — فيما
اعلمه .

نقد خلف الرضي ثروة علمية ضخمة ، وذلك في
كتابه (شرح الكافية) في علم النحو العربي (وشرح
الشافية) في علم الصرف العربي ، اللذين هالج فيهما
مسائل ذبلك الملمين ونظرياتهما معالجة واهية اصمت
بالاصالة في الراي والمق في البحث والانتهاى الى آراء
خاصة ذات قيمة مهمة في المجالين اللغوي والنحوي
منحته لقب (المحقق) بين العلماء (ونجم الائمة)
باستحقاق .

واخيرا :

للعالم بالفلوف تأكيد النظرية بالتجربة العملية ،
وبلورتها الى مصطلح أخذ مجاله العلمي .

(1) 171/ البقرة .

(2) شرح الكافية 80/2 و 81 .

ملاحظات حول النقد الأدبي

الدكتور محمد رجب السيوي "القاهرة"

بمعنى العيب والانتقاص نقد جاء في قولهم نقدته الحية بمعنى لدفته ، ونقدت رأسه بأصبعي بمعنى ضربته ونقما يروى من حديث أبي الدرداء أن نقدت الناس نقدوك بمعنى أن عبتهم عابوك ومن هنا رجح بعض الباحثين غلبة معنى النقد على مدلول المؤاخضة والتخطئة مشيرا الى أن اللغة قد وضعت لفظة التقريظ لما يقابل المؤاخدة من المديح والاطراء أخذا من قول العرب قرظت الجلد إذا دبغ بالقرظ محسن وزين وجمل وقد شاع معنى التقريظ اليوم شيوعا ظاهرا ، إذ نرى نفرا من الناس يحرصون على كتابة مقدمات لمؤلفاتهم تتضمن المديح الخالص دون أن تتعرض - الا في القليل - لمخالفة صريحة في الرأي والانتباه ، ونحن لا نرفض التقريظ إذا صدر عن رأي وامتداد ووافق موضعه من البحث الرائع والعمل الممتاز ، فهناك من الآثار الأدبية ما هو جدير بالتقريظ الجميل ، ولكن المشاهد المؤلم أن أكثر من يتجهون الى التقريظ لا يضمونه الموضع الصحيح لربما رجح عندهم البهرج وشال الصحيح .

أذن فتميز الجيد من الرديء ، والعيب المنتقص كلاهما من مدلول المعنى اللغوي لكلمة النقد فإذا اتجهنا الى المعنى الأدبي للنقد عند العرب وجدناه يستعمل في القديم بمعنى التحليل والشرح والتمييز والحكم فالنقد لا يخرج لديهم عن دراسة الآثار الأدبية وتفسيرها وتحليلها ثم بيان مداها من الإصابت والخطأ مقدرين درجتها الفنية شارحين أسباب الاستحسان

يطيلون الحديث من معنى النقد في اللغة فيلمون بكل ما قالت المعاجم في مادة نقد ومشتقاتها ثم يحاولون أن يعقدوا صلة ما بين كل معنى وما تمورف عليه الآن من معنى النقد الأدبي ، وذلك جهد أن أبان من حسن التصرف وبراعة الاحتيال فانه يكثر الحديث في غير طائل ، والافوق أن نختار من معاني الكلمة اللغوية ما يمت بالصلة القريبة الى المعنى الاصطلاحي بلا تزيد في التفسير لنصل الى الحقيقة دون تصميغ .

وإذا كان من أوضح معاني النقد في كتب اللغة انه تمييز الجيد من الرديء ، تقول نقدت الدراهم وانتقدتها بمعنى أنك أبنت الزائف من الصحيح ، وميزت الجيد من الرديء ، فان هذا المعنى الواضح هو القريب من مدلول النقد في الاصطلاح الأدبي لان الناقد لا يخرج من كونه صيرليا ماهرا ، يعرف الزائف من الصحيح ويميز الجيد من الرديء ، غير أن مادته هي الأساليب الأدبية بمختلف فنونها وأجناسها ، فهو أفن جوهر المعاني والألفاظ ، يزن الخواطر والمشارير والتعابير بميزانه الأدبي ويبعث بفكره وراء كل كلمة وخاطره مبينا مكان ذلك من البناء الفني المتكامل للجنس الأدبي فهو بعمله هذا من المدلول اللغوي قريب قريب وإذا كان الناقد الأدبي يعمد الى تصحيح الخطأ وتقويم الموعج وفي ذلك من توجيه اللوم فسميا الى صاحب الأثر المنقود ما قد يقع منه موقع الألم وعدم الارتياح فان من معاني النقد اللغوية ما يمت بصلة قريبة الى ذلك ، إذ أن العرب قد يستعملون النقد

والاستهجان وذلك ما يراه المحققون اذ يقولون من النقد انه التقدير الصحيح لاي اثر فني مع بيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة الى سواء. ، واذا كان النقد الادبي اليوم في جوهره هو دراسة الاسلوب المكسرة وتصويرا وتعبيرا واحساسا مع الحكم عليه فان ذلك ما يلتقي بمعنى النقد في كتب الادب القديمة من ايسر السبيل .

واذا كانت الكتب المؤلفة في النقد العربي القديم، هي الجامعة لمذاهب العلماء والادباء في الفن ، والحافلة بآراء شيوخ الادب في النثر والشعر ، فاننا لا نصل منها الى تحديد اول من اطلق كلمة النقد على مدلولها الادبي من هؤلاء ، واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة يرتفع الى البحري حين تحدث عن ابي العباس ابن ثعلب مقال عنه : « ما رأيته ناقدًا للشعر ولا مبيزا للالفاظ » ولكن رواية البحري جاءت على لسان عبد القاهر في «دلائل الامجاز» فلم يروى المعنى دون اللفظ، وظهر من نص على هذه الكلمة صراحة هو ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي من علماء القرن الرابع (337) هـ حين سمي كتابه نقد الشعر وصرح بانه يبحث في تخلص جيده من رديئه ، وقد سبقه الى هذا المضمار محمد بن سلام الجمحي (232) هـ في كتابه «طبقات الشعراء» والجاحظ (255) هـ في «البيان والتبيين» وابن قتيبة (276) هـ في «كتاب الشعر والشعراء»، الا ان هؤلاء الثلاثة لم يشيروا الى كلمة النقد اطلاقا حتى جعلها قدامة اسما لكتابه فتعوربت واشتهرت، وترددت بعد ذلك في ما كتبه الامدي والجرجاني والزمخشري وابو هلال وابن رشيق حتى أصبحت علما على من ادبي طائر الصيت ، ويخيل الى ان خلف الاحمر (180) اول من اشار اليها من قريب دون أن ينس على لفظها الصريح وكأنه حوم ولم يقع ، فقد روى صاحب طبقات الشعراء (1) أن قائلا قال له : اذا سمعت أنا بالشعر استحسنه فما ابالي ما قلت فيه أنت واصحابك فقال له : « اذا اخذت أنت درهما فاستحسنته فقال لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسنائك له » والصيرفي في اللغة هو الناقد وقد قرنه خلف الاحمر بمن يخلص الشعر ويؤنه بميزانه الصحيح ، ثم صار الفاحص ناقدًا دون تفريق . هذا الناقد الذي يجلس من الاثر الادبي مجلس القاضي فوق منصة القضاء ، يحلل البواحيث ويكتنه السرائر ويتعمق المعاني ما موقفه من النص المنقود ؟ يقتصر

في نقده على ايضاح مشاعره الذاتية ازاء النص لميجيء حكمه النقدي صدى لشعوره النفسي ومعبرا عن مدى استجابته الشخصية للنص المدروس أم يقتيد بقواعد علمية مرسومة تعارف عليها السابقون وجعلوها مناط الاحتذاء والترسم لقد طال النقاش حول الذاتية والموضوعية فانبرى الذاتيون ينادون بأن الناقد ليس آلة في يد المقررات السابقة يسير في ضوئها ، ويمشوا الى نارها ويحرص على التزامها دون انحراف ، فان له من مشاعره الخاصة وثقافته النيرة ، وبصيرته الناقدة ما يستطيع به أن يفسح بعض المقررات الجديدة التي تفتح اتجاهات مغلفة ، وتشير الى طرق حديثة في مجال التعبير والتصوير ، وبذلك يتقدم الادب في شتى مجاله ويضيف اللاهق الى السابق ما يطرد به النمو الادبي نحو الكمال هذا بعض ما يقوله الذاتيون ، اما انصار النقد الموضوعي ، فيرون أن الاهواء الشخصية تتحكم ، والميول النفسية تسيطر لماذا تجرد الناقد عن كل مصطلح مقرر أمكنه تحت هذه الميول المتحركة أن يمدح المخطيء ويذم المصيب ولن يعدم من أوجه التحمل والافتعال ما يظهر نقده مظهر المحايد المتجرد ، واذا استطاع بمحض الحصفاء أن يدركوا مأخذ الضعف في انحرافه فـان الكثرة من القراء سينخدعون بطرائه ، ويسهبون في تياره وربما اتخذوا الناشئة حذوه فاندفعوا الى محاكاة ادب هابط رلعه ناقد مفرض حاجة في نفسه فامتد ضرره السيء الى نطاق بعيد هذا بعض ما يقوله الموضوعيون ، وتلك قضية تلزمننا أن نقول أن الحدود ليست ماصلة بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، اذ أن النقد الذاتي مهما استجاب لتأثيره النفسي وتجاوبه الشعوري ومهما عبر عن انفعاله الخاص نحو اثر يقرؤه ويتذوقه فانه يصدر في تجاوبه واستجابته من حصيلة قراءات سابقة تنطق على استحسان الجيد واستهجان الرديء ، وهو بعد لم يستطع أن يشق طريقه في ميدان النقد بحيث يصبح ذا تأثير كبير على قرائه الا بعد رسوخ في النظر المستقيم وادمان على البحث الجيد ، ومواصلة للدراسة المنقبة من مطاوي المعارف ومجاهل الآراء ، وهو بكل هذه الدراسة الموضوعية لا يستطيع أن يكون ذاتيا يتجرد من جميع ما قرره السابقون من أحكام ، كما أن الناقد الموضوعي مهما التزم المقررات المعلومة وتقيّد بالمعارف المرسومة ونهج منهج المحافظين على قضايا الفكر ومذاهب البحث فانه انسان يحس ويتأثر

ويستجيب ، وله ذاتيته التي تدموه الى التفاعل مع النص تفاعلا يسير به الى تحبيذه في ضوء ما يعلم من المقررات فتمتص الداتية قريب منه قرب الموضوعية من صاحبه ؟ فليست هناك حدود ماصلة تجعل الناقد الموضوعي ينمزل انعزالا تاما عن الناقد الذاتي ، غير اننا نلاحظ السمة البارزة لدى الناقد فاذا غلبت الذاتية على احكامه عد من انصارها واذا غلبت الموضوعية عليه كان ناقدا موضوعيا ، ومن خير الادب ان يوجد الناقد الذاتي والناقد الموضوعي معا ليلتكر الاول ويجدد ويدعو الى آفاق جديدة تفيض بالضياء فيطرد النمو الادبي وتتسلسل الحلقات الجديدة على تناسل الزمان ، أما الناقد الموضوعي فيقف حائلا دون الشطط الجامح ، وحاجزا دون التهور في الرأي والاسراف المفرق ، وسير الزمن في دورته لينشأ في الجبيل اللالحق من يزن آراء الذاتيين والموضوعيين معا ، فيرمي بالزبد ويبقى الصريح .

واذا كنا نحب الادب ونحرص على الاستمتاع بصورة والامادة من افكاره والالتذاذ بموسيقاه فان حبنا للادب يدفعنا تلقائيا الى حب النقد ، اذ ان النقد يتولى شرح الاثر الادبي وتحليله فيسلط اشعته القوية على زواياه الخافية ، ويهدي القارئ الى مناجح دقيقة قد تغيب عن ذهنه فيجيء عمله مكبلا لمعمل الاديب ، وقد يضيق كثير من المنشئين بهؤلاء النقاد ، ويترمون بما يبذون من ملاحظات واذاكر اتي قرأت قصة غريبة تهدف الى السخرية من النقاد وتصفهم بالفشل والجذب وتتحداهم ان يضموا اثرا من الآثار الفنية التي يعملون فيها معاولهم الهادمة ولعل كاتب القصة ممن تعرضوا الى نقد متتابع ازعجه واقلق راحته ، فاندفع يثار لنفسه من قوم يحملون معاول الهدم وادوات البناء معا ، لان الناقد حين يهدم اثرا فنيا انما يدل على نواحي ضعفه ومواضع تهافته ليتجنبها من يزاول الانتاج وهو في الوقت نفسه يدل على طريقة الانشاء الجيد هادبا بانبا في وقت واحد وكل ناقد يعتمد الى الهدم فقط دون ان يشير بالعلاج المسدد لا يؤدي رسالته كما يجب ان تكون ، والقارئ ظالم حين يقرأ النص ثم يطالع نقده لانه حين قرا النص قد خرج عنه لا محالة بفكرة ما دقيقة او مضاعفة ، فوزنه بميزانه الشخصي الذي تخلقه الطبيعة في نفس كل قارئ يقرأ ويحكم لماذا قرأ بعد ذلك نقدا جيدا لهذا الاثر ، فانه يوجهه الى ما فاته لدى قراءته الاولى من ملاحظات وربما دفعه الى نهج يلتزمه عند القراءة فتمتو في نفسه بذرة ناقد حقيقي

يشرب للنمو ، وقد يشق طريقه الى الميدان ، او يكتفي بما اتيح له من قوة الملاحظة وسعة الافق حين درس وجهة النظر الجديدة فيها طالع ودرس ، واذا كانت فائدة القارئ عظيمة فان فائدة صاحب الاثر الفني اعظم وادسم ، لان كل صاحب عمل نظري او فني يجب ان يستطلع آراء المتخصصين فيه ، فهو يشعر في اطوائه برغبة ملحة الى الاستماع لكل ما يدور حوله . من وجهات النظر المختلفة ، لماذا صادف ناقد مخلصا لهدفه مانه يكمل نقصه بما يبدي من اعتراض او مؤاخذة ، ولن يضيره في شيء ان يحصي الناقد اخطاه في دقة وتعليل لانه اذا آلمه من هذه الناحية فسييسره حين يتعرض بالتحليل الكاشف الى مواطن الابداع في منه وموضع النبوغ في نظرائه ، وقد يكون سفيره الى القراء ، اذ يوثق صلاتهم به حين ينتج عيونهم على مناهج جديدة في انتاجه لم تكن لتتاح للكثرة القارئة دون ناقد نزيه ، وعلى ان من الخطر كل الخطر ان يصبح الاديب تلميذا لناقده يخضع لتوجيهه ويرضى بقبول توصياته ، اذ ان من الناقدين من تشخ نفوسهم الى الاستعلاء فيدعون انهم اساتذة الادباء مع انهم في حقيقة نفوسهم لا يعيشون على غير تراث هؤلاء التلاميذ الموهوبين ملولا ان الشاعر او الكاتب قد ابدع اثره الفني ما وجد الناقد مجالا للحديث ؟ وفي الناس من يشترط في الناقد ان يكون ادبيا منشئا زاول الانتاج الفني ليكون ابصر بفضائته ، وادري بمنعرجاته وقد يكون ذلك ميسورا لدى بعض الموهوبين من النقاد ، الا انه ليس امرا عاما لدى الجميع ، وقد كان الراجعي رحمه الله يشترط في ناقد الشعر ان يكون شاعرا ، وهو اشتراط عسير التحقيق من ناحية وغير ضروري من ناحية اخرى اذ ان اكثر نقدة الشعر المجيدين في القديم والحديث ليسوا بشعراء ولم ينمهم ذلك عن تأليف الكتب الناجعة والمقالات الحاسمة في فن الشعر ومآخذ على ان الناقد من الاديب تربى غير بعيد اذ ان ميدان الفن الادبي هو الانسان والطبيعة فالاديب اما ان يتعرض للنفس الباطنية بما يموج بها من تيار العواطف والنوازع فيصدر عن الذات الداخلية ناظرا الى العلاقات البارزة في الصلات الاجتماعية والمتناقضات البشرية والمواقف الإنسانية ومتخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم الخفية في غبطة وارتياح ، واما ان يتعرض للطبيعة من حوله صامتة وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم

الخفية في غبطة وارتياح ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله صامتا وناطقة فيتحدث من الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذاً من هذا المحيط الزاخر مسرحاً بديعاً لخياله الخالق ، وهو في نظريته الداخلية والخارجية لا يقدم للناقد شيئاً غريباً عنه ، فهو إنسان مثله يرى ويحس ويتصور ويحكم ، ولئن ماتته أبداع المصور المنشئ فلهذه أبداع المحلل الشارح وقد تكون المقالة النقدية بانسجام بنائها وتسلسل انكارها وإباض لفتاتها وسر أبحاثها ذات متعة وجدانية لدى المتذوقين .

ولكن أي ناقد الذي يمتعنا بفنه الأدبي كما يمتعنا بنظرة الفكري هذا؟ اننا نقرأ كل يوم في الصحف والمجلات — حتى الرصينة منها — لمصولا تنسم بسمة النقد الظاهرية ولكنها لا تؤدي وظيفته الحقيقية فكم من ناقد يتعرض الى قصة أو ديوان أو مؤلف فلا يلج الى خوافيه ولا ينسر مراميه — مخالفاً أو مؤيداً — بل يكتفي بعرض هام يلم به من يقرأ مقدمة المؤلف في كتابه ، حتى قيل لكل موظف في مجلة أو صحيفة أنه يستطيع أن يكون ناقدًا ، وقد يكون عرض أبواب الكتاب والإشارة السريعة الى مضمونه مما يفيد القارئ بعض الإفادة ولكن صاحب هذا العرض لا يبت الى التناقد بسبب وثيق مهما أخذ مظهرهم الخارجي في حديثه ونحن نشعر الآن بانخفاض المستوى الأدبي في التأليف مما كان عليه في حقبة قريبة ، ومرد ذلك في بعض أسبابه الى ضخالة النقد الأدبي ، ومقصد الناقد الموجه ، الذي يملك القدرة على التشديد والتوجيه ، وليست الصفات المفروضة في هذا الناقد المسدد بالامر المعجز ، فهي مما يدخل في طوق نفر من الموهوبين لو تركوا الكسل الوداع ونشطوا الى العمل الدؤوب .

وأول صفات الناقد الهادف قوة البصيرة المستندة الى الذكاء اللامح ، فهو صاحب الرأي الممتاز في صفوة ما تنتجه العقول المتارة من بيان ولابد أن يجد لديه من النفاذ والعمق ما يسلمه بالتفسير الهادف ، والملاحظة القوية كما يمهده برصيد هي من التجربة الفنية والدراية الشخصية بالبوارج والغايات ، ومبلغ ذلك كله من نفسه التي تتوهج بالفكر وتزخر بالمعاطفة والاحساس والتصور وتلك ذخائر ثمينة يلمسها صاحب الاستعداد الاصيل في نفسه ليتصل بها الى ما يريد من التقييم والتقييم .

وهذه البصيرة المستندة الى الذكاء في حاجة ماسة الى الاطلاع المستمر على أحدث ما يجد من النظريات والآراء الدائرة في محيطه الفني ، لان سعة المعرفة تفتح آفاق النظر وتسلح صاحبها بالقوى عدده الماضية ، وكلما زادت هذه المعرفة منحت جناح صاحبها ريشاً يحلق في آفاقه المتراصة ، وإذا كنا نرى الآن بعض من يدأبون من النقاد على الاطلاع ويحرصون على اقتطاف اشهى الثمار من الحقل العلمي ثم لا يبلغون باطلاعهم الواسع ما يريدون من صدق النقد وكمال التوجيه لذلك لان الاطلاع والواسع وان تنوعت روايته لا يفيد الناقد اذا عدم البصيرة القوية المستندة الى الذكاء اللامح ، اذ ان هذه المعارف المختلفة اغذية جيدة تنيد الجسم اكبر فائدة ولكن على شريطة ان توجد الانسان القاضية والمعدة الهاضمة بحيث تتحول الى دم حار قوي ينح الجسم نشاطه ويجدد انسجته وخلاياه بالذنين يمتعون في الاطلاع الدائب دون أن يسلحوا بالذكاء اللامح والخبرة الحسنة لا يعطون الصورة الامينة للناقد المنشود .

وثاني بعد قوة البصيرة وسعة الاطلاع صفة ثالثة للناقد الجيد وهي تجرده الخالص من ميوله الذاتية واهوائه الشخصية بحيث ينسى مصيبتة لما يعتنق من مذاهب حين يتجه الى النص بالنقد اذ ان هذه الميول الخاصة تفسح على الحقائق ستارا يحجب كثيرا من لائها الساطع ، ونحن نعلم ان الانصاف الادبي خلق عزيز النال لا يرتقى اليه غير ذوي العزم من اصحاب المبادئ النبيلة ولكنه على صعوبة مثاله موجود متحقق لدى قلة تنسم به وتصدر عنه نبيها تدلى به من الاحكام ومن غرائب النفس البشرية ان صاحب التعمص الذهني قد لا يلتفت في بعض احواله الى تعصبه بل يتجه اليه لا شعوريا تحت تأثير هوايل قوية بعيدة الخفاء في منطقة التأثير الباطني فهو صادق بينه وبين نفسه حين يعلن اليك تجرده النزيه في نقده اذا اردنا بالصدق موافقة النقد للاتجاه الشعوري في رأي الناقد ولكنه غير صادق حين نحلل اعماليه الدفينة التي قد يجهلها جهلا تاما لنذكر ما القى التعمص على عينيه من غشاه ، وعلى القاريء ان يدرس ناقده دراسة وافية ليعلم مذاهبه التي يتبسك بها في مختلف اماتين الرأي من سياسة وادب واجتماع ما دام يصدر عنها لا محالة ، فالتعمص المذهبي كان ولا يزال مما يضع الحوائل الكثيرة دون الصواب الصريح اذ ان صاحب الاتجاه الديني أو السياسي أو الاجتماعي لا يستطيع التخلص من مبادئه

الفكرية في سهولة مفرطة ليجنح الى الحكم النزيه على اثر ادبي لا يرتضي منحاؤه وفي تاريخ النقد العربي امثلة كثيرة لشيوخ يعتنقون مذاهب خاصة في الحديث والتقديم تشل عقولهم من التفكير الصحيح ، فهناك من يتمسب للجاهلين وحدهم ، ولا يكاد يفضل غيرهم في مجال الاستشهاد وهناك من يفسح صدره فيهم الاسلاميين والامويين الى دائرة رضاه ويقف موقف السخرية مما أحدثه ادباء العباسية من انتاج ، كما وجد أيضا من شيوخ النقد القديم من ينزع عنه رداء التمصب ، وينظر الى النص الادبي نظرة مجردة من التمصب لاتجاه معين يصدر عنه فيما يقول ولعل ابن قتيبة قد أفصح عن نفسه وعن غيره حين قال في كتابه من الشعر والشعراء : « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلبي او استحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المستأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل الى الفريقين وأعطيت كلا حقه وولمت عليه حظه فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم تائله ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه ورأى تائله ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولاخص قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباد الله وجعل كل تقديم منهم حديثا في عصره ، وكل شرف خارجة في اوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخلط يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قديما عندنا ببعده العهد منهم وكذلك من يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والمصابي والحسن بن هانيء فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له واثينا عليه به ولم يرغمه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » .

ولابد ان نشير الى صفة رابعة للنقاد الجيد وهي الصفاء النفسي الذي يطبعه بطابع الهدوء السوادع ويمنحه اعتدال المزاج ، واطمئنان الاعصاب فلا يثور لمخالفة او يحتاج لتقيصة بل ينظر الى الامر نظرية الحكيم العالم بالبواهب المعطوف على الانسانية في ضلعها وكبوتها ، فهو مع النص المنقود دارس متزن يعرف دواعي القول ، ويلقى صاحبه بابتسامة الود حين يشرح وجهة نظره ويضع نفسه مكانه مصورا مما اشتجر في صدره من الاحاسيس حين رسم خلجاته في ما قدم من انتاج ، ولا نريد بذلك ان ينقلب النقد تقريظا

مجاخلا ، بل نريد ان يكون هذا الود الانساني مدعاة الى تفهم الاثر على حقيقته من ناحية وعاملا على قبول المنقود له وانتفاعه بما يحمل من تسديد وتوجيه ، فما أضر بالنقد في حديثه وتقدمه غير قسوم رأوا الاستعلاء والسيطرة باب المواخذه والنقض فشنوا حربا طاحنة كان الاولى أن تكون مسامرة هادئة حتى لقد وقر عند الناقدين أن الشدة العنيفة هي طريقة التصويب والتقييم ، كما انتقلت العدوى الى جبهة القراء فآخذوا يتابعون اصحاب القسوة المفرطة معجبين ، وقد تعجب حين ترى بعض المترجمين في ميدان النقد قد نالوا بسلطتهم المفرضة ما لم ينلوه الشراء من ابناء الكلية وأرباب الهدوء المتزن وان كان مع هذه الجبهة المشفوفة بقسوة النقد قلة منصفة تنفر من الضجيج المفتعل ، وتسد اذنيها لدى الفرقة الصاخبة ، وهي طائفة المستثيرين من ذوي النظر البعيد ، ومن الحظ الحسن ان يكون هؤلاء على قلتهم أداة الترجيح الحقيقية في المعركة اذ يقولون فيسمعون .

ونحن في عصر تقدمت فيه العلوم الانسانية فتمشيت لمروها واتسعت ميادينها وأصبحت تهد المتكف المعاصر بزداد دسم يمينه على النظر الثاقب والفكر الصحيح ، واذا كان الناقذ ملزما كل الالتزام ان يلم الماها حسنا بخير ما ينتجه الفكر الانساني من علم وفلسفة ، لتتسع آفاقه الفكرية ، فقد شهدت المارك الادبية في هذا العهد نقاشا حادا حول صلة هذه العلوم الانسانية بالنقد المعاصر ، فذهب فريق من الكتابيين الى تقعيد النقد ودعمه على أسس علمية ترتكز على هذه العلوم بمعنى أن تكون من علوم النفس والاجتماع والجمال أسس صالحة للنظر النقدي اذ ان عالم النفس حين يلم بالنفس الانسانية ويعلم نوازعها المتباينة ونياراتها المتصارعة وما تسببه المعقد النفسية من صراع ، وما تلبه الفرائز من أهواء وميول فانه يستطيع على ضوء هذه المعرفة النفسية ان يحلل النص الادبي تحليلا يبرز مكان القوة وأسباب الضعف في جملته وتفصيله ، كما ان عالم الاجتماع حين يرصد موقف الاديب من مجتمعه واثر المجتمع في تكوين الاديب وتكوين مشاريعه ، وتنازع اهوائه فانه يلمس اثر ذلك فيما قدم من انتاج ادبي ، وربما التمس له بعض العذر في ما يخالف وجهة النظر العامة بمعنى المخالفة ، وكذلك عالم الجمال الذي درس أصوله والم بمقاييسه وعرف مدى ما توصل اليه في البحث عن حاسة الجمال وميزان الشيء الجميل فانه بمقاييسه الجمالية يستطيع ان يرن الاثر الادبي ميزانا علميا لا تميل به النوازع

الخاصة في شيء ، هذا ما ذهب اليه فريق من الباحثين وتطاحنوا من أجله مع فريق آخر يرى أن الدعوة إلى تعميد النقد الأدبي ودعمه على أسس علمية ترتكز على العلوم الإنسانية خطر داهم يحيط بالنقد الأدبي ، لأنه يصرف الناقد من التذوق الفني الخالص إلى اصطلاحات علمية تلتقي على دراسته ظلمة مبهمة ، لا تساعد على ارتقاء ذوق أو تفهم احساس إذ يرون أن عمل الناقد الأول هو دراسة النص الأدبي وتفسيره في أمته الأدبي المتفوق بحيث يقف الناقد ليسجل خواطره الذاتية محللاً مسرراً دون أن يتعامل بمصطلحات تنف كالصخور الثقيلة في طريق القارئ دون جدوى . هذا بعض ما تنازع حوله الفريقان باذلين جهودهم الشاقة في التدليل والتعليل ، فأصحاب الرأي الأول يرون أن العلوم المختلفة تتشابه وتمتد لتقدم للذهن البشري غذاء يسد نظره وينير طريقه ، ولابد من الإلمام بها لنصل إلى الحقائق الأدبية دون انحراف ، فإن العصر الحاضر هو عصر الدراسات التجريبية في كل مجال ولابد أن تطبق هذه الدراسات على الإنسان ليفهم على ضوءها منازع انتاجه وبواث خواطره ، وذلك مما يدمو إلى تثقيب الناقد تثقيفا بصيرا ، لترتفع البحوث الأدبية إلى المستوى المنهجي ذي القواعد المضبوطة ، والموازن الدقيقة ، أما الذين يخالفون ذلك لهم في رأي دماء التثقيب العلمي انفعاليون لا يصبرون على بحث بل يسرعون إلى الاستجابة إلى تأثيراتهم السريعة عند القراءة العاجلة مما يدفعهم إلى الشطط في الحكم والانحراف من الجادة ، ولن يسكت أصحاب الرأي الثاني عن خصومهم فهبوا يقولون أنهم ينسبون وظيفة النقد الحقيقية وهي دراسة النصوص الأدبية ، وتحديد كل معنى وكل لفظ مع إيضاح صلة الإنكار وارتباطها وملاءمة الشكل للمضمون وكل اهتمام للمعارف الإنسانية على هذه الدراسة مما يعمد بالناقد من ميدانه ، ولنا نقول بعدم جدوى هذه المعارف الإنسانية للناقد فهي توسع مداركه وتفسر غوامضه دون نزاع ، ولكننا نقول أن اهتمامها في النقد مما يطمس بريقه ويضعف تأثيره وهم بذلك يتفقون مع أصحاب الرأي الأول في جدوى هذه الدراسات كقائمة عابدة للناقد ، ويختلفون معهم اختلافاً يصل إلى حد الغشوة والعنف في محاولة استخدام مصطلحاتها العلمية واساليبها النظرية في عملية النقد ذاته ، ونحن

معهم في أن النقد الأدبي يجب ألا تتكرر مشاريعه بهذه التسميات النظرية والمصطلحات العلمية بل يظل في مستواه الفني واضحاً مشرقاً يخاطب الذوق والعقل والعاطفة دون غشاء ، ولدينا المثال البارز على فساد التفريع العلمي في مجال النقد الأدبي بما نعرفه من انحدار علوم البلاغة في جهودها الأخيرة على يد العقبيين من أمثال السكاكي والقزويني والسعد وغيرهم ممن جانب مذهب عبد القاهر في الاستشفاف الذاتي المستند إلى الموهبة البينانية والخبرة الأدبية إذ أن هؤلاء العقبيين جعلوا من بحوث البلاغة الأدبية مجالاً للمنطق والفلسفة ثم خلف من بعدهم خلف نظر إلى هذه المباحث نظرة المأحكة والتبرير مخنتت البلاغة خنقاً فيما كتبوه من متون وحواش وتقاريرات؟ فالرأي الفصل فيما نشب من حراك حول هذه العلوم الإنسانية أن يلم بها الناقد المأما يزيد من ثقافته وبعثه على أن يعتمد منها كل الابتعاد في مجال التطبيق الأدبي إذ يقف أمام النص الفني وجهاً لوجه دون ستار ، وقد ذهب معارضو اهتمام هذه النظريات العلمية في مجال النقد الأدبي إلى الاستشهاد بأقوال أساطين النقد الأوروبي مثل لانسون الفرنسي حين يقول فيما ترجمه عنه الدكتور محمد مندور « أن الاصطلاح العلمي عندما ننقله في الأدب لا يلقي غير ضوء كاذب ، بل يحدث أن يلقي ظلمة ، وأمن في الروح العلمية موقف أولئك الأدباء الذين لا يدمون بناء أي شيء على نموذج غيره ، بل يقتصرون فهمهم على رؤية الوقائع الداخلة في مجال بحثهم ، والمثور على العبارات التي لا تخلف شيئاً خارجاً عنها ولا تضيف إليها إلا أقل ما يمكن والشيء الذي يجب أن نأخذه من العلم ليس كما قال مردريك وهو هذه الوسيلة أو تلك بل روحه » . وإذا كان الدكتور محمد مندور في طليعة من نادوا بالابتعاد من اهتمام العلوم الإنسانية في مجال النقد الأدبي فقد أبد وجهته بما ترجمه من أساتذة النقد في فرنسا من مقالات وكتب تناقش هذه المسائل ، كما لم ينس إجداده العرب حين بحث من أقوالهم المتصلة بهذا الموضوع فنقل من ابن قتيبة قوله في مقدمة « أدب الكاتب » (1). ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحتباه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها

وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحري .

وواضح أن الأمدي يتحدث هنا عن الشاعر لا عن الناقد وقد يظن ظان أن الاستشهاد في غير موضعه ، ولكننا نقول أن النقد الأدبي في حقيقته الأصلية — عمل أدبي كالشعر ، وكاتب النقد كناظم القصيدة يجب أن يقدم نقده واضحا شافيا بعيدا عن غموض المويص من اللغة والدقيق من المصطلحات ، وإذا كان للشاعر أن يشتغل بالدراسات الإنسانية كما يشتغل الناقد فإن مصطلحات هذه الدراسة لا يجوز أن تنتقل إلى القصيدة الشعرية كما لا يجوز أن تنتقل إلى الكتابة النقدية سواء بسواء .

وإذا كنا نعرف أن النقد الأدبي يقوم على الذوق المستشف البصير بمراقي النبوغ ومهاوي الضعف في الأثر الأدبي ، فليس لكل قارئ أن يقيم من ذوقه الخاص ناقدا يصدر الأحكام الأدبية ويوزعها ذات الشمال وذات اليمين كما يشاء ، ولكن صاحب الاستعداد الفطري بالطبيعة والمكتسب بالقراءة والموازنة وسعة الخبرة هو الذي يستطيع النفاذ إلى النص الأدبي تحليلا وتفسيرا وحكما ، وهو القادر على أن يندمج فيها يقرأ اندماجا يوحي له بكل ما يمن من تقدير أو مؤاخذة ، مستعينا بعاطفته ومقلده وحسه على أداء وظيفته النقدية ومستجيبا إلى هوائه نفسه فيها توحي به من ارتياح أو نفور ، ولمق ما أدى إليه تمرسه الطويل ومزاويلته المستمرة في محيط العمل الفني لذوق الناقد لا يقف به عند مجرد الاستحسان أو الاستهجان بل يهديه إلى حيثيات ما يصدر من حكم يكن وراءه الذهن الصافي والقرينة الخصبة والحس المتيقظ لادق الخلجات وأبعد اللوامح ، ونقد يخالف الناقد الذوافة زميله الذواق في حكم ، ويكون كلاهما صحيح النظرة سليم الاتجاه لأن الطلبة الأدبية تتسع لأكثر من اتجاه ، ولأن الطبيعة البشرية تتفرق في مدى الاستجابة وقوة الإيهام ولمق ما لايس الناقد من خبرات قد تختلف في بعض تجاربها من خبرات زميله ، ومن هنا نجد الناقدين الكبيرين يحكمان على القصيدة أو المسرحية أو المقالة بما قد تفرق به الاتجاهات ، ومن البعيد أن يبلغ الاختلاف بينهما درجة التفساد والتباين وأن وقع ذلك فهو من الندرة بحيث لا يمثل قاعدة مطردة إذ أن المسلم به أنه توجد مع عوامل الخلاف عوامل أخرى للاتفاق تحول دون التضاد الصريح ، إنما يكون هذا الاختلاف بين الناقدين

منغضب لذلك وعاداه وانحرف عنه إلى علم قد سلمه له ولا مثاله المسلمون وقتل فيه المناظرون له ، ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم لماذا سمع الغمر والحدث الغر قوله ، الكون والفساد ، وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاختبار المؤلفة ، راعه ما سمع وظن تحت هذه الالتاب كل فائدة ولطيفة لماذا طالعها لم يحل منها بطائل إنما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والعرض لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط النقط ، والنقط لا تقسم ، والكلام أربعة ، أمر وخبر واستخبار ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر . والآن حد الزمانين مع هذين كثير ، والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه ، لماذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وتيدا للسانه وعيا في المحائل وغفلة عند المتناظرين » ، ولن نعلق على نقل الدكتور مندور عن ابن قتيبة شيء سوى أن صاحب « أدب الكاتب » قد ذكر ما يدور من اصطلاحات العلوم في عصره مما تداوله علماء المنطق والفلسفة والكلام من أمثال الجوهر والعرض والكيف والكمية ، ولكل عصر مصطلحاته وتواعده ، فما يذكر اليوم من مصطلحات علوم النفس والاجتماع والجمال شبيه بما دار في عصر ابن قتيبة من غوامض التعريفات ولم يكتف الدكتور مندور بقول ابن قتيبة بل عززه بما ذكره أبو القاسم الأمدي في الموازنة بين الطائيين حيث قال بعد نقل متشعب :

« وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة — طريقة السهولة والوضوح — وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان وحكمة الهند ، أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فإن شئت دهنوك حكيما أو سميناك فيلسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولا ندهوك أديبا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فإن سميناك بذلك لم نلحك بدرجة البلغاء ولا الحسين الفصحاء ، وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق وينسده ويميه حتى يحتاج مستمعه إلى تأمل وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره ، وحسن التأليف

مداد علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو
انفع من ذوق التلميم ، وهذا الكتاب وإن كان ميسرا
يمليه عليك استاذا وإذا سئلت مما ينفع به قيل لك
هذا ، فإن الدربة والادمان أجدي عليك نفعا ، وأجدي
بصرا وسعما ، وهما يريانك الخبير عيانا ويجمعان
مسرك من القول أمكانا ، وكل جارحة منك قلبا
ولسانا ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك واستنبط
بأدماذك ما أخطأك ، وما مثلي فيما جهده لك من هذه
الطريق إلا كمن طبع سيفا ووضعته في يمينك لتقاتل به ،
وليس عليه أن يخلق لك قلبا فإن حمل النصال غير
مباشرة القتال .

هذه خطرات أمهد بها للمحديث من النقد العربي
في أطواره المتعاقبة لنعطى القارئ أضواء تهديه في
ارتداد طريق ممدة الشعاب ، وهي بعد خلاصة
مركزة لبعض ما يدور حول هذا الفن من آراء تشغل
النقد والناقدين .

الكبيرين غالبا في درجة الحكم ونسبته فهو يترجح بين
الحسن والاحسن أو الجيد والاجود أو الضعيف
والاضعف ، وهذا حين يكون النقد فنيا تائريا لا مذهبيا
معانديا حيث يلتزم الناقد باتجاه ديني أو اجتماعي أو
سياسي يدعو اليه ، فمن الممكن إذن أن يصل الخلاف
بين الناقدتين إلى درجة التضاد ، ومن حسن الحظ أن
النفوس أصبحت تفتيق بالنقد المذهبي في مجال الادب
الخالص ، وتراه عامل تعصب لا يهدف إلى الحكم
المجرد التزيه إنما النقد ذوق خالص مثقف يستوحي
النص دون تنديد أو تضيق ، وهذا الذوق هبة عليا
تمنح لدوي المواهب وتصل بالقرأة والنظر والتمرس
البصير ، ويهمن أن ننقل من ناقد عربي كبير رأيه
الخاص في تقدير الذوق الموهوب وارتكاز النقد الادبي
عليه ارتكازا يجعل كل تعليم دائب لا يكاد يغني عنه
شيئا ذلك هو ضياء الدين بن الاثير حيث يقول في
مقدمة « المثل السائر » « اعلم أيها الناظر في كتابي أن

الحضارة الإسلامية

بين الماضي... والمستقبل (١)

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح "القاهرة"

إذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران فإن مفهوم الحضارة في العصر الحاضر قد امتد إلى الوان من المعنى ، هي ابعد واوسع مما رواه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية الى الحضر .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ « مدني » بمعنى « اجتماعي » فإن مفهومهما آخر ظهر واتصل بها ، أصبح الآن يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سابقا أيضا في هذا المجال اللفظي فاستعمل كلمة « التمدن » وكان يعني بها « التحضر » .

على أن تلك المفاهيم اللغوية إنما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضر فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جدا خارج العالم العربي .

ولذلك فإن لفظ الحضارة في مفهومه العالي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد أصبح أكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي والتقليدي وإذا كان أصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرهما » الإقامة في الحضر . فإن المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة في استعمالها المولد

بمناز الإسلام بأنه دين الحضارة الإنسانية الكاملة : بمعنى أنه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة .

وإنه أنشأ لونا من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الإسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية الإسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية أنها : -

تعنى حياة الحضر والإقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها البداوة . وهي حياة التنقل من البادية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان أول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . بل أن هذا العالم العربي هو أول من عالج شؤون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .

على أنه إذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة . والذي يناقض في مفهومه البداوة . فينشئ القرى والمدن ويضفي على أصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والمسلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة .

المطاء بانها : مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضرة .

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظيتين آخرين لهما في الحياة الانسانية شان كبير والامر واضح . وهما : الثقافة والمدنية .

فاصل مادة التشذيب في اللغة العربية : التشذيب والتهديب والتقويم والحدق والفظانة والمعاجم اللغوية تعرفها في الاستعمال المحدث بانها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحدق فيها . ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والدوق والشاعر ، وهي حصيلة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها . وتجمع انماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والتي يتصل بعضها بتراث للانسانية مشترك ، ويتصل بعضها الآخر بحياة جماعات بلدانها دون سواها .

ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها والاخذ باسباب الحضرة وقد اتصل لفظ المدنية في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والمظهري من الحياة . وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنشأتها المموسة .

وكذلك من حيث الانماط المعيشية في اسسها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والمحسوسة في حياة الجماعة من قواعد ونظم وامراف .

والحضرة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للفنية والثقافة ومجموع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنوية .

وبعبارة اخرى هي : الخطة المريضة التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الانسان او الجماعات الخاصة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بانه دين الحضرة الانسانية من حيث قدس حرية الفكر ، واعتزاز حرية الانسان وكرامته . وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال اخاء شامل ، وحمل

نام وروحانية صالحة واعتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة .

فان واقع الامر يبين للدارس والباحث والمفكر ان الحضرة الاسلامية استمدت مقوماتها ومناصرها وجودها واسباب نمائها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجزيرة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

فان الاسلام بطبيعته الذاتية استطاع ان يصفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسة والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين في مختلف الاقطار وبلاد الدنيا .

دعائم الحضرة الاسلامية :

(1) ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شملت حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب . فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والنفوس وثورة في الحياة المعنوية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة الحاكم بالحكوم وكذلك في تشريعات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه القوة الفاعلة انها كانت اصلاحا جذريا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

(2) ان الاسلام كان منذ يومه الاول دين دعوة له رسالة يجب على المسام ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا .

وفكرة الدعوة في العقيدة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمي وبالتالي تمكن الاسلام من ان ينشر طابعه الحضاري كمقيدة وكنمط للحياة .

(3) كان الاسلام ديننا سهلا غير معقد ولا مركب في مقيدته ونظمه ومعالجته وكان في الوقت

ذاته ، دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة فى العقيدة الاسلامية شاملة للعبادات ، والمعاملات جميعا .

وما نظن دينا يطلب الى الفرد شهادة ايسر من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة تقف بالانسان على عتبة الاسلام موقفا سهلا .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ، ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل فى دين الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لابد ان يأتى مباشرة دون وساطة او وكالة . على انه من الحق ان نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من المرونة الذى قد يشوه التطبيق .

ولعل المقوم الاصيل الذى لم يجعل البساطة تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان القروان كان وعاء للعقيدة كلها . حفظها على مر العصور واغنى عليها الطابع المشترك فى مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف .

4) كان الاسلام دينا رحبا يقبل الاجتهاد ، ويدعو اليه فى حدود اصول العقيدة . وكان يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الضمير والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر الى المعرفة اساسا من اسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام فى رحابته الحضارية استطاع ان يمتص الوان الحضارة فى البلاد التى انتقل اليها وان يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

5) كان الاسلام دينا للدنيا والاخرة معا ولى هذا قد اختلف من كثير من الديانات والعقائد التى ينبع بعضها فى ماديات الحياة ثم يضي عليها مسحة من العبادة او الفلسفة ويتبع بعضها الآخر فى مجال الروحية التجريدية .

وقد ترتب على ما اتصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة انه اصبح دينا رحبا حيا يلائم حياة الناس ومنطق التطور . كذلك اصبح الاسلام

اكثر التصاقا بالحياة فى مفهومها الحقيقي وصورتها الواقعية . وفى الوقت ذاته اصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري فى مجال المدنية من جهة والثقافية والروحية والعقلية بل والاجتماعية من جهة اخرى .

6) كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاما متكاملا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد ام من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الافراد وكثيرا من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من ابرز القيم التى استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة الدائمة للانسان . واستنادها الى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما كسبت رهينة » « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الاخاء التى تجعل الانسان المسلم ينتمي الى جماعة المسلمين ويحس بأنه مضمون من امضاء الجماعة المسماة بعمل لمصلحة الجماعة والجماعة تسمى للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله ويكمل به ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي به .

وليس فى الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام فى اصلاح الانسانى العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الدائمة للافراد باعتبارهم مدنيين بوجودهم لله مسئولين امامه عن اعمالهم « وقل امثلوا فسيرى الله عملكم » والاسلام حينما جعل الفرد مسئولا عن اعماله والمسؤولية - هنا تقع عليه وحده - الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الذاتية ويوصل به الى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفى الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنات المجتمع الانسانى يعمل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف بالهيرية التى يدمج بها الفرد فى المجتمع قسرا ورغمما منه كما فى الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغنى عن الفرد ان لم يخدم غرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحرب دون نقاش .

7- البيئة بمواهبها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة . ولقد كانت الجزيرة العربية ذاتها منطقة وصل بين أطراف العالم عند ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بإدلة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بإدلة بالبحر الأحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سببا في أن شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب أن يقوموا به ولم يكن الأمر في ذلك بالطبع مجرد التوسط الجغرافي على أهميته . وإنما كان الأمر أوسع وأعمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السلوك الإنساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي أمور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الإسلام شرقا وغربا بالبر والبحر على حد سواء .

8 القرآن الكريم ذاته وذلك أن القرآن لم يكن كتاب دين ، بحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعها من عقائد ومبادئ وأوامر ونواهي ، كان دستوراً من أعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الإنسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم .

ولقد كان أول أثر من مآثر القرآن في الفكر الإنساني اهتمامه بالعلم وذلك أن العلم أساس التقدم ومرآة نهضة الأمم وعنوان حضارتها . وقد كانت مناهج القرآن بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القرآن وتدبر آياته تجده يدعو إلى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون وأحداث الماضي . والقرآن نفسه مشتق من القراءة والقراءة أدنى مفاتيح العلم للإنسان وأول ما نزل على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس آيات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » .

ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الإلهي بالقراءة في أول آية وكررها مرة أخرى في الآية

الثالثة وأوضحها مؤكدا ما رمى إليه من معنى وهو التعليم وراد التأكيد بذكر القلم ثم لفت النظر إلى الأصل الذي خلق الله منه الإنسان وهو العلق وفي قوله تعالى « علم الإنسان ما لم يعلم » ما فيه من مكنون اسرار هذا الكون مما سيمر به الإنسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

وأول قسم في القرآن أقسم به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الأمر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ن والقلم وما يسطرون » فأول سورة نزلت من القرآن سورة العلق ومن العلق يخلق الإنسان وكانت السورة التالية في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « والقلم يكتب ويتعلم الإنسان » .

فإنسانية الإنسان لا تكون إلا بالخلق ولا تتم إلا بالعلم « الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

إذا افتخر الإبطال يوما سيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

والقرآن دائما يهتف بالإنسانية « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » والقرآن يرفض أن يقف بالعلم عند حد بل يفتح للإنسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الإسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . وتمييز صحيحها من زائفها فقرر أن المسائل لا تأخذ طابعا علميا ولا ترتقى إلى درجة معلومات إلا إذا قامت عليها بيئة واستندت إلى دليل ومن ثم كان القرآن ينادي دائما « هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « أثبتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم » « ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

وهذه الآية الأخيرة تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند إلى حجة سمعية أو رؤية بصرية أو براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعية والمحسوسات .

وهذا الميزان الذى وضعه الاسلام يدفع الناس دفعا الى تلمس الأدلة . ويمشي بهم فى طريق النور والمعرفة ومظاهر الكون والرقى .

ولقد دعا الاسلام الناس ان يمعنوا فكرهم فى هذا الكون الفسيح وينموا النظر فيما حوى من عجائب ، ليستفلوا ما حواه من موارد ويستكنهوا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدا الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا فى السماوات والارض » ولم يكتف القراء بهذا بل ردد كلمة العلم (بجميع اشتقاقاتها وتصريفها فى سورة وآياته زهاء سبعمائة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفي لتقدير منزلة التى رفع القراء « العلم » اليها . وكلمة العلم فى الاسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كله دليل على ان الشخصية الانسانية لا يرقىها شيء غير العلم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقراء مليء بالاحياء لتنمية القوى العقلية المفضية الى النظر فى البراهين الدالة على قدرته سبحانه وتعالى الداعية الى التفكير والتأمل فى هذا الكون العجيب الذى يمتليء بالظواهر الطبيعية التى تسير فى نظام ودقة عجيبين .

9 (اللغة العربية نفسها فهي : من اعرق اللغات العالية منبتا وازها جانبا واقواها جلادة ، وابلفها عبارة واغزرها مادة وادلفها تعويلا لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس وذلك لمرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القراء الكريم بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا والقوى استقرارا وبفضل القراء صارت ابعد اللغات مدى واوسعها افقا والقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذى تعيشه الانسانية .

واستطاعت فى ظل عالمية الاسلام ، ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات وترتفع حتى تصل ارقى اختلاجات النفس .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات تصويروا صحيحا هي المقاطع واضح السمات بارز القسامات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الانسانية الغالدة ومعارف البشرية الرائعة كما انسمت لمقومات الامة الانسانية الاسلامية التى شرفت بالحضارة وغربت .

برزت الى الوجود قوية تتمتع بقوة لغة بالغة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة وما بدت الا لتكون لسان الحضارة الاسلامية فى ظلال القراءان .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان يكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية ومقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة : وهاتان اللغتان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل من « كمبانيا » فى ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصى صقلية الى شاطيء دجلة ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التى امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب اسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لغة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد امنت اليونانية واللاتينية فى صف اللغات الميتة منذ هبطت مدينتاهما فما الذى حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مي » ان الذى كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذى ما زال حافظها الى اليوم وهو القراءان ، لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء فى الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا فمن ذا الذى لا يعرف للقراءان فضله فى بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذى يجهل ان اللغة العربية بالغة ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذى لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضى وحضارات اليوم .

لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من
ارامية وكنعانية وكلدانية وسريانية واشورية
وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها
من مصور الركود وما نشأت نفى قوة وحيوية .

انها الرابطة النفسية التى تربط بين اهل البلاد
والصفة الجميلة التى تودعها مكنوناتها العقول
والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسمت مباديء ومثلا عليا لم تفق
بها ولم تنك من احتمال اعيانها بل فى ظل حضارة
الاسلام مرت وامتصت وتفاعلت ونمت نماءها
الطبيعى المتطور من داخلها وهضمت خلاياها القوية
كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعمقلت
واتسعت مافاقها وانتشرت ظلالها وقضت فى دورانها
العظيم على كل ما يقف فى طريق انبعاثها وتفوقها
وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها من التحليق
والارتفاع واستطاعت بقوتها الدائبة ان تقشع
اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة - جاليتها فى
صراع - بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة
خلاقة .

هذه اللغة دعمها القردان اذ اخذت تفرض
سلطانها فى بيئات جديدة فى اقطار الارض ولم
تمض حقب طويلة حتى فدت لغة الشعوب من اواسط
اسيا حتى جبال البرانس فى شمال اسبانيا ولم
تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او
تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القردان وقد
يكون من اسباب قوتها وجمالها الفنى بحيث لم
تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ومهما
تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قوية لأم وشعوب
قد تختلف وتباين فى اجناسها واصل نشأتها ولكنها
لا تلبث ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المعنوية
الادبية والعقلية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من
الطليح الى المحيط الاطلسي تتوهج جلودها وترسل
اشعتها وشورها الى كل مكان حتى فى امريكا تناول
منها المهاجرون الى تلك الديار النالية اقباسا لا تزال
تضيء فى المجالات والانار الادبية .

وواضح انها اجتارت آمادا واحتيا متطاولة من
الزمن وقد الت بها خطوب كثيرة ولكنها وقفت فى

طريقها كالصخرة فى مجرى السيل يلم بها ثم
يرايها ، وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تنطور
بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات
الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية .
فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكانما
اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول حتى من
المعرفة والفكر وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل
يجري غزيرا زاخرا متفتحا مقتحما كل ما يصادفه من
حواجز وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدث
العربية بين هذه الامم والشعوب فاذا هي عالم واحد
مهما تدانت وتباعدت ومهما شرقت او غربت .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول واخرجتها
الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ .

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل
كلماتها خطرات النفوس وتتجلى معانيها فى اجراس
الالفاظ تتمثل فى نبرات الحروف كأنما كلماتها
نبضات القلوب ومشاعل الحياة ، فالعائى المحسة
والمعقولة مبنية فى الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين
الاشياء المتشابهة فتضع للشبه لفظا غير ما وضعته
لشبيهه ادراكا للفرق الدقيق بينهما فاذا وضمت
بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضمت العربية
كلمات تختلف باختلاف مالة الضرب وموضع من
الجسم واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانسانى
مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل
حلية فى الانسان وكل صفة فى عينه وحاجبيه
وانفه ولحمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس
هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل فى
المفردات يتجلى فى التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها
فى الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت فقل
تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا
لهذه المكانة فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو
الضم والاخريات لها الفتح والجر .

وما هذا الا ضربا من الحياة فى الالفاظ
والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه واذا
اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة
العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ،
فيها مادة ووزن فخذ المادة او اخلقها او استمرها من
لغة اخرى ثم صيها فى قالب من قوالب الاسماء
والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان، فمن سمع

فاعلا او مفعولا ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناته له معنى يلازمه في المواد كلها وبهذا امتازت العربية واستبان خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها وللأسماء اوزان وللانفعال اوزان فما لا تزنه هذه الاوزان فهو اجنبي وبهذا بقيت على الدهر المتناول نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم تمى ولم تصق بكل ما ادوكه الانسان من علم وثقافة من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكروهة .

ولقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان وحبه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي والعقلي مصورا في كلمات ومايات وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب وما استقام له ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتوالت المحن واثارت الفتن والعربية ثابتة ناضرة وامحت لغات وخلقت لغات وبذلت لغات وحرقت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تتغير ولم تبدل .

ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها الامم الاخرى واولتها من العناية والحفاوة اكثر مما اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقا طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى المشرق ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة ادب وعلم في كثير من الامم الاسلامية غير العربية .

وما تزال لغات هذه الامم مترمة بالفاظ العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور ادبا لا تحويه لغة ادبا مواطنة ما بين الصين الى بحر الظلمات كما يقول العلماء - وزمانه اربعة عشر قرنا من الزمان .

ولا نعرف في آداب العالم قديمها وحديثها ادبا اتمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الامصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة وبقوة الاسلام وقوة القردان وبهذا استطاعت العربية ان تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الانساني .

ولاول مرة تجد في التاريخ لغة تنتشر بهذه القوة فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الايام في بلاد الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات فلبتها وتممكت شعوبها .

والرومانيون استطاعوا ان ينشروا اللاتينية في المغرب الاوربي في فرنسا وفي بريطانيا وفي اسبانيا وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة في شمال افريقيا فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت ان تقهر اليونانية في الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم ان تقهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وان تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة ولغة ادارة ولغة الدين وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والانتاج الادبي والعصري وفي اقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسع كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اسافت ثقافة اليونان على سمعتها وعمقها وصعوبتها واسافت فلسفتهم وعظمتهم وطبهم وفنونهم .

واسافت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلك الثقافات التي كانت متواردة بين السامية

فالعربية : اداة الفكر الحي نقل الناس اليها كتب السماء المنزلة مثل التوراة ، والانجيل والزبور وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبرانية .

ونقلوا اليها ما جاء به الحكماء وسائر ذلك من كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب .

(10) وبجانب هذا وذلك كانت هناك مقومات تاريخية وبشرية تتصل بالمصر الذي ظهر فيه الاسلام وانتشرت عقيدته . ثم بالمعصر البشري والتكوين السكاني للمجتمعات الاسلامية .

فاما من المعصر فان الاسلام كان ختام الاديان السماوية وكان بذلك رباطا لها من الناحية

التاريخية . كما كان في الوقت ذاته تصحيحا روحيا لصور من الديانات السابقة التي شوهها الزمن . وكان على الاسلام ان يصححها وينقيها ويرد اليها اصالة الفكر التوحيدي .

ولقد كان هذا كله مصدر قوة ودفع للفكر الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية .

فهذا التصدي كان الحافز الاصيل للفكر الاسلامي والنظم الاجتماعية في ان تحتفظ باصالتها من جهة وان تجدد حيويتها وتوسع نطاق رحابها ومرونتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع الوان الحضارات التي التقى بها على قوة غلبت كل التحديات فانتشر طابع الحضارة الاسلامية في فعالية لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام في انتشاره وترسيخ معالم حضارته قد تصاعفت بفعل مقوم انساني آخر عظيم هو تنوع السلالات التي دخلت في الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى تربت على كل هذه الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمتاز بان كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة السماء التي تمدها بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المطل للعمل ومن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

1 - في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله والفراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

2 - وفي نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل اسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن .

3 - وفي نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق

والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالانسانية الى الكمال والتقدم

4 - وفي نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة والاخلاص والاحترام والتعاون والتضامن . وقيام كل راع بمسئوليته .

5 - وفي نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

6 - وفي نظامها التشريعي ، تقوم على اصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكري .

7 - وفي نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة ايا كانت واستخدام العقل في كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة . واعتبار الثقافة ايا كان مصدرها ومهدا تراثا عاما للانسانية .

8 - وفي نظامها الفكري تقوم على حرية الفكر واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم تتحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا في طلب الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

1 - وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة الخلاقة .

2 - انقذت العالم القديم مما كان يمشي فيه من فوضى وانهايار واضطراب في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

3 - اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في اسمى صورها ومجتمعها جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع

4 - اعطت الانسانية ذخيرة حية ضخمة من المعارف الساد منها الغرب في عصر الاحياء والنهضة ، واعتمد عليها العالم الاسلامي في بقلته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

5 - وضعت بعض اصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الفزالي والاحاطة بجميع جوانب الموضوع ايجابا وسلبا . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في تسعة احكام . وهاهي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :

يبحث عن وجود الشيء او عن عدمه

السؤال الثاني ما هو :

يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :

يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :

يبحث عن صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :

يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :

يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :

يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :

يبحث عن علة الشيء المعلول

السؤال التاسع من هو :

يبحث عن التعريف للشيء .

6 - فتحت للانسانية افاقا جديدة في البحوث الانسانية كفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم البصريات على يد «ابن الهيثم» وابندا مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد «الخوارزمي» و «عمر الخيام» .

7 - ساعدت بدايها على نهضة الاداب في اوربا وفتحت افاقا جديدة امام شعراء الغرب وكتابه .

8 - ساعد حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبنماذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على اشامة المثل الاخلاقية الرفيعة مما كان قدوة لمن احثك بهم في السلم او في الحرب .

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية وبنى رجال اوربا بنما تعنموه في معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام يدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهادة العلم واساتذة الدنيا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسي والبغدادي والدينوري والرازي والقزويني والانطaki والزهاوي والغافقي والخوارزمي والصوفي وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة والادريسي والسموذي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيثم (965 - 1039) يبحث في السهول والادوية ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجاني يسهر على قمم الجبال العالية يحرق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويمرر ابعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الاوردة والشرابين المبتوتة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع اجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف (هارني) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بشمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهديب والبيولوجيا .

وجابر بن هيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة (الرصاص) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات الجهل والفوضى والهمجية والتأخر ولم ينقذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور

الاسلام وما زالت أسماء العلماء والمصطلحات التي أعطاه هؤلاء العلماء المسلمون لفرائب العلم ما زالت حية نابضة في جميع اللغات رغم ما نالها من تحريف وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الإسلامية بأعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا ينفون من بحوثهم ودراساتهم إلا مرضاة العلم في ذاته . والذين لا تسيطر عليهم المعصية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمننا لمجد الحضارة الإسلامية .

والواقع أن الاسلام ليس في حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا نأتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب . وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم يجهلونها ولا يعرفون منها الا النذر اليسير والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الألمانية الدكتورة (سيجريد هوتكه) ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ الحقل البشري لسيادة أبناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة في نوعها وان الانسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتي يحار الانسان في تحليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في حق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا »

وقال العلامة « كاربينسكي » ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوروبا في ظلمات القرون الوسطى .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خلق محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

وقال العلامة « دربير » المدرس بجامعة (هارفارد) بأمريكا في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية أي بعد موت محمد بست سنوات ولم يعض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية وقدروها حق قدرها .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظمى لخرجنا من حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبس وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انواع المنسوجات كالصوف والحريير والقطن . وكانوا يديرون المعادن ويجودون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها واننا لندهش حين نرى مؤلفاتهم من الآراء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر .

ويقول في مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك أوروبا وامراؤها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها . وقال العلامة « سديو » في كتابه تاريخ

العرب : « كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى أوروبا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الانجليزي :

« كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى ناس قرطبة ، وپروى من وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غني وفقير .

وقال « دربير » : اول مدرسة انشئت للطلب في أوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بالرم) من

إيطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في أشبيلية بإسبانيا وأنهم رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والأدب وفاقوا فيهم في هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد أن المؤلف جمع بين الجبر والأدب .

وانظر إلى كتب البيروني تجد أن الأدب والرياضيات اجتماعا متعاقبين . . قال العلامة «دراير» : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الأسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الأسلوب هو الذي أوجب لهم الترقى الباهر في الهندسة والمثلثات .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذي أنشأ في آسيا وأوروبا نشأة جديدة وإنسانية جديدة .

إن هذه الأقوال التي جاءت على لسان علماء أفاضل لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمنا وجملته وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الإسلامية الإنسانية التي لمست الإنسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معاني السعادة وأمتلت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الأبد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الأذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجوع العرب إلى منابع عزهم ، هذا وإذا كانت الحضارة الإسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بها إلى ذروة ما قدر للإنسانية من التقدم ولها من التعاليم والقيم والآداب ما يسمح لها أن تكون لها فلسفتها الخاصة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة أن تعود إلى إشراقها من جديد فتساهم في إعطاء الحضارة الإنسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التي لا يسوغ إنكارها أن آداب وتعاليم الإسلام كفيلة بأن تجعل العالم الإسلامي في وضع يسمح له بأن ينمي فلسفته الخاصة به والتي تنبع من الفكر الإسلامي . ويتضح ذلك من العقائق التالية :

أولا - أن العالم الإسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسفيكي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا . مجتازة جاليات ودولا إسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ومنطقة العالم الإسلامي تتميز بأنها :

1 - تقع من العالم موقع الحزام من جسم الإنسان . بعيدة عن القطبين ومسالة من الأعاصير والعوفانات والثلوج والبراكين . ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

2 - وأنها تمتلك من شواطئ البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الإشراف على عدد كبير من أعظم موانئ العالم كما بها من الأنهار والنايغ ما يجعلها من أخصب المناطق وأكثرها ازدهارا ونماء .

3 - وأن فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضارة الإنسانية وزيادة الأمن والرخاء .

4 - وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها إلى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

5 - وأن التجانس المذهبي بين سكان العالم الإسلامي يجعل المنطقة في منأى عن الانشقاق الملحوظ في المذاهب الأخرى ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويربدها تفاعلا وفتحا وتقدما .

وتلك أمور تجعل العالم الإسلامي قوة إيجابية مهيبة الجانب مخطوبة الود . يتهيب العدو بأسه ويخشى سلطانه وتجعله أيضا مهيأ للإسهام في بناء الحضارة الإنسانية وإعادة صنع الحياة وانتقاذ البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها وهذه الفوضوية والإباحية والاستعمار والإلحاد .

ثانيا - وإذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع وما لهما من خصائص ومميزات وما لهما من كنوز وخيرات إلى الحديث عن الإسلام نفسه فأننا نجد أنه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وتفتح .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتنزيه البالغ أرقى صورته وأشكاله عقيدة ترفع من قيمة الإنسان لأنها تصله بالله الواحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في مصالحه . « قل هو الله

أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد .

ولا تبيح تلك العقيدة الإسلامية للإنسان أن يتعلق بال مخلوقات أو يدعو ويعبد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . والإسلام من جهة أخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الإنسانية ومصالحها الحيوية في حدود الحق والفضيلة وباعتبار أنه دين توحيد واجتماع أمكن للإسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا وأن يرضي مطالب الروح والجسد حتى توافقا في اعتدال وكونا حقيقة الإنسان المهدب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهديب الاجتماعي أمكن للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادئ .

والإسلام وليد العقيدة الرائقة الرائقة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتفذي العقل وتوقف الفريضة عند حدها وتمطي كل مطمع من مطامع الإنسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها الاحساس بالعمة من غير كبر وروح الثقة في غير افتراء وشعور الاطمئنان في غير تواكل .

ثالثاً - أن الإسلام متعل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والإسلام قادر بطبيعته الدائمة على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التباور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الأمم في حركتها الداخلة المتعددة عبر العصور .

والإسلام ينظر إلى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالإضافة إلى أنه ديسن يهتم بالجانب الروحي من الإنسان ويريد منه أن يتحمل الخلافة في الأرض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بالحرية والأخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها وأقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا إلى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : أنه ما من شيء بهم الإنسانية ويشغل بالها ويأخذ قسطاً من عنايتها إلا وله في الإسلام هدى وبيان واهتمام وما من شيء يلامس حياة الناس أو يتمبها إلا وله في الإسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الإسلام بوحدة العقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع في مظاهر العبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الأهداف والغايات من الحياة .

ربما - أن تعاليم الإسلام الفراء صالحة لكل زمان ومكان وفي الإصلاح الإسلامي من كليات وجزئيات ما هو كفيل بقيام مجتمع إنساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والإخلاص ولكن ذلك رهين إرجوع المسلمين إلى منابع مزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم الأخلاقية الإسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجدوات المتقدمة التي لا يخبو ضوؤها .

قال الدكتور جورج سارطون : « أن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية - كما كانوا من قبل - إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعنوم التي حث الإسلام على الأخذ بها . »

وقال العلامة داميري : « أن روح نظام المسلمين هو الدين والذي أحياهم هو الدين والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس إلا . »

ويرى الدكتور فيليب حتى : « أن الشرق الإسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما أنه في فجر طور جديد في حياته السياسية وهو دور يمكن أن نسميه دور الإبداع والابتكار ضمن إطار الميراث الخالد من القيم الدينية والأدبية . ولنا أن نتكهن أن إنشاء الثقافة الإسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم في خدمة المدنية والإنسانية . »

والدكتور سمث استاذ ورئيس قسم الديانات بكاية ووتر بولاية أوهايو يرى أنه لو أمكن إزالة التماسك الإسلامي في سبيل افراض إيجابية وتكتيل الاسم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية لا يمكن أن تصبح هذه الوحدة قوة إيجابية في العالم ..

(يتبع)

نقد الكتب

الدكتور مدوح عتي

وخير في المكتب الدائم ،

2 - نفحات الخليج ، عبد الله سنان محمد
260 صفحة من القطع الكبير .

3 - بيت من نجوم الصيف ، علي السبتي
172 صفحة من القطع الصغير .

4 - النور من الداخل ، محمد الفايض
260 صفحة من القطع المتوسط .

5 - الطين والشمس ، محمد الفايض
98 صفحة القطع الصغير .

أما الأول والثاني فشمعهما اباعي النسيج ، البيت فيه شطران والقافية موحدة . إلا أن موضوعاتهما متلاحمة مترابطة كأنها قصة ذات مقدمة وموضوع ونهاية ، وفي ذلك تفوق حسن على كثير من الشعراء الاباعيين المعاصرين ، لولا أن لفتها ليست من القوة بحيث تشبه لغة كبار الشعراء .

وأما الثلاثة الأخيرة ، فقد سلكت طريق الشعر الحر ، أصابت في بعضه وضعفت في بعضه الآخر . وموضوعاتها على العموم رومانسية تذكرنا بشعراء النهضة الأوائل في لبنان وسوريا ومصر .

وفي طريقة العرض ميل إلى الرمزية ، فديوان الطين والشمس مثلاً ، يعرض الشاعر في كل صفحة ثلاثة أبيات ، وأحياناً بيتاً واحداً ، وأحياناً صورة رمزية كرجل مصلوب ، أو رجل عريان قاعد على رأس تل وفوق رأسه غراب ... وكلها من الرسم القريب من السريالي . والديوان كله يقرأ بنحو نصف ساعة!!

أماي الآن ثمانية دواوين ثمانية شعراء من الكويت . وقد قرأتها جميعاً بلهفة لاني ما كنت أعلم أن هذه الدولة العربية الصغيرة بحجمها ، القليلة بعدد سكانها ، قادرة على أن تنتج مثل هذا العدد الضخم من الشعراء ، في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ، ولو كان في المجلة متسع لنقدها وتقريظها تفصيلاً لفعلت ، وأنها لجديرة بذلك ، ولكنني مضطر إلى مرضها مجاملة ، تمريراً بها ، ولئلا يفوت قراءنا العلم بالنهضة الادبية المتوثبة في هذا القطر الحبيب .

ولاحظت أن ثلاثة من هذه الدواوين أنشئت باللهجة الكويتية ، ويسمونها هناك « اللغة النبطية » فهمتها كلها ولم يفتني منها إلا القليل النادر ، وهذا ما يؤكد لي بأن اللهجات العربية ، مهما تباعدت الاقطار فيما بينها ، هي متقاربة جداً سواء بمفرداتها أم بتراكيبها . كما اني لاحظت ارتفاعاً بمستواها عما كنت أعلمه فيها قبل بضع سنين ، وهذا دليل واضح على الاتجاه الطيب الذي تتجه إليه اللهجات العامية في جميع بلاد العرب نحو اللغة الفصحى . ومع أني أعجبت بشاعرية أصحاب هذه الدواوين الثلاثة ، السادة : وليد جعفر في « آهات قلبي » وعبد الله عبد العزيز الدويش ، وصقر النصافي ، فاني لا أراه أكثر من شعر محلي .

أما الدواوين الخمسة الأخرى ، فلفتها عربية فصيحة على تفاوت فيما بينها قليل

1 - ديوان صقر الشبيب 460 صفحة من القطع الكبير .

الا ان شامية هذا الشاب قد تستوقفك احيانا
للتأمل والتفكر .

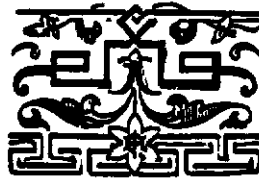
واحب ان اشير هنا الى كتابين آخرين تلقيناها
من الكويت كذلك هما :

1 - دوايات كويتية - فاضل خلف
154 صفحة من القطع الكبير .

2 - ادباء الكويت في قرنين - خالد سعود
288 صفحة من القطع الكبير .

وهما كتابان جيدان يوضحان كثيرا مما غمض
في تاريخ الكويت الادبي ، وبشرحان كثيرا مما تعقد
على الدارس فهمه . وقد اتكات عليهما وساعداني
مساعدة مجدية في تفهم شعراء الكويت فصيحهم
ونبطيهم .

اما الكتاب الاخير الذي وقفت عنده كثيرا على
صفر حجمه (93 صفحة من القطع الصغير) فهو
« مقالات عن الكويت ، لاحمد البشر » فقد عرض
جزءا من تاريخ الكويت الادبي القديم وجلا ناحية لم
يسبقه اليها احد : اثبت بان جبل كاطلة الذي دفن
فيه غالب بن صعصعة والد الفرزدق ، ما هو الا المكان
المسمى الآن « امقيرة » قرب الجبراء . وان « الفرزدق »
نشأ بين قومه هناك ، وانه كان يثوب اليه بعد كل
سفر . وعلى هذا فالفرزدق سيد شعراء بني امية
الاول ، ما هو الا شاعر كويتي ، واذا لم يكن للكويت
من فخر في تاريخها الادبي الا انها انجبت مثل
الفرزدق لكفيت بذلك فخرا .



الموسيقى لغة الروح

الأستاذ ابراهيم الدرويش المصري
مفكر التريّة الموسيقية في سوريا

ولما كان التفكير بتأثير بالمؤثر الخارجي وبالظروف الآتية التي ينشط فيها ، فإن النتيجة التي يصل إليها في حالة التأثر بالموسيقى ، هي نتيجة لا شك أنها من مقومات الفهم التام والجمال المجرد الذي يتجه ناحية الخير .

ولم يعد أثر فن الموسيقى محصوراً في إطار الأذن وأشباع الحواس ، كنوع من الترف والكماليات كما كان شأنها فيما مضى ، بل تعداه إلى تادية خدمات جليلة في كل ميدان من ميادين التربية والمادة والمجتمع .

وكانت الحرب العالمية الأخيرة اختباراً قوياً لقيمة هذا الفن في ميادين عدة كالتوعية والتوجيه والترقية .

ولقد أدت الموسيقى دورها من قديم كوسيلة للدعاية المشمرة . فقبل قرن مضى تقريباً كانت « بولونيا » لا تعدو كونها أمة مستعبدة تتناوب حكمها دولتان قويتان ، روسيا والمانيا وكانت أخبار كفاح شعبها الباسل - نظراً لتأخر وسائل المدنية آنذاك - تصل مشوهة لا تلفت ولا تثير إلا عطفاً وقتياً . لقد أخفقت السياسة وفشلت الدعاية في لفت انظار العالم إلى نصرة بولونيا الجريحة ولكن الموسيقى نجحت فيما أخفقت فيه جميع الوسائل ونجح موسيقى في استدراار العطف على أمته وإثارة ضمير الإنسانية في صالح بلاده . فقد مور شوبان في مقطوعته (البولونية)

على الدرويش علم من اعلام الموسيقى في القطر العربي السوري .

ياخذ موقفنا من الموسيقى أوضاعاً ثلاثة :

1 - نستمع إليها كوسيلة لترفيه والطرب ، والاستماع الفني .

2 - نبحتها كعلم وفن وصناعة ومهنة .

3 - نبحتها في أثرها العام كثقافة ولدوق وتوعية وتوجيه ، وفي أثرها التربوي الخاص ، وهو ما يهمننا في هذه الكلمة .

الموسيقى فن رفيع بل لعله أرفع الفنون .
هي لغة الروح المجردة عن المادة ، المنطلقة من سلاسل الحياة وقبورها . هي لغة نبيلة تستطيع أن تأنس إليها كل روح ويطمئن إليها كل قاب لأنها الصدى الذي يعبر عن مشاعر لا تستطيع لغة الكلام أن تجاريها فيها . وارتباط الموسيقى هذا الارتباط الوثيق بالعاطفة الإنسانية يجعل تأثيرها أمضى وأكثر من غيرها من الفنون الجميلة في توجيه الروح والقلب وفي تفتح الطاقات وتفجيرها ، كخطوة أولى في سبيل توجيه الفكر البشري .

لأن تأثير الموسيقى لا يزول بتأثير النفخة واللحن المنبث من الآلة الموسيقية أو من الحنجرة البشرية ، إذ أنها تنقل المشاعر إلى عالم جميل علوي يستسيغه العقل ويعمل فيه بعربة وحيوية .

كفاح شعب جريح وصور في الحانها نداء الحق الممضوم فاذا بهذه المقطوعة الموسيقية تسدي خدمة لم تسدها السياسة قط الى شعب مناضل مكتم . وتحيرت بولونيا لان موسيقى (شوبان) قد حركت الضمير البشري .

ومندي اكثر من مثال على ان الموسيقى تستطيع باشراف الدولة ان توجه الجماهير والشباب والاجيال في التربية والتوعية الهادفة ، توجيهها كليا .

مثالنا على ذلك موسيقى (فاكنر) الالماني التي ادت دورا هاما في حياة المانيا ، فقد اوحت مقطوعاته الى الشعب الالماني روح النضال والكفاح في سبيل البقاء والاتحاد ، وكانت هاملا قويا في تكوين المانيا ايام حرب السبعين ، ثم استخدمت ثانية في النهوض بالمانيا بعد هزيمتها في الحربين العالميتين الاولى والثانية فقد ادخلت في البرامج الدراسية وفي الشهادات العامة وبثت في نفوس الشعب الالماني فوجيته الى التفاني في محبة الوطن والقومية وخدمت اغراض السياسة ايضا .

وقس على ذلك نشيد (المارسيلاز) الذي كان من عوامل حماية الثورة الفرنسية وقد الف كلماته ولحنه الشاعر (روجيه دي ليل) . وانشيد معركة بور سعيد العربية عام 1956 واخص بالذكر نشيد (الله اكبر) ، ثم بعض اناشيد الثورة في الجمهورية العربية السورية . وهناك امثلة لا حصر لها .

ولم يقتصر عمل الموسيقى على الميادين الروحية بل تعدتها الى الميادين العملية ، اذ ان استخدامها في المصانع خلال الحرب الاخيرة ومسا بعدها ، قد ادى الى زيادة الانتاج زيادة كبيرة ملحوظة .

ولا اهلالي اذا قلت بان الدول الكبرى كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ومعظم الدول النامية واخص بالذكر سويسرا التي ظهر فيها المربي (جاك دلكروز) مؤسس مدرسة التنظيم والتربية الموسيقية عام 1913 - كانت سبابة في ادخال الموسيقى كوسيلة من وسائل التربية ، فقد اثبتت الاختبارات العلمية الدقيقة ان الموسيقى تلعب دورا هاما في تكوين شخصية ونفسية الطفل في سنينه الاولى وفي دور المراهقة والشباب ايضا . ولذا اصبحت الموسيقى من مقومات الحضارة الحديثة كعلم وفن وصناعة ومهنة ووسيلة خطيرة من

وسائل الدعاية والتوجيه والتوعية والتربية والتعليم . كما ان الموسيقى تريح العقل كما يريح الاستجمام الجسم لماتبته من نشاط فكري نشاهد اثره واضحا جنبا في تفكير الطفل وزيادة قابليته للفهم والاستيعاب . وهكذا نلمس للموسيقى اثارا ثلاثة في التربية:

1 - اثرها في التوجيه والتربية العامة للشعب .

2 - اثرها في تربية الروح القومية والمحبة للانسانية .

3 - اثرها التربوي في المدرسة .

لهذا كان لا بد لنا اذا ما اردنا ان نقوم على تربية جيل جديد يتوقف عليه ازدهار شان امتنا ان نأخذ بعين الاعتبار مسألة ادخال الموسيقى بصورة جدية في وسائل التربية كعنصر اساسي للتربية النفسية والخلقية وتقريرها في مناهج التعليم العام بجميع مراحلها واعتبارها في الشهادات العامة ، والعمل على افتتاح المعاهد الموسيقية لرعاة الموهوبين والمعاهد الشعبية لتثقيف الهواة ، وتنظيم الامور الموسيقية والعناية بها باخلاص ونزاهة في كل من الاذاعة والتلفزيون . على ان يكون هدفنا دوما توجيه فن الموسيقى توجيها سليما للتأثير على عقلية رجال ونساء الغد بما فيه دعم بناء الامس .

وارى ان تكون الموسيقى قطعة من حياة الطفل ذكرا كان ام انثى وخاصة في مرحلة رياض الاطفال والتعليم الابتدائي ، وارى ان تربى غرائز الطفل ونفسيته تربية موسيقية وخلقية قوية بتوجيه فني تربوي ، يستطيع ان ينفذ الى مشاعره ويسمو بها .

وبهذا تسهل مهمة المربي والمربية لان الموسيقى اداة فعالة في تدريب عقلية الطفل وتهذيب نفسيته وتوسيع مداركه في الطريق التي ترسمها قواعد التربية .

ولنضرب مثلا للمجهود العربي في هذا المجال بحياة علم من الاعلام الموسيقى في القطر العربي السوري هو الاستاذ علي الدرويش : فقد ولد وتوفي في حلب 1884 م - 1952 م .

كان جده الاكبر من اصل مصري عربي ، خلف ولدا اسماة ابراهيم ، كان ابراهيم هو والد علي الدرويش يشتغل بتجارة الاقمشة وقد نشأ نشأة مصامية دينية ، تعلم القراءة والكتابة في الكتائب

والمدارس الدينية وكان ذا صوت حسن ومن اتباع الطريقة المولوية «التكايا المولوية» في المعهد التركي العثماني ، فكان لذلك اثر كبير ورثه عنه ابنه الصغير علي ، وعندما كان الفتى الصغير علي يدرس في المدرسة الاشرفية الابتدائية ، ينتهز الممثل المدرسية وخصوصا ايام الجمعة ليسرور والده في التكية للاستماع الى حفلاتهم الخاصة ، فكان يستمتع طويلا الى اناشيدهم وموسيقاهم الصوفية وبموجب بها ومن هنا نشأ تعلقه بالموسيقى وشغفه بها .

انس شيخ التكية «عامل جلي» بالشاب علي صوتا جميلا وميلا قويا للموسيقى فاوكل اليه مهمة اداء الاذان في شهر رمضان . ثم طاب من والده ان يلغنه الحان الطريقة المولوية واغانيتهم كي يشترك ابنه علي في حفلاتها وكانت تضم جدران التكية المولوية في ذلك الحين «عثمان بك» الملقب «كجوك عثمان» مؤذن السلطان عبد العزيز سابقا الذي نفاه السلطان عبد الحميد عند توليه الحكم وعلى يدي «عثمان بك» تلقى علي دروسه الاولى في مبادئ الموسيقى وقواعدها الاولى . ثم رار مدينة حلب في هذه الفترة من الزمن موسيقار تركي من أشهر نافخي «الناي» يدعى «شرف الدين بك» وقد اخذ عنه علي الشاب دراسة النفخ بالناي ، وفي تلك الاثناء كان يجمع ما بين دراسته في المدرسة اثناء النهار ودراسته الموسيقية في التكية اثناء الليل . وعندما أنهى دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة العثمانية للعلوم الدينية سابقا وهي «الخسرفية» والكلية الشرعية حاليا وكان من اساتذتها المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ بشير الغزي . وعندما أنهى دراسته في هذه المدرسة بعد اربع سنوات كان ما زال منكبا على دراسته الموسيقية وقد لقب بالشيخ علي لتقدمه في الفن الموسيقي على اقرانه وتفوقه فيه ، ثم لدراسة في المدرسة العثمانية ولقب بالدرويش ايضا لانتسابه الى الطريقة المولوية فاطلق عليه الشيخ علي الدرويش ، وكان يطلق عليه ايضا «علي دده» بالتركية لانتسابه الى الطريقة المولوية . لذلك فقد اتقن هذا الشاب اللغتين العربية والتركية وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة .

وقد مینه بعد ذلك شيخ التكية (عامل جلی) في وظيفة (قدوم زادياشي) رئيس جماعة الموسيقيين في «المطرب» وهو المكان الذي كان يجلس فيه جماعة العازفين والمغنيين اثناء حفلاتهم الخاصة ،

وبقي في هذا العمل زهاء عشرة اعوام متوالية ، كان خلالها دائم البحث والتنقيب عن اصول الموسيقى ودقاتها بصورة عامة والموسيقى والالحان والمؤلفات العربية التركية بصورة خاصة . لذلك فان الشيخ علي تاجر كثيرا بأساليب والحن الموسيقى التركية التي طعم بها الموسيقى العربية بمؤلفاته والحنه، وقد لحن عددا كبيرا من الالحان باللغة العربية ومن الالحان الآلية كالبحارف والسماميات ، ومن الالحان المولوية باللغة التركية وهي الحان مطبوعة بطابع الخشوع والوقار والمعروفة باسم «آيين شريف» ومن الحانه آيين كردبلي حجاز كار وغيره . .

رحل الشيخ علي رحلته الاولى من حلب الى امارة الحمرة في ولاية البصرة وقد ارسل في طلبه امير الحمرة على رأس فرقة موسيقية غنائية وذلك بعد ذبوع شهرته خارج البلاد السورية، وعندما سافر الى الحمرة كان عمره حوالي السابعة والعشرين عاما بعد ان استقال من وظيفته في المولوية نهائيا . وكان تاريخ سفره الى الحمرة ومودته منها ما بين عام 1912 الى عام 1914 م . وقد عاد الى بلده حلب في بداية الحرب العالمية الاولى فقد امضى في ضيافة (الامير خزل) سنتين كان فيهما موضع حفاوته واكرامه مع اعضاء فرقته الموسيقية .

انتهز فرصة وجوده في تلك البلاد فزار البصرة وبغداد وطهران ومنها سافر الى الهند وحل في كراتشي وبومباي ثم قفل راجعا الى حلب ابان الحرب العالمية الاولى ايام حكم السلطان رشاد كما ذكرت.

وفي عام 1914 حتى عام 1923 م . سافر الى البلاد التركية قاصدا استنبول بصحبة شيخ تكيه حلب «عامل شابي» وهناك في استنبول اتم الشيخ علي دراسته العالية في الموسيقى في معهد «دار الالحن» الشهير . وقد عين بعد ذلك مدرسا للموسيقى في مدينة «قسطنطين» وهي مركز ولاية قسطنطين الواقعة شمالي تركيا قريبة من شاطئ البحر الاسود . وقد ألف في مدينة قسطنطين فرقة موسيقية نحاسية امضاؤها من طلبة المدارس الثانوية ودور المعلمين والصنائع والميتم الاسلامي كانت هذه الفرقة تعزف في المناسبات الرسمية وغيرها . وكانت اقامته في مدينة قسطنطين تسع سنوات تزوج خلالها من هناك .

وقد انجز في هذه الفترة كتابا في دراسة الموسيقى من تأليفه في خمسة الى سبعة ابواب . . ثم

اذن ملكي صادر في سراي راس التين بالاسكندرية في 18 تشرين الاول عام 1931 م. وذلك للسفر مع ديرلنجيه الى تونس للعمل معه على اتمام ابحاثه في الموسيقى العربية .

وقد اشترك للشيخ علي في عام 1932 م . في مؤتمر الموسيقى العربية الذي عقد في مدينة القاهرة بدعوة ملكية رسمية . هذا المؤتمر المشمول بالرعاية الملكية والذي اشترك فيه نخبة من اساتذة الشرق والغرب ودام انعقاده قرابة شهر . سافر الشيخ علي الى تونس ومكث هناك من صام 1931 م حتى عام 1939 أي حتى بداية الحرب العالمية الثانية . عندما سافر الى تونس عام 1931 م . كما ذكرت سابقا ومكث هناك عدة اشهر ، عاد الى القاهرة بعد ان طلب رسميا لمؤتمر الموسيقى العربية وائر انتهاء هذا المؤتمر سافر الى تونس صحبة البارون ديرلنجيه للعمل معه على اتمام ابحاثه ودراسته حول الموسيقى العربية بعد ان ترك القطر المصري نهائيا ، وبعد شهرين من وصوله الى تونس الخضراء ، تعاقد مع وزارة المعارف التونسية في معهدي المطارين والرشيديّة لتدريس الموسيقى . فمكث في تلك الديار ذهاء ثمان سنوات كان يطوف خلالها مع ديرلنجيه في جميع البلاد التونسية وشمال إفريقيا للبحث عن الألحان الباقية من آثار الاندلسيين الذين هاجروا قديما الى تونس والقيروان واكثرهم من سكان قرطبة وغرناطة واشبيلية وقد كلفت هذه الابحاث البارون ديرلنجيه مبالغ طائلة ولكن الشيخ علي وفق اثناء ذلك الى جمع وتكوين اربعة عشر « نوبة أندلسية » وعشرين ملحقة لهذه النوبات وجملة موشحات أندلسية . وقد استطاع الشيخ علي الاحتفاظ لنفسه بنسخة من هذه النوبات والموشحات الاندلسية لتكون في حوزته .

وقد اسس الشيخ علي هند عودته الى مدينة حلب خلال العطل الصيفية مع رهنط من اصدقائه من هواة الموسيقى حوالي عام 1934 م . ناديا موسيقيا لتدريس الموسيقى ونشرها باسم « النادي الموسيقي بحلب » وكان مقره وقتئذ في باب النصر . ثم انتسب عضو شرف في نادي « دوحه الميماس للموسيقى والتمثيل » في مدينة حمص وكان في تلك الاثناء عضوا عاملا في حزب الكتلة الوطنية الذي كان يتزعمه الزعيم الراحل ابراهيم هنانو ضد الانتداب الفرنسي، فلحن الكثير من الاناشيد الحماسية والوطنية في مناسبات عديدة . فاذا ما انتقضت العطل الصيفية عاد الشيخ علي الى مقر عمله في تونس . . وقد عمل

عاد بعد ذلك الى مدينة حلب تاركا في قسطنطيني اجمل الذكري وخلف عددا من التلاميذ اصبحوا اساتذة من بعده . . وعندما عاد الشيخ علي الى اهله وذويه في حلب كانت سوريا حينذاك تحت الانتداب الفرنسي . مكث ثلاث سنوات الف خلالها الكثير من الالهام الفنائية والآلية . مثل سماوي عجم وشيران وسماهي نهاوند ولونقا فرحفا وغيرها . وقد بحث في هذه الفترة من الالهام العربية القديمة التي اشتهرت بها سوريا وخاصة مدينة حلب فجمع من التراث العربي الشعبي القديم وغيره ودونه وسجله بالعلامات الموسيقية الحديثة كالموشحات والتقدود والادوار وفاصل « اسق العطاش » ورقص السماح مع تدون الحانها .

ثم انتسب عضوا عاملا الى نادي « الصنائع النفسية » وكان من اعضائه الاساتذة المرحوم شرف الدين الفاروقي والدكتور فؤاد رجائي والاستاذ سعد الدين القدسي مؤسس النادي وغيرهم .

وفي هذه الفترة سافر علي راس فرقة موسيقية الى استانبول ، نال هناك نجاحا باهرا ثم عاد مصطحبا معه عددا ضخما من الكتب والمؤلفات الموسيقية في شتى الفروع والاختصاصات في اللغات التركية والعربية وغيرها ، وفي عام 1927 م حتى عام 1931 م رحل الشيخ علي الى القطر المصري ، بعد تسلمه دعوة رسمية من النادي الموسيقي الشرفي بمصر الذي اسس في القاهرة عام 1913 م . ذهب لتدريس الموسيقى هناك بعد ان اتفق اعضاء النادي المذكور الذي شمله الملك فؤاد الاول برعايته وعلى راسهم رئيس النادي مصطفى بك رضا ، على شراء كتاب مؤلف في الموسيقى للشيخ علي وتدريبه مدة اربع سنوات بصورة مبدئية على ان يكون للنادي الحق في نشر الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وتعرف اثناء اقامته في مصر على كثير من الشخصيات الفنية وغيرها . ودرس عليه في هذه الاثناء بعض المشهورين الان كلاساتذة : محمد عبد الوهاب ، رياض السنباطي والسيدة ام كلثوم . وكان الشيخ علي يعود الى حلب خلال عطلة النادي صيف كل عام . وفي عام 1931 م اي قبل انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية بسنة واحدة تعرف الشيخ علي في مصر بمستشرق انجليزي يدعى البارون ديرلنجيه والذي دعاه هذا الاخير للعمل معه في تونس لاتمام ابحاثه في الموسيقى العربية بعد ان اعجب بمقدرته الفنية ثم استحصل له من طريق النادي الموسيقي الذي كان يعمل فيه على

ايضا في الاذاعة التونسية وقام من تونس مع بعض الاصدقاء برحلات الى اوربا وحضر بعض الحفلات الموسيقية لدور الاوبرا والسفونواذ كان يجب جدا بتلك الموسيقى التي وصلت الى ما وصلت اليه في تطورها من الرقي والكمال .

وفي هذه الاثناء توفي البارون دريلنجيه مأسوفا عليه بالنظر لخدماته الجليلة للموسيقى العربية وقبل مغادرة الشيخ علي الديار التونسية انعم عليه باي تونس آنذاك بوسام الافتخار من الدرجة الثالثة تقديرا له على خدماته للموسيقى العربية في المملكة التونسية .

وفي ابتداء الحرب العالمية الثانية عام 1939م قفل الشيخ علي راجعا الى وطنه تاركا آثارا طيبة واصدقاء وتلاميذ أصبحوا عمدة النهضة الموسيقية في تونس ومنهم الاستاذ صالح المهدي رئيس اللجنة القومية للموسيقى حاليا ، وعندما عاد الى حلب الف كتابا في الموسيقى بعنوان « النظريات الحقيقية في علم القراءة الموسيقية » .

وفي عام 1942 م . عين الشيخ علي مميذا ومدرسا في المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق .

وفي عام 1944 م . سجل في محطة الاذاعة في القدس بفلسطين نخبة كبيرة من الموشحات القديمة ثم عمل مدرسا في معهد الفنون الجميلة في بغداد من عام 1945 حتى عام 1951 م . وقد سجل في اذاعة بغداد ايضا عدة تسجيلات من الموشحات القديمة وبقي هناك زهاء ست سنوات ، وفي عام 1946 م . كان الشيخ علي الدعامة الكبرى في تأسيس المعهد للموسيقى في حلب ولدى عودته الاخيرة الى الوطن عام 1951 م . عاد الى عمله السابق في المعهد الموسيقي ، هذا المعهد الذي أسسه المرحوم الدكتور فؤاد رجائي ثم عين الشيخ علي الى جانب عمله في المعهد مستشارا فنيا في دار الاذاعة السورية في حلب الى ان وافته المنية في مدينة حلب يوم الخميس المصادف في 12 ربيع الاول 1371 هـ . الموافق في 26 تشرين الثاني عام 1952م

من عمر ناهز الثامنة والستين وقد شيعت جنازته في حفل رهيب مشى فيها بعض الهيئات الحكومية وقد جاء خصيصا من اساتذة المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق للاشتراك بتشجيع جنازته الى جانب اساتذة وطلاب المعهد الموسيقي في حلب حشد كبير من الجمهور ، ودفن في مقبرة آقبول بحلب .

واورد هنا مقتطفات من قصيدة شعرية للشاعر التونسي محمود بورقيبة يمتدح بها فيف تونس حينذاك المرحوم الاستاذ علي الدرويش عنوانها :
- رابطة الفن بين تونس وشقيقتها سوريا -

يقول الشاعر محمود بورقيبة :

لمدة الفن اجلاسي واعظامي
الى «علي» الى ذي المركز السامي

الى الذي حل بالخضراء فافترفت
من فنه علم اوزان وانغام

الى الذي كان يلقي من شبيبته
دوما عواطف تقدير واكرام

الى ان قال :

« علي » بلغ لسوريا الشقيقة من
خضرائنا كل تبجيل واعظام

وعد لتونس يا استاذ عبودة ار
هار الربيع لها في عذب بسلام

وانشر باجوالها فنا رفعت له
راسا كريما فاضحى شامخ الهام

الى ان قال :

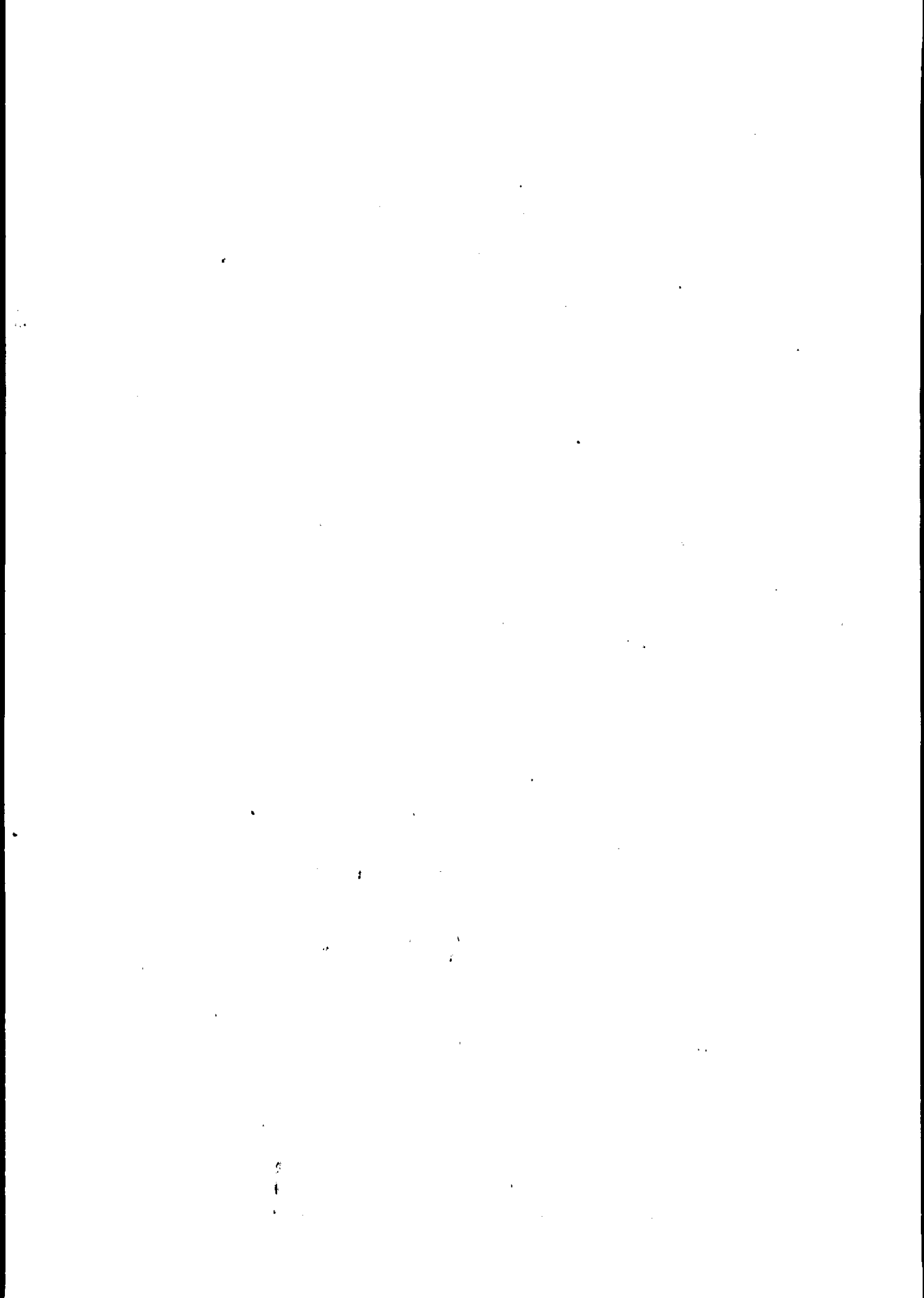
سر عمدة الفن نحو الشام وابق لنا
الذكرى المزيذة ذكرى خير اسام

واحمل الى الشام من خضرائنا ارجا
عربون ود عبيق بالحشا نامي

والشرق في صدره لا زال يجمعنا
والفن قد ربط الخضراء بالشام

المعلمة العربية

- التحقيق العلمي عند الدكتور مصطفى جواد
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- الفكر العلمي العربي في شخص العباس بن فرناس
للاستاذ سعيد الديوه جي
- اعلام اللغة : احمد فارس الشدياق
للاستاذ محمد جميل بيهم
- تاريخ جامعة الدول العربية
للشيخ طه الولي
- مروبة فلسطين
للدكتور اسعد حومد
- دراسة حول نهاية الادب للنويري
للاستاذ عبد الحليم الندوي



التحقيق العلمي

عند الدكتور مصطفى جواد

محمد إبراهيم الكنائي، الأستاذ في جامعتي القرويين
ومحمد الخامس « المغرب الأقصى »

أوفد المكتب الدائم الأستاذ محمد إبراهيم الكنائي ليمثله في حفل تأبين
المرحوم الدكتور مصطفى جواد ببغداد وقد ألقى الأستاذ باسم المكتب الدائم المحاضرة
الآتية :

ومنها الأخذ من نحو البصريين دون الكوفيين ، مع أن
مذهب البصريين مناب لطبيعة اللغات .

وفي (الصرف) يبين بطلان فكرة (المطاوعة) و
(المصدر الصناعي / و) (عدم النسبة للجمع) .

وفي مشكلة معجمات العربية ومرداتها يذكر أن
اللغة العربية محتاجة إلى معجمات تستوعب الفصح
وغير الفصح ، والقديم والمولد ، والعربي والمغرب ،
كما ورد في كتب المسلمين إلى زمن انتطاع الفاليف
المتن .

يذكر أن الكلمة العربية لها قيمتان دائماً ، قيمة
معجمية لا حياة فيها ، وقيمة استعمالية هيوية ، وأنك
إذا تصلحت هذه المعجمات اللغوية المتداولة قلما
تجد الشواهد القرآنية لاستعمال الكلم مع أنها أقدم
الشواهد تسجيلاً وأصحها .

فالمعجمات ينبغي فيها أن تأخذ وجوه استعمال
الكلمات في القرآن الكريم ، وتجب دراسة القرآن
دراسة لغوية ودراسة نحوية موداً على بدء . ففي ذلك
نمى للمربية من كيوتهما وتقوية وتوسيع .

ويقرر أن من أعظم ميسرات العربية على
طالبها والكتاب الناشئين وضع (قواعد عامة)
تغنيهم في كثير من الإهيان عن مراجعة المعجمات ،
وتدم 16 قاعدة أمثلة لما يقترحه من القواعد .

إن الناظر في كثير من آثار الفقيه الدكتور مصطفى
جواد رحمه الله ، — ولو كان معجلاً ، يتجلى له
بوضوح متانة ثقافته واتسامها وعمقها ، وأعلامه
الواسع ، واستقلاله الفكري ، ومعرفته الكبيرة بالكتب

لهو ذو ثقافة لغوية متينة . شديد الحرص على
سلامة التعبير العربي من المسخ والانحراف من النهج
السليم . وهو في نفس الوقت شديد العناية بمسايرة
اللغة العربية لركب التطور ، ومواجهة المشاكل التي
تعرض سبيلها ، وهو إذا كان عارفاً بالتراث معترفاً
به قادراً له حق قدره ، فإنه في نفس الوقت يفرق من
معرفة واسعة بين ما هو من جوهر العربية وذاتيتها
القائمة على أساس المقدسات التي لا تحتل تطوراً ولا
تبديلاً . وما هو من اجتهادات المجتهدين التي يحق
لغيرهم أن يناقشهم فيها وأن يدلي من جهته بتجربته
الخاصة ، حسبما جرت عادة الباحثين في عصر
ازدهار الفكر العربي . وهو بهذا التفكير الأصيل المتحرر
في نفس الوقت ، يواجه مشكلة المصطلحات ومشكلات
نحو العربية وصرفها : من الجود وعدم الإبداع ،
ويعنى بالجهود اتباع قديما النحويين في سرد القواعد
من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من
الضرورة .

ويذكر من أسباب اختلال النحو اختلالاً فاحشاً
حصله عما يسمى (علم المعاني) الذي كان من النحو ،

**والدقة في التعبير ، وعدم القاء الكلام على مواضعه ،
والعفة في المنطق ، والتواضع وعدم الدعوى .**

وكما يتجلى فيها بوضوح شغفه الكبير بالكتيب
ومعرفته الواسعة بمطبوعاتها ومخطوطاتها ، والصحيح
والسقيم من طبعاتها ، وما هو منسوب خطأ لغوي
مؤلفه ، ومن هو مؤلف بعض من جهل مؤلفه منها وما
هي قيمتها ، وما هو تام منها وما هو ناقص ، والموجود
منها وامكنة وجوده ، وما هو مجهول المكان ، فان ذلك
يتجلى ايضا فيما نشره عن الكتب من دراسات
ومتالات لا تعد ، مما يؤكد صحة ما قاله الفقيه رحمه
الله عن الكتب والمخطوطات في الحديث الذي نشرته
مجلة (اقليم) في الجزء الاول من السنة السادسة بقلم
الاستاذ سالم الالوسي : (انها عماد حياته وسر
بقائه) .

وقديما قيل : (العلم معرفة المظان) فمن لم
يعرف المراجع التي تناولت الموضوعات المختلفة وقيمة
هذه المراجع من الناحية العلمية ، لم يستطع معرفة ما
يحتاج معرفته او لم يكن على ثقة من صحة ما يجده
فيها .

ومن امثلة تحقيق الفقيه العلمي في دراسته للكتب ،
بحثه القيم عن (الضائع من معجم الادباء) لياتوت
الرومي الحموي ، فقد بين فيه وقوع النقصان فيه ،
وفي مواضع لم ينسبه لها ناشره مرجليوت ، وفقدان
القسم الثاني من الجزء الثالث والشك في كون الجزء
الرابع أصلا أو مختصرا فقط ، وان السابع مختصر
مقط ثم شك في ان يكون كل من الجزئين الرابع
والسابع منتزعين من (معجم الشعراء) لياتوت
الحموي ، ان لم يكونا جزئين منه ، ثم عقب بذكر
تراجم تعتبر ضائعة من معجم الادباء عثر عليها من
مطالعائه وتصفحاته ، وقد وفقت منها على 46 ترجمة
في العديدين السادس والسابع من مجلة (المجمع العلمي
العراقي) وقال : له صلة ، فما ادري انشر شيئا بعد
ذلك أولا ؟

ويعتبر ميدان تحقيق المخطوطات من ابرز ميادين
التحقيق العلمي .

وغير خاف انه كان للعرب والمسلمين في عصور
ازدهار الحضارة العربية والثقافية الاسلامية تقاليد
رائعة في ميدان تحقيق المخطوطات ، فقد كان المؤلف
يكتب تاليه ويصححه ، ثم يمليه على الطالب وهو
يكتب ثم يقرأ الطالب على المؤلف ما كتبه والمؤلف
يمسك نسخته ، فيصحح الطالب بين يدي المؤلف ما

وكل هذا في مقدمة محاضراته عن (المباحث
اللغوية في العراق) وقد اشار في اواخرها الى
مؤلفاته في هذه الموضوعات : (المعجم المستدرك)
الذي نشر منه شيئا في (مجلة المجمع العلمي العراقي
تحت عنوان (مبحث في سلامة اللغة) و (المصباح
النذير ، المصباح المنير) و (قل ولا تقل) و (فقه
اللغة العربية) على حسب مباحث العلم الحديث في
المباحث اللغوية ، وقال : ان فيه مباحث من قبيل
الابداع ، لا التحسين والاتباع ، (وكتاب القلب
والابدال) قال : وتغلب عليه الجودة والاستنباط .
و (نهج السداد ، في كلام النقاد) و (معجم الجبل
العربية - الفرنسية) وحقق ونشر بالاشتراك
(الجامع الكبير) لابن الاثير في البلاغة . وقد كان يعرف
الى جانب العربية والفرنسية الفارسية والالمانية .

وهو كذلك ذو اطلاع واسع في التاريخ وعلومه
المختلفة من تاريخ الحوادث والتراجم والحركة الفكرية
ووصف البلدان واتوال الرحالين والادباء في ذلك .

وقد نشر في هذه الموضوعات كثيرا من المؤلفات
والبحوث والدراسات ، وحقق كثيرا من المخطوطات

مثل دراسته عن (ابن الفوطي / وعن) بقية
الادارة بمصر) ، وعن (أصلهان ، معقل الادب
العربي في ايران) و (معجم مواضع واسط واعيان
واسطيون من حملة العلم والاثار) و (الثقافة العقلية
والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا) و (الفتوة
وأطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين) و
(جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين)
و (علم ابن النديم باليهودية والنصرانية) وكلها نشرت
بمجلة المجمع العلمي العراقي ، و (سيدات البلاط
المباسي)

كما نشر بالاشتراك (دليل خارطة بغداد) وحقق
وعلق ونشر (الجزء التاسع من الجامع المختصر ،
و (نساء الخلفاء) كلاهما لابن السامي . و (تكملة
اكمال الاكمال) لابن الصايوني ، و (المختصر المحتاج
اليه من تاريخ ابن الدبشي) والقسم الرابع من
(تلخيص مجمع الاداب لابن الفوطي) . وهذه الآثار
- وغيرها - من آثار الفقيه الى جانب كونها تدل على
سعة ثقافته وتنوعها ومهتها وأصالتها ، تتسم في
الغالب بطابع التحقيق العلمي ، من جهة .

وتدل من جهة أخرى على ما كان يتصف به
الفقيه من الكثير من أخلاق العلماء ، من التثبت والتعري

المتعلمين الى الميدان — وفيهم من يحملون شهادات عليا من جامعات اجنبية — وتياهم بأعمال مشوهة باسم التحقيق العلمي ، ممن دعا الى وضع رسائل عن المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات ، فيها الاصيل وفيها المنقول .

وقد كان النقيذ — رحمه الله — من ابرز العاملين في ميدان التحقيق العلمي للمخطوطات ، ولكننا لا نعرف له رسالة خاصة أو مقالا عن المنهج العلمي لهذا التحقيق (1) وبالرجوع الى بعض أعماله في هذا الميدان نستطيع استخلاص بعض آرائه في الموضوع .

وستنخل عنه في رسالة (نساء الخلفاء) لابن السامي التي نشرتها (دار المعارف) بمصر بدون تاريخ ضمن سلسلة (ذخائر العرب) رقم 27 مرجعا في هذا البحث .

1) اسم الكتاب

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء من الحرائر والاماء) وسماه صاحب (كشف الظنون) (نساء الخلفاء) لجمع المحقق بين الاسمين بتقديم الثاني لوضوح معناه ، وتأخير الاول نظرا لعدم استمرار استعمال كلمة (جهة) فيما كانت تستعمل فيه .

2) مؤلف الكتاب

لم يكتب اسم المؤلف على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

وقد نسبة الاستاذ مكرم بن خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول الى كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطى المؤرخ ، متصدي المحقق لبيان بطلان هذه النسبة التي لا دليل عليها لا في الكتاب ولا خارجه ، وقدم أربعة أدلة على انه لابن السامي لا لابن الفوطى استغرقت خمس صفحات .

ثم بين خطأ أهمل كتابة اسم المؤلف على الكتاب ، وذكر ان المؤلف المعروف في زمن قد تذهب شهرته أو كثير منها في عصر آخر وأورد امثلة على ذلك

3) التعريف بالمؤلف وعصره

لقد كان الترتيب الطبقي يقتضي تأخير التعريف بالمؤلف وعصره الى ما بعد اثبات انه ابن السامي لا

عساه يكون قد صدر منه اثناء الكتابة من خطأ ، وبعد فراغ الطالب من مقابلة جميع الكتاب مع المؤلف يكتب له المؤلف بخط يده وتوثيقه على نسخته شهادة بان الطالب قد قرأ عليه هذا الكتاب وقابله معه حتى أصبحت نسخته هذه طبق اصل المؤلف ، ويضيف المؤلف لذلك ما مؤداه اعترافه بان هذا الكتاب من تأليفه وانه موافق على صحة هذه النسخة باذنه لهذا الطالب (واجازته) له ان يروي عنه هذا الكتاب ، وهكذا يفعل هذا الطالب عندما يصبح استاذاً مع طلبته ، فتتفرع من نسخة المؤلف الأصلية فروع طبق الاصل بقدر من تراوها على المؤلف وقابلوها بمسحه واجاز لهم روايتها عنه ، ثم تتفرع عن كل نسخة من هذه النسخ المطابقة لاصل المؤلف نسخ عديدة طبق الفروع المنسوخة منها ، وهكذا دواليك .

وقد عرف تاريخ الثقافة الإسلامية نسخا أصلية مصححة ومقابلة استمرت الاجيال المتعاقبة في مختلف الاقطار تتناقلها وتقابل عليها الفروع المستنسخة منها ، وتتصل روايتها عن مؤلفها أو ناسخها بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، وكان اهل العلم يتناصرون ويتغالون في الحصول على هذه النسخ ويعلمون لها قيمتها . على انه لا نكران انه كان الى جانب هؤلاء المتبشرين المتحررين الممتنين طائفة أخرى من النساخ الجاهلين الذين لا ذمة لهم ، مما استحقوا معه ان يسموا بالماسخين !

وظهرت المطبعة العربية أول مرة في أوروبا وقام اهاجم غير مسلمين بطبع بعض المخطوطات العربية لأغراض خاصة . وعلى نطاق محدود ، وكانت عندهم امكانيات مادية كافية ، ولم يكن بعضهم يخلو من معرفة وروح علمية .

وعندما انتقلت المطبعة العربية الى البلاد ذات الثقافة العربية قامت بعض المؤسسات الرسمية باسناد مهمة تصحيح المطبوعات العربية الى طائفة من اهل العلم ، فنشرت مخطوطات مهمة لا تنقصها الصحة في كثير من الاحيان ، ولكن تحول نشر المخطوطات الى عملية تجارية كان نكبة مظلمة للكتاب العربي مسخته مسخا شنيعا ، مما دفع بعض المخلصين للنشرا العربي في بعض البلاد العربية الى القيام بهركات لاتخاذ الكتاب العربي بنشره نشرا علميا .

ولكن هؤلاء المحققين لم يسلكوا منهجا واحدا في التحقيق ، وزاد الامر تعقدا تسرب جماعة من انصاف

(1) علمت بعد القاء هذا البحث في المهرجان التابيني ان له بعضا مخطوطا في الموضوع .

(5) اصلاح اخطاء النسخة

ذكر المحقق انه صحح ما في النسخة من خطأ النسخ ، بالناسخ نقل في عدة مواضع ما لم يلزمه من الكتاب ونسخ ما هو غير واضح ، الى اخطاء املائية يرتكبها .

وقد حدث خلل في النسخة : وهو ان تسما من اخبار احدى المترجمات ادم في اخبار ترجمة اخرى ، فاستوجب ذلك تنبيها واصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك احد قبل المحقق .

ونشير الى ان من محققي المخطوطات من يحافظون على ما في النسخة كما هو صوابا وخطا ، ثم يعلقون في الحاشية ببيان الاخطاء ووجه الصواب فيها ، ومنهم من يصلح الاخطاء ، في الاصل ويذكر في الحاشية ما كانت عليه في المخطوط ، ووجه اصلاحها .

وقد سلك الفقيه هذا المسلك الاخير في (نساء الخلفاء) اربعا وعشرين مرة ، منها ما هو خطأ نحوي ، ومنها ما هو خطأ في الاعلام ، ومنها ما اصلحه اعتمادا على المصادر ، ومنها ما اصلحه لعدم مناسبه المقام ، ومن امثاله :

ومطربها (بمعزفه) ... يؤوب الى نواحيها .
مكان (بمعزفه) قال : لا محل للمعزفه فيه ، وانما العبرة في سيرورة المطرب بمعزفه الى النواحي !

ولكن المحقق ابقى اخطاء اخرى على حالها ونبه على خطئها مثل (الرزازين) التي هي تصحيف الزرادين و (تمر الخلافة) والصواب تمر (الرضاة) (وظهرسي) الداعي العلوي ، وهو قريب من ظهر ابن الداعي العلوي .

وتارة يبقى الخطا على حاله ويضيف كلمة (كذا) اليه . هذا كله فيما اتضح فيه وجه الخطا ، اما ما كان محتلا مانه يبقيه على حاله ويذكر الاحتمال في التعليق ، فقد وردت في المخطوط — مثلا — كلمة (فتلبتها) ويجوز ان تكون (فتلبتها) كأنها عملت ذلك احتراماً لمهديها .

(6) هل الكتاب تام أم ناقص ؟

استظهر المؤلف في تعليق (ص 53) انه ناقص .

(7) هل التزم المؤلف شرطه ؟

ختم المحقق تصديره بان المؤلف لم يلتزم شرط

ابن الفوطي ولا غيره ، ولكن المحقق رأى ان الادلة التي قامت له على انه ابن السامي تنفي كل احتمال ممكن في انه لغيره ، فلهذا تجاهل هذا الاحتمال اولا وتصدى للتعريف بمصر المؤلف والمؤلف فأورد ما قاله ثمانية من الرحالين والمؤرخين من الحالة السياسية في عصر المؤلف . وأورد قائمة بأسماء بعض الشعراء والعلماء ، بمعنى العلم الصحيح ، والمؤرخين .

وفي كلامه على سيرة المؤلف ، ذكر مولده ، وأشار الى عدم وجود ذكر لوالده في التاريخ ، وبين معنى السامي وسامع المؤلف للحديث ، ودراسته الادب والتاريخ ولبسه خرقة التصوف وشيوخه .

ثم ذكر ان بعض من ذكروا المؤلف التمس عليهم اسمه ابن السامي بابن الساماتي ، وبين غلطهم .

وان ابن السامي عرف بالخازن ، وبين معناه وذكر أسماء بعض من كانوا يختلفون الى دور الكتب في هذا العصر ، وان ابن السامي ألف أكثر كتبه في أيام الدولة العباسية ، وان العباسيين كانوا يجيزونه عليها ، وأضاف : وهذا يطعن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق !

ثم ذكر بعض من استمد من تأليفه ، وقيمتهم كمؤرخ وضعف طعن من طعن فيه ، ثم أورد قائمة بأسماء مؤلفاته ومن ذكر كل واحد منها .

ويقع هذا التصدير في 40 صفحة بالحرف الصغير بينما تقع الرسالة بتعاليقها في 92 صفحة أغلبها بالحرف الكبير .

هذا — وقد سبق للمحقق ان حقق ونشر (الجزء التاسع مع المختصر ، في فنون التواريخ وفنون السير) لابن السامي . ومصدره بمقدمة ترجم فيها المؤلف ، وذكر نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها ، والخلافة على عهد الناصر لدين الله فيعتبر عمله في تصدير (نساء الخلفاء) تنبيها لعمله السابق .

(4) مصدر النسخة وصفتها

ذكر المحقق — في التصدير — كيف علم بوجود النسخة ومكانها ، وكيف تم تصويرها ثم اخراجها على الورق وقيامه بنسخها ، ووصف خط النسخة وذكر تاريخها .

كتابه بتضمينه اياه نساء الخلفاء ، فقد اضاف اليه من نساء السلاطين والامراء .

(8) شكل الكلمات -

ويولي التقييد رحمه الله مناية خاصة للكلمات التي تحتل الخطا عند النطق بها فيشكلها بالحركات مثل : المكبري ، وبفا والديشي ، والسهورودي ، والجنابدي ، وخمارويه ، وبنفشا ، والصلح .

وضبط شمة بفتح الشين والميم ، فرارا من قول من قال : ان تسكين الميم من كلام المولدين - وان لم ينبه على ذلك - .

واحيانا يناقش المصادر في ضبطها لبعض الكلمات .

فمربب ضبطها الذهبي بالضم . ولكن ورد في الجزء الثامن عشر من الأغاني شعر يدل على ان المين مفتوحة والراء مكسورة .

وبنان بضم الباء وضبطها مصححوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بالفتح .

(9) تفسير الكلمات المحتاجة الى تفسير

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء) - جمع جهة وهي كناية من زوجة الخليفة او حظيته ، او زوجة السلطان او حظيته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ، واريد بها احيانا السيدة المتزوجة مطلقا . ووردت كلمة (البدنة) في كلام المؤلف واحمد ابن ابي طاهر وابي جعفر الطبري ، بدون تفسير ففسرها واستعمل المؤلف كلمة (الفابرين) بمعنى الباقرين وهذا هو الوجه الصحيح في استعمال الفابرين وهو الوارد في القرآن الكريم ، ولما استعمل الفابر بمعنى الباقين وكونه من الاضداد كما عند ابن الانباري فناقشه - من رأى الحق - من تصحيح المابر بالمعين البهلة .

(10) التعريف بالامثلة الواردة ذكرها في النص

اذا ورد ذكر مكان ، وكل الامثلة الواردة ذكرها من بغداد ، فان المعلق يعين المحل الذي كانت توجد فيه .

مقصود دار الخلافة ومرافقتها كانت في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرقية .

ومحلة نهر عيسى تسمى اليوم محلة السوق الجديد من الجانب الغربي من بغداد وما قاله ياقوت عن نهر عيسى مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي ، واكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب انهار العراق لابن سرائيم .

والظاهر ان سوق الخبازين كان مجاورا لدرب الخبازين المعروف اليوم بدرب العاقولية بشرق بغداد ويعرف بسوق الحيدر خانة .

ومن المعروف ان الحق في هذا الموضوع بالاشتراك - كما سبق القول - (دليل خارطة بغداد) .

(11) التعريف بالاشخاص

يلحق الحق - غالبا - على اسم المترجمة في الكتاب بذكر مراجع ترجمتها ، وبعض المراجع التي لها فيها ذكر ، مطبوعة ومخطوطة ، مع ذكر الجزء والصفحة وكان الطبع وتاريخه - غالبا في كل ذلك - ويذكر في المخطوط - زيادة على الجزء والصفحة - المكتبة التي يوجد بها ورقه ، والمكتبة التي توجد بها صورة منه ان كانت هي التي رجع اليها ، ويكرر ذلك كلما ورد ذكر الكتاب .

وقال من واحدة انه لم يجد لها ذكرا في كتب التاريخ والادب التي وصلت اليها يده سوى كتاب واحد وقال من اخرى انه لم يقف على ذكر لها في كتاب آخر .

ولكنه لم يشر الى مراجع 16 ترجمة ، فالظاهر انه لم يقف على ذكره من غير ان ينبه على ذلك .

(12) الرجوع الى المراجع التي اعال عليها المؤلف

من ابسط قواعد التحقيق العلمي ان يتأكد الحق مما ينقله المؤلف من مرجع من المراجع . فيعرف هل هو موجود فيه أولا ، واذا كان موجودا لما هو بمقدار مطابقته لما نقله منه المؤلف .

وقد نبه الحق على عدم وجود بعض ما ذكره المؤلف في المصدر الذي رجع اليه .

محمد بن الأخضر ، ومحمد بن داود هو ابن الجراح ،
والمشهور بابي عبد الله الحنبلي في عصر ابن النجار
هو أبو عبد الله محمد بن مكي بن أبي الرجاء الملقب
تقي الدين .

(15) التنبيه على أوهام المراجع

ويولي التقيد رحمه الله عناية بالغة للأوهام
الواقعة في المراجع يهتم بالتنبيه عليها وبيان الصواب
فيها ، فقد نسب ابن خلكان للسمعاني أنه ضبط كلمة
جهير بالضم وهو غلط ، مع أن الوارد في (الانساب)
هو الفتح ، وكذلك ما في مختصره (اللباب) .
وبنان بضم الباء ، وضبطها محققوا كتاب الاغانى
بدار الكتب المصرية بفتحها .

وظن ابن ثغرى بردي أن ابن السامى كان حنفيًا
مع أنه شافعي ، وقد نبه المحقق على ما يمكن أن
يكون السبب في ظنه هذا .

وذكر علي بن الحسن الخزرجي ابن السامى
نسباً ابن الخازن والصواب الخازن .

ومن مؤلفات ابن السامى (الاحاديث الثمانية) .
وقد ورد في بعض المصادر (البيانية) من غلط النسخ
أو الطبع .

ولابن السامى كتابان في نساء الخلفاء ، وقد
حسبهما الذهبي وبعده الصفدي وتابعه ابن ثغرى
بردي كتاباً واحداً .

وسمى المؤلف احد شيوخه عبد العزيز بن
المبارك ، وجاء في (تذكرة الحفاظ) للذهبي : عبد
العزيز بن مسمود ، وهو خطأ ، ولم يصح هذا
الخطأ مصححوا « معجم البلدان » (طبعة دار صادر
ببيروت) .

وذكر ياقوت باب الحول من الجانب الشرقي من
بغداد والصواب الغربي .

وتردد صاحب مختصر بغداد في نسبة خبر
للمعتضد أو المعتد والصحيح أنه المعتد .

ولقب ابن النجار في (النجوم الزاهرة) ببجد
الدين بدلا من محب الدين وهو من خطأ النسخ وعدم
التصحيح في الطبع !

مقد نقل المؤلف من الجهشياري فلم يجد المعلق
الخبر في المطبوع من كتاب (الوزراء والكتائب) لأن
المطبوع ناقص كما هو معلوم .

ونقل المؤلف من ابن الجوزي فلم يجد المؤلف
الخبر في (المنتظم) لأنه انتهى قبل ذلك التاريخ ،
فالظاهر أن هذا الخبر من (درة الاكلیل) .

ونقل المؤلف من أبي بكر الصولي فاستظهر
المعلق أن المؤلف أخذ هذا القول مما ذكره أبو الفرج
في اخبار أبي المعاهية .

وأورد المؤلف كلاما مضطربا فاصلحه المعلق من
(مروج الذهب) . والذي جرت به عادة محققى
المخطوطات وعليه درج التقيد في كثير من تحقيقاته ،
(تلخيص مجمع الاداب) مثلا ، بيان جزء المصدر
والصلحة الذين يوجد فيهما ما نقله المؤلف .

ولكنه أهمل هذا في تحقيقه (لنساء الخلفاء)
مقد ذكر المؤلف في ترجمة (عنان) أن لها اخبارا مدونة
ذكرها أبو الفرج الاصلهاني في (كتاب الاغانى) وذكر
المعلق في مراجع ترجمتها الأجزاء : العاشر والعشرين
والثالث والعشرين المخطوط . ولكنه لم يذكر في أى
جزء من هذه الأجزاء يوجد أنه ما نقله المؤلف .

وكذلك في ترجمة مريب ، وبدعة الكبيرة .

وكذلك فيما نقله من (كتاب بغداد) لأحمد بن
أبي طاهر ، ونقل من كتاب (الورقة) لابن الجراح
مذكر المعلق أن المطبوع منه ناقص ، ولكنه لم يشير إلى
ما إذا كان ما نقله المؤلف موجودا في المطبوع أولا .
إلى غير ذلك .

(13) التعريف بالمراجع

وقد يغيب المحقق التعريف بالمرجع الذي نقل
منه المؤلف فقد نقل عن تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ،
فنقل عن التفتي التعريف بهذا التاريخ ، وبيان المدة
التي أرخها وأهبطه .

(14) إيضاح المبهات

فالحافظ أبو عبد الله البغدادي هو محب الدين
محمد ابن النجار وأبو القاسم الأرجي هو يحيى بن
أسعد بن بوش ، وأبو أحمد الأمين هو عبد الوهاب
ابن سكيئة ، وأبو محمد الجنابذي هو عبد العزيز بن

وفكر ابن جبير دار أبي الفرج ابن الجوزي .
مع انها مدرسة بنفشا وكان يسكن فيها لأنه كان
مدرسها يومئذ .

وكان انشاء تربة هون ومعين أيام الناصر .
واخطأ الصلاح الصفدي فنسب عبارات الناصر ومنها
تربة هون ومعين الى أبيه محمد الظاهر .

ووقع في ترجمة ثابت بن سنان في تاريخ الحكماء
للقطعي اضطراب في تاريخ وماتته : حيث ذكر مرة
انها كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ومرة سنة
خمس وستين وثلاثمائة . وورد اسم (شاهنرد) في
تاريخ الطبري وفي الكامل شاه أنريد ، وفي بعض
نسخ (مروج الذهب) للسمودي (سارية) وهو
تصحيف .

ورجح ابن خلكان ما ورد عند العماد في (الخريدة)
على ما ورد عند السمعاني لظنه ان بينهما تعارضا .
فبين الحق انه لا تعارض بينهما .

وورد ذكر أبي بكر ابن العلاف ، فذكر المعلق
مصادر ترجمته وقال : وهو صاحب الابيات المشهورة
في رثاء المبرد ، وليست هي لثعلب كما ذكر الكمال بن
الانباري في (نزهة الالباء) .

16 التعريف بمؤلفي بعض المخطوطات الغفل

نقل الحق من (ذيل تاريخ بغداد) لابن
الديبشي ، نسخة كميردج ، وزاد : ولم يعلم المفهرس
انه تاريخ ابن الديبشي وقد حققنا ذلك وتأكد لنا .

17 التنبيه على الخطأ في نسبة بعض المؤلفات لغير مؤلفيها

تقدم انه بين ان (نساء الخلفاء) لابن السامي
لا لابن الديبشي ، ومن مؤلفات ابن السامي (اخبار
الخلفاء) ، وأما هذا المطبوع المسمى (مختصر اخبار
الخلفاء) فهو مدسوس عليه نخله اياه بعض المزورين
الذين اعتادوا التزوير في كل أمورهم وشؤونهم !

و (المحاسن والأضداد) منسوب خطأ للجاحظ .
وكتاب (الذخائر والتحف) مجهول المؤلف ، وقد
نسب الى القاضي الرشيد ابن الزبير ، وكتب تحته
(القرن الخامس الهجري) . قال الحق : وكل ذلك
خطأ على خطأ !

وذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حميد
الله انه مع سميح لم يكثر على ترجمة القاضي
الرشيد ، مع انه مترجم بتفصيل في مصادر أوردها
الحق . وهو من اهل القرن السادس لا الخامس .
ثم قال : ونسبة الكتاب المذكور اليه - وهو من تأليف
القرن الخامس - خطأ مبين يجب اصلاحه ، ولعله
من مؤلفات ابن بابشاد المشهور .

و (طبقات الشعراء) منسوب لابن المعتز .

18 التنبيه على نقصان بعض الكتب

الظاهر ان ترجمة عبيد الله بن أحمد بن أبي
طاهر تقدمت فيها نقد من (معجم الادباء) .

والمطبوع من (كتاب الوزراء والكتاب) للجهشياري
ناقص كما هو معلوم ، وما أكثر المفقود منه !

والمطبوع من (كتاب الورقة) (بعناية دار
المعارف !) وتحقيق الاستاذين الدكتور عبد الوهاب
عزام وعبد الستار لمراج خال من الترجمة التي نقلها
ابن السامي بالنسخة ناقصة .

وقد ورد في (اخبار النساء) خبر منقول عن
(الورقة) لا يوجد في المطبوع .

وفيها نقل عن أحمد بن أبي طاهر لا ذكر له في
المطبوع منه المعروف (بأخبار بغداد) .

ونقل عن تاريخ هلال بن محسن الكاتب لا ذكر
له في المطبوع منه الملق (بتاريخ الوزراء) لهلال
المذكور ، فهو ناقص .

19 التنبيه على خطأ تسمية بعض المؤلفات

كان الفقيه قد صحح قديما مخطوطا غسلا من
التسمية وتسمية المؤلف ، سماه في المطبوع (الحوادث
الجامعة) لكمال الدين ابن الفوطي ، وقد صدره ناشره
بمقدمتين أولاهما بقلم صديقنا الأديب الكبير محمد رضا
الشبيبي رحمه الله ، وقد جاء فيها : (ومن رأيي
- وقد تصلفت الكتاب - انه كتاب (الحوادث
والتاريخ) لمؤلفه ابن الفوطي ، وزاد : وان لدينا من
الأدلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب الغفل الى العلامة
المذكور .

وثانية المقدمتين بقلم الفقيده ، مصحح الكتاب والمعلق عليه ، وقد اورد اسم (الحوادث الجامعة) بدون نقاش .

وذكر اول من نسبه لمؤلفه في عصرنا .

ولكنه في تعاليفه على (نساء الخلفاء) يقول : الكتاب الذي سميناه (الحوادث الجامعة) استرجاعها يظهر انه غيره !

(20) التنبيه على قيمة بعض الطباعات

ينقل المحقق من (وفيات الاعيان) طبعة بلاد المعجم ، ثم قال عنها انها اصح من الطباعات الاخرى .

(21) اضافة ملحق للكتاب

اضاف المحقق الى (نساء الخلفاء) ملحقا اورد فيه اخبارا متعلقة ببعض المترجمات في الكتاب وردت في (الذخائر والتحف) السابق الذكر .

(22) الفهارس وقائمة المراجع

الفهارس مفاتيح الكتب ، فالكتاب الذي لا فهارس له تكون الاستفادة منه صعبة وفي نطاق محدود . ولهذا كان وضع الفهارس من اهم ما يقوم عليه المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات .

وقد اختلف موقف الفقيده من هذه القاعدة فهو تارة يضع الفهارس اللازمة والمتنوعة ، مثل ما فعل في جزء (الجامع المختصر) .

حيث اضاف له خمسة فهارس احدها للكلمات المفردة وآخر ممراني للاخلاق والمعادن والشؤون الاجتماعية ، وفي (تكملة اكمال الاكمال) لابن الصابوني حيث اضاف له اربعة فهارس ، ثالثها للفوائد الشاردة وفي (الجامع الكبير) لابن الاثير ثمانية فهارس .

وفي (دليل خارطة بغداد) فهارسان .

وتارة اخرى يكتب في فهرس مختصر مثلما فعل فيما سماه (الحوادث الجامعة) .

ومثل جزاي (المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي) حيث ذكر في الاول مراجع التصحيح والايضاح والتراجم ، وفي الاخير ثبتا مختصرا للمترجمين في الجزء ، ومثل القسم الثالث من الجزء

الرابع من (تلخيص مجمع الاداب) لابن الفوطي حيث اقتصر على فهرس ابواب هذا القسم الثالث من الكتاب ، ووعد ان يثبت في القسم الرابع والاخير منه الفهارس العامة التفصيلية للجزء الرابع كله ، ولم اقف الا على القسم الثالث وحده .

ولكنه تارة ثالثة لا يضع فهرسا بالمرّة مثل سيدات البلاط العباسية و (نساء الخلفاء) .

واذا كان مظهر (سيدات البلاط) لا يدل على طابع تحقيق علمي ، لخلوه من التعليقات والمصادر تاخرى الصفحات وما يتبعها ، الى جانب الصورة التي على الغلاف !

فان النسخة التي وقفت عليها من (نساء الخلفاء) خالية من الفهارس والمراجع ، فما ادري استطلعت من هذه النسخة فقط ، ام ان المحقق رأى ان صغر الرسالة في غنى عن الفهارس ، او انها الفيت من طرف الدار (اقتصادا في النفقات !)

(22) اخطاء الطبع

قلما يسلم مطبوع من خطأ مطبعي ، و (نساء الخلفاء) التي بذل محققها رحمه الله جهودا في التحقيق والضبط لم تسلم من خطأ مطبعي !

ومن امثلة ذلك في ص 60 بفتح الواو والصواب الميم ، وفي 135 السادس والصواب الخامس ، وفي 124 الجبازين والصواب الخبازين ، وفي 120 واقرت والصواب واقرت .

وكثير من محققي الكتب يوردون في آخر الكتاب جدولا للخطأ والصواب ولم يرد في (نساء الخلفاء) شيء من ذلك !

(23) نماذج مصورة من الاصل

في اول الكتاب صور 3 صفحات من المخطوط لتمكين القارئ من تكوين فكرة عن المخطوط .

الاستطراد

ومن مظاهر اتساع ثقافة المحقق استطراده المابر المفيد .

فالتصوف والتشيع اخوان ، واولف ابن السامي كتبه على المدرسة النظامية قبل موته بقليل ، كما هو

الفكر العلمي العربي

في شخص العباس بن فرناس

حكيم الأندلس
الأستاذ سعيد السريوي
عضو الجمعية العلمية العراقية

ومناظرات ومجادلات علمية ، وما يلقيه علماء الأندلس
من طريف ما أخذوه من المشاركة .

ويقصد المجالس الأدبية ، ويستمع الى شيوخها
استماع متبصر ، يريد أن يستفيد مما يجري في
الحلقات والمجالس ، مما كان يلقيه شعراء الأندلس
وأدباؤها من جميل النظم والنثر ، ومن غريب
الأخبار واللغة التي أخذوها من أهل المشرق .

وكان يتردد الى اصحاب الفنون الرفيعة ،
فيستمع الى الاصوات التي وضموها ، والآلات
الموسيقية التي يوقعون عليها .

درس كتب الطب ، وخصائص الامراض
واعراضها ، وطرق الوقاية منها ، وعلاج من أصيب
بها .

درس خصائص الاحجار والامشاب والنباتات ،
ووقف على ما تفيد في المعالجة ، وكان يقصد الاطباء
والصيادلة ويناقشهم فيما ظهر له من اطلاله وتجاربه
في هذا العلم الجليل ، الذي يحفظ صحة المجتمع ،
ويقويه شر الامراض .

ابو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكري
الاموي بالولاء - أحد أساطين العلم والأدب والفن في
الأندلس .

لم نقف على ولادة هذا العالم الجليل ، والذين
ترجموا له ذكروا : انه توفي سنة 274 هـ (884 م)
وانه اربى على الثمانين ، فتكون ولادته في آخر
القرن الثاني للهجرة (حوالي سنة 194 هـ)

أصله من برة « تاكرنا » ونشأ في قرطبة ،
عاصمة الدولة الأموية ، وهي - اذ ذاك - مركز العلم
والادب والفن في أوروبا ، يشدون اليها الرحال ،
ويقتبسون من معارف العرب وفنونهم وصناعاتهم ،
التي كانت تبهر عقولهم ، وتأخذ بالبابهم .

في هذا المحيط الزاهي بالعلوم والمعارف ، شب
ابن فرناس ، وكان ذكي الفؤاد ، سريع الحفظ ، دقيق
النظر .

تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الدين الحنيف
في الكتابيب التي كانت كثيرة في قرطبة ، ثم أخذ
يرتاد الحلقات العلمية ، التي كانت تعقد في جامع
قرطبة ، ويستمع الى ما يجري فيها من محاضرات

واشتهر بين اطباء عصره ، فانخذ الامراء الامويون (1) طبيباً خاصاً لمعالجة الاسرة الحاكمة ، يشرف على صحتهم وطعامهم ، ويرشددهم الى انجح الطرق في معالجة مرضاهم .

درس الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية ، وجمع الكتب التي تبحث عنها ، والتي صعب الحصول عليها ، وقراها قراءة مدقق ، واستفاد منها والفاد قومه .

اشتغل بالنحو ودقائق الامراب ، واطلع على آراء النحاة في التمليل وصار من نحاة عصره في الاندلس ، يؤخذ عنه وذكره الريبدي في الطبقة الثالثة من نحاة الاندلس ، وقال عنه : كان متصرفاً في ضروب من الامراب .

كان يقصد اهل الصناعات الرفيعة ، ويدقق باعمالهم وصناعاتهم ، وفنونهم الدقيقة ، ويسالهم عن سر ما لم يهتد الى معرفته بنفسه ، فاقببس منهم صناعات ومعارف ساعدته على ابراز ما علمه ، مما يحتاج الى عمل آلات علمية .

وهكذا صار ابو القاسم العباس بن فرناس متضلماً بعدة علوم وفنون وصناعات ، وآداب مختلفة ، فبرز على علماء زمانه ، بما انفرد به من معارف وعلوم لم تنهيا لغيره من اهل الاندلس ، حتى انهم اطلقوا عليه « حكيم الاندلس »

- 2 -

كثير هم الذين قنعوا من العلم بالامور البسيطة ، التي يسهل فهمها . وبالنظريات المجردة ينقلونها عن غيرهم ، ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث والتدقيق فيما درسوه ، او تحقيق ما علموه ، ولم يحاولوا تطبيق العلم على العمل ، ليتأكدوا من صحة ما نقل اليهم ، او اخذوه عن غيرهم .

وابو القاسم لم يكن من هذا الرميل القانع بالسهل المبسط ، بل كان يدقق ما يدرسه ، ويحقق ما يفهمه ، ويتدبر ما يقرأه ، ويطبق عملياً ما يحتاج الى العمل ، ليتأكد صحة المدعى ، ويستفيد مما اخذ ، فهو احد العلماء العاملين ، الذين وضعوا أسس الحضارة العلمية والعملية في الاندلس : سهلوا العويس ، وشرحوا الغامض ، ويسروا المسر ، وابتكروا آلات علمية ومعارف عملية .

فابو القاسم من العلماء الذين علموا وعملوا : عكف على تحقيق القضايا التي درسها ، وهيا لنفسه ما يحتاجه عمله من آلات دقيقة ، وأدوات مختلفة والأجهزة العلمية - التي ساعدته على اظهار علومه ومعارفه عملياً ، ورسم طريقة مثلى لاهل بلاده . وهي محاولة تطبيق العلم على العمل ، بحيث يحققون ما يدرسونه ، ويصنعون لانفسهم الآلات والأدوات العلمية التي يحتاجونها من غير ان يتكلموا على غيرهم ، وبذا يحق لهم ان يكونوا علماء عاملين ، يسمى اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتز بأرائهم المؤيدة بالعمل بمد العلم .

وعلى هذا فابو القاسم فاق اهل عصره في طريقته العملية ، لبرز في علوم ومعارف أوجدها من تجاربه في التوليد والاختراع ثم الابتكار ، ومن ذلك :

1 - عانى صناعة الكيمياء ، وقام بتجارب وفحوص مختلفة ، واهتدى الى حقائق ، لم تكن معروفة عند الاندلسيين ، منها : انه استنبط صناعة الزجاج من نوع من الحجارة ، وبدا يسر للاندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن ، سهلة التناول ، فانتشرت صناعته في الاندلس ، وتفوقوا فيها .

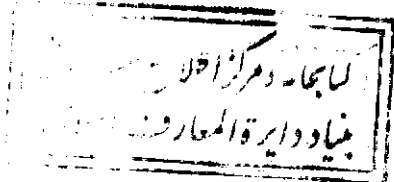
2 - عانى علم الفلك والتنجيم ، راقب النجوم والكواكب في افلاكها ومداراتها ، وصنع الآلات التي تساعد على الرصد . ومما صنعه الآلة المعروفة « بلذات الحلق » وولمها الى الامير محمد بن عبد

(1) اتصل ابن فرناس بثلاثة امراء - وكان مقرباً اليهم وهم على التوالي :

1 - الحكم بن هشام 188 - 206 هـ = 803 - 821 م

2 - عبد الرحمن بن الحكم 206 - 238 هـ = 821 - 852 م

3 - محمد بن عبد الرحمن 238 - 273 هـ = 852 - 886 م



الرحمن الاموي ، وكتب عليها ابياتا من نظمه تناسب الآلة ، وما تقوم به من عمل :

قد تم ما حملتني من آلة
احيا الفلاسفة الجهابذ دوني

لو كان بطليموس الهم صنعة
لم يشتغل بجداول القانسون

فاذا راته الشمس في آفاقها
بمشت اليه بنورها المحزون

ومنازل القمر التي حجبت معا
دون الميون بكل طالع حين

يبدون فيها بالنهار - كما بدت
في الليل في ظلماتهن الجون

3 - عمل الميقاتة لمعرفة الاوقات - وهي تقوم مقام الساعة في يومنا هذا ، ورفعها الى الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكتب عليها من نظمه :

الا انسي للدين .خير اداة
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ، ولم تنر
كواكب ليل ، حالك الفلماط

بيمن امام المسلمين « محمد »
تجلت من الاوقات كل صلاة

4 - اتخذ في داره هيئة السماء ، وصور فيها الشمس والقمر ، والكواكب ومداراتها ، والفيوم والرعد والبرق ، فكان من اعاجيب الصنعة والابتكار .
5 - انه اول من طار وحلق في الهواء - كما تطير الطيور وهذا من الاختراعات المدهشة التي قام بها « حكيم الاندلس » .

قام بمدة تجارب تمهيدية ، درس بها ثقل الاجسام ، ومقاومة الهواء لها ، وتأثير ضغط الهواء

عليها اذا ما طارت في الفضاء ، وكان له خير مسامد على هذا تفوقه في العلوم الطبيعية والرياضية والكيمياء ، فاطلع على خواص الاجسام ، واجتمع لديه من المعلومات ، ما حمله على ان يجرب الطيران بنفسه .

كسا نفسه بريش اتخذه من سرقى الحرير (1) ، ثناتته وقوته ، وهو يتناسب مع ثقل جسمه ، وصنع له جناحين - من الحرير ايضا - يحملان جسمه اذا ما حركهما في الفضاء ، وبعد ان تم له كل ما يحتاج اليه هذا العمل الخطير ، وتأكد ان باستطاعته اذا ما حرك الجناحين ، فانهما سيحملانه ويطيرون في الفضاء ، - كما تطير الطيور - ويسهل عليه التنقل بهما اينما شاء .

اعلن للناس انه يريد ان يطير في الجو ، وان طيرانه سيكون من الرصافة - ظاهر مدينة قرطبة - فاجتمع الناس فيها ليشاهدوا البطل يتهادى في سماء قرطبة .

صعد ابو القاسم فوق مرتفع ، وحرك جناحيه ، وقلز في الجو ، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن المحل الذي وقف فوقه ، والناس ينظرون اليه بدهشة واعجاب ، يهللون له ، وشامروهم يقول :

يطم (2) على المنقاء في طيرانها
اذا ما كسا جثمانه ريح قشقم

ولما هم بالنزول الى الارض ، نادى في ظهره ، وفاته ان الطائر انما يقع على زمكه (ذيله) ، ولم يكن يعلم موقع الذنب في الجسم انما هبوطه الى الارض ، فاصيب بما اصيب من اذى .

هذه اول عملية جريئة يقوم بها حكيم اندلسي، يجرب الطيران بنفسه ، وينجح بعمله الى حد ما ، وهذا النجاح الذي سجله حكيم الاندلس ، دفع الناس

(1) شقق الحرير الابيض والواحدة سرقى
(2) طم : ملا ، غلب ، والقشقم : المسن من النور .

بالإقدام على محاولة الطيران ، فكان عمله نواة طبية ،
نمت وازدهرت ثم انثرت .

على ان تقصيره في كيفية النزول الى الارض
سالما ، لا ينقص من دقة عمله ، وخطوته الجريئة ،
بالإقدام على الطيران بصورة فعلية . فان كل عمل في
بدايته ، تمثبه دراسات عديدة ، تكمل نواقصه ،
وتهذب طرقه ، وتحسن عمله ، وهكذا يكون في تقدم
مطرد مع الزمن ، وحاجة الانسان ، وما زالت
الدراسات المتتالية تجري على الطيران ، حتى شاهدنا
سفنا عظيمة تطير في الفضاء ، حاملة عددا لا يستهان
به من المسافرين ، مع امتعتهم واثقالهم ، تقطع
المسافات البعيدة ، بساعات معدودات ، كان هذا
يفضل التجارب التي قاموا بها ، وفي مقدمتهم حكيم
الاندلس - والفضل للمتقدم -

ثم اعقبه بعد قرن من الزمان ، رجل عالم
فاصل من المشرق ، هو : اسماعيل بن حماد
الجوهري المتوفى سنة 393 هـ (1003 م) . ولكن
عمله لم يكن من دراسة ، وانما من خاطر خطر بباله ،
فكان خاتمة حياته (1) .

هذا ما قام به المسلمون في المغرب والمشرق من
محاولة الطيران ، فنجد حكيم الاندلس ، ولاقي
حقيقه عالم المشرق ، ولكنهما فتحا بابا واسعا لمن اتى
بمدهما في الاقدام على هذا العمل النافع .

كان العباس بن فرناس اديبا شاعرا ، وله شعر
كثير في اغراض مختلفة ، اتصل بالبلاط الاموي ،
فكان شاعرهم - كما كان طبييهم - وعاش في اكناف
امرائهم ونظم لهم الشعر في مختلف الاغراض :

مدح امراء البيت المالك ، ووصف حروبهم
ومعاركهم مع الاعداء - وقد يشارك بنفسه فيها -

وصف مجالس الانس والطرب ، وما في تصورهم من
جنات وميوس ، وزروع ومقام كريم ، وملاعب
وكواهب ، ومصادمهم ومطاردهم - وكان يرافقهم بها .

رافق الامير محمد بن عبد الرحمن ، لما سار الى
اخماد ثورة اهل « طليطلة » مع حلفائهم النصاري
سنة 240 هـ (854 م) فوقع فيهم الامير ، واخمد
الثورة بعنف وشدة وشنت الثائرين . فقال ابن
فرناس يصف هذه الواقعة :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف
لهوم الغلا ، قبل القبائل ملتف

اذا اومضت فيه الصوارم خلقتها
بروقا تزوي في الفمام وتستخفي

كان ذري الاملام في ميلانها
قراقرير في يم ، مجزون من القذف

بكى جبلا وادي سليط فاعولا
على النفر العبدان ، والمعصبة الغلف

يقول ابن بوليس لموسى - وقد اتى -
ارى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي

قتلت لهم الفا والفا ومثلها
والفا والفا بعد الف الى الف

سوى من طواه النهر في مستحاله
فأفرق فيه ، او تهدد في جرف

لقد نعمت فيه غزاة نسورنا
وسمعت الدقات قصفا على نصف

ووصف ما آلت اليه طليطلة من الدمار
والتهريب ، وهدم الامير قنطرتها الشهيرة فقال :

(1) كان اماما في اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل في الجودة ، لا يكاد يفرق بينه وبين خط « ابن
مقله » سافر في طلب العلم ، واخذ من مدة شيوخ وخالط الامراء في بلاد ربيعة ومضر ،
وصنف كتابه المشهور « الصحاح » في اللغة واستقر في نيسابور على التدريس والتأليف ، وتعليم
الخط ، وكتابة المصاحف ، وله عدة كتب .

فكر في الطيران ، واعتقد ان في مقدور الانسان ان يطير اذا ما اتخذ له جناحين ، كجناحي
الطير ، ولكنه لم يتم بدراسات تمهيدية يجرب بها ما افترضه - كما فعل حكيم الاندلس - فانه
صعد سطح الجامع القديم في نيسابور وقال : ايها الناس اني عملت في الدنيا ما لم اسبق اليه ،
فسأعمل للأخرة امرا لم اسبق اليه ، ونظم الى جنبه مصراي باب ، وثابطهما بحبل ، وطسار في
الفضاء ، - ولم يكن موثقا بعمله ، فان مصراي الباب لم يحملانه في الفضاء ، بل سقطا به على
الارض ومات . فكان عمله هذا دراسة سطحية لئلا يكبر .

الجميلة التي فنتت الكثير من شعرائها ، فابدموا في وصفها .

ومما قاله في صفة روضة :

تري وردها والاقحوان كانه

بها شفة لمياء ضاحكها نضر

وقد ابدع في وصف اشجار النخيل الباسقات -
الاشجار المباركة التي رافقت العربي اينما حل
واستقر - نقلوها الى الاندلس وزينوا بها حدائقهم
وبساتينهم :

حنابا كامثال الاهلة ركبت

على عمد ، تمتد في جوهر البدر

كان من الياقوت قبست رؤوسها

على كل مسنون مقبض من السدر

تري الباسقات الناشرات فروعا

موائس فيها ، من مداولة الوقر

كان صناعا صاغ بين فصوصها

من الذهب البادي، عراجين من نخل

نشت لؤلؤا ، ثم استحالت زمردا

يؤول الى العقيان قبل جنى البسر

ووصف الصحراء ووحشتها ، وترامى اطرافها
فقال :

موسومة بالبعد ، تحسب سهلا

القي السماء بحولها اطنابا

فكانها دار تقاذف صحنها

لم يجعل الباني لها ابوابا

ومن جميل قوله في وصف السراب :

يفلقن لجة آله ، فامامها

حاد ، وآخر خلفها لم يلحق

فكان ذا موسى ، وذلك بالره

فرعون ، الا انه لم يفرق

ومن تشبيهاته الجميلة ما قاله في وصف كوز :

ومعجم لم يبق في جثمانه

الا حشاشة مهجة لم تزهق

اضحت طليطلة معطلة
من انها ، في قبضة الصقر

تركت بلا اهل تؤهلها
مهجورة الاكثاف ، كالتبر

ما كان يبقى الله قنطرة
نصبت لحمل كتاب الكفر

وله قصيدة يهنيء بها الامير محمد بمودته من
طليطلة ، موافقا عيد الاضحى المبارك اولها :

ان القفول الذي اودى بعيدى الخ ..

ولما جدد الامير محمد قصور الرصافة ، التي كان
قد شيدها جده « صقر قريش » عبد الرحمن
الداخل ، وزينها بجميل الزخارف والكتابات وجعلها
من اجمل القصور بهاء ورونقا ، فقال ابن فرناس فيها :

كان قصور الارض بعد تمامه
كثير له اخفى شخوصا من الدر

فاعجب من اقنائها الفرر التي
يقيم بهن البرد في دعوة الحر

وتنتشر الابصار منها الى مدى
التنزه بالاطيار والوحش والزهر

كان الذي يخفي الحديث بنجوها
على اخفض الاصوات يشدو على وتر

وكما كان يتحف الامراء بالالات الدقيقة الصنع،
كان يتحفهم بهدايا طريفة نفيسة ، نظم اربعة ابيات،
وكتبها بالذهب على تفاحة ، ورفعها الى الامير محمد،
اولها :

محمد اكرم مستخلف
من خلفاء الله في الارض

فسر الامير ، وامر ان يغنى بها ، وكانا ابا
القاسم من كل بيت بالف دينار ، وقال : لو زادنا
لردنساء .

كان ابو القاسم مرهف الحس ، واسع الخيال،
يستهو به جمال الطبيعة ، وسحرها الخلاب ، دقيق
الوصف ، وكيف لا يصف مباهج الاندلس ، ومناظرها

حنيت على كشحه من برحائه
مضان : فهو لموثق لم يطلق

حلت ممامة راسه فتضومت
منا مفارقة ، بمثل الرنق

وله شعر رقيق يستهوي القلوب ، كقوله :

فبتنا وانواع النسيم ابتذالنا
ولا غير عينيها ، وعيني كالي

الى ان بدا وجه الصباح كانه
جبين فتاة ، لاح بين حبال

وقوله متغزلا :

واحور ما يعني الميون من الفسق
له كذب في الجدد ، احلى من الصدق

والحسن في خديه شمس مقيمة
وبدر كمال لا يحور الى محق

وما الميش الامية الهجر والهوى
باحور ، ما يبقى هواه ، وما يبقى

- 4 -

كان ابن فرناس موسيقيا مبدعا ، ينظم الشعر ،
ويضع اللحن ، ويفني به ، ويوقع على الصوت ،
واشتهر بما وضعه من قطع جميلة كانت من نظمه
وتوقيعه ، وكان امراء قرطبة يزيتون مجالسهم
بانشاده وعزفه ، واكثر الامراء حبا له هو الامير محمد
ابن عبد الرحمن ، فناء يوما صوتا من نظمه وتلحينه
اوله :

الجهل ليل ليس فيه نور
والعلم فجر نوره مشهور

فاجزل له العطاء .

ومما يدلنا على سرعة بديهته في نظم الشعر ،
ورضع الصوت المناسب وحسن توقيعه على العود ،
ما رواه المرزباني (في طبقات اللغويين والنحويين)
نقال :

(1) مدينة غربي الاندلس

كان محمود بن ابي جميل غلاما جوادا - وكان
ماملا في اخريات ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم
- فعمل قبة ادم - بلغت النفقة فيها وفي وطانها
خمسمائة دينار - فأكملت غريبها على وادي لك (1) ،
وصنع خيفا ، جمع له اصناف الكورة ، ووافق ذلك
اطلاع « عبد الملك بن جهور بن يوسف بن بخت »
ضياحه « بشدونة » فاستجلبه محمود مع بياض الكورة ،
فشهد وشهدوا ، فلما تقضى طعامهم ، وصاروا الى
المؤانسة - ومندهم احد بني زرياب - طلع عليهم
عباس بن فرناس زائرا لمحمود ، فقام محمود اليه
والتزمه ، وسر جميعهم بوروده ، ثم عرض عليه
الطعام ، فطعم ، ثم صار الى المؤانسة ، ودفع ابن
زرياب يغني :

ولو لم يشقني الظامنون لشاقتني
حمام تدامت في الديار وقوع

تدامين فاستبكين من كان ذا هوى
نوائح ما تجري لمن دموع

فاستمدادوا الصوت اصجابا ، فاعاده .

فلما تقضى فناء ابن زرياب ، مد العباس يده الى
العود ، فاخذته وغنى البيتين ، ووصلهما من عنده
بديهة فقال :

شدت بمحمود بدا حين خانها
زمان لاسباب الرجاء قطع

بنى - لسامي الجود والمجد - قبة
اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا ابا القاسم ،
امر ما يحضرني من مالي القبة وهي لك - بما فيها من
كسوتي هذه - وتكون في ضيافتك بقية يومنا ،
ودعا اليه بكوة فلبسها ، ودفع اليه كسوته ، وكانوا
يومهم كذلك ..

هذه القصة الطريفة عن الفنان ابن فرناس ،
تطلعنا على ما كان عليه من النظم الذي يناسب

المقام ، وانه كان يضع له الصوت ، ويفني بما يعجب
البرزين في الفناء ، بل يفوقهم بذلك

- 5 -

هذا التفوق في الموسيقى والإيقاع ، ساعده على
حل اصطلاحات كتاب العروض للخليل بن احمد
الفراهيدي (100 - 170 هـ = 718 - 786 م) احد
مفاخر العرب والإسلام .

- 6 -

فنولا براعته في الموسيقى والنغم ، وشعوره
المرهف ، وبصره بالغريب ، واطلاعه الواسع على
دقائق هذا الفن - لما سهل عليه حل رموز الكتاب ،
وتبسيطه .

فحكيم الاندلس ابن فرناس ، كان من عباقرة
عصره في العلوم ، والمعارف الدقيقة ، والآداب
الرفيعة ، والفنون الجميلة .

عانى صناعة الطب ، فكان من اطباء زمانه ،
درس المنطق والفلسفة وعلوم الحكمة وصار من اعلامها ،
عكف على التجارب في الكيمياء والعلوم الطبيعية
واهتدى الى امور خفيت على غيره ، متضلعا بعلم
الفلك والنجوم والرياضيات ، وجاء بما ادهش
قومه - وكان مع هذا كله - اديبا شاعرا نحويا لغويا ،
يتقن وضع الالحان ، ويحسن الإيقاع على آلات الطرب ،
ويطير في الفضاء ، محلقا في جو الاندلس ، ذلك
لانه كان بعمله وفنه ، فوق ما عليه قومه ، فخلق في
العلم والعمل .

رحم الله ابا القاسم « حكيم الاندلس » فقد كان
من اعلام نوابغ الاسلام ، يفاخرون بعلمه وادبه وفنه .

ذكر المؤرخون : لما ادخل الى الاندلس كتاب
العروض ، للخليل بن احمد الفراهيدي وصار الى
الامير عبد الرحمن بن الحكم ، عرضه على علماء قرطبة
وادبائها ليوضحوه له ، فمعجزوا عن ذلك ، وصار
الكتاب مما يتلوه به في قصر الامير ، حتى ان بعض
جواري القصر كان يقول لبعض : صبر الله عقلك ،
كعقل الذي ملا كتابه من : مما ومما . فبلغ الخبر ابا
القاسم بن فرناس ، فتقدم الى الامير ، وطلب اليه
اخراج الكتاب اليه ، ففعل ، ولما قرأه ابن فرناس
وتدبره ، علم انه في علم العروض ، العلم الذي
ابتكره الفراهيدي ، وضبط به بحور الشعر العربي ،
فك أبو القاسم غوامضه ، وشرحه لقومه ، فسهل
عليهم دراسة هذا الفن الجميل والاستفادة منه .

اهم المصادر التي عولنا عليها في هذا البحث :

- بغية المنتسب - للخبزي
- المغرب في حلى المغرب - نشره شوقي ضيف .
- جدوة المقتبس - للحميدي .
- التشبيهات من اشعار اهل الاندلس - الكتاني .
- نفع الطيب - المقري .
- الحلل السندسية - ارسلان
- معجم الادباء - ياقوت
- يتيمة الدهر - للشمالي .
- طبقات اللغويين والنحويين - الزبيدي .
- وفيات الاميان - ابن خلكان
- بغية الوصاة - السيوطي
- شذرات الذهب - لابن العماد
- مقال في العدد 22 من مجلة العربي للاستاذ عثمان .
- وغيرها من المصادر ..

أعلام اللغة

أحمد فارس الشدياق
الأستاذ محمد صديق بيهم

الى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809
فترعرع فيها ، وتعلم في مدرسة عين ورقة . ولما
مات والده انكب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ
الكتب .

ولما مات اخوه بطرس الذي كان حبيب البطريرك
الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاف
وطنه مفاضيا ، وسافر الى القاهرة ليكون استاذ
اللغة العربية عند رجال البعثات الاميركيين . وهناك
انكب على دراسة اللغة العربية وعلى الاتصال بالائمة
المصريين والعلماء ، فبلغ ابعاد اعماقها . ولذلك عهد
اليه محمد علي الكبير والي مصر بتحرير جريدة
الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب الى مالطة بناء على
طلب المرسلين الاميركان ، ولبت في تلك الجزيرة
اربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح
مطبوعات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبته وزارة الخارجية
الانكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور «لي» على
ترجمة التوراة ، فلبى طلبها ومكث في لندن عشر
سنوات تعرف خلالها باكبر علماء أوروبا وأدبائها .
وهناك ألف كتبه « الواسطة » و«كشف المخيا»
و «الفارياق» الذي طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس ألف واصدر كتبا اخرى ابرزها
«سر الليالي» الذي كشف به الفطاء من مظنة اللغة

منذ بداية القرن التاسع عشر برزت في كل من
مدينة بيروت ، التي كانت مركزا لولاية تحمل اسمها،
ولبنان في مهديه الاقطامي والتصرفية الممتازة، برزت
نهضة عارمة شملت النواحي الادبية والاجتماعية
والسياسية . وكان يرجع مصدرها الى اختلاط هذا
الشعر والجبال المشرفة عليه بأوروبا وذلك بانتقال
بعض رجال الدين المسيحي الى عواصم الغرب ،
وبتدفق الارساليات التبشيرية الى هذين البلدين ،
وتنافسها في انشاء المدارس والكليات والطابع ،
بالاضافة الى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الاجنبية
بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي اسفار كان
يقوم بها تجار بيروت الى الممالك الاوروبية وغيرها في
سبيل التبادل التجاري .

وفي اواخر القرن المذكور كان شعار النهضة
اهتماما باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لواءهما
ادباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا
المقامات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا
فحسب ، وانما في غيرها من البلاد المجاورة ،
وأوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان المعاصر المرحوم
مارون عبود احمد فارس الشدياق كان الرجل
الاول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة
العربية .

— * —

ولد فارس الشدياق في قرية مشقوت ببلبنان
سنة 1804 ، ولاحوال سياسية انتقل والده منصور

وعلى رأسهم مفتي البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت الرايات والاعلام تمشي امام الجنازة ، ومشايخ الطرق يمشون وراءها يهللون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ، وسماع المراثي من نظم ونثر (على ما ذكرت جريدة لسان الحال في اليوم التالي تقل جنائنه الى قرية الحدث ، ولكنه لم يدفن فيها ، وانما دفن على مقربة منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت ودمشق حيث شيدت الدولة له ضريحا مرموقا على نسق مقامات الباشوات والحكام .

— * —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمهرة من كبار الادباء والصحفيين والاعيان ، وقرروا الاحتفال بيوبيل الشدياق لئلاسية مرور خمسين عاما على وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد مهرجان كبير لاحياء ذكراه ، ولاعادة طبع آثاره . وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيسا لهذه اللجنة ، ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضا دون قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « صقر لبنان » الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة في ود » : اورد فيه ما اعترض الاحتفال الخمسيني للشدياق من ملاسبات وعقبات . وقال : « عندما ارسانا الصرخة تلو الصرخة لم نحسب انها جميعا ستذهب في واد . فما اصدرا بضعة مقالات ، في نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي باديب النهضة الحديثة ، وواضع حجر الزاوية في بنيانها العلامة الاكبر احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين للاستاذ محمد جميل ييهم دموته الى شربنا فيها الشاي والقهوة ، واكلنا من الحلوى اقراصا مختلفة .

كنا اربعين ، ولكن غير الاربعين الخالدين ، فانتخبنا منا اثني عشر رسولا ... حملناهم الدموة للشدياق ، وارسلناهم كالخراف ... كانت همثنا عظيمة يوم بدانا ، وتلك مادتنا ، نار هشيم ، ثم تنطفئ . فما ذافت الدموة حتى انبعثت الهمم ، واتانا من القاهرة نبا الدكتور فيليب الشدياق (ابن عم المرحوم) يتبرع بمائة جنيه مصري لعمل تمثال

العربية . وصادف ان جاء باريس وقتئذ احمد باشا باي تونس ، فمدحه الشدياق بقصيدة كان اولها « زارت سعاد » ، ثم بعث بها اليه بعد عودة الباي الى بلاده فاعجب هذا بها ، وارسل يستقدمه الى تونس على سفينة بخارية ليجهر الشدياق عليها هو وعائلته .

وفي تونس عمر الباي الشدياق بنعمه ، وقلده اسمى المناصب ، وفضلا عن مديرية المعارف عهد اليه برياسة تحرير جريدة الرائد التونسي . وفي غمرة هذه النعم اعلن فارس الشدياق اسلامه ، وازضاف الى اسمه احمدا ، وتكنى بابي العباس .

وحينئذ ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب ، استدعاه السلطان عبد المجيد العثماني بواسطة الباي . ولما جاء دار السعادة « اسطامبول » رحب به السلطان ، ومهد اليه بادارة المطبعة السلطانية طوال عدة سنوات . وفي سنة 1861 انشا الشدياق جريدة الجواب ، فكانت تنطق بلسان الشرق ، ومرجما للصحف الاوروبية في القضايا الشرقية التي كان يطلق عليها « المسالة الشرقية » . وكانت هذه الجريدة تحمل لواء العرب والعربية الامر الذي افضى الى اسكانها سنة 1884 .

وفي 1886 زار احمد الشدياق القاهرة ، وهو شيخ ، فاكرمه الخديوي توفيق باشا ، ونوه بخدماته للشرق افضل تنويه ، ولكنه مع ذلك ظل يحن الى العاصمة العثمانية فعاد اليها ، وقضى نحبه فيها سنة 1887 . وقد احتفل بماتمه احسن احتفال ، واشترك فيه ممثل السلطان ، وصدرت ارادة سنية بدفنه في تربة السلطان محمود ، بينما رثته صحف العالم على اختلاف لغاتها ، ونقل البرق نعيه الى العواصم الاخرى . وقالت عنه جريدة الاجيبيان غازيت ما يلي : « ضع الكتبة الانجليز سكبث وامرسون وداور دروث ووايكنف وبلوير في شخصية واحدة فحينئذ يمكنك ان تتصور جيدا عظمة احمد فارس الشدياق . ولو ولد الشدياق في أوروبا لدفن مع نخبة العظماء ، ولتصب له التماثيل في اكثر مدن بلاده . »

ولكن الشدياق (على ما جاء في دائرة معارف البستاني) كان يريد ان لا يدفن في غير مسقط رأسه ولذلك فان ولده سليما التمس الاذن بان يدفن في قرية الحدث عملا بوصية والده . وكان يوم نقل جنائنه الى لبنان من اعظم ايامه ، كما كان يوم استقبال جنائنه في بيروت يوما مشهودا اشترك فيه العلماء

لثوفد لكي يطلب معونة الحكومة ، بل اعلن لوائريه
حالا انه سيخصص مبلغا من المال تسمح به حالة
موازنة المعارف يكون فاتحة الاكتتاب الذي ستجريه
اللجنة لتحقيق منهاجها ، ووعد بان تشترك مدرسة
الصنائع والفنون مع احد مهندسي الحكومة لترميم
الضريح ، فخرج الوفد من زيارته شاكرا .

ومضى عبود يقول :

« راحت وزارة ابي شهلا ، وجاءت بعدها وزارة
ابي اللع ، ثم سقطت هذه وجاءت وزارة ثابت ،
ولكن الوزارات لم تكن تحمل وتربط ، فمشت القضية
على قدم وساق الى الاضمحلال ..

وهكذا ارتخت همة لجنة الشدياق ، اذ علم
الاعضاء الكرام ، والرئيس الهمام انهم ينفضون في
رماد . »

وهنا امرب المرحوم مارون عبود عن اسفه على ما
اعترض يوبيل الشدياق الخمسيني من عقبات ،
ولكنه قال : « فلا بأس ان تركنا التمثال للدرية فلعلها
تكون خيرا منا فلجنة تمثال بودليس نامت رهاه ربيع
قرن » .

اما وقد مضى 35 عاما على موعد يوبيل
الشدياق الخمسيني توفي خلالها الداعي الاول لهذا
اليوبيل ، واشرفت على اللحاق به حين ان احدا من
الدرية لم يفكر في الاحتفال بذكرى الشدياق فاني
احببت ان اذكر العالم العربي بمجلة «اللسان العربي»
المحترمة، بالرجل الفد الذي خدم هذا اللسان خدمات
لم يقم فيها احد سواه في عصره ، ولعل الذكرى تنفع
المؤمنين .

للفقيد ، وتوالت جلسات اللجنة المختارة حتى خطر
ببالها ان تقرر باب الحكومة ، فمئة فيليب شجعتها
... اما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما
كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك
المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية
البنانية تقدر ثوابها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام
اللغة العربية وحجتها في القرن التاسع عشر الماسوف
عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها :
السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف
زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا
فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة
وطلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية
فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة
بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشروعيها
ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع
بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير
الامر ، مملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى
معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقى من وزير
التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه
مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل
المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم
الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبناني
من نوايخ الامة العربية ، ووعد بقبول رعاية المهرجان .

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم
الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار
مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه
في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا
يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية
وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال

تاريخ جامعة الدول العربية

الشيخ طه الوحي "بيروت"

هذه المرة لم تعتمد على موظفيها العاديين في البلاد العربية امثال السير هنري مكماهون ، وانما كلفت وزير خارجيتها بالذات ، المستر انطوني ايدن ، باطلاق تصريح سياسي قال فيه :

« لقد خطا العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي، وهو يطمع الآن الى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالما متماسكا، ويرجو ان تسامحه بريطانيا العظمى في بلوغ هذا الهدف . ويسرني ان اعلن باسم حكومة صاحب الجلالة من ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة وعن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالما تتوفر لديها الادلة على تأييد الراي العام العربي لها » .

غير انه بالرغم من المكانة الرسمية التي يتمتع بها المستر ايدن في حكومته ، فان تصريحه المثير لم يحدث اثره المطلوب في نفوس القادة العرب . لان هؤلاء كانوا ما يزالون غير مقتنعين بقوة الحلفاء ولا بسلامة موقفهم العسكري ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان العرب على مختلف اوساطهم كانوا غير مؤمنين بصديق نوايا الانكليز الذي سبق لهم ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، ان تنكروا لوعودهم وعهودهم التي اسرفوا في اغداقها على الشريف حسين ، امير مكة ، حين استدرجوه للثورة على دولة الخلافة العثمانية الاسلامية . فلما انتصروا على اعدائهم ، لم يتورعوا عن اعتقاله في جزيرة قبرص ، واحتلال الشرق العربي وتقسيم بلاده فيما بينهم وبين حلفائهم الفرنسيين على ما هو معروف ، ولا دامي لتكراره في هذه المناسبة .

كان عام 1941 بالنسبة للحلفاء مشحونا بالمفاجآت والمتاعب . وفي اثنائه احرزت قوات الالمان انتصارات عسكرية ساحقة على اكثر الجبهات الحربية سواء في اوربا حيث سقطت فرنسا صريعة تحت اقدام الغزاة وتفشت قوات المحور بقيادة رومل على طول شمال افريقيا حتى الحدود المصرية، وبدا للناس في كل مكان ان هتلر سيصبح سيد العالم بلا منازع .

وقد ادى هذا الوضع العالمي الى تحريك المشاعر القومية في بلاد الشرق العربي فقامت الاوساط الوطنية المتحمسة باثارة الجماهير للانقضاض على السلطات الحليفة باساليب مختلفة ، بنفت احيانا حد الحركات المسلحة ، كما حدث مثلا في العراق حيث اعلن الجيش العراقي الحرب بصورة رسمية على القوات البريطانية التي كانت ترابط في البلاد ، واستولى على السلطة بعد ان اضطر الوصي على العرش وحكومته للهرب من العاصمة بغداد والاعتصام في البصرة تحت حماية القوات الانجليزية التي كانت صارتها البحرية قريبة منها .

وعلى الرغم من ان الجيوش الحليفة كانت ولا تزال قادرة على اخماد كل حركة محلية تقوم ضدّها، بل هي اخمدتها بالفعل ، بالرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية وجدت ان من مصلحتها يومئذ معالجة المواطنين الوطنية عند العرب بالتي هي احسن ، فلبّات الى نفس الاساليب التي سبق لها ان اتبعتها في الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) بيد انها في

وكان تصريح المستر انطوني ايدن الاول بتاريخ 29 ايار 1941 . وفي 24 شباط سنة 1943 جاء ايدن بتصريح جديد ، كرر فيه ما كان قد عرض في السابق من بلل خدمات بريطانية لمساعدة العرب على تحقيق امنهم في الاتحاد والتحرر ، وذلك في معرض رده على سؤال وجه اليه من قبل احد اعضاء مجلس العموم البريطاني .

ويبدو ان الظروف في سنة 1943 كانت ، بالنسبة للحلفاء افضل منها في سنة 1941 . نظرا لتحول الموقف العسكري بوجه عام الى صالحهم ، فاستقبل ساسة العرب التصريح الانجليزي الثاني بروح ايجابية ، رغبة منهم في الافادة من هذا العرض البريطاني ، الذي بدا لهم وكأنه فرصة ذهبية ، لا يجوز تفويتها على امتهم ولا سيما وان الحلفاء في ذلك الحين ، ارادوا تبديد الشكوك فيما يقولونه ، فانتهزوا فرصة انسحاب قوات المحور وفي جملتها قوات حكومة فيشي التابعة لهم ، من منطقة الشرق الاوسط ، فأعلن ديفول ، رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة اعترافه باستقلال سورية ولبنان ، كما أعلن الانجليز عزيمتهم على الاعتراف باستقلال امارة شرق الاردن فيما بعد .

وبالفعل كان اول رد فعل لتجاوب العرب مع المبادرة البريطانية جاء من قبل الامير عبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن الذي كان اول من اعرب عن استجابته لتصريح ايدن ، معلنا بان العرب سيجتمعون حالا ، لدراسة التصريح المذكور ، والتصرف على ضوء ما تضمنه من عروض ووعود .

وكان الامير عبد الله يرى ان الظرف اصبح ملائما للعمل على تحقيق حلمه في بئث مملكة له تضم البلاد السورية في جميع اجزائها التي اقتسمها الحلفاء فيما بينهم بعد الاحتلال الذي فرضوه عليها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فوجه مذكرة الى الحكومة الانجليزية يشاؤها فيها الغاء الانتداب من شرق الاردن اسوة بالاقطار السورية الاخرى ليتمكن من السعي مع تلك الاقطار للوحدة تمهيدا للملك الذي يطمح به . وايد الامير مذكرته هذه بان ارسل معها صورة عن قرار اتخذه مجلس الوزراء الاردني بتاريخ اول تموز سنة 1941 جاء فيه :

... « ان التصريح البريطاني الاخير على لسان المستر ايدن اولا ، ولسان السير مايلز لمبسون

ثانيا ، وكذلك تصريح فرنسا الحرة على لسان الجنرال كاترو . قد قوبلا بالاعتباط والشكر من حكومة سموكم واتاحا لها ، على ضوءهما ان تدرس الموقف السياسي الحاضر في البلاد التي تتألف من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين ، وتمثل المجموعة السورية المراقية التاريخية ، وانها لترحب اجمل ترحيب بهذين التصرّيحين وتسجلهما وتعتبرهما اعترافا بجدارة البلاد السورية بالاستقلال والوحدة ، ودليلا على تقدير بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة للمنافع المشتركة التي يمكن ان يضمناها استقلال البلاد العربية السورية ووحدتها للدولتين الحليفتين وللعرب انفسهم سواء في ايام السلم او ايام الحرب . وبناء على هذا الرأي ترى (اي الحكومة الاردنية) ان تفضلوا وتسمحوا لها بالاتصال بالحكومات المشار اليها والتعاون واياها على العمل لتحقيق الغايات الالفة وجمع الكلمة وتوحيد الرأي العام ، وانها تستند في اقتراحها هذا الى الامور الآتية :

تضمن تصريح المستر ايدن ان الحكومة البريطانية عظيمة العطف على قضية الاستقلال السوري وانها مستعدة لتأييد السعي الذي يبذله فريق من زعماء العرب لايجاد نوع من الوحدة العربية .. وان ذلك ليعد اكبر تأييد من الحكومة البريطانية واعظم عطف منها على القضية العربية .

ثم تضمن قرار الحكومة الاردنية ، النقاط التي رواها مبررة لما جاء فيه .

على ان الحكومة البريطانية استقبلت مذكرة الامير عبد الله وقرار حكومته بفتور ملحوظ وكلفت معتمدها في الاردن بالجواب عليه في مذكرة جاء فيها :

« .. ان فخامة المندوب السامي (بفلسطين) قد احال الامر الى حكومة جلالتة .. واومر الي بان ابلاغ سموكم رد بحكومته بالنص التالي :

« ان المثل الاعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحوذ على عطف حكومة جلالتة التام ، على ان القضية يرجع امرها الى تبصر العرب انفسهم ، عندما يكون الميدان اكثر جلاء مما هو عليه في الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق بالقرار الموجود قيد النظر ، فان حكومة جلالتة تلزم رايها التاكيد ان كل تقارب من الحكومة السورية او من اية حكومة اخرى من الحكومات ، كالتى تضمها حكومة شرق الاردن

نصب عنها ينبغي ارجاؤه ريثما تغدو الحالة اكثر استقرارا » .

ولم تكن استجابة الامير عبد الله هي الوحيدة التي قوبل بها تصريح ايدن من قبل العرب ، بل ان نوري السعيد قام بدوره بتقديم مذكرة عرفت يومها « بالكتاب الازرق » الى المستر كيزي وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط ، وقد اعربت هذه المذكرة عن ترحيب العراق بالبادرة الانجليزية التي وردت على لسان المستر ايدن . .

بيان مصطفى النحاس باشا

ان البيانات التي اصدرها المسؤولون في الاردن والعراق لم تترك اي صدى في الدوائر العربية الاخرى لان الوضع السياسي في كلتا الدولتين المذكورتين لم يكن يحظى بتأييد هذه الدوائر ولا برضاها ، فانجذبت الانظار الى مصر كبرى الدول العربية . وفي غضون اسابيع قلائل تناقلت وكالات الانباء ان مصطفى النحاس باشا ، رئيس الحكومة المصرية كلف وزير العدل في حكومته ، المرحوم صبري ابو عثم باشا بان يلقي يوم 30 اذار سنة 1943 ، باسمه وبصفة رسمية ، البيان التالي :

« انني من قديم معنى باحوال الاسم العربية والمعاونة على تحقيق امالها في الحرية والاستقلال ، سواء في ذلك ، اكنت في الحكم ام خارج الحكم ، وقد خطوت في ذلك خطوات واسعة ، صادفها التوفيق بان اتجه نظام الحكم في بعض الاقطار العربية الاتجاه السليم الصحيح . ومنذ اعلن المستر ايدن تصريحه فكرت فيه طويلا ، وقد رايت ان الطريقة المثلى التي يمكن ان توصل الى غاية مرضية ، هي ان تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من امال كل على حدها ، ثم تبدل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ثم تدعوهم بعد ذلك الى مصر معا في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسمى للوحدة العربية كجبهة متحدة بالفعل ، فاذا ما تم التفاهم او كاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر برعاية الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققا ما تنشده الامم العربية . »

ويمكن تفسير هذا الموقف السريع والحاسم الذي بادر الى اتخاذه مصطفى النحاس باشا من تصريح المستر ايدن ، بان مصر ارادت ان تدخل الى الحركة العربية من بابها الواسع ، وان يكون لها في هذه الحركة الدور الرئيسي الفعال ، فلا تترك ، لا للامير عبد الله ولا لنوري السعيد الاستقلال باخذ المبادرة في توجيه النشاط العربي سواء من الناحية القومية او من الناحية الرسمية ، وهذا ما يعنيه بالفعل ، تركيز بيان النحاس باشا على ان تتولى مصر بالذات الدعوة لعقد المؤتمر العربي في اراضيها وبرئاسة رئيس حكومتها دون سواه .

ونظرا لمكانة مصر في العالم العربي وفعاليتها في الميدان الدولي العالمي ، فان بيان النحاس باشا احدث تأثيره السريع لدى المحافل العربية ، فاستجابت له الحكومات العربية على الفور وكان اول المستجيبين الحكومة العراقية فاوفدت وزير داخليتها المرحوم تحسين العسكري ومعه جميل المدفعي احد رؤساء الحكومة العراقية السابقين لاجراء مشاورات رسمية مع الحكومة المصرية حول ما جاء في بيان النحاس باشا لاتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها اخراج فكرته الى حيز التنفيذ . واتفق الطرفان ، مصر والعراق ، على توجيه الدعوة الى الحكومات العربية كي ترسل ممثلين عنها للمشاركة في هذه المشاورات في مؤتمر تحضيري ، يعقد لهذا الغرض في مدينة الاسكندرية . وقد روى الاقتصار يومئذ على الدول العربية المستقلة وكان عددها خمسة وهي : سورية والاردن والعراق ولبنان ومصر . وقد لبثت هذه الدول الخمس دعوة الحكومة المصرية لحضور هذا المؤتمر التحضيري وفي جملتها الاردن نفسه ، الذي ارسل موافقته في كتاب حمله الى النحاس باشا نوري السعيد باشا ، جاء فيه : حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزارة المصرية الافخم كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، وقد زارنا بعمان وسيزور مصر ليرى رفعتكم في القضية العربية التي قد استرهم افكارنا عنها علاوة على ما يعلم فخامتة من المبدأ القديم الذي سار عليه بيتنا في القضية العربية . واثنا لنشكر لرفعتكم على ميلكم للاخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعا في اقطارنا المحبوبة ، واثنا حين تكتب كتابنا هذا ، نتمنى لرفعتكم الصحة والعافية والتوفيق في جميع الاعمال . »

مؤتمر الاسكندرية التحضيري

استمر انعقاد المؤتمر الذي دعاه اليه النحاس باشا في مدينة الاسكندرية طوال المدة الواقعة ما بين 25 ايلول و 7 تشرين الاول من سنة 1943 . وفي نهايتها اصدر المؤتمر بياناً رسمياً ، عرف فيما بعد باسم « بروتوكول الاسكندرية » ، وجاء في مقدمة هذا البيان :

« البنا للصلات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين البلاد العربية جمعاء ، وحرصاً على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصالح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانها وادائها ، واستجابة للرأي العربي العام ، في جميع الاقطار العربية قد اجتمعوا (اي المؤتمر) بالاسكندرية بين يوم الاثنين 8 شوال سنة 1963 الموافق 25 سبتمبر 1943 ويوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1943 في هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتي :

اولاً : تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى «مجلس جامعة الدول العربية» تمثل فيه الدول المشتركة في «الجامعة» على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد الاجتماعات الدورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تطبيقاً للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء ، بالوسائل الممكنة والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان الى المجلس لفصل هذا الخلاف ، ففي هذه الاحوال ، تكون قرارات « مجلس الجامعة » نافذة وملزمة ، ولا يجوز على كل حال الالتجاء الى القوة لفصل المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام او روحها . ولا يجوز في اية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يفضي منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة

او غيرها للتوفيق بينهما . وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لاعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » ولبحث المسائل السياسية التي يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية . « وقد تضمن هذا البيان « البروتوكول » بالاضافة الى فقراته الاساسية قرارين خاصين ، احدهما عن لبنان والاخر عن فلسطين . ويمكن تلخيص المباديء العامة الواردة في هذا البروتوكول بما يلي :

« التعاون في الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها وتدعيم هذه الروابط في المستقبل » . وجرى التوقيع النهائي عليه في ادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية يوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1944 والذين وقعوا عليه هم :

من مصر :

مصطفى النحاس ، رئيس الحكومة
احمد نجيب الهلالي ، وزير المعارف العمومية
محمد صبري ابو علم ، وزير العدل
محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية

من سورية :

سعد الله الجابري ، رئيس الحكومة .
جميل مردم ، وزير الخارجية .
نجيب الامنازي ، امين السر العام لرئاسة الجمهورية

من الاردن :

توفيق ابو الهدى ، رئيس الحكومة
سليمان السكر ، سكرتير مالي وزارة الخارجية

من العراق :

حمدي الباجه جي ، رئيس الحكومة
نوري السعيد ، رئيس سابق للحكومة
ارشد العمري ، وزير الخارجية
تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض بمصر .

من لبنان :

رياض الصلح ، رئيس الحكومة
سليم نقلا ، وزير الخارجية
موسى مباركة ، مدير غرفة رئيس الجمهورية

اجتماع القاهرة والقرار ميشاق الجامعة

ولما كان اجتماع الاسكندرية عبارة عن مؤتمر تحضيرى، والبيان الذى انشق عنه عبارة عن بروتوكول اعدادى ، فان الحكومات العربية التى شاركت فى هذا الاجتماع ووقعت البروتوكول ، كلفت من بينها لجنة فرعية لصياغة مشروع نهائي فى تنظيم المبادئ التى تقوم عليها جامعة الدول العربية وهيكلها الاداري . وقد قامت هذه اللجنة بما عهد اليها وقدمت هذا المشروع بشقيه السياسى والاداري فى غضون مدة قليلة لم تتجاوز الاسابيع الثلاثة ، وفى 22 اذار سنة 1945 ، انعقد مؤتمر عربي عام اشترك فيه مندوبون رسميون عن الدول التى سبق لها ان وقعت على بروتوكول الاسكندرية من قبل ، وقد انضم الى المجتمعين فى هذا المؤتمر مندوبون عن المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية ، بعد جهود شخصية بذلها عبد الرحمن عزام باشا لدى المرحوم الملك عبد العزيز وال سعود الذى لم يكن فى ذلك الوقت على علاقة طيبة مع مصر والعراق لاسباب تاريخية معروفة .

وبعد ان ناقش المؤتمر فى القاهرة المواد التى عرضت عليهم، ادخلوا عليها بعض التعديلات التى راوها ضرورية لنجاح المؤسسة القومية التى يريدون تأسيسها ثم ذبلوا ما اتفقوا عليه بتواقيعهم . وكان ذلك فى قصر الزعفران بالقاهرة يوم الخميس 8 ربيع الثانى سنة 1364 الموافق 22 اذار سنة 1945 . وكانت الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، بعد ان افوا كلمة «بروتوكول الاسكندرية» ووضعوا مكانها عنوانا اخر وهو « ميشاق جامعة الدول العربية » . والذين وقعوا هذا الميثاق نيابة عن دولهم هم السادة :

عن سورية :

فارس الخوري ، رئيس الحكومة
جميل مردم ، وزير الخارجية

عن الاردن :

سمير الرفاعي ، رئيس الحكومة
سميد المفتي ، وزير الداخلية
سليمان النابلسي : نائب سر الحكومة

عن العراق :

ارشد العمري ، وزير الخارجية

علي جودت الايوبي ، وزير العراق المفوض
بواشنطن

تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض
بمصر .

عن المملكة السعودية :

الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير الخارجية
خير الدين الزركلي ، مستشار المفوضية
السعودية بمصر

عن لبنان :

عبد الحميد كرامي ، رئيس الحكومة
يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بمصر

عن مصر :

محمود فهمي النقراشي ، رئيس الحكومة
محمد حسين هيكل ، رئيس مجلس الشيوخ
عبد الحميد بدوي ، وزير الخارجية
مكرم عبيد ، وزير المالية
عبد الرزاق السنهوري ، وزير المعارف
العمومية

عبد الرحمن عزام ، الوزير المفوض بوزارة
الخارجية

اما اليمن فقد ارسلت الى صنعاء نسخة الميثاق
حيث وقعها مندوب المملكة المتوكلية اليمنية وبذلك
تكون جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة
قد وقعت ميشاق الجامعة بلا استثناء .

يوم 22 اذار سنة 1945 هو ميلاد جامعة
الدول العربية رسميا

تنص المادة العشرون من الميثاق ، وهي اآخر
مادة فيه :

« يصدق على هذا الميثاق وملاحقه ، وفقا للنظم
الاساسية المرمية فى كل من الدول المتعاقدة وتودع
وثائق التصديق لدى الامانة العامة . ويصبح
الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة
عشر يوما ومن تاريخ استلام الامين العام وثائق
التصديق من اربع دول » .

وقد نفذت الدول العربية المتعاقدة مضمون هذه
المادة خلال ايام متقاربة ، واودعت حكومات هذه

الدول وثائق التصديق على الميثاق حسب الترتيب التالي :

المملكة الأردنية الهاشمية	بتاريخ 10 نيسان 1945
المملكة المصرية	بتاريخ 12 نيسان 1945
المملكة العربية السعودية	بتاريخ 16 نيسان 1945
المملكة العراقية	بتاريخ 25 نيسان 1945
الجمهورية اللبنانية	بتاريخ 16 ايار 1945
المملكة المتوكلية اليمنية	بتاريخ 19 ايار 1945
الجمهورية السورية	بتاريخ 9 شباط 1946

وعلى هذا فإنه ابتداء من يوم 11 ايار 1945 أصبح ميثاق جامعة الدول العربية نافذ المفعول بشكل رسمي ، غير أن الرأي اتفق بالاتفاق على أن يكون يوم 22 آذار 1945 هو اليوم الرسمي لتأسيس الجامعة ، ذلك أن مندوبي الدول العربية المجتمعين في القاهرة وقعوا بمجموعهم تقريرا الميثاق في هذا اليوم .

ونظرا لاهمية هذا الحدث القومي في تاريخ الامة العربية ، فقد قررت جميع الدول المشتركة في الجامعة اعتبار هذا اليوم عيدا قوميا تعطل فيه سائر الدوائر والمؤسسات العامة في بلادها من كل عام .

خلاصة الميثاق

وميثاق جامعة الدول العربية يقع في عشرين مادة اتفق عليها جميع الذين وقعوا عليه لتكون قاسما مشتركا ضمن الحدود التي توافقتوا على التزامها فيما بينهم ، سواء في علاقاتهم بعضهم ببعض أو في علاقاتهم مع غيرهم من الدول الأجنبية .

وقد عبرت المادة الاولى من هذا الميثاق عن طبيعة الجامعة واغراضها ومبادئها إذ نصت انه :

«تتألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقعة على هذا الميثاق ، ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم الى الجامعة ، فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة للجامعة ، ويعرض على المجلس في اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » .

كما نصت المادة الثانية على أن :

« الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا لتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر

بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .
كل ذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها واحوالها في الشؤون الآتية :

1 - الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملية وامور الزراعة والصناعة .

2 - شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

3 - شؤون الثقافة

4 - شؤون الجنسية والجوازات والناشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين

5 - الشؤون الاجتماعية .

6 - الشؤون الصحية .

ملاحق الميثاق

ويعد أن مددت مواد الميثاق انواع النشاطات المختلفة التي تقوم بها الجامعة فان مندوبي الدول العربية الذين اشتركوا في اعداد الميثاق بصيغته النهائية ، كانوا حريصين على تضمينه ملحقا خاصا بقضية فلسطين قالوا فيه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المسلحة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، واصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لاية دولة اخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن امرها لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن قد مكنت من تولي امورها ، فان ميثاق العصبة (عصبة الامم) في سنة 1919 لم يقرر النظام الذي وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها . لوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية امر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الاخرى . واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية ، انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا التطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » .

اختيار القاهرة مقرا للجامعة

اما بصدد المكان الذي يتخذ مقرا رئيسيا لاقامة امين هام للجامعة بصورة دائمة مع الدوائر الادارية التي تتبع له مباشرة ، فقد رأى ان يكون في مدينة القاهرة . وقد روعي في هذا الاختيار مكانة مصر في العالم العربي ، وهي المكانة التي تستمد قوتها ونفوذها من الامكانات الضخمة التي تتوفر لهذا القطر الكبير سواء بالنسبة لعدد سكانه او بالنسبة للظروف الممنونة التاريخية التي جعلت منه كيانا قوميا تكاملت له اسباب الزعامة الفكرية عن طريق ما فيه من المؤسسات العلمية الكثيرة، الى جانب الزعامة الدينية عن طريق وجود الجامع الازهر الشريف في ارضه . وعلى هذا فقد نصت المادة العاشرة من ميثاق الجامعة :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة على ان يجتمع في اي مكان آخر يعينه » .

النص على مصرية الامين العام للجامعة

وتبعا لاختيار مدينة القاهرة مقرا دائما للجامعة، فان اعضاء مجلس الجامعة راوا ان يكون كذلك منصب الامين العام لهذه المؤسسة وقفا على واحد من المصريين ، لا ينافهم في ذلك غيرهم من الشعوب العربية . وقد اكد المجلس ذلك بالنص عليه في الملحق الذي اضافوه في آخر الميثاق وهو يقضي باسناد هذا المنصب الخطير الى عبد الرحمن عزام باشا نظرا لخبرته في الشؤون العربية وسابقته في خدمة العروبة في مختلف اقطارها وامصارها .

الفوارق الملحوظة بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة

وما دنا قد تحدثنا فيما سبق عن ميثاق الجامعة بمواده وملاحقه ، فاننا لا نرى بأسا من ان نتناول بكلمة عابرة الظروف والملابسات التي جعلت من هذا الميثاق يختلف في بعض مواد الرئيسية وملاحقه الاضافية عن البروتوكول الذي أصدره المؤتمر التحضيري في الاسكندرية فلما اجتمع في هذه المدينة بدفوة من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية .

ولقد كان اختيار الشخصية العربية الفلسطينية موضوعا شائكا بالنسبة لامضاء الجامعة ، وذلك بسبب الاوضاع الصعبة التي كانت تعانيها فلسطين تحت وطأة الانتداب الانجليزي وهموم الخطر اليهودي الذي يهددها بالزوال من خريطة العالم العربي ، وكذلك بسبب غياب زعيمها سماحة السيد محمد امين الحسيني وصحبه من قادة النضال الفلسطيني ، في المعتقلات والمنافي السحيقة .

غير ان مجلس الجامعة رأى الخروج من هذا المازق الحرج بتبني اقتراح قدمه السيد محمد صلاح الدين باشا . وهذا الاقتراح يقضي بتعيين السيد موسى العلمي ممثلا عن فلسطين في ذلك المجلس ، وكان الذي وجه نظر صلاح الدين باشا الى هذا الشخص الاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العربي المعروف . والسيد موسى العلمي الذي كان حينئذ مقيما بمصر هو من رجال فلسطين المثقفين الذين يتمتعون بسمعة مرموقة واسم طيب ، وكان يشغل في بلده فلسطين ايام الانتداب البريطاني وظيفة مساعد النائب العام .

موضوع الدول العربية غير المستقلة

وكذلك فان ميثاق جامعة الدول العربية لم يشأ ان يحصر اهتمامه بالدول العربية المستقلة ، بل انه تضمن الى جانب الملحق الخامس بفلسطين ، ملحقا آخر خاصا بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة بسبب وقومها تحت السيطرة الاجنبية كي لا تحرم هذه الدول وما هو في حكمها من المساهمة في نشاطات الجامعة داخل لجانها المتعددة . وقد جاء في الميثاق في هذا الصدد انه: « نظرا لان الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شؤوننا يعود خيرها والرها على العالم العربي كله ، ولان امانى البلاد العربية غير المشتركة في المجلس ينبغي ان يراها وان يعمل على تحقيقها فان الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعينها بوجه خاص ان توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشراك تلك البلاد في اللجان المشار اليها في الميثاق ، بان يذهب في التعاون معها الى ابعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بان لا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم امانيتها وآمالها ، وبان يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ما هيئه الوسائل السياسية من اسباب » .

وتشير في نفوسهم الشك والريبة بكل ما هو عربي أو يتصل بالعروبة من قريب أو بعيد . . .

بيد ان المؤتمر التحضيري الذي تحول في القاهرة الى مجلس جامعة الدول العربية رأى افعال هذا القرار في ميثاقه كي لا يكون في هذا الميثاق نتوءات نفسية او ثغرات قومية ، توحى بالترقة بين دولة عربية واخرى . واكتفى اعضاء المؤتمر بتأكيد المبادئ العامة التي تشمل الدول العربية المستقلة جميعها ، على سوية واحدة من الاعتبارات الوطنية.

فلسطين وبروتوكول الاسكندرية

اما بالنسبة الى فلسطين فان بروتوكول الاسكندرية كان قد خصصها في فقرته الخامسة بقرار مستقل جاء فيه :

1 - ترى اللجنة ان فلسطين وكن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي ، كما ترى اللجنة ان التعهدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من الحقوق الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تالما من احد لما اصاب اليهود في اوروبا من الويلات والالام على يد بعض الدول الاوربية الديكتاتورية ، ولكن يجب ان لا يخلط بين مسألة اليهود بأوروبا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

2 - يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانقاذ اراضي العرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل .

وعندما اجتمعت هذه اللجنة التحضيرية في قصر الزعفران بالقاهرة واصدرت بيانها « ميثاق جامعة الدول العربية » يوم 22 آذار 1945 ، جاء نص الملحق الخاص بفلسطين مخالفا جملة وتفصيلا للقرار الذي

ويمكن القول ان ابرز مواطن الاختلاف بين الميثاق وبين البروتوكول ، تكاد تنحصر في موضوعي لبنان وفلسطين .

ملحق لبنان في البروتوكول

تضمنت الفقرة الرابعة من بروتوكول الاسكندرية قرارا خاصا بلبنان هذا نصها :

« تؤيد الدول العربية المثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده العاصرية ، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهج سياسة استقلالية اعلنتها حكومتها ببيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس النيابي اللبناني بالاجماع في 7 اكتوبر 1943 » .

اما الميثاق فقد خلا خلوا تاما من الاشارة الى لبنان ، فلم يذكر هذا القطر فيه لا تصريحيا ولا تلميحيا ، وليس من شك في ان تخصيص لبنان بمثل هذا القرار المستقل من قبل المؤتمرين بالاسكندرية كان بايحاء من المرحوم رياض بك الصلح الذي كان يتمتع باحترام جميع الزعماء العرب في داخل المؤتمر وخارجه ، ولعل المرحوم رياض بك اراد من وراء ذلك تطمين بعض الفئات اللبنانية الانعزالية الى احترام الدول العربية المؤسسة للجامعة لكيان لبنان بصورة رسمية ونهائية ، هذا الكيان الذي لم يكن حتى ذلك الحين يحظى لدى هذه الدول بالقبول والتأييد بسبب ما كان يحيط بنشونه سنة 1920 من اعتبارات سياسية تتناقض مع الاماني الوطنية منذ العرب في ذلك الحين . فلقد اراد المرحوم رياض بك الافادة من المكانة السامية التي كان يحتلها في الاوساط العربية لدعم موقفه الشعبي في نفس لبنان عن طريق بادرنه هذه ، وبذلك يعيب مصفوريين بحجر واحد ، كما يقول المثل السائر ، اثبات وجوده عربيا من جهة وتأكيد ولأنه الصادق للبنان في حدوده التي خططها الانتداب الفرنسي لدى بعض مواطنيه من جهة ثانية .

ومما ساعد رئيس الحكومة اللبنانية يومئذ على تمرير قراره في صلب النص الرسمي لبروتوكول الاسكندرية ان هذا القرار وجد هوى واستجابة في نفوس زملائه المؤتمرين الذين راوا الفرصة سانحة امامهم لحل « العالمة العربية » التي كانت تنهش اعصاب فريق من اهل « متصرفية جبل لبنان » القديمة ،

تضمنه البروتوكول بهذا الصدد ، اذ روعي في نص الميثاق من فلسطين ، ان يدور في العموميات الغامضة التي لا تلزم اعضاء الجامعة بأية مبادرة محددة من اجل انقاذ فلسطين من الاخطار الاستعمارية والصهيونية التي كانت تهدد كيائها بالزوال والتي ازالته بعد ذلك بالفعل .

وقد اثار هذا الفموض في قرار فلسطين بالميثاق يومئذ تساؤلات كثيرة رددتها الصحف على السنة بعض القادة والزعماء الوطنيين . على ان هذه التساؤلات بقيت دون اى جواب من قبل المسؤولين العرب ، والتعليق الوحيد الذي صدر في حينها حول هذا الموضوع هو ما نسب الى الامين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا من « الخواجات عاوزين كده » . .

وطبيعي ان هذا الجواب المنسوب الى عزام باشا ابقى علامة الاستفهام عاتقة حيث هي في اذهان المتسائلين لان عبارة « الخواجات عاوزين كده » لم تحمل اليهم الجواب الذي كانوا يتوقعونه . وكل ما حصل هو ان الظنون اتجهت الى ان المقصود « بالخواجات » هم الانكاز ، الامر الذي جعل الناس غير مطمئنين الى جدية الكلام الوارد في الميثاق بصدد قضية فلسطين والذي يؤسف له ان الايام قد كشفت فعلا فيما بعد ان سوء ظن الناس كان في محله ! .

الصفة القانونية والوضع الدولي لجامعة الدول العربية

بعد ان قدمنا جامعة الدول العربية في اطارها القومي العام واغراضها الوطنية المختلفة ، فانه يجدر بنا ان نقدم هذه المؤسسة الهامة من خلال مفهومها القانوني سواء في علاقاتها الرسمية باعضائها من الدول العربية او فيما كانت تقوم به من طريق امينها العام من اتصالات مع حكومات الدول الاجنبية والمؤسسات العالمية كهيئة الامم المتحدة واللجان المنفرعة عنها .

والملاحظ ، ان الذين وضعوا ميثاق الجامعة بما فيه من مواد او ملاحق او تنظيمات لم يحاولوا تحديد وضعها القانوني لا عربيا ولا دوليا ، وذلك على الرغم من ان البحث في هذا الوضع اثير اكثر من مرة واستقطب اهتمام الدول الاعضاء واستدرجهم الى كثير من الحوار والمناقشات الجدلية التي تميزت بالحدة والعنف . الا ان الاعضاء كانوا يدورون دائما حول الحمى دون ان يرتفعوا في صميمه ، او ينتهوا منه الى راي حاسم يجمع

عليه كافة الفرقاء المعنيين . واخيرا تركوا البحث في هذا الموضوع تاركين للزمن مهمة البت في الوصف القانوني لمؤسستهم لتفادي الحرج والانقسام والفشل فيما اخذوا انفسهم به لا سيما بعدما سمعوا زميلهم الاستاذ هنري فرعون ، وزير خارجية لبنان يعلن قائلا: « عندما نمطي كيانا قانونيا للجامعة تصبح لها الشخصية الدولية ، ونفس البروتوكول لا ينص على ذلك ، فاذا اردتم موافقتنا فلنتترك هذه المسألة » .

وهكذا يمكن القول بان شخصية جامعة الدول العربية من الناحية القانونية بقيت غير واضحة ولا محددة المعالم ، مما حمل اهل الدراية في الفقه السياسي والتشريع الدولي على ان يعتبروها مجرد مؤتمر دائم للدول العربية يرمي الى القيام بمهام خاصة ومحددة ، وعلى انه « ليس لهذه الجامعة شخصية كاملة في السيادة والاستقلال سواء في الداخل او في الخارج » . وهذا هو الرأى الذي تشبث باعتماده مندوب لبنان الاستاذ هنري فرعون وعلق بقاء حكومته في الجامعة على اساسه .

الجامعة العربية وعلاقاتها الدولية والعالمية

هذا فيما يتصل بالشخصية القانونية للجامعة في المحيط العربي البحث . اما فيما يتصل بصفتها القانونية في المحيط الدولي والعالمي ، فان اوار الجدل حول هذا الموضوع لم يكن اقل احتداما عنه في صدد الموضوع السابق . ذلك ان بعض الحكومات العربية وفي طليعتها لبنان كانت تصر دائما على ان تنفي عن الجامعة الصفة القانونية التي تخولها حق التكلم باسمها في المحافل الدولية كهيئة الامم المتحدة ، او عن طريق المراسلات الرسمية مع الدول الاجنبية الاخرى . وكانت معارضة هذه الحكومات قائمة على ان القول باعتبار الجامعة العربية هيئة اقليمية يتعارض ومبدأ السيادة القومية لكل دولة من دولها على حدة .

وهنا لا بد من القول بان الحكومة اللبنانية كان لها يومئذ النصيب الاوفر في معارضة الصفة القانونية الدولية للجامعة ، وعندما كان عبد الرحمن عزام باشا يقوم في امريكا بجولة دعائية لصالح القضية المصرية اثناء نظرها في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة، نقلت جريدة المصري من لسان الاستاذ هنري فرعون قوله :

حدود الميثاق صادرا من الجامعة بوصفها هيئة اقليمية. قائلة بداتها .

وبالفعل فان حكومات الدول العربية عملت على التو بهذه التوصية التي سرعان ما لقيت استجابة رسمية من بعض الدول الاجنبية ، فاعلنت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في ذلك الحين : « ان الحكومة البريطانية ستعترف رسميا بالمخابرات الخاصة بالموضوعات السياسية والتي توجه من قبل جامعة الدول العربية ، وسيوجه الرد عنها الى الامين العام للجامعة ، بنفس الطريق الذي اتبع في ارسال الخطاب المجاب عليه » . وضمن البيان بان هذا الكتاب الرسمي من طرف الوزارة البريطانية يعني اعتراف هذه الحكومة بكيان الجامعة وصفتها القانونية . حتى ان الحكومة الاسبانية لم تكتف بالاعتراف الشكلي بالصفة الدولية لجامعة الدول العربية، بل انها تجاوزت ذلك الى مدى ابعد ، وتقدمت الى مجلس الجامعة عبر مذكرة رسمية تلتزم فيها معاونتها في محيط السياسة الدولية وتأييدها في مواقفها السياسية عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

اعتراف هيئة الامم المتحدة بالكيان الدولي للجامعة

هذا ، ولم يقف الاعتراف بالشخصية القانونية لجامعة الدول العربية عند حدود الحكومات الاجنبية وحسب ، بل ان هيئة الامم المتحدة نفسها ، قد اعترفت هي الاخرى بهذه الشخصية وذلك عندما اقرت جميعتها العمومية اقتراحا قدم اليها بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى النظر في انشاء لجنة اقتصادية للشرق الاوسط واعترفت فيه « بان تعاون اللجنة مع الهيئات الاقليمية في الشرق الاوسط كالجامعة العربية » من شأنه ان ييسر للجنة مهمتها »

وعلى الرغم من ان قرار هيئة الامم المتحدة الذي اصدرته جميعتها العمومية ، فسر يومها بأنه نوع من الاعتراف « الواقعي » بالجامعة ، الا انه على أي حال يعتبر اعترافا ضمينيا بالشخصية الدولية لهذه المؤسسة الاقليمية . وقد ذكر عبد الرحمن هزام باشا في حديث نشرته له جريدة « الحياة » البيروتية في عددها الصادر يوم 23 آذار 1969 ان الجمعية العمومية للامم المتحدة اتخذت سنة 1950 قرارا بقبول الجامعة كمنظمة اقليمية تخدم اهداف الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

« بما انه ليست للجامعة اية شخصية قضائية (لعله يريد قانونية لانه لا يحسن العربية السليمة) فان امينها العام لا يخرج من كونه موظفا كبيرا اداريا . ومن الواضح انه ليست له اية صفة لبذل مثل هذا المسمى على حساب الجامعة . وتعتبر هذه الجامعة بمثابة مؤتمر دائم للدول العربية ، وان الدول العربية تعرب من آرائها بواسطة حكوماتها ووزرائها المفوضين » .

على انه مما يشير الدهشة والاستغراب ان موقف لبنان من هذه المسألة كان يناقض بعضه بعضا حتى في نفس الحكومة الواحدة ، اذ بينما كان راي وزير خارجية لبنان كما بينا آنفا . فان رئيس الحكومة اللبنانية المرحوم عبد الحميد كرامي في ذلك الوقت ، نجده عند نظر قضية جلاء القوات الفرنسية من سورية ولبنان بصر ، وفي مجلس الجامعة بالذات بان : « لبنان يتمسك بتمثيل الجامعة في كل مؤتمر يعقد بين الدول الكبرى لعلاج هذا الامر »

اما مندوب سورية المرحوم سعد الله بك الجابري فقد ذهب في الاعتماد على قانونية الوجود الدولي للجامعة الى ابعد مدى حين قال : « ان سورية تؤثر ان لا تمثل هي ويمثل مجلس الجامعة » .

وبالفعل فان المجلس قد اصدر يوم 5 يونيو 1945 بناء لطلب مندوبي سورية ولبنان قرارا متضمنا هذا التمسك بتمثيل الجامعة وتفضيله على تمثيل الدولتين صاحبتني الشأن المباشر ، وكان هذا القرار باجماع آراء الدول الممثلة في المجلس، وهو اعتراف اكيد وصريح بالصفة القانونية الدولية للجامعة .

والواقع ان جامعة الدول العربية كانت تعتبر نفسها ذات شخصية دولية غير مشكوك في قانونيتها . وقد كان امينها العام عبد الرحمن هزام باشا يمارس نشاطه ويقيم اتصالاته وعلاقاته مع الحكومات الاجنبية والمنظمات الدولية من خلال هذا الاعتبار . وعندما بحث مجلس الجامعة في اجتماعه العادي الخامس قضيتي ليبيا وفلسطين مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، فان هاتين الدولتين تخاطبتا رسميا ومباشرة مع جامعة الدول العربية في موضوع هذين البلدين .

على انه في 13 حزيران 1946 حسم الجدل حول هذا الموضوع ، اذ اصدر مجلس الجامعة المنعقد في بلودان قرارا يوصي فيه الدول العربية بان تطالب الحكومة البريطانية بالاعتراف بجامعة الدول العربية صراحة ، وان تعتبر ما يوجهه اليها الامين العام ، ضمن

اقتطارها ، بل انها تجاوزت في نضالها الدبلوماسي هذا النطاق القومي فاصدرت قرارا بتوصية الدول الاعضاء بهيئة الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية الاندونيسية عندما حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من الاستعمار الهولندي . وهكذا ...

الجامعة توصي بانشاء جيش موحد للدفاع عن البلاد العربية

عندما تعرض مجلس الجامعة لبحث الاعتماد الفرنسي على سورية ولبنان 1945 ، اقترح المرحوم توفيق السويدي ترويد هذين البلدين بجيش عربي مشترك لمساندتهما في الدفاع عن كيانهما الوطني ، وقد علق عبد الرحمن عزام باشا يومئذ على هذا الاقتراح بالتعبير وقال : « ان هدف الجامعة العربية هو ان تكون في المستقبل مسئولة عن الامن داخل نطاق دول الجامعة وتستمد هذه السلطة من نفسها ومن شعوبها . وقد يقرها مجلس الامن الدولي على ذلك ، وسياتي اليوم الذي يكون فيه للدول العربية قوة دولية كافية لتأمين الامن في نفس هذه الساحة .. مستندة الى مجلس الامن نفسه ! » .

محكمة عدل عربية تابعة للجامعة

وقبل ان ناتي على ختام هذا الحديث فانه لا بد لنا من الإشارة الى ان المرحوم رياض بك الصلح سعى سعيا حثيثا لاجل انشاء « محكمة عدل عربية » في صلب تنظيمات الجامعة العربية ، تكون مهمتها النظر من الناحية القضائية في النزاعات التي يمكن ان تقوم بين الدول الاعضاء في هذه الجامعة ، وذلك من اجل تحديد الحالة القانونية للدول المتنازعة . على نحو ما هو متبع في محكمة العدل الدولية في لاهاي بهولندا ، غير ان هذه الفكرة الجليلة لم يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ وطوي البحث فيها بعد اغتيال المرحوم رياض بك في سنة 1951 .

وايا ما كان ، فان جامعة الدول العربية ما لبثت ان اصبحت عربيا ودوليا ذات شخصية قانونية قائمة ببلداتها رغم ان المندوب اللبناني اصر على اعتبارها بمثابة مؤتمر يجمع الحكومات العربية للتشاور فيما بينها في درس القضايا الخاصة بالعرب مما يعرض عليه .

الجامعة تتصرف على انها هيئة قومية اقليمية

وان الجامعة ، قد تصرفت فعلا على انها هيئة سياسية اقليمية ، من ذلك انها تقدمت الى مجالس الوزراء بالدول العظمى عبر مذكرات متعددة تبين فيها وجهة نظرها في مصير ليبيا وتطلب الاشتراك بهذه الصفة في اى لجنة تحقيق يمكن ان ترسل اليها لتعرف رغبات سكانها في تقرير مصيرهم . وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف هجرة الايطاليين غير المشروعة الى البلاد الليبية .

وبعثت بمذكرتين الى الجمهورية الفرنسية ، احدهما بشأن تحرير المرحوم محمد المنصف باي تونس الذي كان اسيرا في فرنسا واعادته الى عرشه الذي اغتصب منه بغير حق ، والاخرى بشأن اطلاق سراح المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف بمراكش الاسبانية . كما انها قامت بجهود خاصة في سبيل منع تنفيذ احكام الاعدام التي اصدرتها الحكومة الفرنسية بالجزائر بحق عدد من المجاهدين الجزائريين سنة 1945 . وكذلك ارسلت مذكرة اخرى الى فرنسا تطالبها فيها بتنفيذ التزاماتها كدولة تدير اقاليم لا تتمتع بالحكم الذاتي مما هو منصوص عليه في ميثاق هيئة الامم المتحدة . وايضا فان الجامعة قامت بالتوسط لدى الحكومة البريطانية لدعوة الهيئة العربية لفلسطين الى الاشتراك في مؤتمر لندن ، واتصلت بهيئة الامم المتحدة بشأن تحديد موعد اجتماع اللجنة المؤقتة للجنة الصحية للامم المتحدة عند انعقادها في جنيف بسويسرا .

بل ان الجامعة لم تكتف بالاتصالات المالمية التي قامت بها لصالح قضايا الشعوب العربية في مختلف

عز وبلية

الدكتور أسعد حمود "دمشق"

وكان القادة الصهاينة والقيمين من انه لن يصدر من العرب والمسلمين رد فعل جدي، لاحتراق المسجد الأقصى، وأن الرد لن يكون أكثر من احتجاجات وصيحات لن تلبث أن تهدأ، ولن يكون لها على الصهاينة اثر ولا ضرر.

وكان موشي ديان هو القائد الصهيوني الذي دأبت الاحلام الخادمة أجفانه، بل يقترب اسمه في التاريخ بتحقيق دولة (إسرائيل الكبرى)، والقضاء على كل اثر للعرب والاسلام فيها. وأن نصر حزيران الرخيص الذي حققته قيادته على العرب، قد فاق جميع تقديراته وآماله، فظن أن ما حلت إسرائيل بتحقيقه، على مدى أجيال وقرون، أصبح، بعد نصر حزيران، أمرا سهلا المنال قريب التحقيق، فطمع بأن يكون هو ذلك البطل المحقق لاحلام قومه.

واندفع ديان ومصابته في مفارقاتهم، وجرائمهم، التي بلغت ذروتها في احتراق المسجد الأقصى، ليعجبوا هود العرب والمسلمين، وليجربوا رد فعلهم، حتى اذا وجدوه هزيبا ضعيفا، عادوا الكرة لاحتراقه بشكل تام ونهائى.

وفي الواقع كان رد فعل العرب والمسلمين ضعيفا، لا يتناسب وقسوة المكان الذي أشعل الصهاينة فيه النار ودنسوه. ولكن يجب أن نعترف للامانة والحقيقة، بأن العرب انفسهم - اصحاب المصلحة المباشرة في أرض فلسطين، وفي الحفاظ على قدسية المسجد الأقصى - لم يحسنوا الافادة من هذه المناسبة، ولم يحسنوا

إبطر الصهيونيين فشل العرب عام 1948، في القضاء على احلامهم في اقامة دولة لهم في قلب العالم العربي، في البقعة المقدسة فلسطين، وراى في جرائمهم نجاح هذوانهم على مصر عام 1956، اذ اشتركت معهم في المعركة دولتان كبيرتان هما انكثرا وفرنسا، بينما ترك العرب مصر لمصيرها، تواجه العدوان لوحدها.

وبلغت النشوة والخيلاء بالصهيونيين حد الجنون اثر ظفرهم، غدرا وغيلة، بالعرب في معركة حزيران 1967 فاستخفوا بالعرب وقدراتهم على الحفاظ على ما تحت أيديهم من أرض وراث، فانطلقت من افواه المسؤولين الصهاينة اصوات وصيحات، تفضح بوضوح ودون تورية او تمويه، المخطط الصهيوني البعيد المدى، من ضم والحاق وتوسيع على حساب الارض العربية. ولم يستبعدوا التفكير في الاعتداء على الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز.

اما القدس فقد اعتبر الصهاينة امرها منتها، فأمروا باحتراق المسجد الأقصى، الذي يمثل احد المقدسات الكبرى للعالم الاسلامي، غير مقيمين وزنا لرد فعل العرب، ولا لغضب المسلمين المنتشرين في اسواق الارض. اذ كانوا يريدون أن ينتهوا، وبأسرع ما يمكن، من القضاء على كل ما يربط العرب والمسلمين بالقدس، والارض المقدسة فلسطين، ليسهل عليهم امر ترحيل من تبقى من العرب في القدس والمدن الفلسطينية الاخرى، الى البلاد العربية.

ولا شك في أن السعي الجدي لتحقيق التنسيق والتقارب بين مصر وليبيا والسودان ، ستنلوه خطوات أخرى نحو الوحدة بين الاقطار الثلاثة ، تجعل تلك المنطقة المتلاصقة ، التي تضم قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع من الأرض وخمسين مليوناً من البشر ، كتلة واحدة في المعركة ، ونواة تستقطب الاقطار العربية الواحدة بعد الأخرى ، لتجتمع شملها من جديد .

واننا لا نشك في أن التصريحات الوقحة التي صدرت وتصدر كل يوم ، عن قادة المنصرين في إسرائيل ، والتي تكشف عن نواياهم وأهدافهم ، وإطماعهم التوسعية ، وأن تدبيرهم للمقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ، واعتداءاتهم المتكررة على الوطن العربي ، ستكون بدء النهاية بالنسبة لهذا الجسم الغريب الذي أريد زرعه في جسم الأمة العربية ، ويوم ينهار هذا الكيان القائم خلافاً لمنطق التاريخ ، ولعقلية العصر ، سينال القادة الفاعلون جزءاً وافقاً على ما اقترعوه بحق الإنسانية والمقدسات من جرائم .

وليس زعماء إسرائيل هم أول من طرا على هذا الأرض وحاول تدنيس مقدساتها ، والإساءة إلى شعوبها ، وليس موسى ديان وعصاته هم أول المغامرين الذين اغرامهم التفرق ، والنزعات العارضة بين شعوب العالمين الإسلامي والعربي ، بالاستطالة على العرب والمسلمين وعلى مقدساتهم ، وبالسخرية من قدراتهم ، وإمكاناتهم في رد الأذى والحق الهزيمة بالممتدين . فبعد قرابة ثمانمائة عام حل في جنوبي البحر الميت ، مفامر صليبي غادر ، غرته انتصارات عارضة ، حققها الصليبيون على المسلمين في المنطقة ، فظن أن بإمكانه تدنيس المقدسات الإسلامية في مكة والمدينة ، كما دنس من سبقوه المقدسات الإسلامية في القدس والخليل ، واتخذوا من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة مربطاً للخيول ومهجماً للجنود .

وكان من نتيجة ذلك أن فتحت جرائم ذلك المغامر عبون العرب والمسلمين على حقيقة الخطر المحدق بهم وبمقدساتهم في المنطقة كلها ، وأدركوا أنه ما دام هناك مستقر لجسم غريب في أرضهم ، فلا أمن ولا سلام ولا أطمئنان ، فتحركت أوتال تتلو أرتالا من المجاهدين ، من كل أرض من أراضي الإسلام ، مليئة بدعوة الجهاد ، تقاتل وتحارب ، حتى كانت معركة حطين ، التي دفع ذلك المغامر قومه إلى خوضها وهم

عرض قضيتهم ، ولم يعرفوا ما يربسون بالضبط من وراء دعوة أقطاب المسلمين إلى مؤتمر الرباط . وفي اعتقادنا أنهم لو اتبعوا صيحة الجهاد التي أطلقوها ، بتنظيم جدي لايفاد متطوعة ومحاربين من العالم الإسلامي ، لراينا اليوم زحواً تتلوها زحوف من الأبطال المستميتين ، يتدفقون على ميدان المعركة ، من كل أرض انطلقت من مآذنها صيحة (الله أكبر) ، ملين دامي الجهاد المقدس ، ليقضوا على العدو الذي دنس مقدساتهم ، أو لينالوا اجر الشهداء على الأرض المقدسة في المعركة المقدسة .

إن الصهيونيين يستمدون على العرب كل من يستطيعون ، باسم الدين ، وباسم القومية ، وباسم المصالح الاقتصادية والسياسية . الخ ، لا يفرطون في عون يائهم وإن صفر . ونحن نستبعد عونا كبيراً ، بل معينا من العون لا ينضب ، كان يمكن أن يكون في كفتنا ، وكان يمكن أن يؤثر تأثيراً فعلياً وحقيقياً على أولئك الذين يدعمون إسرائيل ، ويمكنون لها ، لو أننا أحسننا التصرف ، وعرفنا ما نريد ، إلا وهو عون العالم الإسلامي ، ذي المصلحة الحقيقية في أن لا يكون في المنطقة خطر يهدد مقدسات الإسلام في فلسطين والحجاز .

وعلى كل حال فقد كان لاحتراق المسجد الأقصى ، ولتصريحات زعماء إسرائيل وتهديداتهم فائدة إذ فتحت عبون العرب على حقيقة ما يراد بهم ، وعرفتهم بحقيقة وضعهم ، الذي يغري الإعداء بهم . فادركوا أنه ما لم يتم تصالحاً حقيقياً بين الدول العربية ، بانتظار قيام وحدة بين أقطارهم ، تستطيع إقامة دولة مصرية وجيش مدرب قادر على استيعاب العلم الحديث والسلاح الحديث - فإنهم لن يستطيعوا رد الطامعين بهم ، وستبقى حفنة من المغامرين ، تستخف بهم ، وتستعزى بهم وتتحداهم في كل يوم وفي كل ساعة ، وتضربهم في مقر دارهم كلما شاء لها هواها أن تلهو بذلك .

وقد كانت أول بادرة للتضامن تصدر عن العرب ، وتشمر برفض هذا الواقع المؤلم ، هي الإجماع في مؤتمر الخرطوم ، الذي عقد اثر النكسة ، على دعم الإمكانيات المادية والعسكرية لدول المواجهة مع العدو ، وعلى رفض التفاوض مع العدو ، وعلى رفض الصلح معه . وتلك تلك ثورتان في ليبيا والسودان ، كان من شأنهما وضع إمكانيات القطرين الشقيقين في الميزان العربي الفعلي في المعركة المضارية .

لها كارهون ، فوقع في يد صلاح الدين اسيرا ، فلم يعف عنه ، لانه اعتبره مجرما ، وقاطع طريق ، ولم يعتبره محاربا يحترم قوانين الحرب .

ومنذ ذلك اليوم ادرك الصليبيون ان دولتهم قد اصبحت في حكم المقضي عليها بالزوال ، وتابى من خلفوا صلاح الدين المهمة التي بداها ذلك البطل ، حتى قذفوا بآخر الصليبيين في البحر ، بعد مائة وثمانين سنين من الحروب المتواصلة من يوم حطين .

وها نحن نسوق قصة ذلك المغامر الصليبي (ارناط) او (رينودوشا تيون) لعلها ان يكون فيها عظة للعرب ، وهبرة للمغامرين .

— ارناط —

تدفقت سيول الصليبيين على المشرق عام 1097 م (490 هـ) تريد - استجابة لنداء الكنيسة - استرجاع القدس من ايدي المسلمين ؛ ووجد الامراء المغامرون في اوربوا الفرصة سانحة ، فتنبوا المشروع لعلهم يفوزون بامارات واقطاعات في الشرق ، مستغلين حماسة البسطاء والسذج ممن دفعتهم الحماسة الدينية لتحقيق رغبات الكنيسة . وكان من بين اولئك الامراء المغامرين ، امير نورمندي الاصل استقر اباؤه في جنوبي ايطاليا وجزيرة صقلية ، وكان من نصيبه في الميراث ارضا صغيرة في جنوبي ايطاليا لا ترضي اطماعه الواسعة ، فأسرع بوهمند اوييمند كما تسميه الرواية على راس من تجمع تحت لوائه ، ينضم الى الجيوش الصليبية في الجانب الشرقي من مضيق البوسفور .

وبعد حروب واهوال وفظائع ومذابح ، تمكن ثلاثة ارباع المليون من الصليبيين من شق طريقهم الى سوريا ، وكان اول ما احتلوه فيها ، مدينة انطاكية ، التي دافع عنها حمايتها المسلمون اشرف دفاع واشجعه طوال عشرة اشهر . ولولا الخيانة التي اقرت احد القادة الداخليين حديثا في الاسلام ، لما تمكن الفرنج من احتلالها ، ولتبدل سير التاريخ كله في المنطقة .

وطمع بوهمند في ان يقيم لنفسه اماره في انطاكية وخاف رفاقه ، القادة الآخرون ، ان تفسد اطماع بوهمند خططهم الرامية الى التعاون مع الامبراطور البيزنطي ، اسحق كومنين ، وضرب المسلمين نقوة صليبية بيزنطية موحدة . وكان الامبراطور قد اخذ

المهود والمواثيق على القادة الصليبيين بان يعيدوا اليه ما يحتلونه مما كان تابعا في الماضي للامبراطورية البيزنطية ، وخصوصا انطاكية .

ولكن بوهمند لم يكن يفكر في غير مصالحه الخاصة ، فرفض الاستماع الى النصائح والاعتراضات ، وتمكن بحيله ومدبرائه ، من الفوز بامارة انطاكية ، رغم معارضة بعض زملائه .

وسار الامراء الصليبيون الآخرون جنوبا ، واقام كل منهم اماره لنفسه ، فكانت هناك مملكة في القدس ، وامارة في طرابلس ، وامارة في الرها (اورفه) .

واصبح بوهمند بلاء على المسلمين من جيرانه ، وكان اكثر ضغطه منصبا على حلب المجاورة لانطاكية ، ثم اسر بوهمند من قبل الغازي ابن الدانشمند ، امير التركمان في الاناضول ، ولكن لم يلبث ان فاضله واطلق سراحه لقاء فدية كبيرة ، فعاد بوهمند يتابع اعتدائه نحو من حوله من المسلمين والبيزنطيين .

ونقم البيزنطيون على بوهمند حنثه بيمينه ، واتكاهه لحقهم في السيادة على انطاكية ، فافتنموا فرصة هزيمة الفرنج - وفيهم بوهمند - في معركة حران عام 1104 م ، واسرموا يحثون الخطا نحو كيليكيا واللاذقية التابعتين لامارة بوهمند . فخارت قوى بوهمند وشعر بالخطر الشديد المحدق به . فمهد بالامارة الى ابن اخته تانكريد ، وذهب الى اوربوا ، ليستشير حملة صليبية اخرى ، هدفها انقاذ انطاكية من خطر المسلمين والبيزنطيين . ولكن بوهمند ذهب ولم يعد ، وتزوج هناك من اميرة فرنسية رزق منها بولد يعرفه التاريخ باسم بوهمند الثاني .

وفي الفترة بين ذهاب بوهمند الاول الى اوربوا ، ووصول بوهمند الثاني الى الشرق ، تعاقب على انطاكية اميران نورمنديان ، أحدهما يدعى تانكريد ، والآخر روجيه ، وقد قضى المسلمون على روجيه وعلى جيشه في معركة البلاط على الطريق بين حلب وانطاكية .

وفي عام 1128 م ، وصل الى انطاكية بوهمند الثاني ، وهو شاب فارغ الطول ، قوي البنية ، جميل الملامح ، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، واتقن استعمال السلاح ، حتى بد اقرانه به . وما هو الا ان تسلم اماره انطاكية حتى تزوج باليس ابنة الثانية لملك القدس بودوان الثاني ، وباشسر الاشارة على جبراته المسلمين ، ومباغتة الحصون القريبة من

أراضيه ، فحقق بعض النجاح ، وقد زاد ذلك النجاح المحدود في صلفه وفروره .

وفي يوم من أيام شهر شباط (فبراير) 1131 ، اتجه بوهمند من أنطاكية إلى كيليكيا ، على رأس قوة من فرسانه ، يريد أن يلحق به الإمارة الأرمنية ، بعد أن توفي صاحبها وابنه ، فانقض عليهم جيش من التركمان بقيادة الغازي بن الدانشمند (أسر بوهمند الأول عام 1101 م) ، وأحاط بهم إحاطة تامة ، وأنهال عليهم رميا بالنبال ، فخرجوا على الأرض صرعى ، وكانهم أعجاز نخل منقعر ، وفيهم بوهمند نفسه .

ولم يترك بوهمند من الأولاد غير بنت صغيرة لا يتجاوز عمرها السنتين ، اسمها (كونستانس) فتسلمت أمها الأميرة (اليس) إدارة الإمارة ، تحت وصاية ملك القدس .

ومرت الأيام ثقلا على الأميرة الشابة في إدارة إمارة واسعة ، يطمع بها جيرانها البيزنطيون من الشمال ، والمسلمون من الشرق . وكان خطر المسلمين قد أصبح مقلقا فعلا ، إذ تسلم أمارتي الموصل وحلب أمير شهم ، بعيد الهمة ، قوي المزينة ، هو عماد الدين زنكي ، وقرر أن يخوض بالمسلمين حربا ضروسا مع الفرنج ، ليزيل ما تجمع في نفس المسلمين من هيبة للفرنج في ميدان الحرب . فسار بجيشه إلى حصن قريب من حلب ، هو حصن الأتارب ، الذي طالما ارمب فرسانه أهل حلب ، وخربوا زروعهم ، ونهبوا أموالهم .

وتجمع الفرنج للدفاع عن الحصن ، وسال زنكي رجاله ماذا يرتأون . فأشار عليه بعضهم بالانسحاب من الأرض التي يحتلها العدو ، والعودة إلى حلب ، وأشار عليه آخرون بالتراجع إلى أراضي حلب ، فإذا لحق بهم الفرنج ، أمكنهم أنشأب المعركة في أرض إسلامية .

وكان زنكي قد قرر في نفسه خوض المعركة مهما كانت النتائج ، فقال لرجالته ، أن الفرنج قد استطالوا على المسلمين كثيرا ، وقد أصبح مألوسا لديهم أن يروا تراجع المسلمين وأحجامهم من القتال كلما راوا تجمع الفرنج ، ولذلك فإنه يرى أن يليق المسلمون بأسهم للفرنج ، ليذكروا ذلك في المستقبل ويقدروه . وأنه يرى أن أي تراجع أمام الفرنج سيجرئهم ، ويضعف من هزيمة المقاتلين المسلمين . وخلص من ذلك إلى القول بأنه يرى أن يقدم المسلمون

للقاء العدو مصممين على النصر ، وما النصر إلا من عند الله .

وتقدم المسلمون ، وقضوا على الجيش الصليبي واكثروا فيه القتل ، حتى ذكر ابن الأثير ، أنه مر في أرض المعركة ليلا ، بعد أكثر من سبعمين عاما ، فقليل له أن عظام القتلى الفرنج ما زالت منتشرة في تلك الأرض . وعاد المسلمون إلى حصن الأتارب فتسلموه من الفرنج ، فأخربوه حتى سووا بنياءه بالتراب ، لكيلا يتركوا الرا يرمز إلى الرهبة في قلوب أهل حلب ، ومن حولهم من المسلمين .

وخافت الأميرة الشابة على ملكها ، فأخذت ترسل زنكي سرا ، وتضع نفسها تحت حمايته ، فأساء ذلك الفرنج الذين تسربت إليهم أنباء اتصالاتها بالمسلمين . وأخذ الجميع يفكرون في وسيلة يتمكنون بها من إبعاد الأميرة (اليس) عن حكم أنطاكية ، وقد وجدوا أن خير الوسائل لذلك هي البحث عن زوج للأميرة الطفلة الوارثة (كونستانس) .

ووجدوا لها أخيرا شابا جميلا من نبله فرنسا ، هو الكونت (ريمون دويواتيه) فقدم إلى أنطاكية على أنه سيكون زوجا للأميرة (اليس) ، لكي يأمنا معا رضتها في دخول ريمون إلى أنطاكية .

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت الأميرة بمقد قران ريمون على ابنتها كونستانس ، فانسحبت إلى اللادقية .

تسلم ريمون دويواتيه إدارة أنطاكية ، نيابة عن زوجته ، وكان فارسا نجدا ، ولكن خصائصه ومميزاته ضاعت أمام هتكة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، الذي خلف أباه في حكم حلب ، في عام 1146م فانتزعا من الفرنج جميع ما كانوا يحتلونه شرقي العاصي ، كما انتزعا منهم جميع إمارة الرها .

وفي 29 حزيران (يونيو) 1149 م ، غفر نور الدين محمود بجيش أنطاكية ، عند قرية (أتب) (القريبة من جسر الشغور) وإبادته تقريبا ، وكان ريمون بين القتلى . فأصبحت كونستانس وصية على ابنتها بوهمند .

وقد شعرت الأميرة ، لأول مرة ، بمد موت زوجها بلذة الحكم . وسر البطريق لشموورها هذا ، فأخذ يشجعها على عدم الزواج مرة أخرى ، لكيلا

يأتي أمير جديد يقضي عليه بالانقضاء على عمله الديني وحسب .

وحاول ملك القدس - وهو ابن خالة كونستانس - أن يجد لها زوجا يحرره من مسؤولية الاشراف على انطاكية ، ويستطيع النهوض بأعباء الدفاع عنها في تلك الايام العصيبة من تاريخ امارات الفرنج في الشرق ، فلم تقبل الاميرة بزوج ، وآثرت الاستمرار في حياتها طليقة من قيود الزواج .

وسارت الامور سيرها العادي ، ونور الدين محمود يلح على ما يبدد الفرنج من مدن وحصون ، في كل يوم ، وقاوب الفرنج في انطاكية وفي غيرها ، ترتجف هلمأ ، كلما نظروا الى المستقبل المظلم .

لقاء الاميرة (باوناط)

وفي ذات يوم من اواخر عام 1152 ، لمحست الاميرة الشابة فارسا يدل زيه على انه حديث عهد بالوصول الى الشرق ، فاجبت به واستدتمته اليها ، وتعرفت عليه ، فزاد امجابهها به . ولم يكن ذلك الشاب غير المغامر رينو دوشانيون (او ارنات كما تسميه الرواية العربية) الذي سيجر الممالك الصليبية كلها الى الهاوية في معركة حطين ، وهو الذي سيرجده غدره ومحاولاته العبث بالمقدسات الى الموت بيد الرجل الرحيم صلاح الدين الايوبي .

وتكررت مقابلات الاميرة والفارس الفتى ، حتى اغرمت به وانفقت معه على الزواج ، ووجد المغامر الجريء في هذا الغرام فرصة تحقق له اكثر مما كان يطمح به ويحلم ، فلم يشأ ان يضيعها . وكان لا بد - بحسب التقاليد ايام النظام الاقطاعي - من الحصول على موافقة ملك القدس ، بودوان الثالث على الزواج ، بصفته الوصي الشرعي على الاميرة وعلى الامارة ، وكان بودوان اذ ذاك منهمكا في حصار ميناء مستقلان في جنوبي فلسطين ، - ومستقلان هي آخر ما تبقى بيد الفاطميين من ملك في فلسطين - فطار اليه الفارس المغامر ، يرجوه الموافقة على الزواج .

وعجب الملك من غرابة اطوار ابنة خالته ، كيف تقبل الزواج من شاب مغمور ، لا ثروة له ولا جاه ، بينما سبق لها ان رفضت الزواج بخيرة الامراء والنبلاء الذين عرضوا عليها في الماضي ؟ مع انه كان من الممكن ان يكون في ثراء هؤلاء النبلاء ، ونفوذ بيوتاتهم ، واتساع

املاكهم ، خير عون لامارة انطاكية ، وللمالك الصليبية في الشرق ، في حربهم الفروس المستمرة منذ خمسين سنة . ولكن الملك الذي يشن من موضوع زواج (كونستانس) ، اراد ان يتحرر من اعباء الدفاع عن انطاكية ، فوافق على الزواج ، بعد ان جثا (ارنات) على قدميه ضارعا متوسلا .

تم الزواج الاسطوري ، وتسلم ارنات حكم انطاكية فساسها بمقلية المغامر الفظ ، وكان اول ما استهل به عهده في الحكم ، هو الانتقام من بطريك انطاكية (اي مري دو ليموج) .

لقد كان البطريرك شيخا هزما يوم تم الزواج ، وكان يشارك الاميرة مشاركة فعلية في ادارة الامارة ، فاستمر الحكم والسلطة وسر بهما ايما سرور ، لذلك وجد من مصلحته ان تبقى الاميرة دون زوج ، تدبر الامارة ، ليكون هو الحاكم الفعلي ، والموجه الاول ، تصدر الامور في انطاكية عن رايه ونهيه .

ولما تم الزواج فوجيء البطريرك به ، فامتعض وساءه ان يصبح تابعا لجندي مغمور ، ليس له من الميزات غير غرام الاميرة الطائش به ، فاطلق لسانه فيه ، واطهر له الاحتقار والازدراء ، وهو لا يعلم ان عدوه الجديد لا تقف قسوته عند حد .

قسوة ارنات وغدره

وسرعان ما تطور الصراع بين الرجلين ، فامر ارنات بالقبض على البطريرك ، وجلده في الساحة العامة حتى ادمى جلده ، ثم امر به فشد الى وتد ، وهو حاري الجسد ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ، وطلعي جلده بالعسل ، لتتجمع عليه الحشرات والهوام ، لتسعه وتشرب من دمه .

وقد استاء الناس في انطاكية من هذه الوحشية ، التي يعامل بها اميرهم الجديد رجلا هزما له مكانته الدينية في نفوس الناس ، وله فضله في الدفاع عن انطاكية ، في ايام الشدة ، بعد مصرع ريمون دو بواتيه ووصلت انباء هذه المعاملة الفظة الى ملك القدس ، فاولفد على جناح السرعة رسولا ، يستنكر عمل رينو ويستغظه ، ويأمره باطلاق سراح البطريرك ، ففعل . ثم بدا لارنات ان يتفاهم مع الامبراطورية البيزنطية لمحاربة امراء الارمن في كيليكيا ، لعله يفوز بشيء من اراضيهم ، ولكنه سرعان ما انقلب على البيزنطيين ،

وشرع المحاصرون فى نصب آلاتهم ، وقذف الاسوار بالجنايق ، وبعد مدة قصيرة من الحصار ، اقتحم الفرنج اسوار البلد واحتلوها ، فلجأ المدافعون عنها الى القلعة وتابعوا دفاعهم .

وعرف ارنات بما ينتويه بودوان من تسليم شيزر وما حولها للكونت دوفلاندر ، فاستاء من ذلك واعترض على هذه الفكرة ، مدعيا ان شيزر وما حولها تدخل فى نطاق المجال الحيوي لانطاكية وان على تيرى ، اذا تسلم اماره شيزر واواسط العاصي ، ان يكون تابعا له حسب التسلسل الاقطاعي . واستاء تيرى بدوره من هذه الفكرة ، فانه لم يكن يخطر له على بال ، وهو المتحدر من امرق البيوتات واکرمها ، ان يدين بالولاء والطاعة لمغامر افاق حمله الحظ الى كرسي الامارة ، واعلم رفضه لما اقترحه ارنات . واشتد الخلاف فى المسكر الصليبي حتى كاد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه ، فلم يجد بودوان بدا من رفع الحصار والانسحاب من شيزر لكيلا يكون احتلالها سببا فى نشوب حرب اهلية بين الصليبيين .

خسوع الجبناء

استاء الامبراطور مانويل كومنين ، اشد الاستياء من هجوم ارنات وزميله الارمني على قبرص ، ومن الفظائع التي ارتكبتها ، ولكن ظروف الامبراطورية ، وما كانت تواجهه من مشاكل فى اوروبا ، لم تكن تسمح له اذ ذاك بالتفكير فى معاقبة المجرمين .

ولكن بعد ان تحرر الامبراطور من الكثير من مشاغفه ، تحرك فى عام 1158 م ، على راس جيش كبير الى كيليكيا ، فسحق امارات الارمن فيها ، واستولى على امهات المدن ، واقام معسكره قرب المصيصة بانتظار تحركه لمعاقبة ارنات .

وعلم هذا بما ينتويه الامبراطور ، فجزع جزع الجبناء المجرمين ، وخارت قواه ، وشل تفكيره ، ولم يعد يعرف ما يصنع ، بعد ان أدرك ان جرائمه قد اسلمته لمصيره ، وانه لن يجد بسببها ، معينا له فى محنته . وبينما كانت هواجس ارنات تعذبه وتقص مضجعه ، لا حت لاحد المقربين منه فكرة ، وجد فيها الفرج والخلاص ، وهي : لماذا لا يخرج ارنات الى معسكر الامبراطور تابعا معتذرا ، ويضع نفسه تحت رحمته وتصرفه ، ويعلم له الاعتراف بطاعته والتبعية له . ؟ فقد سبق لوالد الامبراطور ان عفى عن ريمون

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، واعمد ارنات وطوروس امير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص - وكانت مقاطعة بيزنطية - فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط فى اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتكبت القوات الغازية من الفظائع والقبائح ما تقشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذانا ، وجدعت انوفا ، وهتكت اعراضا ، ونهبت اموالا لا يحصىها عد . وعاد المغامر ايديهما مثقلة بالتسبي والفنائم .

طمع ارنات وانانيته افشلا مخطط الصليبيين لاحتلال شيزر

كانت شيزر قلعة حصينة تقوم على الضفة اليسرى للعاصي ، وقد اعجز الصليبيين احتلالها ، بفضل دفاع امرائها ، آل منقلد وبفضل موقعها الجغرافي ، ومثانة اسوارها . وفى عام 1157 م ، ضربت هزة ارضية مدن سوريا فاخربت اكثرها ، وكان الخراب الذى اصاب شيزر كبيرا ، وكال آل منقلد قد تجمعوا فى قصرهم لحضور حفل فيه ، فانهار عليهم القصر ، ولم ينج منهم غير اسامة الذى كان منفيا خارج شيزر ، وغير امرأة وطفل منهم ، اخرجوا من تحت الانقاض .

وفى ذلك العام ، واثر الهوة التي الحقت بالمدن السورية ، وقع امير سوريا وبطلها نور الدين محمود مريضا ، حتى اشفى على الموت ، فبدأ للصليبيين ان يفتنموا الفرصة ، ليحتلوا شيزر ، ويثبتوا اقدامهم فى حوض العاصي من جديد .

وبدا للملك بودوان الثالث ان يحتل ما يمكن احتلاله من اواسط حوض العاصي ليسلمه الى الكونت (تيرى دوفلاندر) يقيم له اماره فيه ، تفيد من الامكانات الضخمة التي يتمتع بها بيت الكونت وامارته فى فرنسا ، وبذلك يستطيع تخفيف العبء الثقيل الذي اصبحت تنوء به الامارات القائمة فى الشمال ، بعد القضاء على اماره الرها .

وفى اوائل تشرين الاول (اكتوبر) من عام 1157 م تجمع حول شيزر جميع الامراء الصليبيين ، مع جيش ارمني يدمهم ويعمل معهم ، وانضم اليهم الكونت تيرى دوفلاندر ، ومن معه من الفرسان القادمين للحج والنجدة .

دوبوايه ، واكتفى بالاعتراف بالتبعية والولاء ، ورفع علم الامبراطورية على قلعة انطاكية .

وبدت الفكرة لارناط اخاذة . فانه اذا استطاع ان يدفع العقاب من نفسه ، وان يؤجل احتلال انطاكية ولو الى حين ، يكون قد حقق كسبا لا يستهان به . فقرر السير بنفسه الى المعسكر الامبراطوري ، وارسل قبله رسولا من رجال الدين ، يمهّد السبيل ، ويلطف الجو . وتمكن الرسول ، بحذقه ودهاله وجميل اعتداده من تهدئة ثائرة الامبراطور ، ومن تخفيف ثقله على ارناط .

ووصل ارناط الى المصيصة ، وكان عليه ان يجتاز المدينة كلها ، ليصل الى المعسكر الامبراطوري ، فترجل من فرسه ، وخلع نعليه ، ولبس قميصا يكشف من ذراعيه حتى المرفقين ، وامسك بسيفه من مقدمة النصل ، ليقدّم قبضته الى الامبراطور ، وسار وهو على هذه الحالة المزرية ، من الذل والاستخذاء في شوارع المصيصة ، التي اصطف الناس فيها على جانبي الطريق ، ليتفرجوا على هذا الجبان الدليل الغادر المتقلب .

ورضى الامبراطور ، ماتم من خضوع ارناط ، واكتفى بالاعتراف بتبعية الامارة له والسماح له باقامة حامية بيزنطية في قلعة انطاكية ، كرمز لاثبات حقه .

أسر المغامر

وبعد ان رحل الامبراطور عن كيليكيا ، تنفس ارناط الصعداء ، ونسى ما لقيه من ذل ومهانة ، وعاد يتابع حياته المعتادة ، حياة المغامر الشرير . وفي يوم من ايام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 1160 م ، علم ارناط ان قطعانا كبيرة من الماشية ترمى في السهول الواقعة بين عينتاب ومرعش ، وان هذه القطعان لا تحرسها قوات اسلامية ، وكانت القطعان في اكثريتها يملكها ارمن ويونانيون من سكان المناطق التي استرجعها المسلمون من الفرنج حديثا ، ولكن ارناط لم يكن يهمه من يملك القطعان ، وانما الذي يهمه ان يحقق مفعما ، دون ان يتعرض لخطر قتال .

وبينما كان الرعاة آمنين مطمئنين ، انقض عليهم ارناط وفرسانه ، فاسروهم ، واستاقوا قطعانهم فرحين بما حققوه من كسب . ولكن فرحتهم لم تطل كثيرا ، اذ ان انباء الهجوم الغادر ، وصلت الى نائب

نور الدين في حلب ، مجد الدين ابي بكر بن الدايدة ، فاستنفر قواته ، وطار بها ليقطع الطريق على المغامرين .

وعلم ارناط وصحبه بخروج المسلمين اليهم ، فخاف اصحابه ، ونصحوه بان يتخلى عن المنضم الضخم ، وان ينسحب عائدا الى انطاكية . ولكن ارناط اراد ان يتظاهر بالجرأة الكاذبة امام صحبه ، فرفض الفكرة ، وامر فرسانه بسوق القطعان ، بين صفين من الجند ، وان يحثوا الخطا الى انطاكية ، وسار هو مع قوة من رجاله في الساقة ليحميها ويدافع عنها .

وبينما كان ارناط وصحبه يسرون مسرعين قرب قرية الجومه ، شمالي غربي هزائر ، انقض عليهم فرسان حلب ، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا ، وقتلوا اكثرهم ، وجبن الاخرون فاستسلموا ، وكان بين المستسلمين ارناط . ونجا قليلون هاربين ، يخبرون فرنج انطاكية بانباء المعركة ومصير ارناط .

والقى ابو بكر بارناط وصحبه على ظهور الجمال ، وكانهم بعض المتاع ، ودخلوا بهم حلب ، فاسرع الناس يتفرجون على هذا المشهد الذي لم يعد يثير فضولهم كثيرا ، لكثرة ما تكرر منذ ان تولى عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود امور حلب . ووصلت الجمال باحمالها امام قلعة حلب التاريخية ، فانزلت الاحمال ، واستيق ارناط الى سجنها ليقضي فيه ستة عشر عاما من حياته الشقية .

وبعد ان توفي نور الدين محمود ، موحد سوريا ومصر ، كان ابنه الملك الصالح ، صغيرا ، فاختلف الامراء من حوله ، ايهم يكفله ، ليبسط سلطانه على الدولة . وتحرك صلاح الدين نائب نور الدين في مصر ، يريد اثبات حقه في تولي رعاية ابن سيده . وجرت بينه وبين امراء سوريا المشرفين على الملك الصالح ، حروب ووقائع ، انتصر فيها صلاح الدين ، ووصل في زحفه المظفر الى حلب ، لحاصرها .

ولم يجد من يحلب من الامراء وسيلة لدفع صلاح الدين عنهم ، غير الاتصال بالفرنج ، فتحرك ريمون الثالث ، امير طرابلس ليهاجم حمص ، كما تحرك فرنج انطاكية . وليثبت امراء حلب للفرنج حسن نواياهم ، واخلاصهم في التعاون معهم ، اطلقوا في عام 1176 م سراخ من كانوا في سجن حلب من الفرنج ، ومنهم ارناط .

وكانت اماره انطاكية قد تولاها وارثها الشرعي ، بوهمند الثالث ، فلم يجد المغامر مكانا له في انطاكية ،

وتابع سيره الى القدس . وهناك تعرف بأرملة اخرى هي (اتين دوميلتي) ، أرملة (أونفروادو تورون) (ابن الهنغري كما تسميه الرواية العربية) . وكانت هذه الأرملة قد ورثت امانة شرقي الاردن ، التي يقوم فيها حصنا الكرك والشوبك ، فأعجبت هي به ، وأعجب هو بمالها وأملاكها ، التي تحتل افضل مركز جغرافي ، يسيطر على طريق القوافل ، المتنقلة بين سوريا ومصر والحجاز ، فعتدا زواجهما حوالي عام 1177 م .

لم تكن الظروف مواتية لآمال ارناط وأطماعه في المغامرة ، حينما كان زوجا لاميرة انطاكية . اذ كانت انطاكية محصورة بين مملكة نور الدين في الشرق ، وبين الامبراطورية البيزنطية في الشمال . وكانت انطاكية اقرب المواقع الصليبية الى حلب ، وحصونها الغربية ، فلم يكن في مقدور ارناط أن يندفع وراء مغامراته كما يحلو له ، دون أن يكون معرضا لخطر الانتفاض عليه من المواقع الاسلامية المحدقة بأرض انطاكية . وقد راينا كيف أن فرسان حلب كانوا أسرع من ارناط ، فاعترضوا سبيل عودته بالفنالك الى انطاكية واسروه .

كما ان الانضباط الذي كان يفرضه ملوك القدس على الامارات الصليبية الاخرى في المشرق ، كان سببا من اسباب كبح جماح المغامرين من الامراء ، والزعام بالمعقول من التصرفات .

ولكن ما لم يكن ممكنا القيام به من المغامرات في انطاكية عام 1160 م ، أصبح ممكنا كل الامكان القيام به في جنوبي شرقي الاردن عام 1180 م ، فالملك بودوان الرابع ، أصبح ملك القدس ، وكان مصابا بالجدام ، وحالته ميؤوس منها ، وقد ضعفت الملكية ، واصبحت موضع مساومة ومنازعات بين الطامعين في السيطرة على الملك .

وفي المملكة الاسلامية كانت الظروف قد تغيرت هي ايضا ، فقد مات الرجل العديدي الارادة ، نور الدين محمود ، واصبحت خلافته موضع نزاع بين الطامعين في أن يخلفوه ، حتى تمكن صلاح الدين بعد كثير من الجهد من تثبيت اقدامه ، وفرض سلطانه على المنشقين عليه .

اما من الناحية الجغرافية فان موقع قلعتي الكرك والشوبك ، في قلب الصحراء بعيدا عن مواسم المسلمين ومراكز تجمع قواتهم ، يجعل المغامرات اكثر ربحا ، واقل تعرضا للاخطار .

واذا فقد كان زواج ارناط من اميرة قلاع شرقي الاردن ، يحق جميع الشروط المناسبة والملائمة لانطلاق مغامراته من جديد .

واخذ ارناط بيت هبونه وارصاده من الصليبيين ومن بدو الصحراء ، ليرصدوا تحرك القوافل ، ويعلموه بها ليقوم بالاغارة عليها ونهبها وسبي من فيها ، دون أن يخشى مفاجأة من جيش اسلامي قريب .

وتكررت اعمال ارناط ، وعادت عليه الاعمال بالارباح الوفيرة ، فزاد ذلك في جرانه ، وفي اطماعه ، والمسلمون لا يستطيعون الوصول اليه ، كما لا يستطيعون أن يتخلوا عن سلوك طريق الصحراء ليصلوا من سوريا وما وراها الى مصر والحجاز .

ثم جرت اتصالات بين ملك القدس وبين صلاح الدين ، لتحقيق هدنة ، تريح الجانبين من عناء الحروب المتواصلة ، وقد كانت الهدنة ضرورية لصلاح الدين ، ليتفرغ الى تسوية مشكلات مملكته ، واستكمال وحديتها وكانت الهدنة اكثر ضرورة للصليبيين ، الذين انهكتهم الحروب ، وقلصت رقعة اراضيهم ، وأخربت ما تبقى منها في ايديهم ، كما كانت ضرورة لهم لتسوية خلافاتهم الداخلية ، وخصوصا الخلافات بين أفراد البيوتات الحاكمة ومشاكلها العائلية ، والخلاف بين منظمي الداوية والاستبارية .

وحينما تحققت الهدنة كان من المفروض أن تشمل مملكة القدس ، باماراتها المختلفة ومنها امانة شرقي الاردن التي يحكمها ارناط . واتصرف كل من الجانبين الى تسوية اموره مطمئنا الى قدسية العهد والمواثيق .

ولكن هذه الهدنة لم ترق لارناط ، الذي اشتاد على تحقيق المكاسب والفائز من طريق العدوان على القوافل العابرة في الصحراء ، فأضمر في نفسه الغدر ، وعدم التقيد بها . واخذ يتحين الفرصة ، المناسبة للغدر ، فقد تكون الهدنة اكثر كسبا له . وبالفعل كانت .

ففي صيف عام 1181 م ، علم ارناط أن قافلة اسلامية كبيرة جدا ، قدرت الروايات ثمن ما فيها بمئتي ألف دينار تسلك الصحراء مطمئنة الى الهدنة ، في حراسة عدد قليل من الرجال ، فاستعد للاستيلاء عليها .

ولما أصبحت القافلة قريبة من قلعته ، نزل من فيها يستريحون من وعاء السفر ، وباتوا ليلتهم هناك ،

فلم يشعروا الا وارناط ورجاله ينقضون عليهم ، ويمعنون فيهم قتلا واسرا ، فنجنا منهم من سبق فرسه ، ووقعت القافلة في ايدي ارناط . ووصل الناجون من رجال القافلة الى دمشق يقصون على صلاح الدين اخبار الغدر الفرنجي ، فانزعج صلاح الدين وادرك ان وجود قلاع صليبية على الطريق بين شقي مملكته ، امر بالغ الخطورة ، وانه لا بد من القضاء عليها اذا اريد للمملكة ان تزدهر وتتماسك .

وانزعج الصليبيون في القدس كثيرا ، وخصوصا الملك بودوان الرابع ، الذي ألح عليه المرض وانكه ، فقد تعود اسلافه تشريف تمهيداتهم ، والحفاظ على مهورهم ، كما تعودوا ان يتقوا بهمود المسلمين وموايقتهم ، واسرع يكتب لارناط يلومه على هذا الغدر الذي يظهر الصليبيين بمظهر المغامرين الذين لا يتقيدون بمعهد ولا ميثاق . وطلب اليه ان يعيد ما وقع بايديه من الغنائم الى المسلمين ، وان يطلق سراح الاسرى . فسخر ارناط من الملك ، وأعلن رفضه الاستجابة للطلب . فعاد الملك وأرسل اليه وفدا من رجال الدين ، ومن فرسان الاستتارية ، يلحون عليه في ضرورة اعادة الاسرى والغنائم ، الى المسلمين ، للابقاء على الهدنة القائمة ، فلم يكن رد ارناط على الوفد بأفضل من رده الاول . وسخر من الملك ومن سلطانه عليه .

واراد صلاح الدين ان تستمر الهدنة قائمة ، فكتب الى بودوان يعرفه بالواقعة ، ويستنكر تصرف ارناط ، ويطلب اليه التدخل لاعادة الاسرى والاموال . فلم يجد بودوان ما يرد به على صلاح الدين غير الاعتذار بأنه لا يستطيع عمل شيء مع تابع لا يحترم عهدا ولا هدنة .

وحينما تلقى صلاح الدين هذا الرد ، اعتبر الهدنة غير قائمة ، وبأشهر الحروب من جديد .

وهكذا وجد الصليبيون انفسهم مسوقين برغمهم وراء المغامر ، لان غارات المسلمين لم تقتصر على أرض ارناط .

وفي عام 1182 م ، ذهب صلاح الدين لمصر ، لينتقد شؤونها ، ولما علم الفرنج بذلك ، عقدوا مجلسا حربيا بحضور بودوان ، لمناقشة الموقف . وقد ارتأى المغامرون من انصار ارناط ، ان صلاح الدين ، سيمود على رأس قوات ، وانه سيهاجم معاقل ارناط في الكرك والشوبك ، لينتقم منه ، وان الحكمة

تقضي بان يتحرك الصليبيون لنجدة ارناط ، ولاعتراض سبيل صلاح الدين أثناء عودته من مصر الى دمشق .

ولكن العقلاء ، وعلى رأسهم ريموند الثالث أمير طرابلس ، الذي كانت تربطه بالمسلمين هدنة ، لم يروا هذا الرأي ، وقدرُوا ان احتشاد الجيش الصليبي في جنوبي الاردن ، امر بالغ الخطورة ، لانه يترك الاراضي الصليبية في فلسطين ، خالية من القوات ، فتتعرض بذلك لهجمات المسلمين المباغتة .

وفازت نظرية المغامرين ، اذ لم يكن بودوان في وضع يمكنه من اتخاذ موقف حازم . فعبا الصليبيون قواتهم ، وصاروا بها الى الكرك ، وعسكروا حولها ينتظرون عودة صلاح الدين ، ليوقعوا به . ولكن صلاح الدين علم بمخطط الفرنج ، فخرج على رأس فرسانه عبر الصحراء على خير تعبئة ، وجعل أخشاه نوري على رأس قوة تحرس القافلة العائدة بالمتاع والمرضى والنساء ، على ان يسيروا موغلين في الصحراء ، ليكونوا بميدان عن متناول يد الفرنج .

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه صلاح الدين عبور الصحراء ، أوعز الى ابن أخيه فروخ شاه ، وهو نائبه في دمشق ، بان يفتنم فرصة خلو فلسطين من القوات ، ويضرب هناك بمنف . فخرج فروخ شاه من دمشق على رأس قوة خفيفة الحركة ، وأسرى الى منطقة الجليل ، فلم يشعر الفرنج ، الذين كانوا يعملون آمنين مطمئنين ، الا والجيش الاسلامي ينقض عليهم ، يقتل ويأسر ويسبي ويفتنم ، ويخرب ، دون ان تكون للفرنج فرصة للالتجاء الى معقل او حصن . ثم عاد المسلمون الى منطقة السواد الواقعة شرقي بحيرة طبرية ، يوقعون بالفرنج ويفتكون بهم .

وتقول الروايات ان فروخ شاه ، عاد الى دمشق يسوق امامه قرابة الف أسير وعشرين ألف رأس من الماشية . وعلم الصليبيون وهم في معسكرهم قرب الكرك ، بما أحدثته غارة فروخ شاه من خراب ودمار ، في منطقتي الجليل والسواد ، فقلقوا وادركوا خطاهم بأبواب آراء ارناط وأصحابه ، فانسحبوا مسرعين الى منطقة الجليل ، وعسكروا قرب حيون صفورية ، بانتظار ما سيقوم به المسلمون .

أما صلاح الدين فانه وصل الى دمشق في 22 حزيران (يونيو) 1182 م ، وبعد ان اطمأن الى وصول أخيه نوري والقافلة سالمين الى دمشق ، عاد بقواته الى حدود مملكته مع فلسطين المحتلة ، وعسكر في

منطقة القحوانة ، قرب سمخ ، قلم يجرؤ الصليبيون على دخول المعركة معه . لانهم كانوا يدركون حقيقة تفوقه عليهم بقواته وبموارده وبانضباط جيشه ، بينما كانت الفوضى والنزاعات الداخلية ، تنخر في جسم الكيان الدخيل .

وبث صلاح الدين سراياه في المنطقة تميث فيها
تحت سمع الجيش الصليبي وبصره ، دون أن يجرؤ على التعرض للمسلمين . وبلغت سرايا المسلمين بيسان وجنين تقتل وتخرب وتحرق ، لعلها تدفع الفرنج الى المعركة ، ولكن الصليبيين لبثوا ساكنين لا يتحركون . واخيرا اطم الجنود صلاح الدين ان ازوادهم قد نفذت وان مقامهم قد طال ، فقرر صلاح الدين الانسحاب الى دمشق ، بعد ان تاكد من ان الفرنج لن يجازفوا بدخول الحرب .

اغرت ارناط انتصاراته المحدودة على القوافل العابرة في الصحراء ، لجملته يفكر بامور لم تخطر لغيره على بال ، لما فيها من خطر ايقاظ نعمة العالم الاسلامي كله ، ودفع المجاهدين الى التدفق على ميدان المعركة للقضاء على الخطر المهدد لمقدساتهم .

ويقول المؤرخون ان ارناط ، قد بلغ تيماء في عام 1181 م ، في احدى اتدفاعاته في الصحراء ، وتيماء تقع في قلب الجزيرة العربية ، وانه كان ينوي التوجه من هناك الى المدينة المنورة لمبايعتها ، والامتداد على قبر النبي عليه السلام ، ولكن هجوما قام به فروخ شاه على حصون ارناط في شرقي الاردن ، اضطره الى الارتداد مسرعا ، مخافة ان يباغته في الصحراء .

وقدر ارناط انه اذا تمكن من الاستيلاء على (ايلا) على خليج العقبة ، فانه يستطيع ان ينشئ اسطولا يسيطر على البحر الاحمر ، ويتحكم بموانئ المسلمين فيه ، وبالتالي فانه يستطيع الوصول الى الاماكن الاسلامية المقدسة في مكة والمدينة ، والايقاع بالمسلمين وهم في موسم الحج .

وبالفعل نفذ المقامر مخططه ، فانشا قوارب في مستقلان والكرك ، ونقل اجزاءها مفككة على ظهور الجمال فجمعها في خليج العقبة ، وقذف بمراكبه في البحر ، وبينما اتجهت قوة صليبية تحاصر ايللا ، اتجهت المراكب الاخرى عبر خليج العقبة الى البحر الاحمر ، ومن هناك سارت الى الموانئ الاسلامية الآمنة التي لم تكن تتوقع ان ترى مراكب صليبية ، فاخذت في نهبها ، والاعتداء عليها ، كما تعرضت

للمراكب الاسلامية الماخرة في البحر الاحمر ، فاوقعت بها ، ونهبت العديد منها . وكان اول ميناء ظهر الفرنج امامه هو ميناء (عيداب) ، تجاه ميناء جدة ، ثم انتقل الفرنج الى الموانئ الحجازية فيفرون عليها ، حتى بلغوا ميناء الحديدية قرب ينبع ، ومنه اتجهوا الى راينج شمالي جدة ، ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم ارسوا مراكبهم في الجوراء قرب راينج ، ونزلوا الى البر يعيشون فيما حولها ، ويعدون عدتهم للايغال في داخل الارض المقدسة والوصول الى مكة ، للايقاع بالحجاج المجتمعين فيها .

وللق العالم الاسلامي لهذه الجزاة التي لم يكن
احد يتوقعها ، واضطربت نفوس الحكام ، وجاشت نفوس المسلمين بالغضب ، كيف تجرؤ شرادم طارئة على مشرقنا المتسامح ، فتفكر في تدنيس المقدسات وترويع الامنين اللاتدين بيت الله وحرمة .

وكان اسرع الجميع استجابة لنداء الواجب هو
الملك العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، فجهز اسطولا عهد بقيادته الى امير البحر حسام الدين لؤلؤ ، وكلفه بملاحقة الفرنج وردهم من مقدسات الاسلام . فخرج لؤلؤ مسرعا ، يتبع الفرنج ، ويستقصي اخبارهم ، فادركهم وقد نزلوا بالحروراء ، فاستولى على مراكبهم الراسية ، ثم نزل ورجاله الى اليابسة ، لقتال الفرنج الهابطين على الساحل . ولما راي الفرنج فرق سفنهم وقومها في ايدي المسلمين ، انقطع املهم في النجاة بها ، فلجأوا الى شعاب الجبال القريبة من الساحل ، فلحق بهم لؤلؤ وقتلهم في شباط (فبراير) 1183 م ، قتالا شديدا حتى افناهم ، واخذ من تبقى منهم حيا اسيرا . فأرسل بعضهم الى منى لينحروا فيها كالاضحي يوم عيد الاضحى ، امام الحجاج ، لتطمئن خواطر الناس ، وليعلموا ان قادة المسلمين لا يمكن ان يتهاونوا مع من يدنس مقدسات الاسلام ، فنحروا هناك يوم العيد ، والناس من حولهم يهللون ويكسرون .

اما الباقون من الاسرى ، فقد سيقوا الى مصر ، فامر صلاح الدين بضرب اعناقهم جميعا لكيلا يفكر احد منهم في العودة مع حملات اخرى على الطريق .

لم يكن صلاح الدين يجهل اهمية الخطر الذي يشكله على الاسلام عامة وعلى مملكته بصورة خاصة ، وجود الصليبيين في سوريا ، وخصوصا وجودهم في شرقي الاردن وجنوبي فلسطين . ولكن هذا الوجود

كان قبل صلاح الدين ، وكان من الممكن ان يستمر ، دون ان يشعر صلاح الدين بان اقتلاهم ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها . ولكن مغامرات ارناط في نقض الهدنة وسلب الحجاج والقوافل ، وقطع الطريق بين سوريا ومصر والحجاز ، ومحاولاته لتدنيس مقدسات المسلمين ، وترويع اهل الارض المقدسة ، ومن يؤمها من الحجاج المسلمين ، كل ذلك اقنع صلاح الدين ، انه لا بد من القضاء نهائيا على هذا الخطر المهدد ، في اسرع وقت ، واجتثاله من جذوره ، لكيلا تبقى له في ارضنا باقية . فشرع من ساعد الجد ، واقسم على انه سينتقم بنفسه من ارناط ، وانه سيقنتله بيديه ان ظفر به ، وقد مكته الله من ذلك .

وتتالت حملات صلاح الدين على قلاع ارناط ، خلال الايام التالية ، وحاصره اكثر من مرة في قلعة الكرك وضيق عليه ، فكانت الجيوش الصليبية تتجمع في كل مرة ، وتسير لنجدة الكرك ، ولكنها كانت ترفض الدخول في المعركة مع المسلمين ، لانها كانت تدرك انها ليست كفء لصلاح الدين وجيشه .



وحينما حل عام 1187 م ، (583 هـ) ، اهتزم صلاح الدين الدخول في معركة فاصلة مع الفرنج ، فصرف همه لتسوية خلافاته مع اتباعه وجيرانه المسلمين ، كما طلب الى نائبه في حلب وحماه ، بمهادنة الفرنج في اماره انطاكية ، (اما طرابلس فكان اميرها قد دخل منذ زمن بعيد في حمي صلاح الدين وهادنه) . ولما تحقق الصلح بين المسلمين وبين فرنج انطاكية في ايار (مايو) 1187 م ، (اواخر ربيع الاول 583 هـ) . اخذ السلطان في جمع القوات ، واستدعى تابعيه من الامراء في الجزيرة وديار بكر والموصل ، واستدعى قوات من مصر وحلب وحمص وحماة ، وخرج هو من دمشق الى مشترا (في حوران) ، واقام هناك ينتظر اجتماع الجيوش عليه . ولما تكامل اجتماعها ، استمرضها في منتصف ربيع الآخر 583 هـ ، وعباها بمعية القتال ، وسار بها يوم الجمعة في 17 ربيع الآخر ، حتى نزل جنوبي بحيرة طبرية عند قرية الصنبرة .

وكان الفرنج قد علموا باجتماع الجيوش على صلاح الدين ، فاسرعوا بجمع قواتهم ، ومسكروا قرب ميون صفورية ، في الجليل ، ينتظرون التعريف على مرامي خطة صلاح الدين .

وفي اليوم التالي سار صلاح الدين ونزل على جبل غربي طبرية ، ولبت هناك ينتظر تعرف الفرنج ليقاثلهم ، ولكن الفرنج كانوا مختلفين فيما بينهم حول ما يجب عمله تجاه صلاح الدين . فقد مات الملك بودوان الرابع غير مخلف عقباً ، واوصى بالملك الى ابنة اخت له ، تزوجها رجل ضعيف الشخصية ، عرف باسم (جي دولوزينيان) فاصبح ملكا على القدس ، وقد احدث ارتقاء (جي) العرش انشقاقا في صفوف الصليبيين ، يضاف الى الفوضى القائمة بينهم .

ولما اجتمع الفرنج في صفورية ، ونزل صلاح الدين على طبرية ، اقترح المغامرون مهاجمة صلاح الدين لفك الحصار الذي ضربه على مدينة طبرية ، وكانت طبرية ملكا لروجة ريموند الثالث امير طرابلس ، وكان ريموند اكثر الصليبيين خبرة بالحرب ، وابعدهم نظرا ، واكثرهم ادراكا للواقع الصليبي ، وتقديرا لقوة صلاح الدين ، فكان رايه ان لا يخطر الفرنج المتفسخون بالاشتباك بالمسلمين ، وهم اكثر ما يكونون قوة ، وتصميما على سحق العدوان ، والانتقام من محاولة تدنيس مقدساتهم . لذلك اعترض على راي القائلين بضرورة الاشتباك بصلاح الدين ، وقال لهم ان طبرية ملك لزوجته ، وان زوجته وابناءها موجودون في طبرية ، وانه اذا احدث مكروه لطبريا فان المكروه سيصيبه قبل غيره ، ومع ذلك فانه يفضل ان يضحي بزوجته وابناءه وبعض املاكه ، على ان يقامر بمستقبل الممالك الصليبيين في المشرق ، فسخر منه المغامرون ، واتهموه بالخيانة والتواطؤ مع المسلمين ، وتناولوا عليه ، ولما اقنعوا الملك بضرورة السير الى طبريا لفك الحصار ، وترحيل المسلمين منها ، لانه ليس من الشهامة ولا الرجولة في شيء ترك الاميرة لمصيرها تدافع وحدها من طبرية .

جرت تلك المناقشات في المعسكر الصليبي في صفورية ، قبل ان يتحركوا من مواقعهم . ولما راي صلاح الدين الفرنج لا يتحركون ، ترك قوة في المرتفعات ، لمواجهة الفرنج ان تحركوا ، ونزل مسرعا مع قوة خفيفة الحركة ، فهاجم طبرية واستولى عليها سريعا ، واسر وقتل وفهم ، ولجأت الاميرة ومن نجا من المعركة ، الى القلعة يتابعون المقاومة ، فحارب صلاح الدين حصارا حول القلعة ، ولبت ينتظر رد فعل الصليبيين في صفورية .

ولما علم الفرنج بما حل بطبرية ، ارتفعت اصوات المتطرفين ، واقنعوا الملك بضرورة السير لانتقاذ

الاميرة ، فتحرك المعسكر الصليبي كله ، نحو المسلمين رغم معارضة ريموند واحتجاجاته .

ولما علم المسلمون بتحريك الفرنج أرسلوا يخبرون صلاح الدين ، وكان هذا بالضبط ما قصده هو من مهاجمة طبرية ، وهو ان يستثيرهم ، وان يدفعهم الى قبول الدخول في المعركة معه . فترك قوة من رجاله في طبرية تتابع حصار قلعتها ، واسرع هو بمن معه الى المرتفع ، حيث ترك معسكره ، فوصله مساء الخميس في 22 ربيع الاخر . وبعد قليل وصل الصليبيون ، واقاموا معسكرهم تجاه المسلمين ، ولم يجر قتال في ذلك اليوم .

وفي صبيحة يوم الجمعة 23 ربيع الاخر 583 هـ (تموز 1187 م) ، اشتبك الفريقان في قتال عنيف في ارض اللوية ، دام طوال النهار ، وكان الحر شديدا ، ولم يكن حول المعسكر الصليبي ماء يصابون اليه ، وحاولت قواتهم اكثر من مرة ان تشق طريقها الى طبرية لتستقي ، ولكن المسلمين كانوا يردونها ، بعد ان ادرکوا غايتها .

وبات الفرنج عطاشا ، والمسلمون من حولهم يطوفون بمعسكرهم ، يرمونهم بالنبال طوال الليل ، حتى لم يتركوا لهم فرصة للراحة .

وذكر الجانبان يوم السبت الى القتال ، والفرنج قد انهكهم التعب والعطش والحر ، وجرى عراك رهيب ، وصبر الفريقان صبرا عجيبا ، وراى ريموند ان المعركة اصبحت خاسرة ، وانه لم يعد لهم امل في نصر ، فحمل بمن معه من الفرسان حملة مستقتل يريد النجاة ، فامر قائد الفرسان تقي الدين عمر ، رجاله بان يفسحوا لهم المجال ، فخرجوا من المعركة ، وتابعوا طريقهم الى صور . فاضعف خروج قوات طرابلس ، من عزائم المقاتلين ، وحاولت فئة اخرى منهم النجاة ، فلاحقهم المسلمون وابداهم .

اما الملك (جي) ومن تبقى معه ، فانهم لم يجدوا لهم مهربا ، فانحازوا الى تل حطين ، وتحصنوا فيه ، فاحاط بهم المسلمون ، وتجدد القتال على اشد ما يكون صنفا حول التل . واستمر حتى تمكن المسلمون من الوصول الى خيمة الملك فاخذوه اسيرا ، واسرع ارنات يلقى بسلاحه مستائرا ، وفعل غيره مثل فعله . وانتهت المعركة مساء السبت باسر الملك واسر ارنات

الذي اثار مغامراته الحرب ، وفيره من الزعماء والقادة .

ولما انتهى القتال ، جلس السلطان المنتصر ، في خيمته فرحا مسرورا ، بما افاء الله عليه من نصر ، وجلس من حوله كبار القادة والامراء ، واستدعى اليه الاسرى ، فاحضر الملك وارنات ، وقد هدهما العطش ، فامر صلاح الدين للملك بشربة من ماء مثلج فتناول الكوب وشرب منها ، ثم ناولها لارنات ، وكان بجانبه ، فشرب ارنات وصاح صلاح الدين في الترجمان ليقول للملك الاسير ، انت الذي سقى ارنات وليس انا . وكانت الاعراف تقضي بان الاسير اذا نال من طعام آسره ، او من شرابه لم يعد يجوز له قتله . وقد سبق لصلاح الدين ان اقسم بانه اذا ظفر بارنات ليقتله بيديه ، وقد تسبب ارنات بمغامراته وجرائمه ، وخياناته لليهود والموائيق ، بهذه الحرب الطويلة المتواصلة ، ولم يعر صلاح الدين على الاستمرار في الحرب الا ليظفر بارنات ، ليجمله عبرة لكل غادر مفامر .

ولم يشأ صلاح الدين ان يقتل ارنات بحضور (جي) ، فاخرجهما من مجلسه ، ثم استدعى ارنات ، ومنعه على محاولاته تدنيس المقدسات الاسلامية ، وذكره بما كان منه نحو رجال القافلة الذين غدر بهم في وقت الهدنة والسلم ، وسخر منهم ومن دينهم ونبيلهم ، حينما ناشدوه الله ، وذكره بالصلح القائم بين المسلمين والفرنج . ثم قام اليه صلاح الدين ، وقال له ها انا انتصر لدين محمد ، واستل سيفه وضربه به على كتفه فحله ، وقام من حضر بالاجهاز على ارنات ، ثم حملوه الى باب الخيمة والقوة ، ولما راى (جي) صاحبه قتيلا جزع ، وخاف مثل مصيره فاستحضره صلاح الدين ، وطيب قلبه وهذا روعه وقال له : (لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك ، واما هذا فانه تجاوز حده ، فجرى ما جرى) .

واثر معركة حطين بدات تنهاى المدن والقلاع التي كانت للصليبيين ، في ايدي صلاح الدين ، وتابع من خلفوه خطته في العمل على اجثثات جذور الدخلاء ، حتى تمكنوا بعد قرابة مائة وعشر سنين ، من يوم حطين ، من القاء آخر الصليبيين في البحر . ولم تستطع النجذات الكثيرة التي تلقاها الصليبيون من اوربا من ان تمنع زوال كياناتهم ، الذي قام في غفلة من الدهر ، بالعدوان والقهر والغدر .

دراسة حول نهاية الأدب للنويري

من موسوعة الأدب و اللغة

هل التعبير الجليل بلغة رصينة هو الأدب؟

عبد الحليم النوري أستاذ بالجامعة المليية الإسلامية
(رئيسي الجندرية)

توصلنا من حضرة الاستاذ عبد الحليم النوري بهذه الدراسة الشيقة التي شارك بها في مسابقة الكتب الدائم ، الا ان لجنة التحكيم اقرت انها تحيد عن موضوع المسابقة - ونظرا لقيمتها اقبلنا منها هذا القسم الذي ننشره شاكرين :

بحركة مباركة يمكن ان نسميها بـ «حركة الموسوعات» .
ولغاية هذه الحركة هو جمع ما يوجد من نتاج العلماء
القدماء ، وما وضعوه في مختلف العلوم والفنون من
كتب خوفا من ضياعها ، على ايدي الغزاة . ذلك ان
النتار قتلوا « كثيرا من علماء المسلمين ببغداد وغيرها ،
ومن قتل ببغداد الشيخ محي الدين بن الجوزي
واولاده . وكذلك ائلفوا كثيرا من دور الكتب واحرقوها .
وقد امر هولاء وقت فتح بغداد بالقاء جميع الكتب التي
في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على
الدين ذخائره ، وعلى العلوم والآداب نفائسها ، فقدت
العربية الى الابد آلافا من المؤلفات » (1) فلما رأى
العلماء هذه الكارثة الرهيبة وما جرت من ضياع اكبر
العلماء واجلهم شائنا « وجدوا انفسهم - بعد هذه
الكارثة الرهيبة - مسئولين امام الله عن دينه ، وامام
التاريخ عن نهضة العلم واقالة عشاره ، وامام ضمائرهم
عن معارفها وامام اوطانهم عن تدميرها . فدفعهم
شعورهم العميق بهذه المسئولية وضغانتها الى الجهد
في العمل لتلافي ما فات ، وبذل الجهد لاعادة هذا الصرح
المنهار » (2) ومن هنا نجد طائفة من العلماء في هذا

ولد النويري في اواخر القرن السابع الهجري ،
القرن الذي شهد تطورات سياسية هامة ، غيرت
مجرى التاريخ الاسلامي بسبب فتنة التتار الجامعة
التي اعقبتها ويلات ودمار انجلت عن حركة علمية ، من
نوع جديد ، لم يكن للعالم الاسلامي ، بها عهد من قبل .
فما ان يكاد فجر القرن السابع الهجري يشرق الا
ونرى العقول العربية ، التي لم تزل طوال السنوات
الماضية ، تزود المجتمع العربي ، بانتاجها الخصب ،
ونتائج قرائنها الفياضة ، قد توقفت او تكاد ، وذلك
بسبب تغير الاوضاع والظروف التي قلما تسمح
لاصحاب الفكر والعلم والمشتغلين بالادب والفن ،
بمزاولة اممالهم الفنية ، وممارسة انتاجهم العلمي
والادبي دون ان يتوجسوا خيفة او وجلا . وبخاصة
بعد ما كان هؤلاء العلماء قد الفوا جوا وظروفا تتنافى
والتي ابتلوا بها في هذه الحقبة من الزمن ، قلما نجد
انتاجا علميا خصباً ، او مادة ادبية فنية غزيرة ، او
شعرا عذبا بليغا ، من ذلك النوع الذي تطرب له القلوب
وتترنح له المشاعر والاحاسيس . ولكن ما تكاد تنقشع
غياهب هذه الفتنة حتى يبرز رهط من العلماء ، ليقوم

(1) من مختصر ابي الفداء ج 4 ص 194 ، نقلا عن كتاب « مصر سلاطين المالك » لمحمود رزق سليم
المجلد الثالث ص : 17 .

(2) نفس المرجع السابق .

العصر قد عكفت على دراسة ما تبقى من هذا التراث الضخم ، واستخلاص موارده ، وجمعه في كتب مطولة ضخمة ضنا به وحفظا له .

والغريب في الامر ان هذا الرهط من العلماء وخاصة النويري ، اتخذ في مرامه هذا ، اسوة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاموا ، خوفا من الضياع والذهاب ، بأول عمل للجمع والتدوين سم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، واعني به جمع القراءان الكريم وتدوينه في مصحف مكتوب . فقد نقلوه من الجلود ، والعظام والعصب واللخاف التي كانت سور القراءان الكريم او آياته قد كتبت عليها زمن النبي صلى الله عليه وسلم او من صدور الصحابة من الحفاظ الذين كانوا يسمون القراء عصر لد . وكان الباعث الهام والاول هو توجس الخيفة من ضياعه او ذهابه مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، كما حدث في غزوة اليمامة .

فقد روى المؤرخون ، انه عندما ارتدت بعض القبائل من أهل الجزيرة ابان خلافة سيدنا ابي بكر الصديق ، وارسل القوات الاسلامية لقمع دابرهم ، دارت بينهما وبين المرتدين معارك دامية ، استشهد فيها حوالي 1200 مسلم من بينهم 700 قارئ . ففرغ المسلمون كثيرا لهذه الظاهرة التي تعرضت لهم اول مرة في حياتهم . وخافوا اذا ما استمرت الحال على هذه الوتيرة ، ان يحرموا من القراءان الكريم بموت او شهادة حفاظه . وكان منهم اكثر خوفا سيدنا عمر بن الخطاب ، فسعى الى ابي بكر يحاوره في الامر . وأشار عليه ان يقوم بجمع القراءان الكريم حفظا له وضنا به . الا ان ابا بكر تردد في الامر وتريث وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد اليه عهدا » . ولكن عمر ألح عليه وأصر ، فخضع له آخر الامر ورأى الحكمة في جمعه . فطلب الى زيد بن ثابت وكان من ابرر كتاب الوحي ، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فجمعه مما وجدته مدونا عند الصحابة ، وما كانوا قد حفظوه في صدورهم ، فجعل مصحفا كاملا وسلمه الى ابي بكر . فلما توفي أبو بكر تسلمه عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء وبعد وفاته في سنة 23 هـ ، انتقل المصحف الى كريمته حفصة ام المؤمنين .

وفي زمن سيدنا عثمان بن عفان ، عندما توسعت رقعة الفتوحات وانتشر المسلمون الى اقطار مختلفة وبلدان عديدة ، مع نسخ من القراءان الكريم يعملون عليه ودخلت في حظيرة الاسلام شعوب وقبائل تنفائر لغاتها

ولهجاتها لهجة قريش ، التي نزل القراءان الكريم بها . وحدث اختلاف في قرائته ، وبدأ في ادراك معناه ، اتصل حذيفة بن اليمان بعثمان ، وأنبأه بما رآه أثناء سفره الى أرمينيا وأذربايجان في غزوة ، من اختلاف المسلمين في القراءة والتفاخر بها والتمسك بها ، حذره من العاقبة الوخيمة التي قد يؤدي اليها هذا الاختلاف وهذا الوضع الشاذ اذا ما تفشى بين المسلمين وقال قولته المروفة : « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » . ففطن عثمان الى ما في قوله من حكمة واستصوب رايه . وطلب الى حفصة يقول لها : « ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » ففعلت ، فاستدعى عثمان رهطا من الصحابة من كتبة الوحي والمتعلمين في القراءان الكريم ، مثل زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وغيرهم وامرهم ان ينسخوا القراءان ويستمينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم » ، ففعلوا وكتبوا أربعة مصاحف بعث بها عثمان الى الامصار . وأبقى عنده نسختين ، احدهما لاهل المدينة والاخرى لنفسه . وسميت هذه الاخيرة « بالامام » . ثم جمع المصاحف والصحف الاخرى وأمر باحراقها .

ومن نسخ عثمان المرسلة الى البلدان والامصار الاسلامية الكبرى مثل مكة والبصرة والكوفة والشام ، استنسخ المسلمون مصاحف أخرى ، حتى كثرت النسخ ، فأصبحت الى مئات ، الى واقعة صفين بين علي ومعاوية حسب قول المسعودي .

تلك هي الاسوة الحسنة التي جعلها النويري نبراسا له يهتدي به خير مثال يقتفيه . فقد جمع القراءان اول مرة بسبب خوف الضياع وذهاب اهله . فبينه وعمل النويري شبه قريب . فانه ايضا قام بجمع قرائث الاسلاف خوفا من الضياع على يد الحداث وخامة بعد ما رأى ما آل اليه امر الكتب والكراسات والنقائس العلمية ، اثر اكتساح التتار الاقطار الاسلامية والعراق منها بصفة خاصة .

ثم جمع القراءان الكريم اتقاء لشر تفشي اللهجات المختلفة وتعدد المعاني والمفاهيم القرائية من اجلها . وتفاديا لوقوع الخلاف والشجار بين المسلمين فيه . فاننا ولو نستبعد قيام النويري بهذا العمل اتقاء لشر تفشي اللهجات وتفاديا لوقوع الخلاف ، الا انه يتبادر الى الذهن ان النويري يمكن ان يكون قد فكر في

الذي لولا « هذا الترديد » لكان قد أصبح في حديث الماضي ، مثل الكتب القيمة الاخرى ، التي لا نجد لها ذكرا . الا بين طيات كتب التاريخ او كتب الطبقات . وان وجدت فانها لا تزال زينة الرفوف في المكتبات ، لم يقدر لها ان ترى النور بعد . او هي مخطوطة نادرة نعرف او لا نعرف لها مقرا .

نشا النويري في هذه الظروف ، وترعرع في هذه الفتن « واشتغل بوظائف حكومية متعددة ، في بلاط السلطان الملك ناصر (محمد بن قلاوون) الا ان نفسه الطموح لم ترض من مزاوله هذه الوظائف التي كانت قد جعلت منه اداة للجهاز الحكومي ليس الا . دون ان تسمح له بالاستغفال بما جبل عليه من حب للعلم ، ووله بالمكوف على الادب والفن ، ولالامام بنصيب اوفر مما جادت به قرائع العلماء والنايفين . ورجل هذا شأنه لا يستقر به مقام ، مهما كان ذا عزة عليا ، ومنصب مرموق ذلك لانه دائما يحسب مركزه هذا دون اهليته وما تهوى اليه نفسه ، مهما يكن ضئيلا في نظر الآخرين . فما كان من النويري الا ان ترك وظيفته في بلاط السلطان حيث قال « ثم نبذتها وراء ظهري وعزمت على تركها في سري دون جهري وسالت الله تعالى الفينة عنها ، وتفرغت اليه فيما هو خير منها ، ورغبت في صناعة الادب وتملت باهدابها وانتظمت في سلك اربابها . فرأيت غرضي لا يتم بتلقيها من افواه الفضلاء شفاها وموردي منها لا يصفو ما لم اجرد العزم سفاها (4) .

ومن ثم حول النويري جهده لمطالعة الكتب بنفسه ، لكي يحقق غرضه من هذا العلم الذي يشواق اليه ، والذي قد ضحى في سبيله بوظيفته الحكومية

الموضوع من هذه الناحية ايضا . فمن يدري لعله رأى انه منذ جمعه لهذه المؤلفات يصونها من الضياع من ناحية ، ويصونها ايضا من وقوع الشك والريبة في نصوصها وموادها من ناحية اخرى ، وخاصة عندما يطول عليها الامد . فعمد الى ضبط نصوصها في سجل ولم يمس على وضعها عهد بعيد ، وبتمه يديه وهو العالم الخبير « الفقيه الفاضل والمؤرخ البار ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » حسب قول النويري بردي . والواقع ان الكتب التي اختصرها او نقلها في كتابه كانت خليقة بالتغيير والتبديل او للشك والشبهة في نصوصها خلال التيارات السياسية والاجتماعية التي مر منها المجتمع الاسلامي في تلك العصور . (1)

وبما ان القاهرة ، مدينة الماليك ، كانت في مامن من ويلات هذه الفتن الطاغية ، فلقد اتبعت هذه الحركة - حركة الموسوعات - من هذه الارض الخصبة المظنونة . فسجل القائلون بها ، ما تركته لنا جهود العلماء من السلف ، من نتاج خصب ، من علم وادب ، وحكمة ومعرفة ، ودين وموعظة ، وتاريخ وسيرة ، وغيرها من الفنون . « فالفضل الاكبر في بقاء آداب اللغة العربية في ذلك العصر يرجع الى مصر والشام ، وهما في حوزة السلاطين الماليك ومن بقي من الملوك الايوبيين . فقد كانت الملجأ الوحيد لابناء هذا اللسان في فرارهم من وجه المغول عند اكتساحهم خراسان وفارس والعراق » (2) ومن بين القائمين بهذا العمل الجليل ، شهاب الدين احمد النويري الكندي البكري صاحب « نهاية الارب في فنون الادب » . حقا ان هذا العمل لا يتعدى « ان يكون ترديدا لما فات ، وجمعا لمتفرق او تفريقا لمجتمع » (3) الا انه ليس من شك بان هذا « الترديد لما فات » له الفضل الاكبر في حفظ ما خلفه لنا آباؤنا واجدادنا من هذا التراث الضخم الغزير

(1) راجع لجمع القروان وتدوينه :

1 - صحيح البخاري باب جمع القرآن .

ب - الترمذي أبواب التفسير .

ج - اتقان للسيوطي .

د - فتنح البساري .

هـ - المصاحف لابن أبي داود . والكتب الاخرى باللغة الاردية كتبت حول الموضوع .

(2) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - ج 2 صفحة : 111 .

(3) ظهر الاسلام لاحمد امين ج 4 صفحة : 191 .

(4) مقدمة نهاية الارب ج 1 صفحة : 3 .

فقال « فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة ، حيث ذل لي مركبها وصفا لي مشربها (1) .

وبما انه من الشخصيات التي نبئت في عصر كان يمر بالتحلل ، وبماني تدهورا في الانتاج العلمي ، لم تحفزه مطالعته هذه ، وانشغاله بالادب والعلم وما اتيح له الانشغال ، الى ان ينتج شيئا من فيض قريحته هو ، ويملي عليه عكوفه على المطالعة ، وتلقي مختلف العلوم والفنون . بل حاول ان يجرد من مطالعته كتابا لا يسهم به في الانتاج العلمي اسهاما - كما يبدو لأول وهلة - وانما ليستانس به هو بنفسه ، ويرجع اليه اذا اضطرت نفسه الى المراجعة فيقول ... « آثرت ان اجرد منها كتابا استانس به او ارجع اليه واعول فيما يعرض لي من المهمات عليه » (مقدمة نهاية الارب) .

وهنا يتبادر الى الذهن ان النويري انما بدأ عمله لجمع ما طالع في الكتب في موسوعته ، ليس بارادة تأليف كتاب بالذات بالمعنى المفهوم ، وانما غرضه استيعاب ما طالع وضبطه في دفتر ، لكي لا ينساه وان انفلت من ذاكرته شيء سهل عليه الرجوع اليه . وكذا لم يات بهذا الكتاب بعد فكر ودراسة ودوية في الموضوع ، وانما جاء به عفوا كفكرة طارئة ، دون ان يحسب لها حسابا من قبل .

ولكنه يبدو لي ، ان النويري ، بعد ما كان قد اراد ان يضمن كتابه هذا وما يخاف انفلاته من ذاكرته ، وبعد ان مضى فيه فعلا شوطا ، غير رايه لما وجد من أهمية فيما يطالع ، وندرة ما وصلت اليه يده من النفائس . فمن ثم وطد عزمه على جمع هذه النبذات ، وتسجيل ما يعجب به من المختارات ، لا ليستفيد بها هو وحده ، بل لتكون ذات فائدة للاخرين ايضا وممتعة لهم لكي يمكن لهم الرجوع اليها والالمام بها عند الحاجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لكي

يحفظ هذا التراث العظيم الذي كان قد اصبح عرضة للخطر على يد الحدثان . هذا التراث الذي اهمله المجتمع لانشغاله بأموره الخاصة ، التي فرضتها عليه الظروف ، من ضيق اسباب المعاش وتغير الاوضاع المألوفة وهذا العمل يتطلب الى جانب العقل الناضج والدوق السليم ، علما غزيرا ، ثم خطة مرسومة احكمت اصولها ، وترتيب وتهذيب روعي فيهما دقة الاختيار وحسن الانتخاب . فان القينا النظر على كتاب نهاية الارب من هذه الناحية ، وجدناه مستوفيا لهذه الشروط كلها وان خضنا في البحث في صفحات الكتاب ، وجدناه موزعا على ابواب وفصول واقسام في صورة منتظمة لا يعمد اليها من يريد جمع اشياء ونبذات خيفة الافلات منه او النسيان ، ليرجع اليها اذا شاء الرجوع . فهذا الترتيب الكامل ، لا يمكن ان ياتي عفوا ، دون اعمال الفكر وتنسيق الخطة ، وبعد طول الممارسة وتدبر استغرق وقتا غير قصير . ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الظاهرة تتجلى بوضوح في المقدمات التي يستهل بها الابواب . فهي كلها ائت على غرار مقدمات ، تكتب بعد فكر ودوية بالفن ولا ينطلق بها قلم يجمع لصاحبه مختارات من هنا وهناك ، في صورة «مذكرات» . اذ ان شأنه غير شأن المؤلف او الجامع . فقلما يوجد بها ترتيب محكم ، او تهذيب ملحوظ ، او اختيار منسق ، او خطة مرسومة ونهج معين مضبوط . ثم ان النويري نفسه قد افصح عما كان ينويه من جمع كتابه هذا حيث يقول « وما أوردت فيه الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه وان الخواطر تشتمل عليه » (2) فهذه العبارة تبرهن على ان النويري لم يبدل جهوده البجالة هذه لاجل نفسه وحدها وانما للنفوس وللخواطر بالجمع لا المفرد اي نفوس القراء الى جانب نفسه طبعا . كما كان ينوي ان ياتي بكتاب يكون ذخرا للخلف ، وخرانة لما ورنه من انتاج اسلافنا من العلماء والفقهاء والادباء النابضين .

(1) مقدمة نهاية الارب ج : 1 صفحة : 3 .

راجع للنويري : 1 - مسالك الابصار في ممالك الامصار لفضل الله العمري .

2 - النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ليوسف بن تفرى بردي الاتاكي ج 7 و 9 .

3 - حسن المحاضرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج : 1 .

4 - كشف الظنون للجلبي ج : 2 مادة (ن) .

5 - الطالع السعيد لجعفر بن ثعلب الادفوي حرف .

6 - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج : 3 .

7 - الحركة الفكرية في المصريين الايوبي والملوكي للدكتور عبد اللطيف حمزة .

(2) مقدمة الكتاب صفحة : 26 .

الجمع ، قليل الابتكار » فلم يترك السيوطي بابا لفن لم يطره « حتى لقد عدت من تأليفه بثلاثمائة كتاب » (4) .

كانت تلك هي الظروف ، وهذه الأوضاع التي وضع فيها النويري كتابه الشهير « نهاية الارب في فنون الادب » في ثلاثين مجلدا ضخما . وعلى ترتيب حسن بديع يضاهي احسن ترتيب ممكن . اودعه كل مختار ومنتخب من علوم القدماء ، ومن كل فن وموضوع ، وبقدر ليس بضئيل .

قسم النويري موسوعته الى خمسة فنون ، يحتوي كل فن على خمسة ابواب . ضمنها جميع العلوم والفنون التي كانت معروفة الى عصره ، من الكلام حول السماء والارض العلوية ، والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به . من اشتقاقه من كلمة الانس ، الى ما يعرض له العوارض في الدنيا ، وما يميل اليه من شعر وادب ، وما يرغب فيه من حب وهوى ونزوات الى حياة مترفة قوامها الخمر والنساء ، والسقا والندمان ، ومجالس الفناء وغيرها . وما روى عنه من حكم وامثال ، وقصص واخبار . كما نقل مما وجده حول الحيوانات ، الصناعات منها والناطق . وحول النباتات وما يتعلق بها من اصلها ومختلف اسمائها واصنافها . وما أعجب به في التاريخ من تبدلات ووقائع واحداث ، من مبدأ خلق ابينا آدم عليه السلام تتخلله اخبار يوم القيامة ونفخاته ، وخروج ياجوج وماجوج وأهواله ، ونزول عيسى عليه السلام وآثاره ، الى اخبار ملوك الاصقاع وملوك الامم والطوائف ، ووقائع العرب في الجاهلية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اخبار الخلفاء الراشدين ، فالدول التي تلتهم ، من اموية وهبسية وغيرها الى ان انتهى هذا الباب باخبار ولي نعمته ابي المظفر محمد بن قلاوون الصالحي ، سلطان مصر ، وهنا ينتهي الكتاب .

وقد يتساءل المرء لماذا سمي النويري كتابه هذا بـ « نهاية الارب في فنون الادب » مع اننا نراه يضم اليه علوم وفنون لا تتعلق بالادب في شيء ، وانما هي علوم وفنون بذاتها لها اصولها وقواعدها . وانه لمن المعجب ان النويري ، مع غزارة علمه ، وهو كعبه

ومع ان النويري « كان بطبيعته ميالا الى العلم والادب ، شغوبا به مكوبا عليه ، فقيها فاضلا ، مؤرخا بارعا ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » (1) ولكنه عند نقله هذه الكتاب لم يعتمد على نفسه وعلمه ومعرفته فحسب ، بل اظهر نفسه تابعا للعلماء السلف معتمدا على علمهم ، وانقا في كفاءتهم ، ولذا اقتفى آثارهم في هذا المضمار اذ يقول « ولو علمت ان فيه خطأ لقبضت بنائي ، وغضضت طرفي ، ولو خبرت طريق المترضى ، لعطفت عنائي وثنييت عطفي ، ولكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي ، وسلكت منهجهم فوصلت بحبالهم حبابي » (2) .

وبما ان النويري اقتفى آثارهم ، فطبعي ان يتبرا من الاغلاط التي قد تبدو في الكتاب ، فيحمل مسئوليتها هؤلاء العلماء بقوله « فان يكن اعتراض فعلي عليهم لا على العار » (3) ومن هنا يتضح ان النويري لم يرخص لنفسه مركزا الا مركز الناقل الامين ، دون ان يستخدم في المسائل رايه او يعمل علمه او يعرض ما ينقله على محك ليعرف به جودة البضاعة من غشها ، وخاصة في المسائل الدينية والامور المختلف فيها بين العلماء كما سنرى .

والسبب كما اسلفناه ، هو الانحلال الفكري والاضمحلال الذهني الذي طرأ على العلماء في هذا العصر . ثم الفوضى وهدم الاستقرار الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي . فلم يحفظهم عنهم الى الابداع والابتكار الذي يتطلب راحة البال واستقرار الاحوال . ومن ثم اقتصروا على جمع ما وجدوا امامهم من الكتب ، في شتى الفنون والموضوعات . وذلك ما اشار اليه عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في احاديثه اذ قال : « بان عصر المماليك يمتاز بأنه عصر دوائر المعارف والموسوعات الادبية ، الفت فيه الكتب التي جمعت ما كان العرب والمسلمون قد أصغروه من الكتب الكثيرة مثل لسان العرب (لابن منظور قبل النويري) و « مسالك الابصار » لفضل الله العمري ، و « صبح الامشي » (للقلقشندي) ، الى ان ينتهي هذا الركب الى السيوطي « الذي » هو اكبر مظهر لهذا العصر (اي العصر المملوكي) فهو مؤلف كثير التأليف ، كثير

(1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لتفري بردي ج 9 صفحة : 299 .

(2) مقدمة الكتاب .

(3) مقدمة الكتاب .

(4) ظهر الاسلام لاحمد أمين ، ج : 4 ، صفحة : 21

والتمثال البديع . فهو اذن يتصل بالدوق والحس والشعور ويمس ملكة تقدير الجمال في النفس . والكتاب في النحو او في الطبيعة او في الرياضة ادب بالمعنى العام لانه كلام يصور ما انتجه العقل الانساني من انواع المعرفة ، سواء احدث في النفس اثناء قرائته او سماعه هذه اللذة الفنية ام لم يحدثها .

على ان الادب ، او الاديب ، ليس من شأنه ، ان يبحث في هذه العلوم من حيث هي ، فيتعمق فيها ، وانما يأخذ منها الشطر الذي يتعلق بالانسان ومحيطه وبيئته ويتناولها بالقدر الذي يحدث المتعة ويثير الحساسية في نفس القارئ او السامع . فانه ان تعمق فيها ، قد يفقد الحساسية والاثار في كلامه ، فيصبح انتاجه في الادب بالمعنى العام ولذلك اصاب الجاحظ عندما نادى « بان الادب » (هو الاخذ من كل فن بطرف) . وهذا الاخذ من كل فن بطرف ، يجب ان يكون بحيث يعبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل . فلا بد لعد الشيء ادبا من ركنين : معان تثير العاطفة والفاظ جميلة اديت بها المعنى ... كذلك لا بد من صياغة وتعبير جميل . وذلك هو مفهوم الادب في عصرنا هذا .

فان القينا النظر على ما جعله النويري في كتابه من نبدات واقتباسات في ضوء هذا التعريف للادب ، نجد انه يفي به تماما بل يزيد ، اذ انه لم يتعمق في العلوم والفنون عند النقل والاقتباس ، وانما اخذ منها تلك العينات واللقطات التي تتمتع بها النفس ويتأثر بها الحس وتتولد بها المشاعر ، وكل ذلك في صياغة وتعبير جميل مع الفاظ جميلة . وبدا انشاء بشرط « الاخذ من كل فن بطرف » فجاء فيه ، من ناحية ، الكلام الجيد من المنشور والمنظوم ، كما اشرنا اليه في الصفحات السابقة ، ومن ناحية اخرى زاد عليه ، نجاء بعام وفنون تعتبر من الادب بالمعنى العام ، مثل الكلام على النحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والسيرة والعلوم الطبيعية وغيرها . وكذا فانه شمل معنى الادب بمفهوميه ، المفهوم الخاص منه والعام في وقت واحد .

فاننا اذا لم نأخذ هذا التعريف بعين الاعتبار ، فقد نضطر الى شطب بعض الكتب الهامة ، وانتاج بعض الفطاحل من القدماء من عداد الادب ، ولو أننا ما زلنا نعتبرها من امهات الكتب الادبية والاممال الرائعة التي خضعت امامها وما تزال تخضع ، هامات الكبار من العلماء والادباء في كل عصر ومصر . وانني

في التمييز بين فن وفن ، قد اباح لنفسه ان يطلق اسم الادب على جميع هذه الفنون التي تتفاير تتفايرا كليا ؟ فليس من شك ، بان الكتاب يحوي فنونا وعلوما لا تمت الى الادب بصلة كما قد يتبادر الى الذهن لاول وهنة . كما ان النويري لم يجهل ما بين فن وفن من فرق وتفاير ، ولكنه مع ذلك شملها كلها بالادب .

الادب ومفهومه

ان الادب ، وان دلت مادته منذ اقدم المصور العربية الاسلامية على رياضة النفس بالتعليم والتدريب على ما يستحسن من السيرة والاخلاق ، والتأثر بهذه الرياضة والاعتناق بها واكتساب الاخلاق الكريمة واصطناع السيرة الحميدة ، تطور مفهومه في القرن الاول الهجري ، ليشمل التعليم ايضا ، « فالمؤدب » كان يراد به الشخص الذي يتخذ التعليم صناعة ويكسب به رزقه ، « والادب » كل ما يلقيه المؤدب (المعلم) الى تلميذه من شعر وقصص واخبار وانساب ما عدا العلوم الدينية التي تتعلق بالقرءان والحديث النبوي الشريف .

فلما استهل القرن الثاني والثالث للهجرة ، حيث نشأت علوم اللغة العربية ، من صرف ونحو ولغة وبلاغة وغيرها ، انتمش مفهوم الادب ومراده « فاصبح الادب يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما كان يتعل به ويفسره من الشرح والتفصيل والاخبار والانساب وعلوم العربية » .

فهل لهذا الكلام الجيد من المنظوم والمنثور محك نخبر به جودته ؟ نعم ، فالكلام الجيد ، من النظم والنثر ، هو ذلك الذي « يحدث في نفس قارئه وسماعه لذة فنية ، سواء اكان هذا الكلام شعرا ونثرا . وليس كل ما ينظم او ينثر يحدث في نفس القارئ او السامع لذة فنية . ولذلك نضطر الى تقسيم الادب الى معنيين مختلفين : احدهما « الادب بمعناه الخاص » وهو الادب الفني الذي يجد القارئ او السامع في نفسه لذة وممتعة لقرائته أو سماعه ، فليتلذذ به وبطرب . والثاني « الادب بمعناه العام » وهو الانتاج العقلي الذي يصدر في الكلام ويكتب في الكتب . فالقصيدة الرائعة والمقالة البارة والخطبة المؤثرة والقصة المثارة ، كل هذا ادب بالمعنى الخاص ، لاننا نقراه أو نسمعه فنجد فيه لذة فنية ، كاللذة التي نجدها حين نسمع غناء المعنى وتوقيع الموسيقى ، وحين نرى الصورة الجميلة

به (الكامل للمبرد) و (البيان والتبيين للجاحظ) و (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة) و (طبقات الشعراء) (لمحمد بن سلام الجمحي) وغيرها من الانتاج الادبي الخصب الممتع ، فهذه الكتب جميعها ، تشمل الاخبار والانساب والقصص والسيرة والتاريخ والاساطير . ومع هذا فان احدا لا ينكر انها ليست من الكتب الادبية ، وهذا الانتاج ، ليس من الانتاج الادبي . فاما اذا اذن نتردد في اعتبار كتاب « نهاية الارب » للنويري في مداد الادب وحيثته ، والحال ان كتاب النويري يحيط بمفهوم الادب بالمعنيين . ؟

وثمة ناحية جديدة بالاننباه اليها وهي ان النويري لم يدون كتابه هذا باعتباره كتابا في فن خاص او علم يبحث في ناحية من فن معلوم معين ، وانما حاول جمع ما ادته مطالعته من العلوم والفنون ، في كتاب له اجزاء متسلسلة متشابهة ، يجعلها مرجعا لكل هذه الفنون . ثم ان معظم الابواب والاقسام التي يشملها الكتاب يضمن الادب بالمعنى المفهوم منه في هذا العصر . اما الابواب الباقية منه ، فانها ايضا لا تخلو من نبذات الادب خلوا تاما . فخذ مثلا « باب السماء » تجد فيه من الاشعار التي قالتها الشعراء حول السماء والنجوم والفلك وكلها في منتهى الروعة والجمال ، تترنح لها المشاعر والاحاسيس وتطرب لها القلوب . مما يجعل من الباب جزءا من الادب له قيمته ووزنه من هذه الناحية . وكذلك حين ينقل لنا صفحات الحيوانات على مختلف انواعها (1) فانه ياتي في هذا الصدد ، بنخبة مختارة من الاشعار قالتها الشعراء حول هذه الحيوانات ، مثل قول بعض الشعراء على لسان اعرابي يصف الاسد يقول :

مبوس شمس مصلخد مكابر
جري على الاقران للقرن قاهر

لتعقبه اقوال من الشعراء الآخرين ، مثل ابي الطيب المتنبي وعبد الجبار بن حمديس وبشر بن هوانة وكشاجم وغيره ، وكلها مما تعد من احسن ما يقال في الموضوع . وهكذا في سائر الحيوانات : من كلب ونمر وفهد وحمار وبغال وابل وفيل . وما تدب منها مثل

الافاعي والمقارب والضب والحرياء حتى الفيران والجرذان . ثم ممد الى الطيور البقاث منها والمقلات والتزود ، وما منها الليلية والنهارية وغيرها من مختلف الاقسام والانواع ، التي قيلت فيها الشعر (2) هذا من ناحية وصف الحيوانات . فاذا فرغ من نقل الاشعار الوصفية ، بدأ ينقل من الاشعار تلك التي فيها ذم للحيوانات ، وردت على سبيل الهجو « كطوائف في ذم الغيل والحمير والبغال » اتي فيها باشعار تهجو الخيول لمزاولها وضعفها وعدم سيرها او عدم تحملها المشاق وغيرها من المعائب التي تهجر من اجلها الخيول والبغال والحمير . (3) وجميع هذه الاشعار من شعر جزل رائع .

فان انتقلنا الى الفن الثالث والرابع والخامس (3) نجدها كلها توشك ان تكون ادبا خالصا . « فقد اشتمل الفن الخامس منها - بنوع خاص على كثير من الامثال وعلى كثير من اشعارهم التي تجري مجرى الامثال وذلك من لدن امرىء القيس الى العصر الذي عاش فيه النويري » (4) وهكذا نجد النويري قد اتى في جميع الابواب والفنون بطائفة من الاشعار ، في غاية من الروعة والجمال ، مما تضيف اليها من الصبغة الادبية قدرا يطفى على الفن الذي تخضع هذه المادة اليه وتشتمل هذه النبذة عليه . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان النويري لم يفكر في وضع كتابه هذا في الادب بالمعنى المخصوص الذي حدده النقاد والعلماء قبل القرن الثالث الهجري . بل وسع نطاقه وجعله الادب بالمعنى العام الذي يشمل كل شيء بحيث يأخذ من كل فن بطرف وذلك على غرار التأليف الذي كان شائعا في مصر في ذلك العصر .

ومهما يكن من شيء ، سواء نظرنا الى الكتاب بمفهوم الادب قديما او بمفهومه الحديث ، فاننا لن نجد الكتاب خارجا من نطاقه الادبي في أي شيء . وعلى كل حال فانه يتوجب ان يعزب عن البال ان «النهاية موسوعة» قبل كل شيء ، ليس من شأنها ان تقتصر على فن دون فن فلها رسالة اكثر اهمية وخطورة منه ، وهو ان يكون سجلا حافلا لكل شيء على وجه الارض . وبما ان صاحبها جبل على حبه للادب ، اتي بهذه الاشياء كلها

(1) نهاية الارب ، ج : 10 ، صفحة 65 .

(2) نهاية ، ج : 11 .

(3) نفس المرجع .

(4) الحركة الفكرية في المصريين الايوبي والملوكي صفحة 320 .

باطار من الادب بحيث لا نتمدى الحقيقة اذا ما قلنا ان كتابه موسوعة ادبية .

واننا فى قولنا هذا، انما نتبع آثار من سبقنا من العلماء الكبار ممن أمقبوه . فلقد وصفوا كتابه هذا بأنه عمل أدبي ، عول عليه الأدباء . فيقول ابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الابصار فى ممالك الامصار » المتوفى سنة 748 هـ « كان الباعث عليها (أى نقل الكتب القديمة وجمع الفنون فى سجل حافل) كما قلنا هو جمع المعارف الإنسانية كلها فى اطار من الادب مرة كما فى نهاية الارب للنويري ، ومن الجغرافيا كما فى كتاب الابصار ، ومن الكتابة الديوانية مرة ثلاثة كما فى كتاب صبح الاعشى » (1) .

ويقول جمال الدين يوسف بن نفري بردي الاتاكي فى كتابه « النجوم الزاهرة فى اخبار ملوك مصر والقاهرة » الجزء التاسع ما نصه : « ... وكان يكتب فى كل يوم ثلاث كرايس . وتاريخه سماه « منتهى الارب فى عام الادب » فى ثلاثين مجلدا ، رايته وانتقته ونقلته منه بعض شىء فى هذا التاريخ وغيره . وفى عصرنا هذا يقول محمود رزق سليم فى كتابه « عصر سلاطين المماليك » « ... ويعتبر (أى نهاية الارب) أحد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا . (2)

تلك كلمات اوردناها عن المؤلف ، وعن الاوضاع التى ألف فيها كتابه ، كما قلنا شيئا عن الكتاب نفسه : كل ذلك بشىء من الإيجاز كثير . والان نحاول القاء نظرة فى شىء من التفصيل ، على ما اتخذه النويري من منهج لوضع كتابه هذا ، الذى أصبح فى العصر الحديث ، ولم يزل منذ الزمن القديم ، من أهم المراجع لما كتبه الأوائل فى شتى الفنون والعلوم . والذي له الفضل الأكبر فى حفظ ما تركه لنا أسلافنا من تراث علمي عظيم .

يستهل النويري الابواب والفنون عادة ، بمقدمة يكتبها هو بنفسه أحيانا ، او ينقلها من الكتاب الذى يورد منه ماعوماته حول هذا الباب أو الفن فيذكر فى المقدمة ما حواه هذا الباب أو الفن من موضوع ، وهذا

الموضوع من اقسام وابواب ، وما لكل قسم فى مادة خاصة ولكل فصل من علم معين .

ولناخذ على سبيل المثال مقدمته حول « الفن الاول » فى السماء والآثار العلوية والارض والمعالم السفلية « فقد كتب هذه المقدمة بنفسه يشرح فيها ما يحتوي هذا الفن من موضوعات وفصول وأقسام فيقول :

« قد اوردت فى هذا الفن نبذة من وصف السماء التى هي قبلة الدماء وباب الرجاء، والكواكب السيارات، ذوات السنا والسنا، والملائكة الذين هم أولو اجنحة، مشى وثلاث ورباع ، والسحاب التى تجود بوبنها ، فتعدل فى قسمها بين السهل والباق ، والرعد الذى ان دنت يحثها ، والريح الذى ان اجتمعت يبتها ، والبرق الذى شبه ببنان الحاسب والكف الخضيب والثلج الذى خلع على الارض رداء المشيب ، وقوس السحاب الذى تنكبه الجو فانفرغ عليه مصبغات الحل، ورمى الجذب بينادق البرد فتباشرت بالخصب اهل الحل ، والذيران وعبادها وعددها، والسنة وفصولها، والاعبياد والمواسم ومنخلها ، والارض والجبال والبراري والرمال ، والجزائر والبحار والمياه وامدادها ومددها ، والليالي والايام والشهور والاعوام، والعيون والانهار ، وطبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد ، والمباني والمعامل والقصور والمنازل ... »

... وجعلته خمسة اقسام يستدل بها عليه ويتوصل من ابوابها اليه » (3) .

فلاحظ ان هذه المقدمة تحتوي على جميع الابواب والفصول والمواد التى سيأتى بها فى هذا الفن . وذلك لكى يسهل على القارئ معرفة محتوياته بالقاء نظرة خاطفة على المقدمة . فالكلمات المكتوبة بالخط الكثيف تبدي بان هذا الفن تناول فى بحث هذه المواد، فى باب منفرد وبتفصيل واف .

فلناخذ « وصف السماء » مثلا . نجد ان النويري بداه بفصل يتعلق « فى مبدا خلق السماء » وبرهن عليه بآية قرآنية تقول « انتم اشد خلقا ام السماء ، بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » ، ثم ذكر بان السماء تذكر وتؤنث

(1) مسالك الابصار فى ممالك الامصار مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 3003 .

(2) الجزء التاسع ، صفحة : 299 .

(3) نهائية ، ج : 1 ، صفحة : 67 .

أيضا . فشاهد التذكير قوله عز وجل « السماء
منفطر به » ، وقول الشاعر :

فلو رفع السماء اليه قويا
لحقنا بالسماء مع السحاب

وشاهد التانيث قوله تبارك وتعالى « اذا السماء
انفطرت » . وقول الشاعر :

يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم أتى بأسماء مختلفة للسماء أطلقها العرب
عليها (1) ثم تحدث عن سبب حدوثها . لبحث في باب
ثان من حيثها ، وأسهب فيه اسهابا حول الموضوع
من الاستدلال بالقرآن الكريم الى الاحاديث النبوية .
ثم أتى بما ضربت من الامثال حول السماء وما انشد
الشعراء من الاشعار في وصفها والتشبيه بها .
ومعظمهم اسلاميون . وذلك لان الجاهليين يندر
عندهم وصف السماء والتشبيه الرائع بها في كلامهم .
ولقد ساق الامثلة على التشبيه بالسماء من اقوال
مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

كان سماءنا لما تجلست
خلال نجومها عند الصباح

رياض بنفسج خضل نداء
تفتح بينه نور الافاح

وفي النجوم قول ظافر الحداد :

كان نجوم الليل لما تبلجت
توقد جمر في خلال رماد

حكى فوق ممتد المجرة شكلها
فواقع تطفو فوق لجة وادي

ومما قيل في الفلك ، قول أبي الملا المعري :

يا ليت شمري ، وهل ليت بنافعه
ما ذا وراك ، أو ما انت يا فلك

واحسن ما اورد في هذا الصدد قول أبي عبادة
البحري :

أنا أيها الفلك المدار

أنهب ما تصرف ام خيار

ستبلى مثل ما نبلى وتغنى
كما تغنى ويؤخذ منك ثار

وبعد الاستدلال بالاشعار ، يبدأ الباب الاخر ،
وينهج فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه .

وقد يأتي أحيانا بـ « ذكر الشيء على طريق الدم »
مثلا فصله الذي يقول فيه « ذكر شيء مما قيل في
الشمس على طريق الدم » ، واورد فيه بعض الاشعار
للشعراء يجهنون الشمس أو يذكرونها بطريق الدم
كقول ابن سناء الملك :

لا كانت الشمس ، فكم اصدرات
صفحة خد كالحمام الصقيل

أو « ذكر القمر على طريق الدم » كقول ابن الرومي :

رب عرض منزله من قبسج
منسته معرضات الهجاء (الايات)

وهكذا يأتي بالاشعار لفحول الشعراء يهجون بها
الشيء المعين أو يعيونه بأقوالهم .

ومن المقدمات التي كتبها النويري بنفسه على
هذا النحو ، مقدمته على الانساب ، حيث بداها قائلا
« يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... »
ومعرفة انساب الامم مما افتخرت به العرب على المعجم
لأنها احتررت على معرفة نسبها وتمسكت بهتين
حسبها وعرفت جماهير قومها وشعوبها ... الخ (2)

فهذه المقدمة أوضح فيها النويري بإيجاز ، ما
يحتوي عليه هذا الباب من الموضوعات والمسود
والفصول . ثم سار نفس المنهج الذي سبق ذكره في
نقل ما ضمن هذا الباب .

وأحيانا يضيف النويري في مقدماته الى الآيات
القرآنية ، بعض الاحاديث أيضا التي تطابق الموضوع .
مثلا مقدمته على « القسم الثاني من الفن الثاني - في
الامثال المشهورة » . فبعد أن بين الموضوعات التي
اوردها في هذا القسم يقول في الباب الاول - (في
الامثال) ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز
في آي كثيرة فقال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له » وتكرر ذكر الامثال . ثم يورد حديثا

(1) ومنها : الجرباء والخلقاء وبرقع والرقيع وغيرها

(2) نهاية الأرب ، ج : 2 ، صفحة : 276 .

يناسب هذا الباب حيث يقول : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الله صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تخرجوا » (1) ثم فسّر الكلمات التي وردت في هذا الحديث . وبعد ذلك أخذ في نقله عن الميداني من الأقوال حول الامثال وبيان ذلك . وكتابه المنقول منه الأقوال هو « مجمع الامثال » .

والمعجب أن النويري مع جلالة قدره وعلو كعبه في العلوم الدينية أيضا فقد وصفه معاصروه بأنه فقيه بارع ، لا يتحاشى الاستدلال بالأحاديث الموضوعة أيضا . واني بعد الدراسة والاستقصاء للأحاديث التي أوردها في كتابه بلغت الى هذه النتيجة وهي انه انما يأتي بمثل هذه الأحاديث الموضوعة أو الضيقة ويستدل بها ، في أماكن ومساائل لا تتصل بأى ركن من أركان الاسلام ، وذلك ان العلماء قد أجازوا الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، طالما لم تكن تنافي نصا قطعيا من القرآن الكريم أو مسألة متفقا عليها بإجماع الأمة ، وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الادب ومثله من العلوم الأخرى .

وقديما أخذ على الامام الغزالي وبعض العلماء الآخرين الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم . وقد أجيب عنهم ، انهم انما جاءوا بمثل هذه الأحاديث في كتبهم في مواضع ومساائل وأمور لا تمس بالدين والمعتقدات الإسلامية المتفق عليها بسوء ، أبطالا أو الغاء . بل جاءوا بمثل هذه الأحاديث في مواضع الذكر والعظمة والمبرة ، لكي يدعموا أقوالهم بقول النبي ولو كان ضعيفا . فلم ير العلماء بأسا في الاستدلال بمثل هذه الأحاديث في موضع النصيحة والعظة والتذكير ، فهي بمثابة « الحكمة ضالة المؤمن ، فابنما وجدها فهو أحق بالانتفاع منها والاستفادة بها .



وبعد المقدمات التي يستهل بها النويري الفنون والفصول يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . وطريقته فيه انه يطالع الكتاب بدقة وتدبر وتفكر ، ثم يختار المينات والنبدات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد أعدها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

(1) نهاية الأرب ، ج : 3 ، صفحة : 2

وطريقته في النقل انه أحيانا يذكر المرجع أو الكتاب الذي نقل منه العينة أو العبارة أو المسألة . وأكثر الأحيان لا يذكره . كما نجد ذكر المرجع بصراحة تامة حينما ، ويشير اليه إشارة خفيفة حينما آخر .

وهنا نقف وقفة قصيرة ، لنذكر نبذة من الفصول التي أخذها من مختلف الكتب ولكنه لم يذكرها على الإطلاق ، لا إشارة ولا صراحة .

قال النويري : « وأما ما ورد في ذم الشيب » قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيب خطام المنية . وقال غيره : « الشيب نذير الموت »

وقال : « قد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى « وجاءكم نذير » قيل هو الشيب .

الى قول عبد الملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن .

أورد النويري هذه المقتطفات من العقد الفريد لابن عبد ربه (الجزء الثاني) ولم يذكر هذا المرجع على الإطلاق .

وهناك أمثلة كثيرة نقل النويري الفصول والأبواب من العقد الفريد بأجزائه دون أن يذكر المرجع أو يشير اليه .

ومن أمثلة عدم ذكر المرجع ما نقله النويري في « فصل في الوزارة و أصحاب الملك » في (نهاية الأرب ج 6 ص 92) فآثره منقول من كتاب « قوانين الوزارة » للماوردي . أما « وصايا أصحاب السلطان » في نفس الجزء السابق ، فانها مأخوذة من « الادب الكبير » لابن المقفع .

وكذلك فصل « في وصف امضاء الانسان » وفصل « ظهور الشيب » فانهما منقول لفظا وحرفا من « فقه اللغة للثعالبي » . وكذلك الفصول « في أسماء شعير الانسان من فوق لتحت » و « مما قيل في الحواجب » وما قيل في العيون ووصفها » و « فصل ترتيب الصمم » وغيرها من فصول كثيرة ، منقولة من كتاب فقه اللغة للثعالبي دون الإشارة اليه .

وقد قال « الوزير ابو المغيرة ابن حزم عندما عرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب اليه وده بعد أن علو قال :

« ورد كتابك ينشد ضالة ودنا ويرقع خلق مهدنا ويطلب ما افاته جريرتك اثينا وذبيت به جنابتك علينا أيام فضك ناضر ، وبدرلك زاهر لا نجد رسولا اليك ، غير لحظة تخرق حجاب الدموع ... الخ » (نهاية ج 2 ص 87) .

نقل النويري هذه الرسالة بتمامها ضمن فصل « مما وصف به المدار على طريق الدم » في الفن الثاني - الباب الاول . ولكنه لم يذكر او يشير الى انه نقلها من كتاب « الدخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام ، الجزء الاول صفحة 117 (1) .

ثم ان النويري اورد الكتاب المشهور الذي كتبه سيدنا علي رضي الله عنه الى مالك بن الحارث الاشر عندما ولاه مصر ، والذي يتضمن نصائح واصولا غالية الثمن ، (نهاية ج 6 ص 19) نقله من كتاب « نهج البلاغة » للسيد الشريف الرضى (الجزء الثاني ص 79) دون ان يشير الى هذا الكتاب



وهناك فصول وابواب ، يذكر النويري مراجعها . وذكرها في مثل هذه الابواب ينحصر في طريقتين :

احدهما : ان يكتفي بذكر اسم المؤلف دون ان يذكر كتابه الذي نقل منه العين . ومثاله حين يقول : « وروى ابو الفرج عن احمد بن حبيب الله بن همار قال : كنا عند ابي العباس المبرد يوما ، وعنده فتى من ولد ابي البحتري وهب بن امرد حسن الوجه » ثم الحكاية التي اوردتها في ص 229 من النهاية ج 4 . اورد هذه الحكاية نقلا عن الاغانى ، ولكنه لم يذكر اسم الكتاب بل اكتفى بذكر المؤلف .

وقد نقل النويري اشياء كثيرة من كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني وبخاصة حياة واخبار الكرام (نهاية ج 3 ص 211) واخبار المغنيين الذين نقلوا الفناء من الفارسية الى العربية ، واخبار وحياة اشهر المغنيين ، وحكايات القيان واول من غنى من النساء ، وحياة اولاد الخلفاء ومن كان منهم يجيد او يميل الى الفناء

وقرض الشعر مثل ابراهيم المهدي وعليه بنت المهدي وابو ميسى وابن المعتز وعائشة بنت طلحة وغيرهم .

على ان النويري لا ينقل من الاغانى كل ما ورد فيه ، بل يقتصر على الذي يطيب له ويصح عنده ، وما يطابق خطته من الموضوع . اما باقي المينات فانه يحذفها عن وعي وادراك وبصيرة وقصد .

ومن امثله اكتفاء النويري على ذكر اسم واضع الكتاب دون الكتاب نفسه ، ما نقله عن ابن المقفع حيث قال « وقال ابن المقفع « عود نفسك العبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ... الخ »

ثم ان النويري لا يهتم احيانا بذكر الاسم الكامل للمؤلف او الجامع ، فيكتفي بذكره اما ناقصا او باختصار كبير يصعب على الباحث معرفة اسمه الكامل ، وخاصة اذا كان للاسم المذكور لقب وكنية يعرف بها .

ونلاحظ ، ونحن نبحث في الكتاب ، ان النويري الى جانب اقتصاره على ذكر اسم المصنف ، او كنيته او لقبه باختصار شديد او اهمال ذكر اسم المؤلف بمتا او الكتب التي ينقل منها ، ان هناك شواهد تدل على ان النويري يعترف بصدر رجب وبصراحة تامة ، بان نقل هذا الفصل او الباب من كتاب يسميه ، ولمصنف ينمته نعتا واضحا . وذلك عند نقله من الميداني مثلا ، حيث يقول « ومن امثال العرب ما نقله من كتاب « الامثال » للميداني .

وكذلك صرح بنقله من كتاب ابي البركات الجواني النسابة ، في الباب الرابع ، في الانساب . ويعترف بنقله منه قائلا « وقد وفقت على المقدمة التي وضعها الشريف ابو البركات الجواني ، فرفعت له علما ونصبت له الى المعالي سلما » . ويبدو انه قرا معظم الكتب الموجودة مصرلد في هذا الفن ، ثم بعد ذلك اختار كتاب الجواني ، لانه « اتقن اصولها وحرر فصولها واورد فيها من الانساب ما ينتفع به اللبيب ويستغنى بوجوده الكاتب الارب » واكثر منه مراعاة قوله « على الشريف الجواني العمدة فيما اوردته والعمدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت وعلى مقالته اعتمدت » (2) ثم بدا ينقل منه بقوله « قال السيد

(1) الدخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، لابن بسام - مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2348 - ادب
(2) نهاية الارب ج 2 صفحة 276 .

الشریف نقیب النقباء ابو البركات بن اسمعٰلى بن معمر الحسيني الجواني النسابة رحمه الله : ان جميع ما بنت عليه العرب فى نسبها اركانها ، واستست عليه بنيانها عشر طبقات . الا ان النويري فيسر ترتيب الجواني ، « وسرد النسب من اصله اى آدم عليه السلام » فالجواني بداه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وبصفته الناقل المحض ، يعمد النويري الى بعض النبدات من كتاب انتخابه لموضوعه ، فينقلها لفظا وحرفا دون التصرف فيها بكلية . ومثال ذلك ما اورده من كتاب « ادب الكتاب » لآبى بكر محمد بن يحيى الصولي (النهاية الجزء السابع صفحة 14) فى فصل « وما قيل فى حسن الخط وجودة الكتابة ومدح الكتاب الكتاب » حيث يقول « سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق ان يوصف بالجودة ؟ قال : « اذا امتدلت اقسامه وطالت افه ولامه واستقامت سطوره ... » فلقد وردت هذه الكلمات بعينها فى كتاب « ادب الكتاب » للصولي (صفحة 50) لفظا وحرفا .

ومن امثله « رسالة الثقيفة » التي بحث بها ابو بكر الصديق الى علي رضي الله عنه عند توليته الخلافة . نقل النويري هذه الرسالة من « رسائل ابي حيان التوحيدي » . ولقد اتى بها لفظا وحرفا دون ان يعلق عليها بحرف ، مع العلم ان هذه الرسالة مشكوك فيها ومطعون عليها . (1)

وانما يعمل النويري كل هذا حسب خطة مرسومة محكمة التنسيق يضمها بعد فكر وروية وتدبر . فلقد رامى فى تأليفه هذا ، ان يضع الابواب والفصول على ترتيب حسن منتظم ، حيث يسهل تناوله والاستفادة منه . فلم يكن يجمع كل رطب ويابس قراه او وصلت اليه بداه ، دون ان يفكر فيه من ناحية جودته والاستفادة منه والافادة وتقسيم فنه . حتى لا يدخل شيء فى شيء لا يوافقه ، او فن فى فن يغايره ، كما فعله الجاحظ فى معظم كتبه . بل كان منهج النويري فيه ، منهجا يسهل منهج العصر الحديث فى توطيب التأليف وتنسيقه . فكان ينتخب فنا خاصا من الفنون ليطلعه ، فيجمع الكتب المتعلقة به اولا ، ثم يطلعه مطالعة دقيقة وافية ، وبعد ذلك

يضع لهذا الباب او الفن خطة مرسومة واضحة دقيقة . يثبت فيها ترتيب كتابته ، وكيفية نقله من هذا الكتاب ، حيث ياتي بكل نبذة فى محلها ويثبتها حيث يقتضي المقام اثباتها . فيبدأ نقله مثلا من كتاب ، ويستمر فيه الى كلام او بحث خاص يحب نقله ، ثم يترك هذا الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر انتخب فصلا منه لنقله فى كتابه وفى محل خاص منه . وهكذا بعد ما ينتهي من نقله من هذا الكتاب الى البحث او الفصل الذي يريده ، ينقل الى كتاب ثالث ، ليستأنف نقله منه الى ان ينتهي الباب من كتابه .

وخير مثال لطريقته هذه ، ما اورده فى القسم الخامس « فى الملك وما يشترط فيه وما يحتاج اليه وما يجب له على الرمية » ، وما يجب للرعية عليه ، ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش واوصاف السلاح وولاة المناصب الدينية ، وفيه اربعة عشر بابا .

وثمة ظاهرة اخرى ، جديرة بالذكر ، وهي ان النويري للغرض المنشود من وضع خطته يتصرف احيانا فى النقل ايضا . وذلك ما نلاحظه عند نقله شروط الامامة من الاحكام السلطانية للماوردي . اذ ان الماوردي ذكر شروط الامامة بسبعة شروط ، اما النويري فقد جعلها ثمانية بجعل الذكورية والبلوغ ، صفتين منفردتين ، بحجة قول الله عز وجل وقول النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم انه لاجل هذه الخطة المرسومة ، يعمد فيغير احيانا ترتيب الكتاب المنقول منه ، عند ما ينقله فى كتابه ، لكي ياتي حسب ما يشاء منه فى خطته . ويطبق الاصول التي وضعها لنقله . وخير مثال لهذه الظاهرة ما نجده عند نقله من كتاب « اصول الاحساب وفصول الانساب » للجواني النسابة فنراه اورد كل شيء فى قسم الانساب من هذا الكتاب ، الا انه فيسر ترتيبه حتى جعله ظهرا لبطن .

فقد سرد الجواني النسب من ابيينا آدم عليه السلام وانتهى به الى نبينا صلى الله عليه وسلم ، فنسب بني هاشم الذي اورده الجواني فى اول كتابه ، نقله النويري فى آخر كتابه هذا الباب . (2)

- (1) جمع الدكتور ابراهيم الكيلاني هذه الرسائل ونشرها فى دمشق عام 1951 .
- (2) اصول الاحساب صفحة 14 ونهاية ج 2 صفحة 360 .

وفي الكتاب أمثلة كثيرة تدل على أن النويري
يغير ترتيب النصف ، وينقل نضه بترتيب وخطه
وضمها هو . ومنها أنه ما نقل من كتاب « دم الهوى »
لابن الجوزي (1) حوالي عشرين بابا في « باب الحب
والهوى والعشق والفزل وغيره » إلا أنه قدم بابا وآخر
آخر ، حسب رغبته وخطته .

وكان النويري إلى جانب اختصاره للأبواب
والفصول من الكتب يختصر المطولة . فيورد منها ما
يظنه أنفع وأكثر فائدة . فمن الكتب التي اختصرها
كتاب « مجمع الأمثال » للميداني بجزئيه .

فقد أودع الميداني كتابه « مجمع الأمثال » حوالي
سنة آلاف مثل ونيف (2) وطريقته في نقل مثل ، هو
أنه يأتي بالمثل ، ثم يسرد سبب إطلاق هذا المثل
وقصته ، والشخصيات المتعلقة بها ، ومختلف
الروايات والأقوال التي يتناقلها المؤرخون والأدباء
حول . ثم يورد أقوال النحاة والمتكلمين في اللغة حول
الكلمة إن كان هناك اختلاف في نطقها ، أو تصريفها
أو فصاحتها ، وكل ما يتعلق من الناحية النحوية
والصرفية واللفوية ، ويسهب فيه أسهابا ملحوظا .

أما النويري فإنه عادة ينتخب من الأمثال ،
السائرة أو كثيرة الاستعمال في الأدب أو الكتب
المتداولة ، أو الأمثال التي وردت بكثرة في الأشعار ،
أو التي خفيفة على اللسان غزيرة في المعنى ، دقيقة
في التعبير ، ثم يسرد المعنى الذي يستعمل فيه هذا
المثل ، ولا يهتم بتحقيق الميداني فيما أورده من
الكلام حول تصريف الكلمة وصحتها من الناحية
اللفوية والأدبية ، ومختلف الأقوال في هذا الصدد .
وإن أخذ منها شيئا ، فلك التي لا مندوحة له منها ،
لفهم المثل وفهم مدلوله .

فلتر مثلا « أن العوان لا تعلم الخمرة » فلقد قال
الميداني ، وهو يصف مختلف الأقوال حول كلمة
« العوان » قال الكسائي : لم نسمع في العوان بمصدر

ولا فعل . قال الفراء يقال : عونت تمويينا وهي هوان
بينه التموين والخمرة من الاختصار كالجلسة من
الجلوس ، اسم للهيئة والحال ، أي أنها لا تحتاج إلى
تعليم الاختصار ، يضرب « للرجل المجرب » (3) .

أما النويري فقد أورد المثل وحذف ما قيل
حول من الاختلاف في كلمة العوان وتشرح معنى
الاختصار ، لأنه ليس يكتب كتابا في علم النحو أو اللغة
أو المعاني ، وإنما يأتي بما يستفاد به من هذا المثل
وهو مدلوله فاكثف بنقل مضرب المثل وموقعه (4) .

وكذلك يحذف النويري بعض الأحيان ، ما يورده
الميداني من تفسيرات لفوية لبعض الكلمات الواردة في
المثل .

ثم إن النويري عند نقله لأمثال من الميداني لا
يهتم بالقصص التي أوردها حول الأمثال . والسبب
فيه هو أن النويري يقصد بنقل هذه الأمثال أبرز معالم
الأدب وخفاياه والأمثال إحدى دعائمه . ولذلك نراه
يقتصر على الحد ، سواء من القصة أو شرح الكلمة .
يرى فيه أن المثل أصبح واضحا بحيث لا يصعب
فهمه . فإن رأى بأن المثل غامض لا يمكن فهمه بدون
إتيان القصة المشهورة حوله ، فإنه يأتي بالقصة تاركا
الحشو والزوائد ، مقتصرًا على لبها وخلاصتها .

وكذلك اختصر النويري القصص والحكايات التي
أوردها صاحب الأغاني منذ الكلام عن المغنيين والشعراء
وأصحاب الظرف الفكاهة مثل ابن سريج ومعبد وابن
محرز وغيرهم . فقد أتى في كتابه ، من هذه القصص
والحكايات ، تلك التي تفيد غرضه وتستسيغ نهجه
وتلائم خطته ، من غير الانغماس في تطويل مممل ،
والإخلال من المينات والاقتباسات التي قد تكون موضع
الشك والشبهة تاريخيا . فقد تكون لا تعتمد على
برهان تاريخي أو حجة لا تقبل الشك والريبة (5) .

وهناك أمثلة يحذف النويري فيها القصة أو
الحديث كله ، ويكتفي بذكر موقع استعمال المثل

- (1) كتاب « دم الهوى » لابن جوزي (أبو الفرج) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 286 - أدب
تيمور (في مجلدين) .
- (2) مقدمة مجمع الأمثال صفحة 5 .
- (3) مجمع الأمثال للميداني ج 1 صفحة 16 .
- (4) نهاية ج 3 صفحة 9 .
- (5) راجع الأغاني للأصفهاني ، الجزء الأول صفحة 101 فما بعد . ونهاية الأرب الجزء الثاني صفحة 225
فما بعد ، لأخبار المغنيين وغيرهم .

ومعناه فقط . وذلك عند نقله المثل « عند جهينة الخبير اليقين » . فبعد أن أورد الميداني هذا المثل ، نقل قصة طريفة ، رواية عن هشام بن الكلبي ، يذكر فيها بأن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب ، ورجلا من قبيلة جهينة يسمى الاخنس بن كعب خرجا يريدان قطع الطريق فسلبا رجلا لقياه في الطريق . فقال الرجل : ان تركتاني وشاني دلتكما على رجل تحت شجرة معه منم كثير فخلبا سبيله . واتيا الرجل وهو من لخم . وكانت شجرة يستظل بها وامامه طعامه وشرايه ، فحياهما واشركهما طعامه . فاكلا وشربا . ثم ان الاخنس ذهب لقتاء بعض حاجاته . فلما عاد رأى حصين قد قتل النخمي واستولى على ماله . فجلسا يشربان وكل منهما يخفي في نفسه ربيعة لصاحبه . وبعد قليل قال الحصين للاخنس هل تعرف زجر الطير ؟ فقال الاخنس ماذا ترى ؟ قال ارى مقابا كاسرا ، وأشار اليه ومد يده الى الجهة التي كان المقاب فيها . فافتتم الاخنس هذه الفرصة وضرب عنقه بفتة . ثم انطلق هائدا الى بيته فاذا بامرأة حصين تفتقه ، فقال لها ، انه قتله ولكنها لم تصدقه وقالت : « كذبت ما مثلك يقتل مثله اما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا » . فمضى الاخنس واتى قبيلته وصالحها وكان غاضبا منهم ، ثم عاد الى امرأة حصين وقبيلتها ، وانشد حيث تسمع القبيلة :

وكم من ضيفم ورد هموس

أبي شبلين مكنه المرين

الى ان قال :

تائل عن حصين كل ركب

وعند جهينة الخبير اليقين

قال الاصمعي وابن الأعرابي : هو جفينة بالغاء . وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تائل من أبيها كل ركب

وعند جفينة الخبير اليقين

قال : فسألوا جفينة فأخبرهم خبر القتييل . وقال بعضهم هو جفينة بالحاء المهملة ، يضرب في معرفة الشيء حقيقة (1) .

هذه هي القصة ، ومختلف الأقوال ، أوردها الميداني في كتابه حول المثل ، سردنا ها باختصار . الا ان النويري لم يذكر من هذه التفاصيل شيئا . بل

اكتفى بإتيان معنى المثل وموقع ضربه . فقال : « يضرب في معرفة الشيء حقيقة » (2) .

والواقع ان النويري كان يتحاشى إتيان الرطب واليابس في كتابه ، والروايات التي لا يتأكد من صحتها ، أو التي هي منحولة موضوعة ، أو تقبل الشك والشبهة حتى لا يلقي بنفسه في اطناب ممل وأن لا يكون موضع النقد بجمع كل ما وصلت اليه يده دون أعمال الفكر والروية ، واختبار النبدات على محك علمي ، من شأنه أن يميز الصدق من الكذب والفش والوضع . ثم ليأتي بالقصص والنبدات ، التي لها علاقة بالادب بصورة مباشرة .

ومن الكتب التي اختصرها النويري على هذا اتنحو ، « فقه اللغة للشعالي » و الاحكام السلطانية للمواردي « و « قوانين الوزارة للمواردي » ، وكتاب حسن التوصل الى صناعة الترسيل ، لمحمود بن سليمان الحلبي الحنفي و « ذم الهوى لابن جوزي » و « فصول الاحساب للجواني » و « كتاب المنهاج للحليمي الجرجاني » وغيرها (3) .



وفضلا عما يفعم به كتابه « نهاية الارب » من الموضوعات الطريفة ، والمواد الممتعة الشيقة ، التي تفيض علما وادبا وفنا ، مما استقاها من مواردها الاصلية ، فقد أودع كتابه هذا ، من اجمل الاشعار وامدبها ، مما فاضت بها قرائع الشعراء ، حسن السبك وطلاوته ، وغزارة المعاني وعمقها ، ودقة البيان وحلاوته ورصانة التركيب واحكامه ، مما تتلذذ بها الطبايع ، وتطرب لها القلوب وتهتز لها المشاعر . كما تدل على ما أوتي النويري من حفظ وافر في حسن الاختيار ، وعلو كعبه في الذوق الشعري اللطيف ، ومعرفته الواسعة بدواوين الشعراء والكتب ، واستخلاص الدرر الغرر من هذا البحر الزاخر . ثم تركيبها في مواقعها بحيث انتظمت في سلك ، تتلالا حسنا وجمالا . فلا يمل القارئ ، وهو يمضي بادق فن واصعبه في كتابه ، بل ينسى ما كابده من جهد وتعب اثناء قرائته لمثل هذه الفنون الدقيقة ، المسيرة الفهم والادراك عندما يبلغ به المطاف الى هذا الجزء

(1) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 391 .

(2) نهاية ج 3 صفحة 39 .

(3) الكتب الاخيرة الثلاث مخطوطات بدار الكتب المصرية ، لم تطبع بعد .

من الكتاب الذي ضمنه النويري الأشعار ، المتعلقة بهذا الفن ، ومنها كان دقيقاً أو صحيحاً . ويجد به متعة وبهجة قلما تضاهيها متعة وبهجة . كأنه وصل أرضاً ناعماً سهلة نضرة ، بعد طوال الشقة ، قضاها في أرض وهرة المسالك .

ومنهج النويري في نقل الأشعار هو ، أنه يأتي بباب أو فصل من قسم خاص مثلاً ، فينقل في هذا الباب أو الفصل ما طاب له أن ينقل فيه من الكلام حول الموضوع الذي يبحث فيه الباب ، لكبار الأدباء النثرين والعلماء ، فلما ينتهي من نقله يحاول أن يطبق على ما كتبه من أقوال الشعراء وكلامهم ، فيخوض في دواوين الشعراء والكتب الأدبية الأخرى لكي يلتقط منها جميع الأشعار التي تطابق ما أورده من النثر في الفصل السابق فيثبتها في محلها اللائق ، لكي لا يجد القارئ في نفسه كلالاً وتعباً من الاختصار على موضوع صعب جاف . وحتى يجمع كل ما قاله الكبار من الأدباء من نثر ونظم حول الموضوع . وبذا يضيف إلى ما أورده في كتابه صبغة أدبية ، تميزه من سائر الكتب الأدبية . ولكي يسجل مقال الشعراء في هذه الموضوعات بترتيب خاص ، يمكن الاستفادة منها والرجوع إليها في مكان واحد دون الخوض في الدواوين المختلفة ومجموعات كلام الشعراء ، دون ضياع الوقت وتحمل المشقة للبحث والتنقيب . وطريقته فيه أنه يحاول جهده أن يبدأ بنقل الأشعار من الجاهلية فالإسلاميين إلى المولدين والمحدثين ، ولو يختلف هذا الترتيب في بعض الأجزاء من الكتاب ، لعدم تمكنه من الاستمرار على هذه الطريقة ، أما لضالة الأشعار عند القدماء في هذا الفن أو الموضوع ، وأما ، أن كانت لديهم ، فهي ليست من الجودة بحيث يشبهها النويري في كتابه ، مثل التشبيهات الرائعة التي فشت في عصر المولدين ، أو الأشعار في صفة الرياحيين والبساتين والقصور أو تصوير المناظر الخلابة ، مما لا نظير لها في الشعر الجاهلي . ثم إن النويري لا يزيد من عدد الأبيات مخافة الإطالة ، بل يقتصر عادة على بيتين أو ثلاثة أبيات ، ومنها أيضاً على البيت القصيد في معظم الاوقات .

ولتقف برهة عند « الباب الثاني من القسم الاول من الفن الثاني » لنرى منهج النويري في نقل الأشعار . وذلك لأن هذا الباب خير مثال لطريقته فيه . وهذا الباب يبحث في « أسماء الإنسان » وتشبيهها .

ابتدا النويري هذا الباب من شعر الإنسان . فنقل من فقه الكلفة للشعالبي أسماء المشهور بمختلف ألقابها . فلما فرغ من أسمائها وتفصيلها وضع فصلاً ، جمع فيه ما قالته الشعراء حول الشعر عامة وحول شعور النساء بوجه خاص . وأحسن ما أورد في وصف شعر الرجال قول ابن الرومي :

وفاحم وارد يقبل تمنه
شاه اذا اختال مرسلأ غدده
اقبل كالليل من مفارقه
منحدرا لا يلزم منحدره
حتى تناهى إلى موطنه
يلثم من كل موطنه غفره
كانه عاشق دنيا شغفها
حتى قفى من حبيبه وطوره
وقول فتح الدين بن عبد الظاهر :

حل لثانا يوم حمامه
ذوالب يبق منها الفوال
فقلت ، والقصد ذوالبائه
يا سهرى في ذي الليالي الطوال
وقول آخر :

رايت على قد الحبيب ذؤابة
فعيني على تلك الذؤابة تهمع
يقول لي الواشون : مالك باكيها
فقلت : يميني شعرة فهي تدمع
ومن أحسن ما انتخبه في وصف شعر النساء :
قول بكر بن النطاح :

بغض سحب من قيام فرمها
وتغيب فيه فهو جثل أسحم
فكانها فيه نهار ساطع
وكانه ليل عليها مظلم
وقول آخر :

نشرت على ذؤابا من شعرها
حذر الكواشح والعدو المحنق
فكانني وكأنها وكأنه
صبحان بالنا تحت ليل مطبق

ومن قول المتنبي :
نشرت ثلاث ذؤاب من شعرها
في ليلة ، فارت ليالي أربها

واستقبلت قمر السماء بوجهها
فارتنى القمرين في وقت معا

وقد ألم في ذلك بقول ابن المعتز :

سقتني في ليل شبيهة بشعرها
شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى
وشمس من خمر وخذ حبيب

وقول ابن الدريد الأزدي :

غراء لو جلت الخدود شعاعها
للشمس عند طلوعها ، لم تشرق
عمن على دعم تالق فوقه
قمر تالق تحت ليل مطبق
لو قيل للحسن : احتكم لم يعدها
أو قيل : خاطب غيرها ، لم ينطق
فكاننا من فرعها في مضرب
وكاننا من وجهها في مشرق (1)

وفي الكتاب أبيات أخرى قيلت في شعر النساء،
الا انني اخترت احسن ما وجدته تعبيراً ووصفاً .

فلما فرغ من نقل الاشعار حول الشعر ، اتى
بفضل آخر ، بين فيه بمناسبة الشعور ، « ما قيل
في الشيب والخضاب من مدح وذم » اورد في هذا
الفصل من النثر ما كتب حول الموضوع . اورد فيه
باشعار تدم الشيب والخضاب واخرى تمدحه وترحب
بمقدمه . ثم ذكر نظرة المرأة الى الشيب وعوارضه
ثم بدأ باهضاء الانسان من نثر ونظم . فاجمل ما قيل
في وجه المذكور قول الوجيهي :

ومستقبل بالدي يهوى ، وان كثرت

منه الاساءة ، معذور بما صنعها
في وجهه شافع يمحو اساءته
من القلوب ، وجيها حيشما شفعها

ومنه اجمل ما قيل وجه المؤنث قول ابن سكرة :

في وجه انسانة كلفت بها

اربعة ما اجتمعن في احده
فالخذ ورد والصدغ غائبة
والريق خمر والثغر من برد

(1) نهاية الارب ج 2 صفحة 20 .

(2) راجع لهذا الموضوع نهاية الارب ج 2 من صفحة 21 فما بعد .

لكل جزء من حسنها بدع
تودع قلبي ودائع الكمد

ومن اجمل ما قيل في الحواجب قول الزاهي :

واغيد مجدول القوام جبينه
سنا القمر البدر في الفصن الرطب
تنكب قوس الحاجبين فسهمه
لواحظه المرضي ، وبر جاسه قلبي

وما قيل في المين بلفظ التدكير قول عبد الله
ابن المعتز :

عالم بما تحت الصدور من الهوى
سريع بكر اللحظ والقلب جازع
ويجرح احشائي بعين مريضة
كما لان من السيف والسيف قاطع

واقعد اجاد جرير في وصف عين مريضة اذ قال :

ان الميون التي في طرفها حور
قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
يصر من ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله اركاناً (2)

وكذلك اتى بنخبة ممتازة من الاشعار حول
الخصر والمشى واليدان وغير ذلك من الامضاء .
فابدع فيه واجاد الاختيار .

ولقد ابدع ابن الرومي عند ما جمع اكثر المزايا
والاوصاف التي تستحسن من المحبوب حيث قال :

مخففة مثقلة تراها

كان لم يعد نصفها غدا
اذا الاغياب جدد حسن شيء

من اشياء جردها اللقاء
لها ريق تشف له الثنايا

ويروى عنه - لا منه - الظماء
وانفاس كانفاس الخزامي

قبيل الصبح ، يلتها السماء
تنفس نشرها سحرا فجاءت

به سحرية المسرى رخاء
وقد اعتمد النويري في انتخاب اشعاره على

دواوين الشعراء اولا ، ثم « كتاب المنتحل » للشعالي ،
فالعقد الفريد لابن عبد ربه ، فعيون اخبار لابن قتيبة ،

الممتاز . ومن جميع النواحي ، من ناحية جودة الالفاظ وحسن سبكها وروعة نظمها ومن ناحية المعنى وأداء الغرض والمطلب الذي أورده لأجله . وهذا خير دليل على سعة علم النويري بفنون القريض والشعر وأسراؤه ، ودقة نظره في خبايا هذا الفن واستخراجه . ومدى اطلاعه على المصادر الشعرية والمراجع . وعلى هذا الوله الادبي ، الذي حفزه على ان يتعمق نفسه ويبدل كل جهوده ، في جمع هذه الاثبات المبعثرة في الكتب والدواوين المختلفة الكثيرة ، حتى قدمها الينا في صورة باقة جميلة تزينها انواع واشكال من الزهور والورود .

وهكذا يتضح لنا من دراسة كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » ، وما سلكه النويري من منهج لتأليف موسوعته هذه ، التي لها أكبر فضل في حفظ قدر ملحوظ من تراثنا القديم ، مما تركه لنا أسلافنا خلال القرون الست التي مضت على التاريخ الاسلامي الحافل . فمنهج النويري قيم ، لا غبار عليه ، يقوم على فكرة وروية واضحين . وقد تم التأليف بطريقة يمكن الاستفادة منه استفادة تامة . ما عدا عدم ذكره المراجع ، مما يكابد الباحث والدارس لمراجعته ، مشقة العثور عليها في مختلف الكتب ، فتقسيم الكتاب على فنون ، وهذه الفنون على أبواب وفصول ، وكل فصل ضمن علم خاص أو نبذة معينة ، ليسهل على الطالب مهمة البحث المضني ، اذا لم يكن مدونا بهذه الصورة . ككتب الجاحظ التي هي الاخرى موسوعة بمجموعها . ولكن المرء يختار امام هذه المجموعة غير المرببة ترتيبا لائقا ، فلا يبلغ مناه الا بعد طول المشقة وكبير مناه . ثم يمتاز كتاب النهاية بعدم اخلاط موضوع في موضوع آخر ، كالذي تجده في كتاب « الكامل للمبرد » أو لسان العرب لابن منظور . فانهم يتكلمون من موضوع ويسهبون فيه اسهابا حتى يخيل الى القارئ ، انهم نسوا الموضوع الحقيقي ، ولكنهم يرجعون الى الموضوع الحقيقي بقولهم « رجع القول الى » . أما النويري فانه لا يعمد الى موضوع ثان ما لم ينشأ من الموضوع الاول الذي كان يتكلم حوله . ولقد بالغ النويري في نزاهة كتابه من هذا النوع من « الخلط بالبحث » الى حد ، انه اثناء نقله من الكتب ، اذا وجد شيئا غارضا ، على الموضوع الاصلي الذي يتناوله ، يحذفه بتمامه ، ويواصل نقله من الجزء الذي يتصل الكلام فيه بالكلام الحقيقي . ولأجل هذا نراه يحذف صفحات كثيرة متتابعة من الكتب المنقول عنها ، أو نجده ينتقل من جزء الى جزء

« وزهر الاداب » للحصري القيرواني و « ديوان المعاني » لابي هلال العسكري وكتاب « نفع الطيب » وغيرهم من المصنفين والادباء .

ولاحظنا ، عند تصفح الاشعار التي أوردها النويري ، انه عند نقله الاشعار من الجامعين وكتبهم ، يقتصر على ما أورده الجامع ، وأحيانا يضيف عليه بيتا أو بيتين . وطورا نراه يترك ما أورده المصنف بشائنا ، ويأتي بشعر من انتخابه هو بلائم الموضوع . وذلك أن النويري أديب يحظى بقسط أولر من حسن الدوق الشعري والادبي وله ملكة حسنة في الاختيار ، فهو عندما يرى أن الجامع لم يحسن الانتخاب من كلام الشعراء حسب الموضوع أو المنسبة ، يقوم هو بنفسه في البحث في الدواوين ومجموعات كلام الشعراء ، من كلام يناسب الموضوع والمناسبة ، ثم ينتخب أحسنه ويثبت في محله . وخير مثال لهذا ما نقله من الاشعار في تمثيل الامثال ، التي اقتبسها من كتاب المنتحل للشعالي من الباب العاشر « في الامثال والحكم والاداب » . فنراه انه لم يقتصر على ما أورده الشعالي في هذا الصدد ، وانما اختار بنفسه وأضاف عليه . فالشعالي مثلا لم يتمسك بترتيب مصور الشعراء وزمانهم ، فخلط فيما بينهم ، حيث أورد شعر الجاهلي ، أعقبه بمولد ، ثم مخضرمي اسلامي ، وهكذا في سائر كتابه . أما النويري فانه اهتم اهتماما بالغا في ذكر الاشعار حسب ترتيب عصر الشعراء . فابتدأ بالجاهليين ثم العباسيين فالمحدثين والمولدين ، الى أن بلغ الى عصره .

فاذا القينا نظرة على ما أورده النويري ، من الاشعار المنتخبة في كتابه يتضح لنا بأنها تشمل نخبة قيمة ممتازة من روائع الشعر في شتى اصناف المعاني والموضوعات ، يتميز وجوده في كتاب واحد . وهذه الصبغة تضفي على نهاية الارب صبغة تجعله - حقا - موسوعة شعرية ، تشمل كلام الاوائل والجدد في مختلف المعاني والموضوعات والمواد ، بترتيب حسن وبنظام منسقي مقبول . فالباحث يستطيع أن يستخرج من هذا الكتاب أشهر بيت قالته العرب وفي أي معنى شاء ، دون جهد أو مشقة بالغة ، ولشعراء جميع المصور التاريخية المختلفة . وتلك ميزة ينفرد بها هذا الكتاب . وفضلا من هذا فان هذه الاشعار تشير الى أن النويري كانت له يد طولى في انتخاب اشعار وذلك بفضل هذا الدوق الرفيع والحس الشاعري اللطيف الذي يتمتع به . فاننا نراه لم يات بشعر مهمل متفكك ، وانما جاء بنخبة كلها من الطراز

آخر من الكتب ، ليواصل موضوعه الاصلي بدون عارض ، او « الخطأ بالبحث » . ونلاحظ هذه الظاهرة واضحة ، عند نقله « اخبار المغنيين والمغنيات » من الاغانى التي يسهب صاحبها احيانا فى سرد اخبار لا تتعلق بالشخصية التي يتكلم عنها وانما هي عوارض اما النويري ، فانه يحذف هذه الزوائد والحشو . ويقتصر على الموضوع الذي يتناوله بالكلام .

وقد حاول النويري اثناء نقله ، تسديد الخطأ الذي وقع فيه بعض المصنفين . فروى الشمالي مثلا . بان الشعر القائل :

وما ينهض البازي بغير جناحه

ولا يحمل الماشين الا الحوامل

اذا انت لم تعرض على الجبل وانخنا

اصبت خليما او اصابك جاهل

قال « انه لعبيد الابرس » (1) الا ان النويري ضبطه لاوز بن حجر . ولقد تصفحت ديوان عبيد الابرس بنفسى ، فلم اجد فيه هذا الشعر ، وما قاله النويري فيه هو الصحيح .

ثم ان النويري لا ينفص في المسائل المختلف فيها . مثل مسألة سماع الفناء ، او مزاوله الاذكار والادعية ، وخاصيتها التي يعتقد بها الطائفة الصوفية . فانه في مثل هذه المسائل يقتصر على نقل آراء الجانبين دون ان يبدي رايه ، فيرجح هذا ويسف ذلك . او يميل الى هذه النظرية ، ويتفاضى عن تلك . بسل بترك القارىء حرا يتصرف فيه - بعد معرفة راي الجانبين - كيف شاء وبأية طريقة يفضاها على غيرها .

والى جانب هذه المزايا التي تمتاز بها موسوعة نهاية الارب ، هناك اغلاط لم يسلم النويري من اقترافها . ولكنها اغلاط بسيطة ، لا يؤبه بها . مقارنة بعلمه العظيم هذا فقد ذكر النويري مثل اسم « سمونيل بن الماديا » بين الشعراء المخدلين ، والحقيقة انه من شعراء الجاهلية دون اختلاف . والغريب في الامر ان مصححي الكتاب ايضا لم يثبتوا الى هذا الخطأ الفاحش ، فطبع الكتاب حاملا هذا الخطأ . ثم ان النويري ذكر اسم خصي معاوية بـ

« رقيق » في قصة تزويج معاوية يزيد (2) . ولقبه اخذ هذه القصة من « الامامة والسياسة » لابن قتيبة الا ان ابن قتيبة ذكر اسمه بـ « رقيق » . وذلك هو الصحيح ، كما ورد في جميع النسخ الموجودة ، المطبوعة في مختلف المطابع . وكذلك اورد اسم مخبوبة يزيد بانها « زينب بنت اسحق » الا ان اسمها الصحيح هو « زينب بنت اسحاق » (3) .

وهناك غلطة عجيبة وقع فيها النويري لم ادر كيف . ومن اين وهو استعمال كلمة « السبا » بدل كلمة « السجا » بمعنى « ان يصر على الانسان فتح عينيه » . اذ ان كلمة « السجا » لا توجد بالقواميس وليس لها اى مدلول او معنى (4) ويبد لي بان هذه الاغلاط وقعت من الناسخ اذ ان النويري مع غزارة علمه ووفرة اطلاعه ، يستبعد ان يقع في مثل هذه الاغلاط .

والعيب الاساسي الذي يؤاخذ به الباحث عليه ، هو انه لا يذكر المرجع عادة ، وخاصة في العلوم الادبية ، وعدم ذكره له يجعل الباحث في حيرة من امره . حيث يضيع الوقت في البحث . فكثيرا ما تستغرق نبذة وجيزة للبحث عن مصدرها ساعات واياما في بعض الاوقات ، مثل ما حدث لي عند البحث عن العيين الذي اتخذه من الدخيرة لابن بسام . فقد استغرق من هذا الاقتباس منى حوالي ثمانية ايام . ثم انه عندما يضيف شيئا الى ما ينقله من كتاب آخر لا يشير اليه ، مما يوهم الباحث انه ايضا من اصل الكتاب ، والحال انه من هنده . كما حصل عند جعل شروط الامامة ثمانية شروط ، بدل سبعة شروط كما اوردها الماوردي .

ومهما يكن ، فليس من شك ، بان منهج النويري في كتابه هذا ، منهج يضاهي احسن مناهج عصرنا الحديث ، الذي تقدمت فيه صناعة التأليف اى تقدم . ولمنهجه الواضح المفيد ، ولما يحوي من الموضوعات الفزيرة والعلوم النافعة المتنوعة « يعتبر احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك . اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا » (5) .

(1) المنتحل للشمالي صفحة 171 .

(2) نهاية ج 6 صفحة 183 .

(3) راجع الامامة والسياسة ، لابن قتيبة .

(4) راجع لهذه الكلمة : اقرب الموارد لسعيد الغوري الشرتوني اللبناني وناج المروس : لمحمد مرتضى

الحسيني الوبيدي (فصل الجيم من باب الهمزة) واللغات الاخرى .

(5) عصر سلاطين المائيك : محمود رزق سليم ج 3 صفحة : 125 .

تحقيقات

- ♦ الكشف عن معجم لغوي ملغود في بغداد
للاستاذ عبد الهادي التازي
- ♦ متغير اللفاظ (لاهم بن فارس)
حققه وقدم له : الاستاذ هلال ناجي
- ♦ ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب « الحجة » اليه
للاستاذ عبد العال سالم مكرم
- ♦ نسبة « الحجة » الى ابن خالويه لا تصح ..
للاستاذ العابد الفاسي
- ♦ حول تحقيق كتاب ابن الجوزي : « تنوير اللسان »
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني

الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد

الأستاذ عبد الهادي التازي
سفير المملكة المغربية في العراق

فحققه على مخطوطتين : الأولى تعود للقرن السادس الهجري ، والثانية كتبها جده العلامة السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحنسي البغدادي أمير الخطاطين في عصره في بواكير القرن الرابع عشر الهجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء ص 321 ، كما ذكره ابن فارس في عدد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من معجم (الجمل) .

رتب ابن فارس معجم (متخير الالفاظ) على ابواب المعاني في مائة وأربعة عشر بابا ، ويميزه الاساسية انه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقاة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاة ، والاقوال الجارية مجراها ، مؤكدا ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب ، واجتناب الوهر منه ، والانس بانيسه والتوحش من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، وشواهد من ميون الشعر العربي لفظا ومعنى .

وقد بدل الاستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المعجم جهدا ضخما حتى ناهزت مصادره ومراجعته الاربعمائة كتاب ، من بينها عدد غير قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا اول محاولة يقوم بها باحث مراقي في نشر معجم عربي قديم .

حركة التأليف المعجمي عند العرب مرت عبر القرون بمراحل متعددة ، اولها : مرحلة كتب الصفات او الغريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت الى بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والغريب المصنف لابي عبيد ، والمخصص لابن سيده الاندلسي .

وثانيها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها ربت المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها ، واولها معجم العين للخليل بن احمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والقليبين والجمل والجمهرة والصاحح والعباب واللبن والقاموس المحيط وتاج العروس .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد ربت فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وابرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وجواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ، والالفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة للثعالبي .

وكانت بعض المراجع القديمة تذكر كتابا مهما من هذه الكتب ، وهو معجم (متخير الالفاظ) تصنيف العالم اللغوي الجليل احمد فارس الرازي المتوفى سنة 395 هجرية ، ولكنه كان يعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخرا نشر الباحث العراقي الثبت الاستاذ صدر ناجي على المعجم المذكور ضمن مخطوطات أسرته ،

والكتاب معد للطبع حالياً، وقد قدم له الصديق المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث في ختامها بلغة شعرية مؤثرة عن نوافعه في تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه : « حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشهرت في تحقيق أخرى ، لكنني لم أشعر أبدا أن كتابا غير المتخير أصبح جزءا من كياني ولوذا في جنائي وبمضا من بياني ، ذلك أن روابط ممتدة الجدور موفلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج روحية غير منظورة ، من هذه الروابط ، أن مخطوطته الام الفريدة حفظها للمربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وأن مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي المرحوم عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي أمير الخطاطين في عصره ، فبيني وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبينني وبينهما رحم وأصرة وقربى . ثم أن من هذه الروابط ما عرف من عنابة أسرنا بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل « ثم عرض لنفائس مخطوطات أسرتهم اللغوية حتى قال : « أن هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني حفزا ، لاني أصل جبل النسخ والحفظ في أسرنا بجبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد

ضياع استمر الف عام ، وفاء للمربية واحياء لبعض تراث الاسرة ، وهكذا صاحبت - المتخير - قرابة عام ، كان فيه سميري كل ليلة ونجي كل دجنة ، وكان منه صاحبا ومحدثا واليفاء ، أصوب منه ما حرف محرف وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر ، واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر أو قالة لنائر فلا يحول ولا يتغير ، وكم غبت من دنيائى وأنا امراض نصا على مصدر ، حتى اذا ضجعت للفور تالية النجم ، واخذ الليل في طي الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ردتني الى دنيائى مؤذن ينادي : أن حى على الفلاح . . قد قامت الصلاة ، فانسأخ من مقعدي اذ يسلمخ النهار من الليل ، واذا ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان لقاءنا واغترافنا قرابة عام . »

بمثل هذا الاسلوب الشعاري المتدفق قدم المحقق الصديق لهذا المعجم الفريد .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة قيمة للمكتبة اللغوية .

وفى تقديري ان هذا المعجم بالذات لا غنى عنه لكل كاتب وشاعر ، وعسى ان نراه فى عالم المطبوعات قريبا .



مِثْرَاتُ أَلْفِ لَافٍ

تصنيف

أحمد بن فارس

الوفى سنة ٣٩٥ هـ

مفنه وفدم له

هـالـى نـاجـى

(يـفـسـاد)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عصر المصنف :

ولد ابن فارس ومات في القرن الرابع الهجري وهو ترمز الوطن الاسلامي فيه الى امارات ودويلات يغير بعضها على بعض ويسمى بعضها للاطاحة ببعض . ففي نهاية الربع الاول من هذا القرن اصبح المغرب والمريقية بيد الفاطميين ومصر والشام بيد ابن طنج الاخشيدي وديار بكر وديار ربيعة ومضر والموصل بيد الحمدانيين والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين في يد القرامطة وفارس والري واصبهان وهمذان في يد بني بويه وكرمان في يد محمد بن الياص وطبرستان وجرجان في يد الديلم وخراسان في يد نصر الساماني ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد واعمالها فاصبح رمزا دينيا لا سلطانا دنيويا ولا سيما بعد ان دخل البويهيون بغداد سنة 334 هـ .

وشاع الخلع والسمل والقتل الذي تعرض له خلفاء العباسيين في هذا القرن . خلع القاهر وسمل ، وخلع المتقي لله وسمل وخلع المستنكى لله وسمل وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وفي عام 334 هـ سيطر بنو بويه سيطرة تامة وصار الخليفة المطيع لله لا امر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير الخلفاء الذين قتلوا كابن المعتز وسواه .

ويصف البيروني بمباراة صادقة ومؤثرة فقدان العباسيين لسلطانهم الدنيوي وسيطرة بني بويه على الدولة والملك بقوله :

« وان الدولة والملك قد انتقل في آخر ايام المتقي وأول ايام المستنكي من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني امتقادي لا ملك دنيوي فالتائم من ولد العباس الان انما هو رئيس الاسلام لا ملك » .

وهكذا خرج الامر من يد العباسيين وصار في يد الدخلاء من بني بويه حتى سنة (451) هـ .

ويصل المقدسي بغداد في هذا القرن فيقول : « أما المدينة مخراب والجامع فيها
يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب .. وهي في كل يوم الى وراء أخشى انها
تعود كسابرا مع كثرة الفساد والجهل والنسق وجور السلطان » .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تردت الاحوال الاقتصادية في هذا العصر ترديا بالغا وشامت المصادر ،
وكانت المصادرة اكبر خطر تعرضت له الملكية الخاصة في القرن الرابع الهجري وكانت
تصيب الثرين ولا سيما الموظفين منهم وكان التجار والأغنياء من الأهلين عرضة
للمصادرة أحيانا وقد حفظ مسكويه لنا قائمة بالمصادرات بين سنة 296 هـ - 381 هـ
وفي فترة التغلب البويهي هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وتأسى الفلاحون بصورة خاصة من كثرة الضرائب ومن جشع الموظفين وعدم
ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

وتضائلت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه الفترة وتسئم
الغرياء أحسن الوظائف وأصبح مستوى الأهلين في عداد الطبقات المتوسطة والفقيرة .
وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفين المنين عامة في الفترة البويهية في حين
ارتفع دخل رجال الجيش . وتعرض العراق لفترات غلاء ومجاعات ، ويمكن القول على
وجه الإجمال بأن التغلب البويهي كان حدا ماصلا بين فترتين إذ انه اثر على الاقتصاد
الزراعي ومقرق نمو المؤسسات التجارية والمصرفية .

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبي وأدى الى مصادمات دموية هلك فيها
كثيرون ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان بلدانا كثيرة خربت ودثرت بسبب هذا
الصراع البغيض .

الحالة العلمية والأدبية :

ان السوء الذي انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة
الاسلامية خلال هذا القرن لم يصاحبه سوء مماثل في الحالة العلمية والأدبية وكان
العكس هو الصحيح . ففي هذا القرن بلغت الحركة العلمية والأدبية أوجها واتت
ثمارها . ولعل مرد ذلك ان التمزق السياسي أتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة
صارت تتنافس وتتبارى في اجتذاب العلماء والأدباء ، وتبع ذلك تنافس خير جنت منه
الحركة الأدبية والعلمية خيرا كثيرا وشامت العناية بالكتب وجمعها لدى الأمراء
والوزراء والعلماء والأدباء شيوعا كبيرا ونشأت الخزائن الكبرى التي يجمعنا منها
المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم والآداب والفنون . كان
بعض سلاطين بني بويه أدباء شعراء أمثال عز الدولة وعبد الدولة وتاج الدولة

وكانوا يؤثرون استيزار واستكتاب العلماء والأدباء فكان من وزراءهم وكتابهم : ابن
المعبد والصاحب بن عباد والمهلب وسابور بن أردشهر .

وقد عاصرت الدولة البويهية التي امتد سلطانها لتشمل العراق ومصر
وخراسان . الدولة السامانية في تركستان وبرزت بخارى ونيسابور كمركزين ثقافيين
استقطبا العلماء والأدباء والشعراء واشتهر من أمرائها منصور بن نوح الذي استوزر
البلعمي الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية .

وابنه نوح بن منصور هو الذي شد نظر شاعره الدقيقي لنظم الشاهنامة منظم
الدقيقي الف بيت من الشاهنامة كانت هي الأساس الاكيد لشاهنامة الفردوسي في
عصر الغزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة ضخمة انتفع منها ابن سينا ، ومنهم منصور
الساماني الذي الف له أبو بكر الرازي كتاب - المنصوري - في الطب .

وفي طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من أمرائها شمس المعالي قابوس بن
وشمكير ، الأديب الشاعر والفيلسوف الرياضي وصاحب رسالة الاسطرلاب . وكان
في خوارزم أمير محب للعلم والأدب هو أبو العباس المأمون بن مأمون خوارزمشاه ،
كان من رجال مجلسه ابن سينا الفيلسوف والبيروني المؤرخ الرياضي وأبو نصر
الرياضي والفيلسوف أبو سهل المسبجي ، والطبيب أبو الحسن الخبار وسواهم .

وقد استطاع السلطان محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية ضم بعضهم
الى بلاطه وبرزهم البيروني . وحين استطاع السلطان المذكور اسقاط الدويلات
والامارات التي تضايقه جدت في مملكته نهضة أدبية نشيطة شجعها السلطان الغزنوي
بمخطاياهم في الشعر الغنائي برز منوچهري والعنصري والفرخي ورابعة التصديرية .
وفي الشعر الملحمي برز الفردوسي في شاهنامته التي بلغت الستين ألف بيت .

وترجم أبو المعالي نصر الله كتاب « كلیلة ودمنة » الى الفارسية فوضع التقاليد
الفنية للنثر الفني عند الفرس .

وكانت دولة الحمدانيين في هذا القرن قلعة من قلاع الثقافة والأدب وكان بلاطهم
حاشدا بعمالقة الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي نواس الحمداني وسواهما ،
بل انهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل أبي عبد الله الحسن بن علي بن مقلة الخطاط
الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مقلة ، فومروا له جوا نفيا ملائما وانقطع
اليهم وأبدع ما شاء .

روى ياقوت في معجم الأدباء (32/9) ما نصه : « كان أبو عبد الله منقطعاً الى
بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسن القيام وكان ينزل في دار ثوراء حسنة ،
وفيها ممرش تشاكلها ومجلس دست وله شيء للنسخ وهو غرض فيه محابر وأقلام ،
فيقوم ويتمشى في الدار اذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس

وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر وينسخ أوراقا آخر على هذا ، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى .

وفي مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وأدب ، وقد اشتهر من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله بخزائن كتبهما الشهيرة .

وبالاختصار ففي هذا القرن لمعت في سماء الآداب والعلوم والفنون أبرز الأسماء التي حفظها لنا التاريخ عبر مسجرتة الطويلة .

* * *

مصادر الفصل :

- (1) تجارب الأمم — مسكوية .
- (2) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري — الدوري .
- (3) الوزراء — الصابي — نشره آندروز — بيروت 1904
- (4) الأوراق — أخبار الرازي والمتقي لله — الصولي
- (5) صلة الطبري — مريب القرطبي
- (6) الآثار الباقية — البيروني
- (7) مروج الذهب — المسعودي
- (8) الفخري — ابن طباطبا
- (9) ظهر الاسلام — أحمد أمين
- (10) الخضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري — آدم متر
- (11) أحسن التقاسيم الى معرفة الأتالييم — المقدسي — نشره دي خويه 1877 م .
- (12) الادب الفارسي في العصر الفزنوي — الدكتور علي الشابي — تونس
- (13) معجم الأدباء — ياقوت .

من هو ابن فارس ؟

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . هكذا نسبته أغلب المصادر ، وشذ من ذلك ابن الأثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ، وكان أبوه مقيما شافعيًا لغويا روى عنه أبو الحسين في مقاييس اللغة وفي الصاحب وفي متخير الألفاظ وفي اللامات . والرازي نسبة الى الري ، مدينة في بلاد الديلم والرازي زائدة عليها كما زادوها في المروزي عند النسبة الى مرو الشاهجان ، ومسقط رأسه قرية اسمها كرسف جياناباذ ، وضبطها ياقوت في معجم الأدباء — كرسفة — وهي قرية من رستاق الزهراء .

ذكروا ان رجلا اتاه مسأله من وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن فارس :

بلاد بها شددت علي تئامسي واول أرض مس جلدي ترابها (1)

لم تذكر لنا المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام 312 هـ وسندنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الادباء 221/12 نقلا عن كتاب أمالي ابن فارس ، وفي آخره : « قال ابن فارس : حدثني ابن الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطن رحمه الله يقزوين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » .

ماذا كان ابن فارس قد روى من القطن سنة 332 هـ وامترضنا ان ذلك كان في اول شبابه أي في العشرين من عمره ، صح ما ذهبنا اليه من ان ابن فارس من مواليد سنة 312 هـ او نحوها . وتذكر المصادر ان ابن فارس رحل الى قزوين للاخذ من القطن وابراهيم بن علي ورحل الى زنجان واخذ من احمد بن الحسن بن الخطيب ورحل الى ميانج في بلاد الشام واخذ من احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد في طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة في حجه واستوطن همدان ومنها شعر بالوحدة والضياع ونسيان ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الري ليتلمذ عليه مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة مسكنها واكتسب مالا وتوفى بالمحمدية وهي محلة في الري ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وفي تاريخ وفاته خلاف كثير وأصح الأقوال انه توفى سنة 390 هـ رحمه الله .

وقد زعم بعضهم انه من اصل اعجمي (2) ، وهو وهم لا دليل عليه ، غير ما قيل من انه كان يتكلم بلسان القزاونة . والواقع ان ايران في القرون الاسلامية الاولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت أيام الفتوح واستوطنتها ، وليس في سلسلة نسب ابن فارس ، اسم غير عربي ، ماذا أضفنا لذلك ان تكلمه بلسان القزاونة أمر طبيعي تلميه ظروف المجاورة للسكان الاصليين ، اتضح ان لا دليل يدعم زعم الزاعمين انه غير عربي بل العكس هو الصحيح ، ذلك ان أبي فارس كان شديد المعصية للعرب

(1) انظر البيت في بلاغات النساء : لاحمد بن أبي طاهر البغدادي ص 199 ، وروايته فيه . — بلاد بها حل الشباب تئامي — وهو منسوب فيه لجارية طائية وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منمع الى وسلس ان يصوب سبحانه الى البيتان في أمالي القاضي 83/1 ونسبتهما فيها لرقاع بن تيس الأسدي ورويا في اللسان مادة (تم) 336/14 منسوبين لرقاع الأسدي ، وهما في اللسان في مادة (نوط) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفي المصون من غير عزو ص 206 وهو كذلك من دون عزو في الكامل 406 ، 676 وفي معجم البلدان مادة (منمع) وزهر الآداب 682 .. وقد نسبنا لامرأة من طيء في سبط اللآلي 272 ومحاضرات الراغب 676/2 .

(2) منهم بروكلمان انظر 265/2 ومحمد بن شنب 247/1 دائرة المعارف الاسلامية .

والعربية في مصر استنفحت فيه دعاوي الشعبين، يكشف من ذلك كتابه — الصحابي في لغة اللغة وهو تمصب يميله الانتساب اليهم على الأغلب .

وبالإجمال فإن انتسابه للمعرب اقرب للصواب في رأينا من أخباره انه قال (3) : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليس معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة جمال فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته : فقال : من انبسط الى الاخوان بالاستئذان ، فقد استحق الحرمان .

وهي رواية تدل على مراعاة الخلق البغدادي في الترحيب بالغريب ورفع الكلفة عنه .

ومن أخباره : انه كان يناظر في اللغة ماذا وجد متقيا او متكلما او نحويا كان يأمر أصحابه بسؤالهم اياه ، وينظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارما جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها ، وكان يحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها في كتابه — متقيا متقيه العرب — ويخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعيا الى حفظ اللغة ويقول : من تصر عليه من اللغة وغولط غلط (4)

وكان شافعي المذهب ، ثم صار مالكا في سنواته الأخيرة وقال (5) : دخلتني الحمية لهذا البلد ، يعني الري ، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الألسنة .

وفي نزعة الألباء انه قال حين غير مذهبه (6) : دخلتني الحمية لهذا الإمام المقبول القول على جميع الألسنة ، ان يخلو مثل هذا البلد — يعني الري — من مذهبه ، فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد مخره ، فان الري أجمع البلاد للبعثات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها .

ورواية الخبر في بغية الوعاة (7) انه قال : — اخذتني الحمية لهذا الإمام ان يخلو مثل هذا البلد من مذهبه .

ونراه في الصحابي يسخر من بعض فقهاء الشافعية فيقول : (8) : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراه من لغة الشافعي بالرتبة العليا في القياس فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ؟ ومن اي شيء هو ؟ فقال : ليس علي هذا ، وإنما علي

(3) معجم الأدباء 89/4 .

(4) أنباء الرواة على أنباء النحاة 94/1 .

(5) معجم الأدباء 83/4 — 84

(6) نزعة الألباء 321

(7) البغية 352/1

(8) الصحابي 66

اتامة الدليل على منحنه . نقل الآن في رجل يزوم اقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ، ولا يدري ما هو ؟ ونعوذ بالله من سوء الاختيار ! »

وفي الموضع ذاته ينقل نصا لابن داود في نقده الإمام الشافعي وتزويده للإمام مالك بن أنس .

وهو في موضع آخر من — الصاجي — يرد على منكري قول الإمام مالك في الجائحة فيقول (9) : « قال أحمد بن فارس : واترض قوم بهذا الذي ذكرناه على أبي عبد الله مالك بن أنس في قوله في الجائحة ، لأن مالكا يذهب إلى أن الجائحة إذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله العراني من الطير وغيرها وما تلقبه الريح ، فإذا بلغت الجائحة الثلث — وما زاد — فهي كثيرة ، ولزم وضعها للحديث الروي فيها . قال المعترض على أبي عبد الله مالك — رحمه — : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب إليه مالك لأن قوله — جل ثناؤه — (تم الليل الا قليلا) قد جعل النصف قليلا فإذا كان نصف الشيء قليلا منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف فالجواب عن هذا أن مالكا إنما ذهب في جملة الثلث كثيرا إلى حديث حدثناه على بن إبراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن أبي عبيدة عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال : « أي رسول الله ! أن لي مالا وليس يرثني الا ابنتي ، إنا تصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قالت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثالث ؟ قال الثلث — والثالث كثير — أنك أن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم يتكفون الناس . فيقول رسول الله — صلعم — اخذ مالك ، ورسول الله — صلعم — أعلم بتأويل كتاب الله — جل ثناؤه » .

وبمثل هذا الكلام المعلل المدلل رد ابن فارس على منكري قول مالك في الجائحة ، فإذا عرفنا أنه الف (الصاجي) في الشطر الأخير من حياته أدركنا صحة ما نقل من أنه كان شافعيًا ثم صار مالكيًا وفي هذا يقول القنطي : « وكان من رؤساء أهل السنة المجودين على مذهب الحديث » (10) .

غير أن بعض مؤرخي الشيعة الأفاضل ذهبوا إلى أنه تستر بالشافعية والمالكية وأنه كان شيعيًا (11) .

ودارس آثار ابن فارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذي كان يكنه أبو الحسين لامير المؤمنين — علي بن أبي طالب — ، مما أثر الإمام تدور على لسانه في الصاجي وفي المتخير وربما في غيرهما مما ضاع من آثاره .

(9) الصاجي 137 — 138

(10) انباه الرواة 95/1 .

(11) انظر تنقيح المقال 76 واهيان الشيعة ص 216 — 217 .

جاء في المتخير : « وذكر ابن عباس عليا — عليهما السلام — فقال : سطة في العسيرة وصبر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتزليل ، وقته في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال » .

وقال في الصاحبى (12) : « مضاروا بعدما فكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن مريضة فبقيت ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قول أمير المؤمنين علي — صلوات الله عليه — حين سئل عن ابنتين وابوين وامرأة : « صار ثمنها تسما » فسميت المنبرية ، والى ان يقول هو — صلوات الله عليه — على منبره ، والمهاجرون والانتصار متوافرون : « سلوني لو الله ما من آية الا وانا أعلم ابليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل » ، وحتى قال — صلوات الله عليه — وأشار الى ابنه : « يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون » .

وجاء في الصاحبى (13) : « وروى السدي عن عبد خير علي — رحمه — انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله — صلعم — فاقسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : مجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانظر الى قول القائل : « جمعه من قلبه » . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز قال : قال أبو عبيد : حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السلمي انه قال : ما رأيت أحدا اقرا من علي — صلوات الله عليه — ، صلينا خلفه فأسوا برزخا ، ثم رجع لقرا ثم عاد الى مكانه » . قال أبو عبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : « هو في برزخ » ، لانه بين الدنيا والآخرة . فإراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي استقط علي — صلعم — منه ذلك الحرف الى الموضع الذي كان انتهى اليه .

من هذه الاقوال المبررة عن حب ابن فارس آل البيت الكرام ، ومن تعيينه مؤدبا واستاذا للأمير البويهى ، والبويهيون شيعة آل البيت استنتج الطوسسى والمائتاني والعاملي أمر تشيع ابن فارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك ان ابن فارس صار مالكا بعد ان كان شاعريا همة لرجل — على حد قوله — فلم نستبعد تشيعه اقتناعا بفكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام علي ومآثره .

* * *

(12) الصاحبى ص 78 — 79 .
(13) الصاحبى ص 200 — 201 .

مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 80/4 .
- (2) المزهري — السيوطي 414/1 .
- (3) بغية الوعاة — السيوطي 352/1 .
- (4) مرآة الجنان — اليافعي 442/2 .
- (5) وفيات الاعيان — ابن خلكان 100/1 .
- (6) شذرات الذهب — ابن العماد 132/2 .
- (7) نزهة الالباء — الانباري 320 .
- (8) انباء الرواة — القفطي 92/1 .
- (9) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 42 ج 2 — نيسان 1967 من 236 — 244 .
- (10) الديباج المذهب — ابن فرحون من 35 .
- (11) مفتاح السعادة 109/1 .
- (12) معجم المطبوعات العربية — سركيس 199 .
- (13) بتيمة الدهر — الثعالبي 400/3 .
- (14) مقدمة تمام نصيح الكلام — الدكتور مصطفى جواد .
- (15) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (16) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (17) البداية والنهاية — ابن كثير 535/11 .
- (18) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 212/4 .
- (19) معجم البلدان — ياقوت 212/4 .
- (20) الآثار الباقية — البيروني 338 .
- (21) دمية القصر — الباخريزي 297 .
- (22) مقدمة معجم المتأريين — عبد السلام هارون .
- (23) فهرست ابن النديم من 80 .
- (24) الفلاحة والفلوكون — الدلجي — 141 .
- (25) العبر في خبر من خبر — الذهبي — 58/3 .
- (26) الاعلام الزركلي 184/1 .
- (27) معجم المؤلفين — كحاله 40/2 .
- (28) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان 357/2 .
- (29) دائرة المعارف الاسلامية — محمد بن شنب 247/1 .
- (30) روضات الجنات — الخوامنساري 64 .
- (31) طبقات المفسرين — السيوطي من 4 . 105 — 106

- (32) ميون التواريخ — ابن شباكر الكتبي مخطوط 12 : 1/258 — 1/261 .
- (33) الوافي بالوفيات — الصفدي — مخطوط — 111/6 .
- (34) المختصر في أخبار البشر — أبو اللداء 142/2 .
- (35) سيد النبلاء — الذهبي — مخطوط — 22/11 و 23 .
- (36) مقدمة الصاهبي في لغة اللغة طبعة مصر 1910 وطبعة بيروت 1963 .
- (37) منهج المقال — ميرزا محمد الاسترابادي ص 40 — طهران 1302 هـ .
- (38) النهروست — الطوسي ص 36 .
- (39) منتهى المقال — أبو علي الحائري ص 39 .
- (40) تنقيح المقال — عبد الله المامقاني 76/1 .
- (41) أميان الشيمة — العاملي 215/9 — 228 .
- (42) مخطوطات الموصل — داود جلي ص 67 .
- (43) طبقات النحاة واللغويين — ابن قاضي شبة — مخطوط — 189 و 190 .
- (44) تلخيص ابن مکتوم — مخطوط — 15 — 16 .
- (45) ايضاح المكنون — البغدادي 421/1 .
- (46) دائرة المعارف — البستاني 419/3 .
- (47) تاريخ الادب العربي — بروكلمان — ترجمة عبد الحليم النجار 265/2 .
- (48) كشف الظنون — حاجي خليفة : 33 ، 89 ، 90 ، 173 ، 690 ، 722 ، 827 ، 828 ، 1068 ، 1069 ، 1279 ، 1454 ، 1574 ، 1605 ، 1615 ، 1804 ، 1848 .
- (49) سلم الوصول ص 113 .
- (50) مقدمة الاتباع والمزاوجة — طبعة كمال مصطفى .

شيوخه :

- 1 — والده (مارس بن زكريا) (ت 369 هـ) : روى عنه ابن مارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما ذكر في المقاييس . وروى عنه كذلك في الصاهبي وروى عنه في مخير الالفاظ في مواضع عدة وفي اللامات . وقد ذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وفي نزعة الالباء 321 وكان المذكور نقيبها لغويا شامعيا .
- 2 — علي بن ابراهيم بن سلمة القطان (254 — 345 هـ) : روى عنه ابن مارس في مخير الالفاظ كثيرا كما روى عنه في المقاييس وفي الصاهبي في مواضع عديدة . وذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وطبقات المفسرين ص 4 ومجمع الادباء 82/4 .
- وانظر ترجمة القطان في المعبر للذهبي 367/2 وغاية النهاية لابن الجوزي 516/1 ومجمع الادباء 218/12 .

- 3 — علي بن عبد العزيز المكي (ت 286 او 287 هـ) : روى عنه ابن فارس في المقاييس كثيرا كما روى عنه كتابي أبي عبيد القاسم بن سلام — غريب الحديث ومصنف الغريب . وذكر ضمن شيوخه في طبقات المفسرين ص 4 ومعجم الادباء 83/4 . وللمكي ترجمة في المعبر للذهبي 77/1 وغاية النهاية 549/1 ونزهة الالباء 216 .
- 4 — أحمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن فارس في المقاييس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 . وللميانجي ترجمة في المعبر للذهبي 320/2 .
- 5 — أحمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 وطبقات المفسرين 4 .
- 6 — إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سلمة بن مخر : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في انباء الرواة 95/1 .
- 7 — سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360 هـ) : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في معجم الادباء 83/4 وطبقات المفسرين 4 . وللطبراني ترجمة في المعبر 315/2 وغاية النهاية 311/1 والنجوم الزاهرة 59/4 .
- 8 — أحمد بن محمد بن اسحاق الدينوري : روى عنه ابن فارس في المقاييس وانظر ترجمته في المعبر للذهبي 332/2 .
- 9 — ومن شيوخه علي بن أحمد الساوي .
- 10 — ومن شيوخه أبو بكر محمد بن أحمد الاصطهاني .
- 11 — ومن سمع منهم ابن فارس : أبو أحمد ابن أبي الثيار (معجم الادباء 90/4) وعبد الرحمن بن حمدان (الصحابي 29) . وأحمد بن محمد بن بNDAR (الصحابي 43) . وعلي بن محمد بن مبروية (الصحابي 47) . وأبو الحسن أحمد بن محمد مولى بني هاشم ، وقد حدثه بقزوين (الصحابي 52) . وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن داود الفقيه (الصحابي 83) . وأبو بكر أحمد بن علي بن اسماعيل الناقد (الصحابي 129) . وأبو الحسن المعروف بابن التركية (الصحابي 155) .

تلاميذه :

أبرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر :

- 1 — صاحب بن عباد (التولى سنة 385) انظر ترجمته في الاعلام 312/1 وفي معجم المؤلفين 274/2 .

وهو القائل — شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف .

2 — ديع الزمان الهذاني (المتوفى سنة 398) انظر ترجمته في الاعلام 112/1 وفي معجم المؤلفين 209/1 .

3 — أبو طالب مجد الدولة بن نصر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي .

4 — علي بن القاسم المقرئ — وقد قرأ عليه كتابه (أوجز السير لخير البشر) ويظهر من هذا الكتاب أن ابن مارس سكن في الموصل زمنا وقرأ عليه المقرئ فيها كتابه هذا .

5 و 6 — وقد روى عنه فيما ذكر ابن نرحون في الديباج المذهب — أبو ذر والقاسي أبو زرعه وهو نقيه مالكي واسمه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القاري .

7 — أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالفخشان .

8 — أبو محمد نوح بن أحمد الأديب اللوباساني .

9 — أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت 447 هـ) — طبقات الشافعية الكبرى 388/4 .

10 — أبو زرعه روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي (ت 423 هـ) — طبقات الشافعية 379/4 .

صلته بتلاميذه :

وليس بين أيدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تفصيلا باستثناء صلته بالصاحب وبالهذاني .

أما صاحب بن عباد فقد كان منحرفا عن أبي الحسين بن مارس ، لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتمصبه له ، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تاليه ، فقال صاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه ، وأمر له بصلته (14) . ثم لما انتقل ابن مارس إلى الري ليقرا عليه مجد الدولة ذكرت المصادر أن صاحب تنبأ على ابن مارس وأنه كان يكرمه ويقول : شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف (15) .

* * *

(14) يتيمة الدهر 204/3 ، وانظر الخبر في معجم الأدباء 87/4 وانباء الرواة 93/1 .
(15) انظر : معجم الأدباء 83/4 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الألباء 321 .

وأما بديع الزمان الهمذاني فيبدو انه كان يكن ودا صادقا لاستاذة وهرماتنا
لجمله . فقد ذكر الهمذاني في مجلس أبي الحسين بن فارس مقال ما معناه (16) :
ان البديع قد نسي حق تعليمنا اياه وعقنا وشيخ بانفع عنا ، فالحمد لله على مساد
الزمان وتغير نوع الانسان ، مبلغ ذلك البديع ، فكتب الى أبي الحسين ،
« نعم اطل بقاء الشيخ الاسام ، انه الحما المسنون ، وان ظننت الظنون
والناس لادم ، وان كان العهد قد تقادم واركتبت الاضداد واخطط الميلاد ، والشيخ
يقول : مسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أمي الدولة العباسية وقد رأينا
آخرها وسمعنا أولها ، أم المدة الروائية وفي أخبارها :

لا تكسح الشول باغيارها .

أم السنين الحربية :

والسيف يغمد في الطلي والرمح يركز في الكلى
ومبيت حجر في الفلا والحر تان وكسريلا

أم البيعة الهاشمية وعلي يقول : ليت العشرة منكم برأس من بني فراس . أم
الايام الاوية والنخير الى الحجاز والميون الى الامجاز ، أم الامارة العدوية وصاحبها
يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، أم الخلافة القيسية وصاحبها يقول : طوبى لمن
مات في نائاة الاسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يا فلانة فقد
ذهبت الامانة ؟ أم في الجاهلية ، وليبد يقول : وبقيت في خلق كجلد الاجرب أم قبل ذلك
وأخو عاد يقول :

بلاد بها كنا وكنا نحبها اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى لادم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مفسر قبيح

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)..
وما مسد الناس وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، انما امتد الاظلام ، وهل
يفسد الشيء الا من صلاح ، ويمسي المرء الا من صباح ، ولعمري ان كان كرم العهد
كتابا يرد ، وجوابا يصدر ، انه لقريب المنال ، واني على توبيخه لي لتغير الى لقائه ،
شغيق على بقائه ، منتسب الى ولائه ، شاكر لآلته .

وان له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولو
مرمت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ، ولرددت اليه سور كائنه ، وبفضل
نفاسه . ولكني خشيت ان يقول : هذه بضاعتنا ردت الينا ، وله ايده الله العتي ،

(16) انظر يقية الدهر 270/4 والبيان من رسائل بديع الزمان ص 415 ونهاية
الارب 262/7 .

والمودة في القربى ، والرياح ، وماضيه الجلد وناله الباع ، وما ضمنته المشط :

ووالله ما هي عندي رضى ولكنها جل ما أملك

وأثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانية ، وأنا وإن لم أكن خراساني الطينة ،
مائي خراساني المدينة ، والمرد من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث
ينبت ، لا من حيث ينبت ، فان انضاف الى خراسان ولادة هذان ارتفع القلم وسقط
التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ، ولا جنة ولا نار ، فليحتلني الشيخ على
هناكسي ، اليس صاحبنا يقول :

لا تلمني على ركائة عقلي ان تيقنت انني همذاني

* * *

وكتب بديع الزمان يستعطفه : « اني خدمت مولاي ، والخدمة رقي بغير
اشهاد ، وناصحته ، والمناصحة للود اوثق عباد ، ونادته ، والمنادية رفيع ثان ،
وطاعته ، والمطاعة نسب دان ، وسافرت معه ، والسر والاخوة رغبيا لبان ،
وقمت بين يديه ، والقيام والصلاة شريكا منان ، واثنيت عليه ، والثناء عند الله بمكان ،
واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان » .

والذي نخلص اليه من كل ما تقدم ان بديع الزمان الهمذاني كان برا باستعاذه
بتمسكا بحبل ولائه ، ذاكرا وشاكرا فضله .

اخلاقه وطباعه :

وكان كريما جوادا ، لمربا وهب السائل ثيابه وعرش بيته ، وكان له صاحب
يقال له : ابو العباس احمد بن محمد الرازي المعروف بالفضبان ، وسبب تسميته
بذلك انه كان يخدم ابن فارس ويتصرف في بعض اموره .

قال : لمكنت ربما دخلت لاجد لمرش البيت او بعضه قد وهبه ، لماحابه على
ذلك ، واضجر منه ، لمضحك من ذلك ، ولا يزول من عادته ، لمكنت متى دخلت عليه
ووجدت شيئا من البيت قد ذهب ، علمت انه قد وهبه ، لماحس ، وتظهر الكآبة في
وجهي ، لميسطلي ويقول : ما شان الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما
كان يمازحني (17) .

وكان مليفا . جاء في الديباج المذهب (18) انه افنى بنوع من يفتح حائوتا قبالة دار رجل.

وكان ابن فارس متواضعا شديد التواضع يكشف عن طبيعته هذه قوله في آخر
(تمام لمصيح الكلام) « هذا آخر ما اردت اثباته في هذا الباب ولم اعن ان ابا العباس

(17) نزعة الالباء من 321 — 322 .

(18) الديباج المذهب من 37 .

تصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا أقول أن جميع ما ذكرته من علم أبي العباس جزاء الله عنا خيرا » (19) .

وتتضح هذه الخصلة الطيبة فيه حين يقول في الصاحبى (20) : « والسذي جمعناه في مؤلفنا هذا مغترق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين - رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء - وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق » .

ومن خلانته روح السخرية والتندر التي تبدو في شعره أوضح ما تبدو ، كما يشف عنها ما رواه بديع الزمان الهمذاني حين قال (21) : سمعت أبا الحسين أحمد بن مارس يقول : التفتخ عند الأطباء كناية عن الضرب والفسو ! والقطع عند المنجمين كناية عن الموت ! والنصيحة عند العمال كناية عن السعاية ! والوطء عند الفقهاء كناية عن الجباع ! وطبيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر ! والعلق عند اللاطة كناية عن المواجهة ! والزوار عند الكرام كناية عن السؤال ! وما أماء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة !

تلك المامة موجزة بخلائق هذا الرجل وبإبرز صفاته .

* * *

شاعريته :

الى جانب قدرات ابن مارس النثرية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعرا أصيلا وأنه لن المؤسف أن التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الأصلية . وتفلسف النماذج القليلة التي وصلت إلينا من شعره روح السخرية من متناقضات زمنه فهو في همدان يدعو لها بالسقيا واهشأوه تلتهب ، ولم لا يدعو لهذه البلدة وقد نسي بها ما كان يعلم وغرق في ديونه ! ! أن السخرية المرة تكاد تطفح منها حيث يقول :

سقى همدان الغيث لست بقائل	سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم
ومالي لا أصلي الدماء لبلدة	أفدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذي أحسنه غير أنسى	مدين وما في جوف بيتي درهم

* * *

(19) تمام نصيح الكلام ص 25 .

(20) الصاحبى 31 .

(21) المنتخب : الجرجاني ص 120 .

على ان سخريته هذه تتجلى في هزئه من تيم مجتمعه الذي يوتر الفني لغناه
ومالك الدرهم لدرهمه فيقول :

يا ليت لي الف دينار موجهة وان حظي منها فلس ائلا
قالوا : لما لك منها قلت يخدمني لها ومن اجلها الحمقى من للناس

وانطلاقا من قاعدة توتير الدينار والدرهم نراه يقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا وانت بها كلف مفسرم
مارسل حكيم ولا تومسه وذاك الحكيم هو الدرهم

ونراه في موضع آخر يلح على هذه الفكرة شرحا وايضاها ويعرضها عرضا
جديدا اذ يقول :

قد قال نبيما مفسى حكيم ما المرء الا باصفريه
نقلت قول امرئ لبيسب ما المرء الا بدرهميه
من لم يكن معه درهمناه لم تلتفت عرسه اليه
وكان من ذلله حقيرا تبول سنورهم عليه

وتأسيسا على ما تقدم نقد واجه ابن فارس مأساته وجها لوجه .. فالعلم والادب
لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان اي مورد من موارد الرزق الا العلم والادب فليس
فيهما مورد رزق :

وصاحب لي اتاني يستشير وقد اراد في جنبات الارض مضطربا
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد منه الموارد الا العلم والادب

لقد كان شعوره بالغربة والضياع .. ضياع الادباء والعلماء في عصره جديدا
وجديدا وموشحا بالكآبة ولذلك قرأنا له قوله :

وتالوا كيف حالك قلت خير نقفي حاجة وتفتوت حاج
اذا ارحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج
نديبي هرتي وانيس نفسي دفاتر لي وممشوقي السراج

ويسلمه هذا الشعور الاسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا وغل الامور لمن يملك
تقدر انت وجاري القضا و مما تقدره يضحك

ويقول أيضا :

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
وما غلظت رقاب الأسد حتى بانفسها تولت ما عناها

وبمثل هذه الروح القائمة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلاة
خاشعة وتوبة من الامايق تبيل وفاته اذ يقول :

يا رب ان ذنوبي قد اخطت بها علما وبى وباعلاني واسرارى
انا الموحد لكفى المقر بها نهب ذنوبى لتوحيدى واترارى

* * *

ان ابن فارس الذي قضى حياته قارئا كاتبا قد عجب للذين يردهم حر الصيف
وبرد الشتاء من طلب العلم فتراه يعبر عن ذلك بقوله :

اذا كنت تأذى بحر الصيف وييس الخريف وبرد الشتاء
ويلهيك حسن زمان الربيع ناخذك للعلم قل لي متى ؟ ؟

* * *

وهو بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات فتراه يحذرك قائلا :

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقسه
اياك واحذر ان تبني ست من الثقات على ثقة

* * *

ويقول متأثرا بشاعر سبقه :

عتبت عليه حين ساء صنيعه وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خبر مجرب ولم ار خيرا منه مدت اليه

* * *

وتبقى بعد هذا ابيات من الغزل المتكلف هي من غزل العلماء الذين لم يمانوا
تجربة الحب من اعماتهم فبقي غزلهم سطحيا استمع الى قوله :

قالوا لي اختر فقلت ذا هيف بي من وصال ومده برح
بدر مليح القوام معتدل قلناه وجهه ووجهه ربح

وتوليه :

مرت بنا هيفاء متدودة تركية تنهى لتركبي
ترنو بطرف فاتن فاطر كأنه حجة نحوي

وتوليه :

كل يوم لي من سل هي عتاب وسبب
وبادني ما الاتي منهما يودي الشبب

وتظل بمد هذا تصيدة مينة قالها في معاني كلمة (العين) في اللغة رأينا من
الجدير اثباتها ها هنا استكمالا للبحث فهي النموذج لاستعمال الشعر في تقييد مسائل
اللغة ، قال ابن فارس :

يا دار سعدى بذات الضال من اضم سكاك صوب حيا من واكف العين
العين سحاب ينشأ من قبل القبلة .

انني لاذكر اياما بها ولنا في كل اصباح يوم قرة العين
العين هاهنا : عين الانسان وغيره .

تدني معشقة منا معشقة تشجها عذبة من نابح العين
العين هاهنا : ما ينبع منه الماء .

اذا تمزها شيخ به طرق سرت بقوتها في الساق والعين
العين ها هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزق ملآن من ماء السرور فلا تفشى توليه ما فيه من العين
العين ها هنا : ثقب يكون في المزادة ، وتوله الماء : ان يشرب .

وغاب هذالنا منا فلا كدر في عيشنا من رقيب السوء والعين
العين ها هنا : الرقيب .

يقسم الود فيما بيننا تسما ميزان صدق بلا بغس ولا عين
العين ها هنا : العين في الميزان .

ومائض المال يفنينا بعافره فنكتفي من ثقل الدين بالعين
العين ها هنا : المال الناض .

والمجمل المجتبى تغنى نوائده حفاظه من كتاب الجيم والعين

* * *

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر السري ، في أيام صاحب فتوح أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويقضي حق عليه وفضله ، وتوقع ابن بابك ، أن يزوره ابن فارس ، ويقضي حق مقدمه ، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه ، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة :

تعديت في وصلي عمدي عتابك	وأدنى بدىلا من نواك أيابك
تيعنت أن لم أحظ والشميل جامع	بأيسر مطلوب نهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بمعدك صبره	غداة ارتنا المرتلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة	لديك ولا مست يميني سخابك
ولا نقيت والصب يصبو ليلها	من الوجنات الغانيات نقابك
ولا قلت يوما عن قلبي وسامة	لنفسك : سلي عن ثيابي ثيابك
وأنت التي شبيت قبل أوائسه	شبابي سقى الفر الغوادي شبابك
تجنبت ما أومئى وماقت ما كنسى	الم بأن سعدى أن تكلي عتابك ؟
وقد نبحتني من كلابك عصبية	نهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجافيت من مستحسن البر جملة	وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات ، أرسلها إلى ابن بابك ، وكان مريضا ، فكتب جوابها بديها : وصلت الرقعة — أطال الله بقاء الأستاذ — وفهمتها ، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسين فإنه صيرني نصلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الخلاوى من الموائد ، وتمت من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مسح الذيل ، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان القفل من الباب ، ومذلك من الحساب ، وقد أجبت عن أبياته بأبيات ، أعلم أن فيها ضمنا لعلتين علي ، وعلتها ، وهي :

أيا اثلاث الشعب من مرج يابس	سلام على آثاركن السدوارس
لقد شاقني والليل في شملة الحيا	اليكن ترجيع النسيم المخاليس
ولمحة برق مستنسيه كأنه	تردد لحظ بين أجفان ناعس
نبت كائسي ممدة يمينية	تزعزع في تقع من الليل دامس
ألا حبذا صبح إذا أبيض أفتقه	تصدع من قرن من الشمس وارس
ركبت من الخلاء أرتب سيلها	ورود المطي الظلمات الكوائس
لما طارق الزوراء قل لفيومها	أهلي على مغنى من الكرخ آنس

وقل لرياض القمص تهدي نسبيها فليست على بعد المزار بأيــــس
 الا ليت شعري هل ابين ليلــــة لقي بين اقراط المها والمحابس
 وهل ارين الري دهليز بابك وبابك دهليز السى أرض فارس
 ويصبح ردم السد تفسلا عليهما كما صرت تفسلا في قواني ابن فارس

نعرض أبو القاسم الحسولي المتطوعتين على صاحب ، وعمره الحال قتال :
 البادية اظلم ، والقادم يزار ، وحسن العهد من الايمان .

مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 81/4 — 98 .
- (2) بنية الدهر — الثعالبى 400 — 407 .
- (3) وبيان الاميان — ابن خلكان 100 — 101
- (4) بغية الوعاة — السيوطي 352 — 353 .
- (5) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (6) انباء الرواة — القفطي 93 — 95 .
- (7) الفلاكة والفلاكون — الدلجى 141 — 142 .
- (8) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 213/4 .
- (9) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (10) الآثار الباقية — البيروني ص 338 .
- (11) التذكرة السعدية — المبيدي — مخطوط —
- (12) شذرات الذهب — ابن العماد 133/3 — مصورة الاستاذ عبد الله الجبوري
 من نسخة كوبرلي بالاستانة .
- (13) اعيان الشيعة — العاملي 226/9 .
- (14) نزعة الالباء — الانتباري 322 .
- (15) دائرة معارف — البستاني 419/3 .

آثاره :

ضرب ابن فارس سهم وامر في حركة التأليف في عصره ، وفي ألوان متعددة من
 فنون المعرفة . وقد حفظت لنا أسماء تأليفه الكثر . وهذه التأليف ثلاثة أصناف :
 المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود . وبما يلي ثبتا بهذه التأليف طبقا لاصنافها :

أولا : آثاره المطبوعة :

- 1 — أبيات الاستشهاد : نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نواذر

المخطوطات — مطبعة السعادة — القاهرة 1951 وقد حققه على نسخة مريـدة
محفظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم 445 ادب .

2 — الاتباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تأليف ابن مارس في بغية الوعاة 352/1 رقم
الترجمة 680 كما ذكره مرة ثانية في كتابه المزهري 414(1) وقال انه اختصره وزاد عليه
ما فات المصنف في تأليف سماه « الالمام في الاتباع » . وكتاب الاتباع والمزاوجة يبحث
فيما ورد من كلام العرب مزدوجا . وقد نشر أولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو في
جيسن بالمانيا سنة 1906 على نسخة خطية مؤرخة في 626 هـ . ثم أعاد نشره
كمال مصطفى في القاهرة سنة 1947 بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخة
برنو المذكورة ونسخة خطية محفوظة في دار الكتب المصرية ومؤرخة في 711 هـ وهي
من كتب العلامة الشنتيطي .

3 — تمام نصيح الكلام : ورد في معجم الأدباء 82/4 باسم (النصيح) وفي هدية العارفين
68/1 باسم (تمام النصيح في اللغة) وفي تاريخ الادب العربي لبروكلمان 268/2 ورد
باسم (تمام نصيح الكلام) . وذكر بروكلمان انه في مكتبة كرنكو نسخة منه عن
مخطوط في النجف كتبه ياقوت الحموي في مروروذ يوم 7 من ربيع الثاني 616 هـ عن
نسخة بخط المؤلف سنة 393 هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي أ . ج . آربري في لندن سنة 1951
بطريقة التصوير عن مخطوطة جستر بتي في دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة
النسخة المصورة وجدت انها هي بالذات النسخة النجفية التي تحدث عنها بروكلمان
ويبدو انها تسربت الى دبلن مع غيرها من نفائس تراثنا . ويلاحظ ان النسخة المذكورة
ضمن مجموع يضم نصيح ثعلب ثم تمام النصيح لابن فارس ثم مقتطفات من كتاب
لحن العامة للسجستاني وكلها بخط ياقوت الرومي الحموي . و (تمام نصيح الكلام)
أعاد نشره الدكتور مصطفى جواد في بغداد سنة 1969 ضمن كتاب رسائل في النحو
واللغة — سلسلة كتب التراث 11 الصادرة من وزارة الثقافة والأعلام العراقية —
— طبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى للكتاب خلافا للامانة العلمية .

4 — خلق الانسان : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 كما ذكره السيوطي في بغية الوعاة
352/1 وطبقات المفسرين 4 وورد ذكره أيضا في كشف الظنون عمود 722 وهدية
العارفين 68/1 ومصباح السعادة 110/1 وذكره بروكلمان 267/2 باسم مقالة في
أسماء أعضاء الانسان نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجليبي في مجلة (لغة العرب)
— 9 — بغداد 1931 (ص 110 — 116) ثم أعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب في
الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق —
نيسان 1967 ص 235 — 245 ولم يشر الدكتور فيصل الى النشرة الاولى خلافا
للامانة العلمية .

5 — ثم الخطأ في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 كما ذكره في كشف الظنون 827 وهدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 109/1 وبروكلمان 266/2 وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع صفحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي للصاحب بن عباد — مطبعة المعاهد — القاهرة 1349 هـ .

6 — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 ونسخة المخطوطة تحمل عناوين مختلفة من نسخة الاسكوريال والقاهرة تحمل اسم (مختصر سيرة رسول الله) ونسخة برلين عنوانها (مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه) وعنوان نسخة الفاتيكان (راعي الدرر ورايق الزهر في اخبار خير البشر) وفي هامبورغ (اخضر سيرة سيد البشر) وفي بايزيد بالاستانة (مختصر سيرة رسول الله) .

وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر اول مرة سنة 1301 هـ تحت عنوان (اوجيز السير لخير البشر) . ثم طبع ثانية في بومباي سنة 1311 هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقاف العامة في بغداد .

7 — صاحب في لغة العربية وسنن العرب في كلامها : ذكر باسم (لغة) في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وهدية العارفين 68/1 وكشف الظنون 1288 وذكر باسم (صاحب) في معجم الادباء 84/4 وكشف الظنون 1068 وهدية العارفين 68/1 وسمي بذلك لانه صنعه برسم خزانة صاحب بن عباد ، وذكر باسم (لغة اللغات) في طبقات المفسرين 4 ومفتاح السعادة 109/1 ، والكتاب واحد وان اختلفت التسميات ، وقد صرح ابن مارس بذلك في مقدمة كتابه اذ قال : هذا الكتاب — صاحب في لغة العربية .. وانما عنوانه بهذا الاسم لاني لما لفته اودعته خزانة صاحب الجليل كامي الكماة الخ وقد صدر للمرة الاولى بعناية محب الدين الخطيب من المكتبة السلطانية بالقاهرة سنة 1910 عن نسخة الشنقيطي . ثم نشره ثانية محققا تحقيقا علميا على مخطوطتي بايزيد واياصوميا الدكتور مصطفى الشويبي في بيروت — 1963 ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطابع ا . بدران — بيروت .

وقد حصل خلط طباعي في مقدمة بحث الدكتور دبدوب اوهم بأن التسميات والحلي هو كتاب لغة لوجب التنبيه وعنه نقله مصطفى جواد في مقدمته لتسام تصحيح الكلام ، دون ان ينتبه لشناعة الفلظ .

8 — لتيا لغة العرب : ذكره بهذا الاسم الأنباري في نزهة الالباء 321 والعطفي في انباء الرواة 94/1 والسيوطي في الزهر 622/1 وسماء ابن خلكان في الوفيات (مسائل في اللغة وتعاليها الفقهاء) 100/1 وسماء الياضي في مرآة الجنان 442/2 (مسائل في اللغة يتعاني الفقهاء) وتوهم السيوطي في بغية الوعاة 352/1 غلطه كتابين الاول متاوي لغة العرب والثاني مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء . وسماء الدلجسي في

(الفلاكة والمفلوكون) (مسائل في اللغة يعاين بها الفقهاء) ص 141 ومثله في الديباج المذهب ص 36 . وسمي (متناوي لقيه العرب) في هدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 110/1 .

وقد نشره على نسخة مريدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بمشهد في خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1958 كما نشر مستلا من المجلة محققا تحقيقا ممتازا جديرا بالتقدير .

9 — اللامات : ذكره بزوكلمان 267/2 وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية في دمشق وقد نشره المستشرق برجستراسي في مجلة (اسلاميكا) 77/1 — 99 الصادرة سنة 1924 — 1925 ويشرف على هذه المجلة المستشرق فيشر .

10 — متخير الالفاظ — وقد ذكره ابن فارس في آخر الجزء الثاني من (المجمل) المخطوط المحفوظ في المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم 839 ونص كلامه :

« وهذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب أبوابه واعلم اني توخيت الاختصار كما أرغب وآثرت الإيجاز كما سألت واقتصرت على ما صح عندي سماعا ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم أشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . ولكني عمدت للاصول التي أسميتها في كتابي فجمعتها فيه بأوجز قول وأتربه ورجوت أن يكون هذا المختصر كالبا في باب مستعينا في معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والالفاظ التي يستعان بها في الأشعار والمكاتبات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميناه (متخير الالفاظ) والله أسأل أن يوفقنا وإياك لكل صالحة ويميزنا وإياك من السوء كله » .

وقد ورد ذكر المتخير في معجم الأدباء 84/4 وفي نزهة الالباء 321 كما ذكره الجرجاني في كتابه كنيات الأدباء باسم مختار الالفاظ ص 145 وسنفرد لهذا الكتاب فصلا مستقلا .

11 — مجمل اللغة : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 ونزهة الالباء 321 والبداية والنهاية 296/11 و 335/11 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 ووفيات الأعيان 100/1 والفلاكة والمفلوكون 141 وشذرات الذهب 132/3 والنجوم الزاهرة 212/4 والكمال لابن الأثير 258/8 والديباج المذهب 36 وكشف الظنون 1604 وهديسة العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 104/1 وقد ذكر بزوكلمان 265/2 مخطوطاته المتناثرة في مكتبات العالم ويمكن أن نضيف إليها مخطوطة المتحف العراقي وهي من أنفس مخطوطاته ، ومخطوطة سامراء ، ومخطوطة حلب التي اشترينا إليها . وقد نشر الجزء الأول من هذا المعجم القيم لأول مرة في القاهرة وأوله كتاب الهمة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقة محمد ساسي المغربي سنة 1332 هـ — 1914 م

بمطبعة السعادة وعدد صفحاته 319 صفحة . ثم أعيد طبع الجزء الأول بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد سنة 1947 بمطبعة السعادة أيضا بمصر وعدته 319 صفحة أيضا . وآخره باب الدال واللام ولم تنشر أجزاءه الباقية حتى اليوم وقد علمنا ان بعض المراقبين قد نهّد الى تحقيقه فمضى ان يكمل هذا الجهد بالنجاح لينفض عن هذا السطر النفيس غبار القرون وتوهم الدكتور لم يصل دبدوب حين ظن ان المجلد بكامله مطبوع .

12 — مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله . ذكرها ابن فارس في كتابه الصحاح ص 162 اذ قال ما نصه . « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثنية وقد ذكرنا وجده كلا في كتاب امرئنا » . وذكرها بروكلمان 267/2 . وقد نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل وأولها مقالة كلا لابن فارس والثانية ما تلحن فيه العوام للكسائي والثالثة رسالة الشيخ ابن عربي الى الامام الفخر الرازي ، وقد طبعت في القاهرة سنة 1344 هـ ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة 1387 هـ .

13 — مقاييس اللغة : ذكره باتوت في معجم الادباء 84/4 والسيوطي في طبقات المسرّين 4 وذكر في هدية المارّين 69/1 وقد نشر هذا المعجم الجليل في ستة أجزاء الاستاذ عبد السلام محمد هارون في القاهرة 1366 — 1371 هـ — دار احياء الكتب العربية — ميسى البابي الحلبي وشركاه معتمداً بمخطوطة مرو ومخطوطة القاهرة . ومن الكتابين بمخطوطتين في لندن .

14 — النبروز — نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة سلسلة نوادر المخطوطات — القاهرة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1373 هـ — 1954م وقد اعتمد في نشرها نسخة مريدة في الخزائن التيمورية بالقاهرة .

15 — رسائله الى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب : وهي رسالة قيمة تعتبر نموذجا طيبا لنثره الفني وقد تضمنت دفاعا من الحاسبات المحدثه وعن محاسن شعراء مصره . اثبت منها الثعالبي مصلا مهما في البيّمة (401/3) رأينا اثباته في هذا الموضوع لانه من جيد آثاره المطبوعة . قال ابن فارس :

الهمك الله الرشاد واصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب اليك الانصاف . وسبب دعائي بهذا لك انكارك عليّ ابي الحسن محمد بن عليّ العجليّ تاليفه كتابا في الحساسة ، وامطامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريد ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيرا مما مات المؤلف الاول ، فماذا الانكار ؟ ولله هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولله تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول للآخر شيئا ، وتدع قول الآخر . كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل المعلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الاداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولله لا ينظر الآخر مثل ما نظر الاول حتى

يؤلف مثل تاليفه ويجمع مثل جيمه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ او ما علمت ان لكل تلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز ان يقال بعد ابي تمام مثل شعره ولم يجزان يؤلف مثل تاليفه ؟ ولمه حجرت واسعا ، وحظرت مباحا ، وحرمت حالا ، وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل حبيب الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز ان يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، واهل النحو في مصنفااتهم ، والنظار في موضوعاتهم ، وارباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجز معارضة ابي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه امر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب ادب غزير ، ولضلت انهام ثابتة . ولكلت السن لسنة ، ولما توخى احد الخطابة ، ولا سلك شعبا من شعاب البلاغة ، ولمجت الاسماع كل مردود مكرر ، وللفظت القلوب كل مرجع ممضغ وختام لا يسام .

لو كنت من مازن لم تستبح ابلسي

والى متى : صفحنا عن بني ذهل

ولمه انكرت على المعجلي معروفا واعترفت لحمزة بن الحسين ما انكره على ابي تمام في زعمه ان في كتابه تكريرا وتصحيفا وايطاء واقواء ونقل لايبات عن ابوابها الى ابواب لا تليق بها ولا تصلح لها ، الى ما سوى ذلك ، من روايات مدخولة وامور غريبة ، ولمه رضيت لنا بغير الرضى ؟ وهلا حثثت على اثاره ما غيبت الدهور ، وتجديد ما اخلقته الايام ، وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر ، وافكار هذا العصر على ان ذلك لو رآه رائم لآتمبه . ولو فعله لقرات ما لم ينحط عن درجة من قبله ، من جد يرومك ، وهزل يروتك واستنباط يعجبك ، ومزاج يلهيك .

وكان بقزوين رجل معروف بابي محمد الضرير القزويني حضر طعاما والى جنبه رجل اكول ، فاحس ابو حامد بجودة اكله فقال (من الرجز) :

وصاحب لي بطنه كالهواية كان في امعائه معاوية

فانظر الى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وتنوع الامعاء الى جنب معاوية وهل ضر ذلك ان لم يقله حماد مجرد وابو الشيمق ؟ وهل في اثبات ذلك عار على مشته ؟ او في تدوينه وصمة على مدونيه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني نظر الى حاكم من حكامها من اهل طبرستان مقبلا ، عليه عمامة سوداء وطليسان ازرق وتيمم شديد البياض وخفه احمر وهو مع ذلك كله تمسير ملسى برذون ابلق هزيل الخلق طويل الحلق ، فقال حين نظر اليه (من السريع) :

وحاكم جاء على ابلق كتمتق جاء على لقلق

ملو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة
التشيل ولعلبت انه لم يقصر من قول بشار (من الطويل) :

كان مثار النقع فوق رؤسنا واسياننا ليل تهاوى كواكبها

لما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه وجود تجويده ؟
وانشدني الاستاذ ابو علي محمد بن احمد بن الفضل لرجل بشيراز يمرض
بالمهذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض
منه (من المتقارب) :

وتيت الردى ومرووف العلل ولا هربت تدماك الزلل
شكا المرض البجد لما مرضت فلما نهضت سليا ابل
لك الذنب لا عتب الا عليك لماذا اكلت طعام السفل
طعام يسوى يتبع النبىذ ويصلح من حذر ذاك الممل

وانشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الاسدي وقد راينه مرأيت
صفة وافتت الموصوف (من المنسرح) :

وامغر اللون ازرق الحدقة في كل ما يدعيه غير تفتنة
كائنه مالك الحزين اذا هم بزرق وقد لوى عنقه
ان تمت في هجوة بقافية لكل شعر اقوله صدقه

وانشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من اهل قزوين ويعرف
بابن المنادى (من الوامر) :

اذا ما جئت احمد مستيحجا فلا يفررك منظره الانيسق
له لطف وليس لديه مرف كبارقة تروق ولا تريسق
لما يخشى العدو له ويمسدا كما بالوعد لا يثق الصديسق

وليوسف محاسن كثيرة وهو القائل ، ولعلك سمعت به (من الخفيف) :

حج مثلي زيارة الخمار واقتنائي العمار شرب العمار
ووقاري اذا توتر ذو الشيب وسط الندى ترك الومار
ما ابالي اذا المدامة دامت مذل ناه ولا شنامة جاري
رب ليل كائنه فرع ليلسى ما به كوكب يلوح لسارى
قد طويناه فوق خشف كحيل احور الطرف ماتر سمار
ومكفنا على المدامة فيه مرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإيجاز أمثل وما أحسبك ترى
بتدوين هذا وما أشبهه بأسا .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره قصيدة
يقول فيها كأنه يجيب سائلا (من مجزؤ الكامل) :

جودت شمرك في الأمير فكيف أمرك ؟ قلت : ماتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي منتظله ؟ وبأي شيء تعانده منتدعه من
الإيجاز والدلالة على المراد باتصر لفظ وأوجز كلام ؟ وانت الذي أنشدتني (من مجزؤ
الكامل) :

سد الطريق على الزمبا ن وقام في وجهه القطوب

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل (من المتقارب) :

نديتك ما شبت من كبرة وهدى سنني وهذا الحساب
ولكن هجرت مجل المشيب ولو قد وصلت لعاد الشيب

لم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها محولة الشعراء وشياطين الانس
ومردة العالم في الشمر ؟

وانشدني عبد الله المفلسي المرافي لنفسه (من الطويل) :

غداة تولت عيهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميت
فلا مقلتي أدت حقوق ودادهم ولا أنا من عيني بذاك رغبيت

وانشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق (من
الخبيف) :

زارني في الدجى فنفم عليه طيب اردائه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خلود أبرزت من غلالة زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طبيب يسمى النعمان ويكنى
أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي (من الطويل) :

أقول للنعمان وقد ساق طبعه نفوسا نفيسات الى باطن الارض
(أبا منذر أنيت فاستبق بعضنا حنانك بعض الشر أهون من بعض)

* * *

آثاره المخطوطة :

- 1 — أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 والبغدادى في هدية العارفين 68/1 ومنه نسخة مخطوطة في تازان (انظر 94 د DER ISLAM XVII) ذكرها بروكلمان 267/2 .
- 2 — الثلاثة : ذكره البغدادى في هدية العارفين 69/1 والزركلى في الامسلام 184/1 وبروكلمان في تاريخ الادب العربي 266/2 وهارون في مقدمة المقاييس 28 ومن هذا الكتاب مخطوط بالاسكوريال برقم 363 وقرأنا ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه تمهيدا لنشره وابن فارس يعالج في الكتاب ثلاثة تقاليد للمسادة الواحدة فهو كتاب في الالفاظ . ومن الغريب ان الدكتور مصطفى الشويبي في مقدمته لكتاب الصحابي قال : انه لم يستطيع ان يضع الكتاب في احدى المجموعات السابقة لان عنوانه لا ينم عن موضوعه .
- 3 — الليل والنهار : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 1454 والبغدادى في هدية العارفين 69/1 وطائى كبرى زادة في مفتاح السعادة 110/1 ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في مكتبة لا ييزغ رقم 780 ذكرها بروكلمان 267/2 وقال ان عنوانها : تصص النهار وسمر الليل .
- 4 — مختصر في المذكر والمؤنث : منه نسخة نريدة في الخزنة النيبورية بدار الكتب المصرية رقمها 265 لفة . وقد قرأنا في مجلة المكتبة الغراء لمصاحبها الفضال الاستاذ تاسم محمد الرجب ان الدكتور رمضان عبد التواب قد انتهى من تحقيقه .
- 5 — اليشكريات : ذكر بروكلمان في تاريخ الادب العربي 267/2 ان منه مخطوطة في المكتبة الفاهرية بدمشق 29 ، 9 ، 3 .

آثاره المنقودة :

ان ما نسميه بالآثار المنقودة لا يعني ان الامل في العثور عليها قد انقطع ، ولكنه يعني انه لم يعثر عليها حتى اليوم وقد تجود بها الايام ضمن نفائس المخطوطات غير المهترسة في كثير من ارجاء الوطن العربي . وما ذلك ببعيد ومتخير الالفاظ الذي ننشره اليوم والذي كشفناه مؤخرا مثال جيد لآثاره التي كانت في وادي الفقدان الى امد تصير جدا . وعلى أية حال فان المنقود من آثار ابن فارس يمكن حصره في الآتي :

- 1 — اصول الفقه : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 .

2 — الأضداد : ذكره ابن فارس في الصحاحي صفحة 66 من الطبعة الأولى والصفحة 98 من الطبعة الجديدة ونص عبارته : « ومن سنن العرب في الاسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو : الجون للأسود ، والجون للابيض . وانكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده . هذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهندا والفارس طرما هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به . وذكرنا رد ذلك ونقضه . فلذلك لم نكرره » .

والأضداد هذا لم يذكره أحد ممن ترجم لابن فارس .

3 — الأضداد : ذكره بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في البرهان في علوم القرآن واقتبس منه اقتباسا مطولا من 105 — 110 رأينا من المفيد اثباته لفقدان الأصل وهذا نمسه :

« وقال ابن فارس في كتاب « الأفراد » :

كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) بمعناه الحزن ، كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام . (يا أسفا على يوسف) الا قوله تعالى : (فلما آسفونا) فان معناه (أغضبونا) ، وأما قوله في قصة موسى عليه السلام : (غضبان أسفا) فقال ابن عباس (مغناظا) .

وكل ما في القرآن من ذكر (البروج) مانها الكواكب ، كقوله تعالى (والسماء ذات البروج) الا التي في سورة النساء : (ولو كنتم في بروج مشيدة) مانها القصور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة . وما في القرآن من ذكر (البر) و (البحر) مانه يراد بالبحر الماء ، وبالبر التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : (ظهر الفساد في البر والبحر) مانه يعني البرية والعمران . وقال بعض علمائنا : قتل ابن آدم أخاه ، (البحر) أخذ الملك كل سفينة غصبا .

والبخس في القرآن النقص ، مثل قوله تعالى : (فلا يخاف بخسا ولا رهقا) الا حرما واحدا في سورة يوسف : (وشروه بثمن بخس) مان أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ، كقوله تعالى (وبمولتهن أحق بردهن) الا حرما واحدا في الصافات (اتدمون بعل) مانه أراد صنبا .

وما في القرآن من ذكر البكم فهو الخرس عن الكلام بالإيمان . كقوله : (مكم بكم) انما أراد (بكم) من النطق والتوحيد مع صحة السنتهم ، الا حرمتين : أحدهما في سورة بني اسرائيل (عميا وبكما وصما) والثاني في سورة النحل : قوله عز وجل (أحدهما أبكم) مانها في هذين الموضعين : اللذان لا يقدران على الكلام .

وكل شيء في القرآن (جثيا) بمعنى (جميعا) الا التي في سورة الشريعة (ونرى كل امة جائية) فانه اراد تجئوا على ركبتيها .

وكل حرف في القرآن (حسابان) فهو من العدد ، غير حرف في سورة الكهف (حسابانا من السماء) فانه بمعنى المذاب .

وكل ما في القرآن (حسرة) فهو الندامة ، كتوله عز وجل : (يا حسرة على العباد) الا التي في سورة آل عمران : (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) فانه يعني به (حزنا) .

وكل شيء في القرآن : (الدحض) و (الداحض) بمعنى الباطل ، كتولاه : (حجتهم داحضة) الا التي في سورة الصافات : (مكان من المدحضين) .

وكل حرف في القرآن من (رجز) فهو العذاب ، كتوله تعالى في قصة بني اسرائيل (لئن كشفت عنا الرجز) الا في سورة المدثر : (والرجز ماهجر) فانه يعني الصنم ، فاجتنبوا عبادته .

وكل شيء في القرآن من (ريب) فهو شك ، غير حرف واحد ، وهو قوله تعالى : (نترقب به ريب المنون) فانه يعني حوادث الدهر .

وكل شيء في القرآن (يرجمكم) و (يرموكم) فهو القتل ، غير التسي في سورة مريم عليها السلام : (لارجمك) يعني لاشتمك .

قلت : وقوله : (رجبا بالغيب) اي ظنا . والرجم ايضا : الطرد واللعن ، ومنه قيل للشيطان : رجيم .

وكل شيء في القرآن من (زور) فهو الكذب ، ويراد به الشرك ، غير التي في المجادلة : (منكرا من القول وزورا) ، فانه كذب غير شرك .

وكل شيء في القرآن من (زكاة) فهو المال ، غير التي في سورة مريم : (وحنانا من لدنا وزكاة) ، فانه يعني (تعطفا) .

وكل شيء في القرآن من (زافوا) ولا تزغ) فانه من (مالوا) ولا (تمل) غير واحد في سورة الاحزاب : (واذا زافت الابصار) بمعنى (شخصت) .

وكل شيء في القرآن من (يسخرون) و (سخرنا) فانه يراد به الاستهزاء ، غير التي في سورة الزخرف : (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ، فانه اراد اموانا وخدمنا

وكل سكين في القرآن طمانينة في القلب ، غير واحد في سورة البقرة : (فيه سكين من ربكم) ، فانه يعني شيئا كراس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .

وكل شيء في القرآن من ذكر (السخيم) فهو النار والوقود الا قوله عز وجل : (ان المجرمين في ضلال وسعر) ، فانه العناد .

وكل شيء في القرآن من ذكر (شيطان) فانه ابليس وجنوده وذريته الا قوله تعالى في سورة البقرة : (واذا خلوا الى شياطينهم) ، فانه يريد كهنهم ، مثل كعب ابن الاشرف وحيي بن اخطب وابي ياسر اخيه .

وكل (شهيد) في القرآن غير القتلى في الغزو فمهم الذين يشهدون على أمور الناس ، الا التي في سورة البقرة قوله عز وجل : (وادعوا شهداكم) ، فانه يريد شركاءكم .

وكل ما في القرآن من (اصحاب النار) فمهم اهل النار الا قوله : (وما جعلنا اصحاب النار الا ملأكة) فانه يريد خزنتها .

وكل (صلاة) في القرآن فهي عبادة ورحمة الا قوله تعالى : (وصلوات ومساجد) فانه يريد بيوت عبادتهم .

وكل (صمم) في القرآن فهو عن الاستماع للايان ، غير واحد في بني اسرائيل ، قوله عز وجل : (عميا وبكما وصما) معناه لا يسمعون شيئا .

وكل (عذاب) في القرآن فهو التعذيب الا قوله عز وجل : (وليشهد عذابهما) فانه يريد الضرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : (كل له قانتون) معناه (مقرون) ، وكذلك في سورة الروم : (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) يعني مقرون بالعبودية .

وكل (كنز) في القرآن الكريم فهو المال الا الذي في سورة الكهف : (وكان تحته كنز لهما) فانه اراد مصفا وعلما .

وكل مصباح في القرآن فهو الكوكب الا الذي في سورة النور : (المصباح في زجاجة) فانه السراج نفسه .

النكاح في القرآن الزوج ، الا قوله جل ثناؤه : (حتى اذا بلغوا النكاح) فانه يعني الحلم .

النبأ والانباء في القرآن الاخبار ، الا قوله تعالى : (نعميت عليهم الانباء) فانه بمعنى الحجج .

الورود في القرآن الدخول ، الا في القصص : (ولما ورد ماء مدين) يعني هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) يعني من العمل الا في سورة النساء (الا ما آتاها) يعني النفقة .

وكل شيء في القرآن من يأس فهو القنوط ، إلا التي في الرد (أعلم بينس الذين آمنوا) أي ألم يعلموا . قال ابن فارس : انشدني أبي ، فارس بن زكريا :

أقول لهم بالفتح اذ ييسرونني ألم تيسوا اني ابن فارس زهدم

وكل شيء في القرآن من فكر (الصبر) محمود ، إلا قوله عز وجل : (لولا أن صبرنا عليها) و (واضربوا على ألتكم) . انتهى ما فكره ابن فارس .

وقد اقتبس السيوطي في كتابه « الاتقان » 132/2 الاقتباس منه ونرجع انه نقل عن البرهان .

4 — الأمالي : اقتبس منه ياقوت في معجم الأدباء 220/12 في أثناء ترجمة علي بن إبراهيم ابن سلمه القطان ونصه : « وقرأت في أمالي ابن فارس ، قال : سمعت أبا الحسين القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول : كنت حين خرجت الى الرحلة أحفظ مائة ألف حديث ، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث . قال وسمعتة يقول : أصبت ببصري وأظن بكثرة بكاء أمي أيام مرأتي لها في طلب الحديث والعلم . قال ابن فارس : حدثني أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن سلمه القطان رحمه الله بقروين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . وذكر تمام الاسناد .

ومن الأمالي اقتبس ياقوت في معجم البلدان 405/1 في رسم أوطاس ونصه : « وقال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في أماليه : انشدني أبي رحمه الله :

يا دار أقوت بأوطاس وغيرها من بعد ما حولها الأمطار والمور
كم ذا لاهلك من دهر ومن هجج وأين حل الدمي والكنس العور
ردي الجواب على حران مكتتب سهاده مطلق والنوم بأسور
لم تبين لنا الاطلال من خبر وقد تجلى العمايات الأخابير »

5 — أمثلة الأسجاع : قال ابن فارس في خاتمة كتابه (الاتباع والمزاوجة) ص 70 ما نصه : « قد ذكرت ما انتهى الى من هذا الباب ، وتحررت ما كان منه كالمقلى ، وتركت ما اختلف رويه ، وسئري ما جاء من كلامهم في الأمثال ، وما أشبه الأمثال من حكمهم على السجع ، في كتاب أمثلة الأسجاع ، ان شاء الله تعالى .

* * *

6 — الانتصار لثعلب : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 وحاجي خليفة في كشف الظنون 173 والبغدادى في هدية المارمين 68/1 وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 .

7 — تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والانباري في نزهة الألباء 321 والسيوطي في بغية الوعاة 352/1 وطائش كبرى زاده في مفتاح السعادة 110/1 . وسماه (النبي في تفسير أسماء النبي) في كشف الظنون 848 وفي هدية العارفين 69/1 .

وقد اقتبس منه ابن معصوم المدني في كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع 291/5 وفيما يلي نص ما اقتبسه : « روى ابن فارس في كتابه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم : ان في يوم حنين جاءت أمراء فأنشدته شعرا تذكره أيام رضاعته في هوازن ، فرد عليهم ما أخذ ، وأعطاهم عطاء كثيرا ، حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف أوقية ، وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله . وروى عن زهير بن صرد الجشمي انه قال : لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ويوم هوازن ، وذهب يفرق السبي ، تممت بين يديه وقلت : يا رسول الله ، انما في الحفاظ خالائك ، وخواضتك اللاتي كلنك ، ولو انا صانحن ابن ابي شمر أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل أصابنا منك رجونا عفوهما وعطفهما ، ثم أنشدته أبياتا منها :

أمن علينا رسول الله عن كرم فأتاك المرء نرجوه وننتظـره
أمن على نسوة قد كنت ترغمهما اذ نوك تملؤه من محضها الصدر
والبس العفو من قد كنت ترغمه من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اما ما كان لي ولبنني عبد المطلب فهو لكم ، وقالت تزيش كذلك ، وقالت الأنصار كذلك وأطلقهم جميعهم » .

8 — الثياب والحلي : ذكره في معجم الأدباء 84/4 وحرف الى الشيات والحلي في طبقات المفسرين ص 4 وهدية العارفين 69/1 والصواب ما ذهبنا اليه ذلك ان الثياب والحلي بابان متتابعان في معاجم الالفاظ (انظر الالفاظ لابن السكيت) وسوي ذلك .

9 — جامع التاويل في تفسير القرآن : ذكر ياقوت في معجم الأدباء انه في أربع مجلدات 84/4 وكذلك السيوطي في طبقات المفسرين 4 وسماه البغدادي في هدية العارفين : جامع التاويل في تفسير التنزيل .

10 — الجوابات : ذكره ابن فارس في الصحابي ص 242 في خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلا منه ويجيء في السورة معها أو في غيرها / اذ قال ما نصه : وهذا في القرآن كثير ، افردنا له كتابا وهو الذي يسمى الجوابات . وهذا الكتاب لم يذكره أحد ممن ترجموا لابن فارس في القدياء والمعاصرين .

11 — الحبير المذهب : ذكره ابن فارس في مقدمة كتابه (مخير الالفاظ) اذ قال مانصه : (وقد تحريت في هذا الكتاب الإيلاء الى طرق الخطابة وآثرت فيه الاختصار وتنبكت

الإطالة . فمن سبت به هبته الى كتاب أجمع منه ، ترا كتابي الذي أسميته (الحبير المذهب) فإنه يومي على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

والحبير المذهب هذا لم يذكره أحد من ترجعوا لابن فارس .

12 — العجر : ذكره ابن فارس في كتابه الصاهبي ص 44 كما ذكره ياقوت في معجم الأدباء 87/4 والتطلي في انباء الرواة 93/1 والبغداد في هدية العارفين 68/1 .

13 — حلبة الفقهاء : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 وابن خلكان في وفيات الأعيان 100/1 وابن العماد في شذرات الذهب 132/3 والسيوطي في بنية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 690 وايضاح المكنون 421/1 وهدية العارفين 68/1 .

14 — الحباسة المحدث : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 وطبقات المفسرين 4 وسماه ابن النديم في الفهرست الحباسة . ولابن فارس دماغ عن الحباسات أوردناه فيما تقدم وحدثني الصديق الكريم عبد الله الجبوري ان المبيدي صاحب (التذكرة السعدية) قد اعتمد حباسة ابن فارس ووثق بها في تذكرته .

15 — خضارة : ذكره ابن فارس في الصاهبي ص 277 ونص عبارته « وما سوى هذا مما ذكرت الرواة ان الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في كتاب خضارة ، وهو كتاب نسمت الشعراء » .

16 — دارات العرب : بهذا الاسم ورد في نزهة الألباء 321 وطبقات المفسرين 4 وباسم مقدمة كتاب دار العرب ورد في معجم الأدباء 84/4 وقال عنه ياقوت في معجم البلدان 14/4 : ولم أر احدا من الأئمة القدماء زاد على العشرين دارة ، الا ما كان من أبي الحسين بن فارس فإنه افرد له كتابا مذكر نحو الأريمين ، فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها »

17 — ذخائر الكلمات : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والبغداد في هدية العارفين 68/1

18 — ذم الغيبة : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 828 والبغداد في هدية العارفين 68/1 .

19 — شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والزهري هذا هو (أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري) أحد أعلام التابعين وقد استغضاه عبد الملك بن مروان .

20 — الغم والخال : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والبغداد في هدية العارفين 69/1 وصحف الاسم الى (الغم والخال) في طبقات المفسرين .

- 21 — غريب اعراب القرآن : ذكر في معجم الادباء 84/4 ونزهة الالباء 321 وطبقات
المفسرين 4 .
- 22 — الفسوق : ذكره ابن فارس في كتابه تمام نصيح الكلام (مصورة آبري ص 38)
ونص عبارته : « ما بال فرق فقد كنت التت فيه على اختصاري له كتابا جامعاً وقد
شهر وبالله التوفيق » . وهي نشرة مصطفى جواد لكتاب تمام نصيح الكلام ص 35 .
وقد حرف الاسم في معجم الادباء 84/4 وهدية العارفين 69/1 الى (العرق) .
- 23 — فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام : ذكر في كشف الظنون 1279 وهدية
العارفين 68/1 .
- 24 — كناية المتعلمين في اختلاف النحويين « كناية المتعلمين في اخلاق النحويين » اختلاف
النحاة . ذكر في معجم الادباء 85/4 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 وكشف
الظنون 33 وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 110/1 .
- 25 — ما جاء في اخلاق المؤمنين : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 واعيان
الشيعة 220/9 .
- 26 — المعاش والكسب : ذكر في فهرست الطوسي 36 وتنقيح المقال 76 واعيان الشيعة
220/9 .
- 27 — الميرة : ولعلها السيرة : ذكر في فهرست الطوسي 36 واعيان الشيعة 220/9 .
- 28 — مأخذ العلم : ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1574 والبغدادي في هدية العارفين
69/1 .
- 29 — المحصول في النحو المحصل : ذكر في كشف الظنون 1615 وفي هدية العارفين 69/1 .
- 30 — محنة الأريب : ذكر في هدية العارفين 69/1 .
- 31 — مقدمة في الفرائض : ذكر في معجم الادباء 84/4 .
- 32 — مقدمة في النحو : ذكر في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وكشف الظنون 1804
وهدية العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 109/1 .
- 33 — الوجوه والنظائر : ذكر في هدية العارفين 69/1 .
- 34 — شرح مختصر المزني : ذكر في الديباج المذهب لابن مرقون ص 35 .

ابن فارس نحويًا :

اجمع الذين ترجعوا لابن فارس على انه كان في النحو واللغة على مذهب
الكوفيين .

على اننا لا نستطيع رسم صورة واضحة لابن فارس النحوي لان مؤلفاته النحوية الخمسة وهي مقدمة في النحو ، اختلاف النحو ، المحصل في النحو ، غريب اعراب القرآن ، الانتصار لثعلب ، فقد فقدت جميعها . على ان بغض آرائه النحوية قد حفظها لنا كتابه — صاحب في لغة — .

ومن خلاله رأيناه يرجع الى ثعلب امام نحاة الكوفة وسواه من ائمة الكوفة امثال الفراء والمفضل الضبي والكسائي والشيباني وابي عبيد القاسم بن سلام ، كما كان يستعمل مصطلحات الكوفيين النحوية كالخلف والنسق والنعمة ، مكان الجر والمطف والوصف عند البصريين .

ومدا ما تقدم فان البحث في تضاميف — صاحب — يوقفنا على جملة من القضايا التي ايد فيها الكوفيين من ذلك :

1 — مسألة « لكن » : (22)

ذهب الكوفيون الى انه يجوز دخول اللام في خبر (لكن) كما يجوز في خبر ان ، نحو (ما قام زيد لكن عمرا لعائمه) ، وذهب البصريون الى انه لا يجوز دخول اللام في خبر لكن .

فالكوفيون يرون ان (لكن / مركبة من (ان / زيدت عليها (لا / و (الكاف) ، خلافا للبصريين الذين يرون انها مفردة .

وذهب ابن فارس مذهب الكوفيين في ذلك (23) .

2 — ضد الفصل :

ذهب الكسائي الى ان الفعل (ما دل على زمان) وخالفهم البصريون في ذلك ، فزعموا : ان الاسم ما اخذ من مصدر وبني لما مضى وما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع . وقد عند ابن فارس رأي البصريين في (صاحب) (24) . واعلم صحة رأي الكوفيين .

3 — مسألة كم :

ذهب الكوفيون الى ان (كم) مركبة . وذهب البصريون الى انها مفردة موضوعة للمدد (25) .

22	الانصاف	208 — 218
23	الصاحبي	170 — 171
24	الصاحبي	85 .
25	الانصاف	298 — 303 .

وقد ذهب ابن فارس مذهب الكوفيين فيها (26) .

4 — مسألة « الآن » :

ذهب الكوفيون الى ان (الآن) مبني ، لان الالف واللام دخلتا على فعل ماض من قولهم : « آن يئبن » اي حان . وبقي الفعل على فتحته . وذهب البصريون الى انه بني لانه شابه اسم الاشارة (27) .

وقد أخذ ابن فارس برأي الكوفيين (28)

5 — مسألة الضمير المتصل بعد لولا :

ذهب الكوفيون الى رفعه وذهب البصريون الى جره . وابن فارس على مذهب الكوفيين فيها .

تلك هي أبرز المسائل التي وقف فيها ابن فارس الى جانب نحاة الكوفة . وتوجد مسائل أخرى وقف فيها الى جانب البصريين منها انه استعمل بعض مصطلحاتهم ومن ذلك ، مصطلح (حروف المعاني) (29) .

ومنها انه أيدهم في (حد الحرف) (30)

كما أيد نحاة البصرة في عدم جواز مد المتصور (31)

وفي مسألة اشتقاق كلمة (الاسم) (32) .

وفي بعض المسائل نراه يخلط بين المذهبين ، كما في مسألة (أو) . فقد ذهب الكوفيون الى ان (أو) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) . وقال البصريون انها لا تكون كذلك وانما تكون لاحد الشينين على الإبهام (33)

وابن فارس يجمع بين المذهبين فيها فيرى ان (أو) حرف عطف يأتي بمعد الاستنهام للشك وانها أيضا تكون للتخير وللإباحة (34) .

وفي مسائل أخرى نراه يرفض مذهب الكوفيين والبصريين معا ، والذي نخلص اليه مما تقدم ان ابن فارس لم يوقع نفسه في اطار مدرسة نحوية معينة ، صحيح انه

(26) الصحابي 158 — 159 .

(27) الانصاف 520 — 524 .

(28) الصحابي 144 .

(29) الصحابي : 97

(30) الصحابي : 86

(31) الصحابي : 275

(32) الصحابي : 88

(33) الانصاف : 478

(34) الصحابي : 127

كان أميل الى الكوميين ، بل هو منهم ، لكن ذلك لم يمنعه من الاخذ ببعض آراء البصريين وترجيحها . ومثل ذلك ما لوف حتى في اطار المدرسة الواحدة .

وكما رأينا ابن فارس مصرى في نظريته الى الحماسات المحدثه وغير متمصب لزمن على زمن ، كذلك نراه هنا يميل الى الكوميين في غير تمصب وينحو منحاهم في غير تعجر وتلك آية من آيات قدرته على التطور والتجديد والابداع .

على انه يمكن تكوين فكرة عامة من هذه الزاوية من خلال مهمتنا للمميزات الأساسية لمدرسة الكوفة ومنهجها العام والتي يمكن تلخيصها في انها تقوم على اعتماد المسوع من كلام العرب والبعد عن تحكيم المقاييس العقلية في القضايا النحوية فالنحو الكوفي اقرب الى روح الدراسة اللغوية وأبعد عن الاخذ بأسباب المنطق او التعلق بأساليب الفلسفة وهم يهتمون العربية فهما يقوم على تذوق اللغة والحس بطبيعتها بعيدا عن الافتراضات او الاستهداء بقوانين العقل والمنطق . والكوفيون يتقبلون مسائل اللغة اذا سمعوها من اعراب فصحاء ويميدون النظر في أصولهم لتوافق هذه المسائل بخلاف البصريين الذين اذا تعارض المثل بأصل من أصولهم عمدوا لتأويله ولو تأويلا بعيدا فان لم يخضع لأصولهم وصلوه بالشذوذ أو الخطأ .

والكوفيون يعممون الظاهرة الفردية ويطبقونها عليها والبصريون يجمعون مختلف الصيغ والأبنية المتشابهة في اطار واحد يجعلونه مقياسا عاما لمختلف الصيغ والأبنية . وبالأجمال فقد قدم الكوفيون الرواية والنقل على القياس الذي قدمه البصريون (35) .

من خلال هذه الميزات الأساسية لمنهج الكوميين العام يمكن تصور المنهج النحوي لابن فارس ، وان ظل هذا الكلام بلا سند لفقدان مؤلفاته النحوية .

ابن فارس لغويا :

كان ابن فارس كوفي المنهج في اللغة ، وقد خلف تراثا لغويا رثمه الى مصاف القمم . فمما وصلنا من اثاره اللغوية : مقاييس اللغة ، المعجل ، متخير اللفاظ ، تمام مصحح الكلام ، الاتباع والمزاوجة ، الثلاثة ، خلق الانسان ، مقاييس العربية .

ومما من اثاره اللغوية : الثياب والحلي ، ذخائر الكلمات ، الحبير المذهب ، العم والخال ، والحجر وسواها .

وقد تميز منهجه اللغوي بالتزامه ايراد الواضح الصحيح من كلام العرب وترك الوحشي المستغرب والدون المسترذل .

وقال بما قاله الكوفيون من كثرة اللفاظ المنحوتة في كلام العرب بل تميز كتابه (مقاييس اللغة) بفكرتي الأصول والنحت وهما نظريتان جديرتان بالتقدير ، وربما صح القول انهما جديدتان في ميدان التأليف المعجمي في زمانه .

(35) راجع : مدرسة الكوفة : المخزومي .

على أن ابن فارس رغم كونه كوفي المذهب ، لكن ذلك لم يدعنه إلى التمسك باللامى بل كان سمها يستشهد بكلام البصريين ورواياتهم فهو كثير الرواية من الخليل والاصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وكلهم بصريون .

على أنني أرى — بعد انعام نظر — أن ثلاثة علماء قد تركوا بصمات واضحة على بعض آثار ابن فارس .

أولهم بغدادى وهو : ابن السكيت وتأثير كتابه (الألفاظ) ظاهر فى كتاب (متخير الألفاظ) لابن فارس .

وثانيهم كوفي وهو : ثعلب ويبدو تأثيره فى (الصحاح) حيث يورد كلاما فى الشيء الواحد يسمى بأسماء مختلفة ، ثم يقول ، وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب . وفى مواضع متعددة منه . ويبدو أيضا فى انتصاره له فى كتابه (الانتصار لثعلب) الذى لم يصل إلينا ويبدو كذلك فى كتابه (تمام مصباح الكلام) الذى استدرك به على مصحح ثعلب . ثم قال فى آخره . (هذا آخر ما أردت إثباته فى هذا الباب ولم أكن أن أبا العباس نصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا أقول أن جميع ما ذكرته من علم أبى العباس جزاء الله عنا خيرا) .

وثالثهم بصري وهو : ابن دريد ، ويبدو تأثير كتابه (الملاحن) فى كتاب مفتاح مقية العرب لابن فارس .

كما يبدو بوضوح تأثير كتاب الاشتقاق لابن دريد فى معجم المقاييس ذلك أن فارس استطاع توسيع قاعدة الاشتقاق التى ابتدعها ابن دريد وحاول رد كل مادة لغوية إلى أصولها المعنوية المشتركة موافق توفيقا كبيرا . ويمكن أن يقال أن ابن فارس اقتبس النظام الألف بائي فى المجلد والمقاييس من (جمهرة) ابن دريد .

تلك إشارة بالغة الإيجاز ، إلى منهج ابن فارس اللغوي وهو منهج لا تتسع لتفصيله مثل هذه المقدمة .

تأليف المعاجم :

مرت حركة التأليف المعجمي بعدة مراحل يمكن تسمية المرحلة الأولى منها بمرحلة « كتب الصفات أو الغريب المصنف » وبها تم جمع مفردات الباب الواحد ونسبها إلى بعضها ومن أبرز أمثلتها . كتاب المطر وكتاب اللبا واللبن لأبى زيد الأنصاري وكتاب الصفات للنضر بن شميل والغريب المصنف لأبى عمرو الشيباني ومثله لقطرب ومثله لأبى عبيد .

وكتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر وكتاب النخل والكرم للاصمعي وكتاب الرحل والمنزل لأبى عبيد وكتاب البئر وكتاب النخل والزرع

وكتاب الأنواء لابن الأعرابي وكتاب المطر والسحاب لابن دريد واتخذ من ألف في هذا النوع أبو خيرة الأعرابي والقاسم بن معن الكوفي وبلغت قمتها في المختصر لابن سيده . ثم برزت مرحلة أخرى في التأليف المعجمي هي مرحلة « معاجم الألفاظ » أو الكتب المجنسة وفيها ترتب المفردات بالنسبة لحروفها لا إلى معانيها وأول هذه المعاجم المعين للخليل بن أحمد الفراهيدي والجيم لشهر بن حمدوية الهروي ومعاجم الألفاظ تنضوي تحت أربع مدارس (36) :

المدرسة الأولى : وهي مدرسة المعين وتضم كتاب المعين للفراهيدي والبارع للقالى والتعذيب للازهري والمحيط للمصاحب بن عباد والمحكم لابن سيده . والرابطة التي تجمعها ترتيبها حروف الهجاء بحسب مخارجها وجعل هذا الترتيب أساس تقسيمها إلى كتب .

والمدرسة الثانية : تمسكت بالترتيب الألف بائي وتضم . الجبهة لابن دريد والمتايبس والمجل لابن فارس .

والمدرسة الثالثة : وتعتمد على تقسيم المعجم إلى أبواب وفقا للحرف الأخير من الكلمات وتقسيم كل باب إلى فصول وفقا للحرف الأول وترتيب المواد في هذه الفصول وفقا لحروفها الوسطى باعتبار الحروف الأصول وهدا في جميع هذه المراحل . وتضم : صحاح الجوهري وعباب الصغاني ولسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز ابادي وتاج العروس للزبيدي والمعيار للشيرازي .

والمدرسة الرابعة : وهي التي ابتدأت بأساس البلاغة للزمخشري وتفرعت عنها المعاجم الحديثة .

وفي وقت تال لنشوء معاجم الألفاظ ظهر لون جديد من التأليف المعجمي تلبية لحاجة الدواوين ، هذا اللون جمع الألفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، مما يصح معه تسميتها بمعاجم المعاني أو الكتب المبوية وأبرز أنموذجاتها الألفاظ لابن السكيت وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر والألفاظ الكتابية للهمداني وفتح اللغة للشمالي .

وكتابتنا هذا — متخير الألفاظ — من معاجم المعاني ومكانته بينها مكانة رفيعة ومريدة مما .

لقد ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من المجمل كما فصلنا القول . كما ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 والانبأري في نزعة الألباء 321 وحرف في كتابات الأدباء للبرجاني إلى مختار الألفاظ وكل الذين ترجموا لابن فارس كانوا يظنونونه في عداد كتبه المفقودة .

(36) راجع المعجم العربي — نشيئه وتطوره — الدكتور حسين نصار .

مخطوطات الكتاب : وقد اعتدنا في تحقيقه ونشره للمرة الاولى على مخطوطتين الاولى ورمزنا لها بالحرف (ا) كانت ضمن مخطوطات مكتبة المرحوم عم والدنا السيد احمد بن السيد عبد الوهاب رئيس ديوان التدوين القانوني في العراق سابقا وعضو محكمة التمييز والمتوفى باجله الموهود سنة 1964 وهي نسخة نفيسة تعود للقرن السادس الهجري ويغلب عليها الشكل التام وعدتها 75 ورقة (150 صفحة) بما في ذلك ورقة العنوان . وعلى ورقة العنوان كتب ما يلي :

كتاب متخير الالفاظ تأليف الشيخ الفاضل أبي الحسين احمد بن فارس رحمه الله .

وعلى ورقة العنوان عدة تمليكات اقدمها : لاحمد بن مباركشاه الحنفي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين سنة 538 ومنها : انتقل الي مستعمارا وانا العبد عبد الله بناء المولوي (ت 1005 هـ) ومنها . انتقل الى ملك كتابه محمد ابراهيم .. المالكسي بالابتياح الشرهي من نور الدين علي الصبوة .. ومنها : ملكه من فضل الحليم الرحيم احمد بن محمد بن عبد الرحيم .

وهذه النسخة قد انتقلت الى مكتبة المتحف العراقي مصادرة بسبب عدم تسجيلها طبقا للتعليمات وقياسها 13 سم x 18 سم ومعدل سطورها 13 سطرا في الصفحة الواحدة وقد اصابها النسخة رطوبة فامتثلت السطور السفلى من العديد من صفحاتها وهي مكتوبة بخط النسخ وفي آخرها ما نصه :

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبي محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين . توبل باصله الذي نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله نصح . والنسخة مكتوبة بالحبر الاسود ومناوينها بالحبر الاحمر وهي ضمن مجموع سجل برقم 3846 يضم كتابين : الاول : متخير الالفاظ الذي تقدم وصفه . والثاني : كتاب التكملة وهو نوادر ما تلحن ليه العامة لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي وعدته 43 ورقة وكتب في آخرها : (نقلت هذه النسخة من نسخة منقولة من خط المؤلف مقابلة وتوبلت بها لمصحت بمنه وكرمه) .

وكتاب التكملة هذا توجد في هوامش العديد من اوراقه كالورقات : 4 و 6 و 19 ب و 21 ب و 33 و 35 و 40 وسواها تمليكات لابن الخشاب وارجح انه عبد الوهاب بن احمد بن الخشاب النحوي البغدادي المتوفى سنة 567 هـ وهي تمليكات لغوية قبيصة .

والتفسير الوحيد لوجودها ان هذه النسخة نقلت من نسخة قراها وعلق عليها ابن الخشاب .

واما المخطوطة الثانية ورمزنا لها بالحرف (ع) فهي مكتوبة بالخط الفارسي وعدد صفحاتها 82 صفحة ومعدل سطورها 17 سطرا في الصفحة الواحدة وقياسها

14 سم x 19 سم وهي بخط جدنا المرحوم السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي شيخ الخطاطين في عصره ودلين مقبرة الغزالي ببغداد والنسخة مشكولة جزئيا وعناوين الابواب بالحبر الاحمر وهي في شكل كراريس لم تضم في سفر واحد — غير مجلدة — وليس فيها ورقة عنوان ولم يصرح الناسخ باسمه وهرفناه من بين ترائنا المائلي مخطوطة من كتاب الالفاظ الكتابيصة للمهذاتي نسخت سنة 1114 هـ ومخطوطة من لغة اللغة للشمالي نسخت سنة 1070 هـ ومخطوطة من التكملة وهي نواذر ما تلحن فيه العامة للجواليقي نسخت في القرن السادس الهجري .

ومخطوطة من مختار الصحاح للرازي نسخت سنة 1079 هـ . وجزء من مجاح الجوهر في نسخ في القرن الثاني عشر الهجري ومخطوطة من نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للسجستاني نسخت سنة 1099 هـ .

ونسخة من تلخيص الشواهد لابن هشام الانصاري نسخت في القرن التاسع الهجري وغير ذلك من نفائس كتب اللغة . وحدثنني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان السيد احمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الاسرة . وحدثنني من اتق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمد امين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسريت إليه من المرحوم السيد احمد . هذا غير مخطوطتي — متخير الالفاظ — الفريدين في الدنيا . ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني هلزا لان اصل جبل النسخ والحفظ — في اسرتنا — بحبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بعد ضياع اسر الف عام ، وفاء للمربية واحياء لبعض تراث الاسرة .

منهجنا في التحقيق :

هدف التحقيق في نظرنا هو تقديم المخطوط صحيحا كما صنعه مؤلفه . لا شرحه والنقل من كتب مطبوعة . وانطلاقا من هذه المسئلة كان منهجنا في التحقيق كالآتي :

اولا — اعتمدنا النسخة الاقدم اما وشكلنا النص شكلا تاما واعتمدنا النسخة الثانية في المواضيع المطبوعة من النسخة الاولى وابتننا الفروق القليلة بين النسختين في الهوامش رغم ان الثانية نقلت من الاولى وصوبنا ما وجدناه من خطأ الناسخ من اثبات المصحف والحرف والخطا في العامش .

ثانيا — حافظنا ما امكنا على الرسم المتبع في المخطوطة الام باستثناء بعض الالفاظ التي ابدانها الى ما يقابلها في القائمة التالية نظرا لتبديل رسمها عبر العصور اخذين بالرسم المعروف عندنا اليوم وبرز هذه الالفاظ :

واله : وآله ، ثلثة : ثلاثة ، قاريه : قارئه ، ساير : سائر ، شأ : شاء ،
 الجايح : الجائع . القائل : القائل . عاييه : عائبه قايث : قاثث . الشمايل : الشمايل .
 الغايب : الغائب . الكأبة : الكأبة . خلايقه : خلايقه . الدائم : الدائم . السائلين :
 السائلين . نايلة : نايلة . نايرة : نايرة . هائجة : هائجة . ميره ونايره : ميرة ونايرة .
 طائلة : طائلة ، ثلثين : ثلاثين . طائرا : طائرا . الدعائم : الدعائم . سفين : سفين .
 نائمة : نائمة . ابراهيم : ابراهيم . شدايدها : شدايدها . مايلة : مايلة . هايره : هايرة .
 رايحة : رائحة . المآ : الماء . هايد : هايد . استرخا : استرخا . ابا : ابي . وغيثا :
 وغيثا . دايم : دائم . النائل : النائل . العايضين : العايضين . السحاب : السحاب .
 غاييا : غاييا . العايث : العايث . الهايج : الهايج . النوايب : النوايب . العقايق :
 العقايق . الرغايب : الرغايب . آبايهم : آبايهم . جلسايه : جلسايه . الطبايع :
 الطبايع . السلايق : السلايق . النحايت : النحايت . الضرايب : الضرايب . غرب ما :
 غربا . الصبي : الصبا . وكلى : وكلا . رحا : رحي . الكلاء : الكلاء .

ثالثا : وضعنا النقاط والفواصل واشارت الاستفهام والتعجب والشوارح
 والاقواس المزهرة والاقواس المربعة والاقواس الاعتيادية والفواصل المزدوجة حيث
 يجب أن توضع .

رابعا : تمنا بتخريج الآيات والاحاديث كما خرجنا الاشعار والامثال والاقوال
 مشيرين الى مصدرها واختلافات رواياتها وقائلها ان لم يكن الشعر أو المثل منسوباً .
 خامسا : ذكرنا في الحواشي مغلان تراجم الاعلام مع الاشارة الى سني
 وفياتهم واسمائهم كاملة .

سادسا : عرضت النصوص على المصادر ما أمكنني ذلك واشرت الى اختلاف
 الروايات .

سابعا : في مواضع قليلة اثبتنا بعض الشروح الضرورية للفظ غلق ، كما اثبتنا
 بعض التعليقات المهمة .

ثامنا : اشرنا في مواضع كثيرة الى ما يقابل ابواب متخير الالفاظ في كتب
 الالفاظ لابن السكيت وجواهر الالفاظ لقدامه بن جعفر والالفاظ الكتابية للهمذاني
 لتسهيل على القاريء الموازنة بين الابواب المتباعدة في معارج المعاني التي سبقت ابن
 فارس زمنيا .

تاسعا : كتبت المقدمة واعدت فهرس المصادر والمراجع .

عرض الكتاب وخطة المؤلف فيه :

رتب ابن فارس كتابه على ابواب المعاني ويقع الكتاب في (مائة وأربعة عشر)
 بابا بما في ذلك الخاتمة المطولة التي جسد فيها كثيرا من الالفاظ المفردة المستحسنة .

ولكن محتويات الخاتمة التي استغرقت خمس الكتاب لا يجمعها باب من ابواب المعاني بل هي الفاظ منتقاة من ابواب لا حصر لها وبعضها يمكن تصنيفه بسهولة في ابواب سبقت .

تحدث المصنف في مقدمته عن منهجه في كتابه هذا فقال :

« ان الكلام ثلاثة اضرب . ضرب يشترك فيه العلية والدون وذلك ادنى منازل القول . وضرب هو الوحشي ، كان طباع قوم لمذهب استعماله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول ولا ارتفع ارتفاع الثاني وهو احسن الثلاثة في السماع والذها على الانواء وازينها في الخطابة واعذبها في القريض وادلها على معرفة من يختارها . وانما الفت كتابي على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح ابوابه الالفاظ المفردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات وعولت في اكثره على الفاظ الشعراء بعد التنقيح من اشعارهم والتأويل لدواوينهم . »

مكتاب ابن فارس اذا قد تجنب الدون المستغرل والوحشي المستغرب وحلل بالالفاظ المفردة المنتقاة السهلة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم فهو جولة رائعة خلال دواوين الشعراء ما بقي منها وما ضاع . وقد حلل أيضا بالامثال المنتقاة والاقوال الجارية مجراها .

لقد كان ابن فارس مؤمنا ، ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب واجتناب الوهم منه والانس بأنيسه والتوحش من وحشيه .

وان احدا لن يتسنى ذروة البلاغة مع التكلف للفظ المستغرب وتميز منهج المصنف في كتابه هذا بأنه اوما الى طرق الخطابة وآثر الاختصار وتكب الاطالة .

ذاك منهج المصنف ، اما ابواب الكتاب فهي :

(1) باب في الكلام والبلاغة	(10) باب في الوقعة وسوء القول
(2) باب في وصف الكلام الحسن	والشتم
(3) باب في ذكر الكلام الرديء والعي	(11) باب دهاء الرجل لصاحبه بالخير
(4) باب الهذر والاكثار	(12) باب الدهاء بالشر .
(5) باب في اللعن واللعوى	(13) باب قولهم ما كلمته بكلمة
(6) باب آخر .	(14) باب الايمان
(7) باب في السر والاكهار ببعض	(15) باب في الدعابة
الحديث	(16) باب الكذب
(8) باب في النبوة	(17) باب الخصومة والدد
(9) باب المدح	(18) باب الرجل المحمود الخلق

- (19) باب الرجل المشتهر بالنبيه
(20) باب البشاشة
(21) باب في الرجل الجامع للخصال الحمودة
(22) باب الشباب
(23) باب الشيب
(24) باب الجمال
(25) باب المبوس والتبع
(26) باب الفرح والسرور
(27) باب المكآبة والحزن والموجوم
(28) باب السخاء
(29) باب البخل
(30) باب الشجاعة
(31) باب الجبن
(32) باب العجلة والامجال
(33) باب في المسارع الى الشر
(34) باب النشاط
(35) باب الرجل الراضي باليسير من الطعام
(36) باب الرغبة وكثرة الاكل
(37) باب الجوع
(38) باب حسن المواتاة والذل
(39) باب الغضب
(40) باب الرضا ومتور الغضب
(41) باب العداوة
(42) باب الحرص والجشع وكثرة الاكل
(43) الكبر والزمو
(44) باب التخلف
(45) باب في الاسرة والعشيرة وذكر الكرام السادة
(46) باب الرذال والذنايب والدعوة
(47) باب النوم والسير
(48) باب القرابة والرحم
(49) باب الجماعات
(50) باب الشر يقع بين القوم
(51) باب الشيء الذي لا يستقر
(52) باب الفنى
(53) باب منه آخر
(54) باب الفقر
(55) باب الكبر
(56) باب صغر الهمة والنفس
(57) باب الجهل بالشيء
(58) باب العته والجنون
(59) باب الحمق
(60) باب سوء الخلق
(61) باب الابهاء وقلة الانتقاد
(62) باب التعسف والتهور
(63) باب الجبن
(64) باب الاحجام من الحرب
(65) باب الفرع
(66) باب الشتان والبغضة
(67) باب الكراهية
(68) باب رجوع الرجل في اللوم الى اصله والناظم في اللوم
(69) باب البخل
(70) باب الارتداع وضده
(71) باب التماذي واللجاج
(72) باب الحقد والضغينة
(73) باب الغدر والخيانة
(74) باب الخديعة والمكر والنكر
(75) باب الحسد
(76) باب الخب
(77) باب الغضب
(78) باب الحرص والجشع
(79) باب الظلم والغشم
(80) باب الحيف والجور
(81) باب استنصاف الرجل
(82) باب الذهاب بحق الانسان

باب الشريكون بين اثنين	(83)	باب في ذكر الشمس	(100)
باب المنع من الشيء والردع	(84)	باب شدة الحر	(101)
باب تكليف الانسان ما لا يطيق	(85)	باب تغير لون الانسان لمسا	(102)
باب القوة والشدة	(86)	بصبيه من الحر وغيره	
باب الضخم والسمن	(87)	باب في الظل والقر	(103)
باب الطول وجسن الخلق	(88)	باب في الفجر والنهار	(104)
باب اللغاء وحالاته	(89)	باب زوال الشمس وبعد ذلك	(105)
باب الداب	(90)	باب في القمر	(106)
باب الامر بفعل ما كان يفعله	(91)	باب الظلمة	(107)
باب في الجراحات والصرع	(92)	باب في الشتاء والبرد	(108)
والاوجاع		باب في الحر	(109)
باب المرض	(93)	باب الليل والنهار	(110)
باب الرمي	(94)	باب السماء والسحاب وغير	(111)
باب الكسر	(95)	ذلك	
باب الطبيعة	(96)	باب المطر	(112)
باب الذكاء وحدة الفؤاد	(97)	باب الريح	(113)
باب الشجاعة	(98)	باب الفاظ مفردة مستحسنة.	(114)
باب الشرب	(99)		

خصائص الكتاب وميزاته والفروق بينه وبين معاجم المعاني التي سبقته :

لكي نلم بالفروق بين هذا الكتاب ومعاجم المعاني التي سبقته لا بد ان نستعرض بابا مشتركا بينهما لتعرف السبل التي سلكها كل مصنف من هؤلاء الاعلام ثم لنستطيع عبر النموذج استنباط خصائص الكتاب وميزاته .

ولنأخذ باب السخاء نعرضه كما أورده ابن السكيت في الالفاظ والهمذاني في الالفاظ الكتابية وقدامة بن جعفر في جواهر الالفاظ ثم نعبه بما قاله ابن مبارس في التحفير ليتضح المنهج ونظمت الفروق .

قال ابن السكيت في باب السخاء (37) :

يقال رجل سخى وقوم اسخياء وقد سخو الرجل يسفوا وسفوا يسفوا وسفى يسفى . الاسمى . ويقال للرجل انه لسفى النفس ، وسفيط النفس ، ومذل النفس ، ويقال للرجل اذا كان هشا سريعا في المعروف . انه لخرق من الرجال .

(37) مختصر تهذيب الالفاظ ص 123 — 126

وفلان يتخرق في ماله اذا كان يتصرف فيه بالمعروف ، وانه لطرف ، وسيدع من
الفتيان . والسيدع السيد الموطا الاكثاف ، (قال) يراد بقولهم . فلان هشا المكسر
مدح ونم . لماذا ارادوا ان يقولوا . هو خوار المود فهو نم . واذا ارادوا ان يقولوا ليس
هو بصلاد القدح فهو مدح ، ويقال للرجل يبذل ما عنده . انه لو ارى الزند ، وورى
الزند . وانما هو من الكرم ليس من قدح النار . قال الاعشى .

وزندك خير البلـو ك صادف منهم مـرح عـسـارا
فان يتدحوا يجدوا عنده زنادهم كابيـات تصـارا

وانه لذو نجر اي مطاء ، والهضوم المنفق ماله يقال . هضم له من ماله اي كسر
له ، وانه لذو هشاش الى الخير اي نشاط له ، ابو زيد والاريجي السخي الكريم ،
والاروع . والنجيب ، وهو طلق اليدين بالمعروف . وقد طلقت يده بالمعروف طلاقة ،
الاصمعي . والفطريف السخي السري . يقال بنو فلان فطاريـف اي سـراة ، والخضرم
والخضم الكثير العطية ومثله كل شيء كثير . وخرج العجاج يريد اليمامة فاستقبله
جرير فقال : اين تريد . فقال : اليمامة . قال : تجد بها نبیذا خضرمـا اي كثيرا . وبئر
خضرم غزيرة الماء والخضم الموسع عليه من الدنيا ، وانه لذو خير والخير الكرم ،
والد هـم السهل اللين ، وانه لدهم . ورهشوش . ابو زيد . والرهشوش الندى الكف
الكريم النفس ، والكهلول . والبهلول . والبحر . والفياض صلة الرجل الكريم ، وانه
لذو قحم عظام اي يتحم في الامور العظام يدخل فيها من خير وشر ، ويقال للرجل
الواسع الخلق الواسع الصدر . انه لو اسع الذرع ورجل لهوم وهو الغزير في الخير .
وناقة لهوم غزيرة اللبن . ومـرس لهوم غزير في الجري . ورجل رهـب المسـرب
واسع الصدر . ورجل ذلول بالمعروف بين الذل اذا كان سلسا بالمعروف ، والحشد
المحتشد في الامر في مطاء وغيره لا يدع عنده شيئا من الجهد ، الثراء يقال . وانه لذو
طائلة على قومه للمفضل المتطول ، ابو زيد . والمذل الباذل لما عنده وهم مذلون بينو
المذلة والمذالة . وهو البذل ، ابو عمرو . والمثلث الكريم ، ورجل مريء من المروءة . وقوم
مريؤون ومراء . ومنه قولهم يـمـرا بنا اي يطلب المروءة بتقصنا ، ابو عبيدة . وهو
اسمح من لائمة وهي التي تفر لمـرخها لا تبقي في حوصلتها شيئا . الاصمعي . اللائمة
البحر . وقيل العنز تدعى للحلب مـظلفـ جرتها ، ابو عمرو . ورجل نال اذا كان جوادا
ونالني اذا امطاني ينولني نولا . قال كمب بن سعد .

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

(قال) وان ملانا ليتول بالخير ، وما انول ملانا اي ما اكثر نائله

قال جرير : لو كان من ملك النوال ينـول

وأنه لهش ودمث إذا كان لنا ساكنا ، والبسيط الذي إذا رأيته انبسط اليك
ورأيت يتهلل وجهه وهرمت السرور في وجهه . وكذلك الدهم . قال ابن لجأ :

ثم تنحت من مقام الحوم لعطن رابي المقام دهشم

وقال عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في باب السخاء (38) :

يقال : فلان سخي (والجمع اسخياء) وسخ (والجمع سخاء) . وجواد
(والجمع جوداء واجواد واجاود) . وهو معطاء وخرق . ونياض . ومرزا . وهو طلق
اليدين ، ورحب الصدر ، ورحب السرب وهو رحب اليدين ، وسط الانامل ، وندي
الكفين ، ورحب الذراع ، وواسع البلد والفناء ، وموطا الاكتاف ، وأريحي ، وهو مخلف
مكلف ، ومفيد مبيد ، وجواد لا يلقى درهما ، وواسع الفضاء ، ورحب المعطن ، لم أر
مثله أوسع كفا لطالب ، ولا أطول يدا بمعروف ، وهو كريم المهزة . (وتقول من ذلك)
ما أبجداخلاته ، وأمشى معروفة ، وأضلى نوافله ، وأندى أنامله ، وأوسع بلده ،
وأرحب صدره ، وأبسط كفه ، وأكثر منائمه ، وأهنا بموافله ، وأكرم طبائمه ،
وأوسع سربه ، وأوطأ كنفه ، وأطول باعه ، وأنه لخرق يتخرق في ماله ، ومذل (وفي
الامثال) اسبح من لافظة . وهي التي تزق نرخوا حتى لا تبقى في حوصلتها شيئا .

وقال قدامة بن جعفر في هذا المعنى (39) :

« سخي ، جواد ، سخح ، نياض . مرزا . معطاء . مفضل . فائض الانامل .
زاخر الجداول . ندي الكف . حمي الأنف . رحب الذراع طويل الباع . واسع البلد .
سابع الصند . رحب الفناء . كثير المعطاء . موطا الكتف مرزا الرشف . مخلف . مكلف .
مفيد . مبيد . جواد لا يلقى شيئا ، وسخح لا يلقى بذلا ونَيْلا . مسيح الكتف والفناء .
سجيج المنح والعباء . كريم المهزة . مطهر المهزة . لم أر مثله أوسع كفا لطالب . ولا
أطول يدا بالمعروف لئتم وراغب .

ويقال : له سباحة وصباحة . وسخاء سوناء . وأرتياح وانيساح . ومجد وجود .
وكرم وخير .

ويقال : هو أجودهم كفا ، وأغزرهم خلقا ، وأنداهم يدا ، وأتمهم جودا . وأكثرهم
أيادي ، وأعظمهم أرتياحا ومنحا ، وأشرحهم بالمواهب صدرا ، وأرجحهم في الكارم
قدرا ، وأغزرهم جودا ، وأكثرهم شية ، وأجودهم ديمة ،

(38) الألفاظ الكتابية : ص 94 — 95 .

(39) جواهر الألفاظ ص 213 — 214 .

واسماهم عطية ، وابعدهم سجية ، بنائه مندلق ، ولسانه بانجاز الوعد منطلق ، لا
لا يسام الاتعام ، ولا يمل البر والاكرام ، اذا وعد ولمى ، واذا انجز اولمى ، واذا ولمى
اجزل واسنى ، واذا من لم يتن ، واذا تطول لم يعتد ، يسدى ولا يكدى .

وقال ابن فارس في باب السفاء :

ويقولون : هو صبير ينضح السمي ويعلو سواك المجد .

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه ، وفلان يتفخر في الجود ، وقد لبس المجد
احسن ملابس . وينشدون :

وابو اليتامى يبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب

وانه لندي البنان ، سبط الكف ، طويل اليد . ومن كلامهم .

يداه غمامة ، ومن نباته يجري الماء في العود ، وانه لغيث ونوء من الانواء . قال
زهير :

وابيض نياض يداه غمامة على معنتيه ما تغيب نوافله

ويقولون : كنه خلف من المطر . قال جرير :

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

وانه لسمح ند موطا الاكتاف نياح نفاخ فغساف الرداء رحب المزم طويـل
الساعدين واسع جيب الكم ، قال : وهو يريد ما اشتغل عليه الجيب ، يعني نفسه .
وذلك كقولهم طاهر الثوب طاهر الرداء . وفي الذم : هو دسم الثوب ويقال : رجل ذو
مجر ، اذا كان يتفجر بالمعروف . قال الشاعر :

نجع اضيائي جميل بن ممر بذى فجر تاوي اليه الارامل

وان في كنه لمطلبا للفنى قال :

لمنى كنه للفنى مطلب	وللسر في صدره موضع
يريد الملوك مدى جعفر	ولا يصنعون الذي يصنع
وكيف ينالون غاياته	وهم يجمعون ولا يجمع
وليس باوسعهم في الفنى	ولكن معرومه اوسع

وهذا كتوله :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

ويقولون : هو متصل دفتات الخير أريحي ، وهو يباري الريح . وفلان خصيب موطا الاكتاف . ومما يشبه الجواد به ان يقال :

بحر وربيع مربع ، وخال وهو الغيم البارق ، وخضرم وهو البئر الكثيرة الماء . ويقال : انه لكريم المعتصر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة ان عوف بن القعقاع على ان ينامر خالد بن مالك فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر » . وفي هذه المنامرة قال خالد : أطعمت حولا من اكل وأعطيت يوما من سال . قال الشاعر :

الم يك رطبا يعصر القوم ماءه وما هوده للكاسرين ببابس

وقال الأعشى :

وجروا على ما هودوا ولكل عيدان مصاره

وقال الآخر :

لو مج هود على قوم عصارته لمج هودك فينا المسك والباسا

وقال هشام بن حسان : لا يبعد الله يزيد بن المهلب ان كانت السفن لتجري في جوده . وفلان عد من الأعداد ، والعد الباء الدائم الذي لا ينقطع . ومن الفاظ الشعراء : ينعش المولى ويحتل الجلى ، وفلان يستعذب نغمات السائلين . ومن الفاظهم : يبست كله ، اذا شجعت كف البخيل . قال ابن السكيت ، ويقال :

انه لذو قهم عظام اي يتقهم في الأمور العظام ، وهو واسع الذرع ، رحسب السرب ، ذلول بالمعروف . الفراء : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل المتطول . قال الغنوي : ما أتول فلانا اي ما أكثر نائله .

من خلال مرض الباب المشترك في هذه الكتب الأربعة نستنبط الحقائق التالية :

يبدو ابن السكيت شديد الاهتمام بالغريب ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر وأخبار البلغاء . وشواهد الشعرية بدورها حافلة بالغريب وابن السكيت يحرص على نسبة الرواية الى راويها كأبي زيد والأصمعي والفراء وأبي عمرو وأبي عبيدة وأضرابهم .

2 — اما الهمذاني فيبدو مهملًا للغريب شديد العناية بالمستعمل الشائع من الألفاظ لانه الف كتابه لصبيان المكاتب لا يهتم بنسبة الرواية لروايتها ويندر استشهاده بالشعر وقد يستشهد بالامثال والاقوال .

3 — واما قدامة بن جعفر فهو لا يهتم بالشواهد من آية أو شعر أو حديث أو امثال ولا يهتم بنسبة رواية لروايتها ولكنه لا يضع الكلمة الى جوار الكلمة الا أن تكون على زنتها ورويتها فهو كلف مولع بالبديع شديد الاهتمام به شديد الحرص عليه يغلب على عباراته الترصيع والتسجع واعتدال الوزن واشتقاق لفظ من لفظ ومكس اللفظ والاستعارة وتوفير تمام الاقسام وتصحيح المقابلة وتلخيص الأوصاف والمبالغة والتكافؤ والاراداف والتثيل .

4 — ويبدو ابن فارس أكثر الأربعة عناية بمجازات الشعراء وتشبيهاتهم واستعاراتهم فالفاظه منتقاة متخيرة منتخبة لا يهتم بالوحشي الغريب ولا المسترذل الدون كثير الاستشهاد بالشعر وشواهد من عيون الشعر لفظا ومعنى وهو يهتم بنسبة الروايات لأصحابها كابن السكيت والفراء والغنوي كما يعني بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال .

وهو الى جانب ذلك واسع الاطلاع على اقوال البلغاء واخبارهم كثير الاستشهاد بهم كما رأينا فيما نقله عن حاجب بن زرارة وهشام بن حسان .

ويبدو من المثل المتقدم أيضا أن ابن فارس غير متأثر بالهمذاني وقدامة بن جعفر على الإطلاق . ولكنه تأثر بابن السكيت في بعض فصول الكتاب تأثرا كبيرا حتى كاد ينقل الفاظه باختصار كما في باب (اللقاء وحالاته) الذي يكشف عن تأثره الشديد بباب (اللقاء في قربه وابطائه) في الفاظ ابن السكيت وكما في باب الفني وباب المقرر ونحوهما وهي أبواب معدودة ومحدودة .

على أن يوصل التفرقة الاساسي بين الاثنين من خلال استعراض كتابيهما يتلخص في الآتي :

1 — لا يهتم ابن فارس بالوحشي المستغرب بل يهتم كثيرا باللفظة الحلوة المنتقاة على عكس ابن السكيت الذي يحشد الغريب في كتابه حشدا .

2 — أن شواهد ابن السكيت الشعرية كلها شواهد لغوية تطلع بالغريب ومن النادر أن تحس فيها بجمال تشبيه أو حسن استعارة أو حلاوة مجاز أو لطف تعبير خلافا لشواهد ابن فارس الشعرية التي تمثل مختارات منتقاة من الشعر العربي وتدل على ذوق شعري رهيف .

3 — يكشف ابن فارس في شواهد من الحديث النبوي الشريف على قدرة فقيه راوية للحديث في حين نجد ابن السكيت لا يستطيع التمييز بين الحديث النبوي وبين الاقوال المشهورة ويذكر عددا من الاحاديث النبوية على انها اقوال مشهورة .

4 — يتميز كتاب ابن السكيت بالاطالة وكتاب ابن فارس بالايجاز .

5 — انفرد ابن فارس بباب (الفاظ مفردة مستحسنة) وهو باب ضخم بمئثر المادة غير منظما وكان الاجدى لو تم تصنيف مواده تبعا لابوابها وهو شيء لم يقع فيه ابن السكيت . على انها يشتركان في الخصائص التالية :

1 — يشتركان في نسبتها كل رواية لراوية ورد كل قول لقائله .

2 — ويشتركان في كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف وشعر الشعراء وبالمثال

3 — ويشتركان في عدم اهتمامهما بالترتيب الداخلي لمواد الباب الواحد فهما لا يرتبان المعاني ترتيبا معجبا ولا يتدرجان بها من الصغير الى الكبير او من القلة الى الكثرة او من الضعف الى الشدة او تبعا لموسيقاها بل تركاها غير منسقة ولا منظمة .

5 — كلاهما في كثير من الاحيان لا يورد الالفاظ مجردة بل يوردها في شعر او مثل او قول ويلسرها .

6 — كلاهما في ترتيب الابواب سمى الى الجمع بين الابواب المتقاربة او المتضادة وتجانى الفصل بينهما .

ف عند ابن فارس مثلا . باب الشباب تبعه باب الشيب ، وباب الشنان والبغضة تبعه باب الكراهية ، وباب الفرح تبعه باب الحزن ، وباب السفاه تبعه باب البخل ، وباب الشجاعة تبعه باب الجبن ، وباب الغضب تبعه باب الرضا ، وباب الجمال تبعه باب القبح وباب الفنى تبعه باب الفقر وباب الارتداع فباب التبادي واللجاج ، ونجد عند ابن فارس الابواب المتشابهة ترد متتابعة مثل باب المنة والجنون يليه باب الحمق فباب سوء الخلق وبعده باب التعسف والتهور وهكذا .

وهو يورد الابواب المتعلقة بالطبيعة بصورة متتابعة . فباب الشمس يليه باب شدة الحر فباب تغير لون الانسان لما يصيبه من الحر فباب الظل والقيء فباب الفجر والنهار فباب زوال الشمس فباب القمر فباب الظلمة فباب الشتاء والبرد فباب الحر فباب الليل والنهار فباب السماء والسحاب فباب المطر وباب الريح .

وعند ابن السكيت نجد باب الفنى والغضب يتلوه باب الفقر والجذب وباب الشجاعة يتلوه باب الجبن وبال الطول يتلوه باب القصر وباب الدعاء على الانسان

بالبلاء يطلوه باب الدماء للانسان وتجد الابواب المتشابهة او المتقاربة عند ابن السكيت
متتالية مثل :

باب الجراحات والقروح يليه باب المرض فباب الحمى .

ومثل باب صفات النساء اذ يطلوه باب الدمامة والقصر وباب المعاجز وباب
نعمت النساء في الولادة وباب نعمت النساء بالنسبة الى ازواجهن وباب الجسرة
والبذاء في النساء وباب الحقاء والفاجرة وباب ما يكره من خلق النساء وباب المطلقة.
وكلها كما يلاحظ ابواب متقاربة تدور حول صفات النساء .

7 — كلاهما لم يرتب الابواب وفقا لخطة ثابتة كما ان ابن فارس قد خافه التوفيق حين كرر
باب الغضب مرتين ، وباب الجبن مرتين مع امكانه توحيدهما .

كلمة اخيرة :

حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشرعت في تحقيق اخرى . لكنني لم
اشمر ابدا ان كتابا — غير المتخير — اصبح جزءا من كياني ولوذا في جناني ويمضا
من بياني .

ذلك ان روابط ممتدة الجذور موغلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج
روحية غير منظورة . من هذه الروابط ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للمربية هم ابي
السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي
المرحوم عبد الوهاب بن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسني البغدادي أمير
الخطاطين في مصره . ببيني وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبيني وبينهما رحم
وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عناية اسرتنا بمعاجم اللغة جيلا
بعد جيل . فلتقد كشفت الأيام بين ترائنا العائلي غير مخطوطة واحدة من كتاب الالفاظ
الكتابية للهمذاني ونظام الغريب للربيعي . وحدثني الاستاذ محمد بهجت الاثري ان
السيد احمد قد حدثه عن نسخة من مقاييس اللغة كانت ضمن تراث الاسرة .
وحدثني من اتق به ان مخطوطة جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر التي نشرها محمد
أمين الخانجي وذكر انها من آثار العراق قد انسربت اليه من المرحوم السيد احمد .

هذا غير نسخ من (المحيط) وكتاب التكملة للجوالقي .

ان هذه العناية كانت: تدلني دفعا وتحلني حفزا لان اصل حبل النسخ والحفظ
— في اسرتنا — بحبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم
المطبوعات بعد ضياع استمر الف عام ، ونماء للمربية وأحياء لبعض تراث الاسرة .

وهكذا صاحبت — المتخير — نصف عام ، كان فيها سميري كل ليلة ونجبي كل
دجنة وكان فيها صاحبنا ومحدثنا والينا . أصوب فيه ما حرف محرف وصحف مصحف

فلا يفجر . واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر او قالة لنائر فلا يسام ولا يتخير وكأنه
بالمصبر قد تجلبب وتدثر :

حتى اذا اخذ الليل في طي الريط وتبين الخيط من الخيط ردتى الى دنياي مؤذن
ينادى . ان هي على الفلاح .. قد قامت الصلاة . فانسلخ من مقعدي اذ ينسلخ النهار
من الليل واذا ينشق النور عن الظلمة .

وعلى مثل هذا كان لقائنا وامتراقنا نصف عام او يزيد .

واليوم اذ اصبح اللبسات الاخيرة من هذه المقدمة اشعر انني اقدم سميـري
وصاحبي وخليلي الى آلاف القراء ليشاركونا السمر والصحبة والخلة في طريق
المعرفة الحاشد .

ثم انني اتوجه بالشكر الى اله العلي التدبير على ما منح من صبر وسداد وما
الهم من توفيق ورشاد . والحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا .

بغداد — كانون الثاني (يناير) 1970 .

هلال بن ناجي بن زين الدين بن عبد الوهاب

الحمد لله وبه نستعين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين . قال الشيخ الجليل أبو الحسين أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله : هذا كتاب : « متخير الالفاظ » مفردا ومركبا ، وانما نحلته هذا الاسم ، لما أودعته من محاسن كلام العرب ، ومستعذب الفاظها ، وكريم خطابها ، منظوم ذلك ومنثوره . ولم آل جهدا في الانتقاء والانتخاب والتخير . وهو كتاب كاتب عرف جوهر الكلام وآثر الاختصاص بجيده ، أو شاعر سلك المسلك الاوسط مرتقيا عن الدون المسترذل ونازلا عن الوحشى المستغرب . وذلك ان الكلام ثلاثة أضرب : ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك أدنى منازل القول . وضرب هو الوحشى ، كان طباع قوم فذهب استعمله بذهابهم . وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الاول ولا ارتفع ارتفاع الثانى ، وهو أحسن الثلاثة في السماع والذها على الانواء وأزينها في الخطابة وأعذبها في القريض وأدلها على معرفة من يختارها ؟ وانما ألفت كتابى هذا على الطريقة المثلى والرتبة الوسطى . وجعلت مفاتيح أبوابه الالفاظ المفردة السهلة ، وختمته بالالفاظ المركبة الجارية مجرى الأمثال والتشبيهات والتشبيهات والمجازات والاستعارات . وعولت في أكثره على الفاظ الشعراء ، بعد التنقيح (1) عن أشعارهم والتأمل لدواوينهم . فليعلم قارئه أنه كتاب يصلح لمن يرغب في جزل الكلام وحسنه ، ولمن يجود تمييزه واختياره ، فاما من سواء فسواء هذا عنده وغيره ، ونعوذ بالله من كلال الحد وبـلادة الطبع وسوء النظر . وليعلم أن أول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناء (2) السهل من الخطاب ، واجتناب الوعر منه ، والانس بأنيسه ، والتوحش من وحشيه . فهذا زمان ذلك . ولن يتسنى أحد ذروة البلاغة مع التكلف للفظ الغلق ، (3) والتطلب للخطاب المستغرب ؟ وقد تحريت في هذا الكتاب الايماء الى طرق الخطابة (4) ، وآثرت فيه الاختصار ، وتنكبت الاطالة . فان سمت به همته الى كتاب اجمع منه ، قرأ كتابى الذى أسميته « الحبير المذهب » ، فانه يوفى على سائر ما تركت ذكره ها هنا من محاسن كلام العرب ان شاء الله .

- (1) التنقيح : البحث .
- (2) الاجتناء : الاصطفاء والانتقاء .
- (3) الغلق : المشكل .
- (4) فى الاصل : الخطابة (بكسر الفاء) .

بـ باب متخير الفاظ العرب في الكلام والبلاغة (5)

يقولون : هذا رجل مقول ، فتقيق اللسان ، فرب اللسان (6) . ولسان طلق خلق . وقد لسن الرجل لسانا . قال قطرب (7) : يقال انه (لا بـ لسان أقوال) (8) ، وابن قول ، واذا كان ذا كلام ولسان (9) ، وانه لذو عارضة اذا كان مفوها ، وهو حذافي ، نصيح ، بين اللهجة . ورجل نقل : حاضر الجواب ، ويقال للرجل اذا خلط لين الكلام بالشدة : قد شمت ، وكان أبو عمرو بن العلاء (10) يقول : اشمطوا ، أي خوضوا مرة في الشعر ومرة في الحديث ؟ وبنو فلان شميطة ، أي شبان وشيب . ويقال : طرق الكلام ومائسه (11) . ويقال : هو جيد السياق للحديث . وهو يسرد الحديث سردا .

(5) راجع باب نصيح اللسان في تهذيب الالفاظ 677 وباب الفصاحة في الالفاظ الكتابية للهمذاني 183 وباب البلاغة ومدح البليغ ووصف كلامه في الالفاظ الكتابية ص 184 — 186 وباب بلاغة المنطق في جواهر الالفاظ لقدامة بن جعفر ص 312 وباب اللسن وقوة الحجة في جواهر الالفاظ 230 — 233 .
(6) فرب اللسان : حديده .

(7) قطرب : هو محمد بن المستنير بن أحمد الشهير بقطرب (ت 206 هـ) . انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 52 وتاريخ بغداد 298/3 وطبقات النحويين 106 وبغية الوعاة 242/1 ونزهة الالباء 91 ووفيات الاميان 439/3 وشذرات الذهب 15/2 ومعجم المطبوعات مود 1517 والاعلام 315/7 واخبار النحويين البصريين 38 وانباء الرواة 219/3 والبداية والنهاية 259/10 وتاريخ ابن الاثير 380/6 وتاريخ أبي الفدا 28/2 وروضات الجنات 595 والمعبر 350/1 ولسان الميزان 378/5 ومروءة الجنان 31/2 ومراتب النحويين 67 والمزهر 405/2 ، 463 ومسالك الابصار ج 2 م 281/2 ومعجم الادباء 52/19 — 54 ومفتاح السعادة 160/1 — 161 وكشف الظنون مود 115 ، 723 ، 839 ، 1160 ، 1204 ، 1389 ، 1392 ، 1432 ، 1447 ، 1451 ، 1472 ، 1587 ، 1730 ، 1980 . وايضاح المكنون 100/1 ، 439 ، 146/2 ، 315 ، 318 ، 346 ، 428 . وهدية العارفين 9/2 ومعجم المؤلفين 15/12 و 16 ونور القبس المختصر من المقتبس (للزرياني واختصار البيهقي) ص 174 — 178 .

(8) ابن احوال : المقتر على الكلام . انظر جبهة الامثال 36/1 .

(9) ذو لسان : ذو مقالة .

(10) هو أبو عمرو زيان بن العلاء (ت 104 هـ) . انظر ترجمته في : اخبار النحويين البصريين 22 وطبقات القراء 288/1 وبغية الوعاة 267 ومعجم الادباء 156/11 ووفيات الوميات 331/1 وطبقات النحويين واللغويين 28 والفهرست 42 ونزهة الالباء 24 والمزهر 287/2 وشرح المقامات الحريري 189/2 وشذرات الذهب 23/1 ووفيات الاميان 136/3 والاعلام 72/3 . وانباء الرواة برقم 919 والبداية والنهاية 112/10 وتاريخ ابن الاثير 38/5 وتاريخ أبي الفدا 6/2 وتاريخ التهذيب 454/2 وتهذيب الاسماء واللغات 262/1 وتهذيب التهذيب 178/12 وخلاصة تذهيب الكمال 374 والفريعة 318/1 وروضات الجنات 298 والمعبر للذهبي 223/1 واللباب 217/3 ومراتب النحويين 13 — 20 والمعارف 531 ونور القبس 25 والنجوم الزاهرة 22/2 . وانظر قول أبي عمرو هذا في لسان العرب مادة (شمت) 209/9 .

(11) العرب تقول : اطرتي ومبشي ، لن يتفنن في كلامه .

وهو خطيب مصقع ، ومسهب ، وخاطب سلاق ، ورجل سفاح ، اذا كان قادرا على الكلام . قال الشاعر :

وقد ينطق الشعر الغبي ويلتوى على البين السفاح وهو خطيب (12)

ويقال : هو فصيح صنع ، وهو أعضب لسانا ، وأعذب بيانا ، وأبل ريقا ، وأرق حاشية ، وأنصح لهجة ، وأشد عارضة ، وأصح قريحة ، وأحصف عقدة ، وأحسن سياقة ، وألبق اشارة ، وأبدع حجة ، وأنه لكما قال الشاعر :

تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزو (13)

وان كلامه لصريح ، وان لسانه لفصيح ، وكان بيانه لأولؤ منثور ، وروض مطور .

باب متخير الفاظهم في وصف الكلام الحسن

تقول الشعراء : توشى بكلام يشفى من الجوى . ويقولون : تنزرت سقاط حديثها . ويقولون : هو قول يحل المعصم سهل الاباطح (14) . وكان

12) ورد البيت في اللسان 216/16 من غير عزو وروايته فيه : وانشد شعر :

قد ينطق الشعر الغبي ويلتوى على البين السفاح وهو خطيب

قوله : يلتوى : اي يبطىء ، من اللاي وهو الابطاء .

13) البيت لابن أحمر ، انظر البيان والتبيين 1/276 و 2/172 . وابن أحمر هو مبرو ابن أحمر بن العمرد الباهلي شاعر مخضرم ، أسلم واشترك في المغازي وتوطن الشام وتولى في خلافة عثمان . انظر ترجمته في : الخزائن 3/38 والمؤلف 44 والاصابة 6460 وامالي ابن الشجري 1/137 والاغاني (الثقات) 8/232 والشعر والشعراء 1/273 وطبقات ابن سلام 485 والسيوطي 307 ومعجم المرزباني 24 وتبصير المنتبه 1070 وشرح ادب الكاتب للجواليقي .

14) العبارة قسيم بيت متدافع نسبته بعض المصادر لكثير عزة ، ونسبته مصادر اخرى لمجنون بني عامر قيس بن الملوح . فهو في ديوان كثير 1/108 وروايته : وادنيثني حتى اذا ما ملكتني بقول يحل المعصم سهل الاباطح

وهو لكثير في المراجع التالية : امالي الغالي 2/228 ومعجم شعراء المرزباني 243 وهامسة أبي تمام بشرح التبريزي 3/259 وثمار القلوب 111 . والمختار من شعر بشار 34 ، وخاص الغامض 107 ، والعمدة 2/116 والراغب 2/33 ، والاشباه والنظائر 1/202 .

والبيت للمجنون في ديوانه ص 67 وهو له في المراجع التالية : الاغاني (طبعة دار الثقافة) 2/75 وزهر الآداب 1/567 والشعر والشعراء 475 وهيون الاخبار 3/78 و 4/139 ، والمعد الفريد 5/378 ، والزهرة ص 47 .

والبيت من غير عزو في اصداد الانباري 205 . ((هذا الشعر لمجنون بني عامر وقد توهم البكري ان قال في التنبية ص 118 : « هذا الشعر لمجنون بني عامر لا لكثير ولا أعلم أحدا رواه له ولا وقع له في ديوانه » . والصواب ان هذا الشعر مختلف في نسبته بالتفصيل الذي أوردناه ، وانظر الآلي 850 .

زياد يقول : لحديث اسمعه من عاقل أحب الى من سلافة قتلت بماء ثغب في يوم ذى وديقة ترمض فيه الاجال (15) . ويقولون : كلام لو (6 ب) دعى به عاقل الاروى (16) تنزل ، وتكلم بكلام كأنه القطر يعنون استواء موحسنه . ويقولون : كلام يشبع الجائع وينفع الظمان ؟ فيقول شاعرهم :

توشيت بقول كاد يشفى من الجوى تلم به أكبادننا ان تصدعا
كما استكرع الصادى وقائع مزنة ركاك (17) تولى صوبها حين وقعا

وقال بعض الهذليين (18) : كلام مثل الحبير المسلسل . ومما يصلح ذكره في هذا قول النابغة (19) :

تضبا من الريحان غلسه الندى مالت جناجه واسفله ندى

ويقولون للنساء اذا تحدثن : بيض يرامتن الحديث ، وذلك اذا ساقطن منه القليل فالقليل . والرماق : الشيء القليل . ومن ألفاظ الشعراء قوله : ارتمينا بقول بيننا دول ، أى جعلنا نتداوله . ويقال : ما زال يرمى بهم منذ اليوم شعب الحوار . ويقولون : مختزن من الحديث . وله الفاظ موزنة ،

(15) الثغب : بقية الماء العذب في الارض ، او الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه .

الوديقة : شدة الحر .

ترمض : تحترق قدماء من شدة الحر

الاجال : قطيع الظباء أو بقرة الوحش .

وانظر بعض هذا الحديث في اللسان مادة (ثغب) 232/1 مع اختلاف في الرواية

(16) الاروى : جمع اروية وهي اثنى الوعل .

(17) ركاك : جمع رك وهو المطر الضميف .

(18) هو امية بن ابي مائذ الهذلي من شعراء الدولة الاموية . انظر ترجمته في الاصابة 177/1 والخزانة 417/1 والشعر والشعراء 558/2 والافاني (طبعة بولاق) 115/20 .

ومبارته هذه تسيم بيت له روايته في ديوان الهذليين 193/2 :

تحدثت ليلي فامتدح أم نافع بمعاينة مثل الحبير المسلسل

(19) هو زياد بن معاوية النيباني (ت نحو 18 ق هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الجهمي 46 والشعر والشعراء 92/1 والافاني (بولاق) 162/9 ومعاينة التنصيص 333/1 ونهاية الارب 62/3 وخزانة البغدادي 287/1 و 427 ثم 96/4 وتهذيب ابن عساکر 424/5 وشرح شواهد الغني 29 وبروكلمان 88/1 والاعلام 92/3 . ولا وجود لهذا البيت في ديوان النابغة — صنعة الدكتور شكري فيصل . والجناح : مقام الصدر وقيل رؤوس الاضلاع ، وانظر اللسان 254/16 .

ومعان غضة ، كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفر » (20) . وقال :
إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من سلك ناظم (21)

باب في ذكر الكلام الرديء والمعنى (22)

يقال منطق عيال ، وهو الذى ليس على جهته . ويقال ليس لكلامه
ضحى ، أى ليس له بيان (23) . وقال الباهلى : سمعت أبا تمام

(20) هذا قسم بيت أنشده ابن الأعرابي ، والبيت بتمامه :

له في ذوي الخلات معنى كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفر
وتبله :

إذا ما أتاه السائلون توتدت عليه مصابيح الطلحة والبشر

راجع التشبيهات : ابن أبي عون ص 401

والشطر أيضا قسم بيت لأبي الأسد نباته بن عبد الله الحماني ، وكان منقطعا
إلى الفيض بن صالح وزير المهدي ومعه يقول :

مواقع جود الفيض في كل بلدة مواقع ماء المزن في البلد القفر

انظر البصائر والذخائر المجلد الثالث قسم 1 ص 287 والأغاني 134/14 وأبو
الأسد شاعر عباسي توفي سنة (220 هـ) وانظر ترجمته في : الأغاني 131/14
والوزراء والكتاب 164 .

(21) البيت لأبي حية النميري ، انظر : أمالي القاضي 281/2 وروايته : سقاط وهو
في أمالي المرتضى 443/1 وروايته : الحديث حسبته ، وقال المرتضى في أماليه
معقبا : « ويروى ساقطن الأحاديث للفتى . ويروى أيضا : ساقطن الحديث
كانه » . والبيت في الكامل 72/1 :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

والبيت في الزهرة ص 11 من غير عزو وروايته كرواية المتخير .
والبيت لأبي حية في الأشباه والنظائر للخالدين 203/1 — 204 وروايته مماثلة
لرواية الكامل . وهو له في الحماسة البصرية 86/2 وفي الصناعتين 156 وفي
زهر الآداب 15/1 . ونسب للبحثري خطأ في ديوان المعاني للمسكري 238/1 .

(22) راجع باب المعنى في الألفاظ الكتابية 186 وباب في الفهامة ولكن والمعز من
الحجة : جواهر الألفاظ 223 وباب المعنى والفهامة 313 : جواهر الألفاظ .

(23) انظر العبارة في المنتخب من كنيات الأدباء للجرجاني 145 .

الشاعر (24) يقول لرجل تكلم فأساء : لئلا كلامك رزق الصمت المحبة ، ثم التفت الى فقال : أنا أبدعت هذه . ويقال : هو عى اللسان ، فدم ، ألوث ، وفي كلامه حكمة ، أى عجمة . وقد رتج في منطقته رتجا ، وأرتج عليه ، اذا استغلق عليه الكلام ، وأصله من ارتجت الباب أى أغلقته . ويقال : هو عى ألف (25) . ويقولون : ليس ينطق حتى ينطق الحجر .

باب الهذر والإكثار (26)

يقال : أهذر في منطقته اهذارا ، ورجل ثرثار كثير الجلبة . ويقال : قد افترش لسانه ، اذا تكلم بما شاء . ويقولون : من أكثر أهجر . و (المكثار حاطب ليل) (27) ، والهراء : المنطق الفاسد ، والخطأ مثله . قال ذو الرمة (28) .

(24) ورد في كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ص 253 ما نصه : « حدثنا أبو تمام قال ، حدثنا كرامة قال : تكلم رجل في مجلس المهيم بن صالح مهذر ولم يصب ، فقال : يا هذا ، بكلام أمثالك رزق الصمت المحبة » . وانظر ترجمة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت 231 هـ) في : وفيات الأعيان 334/1 ومعاهد التنصيص 38/1 وخزانة الأدب للبغدادي 172/1 و 464 وشذرات الذهب 72/2 وتاريخ بغداد 248/8 والذريعة 314/1 ودائرة المعارف الإسلامية 320/1 والأعلام 170/2 والأغاني (طبعة الساسي) 96/15 والبداية والنهاية 299/1 وتاريخ أبي الفدا 38/2 وتنقيح المقال 251/1 والرجال للنجاشي 102 وشرح العميون 324 وطبقات ابن المعتز 382 والمعبر 411/1 وكشف الظنون 691 ، 770 ، 1241 . ومرآة الجنان 102/2 ومعجم المؤلفين 183/3 ومفتاح السعادة 191/1 والنجوم الزاهرة 216/2 وأعيان الشيعة ج 19 والعمدة 130/1 - 133 والتهرست 165/1 ومروج الذهب 151/7 والموازنة بين أبي تمام والبحتري للأدهي والموشح 464 - 505 ومنتهى المقال 86 .

(25) وهو المعنى الذي اذا تكلم ملا لسانه فيه .
(26) راجع في الألفاظ الكتابية باب الإمراط في الكلام 186 وفي جواهر الألفاظ باب الإمراط والمبالغة 428 .
(27) انظر المثل في جبهة الأمثال 228/2 والفاخر 264 ومصل المقال 24 والميداني 172/2 والمستقصى 140 واللسان مادة (حطب) .
(28) هو غيلان بن عقبة (ت 117 هـ) . انظر ترجمته في : طبقات الجبحي 465 والشعر والشعراء 437/2 والأغاني 106/16 والموشح 170 وابن خلكان 404/1 والنسب 81 وشرح شواهد الغني 52 والخزانة 50(1) والميني 412/1 وبروكلمان 220/1 ومعاهد التنصيص 260/3 والشريشي 53/2 وجبهة أشعار العرب 931 وتزيين الاسواق 88/1 ودائرة المعارف الإسلامية 392/9 والأعلام 320/5 . ورواية البيت في ديوان ذي الرمة ص 212 : لها بشر مثل الحرير ومنطق دقيق الحواشي لأهراء ولا تزر وفي المخصص 126/2 وفي أمالي الغالي 154/1 : رخم الحواشي وهو كذلك في أفساد أبي الطيب اللغوي 74/1 . وفي البيان والقبين 276/1 : رقبتي الحواشي . والبيت أيضا في اصلاح المنطق 156 والاساس مادة (هرا) واللسان مادة (هرا) ومادة (نزر) ، والآلي 407 - 408 وأفساد ابن التباري 242 وأمالي المرتضى 63/1 وأمالي الشجري 78/2 والمقاييس 49/6 وشروح سقط الزند 394/1 .

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيخ الحواشى لا هراء ولا نزر

باب فى اللحن والفحوى

تقول العرب : عرفت ذلك فى فحوى كلامه ، وفى لحن كلامه ، وعروض كلامه . قال قطرب ، يقال : عرفت فى معراض قوله ، ومعنى كلامه . حويل قوله ، أى ما حاول . ويقال : أحال عليه بالكلام اذا أقبل . وأحال عليه بالسوط أقبل . ويقال : ليس لكلامه طلع غير هذا ، أى وجه . وكذلك مطلع . ويقال مدحه مدحة مستنيرة .

باب آخر

الخلف : الردىء من القول . يقال (سكت ألفا ونطق خلفا) (29) . والقول الخامل : الخفيض . وفى الحديث : (اذكروا الله ذكرا خاملا) (30) أى خفيضا . ويقال : خاوضه الحديث : جراه وتخاوضا المسألة . وتكلم بكلمة طخياء ، أى أعجميه . وهو يرمى بيده عزمة وحردة ، اذا لم يبال ما قال . وهو يتلغم بذكر فلان ، أى يذكره . قال ابن الاعرابى (31) ، قلت لاعرابى : متى الرحيل ؟ قال تلغموا بالسبت . ويقال فى المدح خطيب معن ، اذا اشتد نظره ، وابتل ريقه ، ولم يعيه شىء . وفلان مجهر . ورمى بالكلام

- (29) يضرب مثلا لمن يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطأ . انظر المثل فى جبهة الامثال 509/1 وفصل المقال 48 والميداني 223/1 والمستقصى 226 واللسان مادة (خلف) واصلاح المنطق ص 66 و 12 ونصيح ثعلب 69 ونظام الغريب 33 . والناظر 269 وروايته للمثل : « صمت ألفا ونطق خلفا » .
- (30) جزء من حديث تمامة قيل : وما الذكر الخامل ؟ قال : الذكر الخفي . رواه ابن المبارك فى كتاب الزهد والرقائق (رقم الحديث 155 ص 50) من حنزة بن حبيب مرسلا . واورده السيوطى فى الجامع الصغير 37/1 ورمز له بالضمف . وهو فى النهاية فى غريب الحديث والاثار 81/2 .
- (31) هو أبو عبد الله محمد بن زياد (ت 231 هـ) . انظر ترجمته فى : وفيات الاعيان 492/1 وتاريخ بغداد 282/5 والوافى بالوفيات 79/3 ونزهة الالباء 150 وطبقات النحويين واللغويين 213 والفهرست لابن النديم 69 والاعلام 365/6 وانباء الرواة 128/3 والبداية والنهاية 307/10 وبغية الوعاة 105/1 وتاريخ ابن الاثير 275/5 وتاريخ الفدا 36/2 وتلخيص ابن مكتوم 209 و 210 . وتهذيب الاسماء واللغات 265/2 وروضات الجنات 596 وشذرات الذهب 70/2 وطبقات ابن قاضي شهبة الورقتان 24 و 25 والعبر 405/1 وميوسن التواريخ (وفيات 231 هـ) ومراتب النحويين 149 ومرآة الجنان 106/2 والمزهر 411/2 ومسالك الابصار ج 2 م 230 و 231 والمعارف 546 ومعجم الادباء 189/18 ومعجم المؤلفين 11/10 ونور القيس 302 ومقدمة الازهرى 58 و 59 والنجوم الزاهرة 264/2 وهدية العارفين 12/2 وكشف الظنون وايضاح المكتون فى مواضع متعددة . وانظر نص العبارة فى اللسان مادة (لغم) 18/16 .

على عواهنه ، أى على ما خيلت . ويقولون : لو كان عند فلان عقب تتكلم ، أى لو كان عنده جواب . أبو زيد (32) ، يقال : كلمنى فلان فما أرجعت له قولا ، أى ما أجبته بكلمة . قال أبو عمرو بن العلاء : العناج في القول : أن تكون للسان حصة فيتكلم بعلم ونظر .

باب في السر والاختبار ببعض الحديث (33)

يقال بينهم مهامسة ، وسمعت رسا (34) من الخبر وفروا . والفرو : المشافهة ببعض الخبر . وفي كلامه شكلة ، أى اشتباه . وكيميت (35) الشهادة . وخمر على الخبر ، أى خفى . ويقال للرجل يريد استئذالك عن السر : تستطنى فاخلفت ظنه . ورجل جهره لا يكتهم سرا . وإذا مدحوه قالوا : شحيح بنث السر سمح بغيره (36) . وقالوا : كريم يميت السر (37)

(32) هو سعيد بن أوس الأنصاري البصري (ت 215 هـ) . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان 207/1 وأخبار النحويين البصريين 41 وتاريخ بغداد 77/9 ونزهة الألباء 125 وأنباء الرواة 30/2 والأعلام 144/3 والبداية والنهاية 269/10 وبغية الوعاة 582/1 وتاريخ ابن الأثير 220/5 وتاريخ أبي الفدا 30/2 وتقريب التهذيب 291/1 وتهذيب الأسماء واللغات 235/2 وتهذيب التهذيب 3/4 وجهرة الأنساب لابن خزم 373 وخلاصة تذهيب الكمال 115 وروضة الجنات 312 وشذرات الذهب 34/2 وطبقات الزبيدي 182 وطبقات ابن قاضي شبيه الورقتان 149 و 150 وطبقات القراء 305/1 والمعر 367/1 وميون التواريخ (وفيات 215) والفهرست 54 و 55 و امرأة الجنان 58/2 ومراتب النحويين 42 والمزهر 402/2 و 419 و 461 ومسالك الأبصار ج 2 و 224/2 و 225 والمعارف 545 ومعجم الأدياء 212/11 ومعجم المطبوعات 312 ومعجم المؤلفين 220/4 ونور القيس 104 وميزان الاعتدال 126/2 والنجوم الزاهرة 210/2 وكشف الظنون وإيضاح المكنون في مواضع متعددة .

(33) راجع باب كتاب السر وباب اذاعة السر وباب اكتشاف السر في اللسان الكتابية ص 211 - 213 .

(34) رس الحديث : ابتدأه

(35) كيميت : كتمت

(36) النث : نشر ما كان كتماناه أوجب .

وهو صدر بيت لكثير بن عبد الرحمن الخزاعي في ديوانه 31/1 ورواية البيت نفسه :

ضنين ببذل السر سمح بغيره أخو ثقة مف الوصال سميدع

(37) تسيم بيت لكثير الخزاعي ونصه :

كريم يميت السر حتى كائنسه إذا استبحثوه من حديثك جاهله
انظر ديوانه 259(1) وأمالى الغالى 5/2 وزهر الآداب 953(2) وهو أيضا تسيم بيت للأحوص الأنصاري في ديوانه صنعة الدكتور إبراهيم السامرائي ص 80 وروايته فيه :

كريم يميت السر حتى كانه عم بنواهي امرها وهو خابر
والبيت في محاضرات الراغب 126/1 وفي الزهرة 237 وفي مجموعة المعاني 128 وانظر ترجمة الأحوص وهو عبد الله بن محمد الأنصاري (ت 105 هـ) في : الأغاني (طبعة دار الكتب) 224/4 وشرح الشواهد 260 والشعر والشعراء 204 وخزانة الأدب للبغدادى 232/1 والموشح 231 والذريعة 319/1 وطبقات ابن سلام 137 وكنى الشعراء 290 وتاريخ الإسلام 91/4 وميون التواريخ 237/3 ومصارع المشاق 419 ومهرست ابن خير الاشبيلي 397 والأعلام 257/4 وفي مقدمة ديوانه .

ويقال لمن يؤمر بالكتمان : اجعل هذا في وعاء غير سرب (38) . قال :
« واكنم السر فيه ضربة العنق » (39) . قال الضبي (40) : جمهور فلان
الخبر كناه ولم يحضك حقه ، وهذا خبر جمهور أى لا يدل منه على
جهة (41) .

(38) في الاصلين : سرب (بكسر السين وسكون الراء) .

(39) مجز بيت لابي محجن الثقفي في ديوانه — طبعة المنجد ص 19 وروايته فيه :

واكشف المازق المكروب غمته واكنم السر فيه ضربة العنق

قال ابو هلال العسكري شارح الديوان : « ويروى : المخشي غمته » .
واختلف في رواية صدر البيت . ففي الشعر والشعراء ص 337 : « قد اركب
الهول مسدولا مساكره » ورواية عيون الاخبار 38/1 وخرانسة الادب 555
مماثلتان لرواية الشعر والشعراء .
ورواية الاتباع والمزاوجة ص 56 : وقد اجود و (ما) مالي بذى فنع
ورواية الوحشيات 169 واللسان مادة (منع) مماثلتان لرواية الاتباع
والمزاوجة . ورواية تهذيب الالفاظ ص 10 : وقد اجود وما مالي بذى فنع
ورواية الاغاني 142/21 :

واطمن الطمعة النجلاء عن عرض . واحفظ السر فيه ضربة العنق

ورواية الاستيعاب مماثلة لرواية الاغاني . وانظر بهجة المجالس 462/1
وزواية الحيوان 182/5 والمخصص 280/12 مماثلتان لرواية الاتباع
والمزاوجة وانظر البيت في الفصول والغايات ص 465 . ورواية المقد الفريد
67/1 « قد اطمن الطمعة النجلاء عن عرض » . ورواية الصدر في البصائر
والذخائر المجلد الثاني — القسم الثاني ص 312 : « واكشف المأقط المكروه
غمته » . والمأقط : موضع القتال أو المضيق في الحرب . ورواية الصدر في جمع
الجواهر في الملح والنوادر ص 84 : « واطمن الطمعة النجلاء عن عرض »
والمعجز ايضا في الهوامل والشوامل للتوحيدي ص 19 .
وقد طبع ديوان ابي محجن في لندن والقاهرة والهند وبيروت . وانظر ترجمة ابي
محجن الثقفي (ت 30 هـ) في : الاغاني 137/21 والخزانة 550/3 والميني
381/4 وطبقات ابن سلام 225 والمؤلف 95 والاصابة 170/7 والشعر
والشعراء 337 وتجرید الاغاني — ابن واصل — القسم الثاني من الجزء الثاني
ص 1982 — 1987 ، والحيوان 303/6 . وفتوح البلدان للبلاذري — طبعة
المنجد 308/1 و 316 — 319 والطبري 548/3 (طبعة دار المعارف) ومروج
الذهب للمسعودي 323/2 (طبعة محمد محي الدين عبد الحميد) .

(40) المفصل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178 هـ) . انظر ترجمته في : ارشاد
الاربيب 171/7 وبهرست ابن النديم 68 وغاية النهاية 307/2 وميزان الاعتدال
195/3 ولسان الميزان 81/6 ونزهة الالباء 56 واللباب 71/2 ومراتب النحويين
71 وتاريخ بغداد 121/13 والنجوم الزاهرة 69/2 وانباء السرواة 304/3
والاعلام 204/8 وبغية الوعاة 297/2 وتاريخ الاسلام للذهبي (وفیات 168)
وطبقات الزبيدي 210 وطبقات ابن قاضي شهاب الورقة 257 والزهر 405/2
والمعارف 545 ومعجم المطبوعات 1771 ومعجم المؤلفين 316/12 ونور القبس
272 وهدية العارفين 468/2 وايضاح المكنون 271/2 و 506 و 530 .

(41) قال الكسائي : اذا اخبرت صاحبك بطرف من الخبر وكتبت الذي تريد قلت :
جمهورت عليه . انظر المجلد لابن فارس ص 181 .

باب في النميمة (42)

يقال : نم ونمل ومذل بالامر : باح به . وفلان مشاء ، أى يمشى بين الناس بالنميمة ، ويوقد بين الناس بالخطر الرطب (43) ، كناية عن النميمة .

باب المدح (44)

يقال : مدحه ، وأثنى عليه ، وقرضه ، وأطراه ، ومجده . وان فلانا وفلانا ليتقارضان الثناء ، اذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه . وقال ابن السكيت (45) : نلان يخم ثياب فلان ، اذا كان يثنى عليه (46) .

باب في الوقية وسوء القول والشتيم (47)

يقال : شتمه ، وذأمه ، وجدبه ، وثلبه ، ولحاه يلحاه . ويقال : شترت بالرجل ، وسمعت به ، وشردت به . قال :

(42) راجع باب النميمة ص 121 : جواهر الالفاظ .

(43) الحظر : الشجر المحظر به ، أى المحتجب به . واصل المثل : « أوقد في الحظر الرطب » أى نم . ويقال : « جاء بالحظر الرطب » أى بالكذب المستحسن أو بالكثير من المال . ويقال : « وقع فلان في الحظر الرطب » اذا وقع فيما لا طاعة له به .

وانظر المعانيص 81/2 وتهذيب الالفاظ 11 و 94 واللسان مادة (حظر) والتاج (حظر) . وفي الخصص 87/3 : جاء بالخضر الرطب وهو تصحيف . وانظر المثل في جمهرة الامثال 314/1 والمبدائي 179/1 رقم المثل 962 والكتايب ص 8

(44) راجع باب المدح والثناء في تهذيب الالفاظ 439 وباب المدح في الالفاظ الكتابية 22 وباب المدح في جواهر الالفاظ 45 .

(45) هو يعقوب بن اسحاق (ت 244 هـ) . انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم 72 ووفيات الاميان 309/2 ونزهة الالباء 178 والفلاكة والملوكون 136 وهديّة المعارفين 536/2 والاعلام 255 والبداية والنهاية 346/10 وبغية الوعاة 349/2 وتاريخ ابن الاثير 200/5 وتاريخ بغداد 273/14 وتاريخ ابي الفدا 40/2 وتنفيع المقال 329/3 ودائرة المعارف الاسلامية 200/1 والرجال للنجاشي 312 وروقات الحنات 745 وشذرات الذهب 106/2 وطبقات الزبيدي 221 والمعبر 443/1 ومراة الجنان 147/2 ومراتب النحويين 95 والمزهر 412/2 ومعجم الادباء 50/20 - 52 ومعجم المطبوعات 9/1 ومعجم المؤلفين 243/13 ونور القيس 319 ومنتهى المقال 332 والنجوم الزاهرة 317/2 وتلخيص ابن مكتوم 277 .

(46) انظر تهذيب الالفاظ 441 .

(47) راجع باب الثلب والطعن في الالفاظ الكتابية 20 وباب رمك الصموت بالوقية في الرجل والشتيم له : تهذيب الالفاظ 263 وباب الطعن على الرجل 265 منه . وباب الثلب والملاحاة 42 : جواهر الالفاظ .

أطوف في الأباطح كل يوم . مخافة أن يشرد بن حكيم (48)

وفي الأمثال : (شتمك من بلغك) (49) . وفي هذا المعنى قول القائل :

وما حل (50) حط قدرا من نفسه لم يصنه
أراد نقص أخ لسي بما يبلغ عنه
فكان ما سمعته مسامعي منه منه

ويقال : نددت به ، إذا سمعته القبيح . قال ابن السكيت ، يقال : هو ينمي عليه ذنوبه ، أي يذكره بها (51) . وقد تفاه بأمر عظيم ، إذا قدّمه ، يقفوه . وقد اتذع له ، إذا سمعه كلاما قبيحا . ويقع فلان بقبيح ، ومقع أيضا ، ويقع بسوء . وقد أفحش فلان أفحشا ، وأهجر أهجرا ، أي قال قبيحا ، قال :

كما جده الأعراق قال ابن خضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا (52)

وقال فلان هجرا وبجرا ، إذا قال قبيحا . ويقال : ما في حسب فلان

(48) البيت في اللسان مادة (شرد) 223/4 من غير مزو وفيه : في الأباطح :

بالأباطح . وشرد به : أي سمع بميوه . وحكيم رجل من بني سليم كانت تريض ولته الأخذ على أيدي السفهاء . والراء في الأصلين مفتوحة : يشرد .

(49) في جوهرة الأمثال 277/2 ما نصه : من سبك ؟ قال : من بلغك وفي هذا المعنى

جاء في مجمع الأمثال للميداني 314/2 رقم المثل 4087 ما نصه « من سبك ؟ قال : من بلغني . أي الذي بلغك ما تكره هو الذي قاله لك ، لأنه لو سكت لم تعلم » .

(50) الماحل : الذي يكيد بسعاية .

(51) انظر تهذيب الألفاظ ص 264 .

(52) البيت للشماخ بن غرار الذيباني ، انظر ديوان الشماخ — تحقيق صلاح الدين الهادي — ذخائر العرب 42 — دار المعارف بمصر ص 135 ، ورواية البيت فيه :

مجدة الأعراق قال ابن خضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا

ورواية أمالي المرتضى 556/1 تماثلها .

والرواية (كما جده الأعراق) في : فصل المقاتل 24 والصباح 851/2 ومتايس اللغة 35/6 وشرح نهج البلاغة ومفردات الراغب 537 واللسان مادة (هجر) 114/7 وتام مصباح الكلام — طبعة بغداد ص 19 .

وانظر ترجمة الشماخ (ت 22 هـ) في : الأغاني (ساسي) 97/8 والموشح 67 وطبقات ابن سلام 110 والمؤلف 138 والشعر والشعراء 232/1 والسبط 58 والخزانة 526/1 والاصابة رقم الترجمة 3913 والمحبر 381 والكمال للمبرد 28/2 ومعجم المطبوعات 1141 ورغبة الأمل 94/2 والتبريزي 65/3 و 133/4 والأعلام 252/3 .

قرامة ولا وسم ، وهو العيب . وفي كلامهم : فتمته أذيمة ذيبا . وفي الامثال :
(لا تعدم الحسنة ذاما) (53) ويقال : ذمه ذما ، وقصبه قصبا ، وجذبه
جذبا . وجاء في الحديث (54) : جذب لنا السمير بعد عتمة (أى عابه . قال
ذو الرمة : (55)

فياك من خد أسيل ومنطق رخييم ومن خلق تملك جادبه
أى عائبه . وقد سببه ، ورماه بها جرات . وقد تعنى فلان بفلان ، اذا
هجاه ورماه بمنديات (56) . ويقال رماه بكلام كنكر (57) الاسود .

باب دعاء الرجل لصاحبه بالخير (58)

يقال : « نعم عوفك » (59) ، أى حالك . ويقال للمتزوج : « بالرفاء
والبنين » (60) ، من رفأت الثوب ، كأنه قال : بالاجتماع والالتئام . ويقال
لمن رمى فأجاد : لا تنسل عسرك . ويقال : لا ثللا ولا عمی (61) . ولمن
تكلم فأجاد : لا يفض الله فاك ، أى لا جعله الله فضاء لا سن فيه . ويقولون :
« آهلك الله فى الجنة » (62) . ويقولون : أبل جديدا وتمل حبيبا ، أى ليطل

(53) معناه : لا يخلو أحد من شيء يعاب به . انظر المثل فى : جبهة الامثال 398/2
والفاخر 155 والميداني 109/2 وفصل المقال 39 واللسان (ذيم) والصاح
1926/5 .

(54) « جذب الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من السمير بعد صلاة العتمة »
رواه أبو داود الطيالسي فى مسنده من عبد الله بن مسعود (منحة المعبود
73/1) ورواه ابن ماجة بنفس السند بلفظ : جذب لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم السمير بعد العشاء ، يعنى زجرنا . (انظر سنن ابن ماجة 230/1
رقم الحديث 703) . قال البوصيري : هذا اسناد رجاله ثقات ولا أعلم له علة
الا ان عطاء بن السائب اختلط بأخوه (مصباح الرجاجة — مخطوط ورقة
44 — ب) . والحديث فى النهاية 243/1 .

وجاء الحديث فى تهذيب الالفاظ 266 بلفظ : « جذب لنا سمير السمير بعد عتمة
أى عابه .

(55) ورد البيت فى ديوان ذى الرمة ص 43 بدون اختلاف فى الرواية . وهو فى مجالس
تعليق 33 وفى المجلد 145 وإمالي الغالي 163/3 والمقاييس 435/1 واللسان
مادة (جذب) .

(56) المنديسات : المخزيسات .

(57) النكر : النهش ، والطمع بالانف .

(58) راجع باب الدعاء للانسان — تهذيب الالفاظ . 580 وباب الدعاء بالخير
الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بدوام النعمة 170 وفى جواهر الالفاظ راجع
باب الدعاء بدوام النعمة وطول أمدما 316 .

(59) راجع تهذيب الالفاظ 580 والميداني 332/2 رقم المثل 4194 .

(60) انظر المثل فى : جبهة الامثال 206/1 وفصل المقال 77 والميداني 66/1
وتهذيب الالفاظ 580 والالفاظ الكتابية 171 والمقاييس 420/2 واصلاح المنطق
153 والفاخر 13 والمستقصى 182 واللسان مادة (رما) والاستغنى 488 .

(61) راجع : اصلاح المنطق 200 وتهذيب الالفاظ 582 .

(62) ورد فى تهذيب الالفاظ 582 : يقال : آهلك الله فى الجنة ايها ، أى زوجك الله
فيها وأدخلها . وفى المقاييس 151/1 : معناه : زوجك فيها .

عمر ك. معه (63). ويقولون : ان فلانا لكريم ولا تقتل من بعده ، أى لا اياته الله فيثني عليه بذلك بعد موته (64). ويقولون : مرجبا وأهلا ، ولا آب شائنة ، أى لا زجع . وتقول للرجل يرشدك : لا يعم عليك الرشد (65).

باب الدعاء بالشر (66)

يقال : ماله آم وعام ا أى هلكت ماشيته وامراته فيثيم ويشتهى اللب . ماله قطع (67) الله مطاه (68). ويقال : ما له جرب وحرب ا جرب من الجرب ، وحرب ذهب ماله . ويقال : ماله ال وغل ا أل طعن بالالة (69)، وغل بالغل . ويقال : غل من الغليل وهو العطش (70). ويقال : ماله ذبل ذبله ا من ذبول الشيء ، أى ذبل لحمه وجسمه . وماله قل حيسه (71) ا أى خيره . وما له يدى من يده ا أى شلت يده . وما له شل عشره ا . وما له هبلته الرعبل ا أى أمه الحقاء (72). قال ، وسمعت الكلابى (73) يقول : ما له أرقا الله به الدم ا أى ساق اليه قوما يطلبون قومه بقتيل ، فيقتلونهم حتى يرقا (74) به دم غيره . ويقال : قطع الله به السبب ، أى سبب الحياة . وسمعت أعرابيا يقول لآخر : جعل الله رزتك فوت فمك ، أى تنظر اليه فربما (75) يفوت فمك ولا تقدر عليه . ويقال : الحق الله بك الحوبة ، وهى

- (63) انظر تهذيب الالفاظ 582 .
(64) انظر تهذيب الالفاظ 583 .
(65) هكذا فى الأصل ، مع اضافة لفظة (معا) ، اشارة الى جواز القرامتين .
(66) راجع باب الدعاء بالشر فى الالفاظ الكتابية 171 وباب الدعاء بالشر فى جوهر الالفاظ 391 وباب الدعاء على الانسان بالبلاء والامر العظيم فى تهذيب الالفاظ 570 - 579 .
(67) فى الأصل : (مطو) . والتصويب من تهذيب الالفاظ 571 .
(68) مطاة : أى ظهره . والمطا ايضا : الوثن والمصاحب .
(69) الاله : الحربة .
(70) ورد فى اللسان مادة (غل) 17/14 ما نصه : « وتولها ما له ال دفع فى قضاء ، وغل جن موضع فى منقه الغل » . وانظر المقاييس 19/1 والاصلاح ص 20 .
(71) الحيس : عجينة من خلط التمر والسمن والاقط ، وفى تهذيب الالفاظ 572 : خيسه (بالخاء المعجمة) : أى خيره .
(72) انظر تهذيب الالفاظ 572 .
(73) ابو زياد الكلابى ، واسمه يزيد بن الحر ، ترجم له القفطى فى انباء الرواة برقم 911 ، وقال : « أعرابى بدوي . قال دعبل : قدم ابو زياد من البادية أيام المهدي حين أصابت الناس مجاعة ، ونزل بغداد فى قطيعة العباس بن محمد ، وأقام بها أربعين سنة ، وبها مات » ومن مؤلفاته كتاب النوادر والفرق والأبل وخلق الانسان .
وانظر ترجمته ايضا فى فهرست ابن النديم ص 44 وتاريخ بغداد 398/14 .
(74) فى تهذيب الالفاظ 572 : حتى يرقى الله به .
(75) فى الأصل قرب ما ، وفى تهذيب الالفاظ : قرب ما ، وفى نسخة خطية من تهذيب الالفاظ : قدر ما .

المسكنة والحاجة (76). ويقال : امدى الله شواره ، وهي مذاكيره (77). ويقولون : ان كنت كاذبا فشربت غبوقا باردا ، أى لا كان لك لبن حتى تجوع الى شرب الماء القراح (78). ويقال : عليه العفاء ، أى محا الله أثره. ويقال : « عليه العفاء والكلب المواء » (79). ويقولون : لمن يفارق وفرائه محبوب ، أبعد الله ، وأسحقه ، وأوقد نارا أثره يتقاءلون ان لا يرجع اليهم (80). ويقال : ما له تربت يداه ، اذا دعى عليه بالفقر . والمتربة : الفقر (81). ويقال : ما له هوت أمه (82) ! وما له سباه الله ! أى غربه ، ويقال جاء السيل بعود سبى اذا احتمله من بلد الى بلد (83) ويقال : بنيه البرى (84) أى التراب . وبفنية الاثلب (85). ويقال لمن وقع في بليّة ومكروه وشمت به : لليدين وللهم (86) ، و « به لا بظى بالصريمّة أعفر » (87) وما له سحته الله أى استأصله . ويقال : رماه الله بليلة لا أخت

76 انظر تهذيب الالفاظ 574 .

77 جاء في اصلاح المنطق ص 165 « والشوار : مرج الرجل . ويقال : ابدى الله شوارك ومنه قيل شور به . أي كانه ابدى مورته » . وجاء في تهذيب الالفاظ ص 574 : ابدى الله شواره ، أي مورته .

78 انظر تهذيب الالفاظ 574 .

79 انظر المثل في تهذيب الالفاظ 574 . ورواية المثل في الميداني 39/2 رقم المثل 2572 : « عليه العفاء ، والذئب المواء » . العفاء : التراب والهلاك . والمواء : الكثير المواء .

80 انظر تهذيب الالفاظ 574 — 575 .

81 انظر تهذيب الالفاظ 575 .

82 في تهذيب الالفاظ 575 : ما له صوت أمه : أي نكلته أمه .

83 انظر تهذيب الالفاظ ص 576 .

84 في الاصل : البرا . وانظر تهذيب الالفاظ 576 . وانظر المثل في مجمع الامثال 96/1 رقم المثل 462 .

85 الاثلب : التراب ، وقد شبطت في الاصلين بفتحين وكسرتين ورسمت (معا) في الموضعين دليل جواز القرائتين . وانظر تهذيب الالفاظ ص 577 .

86 من بليغ الشواهد عليه قول عبد الله بن عبد العزيز وكان قد نهى ابن السكيت من اتصاله بالمفوكل فلم يستمع له فقتل شر قتلة :

نهيك يا يعقوب من قرب شادن إذا ما سطا أرمى على كل ضيفم
لمقواهس ما استحصيته لأقول إذ عثرت لما ، بل لليدين وللهم

87 الصريمية : القطعة من الرمل ، والامعر : الذي لونه لون العفر ، وهو التراب والمثل قاله الفرزدق ، ويغرب للشمانة بالرجل . انظر : جبهة الامثال 207/1 ونصل المقال 91 والميداني 59/1 والمستقصى 187 واللسان مادة (صرم) . وتام البيت :

أقول له لما اتاني نعيمه به لا بظبي بالصرائم اعفرا

لها ، أى أماته الله . ويقال : ما له صفر فناؤه وقرع مراجه (88) ! أى هلكت ماشيته (89) . ويقال : تعس وانتكس ، فالتعس أن يخر على وجهه ، والنتكس أن يخر على رأسه (90) . ويقال : رماه الله من كل أكمة بحجر . ويقولون : جدعا وعقرا . ويقال للقوم يدعى عليهم : فاقده الله بينهم .

باب قولهم ما كلمته بكلمة

يقال : ما سمع منى نأمة وما ناطقته الفصيح . قال قطرب : ما كلمته ببنت شفة ، أى كلمة .

باب الايمان

قال الاصمعي (91) : تقول العرب : « لا والنهار الازهر والليل الاخضر » ، ويقولون : « لا والذي شق الرجال للخيل والجمال للسيل » (92) « لا والذي لا أتقيه الا بمقتلة » (93) ، « ولا وقأئت نفسى القصير ما كان كذا » (94) ، « لا والذي شقها خمسا من واحدة » (95) يعنون الاصاب . ويقولون : « لا والذي أخرج النخلة من الجريمة والنار من الوثيمة » (96)

- (88) قرع مراجه : أى خلا مأوى ماله .
(89) انظر العبارة التي قبلها في تهذيب الالفاظ ص 577 .
(90) انظر تهذيب الالفاظ ص 578 .
(91) هو عبد الملك بن قريش بن عبد الملك (ت 216 هـ) انظر ترجمته في : المنتقى من اخبار الاصمعي للربيعي واخبار النحويين البصريين 45 وانباء الرواة 19/2 والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي 363/2 والتاريخ الصغير للنجاري 234 وجهمرة الانساب لابن حزم 234 ووفيات الاميان 288/1 والمعارف 236 والكامل لابن الاثير 220/5 وتاريخ امهات لابى نعيم 130/2 وتاريخ بنسداد 410/10 وتاريخ ابن عساكر 414/24 وتهذيب التهذيب 415/6 . وروضات الجنات 456 ، وطبقات الفراء 470/1 ومراتب النحويين 74 ونزهة الالباء 150 والنجوم الزاهرة 190/2 . وشذرات الذهب 36/2 والوالي بالوفيات 354/6 والفهرست 55 والبغية 112/2 وطبقات الزبيدي 183 .
(92) انظر : ايمان العرب في الجاهلية للنجيري ص 16 وانظر ذيل الامالي والنوادر للقالي ص 50 - 51 والمخصص لابن سيده 118/13 والمزهر 168/2 (الطبعة الثانية) نقلا من كتاب المثني لابن السكيت .
(93) انظر : ايمان العرب ص 17 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .
(94) انظر : ايمان العرب ص 24 وذيل الامالي ص 50 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 .
(95) انظر : ايمان العرب ص 16 وذيل الامالي ص 51 والمخصص 118/13 والمزهر 168/2 وفيها جميعا : شققها : شققين .
(96) ورد في (ايمان العرب) ص 17 - 18 . والنخلة : العنق ، والجريمة النواة ، والوثيمة : قطعة من حجر تشبه أى تكسره . انظر : النهاية لابن الاثير : (علق ووثم) ونتاج العروس في المادتين المذكورتين ، واللسان مادة (وثم) ، وفي امالي القالي 102/1 : ان الوثيمة ، هي الوثومة المربوطة ، يريد به : قدح حوائر الخيل النار من الحجارة .

باب في الدعابة

يقال : جاء باملوحة ، وأكوهة . وتلاعبو بالمعوبة . وفلان فكه ضحوك . ويقولون : داعبه مداعبة ، ومازحة مازحة . وقال أكثم : المازحة تذهب المهابة « (97) . ويقولون : « المزاح سباب النوكر » (98) .

باب الكذب (99)

يقال : كذب كذبا ، ومان مينا . وهذا كذب صراح (100) . ويقولون للكذاب : هو زلوق اللبد (101) . وقد اختلق كلامه وارجله . وفلان لا يقرب حديثه . وليس لهذا الحديث نجم ، أى ليس له أصل (102) . قال ابن السكيت :

يقال : اعتبط فلان على الكذب . وفلان لا يوثق بسيل تلعته ، اذا كان كاذبا . وان فلانا لقموص الحنجرة . وفلان لا يصدق أثره (103) . قال ابن الاعرابي : تأويله أنه اذا قيل له من أين أتيت كذب (104) . وفلان لا تجارى خيلاه ، ولا تسابير خيلاه ، ولا توافق خيلاه (105) . قال ابن الاعرابي : هو « أكذب من يلح » (106) وهو السراب . وهو « أكذب من دب ودرج » (107) أى أكذب الاحياء والاموات .

-
- (97) انظر جبهة الامثال 231/2 والمثل ايضا في الميداني 287/2 رقم المثل 3914 منسوباً لأكثم بن صيفي .
وانظر ترجمة أكثم (ت 9 هـ) في : الاصابة 113/1 والمارب 299 وجبهة الانساب 200 ويلوغ العرب للالوسي والاعلام 344/1 .
(98) انظر المثل في الميداني 287/2 رقم المثل 3910 . وفيه : المزاح (بكسر الميم) .
(99) راجع باب الكذب في تهذيب الالفاظ 258 وباب الكذب في الالفاظ الكتابية 52 وباب الكذب في جواهر الالفاظ 121 .
(100) الصراح : المحض الخالص من كل شيء .
(101) زلوق : أبلس . واللبد : الشعر المتداخل للزق .
(102) جاء في المقاييس 397/5 : « ليس لهذا الحديث نجم ، أي أصل ومطلع » . وانظر المخصص 87/3 .
(103) انظر عبارات ابن السكيت في تهذيب الالفاظ 259 . وانظر المثل : لا يصدق أثره ، في الميداني 242/2 رقم المثل 2678 وانظر ايضا المخصص 89/3 والمنتخب 112 .
(104) انظر تهذيب الالفاظ 259 .
(105) في تهذيب الالفاظ 260 : لا تجارى (بضم التاء) ولا تسابير (بضم التاء) .
(106) انظر المثل في : جبهة الامثال 171/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117 والمخصص 89/3 .
(107) انظر المثل في : جبهة الامثال 173/2 والميداني 167/2 والمستقصى 117 واللسان (درج) وتهذيب الالفاظ 262 والمخصص 89/3 والاصلاح 315 .

باب الخصومة والجد

يقال : خاصمه مخاصمة ، ونازعه منازعة . وإن فلانا لآلد . ومن متخير
الفاظهم قولهم : تركتهم يرتمون بالكلم العور (108) بينهم . ويقولون : أين
كان مطرك عن ناره ، يعنى فى الخصومة . ويقال إن نواقره (109) مبن
الحصى .

باب الرجل المحمود الخلق

يقال : انه أحلى من الأرى (110) ، ومن عذق بن طاب . قال الشيخ :
نحلة بالمدينة يقال لها : عذق بن طاب (111) . وإن على لسانه لثمرة .
ويقولون : كل طالب حاجة يتزوق لك بما ليس فيه حتى ينال بغيته . وقال
ابن أخت تأبط شرا :

وله طعمان أرى وشرى وكلا الطعمين قد ذاق كل (112)

ورجلدهين ، ساكن : حلو الشمائل لا تغلى خلاثقه . أبو زيد قال ،
تقول العرب للرجل الحسن الخلق : انه لدميث ، موطأ الاكناف . والدهثم :
السهل اللين . والفكه : الطيب النفس ، الضحوك .

باب الرجل المشتهر النبیه

تقول العرب : فلان لا يحجز فى العكم (113) . ولا يرمى بـه
الرجوان (114) . وهو نجم من الانجم . وهو أشهر من كوكب . ولا يجله

- (108) الكلم العور : الكلم القباح ، جمع قبيحة .
(109) النواقير : جمع ناقرة ، وهى الداهية والسهم المصيب .
(110) الأرى : العسل .
(111) جاء فى جمهرة الامثال 40/1 ، وابن طاب : جنس من الرطب .
(112) ابن أخت تأبط شرا هو : خفاف بن نضلة ، انظر السبط 919/2 . والبيت
من قصيدة قالها يرثى خاله تأبط شرا انظر العقد الفريد 298/3 . وفى شرح
الحباسة للمرزوقي ، ان القصيدة لتأبط شرا نفسه ثم رجع نسبها لخلف
الاحمر 827/2 . وفى شرح الحباسة للتبريزي 160/2 ذهب الى ما ذهب اليه
المرزوقي وفى الحيوان للمصنف 68/3 ما نصه : وقال تأبط شرا — ان كان قالها
ثم أورد القصيدة التى منها البيت المذكور . وفى شروح سقط الزند 510/2 نسب
البيت لتأبط شرا . فالببيت اذن متدايع بين تأبط شرا وابن أخته و خلف الاحمر
وأله أعلسم . والشري : الحنظل .
(113) العكم : المعدل أو الكاره وما شد وجمع به من ثوب أو سواء وانظر اللسان
198/7 والتعذيب 123/4 .
(114) الرجوان : حافى البثر .

الا من لا يعرف القمر . وهو نار في رأس علم . وهو نار بقبل (115) . ونار
بعلياء (116) . قال النابغة .

بانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب (117)
وقال ذو الرمة :

وقد بهرت فلا تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمر (118)

وقال :

أنا ابن المضرحي أبي شليل وهل يخفى على الناس النهار (119)

وقالت الخنساء (120) :

- (115) قبل : ما ارتفع من الأرض واستبلك ، والمحجة الواضحة .
(116) علياء : رأس الجبيل .
(117) ورد البيت في ديوان النابغة صنعة ابن السكيت ص 78 وروايته : فانك ...
ورواية ديوان النابغة (ضمن مجموع خمسة دواوين) ص 13 : لانك . ورواية
الكامل للبرد 33/3 : فانك . ورواية المصون للمسكري : بانك .
(118) ورد البيت في ديوان ذي الرمة ص 191 وروايته فيه :
حتى بهرت لها .. وفي الأصل : طلعت . وفي هامش الأصل : بهرت
(119) البيت للقتال الكلابي في ديوانه ص 51 — تحقيق الدكتور احسان عباس —
بيروت 1961 . ونسب للقتال الكلابي في تاج العروس مادة (سبر) . وهو في
اللسان مادة (سبر) من غير عزو ونسب للقتال في فصل القتال 114 وهو في
اساس البلاغة 46/2 من غير عزو أيضا .
وفي الوحشيات ص 65 نسب لجلبود 1 وروايته فيه :
أنا ابن المضرحي أبي هلال
والقتال الكلابي هو عبد الله بن المضرحي من كلاب بن عامر بن صعصعة (شاعر
اسلامي من شعراء الدولة المروانية) : انظر ترجمته في : الاغانى 319/23
طبعة دار الثقافة والمؤلف 167 والخزاعة 667/3 والسمط 12 واسماء المقتولين
203 والقباب الشعراء 312 والمحرر لابن حبيب 213 و 226 ونسب قريش 219
والشعر والشعراء 594 وشرح العمادة للتبريزي (طبعة بولاق) 104/1
ومعجم البلدان مادة (حماية) ومعجم ما استعجم للبكري مادة (غريه) وكفى
الشعراء 295 .
والمضرحي : النسر والصقر الطويل الجناحين والرجل السيد السري الكريم
المتيق التجار ، انظر مادة (شرح) في اللسان 358/3 .
(120) تباهر بنت عمرو السلمية (ت 24 هـ) وانظر ترجمتها في : معاهد التخصيص
348/1 والدر المنثور 109 والشريشي 233/2 وحسن الصحابة 94 وجبهة
الانساب 249 واعلام النساء 305/1 وبروكلمان 164/1 والاغانى (ساسي)
19/13 والخزاعة 403/3 وشرح شواهد المغني 89 والشعر والشعراء 260/1
والبيت بنصه في الصفحة 70 من ديوانها — تحقيق كرم البستاني — بيروت
1951 . وروايته في — المصون في الادب — للمسكري ص 17 :
أفر ابلج تائم الهداة به كأنه علم في رأسه نثار
والبيت في نظام الغريب 225 والكامل 46/3 والاغانى 132/13 وانظر مجز
البيت في : (رسالة في امجاز أبيات تغني في التمثيل من صدها) للبرد
ص 170 . وانظر المعجز في الاستغراق 209 .

وان صفرا لتأتم الهداة به . كأنه علم في رأسه نـار
ومن الفاظ الشعراء : هو امرؤ جمع شعوب المعالي . قال ابن الاعرابي :
رجل صيت : أى شريف . وهو ذو حسب ضخم ، وهو ذو حسب عود .

باب البشاشة

يقال : تحفى به اذا لطفه . وقد بشى اليه ، وهش ، وتهل ، وأصل
التهل اشراق الوجه وطلاقة . قال الحطيئة (121) :

مفيد ومتلاف اذا ما سألته تهل واهتر اهتراز المهند

باب الناظهم في الرجل الجامع للفصال المحمودة

قال وهب بن ربيعة (122) في رجل :

حلو الصلاوة دهثم جلد القوى مر المريرة

وقالوا لاخت عمرو ذى الكلب (123) : خرجنا نريد أخاك . قالت : والله

- (121) هو جرول بن اوس العبسي (ت نحو 45 هـ) انظر ترجمته في : الاغانى
157/2 والخزانة 408/1 والميني 473/1 والاصابة 63/2 وطبقات
الجمعي 93 والشعر والشعراء 238/1 ونوات الوفيات 99/1 . ورواية
البيت في ديوان الحطيئة — تحقيق لقمان امين طه — القاهرة — 1958 ص 161 :
« كسوب ومتلاف » . والبيت في زهر الاداب 907/2 وديوان المعاني 43 .
(122) انظر ترجمة وهب بن ربيعة في : جبهة الانساب ص 400 واللباب 281/3
والناج 509/1 والاعلام 148/9 . وهو لم يكن شاعرا .
وفي شعر (ابي دهبل واخبره) ص 1055 — المجلة الاسيوية الملكية —
اكتوبر 1910 ، ان البيت لأبي دهبل واسمه (وهب بن زمعة) من قصيدة
يمدح فيها المخيرة بن عبد الله ، مما يقطع بان كلمة ربيعة محرفة وصوابها
زمعة .

- (123) اسمها جنوب ، شاعرة بليغة ، انظر ترجمتها في اعلام النساء 218/1 .
ومرو ذو الكلب بن المجلان شاعر فارسي من بني كاهل ، كان جاراً لهذيل
وقيل كان معه كلب لا يفارقه فسمي بذلك . وقال ابن حبيب : انما سمي ذا
الكلب لانه خرج في سرية من قومه وفيهم رجل يدهم مبرا ، وكان مع عمرو
هذا كلب ، فسمي ذا الكلب ، وله شعر في القسم الثالث من ديوان الهذليين .
وقد ورد الخبر المذكور في ديوان الهذليين 120/3 باختلاف يسير وهذا نصه :
« قال ابو عبيدة : « كان ذو الكلب يغزو » مبرا » فوضعوا له الرصد على
الماء فآخذوه وقتلوه ، ثم مروا باخته جنوب ، فقالت لهم : ما شأنكم فقالوا :
انا طلبنا أخاك مبرا . فقالت : لئن طلبتموه لتجدنه مبرا ، ولئن أضلتموه
لتجدن جنبه مبرا ، ولئن دموتوه لتجدنه سريما . قالوا : فقد أخذناه
وقتلناه ، وهذا سلبه ، قالت : لئن سلبتموه لا تجدن ثنته وائمة ، ولا حجزته
جانية ، ولا ضالته كالمية ، ولرب ندي منكم قد افترشه ، ونهب قد احترشه ،
وضب قد اخترشه » .

لئن اردتموه لتجدنه منيعا ، ولئن ادرتموه لتجدنه سريعا ، ولئن فسفتموه لتجدنه مريعا . قالوا : فهذا سلبه قد سلبناه . قالت : والله لئن سلبتموه ، ما وجدتم ثنته وافية ، ولا ضالته كافية ، ولا حجزته جافية . قالوا : قد قتلناه ، قالت : والله لئن قتلتموه ، لرب ثدى منكم قد اقترشه ، وضب منكم قد احترشه ، ونهب منكم قد اقترشه . وسأل ، عمر (124) متما (125) : ما كان أخوك (126) ؟ قال : « كان والله يقرى العين جمالا والاذن بيانا (127) قال : وغير هذا ؟ قال : كان لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش الجمل ، ولا يجبن حتى يجبن السيل » . ومن هذا الباب . قول الهذلي (128) .

- = وفي القسم المذكور من ديوان الهذليين عدة قصائد لجنوب ترثي أخاها عمرا ، وفي جمهرة الامثال 62/2 ورد بعض هذا الكلام منسوبا لام جليعة القيسية مشيخة عمرو المذكور .
- (124) الخليفة الثاني عمر الخطاب (رضي) (ت 23 هـ) انظر ترجمته في : مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، وابن الاثير 19/3 والطبري 187/1 - 217 و 2/2 - 82 واليعقوبي 117/2 والاصابة : الترجمة رقم 5738 وصفة الصلوة 101/1 وحلية الاولياء 38/1 والخميس 259/1 ثم 239/2 واخبار القضاة لوكيع 105/1 والبدء والتاريخ 88/5 و 167 وشذور المعشود للمبريزي 5 والكنى والاسماء 7/1 والاستيعاب 458/2 والبداية والنهاية 18/7 وتاريخ الخلفاء 108 وتاريخ ابن الوردي 144/1 وخصائص العشرة الكرام للبردة للزمخشري 51 - 65 وتاريخ الاسلام 207/1 - 252 ومروج الذهب 312/2 - 340 والمعارف 77 - 82 وشذرات الذهب 27/1 وتاريخ ابن خلدون 178/1 ، 306 - 365 وصبح الامشى 255/3 والسيرة الحلبية 359/1 وسيرة ابن هشام 364/1 وطبقات الفقهاء من 6 وطبقات ابن سعد والرياض النيرة في مناقب المشورة 187/1 و 2/2 - 82 والفخري 71 والتبر المسبوك 53 واحياء العلوم 462/4 ومفتاح البلدان 350 .
- (125) هو متم بن نويرة اليربوعي التميمي (ت نحو 30 هـ) انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 254/1 والطبري 24/3 والمؤلف 297 وجمهرة انساب العرب 224 وشرح المناسبات للانباري 63 و 526 والاصابة رقم الترجمة 7719 والجوالقي 375 ومنهجات من شمس العلوم لشوان الحميري 102 وشواهد الغني 196 والافاني 63/14 وجمهرة اشعار العرب 141 والمرزباني 466 وسبط اللالي 87 والتبريزي 148/2 والجمعي 169 و 174 وخزانة البغدادي 236/1 ورغبة الامل 97/3 و 223/8 و 231 - 234 . والاعلام 154/6 - 155 وكتاب - مالك ومتم انبا نويرة اليربوعي - لابن قسار مرهون الصغار .
- (126) هو مالك بن نويرة (ت 12 هـ) . انظر ترجمته في : الاعلام 145/6 وموات الوفيات 143/2 والاصابة رقم الترجمة 7698 والنقائض 22 و 247 و 258 و 298 والمرزباني 360 والشعر والشعراء 119 والمحرر 126 وشرح الميون 44 والجمعي 170 ورغبة الامل 58/1 والخزانة 236/1 .
- (127) ورد بعض الخبر في كتاب البديع لابن المعتز من 6 وروايته : « قال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك لانه كان يقرى العين جمالا والاذن بيانا » .
- (128) الهذلي : هو أبو المثلم الهذلي ثم الخناعمي ، من بني خناعة بن سعد بن هذيل انظر ترجمته في المؤلف من 277 - 278 . والابيات من قطعة قالها في رثاء صخر الغي الهذلي بعد مقتله . انظر ديوان الهذليين - قسم 2 من 238 - 239 ، وانظر شرح اشعار الهذليين صنعة السكري 284/1 - 286 .

آبى الهضيمة ناب بالمعظيمة متلاف الكريمة لا نكس (129) ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة جلد غير ثنيان (130)

رباء مرقة مناع مغلبة وهاب سلهة (131) قطاع أقران
هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتیان (132)

ومن الفاظ الهذليين : كفيت النساء (133) نسال حد الوديقة. وقولهم : له في
كل ما رفع الفتى من صالح حسب (134) وفي خلاف ذلك، هو هلباجة، جبس،

- (129) في ديوان الهذليين وشرح السكري والمؤلف : لا سقط .
(130) في ديوان الهذليين : ثنيان (بكسر التاء) . وفي المؤلف : خرق غير ثنيان . وفي
أعداد أبي الطيب 132 : جلد غير ثنيان . والبيت في المعاني الكبير 538/1 .
(131) في ديوان الهذليين : ركاب سلهة . ورواية السكري : وهاب سلهة ورواية
البيت الثاني من هذه القطعة في المجمل لابن فارس ص 189 :

حامى الحقيقة نسال الوديقة مع — ستاق الوسيقة لا نكس ولا وان

وهو انشاد مداخل .
(132) نسبت القطعة للخنساء في رثاء أخيها سخرًا من تصيدة مطلمها :

يا عين تبكي على سخر لاشجان وهاجس في ضمير القلب خزان

انظر ديوانها طبعة دار صادر ودار بيروت ص 136 — 137 .
والاختلاف بين رواية المتخير ورواية الديوان كبير . ونص رواية ديوان
الخنساء :

آبى الهضيمة آت بالمعظيمة مت	سلاف الكريمة ، لا نكس ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة مع	ستاق الوسيقة جلد غير ثنيان
طلاع مرقة مناع مغلبة	وراد مشربة قطاع أقران
شهاد أندية حمال ألوية	تطاع أودية سرحان قيعان

- والأبيات في « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ ص 117 — 118
منسوبة للخنساء وروايتها قريبة من رواية المتخير .
والأبيات في الممددة 26/2 — 27 منسوبة لأبي المثلم الهذلي . ونسبت لأبي
المثلم في الصناعتين ص 300 .
(133) الكنيت : المصاحب الذي يكاتك أي يسابقك . والكنيت : القوت من الميش .
والكنيت : القوة على النكاح . ورجل كنيت : سريع خفيف دقيق . انظر مادة
(كنت) في اللسان 384/2 .
(134) البيت من تصيدة لأبي العيال الهذلي في رثاء قريب له أولها :

فتى ما غادر الأجنا د لا نكس ولا جنب

وأبو العيال شاعر مخضرم عمر الى خلافة معاوية . انظر ديوان الهذليين
241/2 وشرح ديوان الهذليين 423/1 والأهاني 167/20 والشعر
والشعر 560/2 والأصباة 143/7 . ومعنى البيت : يقول : كل ما قدم
الرجال من خير فله فيه نصيب .

عيايا. وكان نصير (135) يقول : الهلجاجة المستجمع لخصال الشر ، كما ان الشيطم المستجمع لخصال الخير . قال الاصمعي ، سألت عنه أعرابيا فقال : هو الثقيل البليد الوخم الشديد الضرس الضعيف العمل لا يحاضر به القوم . قال : والعيايا الذي لا يتجه لشيء من أمره ، وكذلك الطباقاء . وفي الحديث : « عيايا طباقاء كل داء له داء » (136) .

باب الشباب

يقال : هو شاب ، معتدل القناة ، سوى العصا . قال أبو حية (137) :

حنتك الليالي بعد ما كنت مرة سوى العصا لو كن ييقن باقيا

ومن الفاظهم : « الشباب مظنة (138) الجهل » (139) . وهو ريان من ماء الشباب . ورجل مخلد ، اذا لم يشب . وهو في عنفوان شبابه وقرحه عيشه . ويقولون : كان ذاك وفي عيشنا غرر . ومن ظريف كلامهم : سايرت ركبان الصبا ، وكنت ابن لهو أسابي الصبا . وفي الحديث (140) : « عليكم

135 نصير : هو نصير بن أبي نصير الرازي ، من الطبقة الثالثة من علماء اللغة الذين اعتمد عليهم الأزهر في معجم التهذيب ، وكان علامة نحويا ، جالس الكسائي واخذ منه النحو وقرأ عليه القرآن ، كما سمع الاصمعي وأبا زيد ، ولم تذكر المراجع سنة وفاته . انظر ترجمته في : تهذيب الأزهرى 22 ، أنباء الرواة 347/3 رقم الترجمة 796 ، بغية الوعاة 316/2 رقم الترجمة 2068 تلخيص ابن مكرم 264 .

136 انظر الحديث في : صحيح مسلم 1898/4 والنهاية 114/3 .
137 هو الهيثم بن الربيع النميري (ت 210 هـ) وانظر ترجمته في : التكملة والشمراء 658/2 وطبقات ابن المعتز 143 والاغانى 307/16 والمؤلف والمختلف 145 والخزانة 283/4 . ولم يطبع له ديوان . والبيت بنصه المتقدم في : زهر الآداب 222/1 وإمالى القالي 185/2 واللاي 802 . وهو في الحباصة البصرية 424/2 وروايتـه .

حنتي الليالي بعد ما كنت مرة قويم العصا لو كن ييقن باقيا

138 في الاصل : مظنية ، بالجمع بين النون والياء مع رسم (خ) صغيرة فوق الفاء . مما يجعل الكلمة تقرأ بوجهين : مطية ، مظنة .

139 انظر المثل في الميداني 367/1 رقم المثل 1976 ونصه : « الشباب مطية الجهل » ، ويروى : « مظنة الجهل » أى منزله ومحلّه الذي يظن بـه .

140 رواه ابن ماجه عن مويم بن ساعدة الانصاري بلفظ : عليكم بالابكارمانهن أمّذب أمواها وائتق أرحاما وأرض باليسير (598/1 رقم الحديث 1861) وفي أسناده محمد بن طلحة ، قال فيه أبو حاتم في الجرح والتعديل : لا يحتج به (قسم 2 ج 3 ص 292) ، وعبد الرحمن بن سالم بن عتبة ، قال البخاري : لم يصح حديثه (تهذيب التهذيب 238/9 ومصباح الزجاجة 108 - 2) .
ورواه الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله ، وفي أسناده أبو بلال =

بالشوا ب فانهن أغر أخلاقا ، وأنتق أرحاما ، وأرضى باليسير . ويقول
ابن هرمة (141) :

تعلقتها وائء الشباب يفهق(142) من جانبيه طفاحا

ويقول ابن الطثرية (143) .

جرى فوقها زهو الشباب وباشرت نعيم الليالى والرخاء من الخصب
وقال الهذلى (144) :

يجيب بعد الكرى لبيك داعيه مجذامة لهواه قلقل عجل (145)
ليس بعلى كبير لا شباب به (146) لكن أثيلة صافى الوجه مقببل

= الأشمري ، ضمنه الدار قطني (مجمع الزوائد 259/4 وزوائد المعجمين
مخطوط ورقة 199 . ورواه ابن الأثير في النهاية 13/5 . ورواه البيهقي في
السنن الكبرى 81/8 وأورده السيوطي في الجامع الصغير 63/2 وفي كتب
الأدب ورد الحديث في جمهرة الأمثال 289/1 وروايته : « عليكم بالابكار
فانهن أطيب أمواها وأنتق أرحاما » . وفي أمالي القاضي 307/2 وروايته :
« عليكم بالابكار فانهن أطيب أمواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » .
(141) هو إبراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) والبيت في ديوانه تحقيق المعيد ص 80 .
وهو أيضا المراجع التالية : البخلاء 185 والمعاني الكبير 213 والصناعات
123 والتمثيل والحاضرة 73 وثمار القلوب 445 وشروح سقط الزند 20 و
345 ومجمع الأمثال 225/1 و 323/2 وشرح المقامات 179/3 ونهاية
الأرب 49/3 وحياة الحيوان 149/2 .

(142) في الديوان : يطلع .

(143) ابن الطثرية : هو يزيد بن سلمة القشيري (ت 126 هـ) . انظر ترجمته في :
أرشاد الأريب 299/7 ووميات الأعيان 299/2 وسبط اللالي 13 وأسماء
المغتالين من الأشراف 247/2 والشعر والشعراء 340/1 والأغاني (طبعة
الدار) 155/8 وطبقات الشعراء 150 والتبريزي 161/3 و 122/4
وحياة ابن الشجري 145 ، 159 ، 199 . ورغبة الأمل 141/5 والأعلام
236/9 . ونشر الأستاذ حمد الجاسر في مجلة العرب الجوزآن 9 و 10
(حزيران 1967) ص 816 — 853 بحثا قريبا عنه بعنوان — الشاعر يزيد
ابن الطثرية أخباره وشعره — . ثم ذيل عليه في المحدثين الحادي عشر
(آب 1967) والثاني عشر (أيلول 1967) من المجلة المذكورة .

(144) وفي الأصلين : من الخطب ، وهو تحريف .
هو المتخل الهذلي ، واسمه مالك بن هويم ، والبيتان من قصيدة قالها في
رثاء (أثيلة) ابنه ، انظرها كاملة في ديوان الهذليين — القسم الثاني ص
33 — 37 . والبيت الثاني في اللسان مادة (علل) وخلق الإنسان للأصمعي
162 وخلق الإنسان لثابت 27 . وانظر ترجمة المتخل في : الأغاني (طبعة
الدار) 30/10 و (طبعة الثقافة) 259/23 . والاصابة رقم الترجمة 7675
والمحبر 246 و 473 والمرزباني 361 والروض الأثف 287/2 والنقائض
495 والخزانة 135/2 والشعر والشعراء 552/2 والمبني 517/3
والسبط 724 وجمهرة أشعار العرب 594 .

(145) في الديوان ص 25 : وقل ، وهو الجيد التصعيد في الجبل .

(146) في الشعر والشعراء وخلق الإنسان لثابت : له .. والعمل : المسن الصغير
الجسم ، وأخذ من القراء واسمه العمل .

ويقول مسلم : لو رد في الرأس منى سكرة الغزل (147) ويقال :
عليكم بالشواب فانهم أقل خبا وأشد حبا .

باب الشيب (148)

يقولون : قد ودع الشباب ، ونقدت (149) أسنانه . ويقولون :
حظ عن ظهر الصبا رحله ، وحنى قوسه موترها ، وحنى الشيب قناه مطاء ،
وعصر الميدان بارحها ، وفلان قشعم (150) دالف ، وقد أقصرت راحلة
الصبا ، وملت الترحال . وهريق اناء الشباب . وكأنه حفص (151) بال .
وورع (152) الشيب شراستى وعرامى . وشردت عنى أفراس الصبا ،
وذوى عود صباى . ويقال لمن شاب : قد توضح عذاره ، ومفرقه . ويقول
الفرزدق (153) :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار

ويقول ابن مقبل : « ذهبت تليات الصبا » (154) « ولا خير في

- (147) رواية البيت في ديوان مسلم بن الوليد الانصاري ص 4 :
ماذا على الدهر لو لانت مريكته ورد في الرأس منى سكرة الغزل
- وانظر ترجمة مسلم (ت 208 هـ) في : النجوم الزاهرة 186/2 وسبط
اللاي 427 والمرزباني 372 والتبريزي 5/3 وتاريخ بغداد 96/13 وتاريخ
هرجان 419 والنويري 82/3 والشعر والشعراء 712/2 وطبقات ابن
المعز 235 ومعاهد التنصيص 55/3 والموشح 289 وبروكلمان 32/2 والأعلام
120/8 .
- (148) راجع باب الشيب في الألفاظ الكتابية ص 252 .
- (149) نقدت : تأكلت .
- (150) قشعم : المسن من الرجال .
- (151) حفص : ردء المتاع ورذالته .
- (152) ورع : رد
- (153) ورد البيت في شرح ديوان الفرزدق — تحقيق عبد الله الصاوي 467/2
وروايته :
- والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبه نهار
- وانظر البيت في التبيان في علم البيان للزملكاني ص 47 والمرزباني 467 واللسان
مادة نهر 97/7 وشروح سقط الزند 792 . والفرزدق : هو همام بن غالب
الدارمي (ت 110 هـ) . انظر ترجمته في : أغانى الساسي 180/8 والموشح
99 ومعجم المرزباني 486 وأرشاد الأريب 297/19 وابن خلكان رقم 755
والخزانة 105/1 وشذرات الذهب 141/1 وبروكلمان 209/1 والشعر
والشعراء 381/1 والشريشي 142/1 ومعاهد التنصيص 45/1 وابن سلام
75 ومفتاح السعادة 195/1 وأمالى المرتضى 58/1 وجمهرة أشعار العرب
163 وسرح العيون — طبع بولاق 213 — والحيوان 226/6 .
- (154) العبارة تقسيم بيت لابن مقبل ص 73 من ديوانه هذا نصه :
يا هر أمست تليات الصبا ذهبت فليست منها على عين ولا اثر

المعيش بعد الشيب والكبر « (155). ويقولون : قد قنعه الشيب . ومن الفاظ الشعراء : أقصر جهلى ، وثاب حلمى ، ونهته الشيب من عرامى . ويقولون : لوح بالقتير (156) ، وقنعه الشيب أخلاقه . ونظر رجل الى شيخ فقال : كيف أصبحت ؟ فقال : فى الداء الذى يتمناه (157) الناس .

* باب الجمال

يقال : ان فلانا لمشبوب ، نير الوجه . ويقولون للمرأة البيضاء : ان الخمار الاسود يشب وجهها ويحمله (158) . قال بشر (159) :

رأى درة بيضاء يحفل لونها سخام كخربان البرير مقصب

وقال : ان الناس يرون بك هلالا . قال الفرزدق :

ترى الفر الجاحج من قريش اذا ما الامر ذو الحد ثان عالا
قياما ينظرون الى سعيده كأنهم يرون به هلالا (160)

وقالت أعرابية لرجل : انك لتزوفنا اذا أتيتنا كأنك هلال بدا فى غير
قتان (161) ، أى فى غير غبرة . ويقولون : ما أنضر وجهه ، وأشرقه ! وما
أحسن التياحه (162) ! وان فلانا لمبشار ، أى هو أبدا ضاحك . وانه لاحسن

(155) العبارة تسيم بيت لابن مقبل فى ديوانه روايته :

تالت سليلى ببطن القاع من سرح لخير فى المعيش بعد الشيب والكبر

(156) القتير : المشيب .

(157) هكذا فى الاصلين . ولعلها : يتمناه . او : لا يتمناه .

* راجع باب حسن المنظر فى الالفاظ الكتابية 147 وباب ترادف الحسن 281
وباب الحسن فى تهذيب الالفاظ 205 .

(158) أى يزيد فى جمالها وشدة بياضها .

(159) البيت لبشر بن أبى خازم الأسدي ، انظر ديوانه ص 7 والبكري 82/2

والمجل 223 والمقاييس 180/1 واللسان مادة (قصب ، حفل) والصاح

مادة (غرب) والاساس مادة (حفل) وتاج العروس 431/1 و 281/7 .

وانظر ترجمة بشر (ت نحو 92 ق . هـ) فى : الشعر والشعراء 190/1

وامالى المرتضى 114/2 وخزانة البغدادي 262/2 والامسلام 27/2

ومختارات ابن الشجري 31/2 والموشح 80 .

(160) البيتان فى شرح ديوان الفرزدق 618/2 ورواية الاول :

ترى الشم الجاحج من قريش اذا ما الامر فى الحدثن غالا

(161) فى الاصل : قبان ، والصواب ما اقتضاه ، جاء فى اللسان مادة (قسيم)

359/15 : القتم والقنام : الغبار وحكى يعقوب فيه : القتان ، وهو لغة فيه .

(162) التياحه : بياضه المتلألئ .

من شنف (163) الانضر . وأحسن من الوذيلة (164) ؟ الانضر جمع نضر ، وهو الذهب . وما أحسن أسرار وجهه ، وأسرة وجهه (165) ! وأنه ليستسقى به الغمام . وأنه لبسام ساعات الوجوم . وأنه لنير الوجه ، بليج الوجه . وما أحسن قسمته ! وهو الوجه (166) . قال :

كان دنائيرا على قسماتهم وان كان قد شف الوجوه لقاء

ومن الفاظ الشعراء : انه لموسوم بالحسن ، غير قطوب ويقولون : هو أحسن من دينار الاعزة ؟ وقال بعض الرجاز (167) :

يا رب رب سالم بارك فيه
أفكرني لما نظرت في فيه
أجرع نور برقت أفاقه
والوجه لما أشرقت نواحيه
دينار صرف في يد تنزيه
والرأس اذ أخذته أدريه
جناح نسر حسن خوافيه

ويقال : رجل طرير : ظاهر الجمال . وهو صير شير ، اذا حسنت

- (163) الشنف : القسط .
(164) الوذيلة : المرأة .
(165) الخطوط التي في الجبين .
(166) البيت في حماسة أبي تمام بشرح التبريزي 193/2 وشرح المرزوقي 1457 واللسان مادة قسم 383/15 ومعجم الشعراء 332 لحرز بن المكبر الضبي وفي الكامل 80/1 نسب البيت للمكبر .
وفي خلق الانسان لثابت ص 101 نسب لحرث بن محفض المازني . والبيت من غير عزو في المراجع التالية : معاني اللغة 86/5 والاستغنى 62 وشروح سقط الزند 1047 وأضداد ابن الأنباري 107 والمخصص 89/1 وخلق الانسان للأصمعي 179 . وجاء في نظام الغريب ص 10 : القسمة : ما بين الأنف والوجنة من الوجه . قال الشاعر :

كان دنائيرا على قسماتهم اذا الموت للابطال كان تعاسيا

انظر البيت الاخير في : الحماسة شرح المرزوقي 1764 والمرياني 304 وزهر الآداب 412/1 .
(167) وردت الأرجوزة في ميون الاخبار المجلد الرابع ص 30 ناقصة ومحرقة وهذا نصها : وقال اعرابي يرقص أبنا له :

يا رب مالك بارك فيه بارك لمن يحبه ويدنيه
فكرني لما نظرت في فيه أجرع نور حرث أواخيه
والوجه لما أشرقت نواحيه دينار عين بيد قهره

صورته وشارته وهي ثيابه . وهو وسيم قسيم . ومن جيد كلامهم قول ابن هرمة :

اني غرضت الى تناصف وجهها غرض الحب الى الحبيب الغائب (168)
وأحسن منه قول الآخر :

جلبنا كل طرف (169) أعوجى (170)
كمصّب البرد أقرح (171) أو بهيم (172)
وسلّبة يزال الطرف عنها تفوت بنان ملجمها الجسيم

قوله : يزل الطرف عنها ، أى لكثرة محاسنها لا يقف الطرف منها على شيء إنما يجول . ويقولون : سرج الله وجهه ، أى حسنه . ويقولون : هو : هلال بدا من غمرة وغيوب . ووجهه كمرآة المضر (173) ، « وكمرآة الغريبة » (174) . ويقولون للرجل يتزيّن به : هو لنا برد

(168) راجع البيت في ديوان ابراهيم بن هرمة : صنعة محمد جبار المعيد من 65 . وهو أيضا في المراجع التالية : تهذيب اصلاح المنطق 128/1 واللسان مادة (غرض ونصف) والكامل 33/1 والفاضل 28 وشرح القصائد السبع الطوال 309 واضداد ابن الانباري 107 ومقاييس اللغة 417/4 وشروح سقط الزند 656 ورغبة الأمل 140/1 واصلاح المنطق 71 والصاحح مادة (نصف) وثمار القلوب 90 والمسلسل 49 .

وانظر ترجمة ابراهيم بن هرمة (ت 176 هـ) في : الشعر والشعراء 639/2 والاغانى 101/4 والخزانة 203/1 والسميط 398 وتهذيب ابن عساكر 234/2 وطبقات ابن المعتز 20 والموشح 223 وتاريخ بغداد 127/6 والبداية والنهاية 170/10 والنجوم الزاهرة 84/2 . وطبع ديوانه في دمشق والتجف . وتمتاز الطبعة المرقية بزيادات كثيرة .

(169) الطرف : الكريم الابوين من الخيل ونحوها .

(170) اعوجى : نسبة الى اموج ، وكان لملك كندي ، غزا بني سليم يوم غلاف ، مهزموه واخذوا اموج فكان لسليم ثم لبني هلال ، ولهم نتجوه . واهه سبل بنت مياض ، كانت لبني جمدة ، انظر : انساب الخيل لابن الكلبي من 21 والنقائض 303/1 والخيل لابي مبيدة من 66 .

(171) من القرحة ، وهي كل بياض كان في جبهته ثم انتطح قبل ان يبلغ المرسن . انظر الخيل من 109 . وجاء في الكنايات للجرجاني من 127 : « ومن شباه الوجه : اذا كان في جبهته بياض كالدرهم او اقل فهو اقرح فان زاد عليه فهو اقرح فان دقت القرحة قيل : اقرح خفي » .

(172) البهيم : هو الذي لا شية فيه ، والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس . انظر الخيل من 108 .

(173) المضر : ذات الضرائر .

(174) من امثال العرب (انقى من مرآة الغريبة) ، وهي التي تتزوج في غير قومها ، فهي تجلو مرآتها ابدا ، لئلا يفسد عليها من وجهها شيء . انظر : جمهرة

الامثال 316/2 والميداني 207/2 والمتنبي 160 . ومن امثالهم ايضا : « اوضح من مرآة الغريبة » . انظر : جمهرة الامثال 351/2 والميداني 226/2 والمتنبي 172 .

جميل (175). وقال :

وكننت لنا جبلا معقلا وعند المقامة بردا جميلا

ويقولون : هو حسن الحبر والسبر (176) ، أى ناعم . وهو ذو طلاوة . قال أبو زياد : وقفت على ناس من بنى عامر بالبادية ، فقال بعضهم وقد سمع كلامي : أما اللسان فبدوى ، وأما السنح فحضرى . والسنح : الهيئة (177). قال ابن الأعرابي ، قالت لى أم هانم السلوية : انه ليعجبني سنحك ووضحك ، قلت : وما سنحى ؟ قالت : هيئتك . قلت : وما وضحى ؟ قالت : ما بدا من وجهك .

باب في العبوس (178) والقبح

يقال : انه لعابس ، قطوب . وقد قطب ، اذا جمع بين عينيه (179) . ومنه قولهم : قطب الشراب ، اذا جمع بينه وبين الماء مزجا . وان فى وجهه مورما ، مهبجا .

لابلاسا (180) ، وانه لاسحم (181) الوجه ، وأصبح فلان مسخد (182) الوجه ، مورما ، مهبجا (183) . وهو جهم الوجه ، فان كان ذلك عارضا من غضب قلت : تربد وجهه ، وترمد ، وكأنما سفى (184) فى وجهه الرماد ، (185) وكأنما طلى وجهه بتنوم (186) ، وحمم (187) ، كل ذلك اذا اسود وتغير ؟

175 البيت لعبيد بن ثور الهلالي وهو فى ديوانه ص 120 والبيت له ايضا فى الاشباه والنظائر للخالدين 343/2 . وانظر ترجمة حميد (ت نحو 30 هـ) فى : الاصابة 39/2 والاستيعاب 141 واسند الغابة 53/2 وطبقات الشعراء 193 والافغانى 97/4 ومعجم الادباء 153/4 والمعنى 177/1 واللالى 376 والشعر والشعراء 349 وتهذيب ابن عساكر 456/4 وشرح شواهد المعنى للسيوطى 73 وحسن الاصابة 92 ومقدمة ديوانه صنعة عبد العزيز الميمنى والاعلام 318/2 .

176 الحبر : الجمال . السبر : الهيئة .
177 راجع النص فى الصحاح مادة (سبر) 675/2 وفى اللسان مادة (سبر) .
* راجع باب القطوف فى تهذيب اللفاظ ص 441 ولب أجناس العباس فى اللفاظ الكتابية ص 231 .

178 الذي فى المعاجم : العبوس (بضم العين) . وربما قصد العبوس : اى العباس .
179 انظر المقاييس 104/5 .

180 الابلاس : الاتكسل والحزن والياس والتخير .
181 اسحم : اسود .

182 مسخد : مورم مصغر ثقيل من مرض او غيره .
183 هبج وجه الرجل : انتفخ وتقبض ، وتهبج : تورم .

184 سفى التراب : تفرى وتبدد .
185 الرماد : فى الاصل الرماد (يفتح الدال) .

186 التنوم : نبات فيه سواد ، وفى الاصل يفتح التاء والنون .
187 الحمم : الرماد والفحم .

واند تمر وجهه (188) ، وكأنما فقى في وجهه حب الحماض ، وصار وجهه كالصوف (189) ، وذلك اذا غضب فاحمر وجهه . ورجل كره الوجه ، وبسر الوجه (190) . وقد كلع كلوحا ، وبسر بسورا ، وتبسر في عيني ، أى كزمت مرآته (191) . وانزوى ما بين عيني ، أى تقبض .

باب الفرح والسرور

يقال : سر ، وجذل ، وبلج ، وخبز . قال قطرب : يقال خبره (192) الله ، أى نعمه . وقالت امرأة من العرب :

على ابنتي مجل صوت ناع أصمى فلا آب محبورا بريد نعامها

وقد ابتهج به ، وبجح به : أى فرح ، وبجح أيضا وفي حديث أم زرع : « وبججني فبججت » (193) ؟ وقال الزاعى (194) :

وما الفقر من أرض المشيرة سائقا إليك ، ولكنا بقرباك نبجح

- (188) تمر وجهه : تغير وملته صفرة أو زالت نضارته .
 (189) في الأصل : بفتح الصاد ، وهو خطأ . والصرف : صبغ احمر يدبغ به الاديم .
 (190) وجه بسر : أى باسر وهو المقطب .
 (191) مرآته : منظره .
 (192) في الأصل : خبره بالتشديد . والصواب ما اثبتناه .
 (193) حديث متفق عليه من عائشة - رض - وفيه : « وبججني فبججت الى نفسي » . رواه البخاري (كتاب النكاح - باب حسن المعاشرة مع الأهل 35/7) . ورواه مسلم في (فضائل الصحابة 1899/4 رقم الحديث 2448) . وانظر الحديث النبوي الشريف في المجمل لابن فارس 55 وروايته فيه موافقة لرواية المخير . وهو في المقاييس مادة بجج 198/1 وفي اللسان مادة (بجج) .
 (194) مبيد بن حصين بن معاوية النيمري (ت 90 هـ) . والبيت المتقدم لا وجود له في (شعر الرامى النيمري واخباره) - جمع وتقديم وتعليق الدكتور ناصر الحائى ومراجعة عز الدين القنوشي . وارجح أنه من تصيدة الرامى التي مدح بها بشر بن مروان وأولها :
 أمي أثر الاظفان عينك تلمح نعم لات هنا ان قلبك متيح
 وقد اثبت الحائى منها سبعة أبيات في تعلتين منفصلتين دون ان يلتفت الى انها من تصيدة واحدة . والبيت في المجمل ص 55 منسوبا للرامى ، وروايته فيه مطابقة لرواية المخير . وهو أيضا في المقاييس 198/1 وزهر الآداب 267/1 واللسان مادة بجج . وروايته في المقاييس وزهر الآداب : فما . وفي زهر الآداب : ننجح . وفي المقاييس : نبجح (بفتح الباء) . وفي اللسان : من : من وانظر ترجمة الرامى في : الاغانى 168/20 والمؤلف 122 والخزانة 502/1 وطبقات ابن سلام 117 والسيط 49 والشعر والشعراء 327/1 ونسب قريش والتبريزي 146/1 ورغبة الأمل 146/1 ثم 144/3 ثم 139/6 وحماسه ابن الشجري 129 - 188 - 191 والنقائض في موافق متفرقة و الاعلام 340/4 .

باب الكآبة والحزن والوجوم *

يقال : رأيتـه واجمـا ، وقد وجـم يجـم ، ورأيتـه يخطـط في الأرض ، ورأيتـه يعد الحصى . قال

ظللت ردائي فوق رأسى قاعدا أعد الحصى ما تنتفضى عبراتي (195)
وقال النابغة :

يخططن بالعيـدان في كل متعـد ويخبـان رمان الثدى النواهد (196)

وفي شعر معقل الهذلي (197) : منكسة تخطط في التراب
ويقال : لآعه الحزن . قال متمم (198) :

فقلت لها طول الاسى اذ سألتنى ولوعة حزن يترك الوجه أسفما
ويقال : شفه (199) ، ولعجه (200) ، ووقذه (201) ، وحمـز صدره (202) ، وملا ذرعه .

باب السخاء **

(195) البيت بنصه لأمريء القيس في ديوانه من 73 طبعة حسن السندوبيسي — القاهرة وهو بنصه أيضا في الصفحة 78 من الديوان — طبعة دار المعارف بمصر — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ورواية السكري : « ما تنجلي مبراتي » ، انظر من 396 من طبعة دار المعارف . وفي الاصل : رداى .
* راجع باب الحزن في تهذيب الالفاظ من 619 وباب الحزن والامتاع في الالفاظ الكتابية من 149 .

(196) البيت بنصه للنابغة الذبياني في ديوانه من 169 — تحقيق الدكتور شكري فيصل .

(197) هو معقل بن خويلد بن وائلة . وانظر شعره وترجمته في ديوان الهذليين 66/3 — 72 .

(198) هو متمم بن نويرة اليربوعي ، والبيت في المفضلية 67 ، انظر المفضليات — تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون — الطبعة الرابعة من 268 . وفيها . يترك : تترك . والبيت أيضا في جبهة اشعار العرب من 749 تحقيق علي محمد البجاوي . وهو أيضا في كتاب — مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي — لابشام مرهون الصغار من 114 . وقد سبقت ترجمته .

(199) شفه المرغى أو الهم : أوهنه .
(200) لمع الحزن مؤاده : استحر في قلبه . واللح : كل محرق . الم . الضرب . الحرقسة .

(201) وقذه : صرعه ، أو ضربه شديدا حتى أشرف على الموت .
** راجع باب السخاء في تهذيب الالفاظ من 201 وباب السخاء في الالفاظ الكتابية من 94 وباب النوال والصلة من 44 .

(202) حمز صدره : أي قبضه وغمه .

ويقولون : *وَيَقُولُونَ*

هو صبير (203) ينضح السمي (204) ، ويعطو (205) سواف المجد

ويقولون : لا يطوى على البخل نفسه . وفلان يتخرق في الجود . وقد لبس المجد أحسن ملابس . وينشدون :

وأبو اليتامى ينبتون ببابه نبت الفراخ بكالىء معشاب (206)

وانه لندى البنان ، سبط الكف ، طويل اليد ؟ ومن كلامهم : يدها غمامة ، ومن بنانه يجرى الماء في العود . وانه لغيث ، ونوء من الأنواء . قال زهير (207) :

وأبيض فياض (208) يدها غمامة على معنتيه ما تغب نوافله (209)

ويقولون : كنه خلف من المطر . قال جرير :

إذا لئرجو إذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر (210)

(203) الصبير : السحاب الأبيض

(204) السمي : جمع سماء وهو المطر .

(205) في الأصل : (ويعطوا) بزيادة الف .

(206) البيت في (نظام الغريب) ص 197 من غير عزو وروايته فيه :

وأبو اليتامى ينبتون ببابه نبت الفراخ بكلىء معشاب

ومكان مكلىء معشاب : إذا تكاثر فيه النبت .

وقبله في نظام الغريب بيت هو :

مكة إلى جنب الخوان إذا غدت نكباء تطلع ثابت الاطناب

(207) البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني يمدح حصن بن حذيفة الفزاري . راجع شرح ديوان زهير - صنعة ثعلب ص 139 . والبيت في عيون الأخبار 341/1 وفي المسائل والاجوبة لابن السيد البطليوسي ص 144 وفي البديع لاسامة منقذ ص 122 .

(208) في الديوان : وأبيض فياض .

وانظر ترجمة زهير (ت 13 ق هـ) في : طبقات الجبحي 52 والشعر والشعراء 76/1 والافاعي 146/9 والخزانة 375/1 والأعلام 87/3 وشرح شواهد المغني 48 ومعاهد التخصيص 327/1 وجمهرة الانساب 25 و 47 وصحيح الأخبار 7/1 .

(209) نوافله : ورواية الأصمعي : مواضله .

(210) البيت بنصه في شرح ديوان جرير ص 274 وهو من قصيدة فيها مر بن عبد العزيز (رض) .

وكلمة (لنرجو) و (نرجو) : كتبتا في الأصل بالف زائدة .

وانه لسمع ، ند ، موطلا الأكتاف . فياح نفاع . فضاخ الرداء ، رحب
المجم (211) ، طويل الساعدين ، واسع جيب الكم . قال : وهو يريد ما
اشتمل عليه الجيب ، يعنى نفسه ؟ وذلك كتولهم : طاهر الثوب ، طاهر
الرداء . وفي الفم : هو دسم الثوب (212) . ويقال : رجل ذو فجر ، اذا كان
يتفجر بالمعروف . قال الشاعر :

فجع أضيائي جميل بن معمر بذى فجر تأوى اليه الارامل (213)

وان فى كفه لمطلبا للغنى . قال (214) :

ففى كفه للغنى مطلب وللرب فى صدره موضع
يريد الملوك (215) مدى جعفر ولا يصنعون الذى يصنع
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع
وهذا كقوله :

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا (216)

- المجم : المصدر . (211)
انظر اللسان : مادة (دسم) . (212)
البيت لأبي خراش الهذلي ، انظر : الاشتقاق 130 وروايته فيه : « مجمع
أصحابي » . وجميل بن معمر من بني جبح وكان من أئم قريش لا يكتم شيئا .
والبيت من تصيدة يرثي فيها أبو خراش ، زهير بن المجوعة . وكان قتله جميل
ابن معمر يوم حنين . والبيت أيضا فى ديوان الهذليين 148/2 وروايته فيه
كرواية — المتخير — . والفجر : المعروف والجود وانظر ترجمة أبي خراش
الهذلي واسمه خويلد بن مرة وهو صاحب نهشته حبة نبات فى زمن عمر
ابن الخطاب (ت نحو 15 هـ) فى : الاغانى 38/21 — 48 والاصابة 464/1
وشرح الشواهد 144 وخزانة البغدادي 213/1 والشعر والشعراء 554
والسبط 216 وديوان الهذليين 116(2) والاعلام 373/2 .
الابيات الاربعة لاشجع بن عمرو السلمي (ت نحو 195 هـ) . انظرها فى :
الافغانى (التتامة) 155/18 والاوراق قسم اخبار الشعراء من 83 والبصائر
والفخائر 2 قسم 2 من 762 ومخطوطة الاوائل للمسكري من 14 والخزانة
143/1 والشعر والشعراء 760 وتهذيب ابن مسكّر 61/3 ومعاهد
التنصيص 62/4 . والاول فى بهجة المجالس من 465 . مع اختلاف فى الروايات
وانظر ترجمة اشجع السلمي فى : الاغانى 30/17 وتهذيب ابن مسكّر
59/3 ومعاهد التنصيص 62/4 والتبريزي 169/2 . وتاريخ بغداد 45/7
والشعر والشعراء 759 وخزانة البغدادي 143/1 والموشح 295 والاعلام
332/1 .
فى الاصل : مسدا . (215)
البيت متداخ ، نسب لأبي زياد الامرابي الكلابي فى شرح الحماسة للمرزوقي
من 1592 . وروايته فيه بمائلة لرواية المتخير . والبيت فى خزانة الادب =

ويقولون : هو متصل دقيقات الخير ، أريحي ، وهو ييارى الريح .
وفلان خصيب ، موطاً الاكتاف . ومما يشبه الجواد به أن يقال : بحر ،
وربيع مربع ، وخال : وهو الغيم البارق ، وخضرم : وهو البئر الكثيرة الماء .
ويقال انه لكريم المعتصر ، هش المكسر . وذكر لحاجب بن زرارة (217) أن
عوف بن القمقاع (218) على (219) أن ينافر خالد بن
مالك (220) فقال : « والله ما عوف بهش فيكسر ولا برطب فيعتصر » (221)
وفي هذه المنافرة قال خالد :

« أطمت حولاً من أكل ، وأعطيت يوماً من سأل » (222) .

- = 119/3 منسوب لأبي زياد الكلابي وروايته ماثلة لرواية المتخير . وقبله :
له نار تشب على بفاع . إذا النيران البست القناعا
كما نسب السعد في المطول وصاحب المعاهد في شواهد التلخيص إلى أبي
زياد الأعرابي الكلابي .
وجاء في أوراق الصولي — قسم أخبار الشعراء من 83 ما خلاصته : أن
البيت لموسى شهوات مولى بني سهم قتاله لمجد الله بن جعفر بن أبي طالب
ورويته فيه : ولم يك « أوسع » الفتان مالا . وقد نقل عنه البغدادي هذا
الكلام وثبته في خزائنه 144/1 .
والبيتان في مخطوطة الأوائيل للمسكري من 14 من غير عزو وروايتهما :
له نار تشب بكل ريح . إذا النيران جلت القناعا
وما أن كان أكثرهم سواها . ولكن كان أرحبهم ذراعها
والبيت في شروح سقط الزند من 107 من غير عزو وروايته : أرحبهم :
أطولهم . ورواية البيت في البيان والتبيين 145/3 من غير عزو
وما أن كان أكثرهم سواها . ولكن كان أطولهم ذراعها
وفي الحيوان 135/5 من غير عزو ، وأورد الروائين .
(217) حاجب بن زرارة : من زعماء تميم يوم جبلة ، أدرك الإسلام فأسلم . وهو
الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به ، وبه ضرب المثل .
انظر ترجمته في الإصابة 1355 .
(218) هو عوف بن القمقاع بن معبد بن زرارة التميمي . وقد نخر القمقاع بابنه عوف
أذ قال : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل
الانس » . انظر الحيوان 236/6 .
(219) هكذا في الأصلين ، وأرجح أن كلمة قد سقطت من الناسخ وهي بمعنى : مزم
أو نحوها ، فاختلت العبارة .
(220) هو خالد بن مالك الدارمي التميمي . انظر ترجمته في الإصابة 272/1 .
(221) جاء في البيان والتبيين 88/3 ما نصه : وقال حاجب بن زرارة : « والله ما
القمقاع برطب فيمصر ولا يابس فيكسر » .
(222) هكذا في الأصلين ، والذي في الإصابة 411/1 رقم 2194 ، أن القمقاع بن
معبد بن زرارة هو الذي نافر خالد بن مالك . وسبب هذه المنافرة : « أن
حاجب بن زرارة كان جالسا مرة وابله تورد عليه فاقبل خالد بن مالك
النهشلي على فرس وفي يده رمح فقال : يا حاجب ، والله لترقصن أو لأطعنك
مقال : تنح عنى أيها السفيه . فأبى فبلغ ذلك شيبان بن علقمة بن زرارة ،
فقال : أيتهاكم خالد بعني ، والله لأنافرنه . فكلت بنو تميم حاجبا فلهاء .
فتناكر القمقاع بن معبد وخالد بن مالك إلى ربيعة بن حذار الأسدي » .
والذي في الإصابة من وقوع المنافرة بين القمقاع بن معبد وخالد بن مالك ،
يوافق ما جاء في البيان والتبيين 88/3 .

قال الشاعر :

ألم يك رطباً يعصر القوم ماءه وما عوده للكاسرين بيابس (223)

وقال الاعشى (224) :

وجروا على ما عودوا ولكل عيدان عصاره (225)

وقال الآخر :

لو مع عود على قوم عصارته لمج عودك فينا المسك والبان (226)

وقال هشام بن حسان (227) : لا يبعد الله يزيد بن المهلب (228) ، ان كانت السفن لتجري في جوده. وفلان عد من الاعداد. والعد : الماء الدائم الذي لا ينقطع . ومن ألفاظ الشعراء : ينمش المولى ويحتمل الجلى . وفلان

- (223) البيت لرجل من محارب يرثي ابنه ، انظر البيان والتبيين 88/3 .
(224) هو ميمون بن تيس (ت 7 هـ / ، انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 178/1 والافاعي (الساسي) 74/8 ومعجم المرزباني 325 والمؤلف 12 والخزانة 83/1 وشرح شواهد المغني 85 ومعاهد التنصيص 196/1 وآداب اللغة 109/1 ورغبة الأمل 70/4 ومصحح الأخبار 12/1 و 244 وجبهة اشعار العرب 29 و 56 وشعراء النصرانية 357/1 والاعلام 300/8 وطبقات الجيحي في مواضع متفرقة وعده في الطبقة الاولى .
(225) هذا انشاد بداخل ، ورواية ديوان الاعشى الكبير - شرح وتعليق الدكتور محمد حسين - القاهرة ص 161 :

مَجروا على ما مـودوا ولكل مـادات أمـاره
والمود يعصر مـاره ولكل مـيدان مـاره

- والبيت في اللسان 315/4 وروايته مماثلة لرواية المخير . وهو في حياصة البحرني (ص 219 - ط 2 - تحقيق لويس شيخو - بيروت 1967) مماثلاً لرواية المخير . وروايته في المقاييس 342/4 والمخصص 215/10 والاستحقاق 269 مماثلة لرواية الديوان .
(226) البيت لحباد مجرد الكوفي ، قاله في معبد بن أبي العباس السفاح ، راجع الشعر والشعراء 665 والبيان والتبيين 89/3 والافاعي (دار الثقافة 358/14 . وانظر ترجمة حباد مجرد في : الشعر والشعراء 663 والافاعي (الثقافة) 304/14 ووفيات الاميان 165/1 والمؤلف 157 وطبقات ابن المعتز 97 وتاريخ بغداد 184/8 ومعجم الادباء 249/10 ولسان الميزان 349/2 والاعلام 302/2 .
(227) هو هشام بن حسان الأزدي ، أبو عبد الله ، الفردوسي (ت 147 هـ . انظر ترجمته في الاعلام 81/9 وتهذيب التهذيب 34/11 والتاج 214/4 وتذكرة الحفاظ 154/1 .
(228) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (ت 102 هـ) . انظر ترجمته في الاعلام 246/9 ووفيات الاميان 264/2 وخزانة البغدادي 105/1 والتشبيه والاشراف 277 ورغبة الأمل 189/4 ومعجم ما استمعهم 950 والبعثوني 52/3 وابن خلدون 64/3 و 69 و 76 وابن الأثير 29/5 والطبري 151/8 وربة الايام للبديعي 253 - 267 .

يستعذب نغمات السائلين . ومن ألفاظهم : يبسط (229) كفه اذا شنجت
كف البخيل . قال ابن السكيت (230) ، ويقال : انه لذو قحم عظام ، أى
يتقحم فى الامور العظام ، وهو واسع الذرع ، رجب السرب (231) ،
ذلول بالمعروف . الفراء (232) : انه لذو طائلة على قومه ، للمفضل
المتطول . قال الفنوي (233) : ما أنول فلانا أى ما أكثر نائله .

باب البخل (234)

يقال : فلان جعد اليديين ، جعد البنان ، يابس الكف . وانه « لا يندى
الرضفة » (235) ، وليس يبيض (236) صفاه ، و « لا يبيض (237)

- (229) الطاء مطبوسة فى الاصل .
(230) العبارة فى تهذيب الالفاظ ص 203 .
(231) جاء فى المتايبس 156/3 : واسع السرب ، أى الصدر ، قالوا : ويراد به
انه بطيء الغضب وانظر تهذيب الالفاظ 203 .
(232) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الكوفى (ت 207 هـ / . انظر ترجمته فى : ارشاد
الاربيب 276/7 ووفيات الاميان 228/2 وفهرست ابن النديم ص 66 وغاية
النهاية 371/2 ونزهة الالباء 126 ومراتب النحويين ص 86 ومفتاح السعادة
144/1 والذريعة 39/1 وتهذيب التهذيب 212/11 وتاريخ بغداد 149/14
والاعلام 178/9 . والف منه الدكتور أحمد مكى الانصاري كتابه : « أبو زكريا
الفراء ومذهبه فى النحو واللغة » .
(233) الفنوي هذا لم يذكر اسمه . وبالرجوع الى الالفاظ لابن السكيت وجدنا فى باب
السخاء ص 125 مانعه : « قال كمب بن سعد (الفنوي) :

ومن لا ينل حتى يسد خلاله يجد شهوات النفس غير قليل

- (قال) وان فلانا ليتنول بالخير ، وما أنول فلانا أى ما أكثر نائله » .
ثم بالرجوع الى — كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الالفاظ — وجدنا فى هامش
الصفحة 204 ما يشير الى ان المخطوطة الجزائرية المحفوظة فى مكتبة
باريس قد ذكرت فى متن ابن السكيت ما نصه : « قال الفنوي : وما أنسول
فلانا أى ما أكثر نائله » . وبهذا يكون نص متخير الالفاظ موافقا لنص ابن
السكيت ، كما تتكشف هوية الفنوي المذكور والله اعلم .
وكمب بن سعد الفنوي شاعر جاهلي (ت نحو 10 ق هـ) . انظر ترجمته فى
الاعلام 82/6 والتهيجان 26 والحيوان — طبعة الحلبي — 56/3 ومجالس
ثعلب 140 والجمعي 169 و 176 وسبط اللالي 771 وخزانة البغدادي
621/3 ومختارات ابن الشجري 25 والمرزبانى 341 وشعرماء النصرانية
وجمهرة اشعار العرب 133 وشرح شواهد المغني 236 ومعجم ما استعجم
للبيكري 877 ورغبة الأمل 101/6 وكشف الظنون 808 .
(234) راجع فى تهذيب الالفاظ باب الشح 69 وفى الالفاظ الكتابية باب البخل 96 .
(235) رواية المثل فى جمهرة الامثال : « مايندى الرضفة » 276/2 . وفى الميداني
275/2 « ما عنده ما يندى الرضفة » وهو فى الاساس مادة (رصف) .
(236) يبيض : ينشغ منه الماء .
(237) رواية المثل فى جمهرة الامثال 276/2 : « ما يبيض حجره » ، وانظر المثل فى :
المستقصى ص 305 واللسان مادة (بفض) والميداني 229/2 والالفاظ
الكتابية 96 ومعنى المثل : ما يفرج منه خيسر .

حجره « ، ولا تندي صفاء ، وهو كدية (238) لا تحفر ، وهو مجتدوف
البنان (239) . قال بعض العلماء : ما يندى الرضفة ، هو أن يعمد الى
كرش فيملا من الودر ثم تحمي الحجارة فتلقى فيها حتى تنضج ما في
الكرش وهي المروضفة (240) . قال الكميت (241) :

ومروضفة لم تون في الطبخ طاهيا عجلت آلى محورها حين غرغرا

فمعنى الكلام : انه ليس عنده من الخير ما يندى هذه الحجارة .
ويقال : هو جماد برم ، البرم : الذي لا يأخذ النصيب من الجزور مع
القوم . وزعموا ان امرأة نظرت الى زوجها وهو يأكل بضعتين قد قرن
بينهما فقالت : « أبرما قرونا » (242) . ويقال للبخیل : هو زرم بكى . والبكى :
من بكؤت الشاة اذا انقطع لبنها . وهو مكد ، صلود ، أى يابس . قال : (243)
ومطير الیدین للحمد والمجد اذا ضن كل جيس صلود ، وأصلد الرجل :
بخل . وقال قطرب ، ويقولون فى مثا لهم : « فى الحجر أمت لا فيه » (244)
الامت : اللين . أى : فى الحجر مغمز ومدخل لا فى هذا الرجل . وبفلان

- (238) الكدية : الأرض الصلبة الغليظة .
(239) اي قصير البنان .
(240) ورد فى تهذيب الالفاظ من 75 : « الاسمى : ما يندى الرضفة ، اي ما
يخرج منه من الببل بقدر ما يبل الرضفة وهو حجر يحس » .
وقد اثبت ابن سيده فى المخصص 13/3 نصا . والودر : قطع اللحم مفردا :
وفره وكذلك البفصة .
(241) هو الكميت بن زيد الاسدي (ت 126 هـ) والبيت فى الجزء الاول من ديوانه
من 199 — تحقيق داود سلوم . وهو ايضا فى المعاني الكبير 367/1
ومقاييس اللغة 401/2 والصحاح 640/2 واللسان 220/4 والقاموس
المحيط 325/2 والتاج 164/3 . وانظر ترجمة الكميت فى : البيان والتبيين 22/1
والحيوان 55/5 والشعر والشعراء 485/2 والافاني (بولاق) 113/15
(والساسي) 108/15 وجمهرة اشعار العرب 187 والموشح 302 وشرح
شواهد المغني 13 وخزانة الادب 69/1 و 86 وديوان الاخطل 26 وبروكلمان
242/1 والمؤلف والمؤلف 257 وطبقات الشعراء 163 ، 168 — 169
والكائرة للطرابلسي 33 واللاي 12/11 والمعاهد 93/3 — 107 والمعني
534/1 و 429/2 وامالي الزجاجي 137 .
(242) يضرب مثلا فى البخیل الشمره الى ما هو فوق حقه ، انظر المثل فى : جمهرة
الامثال 220/2 والميداني 135/2 والمستقصى 119 واللسان مادة (برم)
وعيون الاخبار 203/3 .
(243) ما بعدها بيت مدور ، متصل الصدر بالمعجز .
(244) لم أجده فيها رجعت اليه من كتب الامثال ، وقريب منه قولهم : « ما فى الحجر
مبنى ولا عند فلان » . يضرب مثلا عند توكيد اللوم وقلة الخير ، ومبنى
بمعنى مطلب . انظر جمهرة الامثال 251/2 والميداني 287/2 رقم المثل
3920 . وورد فى اللسان 309/2 مادة (أمت) ما نصه : قال سيبيويه ،
وقالوا : أمت فى الحجر لا عليك ، ومعناه اباك الله بعد فناء الحجارة » . وهو
بمعنى من معنى المثل المذكور فى المتخير .

مساك ، أى بخل . وهو حصور شحيح (245) . ومن ألفاظ الشعراء :
خلجات البخل . قال أبو دهب (246) :

ولو كان ما تعطى رياء تشبثت به خلجات البخل يجذبته جذبا
ولكنما تبني به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا
فنعم ابن عم القوم في ذات ماله إذا كان بعض القوم في ماله كلبا (247)

ففى الابيات : خلجات البخل ، وذات ماله . ويقولون : « لثيم
راضع » (248) والانوح : الذى يزهر اذا سئل . والازوح : المتقبض .
وفلان لثيم أعقد (249) ، زمر المروءة (250) . وعطية جذماء . قال :

(245) انظر الالفاظ الكتابية ص 96 .
(246) هو وهب بن زمعه الجهمي (ت 63 هـ) ، انظر ترجمته في: الشعر والشعراء
512/2 والمؤلف 168 والاغاني 114/7 - 145 والموشح 298 وأمالى
المرتضى 1/ 79 والمعنى 141/1 وسط اللالي 88/3 ومواضع متفرقة
من الحيوان ج 6 و 7 ودائرة معارف البستاني 299/4 . وقد نشر المستشرق
فريتز كرنكو ديوانه في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية - لندن - عدد
أكتوبر سنة 1910 من ص 1017 - 1077 ، تحت عنوان « شعر أبي دهب
الجهمي وأخباره » عن نسخة خطية قديمة مؤرخة في 484 هـ مضيئا إليها ما
عثر عليه من شعره في بعض المراجع .
(247) الابيات لأبي دهب في مدح ابن الأزرق ، وروايتها في (شعر أبي دهب -
الجهمي وأخباره) ص 1058 :

ما كنت إلا رحمة الله أرسلت لهلكي فريش لا بخيلا ولا خبسا
فلو كان ما تعطى رياء تنازعت به خلجات البخل تجذبه جذبا
ولكنما تبني به الله وحده لعمري لقد أربحت في البيعة الكسبا

والبيتان الأول والثاني لأبي دهب في أشباه ونظائر الخالدين 225/2 ورواية
الأول فيه :

فلو كنت ما تعطى رياء تنازعت به خلجات البخل يجذبته جذبا

والبيان الأول والثاني لحاتم الطائي في ديوانه - طبعة دار الكتاب العربي
ص 28 وروايتها فيه :

فلو كان ما يعطى رياء لامسكت به جنبات اللوم يجذبته جذبا
ولكنما يبني به الله وحده فاعط ، لقد أربحت في البيعة الكسبا

(248) الراضع الذي رضع اللوم من ثدي أمه ، يريد أنه ولد في اللوم . والذي عليه
أكثر أهل اللغة أن الراضع هو الذي يرضع من الناقة والشاة من خلفها ولا
يحلب في أثناء اللها يسمع الصوت فتطلبه الضيفان .
أنظر المثل في المأخر ص 42 وتهذيب الألفاظ 75 واللسان مادة (رضع) .

(249) أي ليس بسهل الخلق .

(250) أي صغير المروءة . وأصل الزمر : قلة الصوف وقلة الريش .

ومن العطية ما ترى جذماء ليس لها بذاره (251)
حجر تقلبه وهل تعطى على المدح الحجارة

ومن ألفاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره (252) .

باب الشجاعة (253)

يقال : هو شجاع بهمة . قال أبو زيد : لانه بهيم لا موضع فيه للجبن ؟
وبطل ، لانه يبطل الأقران ، وصمة ، لانه يصمم ولا ينتثى . وأشوس ،
يعرف الغضب في عينيه وحاجبيه من تشاوسه . وأصر ، قد أمال عنقه
غضبا . وكفى ، والبئيس ، وهو الذى اذا ثبت لم يبرح . وأيهم ، وهو مشبه
بالسيل ، وحمس ، وليث ، وغضب ، ومقدام بئيس ، مغوار ، باسل ،
مشيح ، أحوس ، أحمس ، محرب ، مشيح ، لزاز حرب . وقسال
الحجاج (254) ، وذكر المختار (255) فقال : « لله دره ، أى رجل دنيا ،
ومسعر حرب ، ومقارع أعداء كان » . ومن ألفاظ الشعراء : هو برود
المضجع ، تقيل على عدوه . « عنيف على قرنه محطم ، يشذب بالسيف

(251) البيتان لأبي دهل الجبحي من تصديده التي مدح فيها عبارة بن عمرو بن هزم
عامل عبد الله بن الزبير على حضر موت ومعرضا بأبن الأزرق ، انظرهما في
« شعر أبي دهل وأخباره » ص 1071 من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية
سنة 1910 - عدد أكتوبر - وهما له في الأغاني - طبعة النقا - 125/7
وفيها : بذاره : نزاره والبيت الاول في تهذيب اللغة 428/14 من غير مزو .
والاول فقط في مجالس ثعلب 499/2 من غير مزو .
والاول منهما في اللسان 115/5 من غير مزو .

والثاني منهما في رسائل الجاحظ 342/2 منسوباً لأبي دهل .
وقد سقطت عبارة « حجر تقلبه » من النسخ فائتتها في الهامش .
(252) اتحم الناسخ عبارة : « ومن ألفاظ الشعراء : لا يروم الضيف ناره » بين بيتي
أبي دهل ، وحققها التأخير .

(253) راجع باب الشجاعة من تهذيب الألفاظ ص 168 وباب الشجاعة في الألفاظ
الكتابية 62 .

(254) هو الحجاج بن يوسف الثقفي (40 - 95 هـ / انظر ترجمته في : وفيات
الاميان 123/1 ومعجم البلدان 382/8 والمسمودي 103/2 وتهذيب ابن
مسافر 48/4 وتهذيب التهذيب 210/2 وابن الأثير 222/4 والبدء والتاريخ
28/6 والاعلام 175/2 .

(255) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (67/1 هـ) انظر ترجمته في : الإصابة
رقم 8547 والفرق بين 31 - 37 وابن الأثير 82/4 والطبري 146/7 وانظر
مهرس طبعة دار المعارف 409/10 والحدود المعين 182 وثمار القلوب 70
ومرق القسيمة 23 والمرزباني 408 والأخبار الطوال 242 والذريعة 348/1
ومقتل الحسين ص 98 لأبي مخنف الأزدي والاعلام 70/8 وسير اعلام النبلاء
353/3 وتاريخ الاسلام للذهبي 369/2 ، 372 ، 380 و 70/3 .

أقرانه « (256) .

باب الجبن (257)

هو جبان ، مجوف (258) ، منزوف ، قد نزع عقله جبناً ، ومنخوب
نخب فؤاده ، أى طير ، ورعديد : يرتعد من الفرق . ويراعه ، شبه بالقصبة ،
وبعل ، هو الذى يبعل عند الحرب يدهش ، وكهام يرتد عن المواقعة ،
ومعرد أى مول . قال :

ولا بكهام بزه عن عـدوه إذا هو لاقى حاسرا أو مقنعا (259)

وقد أحجم ، وخام ، وكلل ، وجبأ . قال :

وهل أنا الا مثل سيقة العدى ان استقدمت نحر وان جبأت عقر (260)

وقد عثم فى الحرب ، وحمل فلان فأكذب ، وكذب . ورجل عقر ، اذا
فجئه الروع فلم يقدر ان يتقدم أو يتأخر .

باب العجلة والاعجال

تقول العرب : سرعان ذا ، ووشكان ذا . وجاء فلان على غشاش ،

(256) تسبها بيتين للبريق مياض بن خويلد الهذلي ، من تصيدة له فى ديسان
الهذليين 55/3 — 57 ونصها فى الديوان :

معي صاحب مثل نصل السنان منيف على قرنه مفشـم
يشذب بالسيف اترانسه اذا مر ذو اللبة الغيلـم

(257) ورواية البيت الاول فى بقية اشعار الهذليين : « محطم » مكان « مفشـم » .
راجع باب الجبن وضعف القلب ص 176 : تهذيب الالفاظ ، وباب الجبان فى
الالفاظ الكتابية ص 68 .

(258) فى الاصل (تحوف) بالحاء المهملة وفتح الميم ، وهو تصحيف .
(259) البيت لمتهم بن نويرة فى رثاء اخيه ، انظر كتاب (مالك ومتهم ابنا نويرة

اليربوعي) ص 108 . ورواية الشطر الاول فى جمهرة اشعار العرب ص
746 — تحقيق على محمد البجاوي : « ولا بكهام ناكل من عدوه » . والكهام :

الكليل . والبز : السلاح ، والبيت فى اللسان مادة (بز) من غير عزو .
والبيت لمتهم فى المفصليات ص 266 وروايته : « ولا بكهام بزه » . والبيت

لمتهم فى المقد اللريد 264/3 وروايته : « ولا بكهام سيفه » . وقد سبق
ترجمة متهم .

(260) البيت فى التاج مادة (ساق) لنصيب بن رباح . وهو فى ديوان نصيب بن رباح
ص 92 . وفى حاشية الصحاح مادة (جبأ) 40/1 انه لنصيب بن ابي محجن .

وهو فى المخصص 78/3 من غير عزو وهو فى اللسان مادة (جبأ) ومادة
(سوق) من غير عزو ايضا .

أى على عجلة . ولقد أجهضته عن ذلك الامر ، أى أعجلته . وحفزته . ووجدته مستوفزا (261) ، ومتحفزا ، وعلى عدواء .

باب متخير الفاظهم في المسارع الى الشر

يقال : انه لتيحان (262) في الامور ، أى معترض فيها . والشتيم الفاحش . ويقال للمتسرع اليك : « ان جفرك الى لتهدم » (263) ، « وان حبلك الى لانشوطة » (264) ، وانك لترع الى (265) . ورجل معن متيح : يدخل في كل شيء لا يعنيه (266) . الاصمى (267) : ان فلانا لنعار في الفتن ، اذا كان سماء فيها . يقال ما وقعت فتنة الا نعر فيها . ونعر الدم ، اذا دفع ، ينعر . وهو عرق نعار . ويقال : انه لدعة ، اذا كان فيه قاذح وغيوب . ومن الفاظ الشعراء : انه يجرى اليها غير ذى رسن . والتشخر : التسرع الى الامر ، وهو من : تشخرت الناقة ، اذا أبصرت رعيها فنشطت ، وحركت رأسها مرحا . ومن أمثالهم في الرجل يعجل الى الرجل بالسوء : « استقدمت رحالك » (268) .

باب النشاط (269)

يقال : هو أشر ، فره . وقد أشر ، وعرض ، وهو من عرص البرق ، اذا كثر لمعانه . ويقال عرص اليهم ، اذا نزا من النشاط . وقد بطر ، ومرح . قال ابن السكيت (270) ، قال أبو تمام الاسدي : « الخجل سوء احتمال الغنى ،

- (261) المستوفز : القائم قمودا منتصبا دون اطمئنان .
(262) التيحان والتيحان والتياح بمعنى .
(263) في تهذيب الالفاظ 236 : « ان جفرك الى لهدم » . والجفر : البئر الواسعة لم تطو . وذكر في الاساس مادة جفر 127/1 : ان جفرك الى لهار ، أى شرك الى متسرع . وفي الميداني 65/1 رقم المثل 325 : ان جفرك الى الهدم : قال : يضرب للرجل يسرع الى ما يكرهه .
(264) انظر المثل في الميداني 65/1 رقم المثل 326 وانظر (مقدمه بانشوطة) في الفاخر 123 .
(265) انظر تهذيب الالفاظ 236 وفيه : انه لترع اليه ، وقد ترعت اليه أى تسرعت
(266) انظر تهذيب الالفاظ 237 والمخصص 71/3 .
(267) انظر تهذيب الالفاظ 237 .
(268) في جبهة الامثال 185/1 ورد : « استقدمت رحالته » . يقال للرجل يعجل الى صاحبه بالشتم وسوء القول ، والرحالة بمنزلة السرج ، واذا استقدمت رحالة الفارس سد ركوبه ، نجعل ذلك مثلا لمن سدد قوله . وانظر المثل في الميداني 123/2 والمستقصى 65 .
(269) راجع باب البطر والنشاط في تهذيب الالفاظ 504 وباب التكبر في الالفاظ الكتابية 133 .
(270) انظر القول في تهذيب الالفاظ 505 واصلاح المنطق 318 والفاخر 121 واخداد ابن الانباري 152 .

والدقع سوء احتمال الفقر . ويقال : قميص خجل ، أى فضفاض واسع (271) . قال زيد بن كثوة (272) : « دخلت على الحسن بن سهل (273) ، فكساني قميصين خجلين » . وإن فلانا لذو ميمة .

باب الرجل الراضى باليسير من الطعام

العرب تمدح بقاء الطعام ، وتنم الرغبة . قال أعشى باهلة (274) :

تكفيه حزة فلذ أن ألم بها من الشواء ويروى شره الغمر

ويقال : هو قليل الطعام ، زهيد . وهو يقرم قرمان البهمة (275) . وقد خلا على طعام كذا ، إذا لم يأكل غيره . ويقال أتانا بطعام فحططنا فيه ، أى أكثرنا . وخططنا ، أى عذرنا (276) .

- (271) انظر تهذيب الالفاظ 505 ونوادر أبي مسحل 55/1 .
 (272) هو زيد بن كثوة العنبري ، شاعر ورد ذكره في معاجم اللغة مادة « كثر » وفي الحيوان 116/6 . وانظر مقالته هذه في تهذيب الالفاظ 505 .
 (273) وزير المأمون العباسي ووالد (بوران) زوجة المأمون (ت 236 هـ) وهو أخو الفضل بن سهل . وانظر ترجمته في : وفيات الاعيان 141/1 وتاريخ بغداد 319/7 وابن الوردي 217/1 والاعلام 207/2 .
 (274) هو عامر بن الحارث ، وقد ورد البيت في كتاب « الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعمش والأعشى الآخرين » ص 268 مع اختلاف يسير فيه . (ويكنى) مكان (ويروي) . وانظر ترجمة أعمش باهلة في : خزنة الادب 90/1 وسبط اللالي 75 والجحى 169 والاعلام 16/4 . والامدي والانتصاب 304 وشواهد المغني 86 والمكثرة 16 . والبيت في الاضداد للانباري ص 421 وروايته فيه مطابقة لرواية المتخير . والبيت في الاشتقاق لابن دريد ص 486 وروايته فيه :

تغنيه حزة فلذ أن ألم بها من الشواء ويروي شره الغمر

- وروايته في نظام الغريب ص 56 : تكفيه ملذة كبد ، والبيت في اصلاح المنطق ص 4 و 85 و 285 . والمعاني الكبير 1109 واضداد السهستاني 147 ومقاييس اللغة 394/4 و 450 و أمالي المرتضى 96/1 واللالى 75 وشرح الحماسة للمرزوقي 402 والالفاظ لابن السكيت 607 والمعدة 144/2 و أمالي القالي 16/1 وجمهرة الامثال 122/1 و 487 . وفي اضداد أبي الطيب اللغوي 554/2 : تكفيه ملذة لحم . وهو في الصحاح 772/2 مادة (غمر) ، وفي اللسان 336/6 مادة (غمر) وفي شرح نهج البلاغة 850/2 و 509/4 ، وفي الكامل للمبرد 356/1 وفي نوادر أبي مسحل 146/1 وفي الاصمعيات 91 وفي جمهرة اشعار العرب 717 وفي الامتاع والمؤانسة 200/2 .
 (275) انظر تهذيب الالفاظ 648 .
 (276) جاء في تهذيب الالفاظ 647 : « أتانا بطعام فحططنا فيه أي أكلنا ، قال أبو عبيدة : أي أكثرنا منه الأكل . وخططنا فيه أي عذرنا » . وقد عد الانباري في اضراده ص 407 هذه الكلمة من الاضداد إذ قال : « أتانا فلان بطعام فحططنا فيه إذا عذرنا وأكلنا أكلا يسيرا ، وأتانا طعام فحططنا فيه ، إذا أكلنا أكلا كثيرا » .

باب الرغب وكثرة الاكل

يقال : هو سراط ، اذا كان يلتم لثما جيدا . ويقال : قد سلخ اللقمة ، وبلعها ، وزردها ، وفي الامثال : « الاكل سلجان ، والقضاء ليان » (277).
يقول : يأكل ما يأخذ من الدين ، فاذا صار الى القضاء لواه ، أى مطلقه .
والخضم : أكل الشيء الرطب . والقضم : أكل الشيء اليابس (278) .
ورجل بلع . ويقولون :

يلتم لثما ويفسدى زاده
يرمى بأمثال القطا فؤاده (279)

وهو أكل جروز (280) ، ويقال : شد ما ملأت بطنك ، ودحسته .
ويقال : أوجب فلان أكله ، أى جعله وجبة ، كل يوم مرة . ويقال : خلا
فلان على اللبن ، وعلى اللحم ، اذا لم يأكل معه شيئا . وأخلى أيضا . قال أبو
عبيدة : اجتحف (281) الثريد بأصابعه ، وقدم اليه طعام فتحسفه ، اذا لم
يبقى منه شيئا . ويقال : هلم نتضح ، أى نتغدى . وحسوت الشيء . وفي
الامثال : « أحس وذق » (282) ، « ونوم كحسو الطير » (283) ويقولون

- (277) اللبان : المثل ، والسلجان : سرمة الابتلاع . ويقال أيضا : « الاخذ سلجان
والقضاء ليان » راجع جمهرة الامثال 171/1 والمستقصى 298/1 وشرح
ديوان زهير بن أبي سلمى ص 181 ومجمع الامثال 41/1 رقم المثل 156 وفي
هذا المعنى قولهم : « ان أكله لسلجان » وان قضاءه للبان ، وان عسده
لرعيان « ورعيان معناه بطيء . راجع مجمع الامثال 67/1 رقم المثل 339
وانظر اللسان (سلج) وتهذيب الالفاظ 649 .
(278) ورد في مجمع الامثال للميداني 307/2 ما نصه : الخضم : الاكل بجميع اللحم ،
والقضم : الأكل باطراف الأسنان .
(279) ورد الرجز في مجالس ثعلب 461/2 من غير عزو . وفي اللسان 9/20 انشده
ابن الأعرابي ومعناه : يبقى زاده ويأكل من مال غيره . وفي الميداني 417/2
اخطط شطر الرجز بمثل يليه فوجب التنبيه . قال الميداني معناه : يأكل من
مال غيره ويحتفظ بماله .
(280) الجروز : الاكل الذي لا يترك على المائدة شيئا .
(281) قال المصنف في المغايب 427/1 : الجيم والحاء والقاف أصل واحد قياسه
الذهاب بالشيء مستوعبا . يقال : سيل حجاب اذا جرف كل شيء وذهب به .
ويقال أجهف بالشيء اذا ذهب به . وفي المنجد ص 77 : اجتحفه : استلبه .
استأصله وأهلكه . اجتحف ماء البئر : نزهه ونزهه .
(282) يضرب مثلا للشمامة بالجاني ، ومعناه أنك قد جنيت الشر على نفسك فإلى
ما فيه البلية . انظر المثل في جمهرة الامثال 124/1 ومجمع الامثال 207/1 .
(283) جاء في المغايب 58/2 . يقولون : « نوم كحسو الطائر » أي قليل . وفي
أساس البلاغة 174/1 : « ويوم ، ونوم كحسو الطائر » . وجاء في اللسان
192/18 : « ويوم كحسو الطير أي قصير . والعرب تقول نمت نومة كحسو
الطير اذا نام نوما قليلا » .

في المثل أيضا : « لملها كنت أحسبك الحسا » (284) ويقولون : « أكل من حوت » (285) « وأروى من حوت » (286) . ورجل سريع الأكل ، سريع الإحارة (287) . ويقولون : « أراك بشر ما أحر مشفر » (288) . يضرب للسمين . أى من غذى بغذاء استبان ذلك عليه . ورجل فيه : أكول . ويقولون : ما زلنا في خضد ، وخضم ، وقضم . الخضد : أكل القثا وشبهه . والخضم : للفاكمة . والقضم : لليابس .

باب الجوع (289)

يقال : رجل جائع ، وغرثان . وفي المثل : « غرثان فاربكوا له » (290) وهو طعام يخلط له . وأصل هذا أن رجلا بشر بسلام فقال : ما أصنع به ؟ أكله أم أشربه ؟ فعلمت امرأته أنه جائع ، فقالت : غرثان فاربكوا له ، فلما شبع ، قال : « كيف الطلا وأمه ؟ » (291) يعنى الصبى وأمه . ورجل ساغب ، وسغبان ، والمسغبة : المجاعة ورجل ضرم . وقد ضرم ضرما . والمسحوت : الجائع . والمسحور (292) : الذى به سعار . ورجل وحش ،

- (284) يراد به : لمل هذا الامر كنت أوثرك بما أوثرك به . وورد المثل في فصل المقال 219 والمستقصى 292 وشروح سقط الزند 640/2 والمقاييس 58/2 وروايته : « لمل ذا كنت أحسبك الحسا » . وهو كذلك في جمهرة الامثال 185/2 . وروايته في أساس البلاغة 175/1 : « لملها كنت أحسبك الحسا » . لبلعه الاشياء من غير مضغ . انظر المثل في جمهرة الامثال 200/1 والمستقصى 6/1 والميداني 86/1 رقم المثل 411 .
- (285) انظر المثل في جمهرة الامثال 201/1 و 499 و 31/2 والميداني 315/1
- (286) اي سريع اللقم .
- (287) يضرب مثلا للامر يدل ظاهره على باطنه ، انظر جمهرة الامثال 77/1 وفصل المقال 245 والميداني 290/1 والمستقصى 58 واللسان مادة (شفر) .
- (288) راجع باب الجوع في تهذيب الالفاظ 632 وفي الالفاظ الكتابية راجع باب الجوع 78 وباب ترادف الجوعان ص 292 .
- (289) يضرب مثلا للرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك . انظر جمهرة الامثال 82/2 والميداني 56/2 والمستقصى 248 . واللسان والاساس مادة (ربك) . ويروي المثل : غرثان فاربكوا له . انظر الاشتقاق لابن دريد ص 429 و 534 . وبكلت الشيء أكلته بكلا ، اذا خلطته ، نحو الاقط بالسمن وغيره . وورد المثل بصيغة أخرى في كتاب الابدال والمحاقبة والنظائر للزجاجي ص 474 ونصه : « وحدثني المازني قال ، قال الكسائي : ولدت امرأيسة وزوجها غائب ، فلما قدم قالوا له : ليهنك الفارس امقال : والله ما أدري : أكله أم أشربه ؟ فقيل ذلك لامراته فقالت : جائع فاربكوا له » .
- (290) وزوج الامرابية الغائب هو ابن لسان الحمرة . وهذه المثل شبيه بالمثل القائل : « غضبان لم تؤدم له البكيه » . والريكية والبكيه واللبيكة شيء واحد . انظر الميداني 60/2 رقم 2678 .
- (291) المثل في الميداني 164/2 رقم المثل 3179 : قال الاصمعي : يضرب لمن قد ذهب هيبه وخلا لسانه .
- (292) السعار : شدة الجوع .

وقد أوحش ، وهو من قوم أوحاش ، أى جياح . ويقال : بقتنا الوحش .
وبقتنا القواء ، إذا لم يكن عندهم طعام . وقد أقوى القوم ، وأرملوا ، إذا نفذ
زادهم . والخمصة : المجاعة . والطوى : ضمر البطن من الجوع . ورجل
طيان ، وبه سمر ، أى شهوة وجوع .

باب حسن المواتاة والذل (293)

يقال : هو ذلول بين الذل . وهو بغير قيد ، إذا كان ذلولاً ينساق . يقال :
اجعل فى أول قطارك بغيراً قيدا تتبعه الأبل . وبغير مديث ، إذا ذل بعض
التذليل ولم يستحكم . وديث فلان من صولة فلان ، إذا لين منها . وهو بغير
مصحب ، منقاد . وجاءوا على صعب وذلول . قال أبو عمرو : وركبوا ذل
الطريق ، وهو ما قد وطئ منه . ويقال : «أمور جارية على اذلالها» (294)
أو على مجاريها .

باب الغضب (295)

يقال : غضب غضبا ، وعبد عبدا (296)، واستأرب عليه غضبه (297)،
وحمز صدره ، ووغر (298) . وقد «ثار ثأره» (299) ، وهاج
هائجه (300) . وبين القوم مثرة ، ونائرة (301) . وقد تفاحش ما بينهم ،
وتدابى . وقد انصدع ما بينهم . وفى صدره عليه ضب (302)، وغلة ، وغليل .
وفلان يقدر على فلان سحره (303) . وهو يحرق عليك الأرم (304) . ويقال
للغضبان إذا غضب واحتد : هو ذو طيرة ، وذو سورة ، وذو بادرة . وقد

293 راجع باب الذل وهو ضد الصموية فى تهذيب الالفاظ 621 وراجع فى الالفاظ
الكتابية باب الانتقاد ص 30 .

294 من امثال الميداني 174/1 : اجر الامور على اذلالها . اي على وجوها التي
تصلح وتسهل وتيسر ، ويقال : جاء به على اذلاله ، اي على وجهه ، ويقال :
دعه على اذلاله : اي على حاله .

295 راجع فى تهذيب الالفاظ باب الغضب والحدة والعداوة ص 78 ، وفى الالفاظ
الكتابية باب الغيظ ص 19 وباب اظهار العداوة ص 48 .

296 راجع تهذيب الالفاظ 85 .

297 راجع نواذر ابي بسمل 103/1 .

298 وغر صدره على فلان : توقد عليه من الغيظ .

299 اي هاج ما كان من عادته ان يهيج منه . انظر المثل فى الميداني 154/1 رقم
المثل 785 .

300 راجع تهذيب الالفاظ 82 .

301 راجع تهذيب الالفاظ 87 .

302 الغضب : الحقد الخفي .

303 السحر : الرئسة .

304 راجع تهذيب الالفاظ 81 . والارم : الاسنان .

أرى على صدرك . ويقال ضمد ، وحرد ، وحرب . وحربته فحرب (305). واضطرم ، وتضرم ، واحتدم ، ونفر ينفر (306). والتثق : الملآن غضبا . يقولون : « انا نتق وصاحبي متق ، فكيف نتفق » (307) ؟ ا . التثق : ان حركته تفجر والمتق : المغتاط السريع البكاء . فلا يكون بين هذين أبدا هدنة (308) ولا سكون . وفلان حامى الحميا ، اذا غضب حمى . والحميا : شدة الغضب . وحميا الكاس : سورتها . ويقال : هو ينفط (309) غضبا ؟ وقد شرى ، اذا تبادى وتتابع فى غضبه ، وهو من : شرى البرق ، يشرى ، اذا كثر لمعانه (310). وانشد :

وقد جعل الرك الضعيف يسيلنى اليك ويشريك القليل فتعلق (311)

وقد تلظى ، وتلهب ، واستحصد عليه ، اذا تقتل عليه غضبا . واستحصد حبله (312) ، اذا غضب ، واستشاط عليه ، اذا تلهب وطار به الغضب . « وهو يتميز من الغيظ ، أى يتقطع . واربد الرجل ، اذا انتفخ وجهه من الغضب . واستغرب فى الحدة ، اذا مضى فيها . ويقال : أخذه قل من الغضب كأنه يستقل من موضعه . وقد احتمل اذا غضب » (313) . قال ابن السكيت (314) : شالت نعامة فلان ثم سكن ، وذلك اذا غضب . واذا خف القوم من منزلهم قيل : شالت نعامتهم . يقال : اسف

(305) راجع تهذيب الالفاظ 78 .

(306) ورد فى تهذيب الالفاظ 79 : هو ينفر عليه اذا غلا عليه من الغضب .

(307) يضرب مثلا لسوء الموافقة فى الاخلاق . انظر المثل فى : جبهة الامثال 106/1 والميداني والمستقصى 156 واللسان مادة (تاق ، ماق) والاساس (تاق) والكامل للبرد 137/1 وخلق الانسان لثابت ص 4 و تهذيب الالفاظ 79 باختلاف فى الرواية .

(308) هكذا فى الاصلين ، والهدنة : الجماعة من الناس والبيوت يقيمون ويظمنون جميعها هدف . والمعنى : لا يكون بينهما اجتماع ولا هدوء . قلت : ولعل الصواب : هدنة (بالنون) .

(309) فى تهذيب الالفاظ 79 : انه لينفط غضبا .

(310) راجع تهذيب الالفاظ 79 .

(311) البيت فى اللسان 317/12 من غير عزو وانشده ابن الاعرابي ، وروايته : (فتعلق) مكان (فتعلق) . والرك : المطر الضعيف . ومعنى البيت : انه اذا أتاك منى شيء قليل غضبت وأنا كذلك لمضى نتفق ؟

(312) فى الاصلين : استحصد عليه ، وهو تكرار لا وجه له ، والنصوب من التهذيب 79 .

(313) ما بين الاتواس « منقول عن تهذيب الالفاظ 80 . والقل : الرعدة .

(314) راجع تهذيب الالفاظ 81 .

عليه (315). قال أبو عبيدة (316) : فلان يكسر عليك الأرعاض . للذي يفتاظ على الرجل ويتوعدة . والأرعاض واحدا رعض ، وهو الذي يدخل سنخ نصل السهم فيه (317) . وقد أحفظته أحفاظا ، إذا أغضبت . قال ابن السكيت (318) : والسدم غضب مع غم ، ولذلك قولهم : « نـسـادم سادم » (319). ورجل فيه غم ، إذا كانت فيه حدة . قال أبو عبيدة (302) : هذا غضب مطر ، أي جاء من أطرار الأرض لا أعرفه . قال الأصمعي : غضب مطر أي جاء من أطرار الأرض أعرفه ، قال الأصمعي : غضب مطر : فيه ادلال (321) . قال الحطيئة :

غضبتكم علينا أن قتلنا بخالد بن مالك ها أن ذا غضب مطر (322)
ويقولون : لوى فلان عنا عذاره إذا غضب وأعرض . ويقولون : حرك خشايشه فغضب (323) .

315 اي غضب .
316 أبو عبيدة : معمر بن المثنى (ت 209 هـ) انظر ترجمته في : وميات الاعيان 105/2 دارشاد الاريب 164/7 وتذكرة الحفاظ 338/1 وبغية الوعاة 294/2 وأخبار النحويين البصريين ص 67 وتاريخ بغداد 252/13 وطبقات النحويين واللغويين 192 وتهذيب التهذيب 246/1 ونزهة الألباء 104 ومفتاح السعادة 93/1 والفلاحة والفلوكون 75 وانباء السرواة 276/3 وشرحها للبيه العراقي 231/2 والامام 191/8 وميزان الاعتدال 189/3 والمقته والبررة (ضمن نوادر المحفوظات / 329/2 ومجاز القرآن : مقدمة الجزء الاول ، ومراتب النحويين 46/44 وتاريخ ابن الاثير 208/5 وتاريخ الاسلام للذهبي (وميات 210) وتاريخ ابن اللدا 28/2 وتقريب التهذيب 266/2 وتهذيب الاسماء واللغات 260/2 وشذرات الذهب 24/2 والمبر 359/1 والفهرست 53 والمزهر 2 ، 403/2 — 462 والمعارف 543 ومرة الجنان 44/2 ومجمع المطبوعات 322 ومجمع المؤلفين 309/12 والنجوم الزاهرة 184/2 وهدية المارفين 466/2 وإشارة التبيين الورقة 54 وتلخيص ابن مكتوم 346 وميون التواريخ (وميات 210) وكشف الظنون وايضاح المكنون في مواضع متعددة وروضات الجنات 725 ونور القبس المختصر من المقتبس 109 — 124 وطبقات المسرين الورقة 319 و 320 وطبقات ابن قاضي شهبه الورقة 255 و 256 .

317 انظر النص في تهذيب الالفاظ 81 .
318 انظر النص في تهذيب الالفاظ 84 .
319 انظر المثل في الفاخر 37 . والسادم : المتغير العقل من الغم . وقيل المتحير الذي لا يطيق ذهابا ولا مجيئا كأنه ممنوع من ذلك .
320 انظر تهذيب الالفاظ 85 .
321 غضب مطر : أي غضب لا يدري من أين جاء ، أو الغضب في غير موضعه .
322 البيت بنصه في ديوان الحطيئة — تحقيق نعمان أمين طه 302 وهو في اللسان مادة (طرر) 172/6 وفي المقاييس 409/3 ونوادر أبي زيد 96 وروايته في اصلاح المنطق 288 :

غضبتكم علينا أن قتلنا بمالك بن عمار ها أن ذا غضب مطر
وعجز البيت في مجالس ثعلب .

323 الخشايش : خشبة تدخل في عظم انف البعير .

باب الرضى وفتور الغضب (324)

يقال : باخ (325) غضبه ، وفتأ (326) وانفش غضبه ، وتحلل أسره (327) ، « وتحالت عقده » (328) وتخرم زنده ، وسكت غضبه . ومن كلامهم للرجل الغضبان إذا احبوا سكون غضبه : فشاش فشييه (329) من قولك فششت السقاء ، إذا عصرتة حتى يخرج ريحه . قال ابن السكيت (330) ، يقال للرجل إذا فتر غضبه : قد تسبخ تسبخا . واللهم سبخ عنى الحمى ، أى خففها . وقد طفى غضبه ، وتسرى ، وسرى عنه .

باب المودة (331)

قال ابن السكيت (332) عدو أزرق وعدو أسود الكبد (333) ، أى قد احترق جوفه من الشر . وإن فى صدره لدحنة ، ودمنة ، وضبا ، ووغرة . وأصله من وغره الحر . وإن فى صدره لضفنا ، وغمرا ، وغلا . وبينهما نائرة أى عداوة (334) . وقد شاحنه مشاحنة ، من الشحنا . ولفلان عند فلان دخل ، ووتر ، وطائلة ، وقبل ، وقد شنف له شنفنا ، إذا أبغضه . وفى فلان سورة ، أى حدة . ويقال للرجل الحديد : « ملحه على ركبتة » (335) .

باب الحرص والجشع وكثرة الأكل (336)

يقال : هو حريص ، جشع ، شره ، طبع . الطبع : التئيم الأخلاق .

- (324) راجع خاتمة باب الغضب والحدة والعداوة فى تهذيب الالفاظ 89 .
(325) باخ : سكون .
(226) فتأ : انكشف منه .
(327) أسره : شدة وعصبية .
(328) يضرب مثلاً للغضبان يسكن غضبه . انظر المثل فى الميداني 146/1 رقم المثل 741 .
(329) انظر المثل فى الميداني 78/2 رقم المثل 2764 وتتمته : من استه الى ميه .
(330) انظر النص فى تهذيب الالفاظ 89 وقد أورده ابن فارس بتصريف .
(331) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الغضب والحدة والعداوة 78 وفى الالفاظ الكتابية : باب الغيظ 19 وباب اظهار العداوة 48 .
(332) عدو أزرق : شديد العداوة . وانظر النص فى تهذيب الالفاظ 87 .
(333) من امثال الميداني : « هو أزرق العين ، وهو أسود الكبد » . يضرب مثلاً فى الاستشهاد على البغض . انظر مجمع الامثال 385/2 رقم المثل 3475 .
(334) ما بين قوسين « منقول باختصار عن تهذيب الالفاظ 88 .
(335) يضرب مثلاً للرجل الذي يغضبه أدنى شيء . انظر المثل فى جبهة الامثال 232/2 والفاخر 12 والميداني 269/2 وتهذيب الالفاظ 88 ولسان العرب مادة (ملح) والاساس 398/2 وأمالى القالي 138/1 .
(336) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الشره والحرص والسؤال 253 وفى الالفاظ الكتابية : باب الطمع 42 .

والبطن : الذى همه بطنه . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحصرص عليه (337) . والواغل : الذى يأكل مع القوم ويشرب ولم يدع . يقال : وغل : وغل يغل . قال ابن السكيت (338) : ولبنى أسد مثل فى الأكل ، يقال : « هو آكل من ردامة » (339) وزعموا انه حلب ثلاثين لقحة فشرب لبنها .

باب الكبر والزهو (340)

يقال : زهى (341) فهو مزهو . وشمخ بانفه (342) وبلخ ، وقد تأبعت نفسه . وهو أشوش ، وأصور (343) ، وأصيد . وجاء يريس (344) ، ويتذيل ، ويفيد . وهو جبار ذو خيلاء .

باب التخلف

يقال : قد سبق فلان الى الخير . وما هم الا نابتة ، وما هم الا كالشكير (345) . ويقال : هم بنو اليوم . ويقال للمسبق : أنت لا تبصر الا مدق الحافر .

باب متخير الفاظهم فى الاسرة والعشيرة وفكر الكرام والسادة

يقال : انه لياوى الى ركن شديد ، والى أسرة ، وعشيرة ، وصيابة (346) ، وناهضة (347) . وانه لى ناصية (348) قومه ، وذؤابة

-
- (337) انظر المعانييس 396/2 .
(338) انظر تهذيب الالفاظ 257 ومختصره 158 .
(339) فى الاصلين : دراهم ، وهو تحريف . وجاء فى المستقصى 7/1 : « اكل من ردامه : هو رجل اكل من بني أسد حكى انه حلب ثلاثين نعجة فشرب لبنها » وانظر المثل فى تهذيب الالفاظ 257 .
(340) راجع فى تهذيب الالفاظ : باب الكبر 151 وفى الالفاظ الكتابية : باب الكبر 133
(341) فى الاصل : زهى (يفتح الزاي) والتصويب من تهذيب الالفاظ 15
(342) راجع الالفاظ الكتابية 133 .
(343) راجع الالفاظ الكتابية 134 .
(344) يريس : يتختر كبرا .
(345) فى الاصل : كالشكير ، وهو تصحيف . والشكير من النبت والريش والشمر ما نبت من صفاره بين كبراه .
346 صوابة القوم وصبايهم وصبايتهم : لبابهم وخيارهم .
(347) ناهضة الرجل : بنو ابيه الذين يفضبون له وينهضون معه وخدمه القائمون بامرهم .
(348) فى 1 : ناصية ، والتصويب من ع . وناصية القوم : خيارهم .

قومه (349) ، ولباب قومه . وانه لفي معقل عز ، وعيص أشب . والمعيص :
ما التف من الشجر . والأشب الذي لا مدخل له . قال جرير :

فما شجرات عيصك في قریش بعشات الفروع ولا ضواح (350)

وانه لفي ذروة قومه . وهؤلاء كاهل بنى فلان ، وسنام بنى فلان .
وهم ذراهم وانفهم . وقالت غادية الدبيرية (351) في ابنها روس :

أشبه روس نفرا كراما
كانوا الذرى والأنف (352) والسناما (353)
كانوا لمن خالطهم اداما
كالسمن لما سغب (354) الطعاما
لو كنت ريشا لم تكن لؤاما
أو طائرا كنت اذا غناما
صقرا ، اذا لافى الحماما اعناما

ويقال : انه لواسطة قومه . وهو مقابل مدابر ، اذا كان أخواله
وأعمامه من قوم واحد . وانهم من سرهم ، أى من خيارهم . وهو ثاقب
الحسب ، أى نير . وهو رفيع البيت ، على الدعائم ، كريم المركب (355) ،
كريم المحدد (356) ، وهو جفم صدق ، وارومة صدق (357) ، ومن
محض (358) قومه ، ونخبتهم . قال قطرب (359) : يقال انه لذو براية في

- (349) هو ذؤابة قومه : أي المتقدم فيهم .
(350) البيت بنمى لجرير في شرح ديوانه من 99 . وهو أيضا في المعاييس 195/4
مادة (عيص) واللسان مادة (عيص) والصحاح مادة (ضحا) 2407/6 .
وانظر ترجمة جرير بن عطية (ت 110 هـ) في : الأغاني 3/8 — 89 ووفيات
الاميان 102/1 وطبقات الجحفي 96 والشريشي 249/2 وشرح شواهد
المغني 16 والشمر والشمرأ 374/1 وخزانة الأدب 36/1 والموشح 118
والميني 91/1 والاعلام 111/2 .
(351) هي غادية بنت قزعة الدبيرية ، ولها أرجوزة صادية تذكر ابنها (مرها)
انظر مجالس ثعلب 299 — 300 وبعضها في نوادر أبي مسهل 155/1
والأبيات الثلاثة الأولى من أرجوزتها الميضية هذه في اللسان 407/7 مادة
(روس) وذكر انها لغادية بنت قزعة الزبيرية . والأبيات الثلاثة الأولى في
التاج 164/4 مادة (راس) وفيه : غادية بنت قزعة .
(352) في 1 : الأنف .
(353) في ع : السنام .
(354) سغب : رواه دسما ، والسفلة ان يثرد اللحم مع الشحم فيكثر دسسه .
(355) المركب : الأصل .
(356) المحدد : الأصل .
(357) الأرومة : الأصل .
(358) المحض : الخالص النسب ، الصريح .
(359) انظر المعاييس 233/1 — 234 .

حسبه . وهو كريم النجار ، والشرح . وهو في بهرة قومه ، وأريية (360)
قومه ، ورباء قومه . ويقولون : جاءت مخة الناس (361)، ونصيتهم (362)
ومن ألفاظ الشعراء (363) :

من جمع في العز منها والحسب والأسرة الحصداء والميصر والأشب

وذكر ابن عباس (364) عليا (365) — عليهما السلام — فقال :
« سطة (366) في العشيرة ، وصهر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم
بالتنزيل ، وفقه في التأويل ، وصبر إذا دعيت نزال » (367) . ومن ألفاظ

- (360) الأريية : أصل اللخذ ، وهي هنا : أهل بيته وبنو عمه .
(361) مخة التوم : خيارهم .
(362) نصيتهم : خيارهم .
(363) الرجز لأبي دهل الجبحي ، انظر (شعر أبي دهل واخباره) صفحة 1043
وروايته فيه :

انا ابو دهل وهب لوهب
من جمع في العز منها والحسب
والأسرة الخضراء والميصر الأشب
ومن هذيل والدي عالي النسب
أورثني المجد أب من بعد أب ... الخ

- وانظر الرجز أيضا في الاغانى — طبعة دار الثقافة — 113/7 ورواية
الافاني : (والأسرة الخضراء) مكان (والأسرة الحصداء) .
(364) حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي (ت 68 هـ) انظر
ترجمته في : الاصابة رقم الترجمة 4772 وصفة الصفوة 314/1 وذيل الذيل
21 وتاريخ الخميس 167/1 ونكت الهميان 180 ونسب قريش 26 والحبر
289 والاعلام 228/4 .
(365) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي) (ت 40 هـ) . انظر ترجمته في :
مروج الذهب — طبعة دار الاندلس 349/2 وخصائص العشرة الكرام
البررة 91 — 106 والاستيعاب الى معرفة الاصحاب 26/3 والكامل لابن
الاثير 98/3 واليعقوبي 154/2 والطبري 450/3 وسيرة ابن هشام
264/1 و 154/2 و 13/4 ومسنند بن حنبل 17/2 والاصابة 269/4 رقم
الترجمة 5682 وشذرات الذهب 42/1 وفضائح الباطنية 110 و 132 —
137 والمعارف 91 والمختصر في تاريخ البشر 170/1 وابن الوردي 155/1
واحياء العلوم 464/4 وصحيح مسلم 1870/4 وصحيح البخاري 22/5
والرياض النضرة 137/2 وتاريخ الخلفاء للسيوطي 166 — 187 وطبقات
ابن سعد 19/3 وصفة الصفوة 118/1 ومقاتل الطالبين 14 وحليمة
الاولياء 61/1 وشرح نهج البلاغة 579/2 والمرزبانى 279 ومنهاج السنة
2/3 وتاريخ الخميس 276/2 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي وخصائص
أمير المؤمنين للشريف الرضى وتاريخ الاسلام 191/2 وتهذيب التهذيب
334/7 وتذكرة الحفاظ 9/1 وانباء الرواة 10/1 ومعجم الادباء 41/14 —
50 والاصابة رقم 1208 وتريب التهذيب 39/2 والفخرى 73 والاعلام
107/5 والمحاسن والمساوىء 41 والبدء والتاريخ 73/5 .
(366) السطة : الشرف الحسب
(367) نزال : المنازلة في الحرب

شعرائهم :

فتعلم ان عيص بنى عدى تفرع بيته الحسب النضارا
ومن زيد علوت عليك ظهرا جسيم المجد والعدد الكثارا
وتزخر من وراى حماى عمرو بذى صدين (368) يكتفى البحارا
وبنو فلان زؤوس العز (369) .

باب الرذال والثنابى والدعوة

يقال : انه من حفالتهم (370) ، وحثالتهم . وهو من زمعهم (371) ،
ومن مآخيرهم : ليس من صدورهم ولا من سرواتهم . وذلك ان الزمع هى
الروادف التى خلف الأظلاف . وانهم من رذالهم ، واوغالهم ، واوغادهم . ومما
يجرى مجرى المثل : فلان كمروة الاناء وككارع الاديم (372) قال حسان :
أبلغ أبا سفيان أن محمدا هو الفرع ذو الاغصان لا الواحد الوغد .
وان سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وأنت دعى نيط فى آل هاشم كمانيط خلف الراكب القدح الفرد (373)

- 368 صدا الجبل : ناحيتاه فى مشعبه .
369 فى الاصل : (رؤس) بواو واحدة .
370 الحفاله : الرذل من كل شيء .
371 الزمع : رذال الناس ورعاهم . وفى الاصل : زمعهم (بكر الزاي)
372 جاء فى كتابات الجرجاني من 15 : « ويكنون من الدمى باكارع الاديم قال الفرزدق :

وأنت زعيم فى كليب زيادة كما زيد فى مرض الاديم الكارع »

- 373 الابيات فى شرح ديوان حسان بن ثابت — تحقيق البرقوقي — القاهرة : 1929
من 159 — 160 وروايتها فيه :

لقد علم الاتوام ان ابن هاشم هو الفم ذو الامنان لا الواحد الوغد
وأنت زعيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والبيت الثالث فى الكتابات من 15 والثاني والثالث فى زهر الاداب 26/1
ومنه : وأنت زعيم ... ، وانظر ترجمة حسان بن ثابت (ت 54 هـ) فى : الشعر
والشعراء 223/2 وتهذيب التهذيب 247/2 والاصابة 326/1 وابن مسافر
125/4 ومنهاهد التتميم 209/1 وخزانة البغدادي 111/1 وذيل المذيل
28 والافاني — طبعة الدار — 134/4 وشرح الشواهد 114 وطبقات ابن
سلام 52 وحسن الصحابة 17 ونكت الهميان 134 والاعلام 188/2 .

وقال آخر :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما نيط في عرض الاديم الاكارع (374)

وفلان ضئيل الحسب ، ملصق ، مأشوب ، موصوم ، سنيد (375) ،
مجلوب (376) مؤتشب (377) . وما بنو فلان باصل ولا طرف (378) .
وأبت عيدانهم الا انكسارا . ويقال في البقية الذليلة : ما بقى منهم الا مثل
شريد العانة ، يعنى شرود الصمير .

باب النوم والسهر (379)

يقال : نام ينام نوما . وانه لخبيث النيمة ، أى الحال التى ينام عليها .
ورجل نومة ، أى كثير النوم . وجمع وهجد . فاما التهجذ فالتيقظ . قال الله
تعالى : « ومن الليل فتهد به (380) » . الأصمى (381) : سب اعرابى
امراته فقال : عليها لعنة المتهددين . ويقال : هوم تهويما ، اذا نام نوما
قليل . وما ذقت غماضا (382) . ورجل ميسان : كثير الومس . وهو رائب ،

(374) البيت متدافع ، نسب للحظيم التميمي وهو شاعر جاهلي ، انظر اللسان
مادة (زئم) . ونسب لحسان بن ثابت ، انظر الكامل 223/3 وليس في
ديوانه . ونسب لعدي بن زيد المبادي في الاثقان في علوم القرآن 126/1 ،
وهو في ديوانه ص 201 صنعة محمد جبار المعيد . ورواه ابن فارس في
المقاييس 29/3 مادة (زئم) بدون نسبة . والبيت في الاشتقاق لابن دريد
175 وهو في سيرة ابن هشام — طبعة جوتنجن — 1859 ميلادية ص 238
وفي ابيات الاستشهاد 159 وورد في كتاب المباني ص 198 ما نمصه : « روى
طلحة من عمرو بن مطاه ، قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربة
القرآن انشد الشعر ، فقل له ما زنيم ؟ فقال :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع »

انظر : مقدمتان في علوم القرآن — القاهرة 1954 .

- (375) السنيد : الدهسي
(376) المجلوب : العبد الجليب من غير بلاد المسلمين .
(377) مؤتشب : غير الصريح والمخلوط نسبه .
(378) الطرف : منتهى كل شيء ، والرجل الكريم ، والبعد في النسب .
(379) راجع باب النوم في تهذيب الالفاظ 627 وباب الرقاد والنوم في الالفاظ
الكتابية 91 .
(380) تمام الآية الكريمة : (ومن الليل متهد به نائمة لك) : 79 م الاسراء 17 .
انظر المعجم المفهرس .
(381) انظر قول الأصمى في تهذيب الالفاظ 628 ومختصر تهذيب الالفاظ 381 .
(382) قال المصنف في المقاييس 396/4 : « ويقال : ما ذقت غماضا من النوم ولا
غماضا ، أي كقدر ما تنفخ فيه العين » .

أى خائر النفس من النعاس . ورجل سهد : قليل (383) النوم وللكرى (384) النعاس . قال ابن السكيت (385) : « انه لشديد جفن العين . اذا كان صبوراً على النعاس لا يغلبه النوم . ورجل بعث ، اذا كان كثير الانبعاث ، لا يغلبه النوم (386) وتوسفت المرأة ، اذا الممت بها وهى نائمة (387) .

باب القربة والرحم

يقال : رجل احص ، أى قاطع للرحم . ورحم حصاء ، أى مقطوعة قال ابن الاعرابى (388) ، تقول العرب : بينى وبينه خطرة رحم . وبيننا شجنة رحم . قال أبو زيد (389) : اطت (390) له منى حاسة ، أى رحم .

باب الجماعات (391)

يقال للجماعة : الثبة . وهذا حى حادر ، أى مجتمع كثير (392) . فاذا بلغ الحى ان ينفرد فى الغارة وحده ولا يحلب (393) فهو رأس « (394) . قال :

برأس من بنى جشم (395) بن بكر ندق به السهولة والحزونا (396)

- 383 فى الاصل : وقليل النوم ، والواو فى راينا من وهم الناسخ .
 384 أى ويقال للكرى : النعاس .
 385 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 630 .
 386 انظر النص فى تهذيب الالفاظ 631 .
 387 ورد فى تهذيب الالفاظ 631 : « ويقال توسفته اذا اتبته وهو نائم) .
 388 انظر قول ابن الاعرابى فى اللسان مادة (خطر) .
 389 انظر قول أبي زيد فى اللسان مادة (حسس) .
 390 اطت : حنت .
 391 راجع باب الجماعة فى تهذيب الالفاظ 30 وباب الجماعة فى الالفاظ الكتابية 274 وباب الاجتماع فى تهذيب الالفاظ 51 وفى الالفاظ الكتابية : باب فى احتشاد القوم من 68 .
 392 انظر تهذيب الالفاظ 32 ونميه : مجتمع (بفتح الميم)
 393 يحلب : أى يمان .
 394 ما بين الاقواس « منقول عن تهذيب الالفاظ من 32 .
 395 فى الاصلين : حيشم (بكسر الميم) .
 396 البيت لعمرو بن كلثوم ، انظر جبهة اشعار العرب للقرشي من 352 — تحقيق البجاوي . وهو له فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للانباري — من 401 تحقيق عبد السلام محمد هارون .
 وانظر ترجمة عمرو بن كلثوم (ت نحو 40 ق هـ) فى : الاغانى — طبعة الدار — 52/11 وسط اللآلى 635 والمحرر 202 وجبهة اشعار العرب 31 و 74 والمرزبانى 202 والشعر والشعراء 157/1 وخزانة البغدادي 519/1 وصحيح الاخبار 9/1 و 192 والاعلام 256/5 وبروكلمان 103/1 .

والعبارة : الحى العظيم . وبنو فلان كرش القوم ، أى معظمهم . ورحى القوم : جماعتهم . ومرت بنا اضمامة من الناس ، أى جماعة . والحصى : العدد الكثير . قال الاعشى :

ولست بالاكتر منه حصى وإنما العزة للكائر (397)

والقبص : العدد الكثير . ويقال : أتابنا دهم (398) من الناس . ويقال : ما أدري أى الورى هو (399) ! وأى من لقط الحصى هو ! وأى من وجن الجلد ، أى مرنه (400) وفى الحديث (401) : « لا تمثلوا بنامية الله » أى بخلقه . قال الفراء (402) : ما أدري أى الخوالف هو ! وأى ولد الرجل هو ! يريد آدم — عليه السلام — (403) . « وما أدري أى الجراد عاره » (404) أى أى الناس أخذه . الأصمى (405) : جاء فلان فى غير عين ، أى فى غير جماعة . وقال : العثراء (406) : جماعة الناس . ودخل فى خمار الناس ، وغمارهم (407) . والفنون من الناس : الاخلاط . وبها أوزاع من الناس ،

397 رواية البيت فى ديوان الاعشى الكبير من 143 : « ولست بالاكتر منهم حصى » وهو كذلك فى نوادر ابن زيد من 25 وجاء فيها : « قال الأصمى : أراد ولست من بني فلان بالاكتر . يريد أنت منهم ولست بالاكتر حصى من هؤلاء القوم . أبو زيد أراد بالاكتر منهم حصى . والحصى العدد الكثير » . وانظر البيت فى : المقاييس 161/5 . وتهذيب الالفاظ 34 والاستحقاق 65 وشروح سقط الزند 452 ورسائل الجاحظ 218/1 وميون الاخبار 123/4 والكمال 44/1 والاساس واللسان مادة (كثر) / والتصريف الملوكي لابن جنى من 14 طبعة دمشق 1970 وتاج المروس — مستدرك كثر — والصحاح مادة (حصا) .

- 398 الدهم : العدد الكثير .
399 انظر المقاييس 104/6 .
400 وجن الجلد : أى لينه .
401 روى الامام أحمد من يلعلى بن مرة بلفظ : لا تمثلوا بعبادي . وفى رواية عند الطبراني : لا تمثلوا بعباد الله . وفى اسنادهما مطاء بن السائب وقد اختلط . انظر مجمع الزوائد 248/6 . وفى رواية للطبراني : لا تمثلوا بشيء من خلق الله فيه الروح . وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك — مجمع الزوائد 249/6 . وانظر الحديث فى النهاية 295/4 وتهذيب الالفاظ 35 والاساس مادة (مثل) .
402 انظر قول الفراء فى تهذيب الالفاظ 36 .
403 انظر جوامع اصلاح المنطق من 214 وتهذيب الالفاظ 36 .
404 انظر المثل فى اساس البلاغة 117/1 ومعناه : أى أى شيء ذهب به وانظر اللسان 90/4 وفى الصحاح : « ما أدري أى جراد عاره » والمثل فى تهذيب الالفاظ 36 وجبهة الامثال 53/2 .
405 انظر قوله الاصمى فى تهذيب الالفاظ من 36 .
406 هكذا فى الاصلين وكذلك وردت فى تهذيب الالفاظ من 36 ولم أجدها فى معجم اللغة ، وصوابها : العثراء : وهم سلة الناس .
407 ورد فى تهذيب الالفاظ من 36 : « يقال دخل فى خمار الناس ، وغمار الناس خطأ ليس من كلام العرب » .

أى فرق (408). والجماع : الجماعة من ضروب شتى (409). قال أبو
قيس بن الأسلت (410) :

حتى تجلت ولنا غايّة من بين جمع غير جماع (411)

والأشابة : الاخلاط (412). ويقال : أتاننا بجد (413) من الناس ،
ودهم من الناس . وجاء فلان في ناهضته ، وهم الذين ينهض بهم فيما
يحزبه . وجاء في ظهرته وصاغيته (414). والسامة : الخاصة . والحامة :
العامة (415). ويقال : ثلة من الناس ، وجبهة (416) من الناس . وجاءوا
جما غفيرا ، أى بجماعتهم . قال الفراء (417) كيف جهراؤكم ؟ أى جماعتكم
ودهماؤكم مثله . قال الكسائي (418) : قلت لأعرابي: ابنوا جعفر أشرف أم

- 408 في تهذيب الالفاظ 37 نسب هذا القول للأصمعي .
409 العبارة والبيت الذي يليها في تهذيب الالفاظ 37 .
410 ابن الأسلت : هو صيفي بن عامر الأسلت الأوسي (ت 1 هـ) جاهلي كان
رأس الأوس وشاعرها وخطيبها وقائدها في حروبها ، مات قبل أن يسلم .
انظر ترجمته في : الأشابة باب الكنى 935 وتهذيب ابن مساكير 452/6
ومعاهد التنصيص 25/2 والبيان والتبيين 23/3 و 262 والاغاني 154/15
وابن الأثير 284/1 والاعلام 303/3 .
411 البيت لابن الأسلت ، وهو في المسلسل من 136 وروايته : « حتى تولت » .
ورويته في اللسان 407/9 : « حتى انتهينا .. » . والبيت في الاقتضاب في
شرح ادب الكتاب 358 وروايته فيه مطابقة لرواية بتخير الالفاظ ، والبيت
في جمهرة اشعار العرب 655 وفي تهذيب الالفاظ وفي المفصليات 285 .
وعجزه في المحجل لابن فارس من 167 ، وعجزه أيضا في ادب الكاتب لابن
قتيبة من 226 منسوبا لابن الأسلت .
412 انظر تهذيب الالفاظ 38 .
413 في الأصلين : نجد ، بالنون وهو تصحيف . ويجد من الناس ودهم : وهم
الناس الكثيرون . انظر تهذيب الالفاظ 39 .
414 جاء في صاغيته : أي مع الذين يميلون اليه .
415 انظر تهذيب الالفاظ 39 .
416 جبهة من الناس : أي جماعة ، انظر تهذيب الالفاظ 40 .
417 انظر عبارة الفراء في تهذيب الالفاظ 40 .
418 انظر عبارة الكسائي في تهذيب الالفاظ 40 - 41 . والكسائي : هو أبو الحسن
علي بن حمزة الكسائي (ت 183 هـ) انظر ترجمته في : مراتب النحويين 74
وطبقات الزبيدي 138 وطبقات القراء 535/1 وأعيان الشيعة 235/41 وانباء
الرواة 256/2 ونزهة الألباء 67 والانساب 482 والبداية والنهاية 201/10
وبغية الوعاة 162/2 وتاريخ بغداد 403/11 وتاريخ أبي الفدا 17/2
وتنقيح المقال 286 وتهذيب التهذيب 313/7 وابن خلكان 330/1 وروحات
الجنات 471 وشذرات الذهب 321/1 والمعبر 302/1 والفهرست 65
واللباب 40/3 ومرآة الجنان 421/1 والمزهر 407/2 و 419 و 423 و
463 والمعارف 445 ومعجم الادباء 167/13 ومعجم البلدان 28/2 و
و 293/4 ومعجم المطبوعات 1558 ومفتاح السماعة 130/2 و 331
والنجوم الزاهرة 130/2 وهدية المارفين 668/1 وافيح المكتون 48/1 و
279/2 و 313 و 322 و 332 و 336 و 345 و 350 و 450 وكشف الظنون
108 و 1328 و 1330 ومعجم المؤلفين 83/7 ونور القبس 283 والامام
93/5 .

بنو أبي بكر بن كلاب ؟ قال : « اما خواص رجال فبنو أبي بكر ، واما
 جهرآء الحي فبنو جعفر » . قال الأصمعي (419) رأيتهم عاصبين بفلان ،
 اذا اجتمعوا عليه ؟ وقد عصبوا به ، وستكفوا به ، وحوله ، اذا استداروا .
 وقال ابن مقبل (420) :

خروج من الغمي اذا صك صكة بدا والعيون المستكة تلمح (421)

وقد تجمعوا تجمع بيت الادم . لأن بيت الادم تجتمع فيه اطرافه
 وزعائفه (422) . ويقال : تحبش الناس ، أي تجمعوا . وتأثفوا ، واصفقوا ،
 وأطبقوا ، واحلبوا ، واجلبوا ، وترافدوا ، اذا اغان بعضهم بعضا (423) .
 وهم عليه يد واحدة (424)

باب الشر يقع بين القوم (425)

يقال : هم يتهوشون ، اذا كان بينهم اختلاط . وقد لحج بينهم الشر ،
 أي نشب (426) . قال ابن السكيت (427) : « يقال للرجل اذا لم يستوله
 الامر : قد اشتغل عليه الشأن وذهب يعد بني فلان فاشتغلوا عليه ، أي
 كثروا فاختلف عليه كيف يعدمهم » . ويقال : من دون ذاك مكاس ،

(419) انظر تول الاصمعي في تهذيب الالفاظ 51 .

(420) هو تميم بن أبي بن مقبل (ت نحو 25 هـ) . انظر ترجمته في : المعسدة

291/2 والشعر والشعراء 366/1 والاصابة 195/1 والخزانة 113/1

وكتي الشعراء 289 وطبقات ابن سلام 55 والسبط 68 والاعلام 71/2

والمحبر 325 ومقدمة ديوانه الذي نشره الدكتور عزة حسن في دمشق

1962 ومجمع ما استجمع 131/1 والاشتقاق 12 ووقعة صفيين 601

ومجالس ثعلب 431 وزهر الاداب 19/1 وحياة ابن الشجري 131

والموشح 80 والمزهر 482/2 .

(421) البيت لابن مقبل وهو في ديوانه من 29 ، وهو ايضا في المراجع التالية :

جمهرة الامثال 120/2 والميسر والقداح 65 والمقصود والمدود لابن ولاد -

طبعة ليدن 1900 ص 91 واللسان والصاح والتاج مادة (كلف) وامللي

الغالي 15/1 وشار القلوب 173 وتهذيب الالفاظ 52 ومعاني العسكري

(2) 243 والسبط 67 .

والغص : الشدة والضييق . والعيون المستكة : عيون الذين حوله ينظرون

اليه والى غيره من القداح .

(422) انظر تهذيب الالفاظ ص 52 .

(423) انظر تهذيب الالفاظ ص 53 - 54 .

(424) جاء في تهذيب الالفاظ ص 54 : الاصمعي : هم عليه يد واحدة اذا اجتمعوا

عليه .

(425) راجع باب الاختلاط والشر يقع بين القوم في تهذيب الالفاظ ص 90 وباب

الشدائد والنوائب ص 152 في الالفاظ الكتابية وباب التباس الامر وتفاقمه

ص 26 وص 230 في الالفاظ الكتابية .

(426) في الاصل : نشب . وانظر العبارة في تهذيب الالفاظ 91 .

(427) انظر عبارة ابن السكيت في تهذيب الالفاظ 91 - 92 .

وعكاس (428). ويقال : « التبس الحابل بالنابل » (429). الحابل : السدى . والنابل : اللحمة « واختلط المرعى بالهمل » (430) ، اذا اختلط الخير بالشر ، والصحيح بالسقيم . « واختلط الخائر بالزباد » (431) ، أى الخير بالشر ، والجيد بالردى ، والصالح بالطالح ، والشريف بالوضيع . لان الخائر من اللبن أجوده . والزباد : زبده وما لا خير فيه (432). ويقال : « اختلط الليل بالتراب » (433) ، اذا اختلط على القوم أمرهم . انشدنى على بن ابراهيم (434) عن ثعلب (435) عن ابن الاعرابى (436) :

- (428) وهو ان تاخذ بناصيته وياخذ بناصيتك . انظر تهذيب الالفاظ 92 .
(429) يضرب مثلاً في اختلاط الأمر على القوم ، حتى لا يعرفوا وجهه . ورواية المثل في تهذيب الالفاظ ص 92 مماثلة لرواية المتخير .
وروايته في جبهة الامثال 110/1 : اختلط الحابل بالنابل . وانظر المثل في فصل المقال 333 والمستقصى 41 واللسان (هبل) .
(430) انظر المثل في جبهة الامثال 110/1 والمستقصى 42 واللسان (همل) والميداني 238/1 رقم 1262 وتهذيب الالفاظ 92 .
والهمل : المهمة التي لا زامى لها .
(431) انظر المثل في تهذيب الالفاظ 92 وفي جبهة الامثال 110/1 وفي فصل المقال 333 والميداني 240/1 والمستقصى 41 واللسان (خثر وزيد) .
(432) انظر العبارة في تهذيب الالفاظ ص 92 .
(433) انظر المثل في تهذيب الالفاظ ص 93 والميداني 240/1 والكنائيات 145 .
(434) هو علي بن ابراهيم بن سلمة القطان : ذكره ياقوت في معجم الادباء 82/4 والسيوطي في بغية الوعاة 153 في شيوخ احمد بن فارس . وقد أكثر ابن فارس من الرواية عنه في كتابه - الصحابي - ، كما ذكر في مقدمة معجمه المتايسر انه قرأ عليه كتاب المين للخليل بن احمد . وقد روى عنه في متخير الالفاظ في غير موضع واحد . وقد ولد أبو الحسن سنة 254 هـ وتولى سنة 345 هـ وانظر ترجمته في : معجم الادباء 218/12 - 221 وطبقات المفسرين 4 والمعر للذهبي 367/2 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الالباء 320 وغاية النهاية 516/1 .
(435) ثعلب أبو العباس احمد بن يحيى الشيباني (200 - 291 هـ) انظر ترجمته في : نزهة الالباء 293 وتذكرة الحفاظ 214/2 وطبقات ابن أبي يعلى 83/1 والمسمودي 387/2 وابن خلكان 30/1 وتاريخ بغداد 204/5 وانباء الرواة 138/1 وبغية الوعاة 172 والاعلام 252/1 ومهرست ابن النديم 110 وياقوت 102/5 والمنظوم لابن الجوزي 44/6 ومروءة الجنان 218/2 وغاية النهاية وشذرات الذهب 207/2 وروضات الجنات 56/1 وطبقات المفسرين 41 .

(436) الارجوزة من غير عزو في مجالس ثعلب ص 425 - 426 وروايتها فيها :

لو ظمى القوم فقالوا من فتى
يخلف لا يردمه خوف الردى
فبعموا سمدا الى الماء سدى
في ليلة بيانها مثل العمى
بغير دلو ورشاء لاستنى
أمرد يهدي رايه رأي اللحى .

لو أشرف القوم على أرض العدى
واختلط الليل بالوان الحمى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء لاستقى
ووجدوا ذا مرة جلد القوى
سمحا على أية اجريا جرى
امرد يهدى رأيه ذوى اللحي
مشر المثرر عن نصف النسا

قال الاصمعي : وقع في دهمة (437) لا يتجه لها ، أى خطة شديدة
« ووقع في الحظر الرطب » (483) . وذلك ان الانسان يقع في الشوك
المحتظر فتصيبه منه شدة . ويقال : تباين ما بينهم ، أى انقطع (439) ،
« وما يدرى فلان ايخر ام يذيب ؟ » (440) وذلك اذا بعل بأمره . واصله
أن تصب الزبدة في القدر ، وفي نواحيها اللبن ، فإذا أوقد تحتها خثرت .
ويقال : تشاخص هذا الأمر . اختلف . ويوم عماس ، أى مبهم (441) .
« وتشاتما فكأنا جزرا ! بينهما ظربانا » (442) شبه قبح تشاتمهما بنتن
الظربان (442) . ويقال : « أمركم هذا أمر ليل » (443) ، اذا كان ملتبسا
مظلمًا . وبات فلان بليلة من ليالى الشوامت (444) . ويقال : لقيت منه جهدا

= ويلاحظ ان رواية المتخير اصح واكمل . وروية النص في البصائر والذخائر
مجلد 2 قسم 2 ص 863 موافقة لرواية مجالس ثعلب . وقد ذكر الجرجاني
في منتخب الكتابات ص 145 الابيات الاربعة الاولى وروايتها :

لو اشرف القوم على امر العدا
واختلط الليل بالوان الحمى
وبعثوا سعدا الى الماء سدى
بغير دلو ورشاء يستقى (كذا)

- (437) في تهذيب الالفاظ ص 93 : وقع في بهمة لا يتجه لها ، أى خطة شديدة .
(438) انظر المقاييس 81/2 وجمهرة الامثال 314/1 والكتابات 8 وتهذيب الالفاظ
94 واللسان والتاج مادة (حظر) ونوادير ابى مهمل 511 .
(439) انظر تهذيب الالفاظ 94 .
(440) يضرب في اختلاط الأمر . وانظر المثل في الميداني 281/2 رقم المثل 3868
وانظر اللسان مادة (خثر) وانظر المثل وشرحه في تهذيب الالفاظ 94 .
(441) انظر تهذيب الالفاظ 95 .
(442) في تهذيب الالفاظ : جررا . والظربان : دابة تشبه الكلب وهي اثنتان الدواب
ريحا . وانظر المثل في تهذيب الالفاظ 95 واللسان (ظرب) . وفي الاصلين :
(ضربانا) مكان (ظربانا) و (ضربان) مكان (ظربان) .
(443) انظر المثل في تهذيب الالفاظ 95 والكتابات 145 وفيه : ويقال : هذا امر ليل
اذا كان ملتبسا مظلمًا .
(444) انظر اللسان مادة (شمت)

جاهدا ومثلا (445) ماثلا . وهذا يوم ترشح منه الاصداغ . وقد غلت بهم القدور . وقد نال الوقود اقاصى الحطب ، اذا تناهى الشر . ويقال للامر الشديد : حصاة في خف . وقد اصابتنى بعدك شدى (446) . واصابتهم اوشار الامور ، أى شداثها . وهذا يوم ذكر .

باب الشيء الذى لا يستقر

قال ابن قتيبة (447) ، تقول العزب للشيء الذى لا يستقر : هو على رجل طائر ، وبين مخاليب طائر ، وعلى قرن ظبى . قال الشاعر :

كان فؤادى بين أظفار طائر من الخوف فى جو السماء محلق
حذار امرى قد كنت اعلم انه متى ما يعدم من نفسه الشر يصدق (448)

وقال المرار يذكر فلاه تنزرو من مخالفتها قلوب الأدلاء :

كان قلوب ادلائها معلقة بقرون الطباء (449)

(445) فى الاصل (مثلا) والتصويب من اللسان .

(446) روى القول من ابي زيد فى اللسان مادة (شدد) .
(447) ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) . انظر ترجمته فى : طبقات النحويين 200 وانباء الرواة 143/2 وبغية الوعاة 63/2 ونزهة الالباء 209 ومرآة الجنان 191/2 وتهذيب الاسماء واللغات 281/2 واللباب لابن الاثير 242/2 ووفيات الاعيان 251/1 ولسان الميزان 357/3 والنجوم الزاهرة 75/3 وتذكرة الحفاظ 185/2 وتاريخ ابي الفدا 57/2 وتاريخ بغداد 170/10 وشذرات الذهب 169/2 ومهرست ابن النديم 77 - 78 والمنظوم 102/5 والبداية والنهاية 48/11 وكشف الظنون فى مواضع عديدة وآداب اللغة العربية 170/2 ودائرة المعارف الاسلامية 260/1 والاعلام 280/4 وايضاح المكنون 356/1 و 134/2 ، 146 ، 506 . وتاريخ ابن الاثير 66/6 وتلخيص ابن مکتوم 100 وروضات الجنات 447 وطبقات ابن قاضي شهبه 177 و 178 والعبر 56/2 والمزهر 409/2 و 420 و 465 ومعجم المطبوعات 211 ومعجم المؤلفين 150/6 ومقدمة التهذيب للازهري 75 وميزان الاعتدال 503/2 وهدية المارفين 441/1 و 4/2 .

(448) البيتان لرجل قالهما فى الحجاج بن يوسف الثقفى ، راجع تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 347 وعيون الاخبار 145/3 .

(449) قاله المرار بن سميد الفقعسى ، انظر البيت فى شروح سقط الزند 132/1 والمنتخب 140 والاساس (مكر) والحباسة البصرية 362/2 وفيها حرفت قلوب الى قرون . والبيت ايضا فى تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 488 منسوباً الى المرار وفى تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 130 من غير مزوء ، وفى امالى المرتضى 328/1 من غير مزوء . وانظر ترجمة المرار فى : الشعر والشعراء 588/2 والاغاني 151/9 والخزانة 193/2 والسمط 231 والمؤلف 268 ومعجم الرزبانى 337 والاعلام 82/8 والتبريزي 76/3 و 121/4 .

وقال امرؤ القيس : كاني وأصحابي على قرن أعفرا (450) .

باب الفنى '451'

يقولون للفنى : مكث ، مترب ، مثر . وله مال جم ، ودثر . ولقد « جاء بالضح والريح » (452) ، « والطم والرم » (453) ، وهو ضافى المال وفلان مال نال ، وله عائرة عيين . « وله غنى طويل الذيل مياس » (454) ، « وله عائرة عين » (455) ، أى لا يسترثيه البصر ، أى لا يدركه بل تحار فيه العين . وفلان كثير الورق : صنوف المال من الذهب والفضة والعرض . وأنشد :

450 مجز بيت لامرؤ القيس فى ديوانه — صنعة حسن السندوبسى من 75 والبيت بتمامه :

ولا مثل يوم فى تداران ظلته كاني وأصحابي على قرن أعفرا

يريد انهم كانوا فى ذلك الموضع على غير استقرار ولا طمانينة . ورواية العسكري للمعز فى ديوان امرؤ القيس — طبعة دار المعارف من 393 : « كاني وأصحابي بقلة عندرا » . والبيت فى طبعة المعارف من 70 . والبيت ايضا فى امالي المرتضى 329/1 وروايته : « ولا مثل يوم فى تداران ظلته » . قال ويروى : « فى تدار ظلته » . ورواية البيت فى المنتخب من 140 :

ولا مثل يوم فى تدار ظلته كاني وأصحابي على قرن أعفرا

والبيت فى شروح سقط الزند 131/1 وروايته : « ويوم طويل فى تداران ظلته » والمعز فى الأساس مادة (عفر) 128/2 . وانظر ترجمة امرؤ القيس بن حجر الكندي (ت نحو 80 ق هـ) فى : الشعر والشعراء 50/1 وطبقات ابن سلام 44 والخزانة 302/1 والاماني 77/9 والاعلام 351/1 وتهذيب ابن عساكر 104/3 وشرح شواهد المفنى 6 وجمهرة اشعار العرب 124 والزوزنى من 2 والذريعة 349/2 وصحيح الاخبار لابن بليهد 6/1 و 16 — 110 .

451 راجع باب الفنى والخصب فى تهذيب الالفاظ من 1 وفى الالفاظ الكتابية باب الاستغناء من 41 وباب خفى العيش والرفاهة من 78 .

452 أى جاء بكل شيء . انظر المثل فى جمهرة الامثال 321/1 والميداني 108/1 والمستقصى 195 واللسان مادة (ضحج) وادب الكاتب 37 والاساس 42/2 ومصباح ثعلب 69 والاصلاح 295 وتهذيب الالفاظ 10 .

453 معناه جاء بالكثرة . انظر المثل فى جمهرة الامثال 315/1 ومصل المقال 98 والميداني 108/1 والمستقصى 195 وتهذيب الالفاظ 9 واللسان مادة (طم) .

454 اصله مثل : « ان الفنى لطويل الذيل مياس » أى لا يستطيع صاحب المال ان يكتبه . انظر جمهرة الامثال 198/1 والميداني 34/1 وروايته فيه : « ان الفنى طويل الذيل مياس » والمثل فى المستقصى 164 والمنتخب 69 والالفاظ الكتابية 42 .

455 اصله مثل : (جاء بمائرة عين) ، اذا جاء بالمال الكثير يملا العين حتى يكاد يعمورها . انظر المثل فى جمهرة الامثال 314/1 والمستقصى 196 واللسان مادة (مور) . وانظر ايضا : له مائرة عيين فى الصحاح مادة (مسور) وتهذيب الالفاظ 6 .

اليك أشكو فتقبل ملقسي
واغفر خطاياي وثمر ورقى (456)

وقال آخر :

وما ورق الدنيا بيباق لأهله ولا شدة الدنيا بضربة لأرب (457)

ويقولون : عليه سواد من مال (458) . ورجل مرغب ، واجد ، ميل . وله مال لا يسهى ولا ينهى ، مثل لا يحصى . قال قطرب : مال ذو قنغ ، ورجل كاثر . وقال في قولهم : « جاء بالطم والرم » : الطم : ما اطمت به الريح فطار في الهواء . والرم : ما نبت فارتم (459) . قال ، ويقولون : « جاء بالسمر والقمر » (460) ، أى بكل شيء ، ويقولون : مشى ماله مشاء ،

إذا كثر (461) ، وقد تأثل مالا ، وأثل الله له مالا . وقد تقنى (462) بعد

(456) قاله المجاج ، انظر ديوانه من 40 ، والبيت في الصحاح 1565/4 واللسان 254/12 والاساس 400/2 وروايته في المصادر الثلاثة الأخيرة : (اياك ادمو) . وهو في المتايس 102/6 وروايته (اليك ادمو) والبيت في اعداد الانباري 273 والشطر الثاني منه في اصلاح المنطق 101 وفي مجالس ثعلب من 7 . وانظر ترجمة المجاج وهو عبد الله بن رؤية السعدي التميمي (ت نحو 90 هـ) في : الشمر والشمراء 493 وشرح شواهد المغني 18 وتهذيب ابن عساكر 394/7 والموشح 215 .
(457) البيت لكثير بن عبد الرحمان الخزامي وروايته في ديوانه 280/1 :

نما ورق الدنيا بيباق لاهله ولا شدة البلوى بضربة لازم

والبيت في المسلسل 192 واصلاح المنطق 289 والافاني 16/9 والطلب والابدال 14 واللسان 34/2 مع اختلاف في الرواية ، وانظر ترجمة كثير (ت 105 هـ) في : الشمر والشمراء 410 والافاني 147/8 و 43/11 والموشح 143 ومعجم المزياني 250 وشرح شواهد المغني 24 والخزانة 381/2 وابن خلكان 433/1 والمؤلف 169 والمقد 88/2 وطبقات ابن سلام 457 ومعاهد التنميص 136/2 والسمط 61 وبروكلمان 194/1 وشذرات الذهب 131/1 وحيون الاخبار 144/2 وتزيين الاسواق 43/1 والتبريزي 140/3 ورغبة الامل 134/2 و 206/3 و 112/5 والاعلام 72/6 .

(458) اي كثير من المال .

(459) أرتم : أكل .

(460) أى جاء بما طلع عليه القمر وما لم يطلع .

(461) جاء في كتاب — الاتباع — لأبي الطيب اللغوي من 109 : « يقال : مشت

الماشية وأمشت : إذا كثرت ، ومشى القوم ومشوا . إذا كثرت مواشيهم . قال الشاعر :

وقال ماشيهم : سبان سيركم وان تقيموا به واغبرت السوح «

وفي الاصل : مشا مشا .

(462) في الاصل : تلقى ، بالغاء فالتاء ، وهو تصحيف .

أقلال . وخير مجنب ، أى كثير . ويقال : طمى ماله ، ونمى ماله ، وزكا ، وربا (463) ، ووشى ، وأمر . قال غيره : مشى بعد ما أمشى ، أى اقتقر بعد الثروة . قال النابغة :

وكل فتى وان أمشى وأثرى ستخلجه عن الدنيا المنون (464)

وقال ابن السكيت (465) : يقولون : مشى على فلان مال ، أى تناتج . والأمر : البركة والنماء . وكذلك الأمرة . ومثل من الأمثال : « فى وجه مالك تعرف أمرته » (466) أى نماء وكثرته ، يضرب مثلاً للرجل يدل شاهده على مكنونه ودخلته . قال ابن السكيت : الثروة (467) من الرجال ، والثروة من المال . وقد أمر ماله . وفى الحديث : « خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأبورة » (468) . السكة : السطر من النخل . والمأبورة : التى قد أبرت ، أى لقت ، والمأبورة : الكثيرة الولد . وتفسيره : خير المال نتاج أو زرع . وقد ضفا مال فلان ، أى كثر . ويقال : انه لذو أكل فى الدنيا ، أى ذو حظ وفلان من ذوى الآكال ، أى من ذوى القسم الواسع . وهو فى غضارة من العيش الأصمى (469) : ان فلانا لمخضم ، أى موسع عليه من الدنيا . قال الأصمى (470) : وأخبرنا ابن أبى طرفة قال : قال أعرابى لابن عم له قدم عليه مكة : ان هذه ارض مقضم (471) (و) ليست بارض مخضم . قال : وكل صلب يقضم ، وكل لين يخضم .

- (463) فى الأصل : ورى .
(464) البيت فى ديوان النابغة الذبياني من 257 وبه المنون : منون . وهو ايضا فى الأمايلى 174/1 والمتصور والمدود 113 والصحاح (مشى) واللسان مادة (منن) و (مشى) . واللآلى 434 ومجموعة المعاني من 8 والمعاني الكبير 198/1 والألفاظ الكتابية 41 .
(465) انظر تهذيب الألفاظ من 5 .
(466) المثل فى الألفاظ لابن السكيت من 2 وانظر جبهة الأمثال 93/2 وبه : (فى وجه المال تعرف أمرته) ، والمال هنا : الماشية . وهو كتولهم : كم ظاهز دل على باطن . وانظر محصل المقال 238 والمستقصى 252 واللسان (أمر) والميداني 69/2 رقم المثل 2729 .
(467) فى أ و ع : الثروة ، وهو تحريف . انظر مختصر تهذيب الألفاظ من 1 .
(468) انظر نص الحديث فى مختصر تهذيب الألفاظ من 2 ، وهو حديث مرسل رواه الإمام أحمد بلفظ : « خير مال المرأة مهرة مأبورة أو سكة مأبورة » عن سويد ابن هبيرة (المسند 468/3) وأورده السيوطى فى الجامع الصغير 11/2 ، وروايته فى النهاية 13/1 « خير المال مهرة مأبورة وسكة مأبورة » وفى الجمان فى تشبيهات القرآن ورد بلفظ مماثل للمتخير ، وانظر الحديث فى اللسان مادة (أمر) والمعايير (أمر) واصلاح المنطق 249 .
(469) انظر النص فى تهذيب الألفاظ من 8 .
(470) انظر النص فى تهذيب الألفاظ من 8 وانظر قول ابن أبى طرفة فى الميداني 93/2 تحت المثل المعنون : « قد يبلغ الخضم بالقضم » .
(471) الزيادة من تهذيب الألفاظ من 8 والميداني 93/2 واصلاح المنطق 208 .

الفراء : قد تجبر فلان مالا ، وذلك اذا عاد اليه من ماله ما كان ذهب (472) . ويقال : « وقع في الأهين » (473) وهو الطعام والشراب . ويقال للذي أصاب مالا وأفرا واسعا لم يصبه أحد : « أصاب فلان قرن الكلا » (474) . وقرن الكلا : انفه الذي لم يؤكل منه شيء . وفلان عريض البطن . يقال له ذلك اذا اثرى وكثر ماله (475) . ويقال : (476) : هو رخي اللب ، اذا كان في سعة يصنع ما شاء . وروى ابن السكيت في هذا الباب (477) : « جاء بالضح والريح » ، و « جاء بالحظر الرطب » (478) ، و « بالبوش البائش » (479) . ويقال : هو في ضرة مال يعتمد . وذلك أن يعتمد على مال غيره من أقاربه . ويقال : عيش رفيع (480) ، أى واسع وعيش غريب لا يفرع (481) اهله . قال الفراء : عام ازب مخصب . والغيداق (482) الكثير الواسع من كل شيء . وما أحسن غضارة آل فلان ، وآثامهم (483) ! وما أحسن رثيهم (484) ! وما أحسن أمارتهم ! اذا كانوا يكثرون ويكثر أولادهم (485) . وما أحسن نابذة بنى فلان ، أى ما نبتت عليه (486) أموالهم . وفلان حسن الشارة والجهر (487) .

باب منه آخر

يقال : هو متدع ، أى صاحب دعة . ونال فلان هذا الأمر وادعا أى

- (472) انظر النص في تهذيب الالفاظ ص 9 .
(473) يضرب مثلا لمن حسنت حاله . انظر المثل في الميداني 361/2 وروايته : (وتموا في الأهين) . والاهيمان : الاكل والشرب . وقال الازهري : الاكل والنكاح .
وانظر المثل في تهذيب الالفاظ ص 10 وفي اللسان مادة (هيغ) . وهو في المستقصى 377/2 رقم المثل 1387 وروايته مماثلة لرواية المتخير .
(474) انظر المثل في الميداني 397/1 رقم المثل 2102 وهو المستقصى 200/1 رقم المثل 816 .
(475) و (476) انظرهما في تهذيب الالفاظ ص 10 . واللب : البال .
(477) انظر تهذيب الالفاظ ص 10 - 11 .
(478) انظر المثل في الميداني 179/1 رقم المثل 962 وتهذيب الالفاظ 11 .
(479) انظر تهذيب الالفاظ ص 11 .
(480) في الاصل : (رفيع) بالمين المهملة وهو تصحيف . والتصويب عن التهذيب ص 13 .
(481) في الاصلين : لا يفرع ، وهو تصحيف والتصويب عن التهذيب ص 13 .
(482) انظر القول في تهذيب الالفاظ ص 13 .
(483) الاثاث : الكثير من كل شيء .
(484) في تهذيب الالفاظ : ما أحسن رثيهم : أي لباسهم وهو ما رايت وظهر .
(485) انظر تهذيب الالفاظ ص 14 .
(486) في الاصل : نبت . وفي التهذيب : تنبت .
(487) حسن الشارة : حسن البزة . حسن الجهر : يريد به الحسن والنبل . انظر تهذيب الالفاظ ص 14 .

من غير تكلف ومشقة . والوديع : الرجل الساكن . ويقال : افعل (488) كذا في سراح ، ورواح . وورق الدنيا : نعيمها . وفلان في عيش داج . وقد دجا ، وضفا عليهم . وهذا عبث لبد : صالح . وفلان في دنيا دانية ، أى نعيم .

بَاب الْفَقْرِ '489'

يقال : هو فقير ، وقير (490) ، معدم مقتر ، وهو ذو فاقة ، وخصاصة . وهو صملوك ، مملق ، محدود (491) ، مدقع ، مختل ، وبه خلة . وهو معصب (492) . قال قطرب ، يقال للذقيير : هو دامى الشفة ، مجدع ، قد جدعه الفقر . وهو مسيف . وساف المال : ذهب . وهو ممر مجرور ، جرره الدهر . وهو مخف (493) ، مخل ، معوز ، ومسكين كانع ، ومدقع ، أى لصق بالدقماء ، وهو التراب . وهو مخف مخفق . وقد عال عليه (494) . ويقال : اكدى مكداً ، إذا لم ينبت له مال ولم ينم . وأمر الرجل : ذهب ماله . وفى الحديث (495) : « ما أمر من أدمن الحج والعمرة » . قال أبو عبيدة : ورد رؤية (496) ماء لعكل وعليل فتية تسقى صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها ، فقالت : أرى سناً فهل من مال ؟ قال : نعم ، قطعة من ابل . قالت : فهل من

(488) فى الأصل : افعل ، بفتح الهمزة واللام .

(489) راجع باب الفقر والجذب فى تهذيب الالفاظ ص 15 وباب الفقر فى الالفاظ الكتابية ص 39 وباب فسك العيش والجذب فى الالفاظ الكتابية ص 87 .

(490) وقير : وقره الدين ، أى نقله . والوقير : المنقل دينا .

(491) المحدود : هو المحروم .

(492) المعصب : المحتاج ، والذي عصب بطنه من الجوع ، والذي عصبته السنون أى أكلت ماله . انظر المقاييس مادة (عصب) 336/4 .

(493) المخف : القليل المال ، الخفيف الحال .

(494) مال ميلة : امتر فهو مائل .

(495) انظر نص الحديث فى مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص 12 وجاء فى لسان العرب 30/7 (معر) ما نصه : « وفى الحديث : ما أمر حجاج قط . أى ما افتر مداوم للحج » . ورواه البيهقي فى شعب الايمان عن جابر بن عبد الله بلفظ : ما أمر حجاج قط ، فنقل لجابر : ما أمر ؟ قال : ما افتر . قال البيهقي : فى سنده محمد بن حميد (ضعيف) (شعب الايمان - مخطوط - المجلد الثانى الورقة 79 - ٢) . ورواه الطبرانى فى الاوسط والبرار ، قال البيهقي : بسند رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 208/4) وانظر الحديث فى النهاية 100/4 وروايته : ما أمر حجاج قط .

(496) هو رؤية بن المعاج التميمي البصري (ت 145) . انظر ترجمته فى : الثمعر والشعراء 495/2 ووفيات الاميان 187/1 والبداية والنهاية 96/10 وخزانة الادب 43/1 والامدي 175 ولسان الميزان 464/2 والمعيني 26/1 والاعلام 26/3 .

ورق ؟ قال : لا . قالت يآل عكل اكبرا وامعارا (497) ؟ وقد زمر فلان ،
وقفر (498) اذا قل ماله . قال الاصمعي (499) : فلان في الحفاف ، أى في
قدر ما يكتفيه ؟ وفلان يبعث الكلاب من مرائبها ، أى يثيرها من شدة
الحاجة (500) . وفي عيش بنى فلان ثبظف ، أى ييس . وقد ترب الرجل ،
اذا لصق (501) بالتراب . وقد نفق ماله ، وقل ، وذهب ؟ ونفقت نفاق (502)
القوم ، وهى جمع نفقة . كذا قال يعقوب . وقد ارملوا ، واقووا . واقفر
الرجل ، اذا بات القفر فلم يأو الى منزل ، ولم يكن معه زاد . وبات القواء
والوحش . ويقال : انفض القوم ، اذا ذهب طعامهم . وفي المثل : « النفاض
يقطر الجلب » (503) . أى اذا انفض القوم قطروا ابلهم يجلبونها للبيع وقد
كانوا يضمنون بها . ورجل ارمل (504) : محتاج . والعلة من العيش : ما
يتبلغ به . وفي المثل : « ليس المتعلق كالمثائق » (505) أى ليس من عيشه

497 وردت الحكاية في جمهرة الامثال 314/1 — 315 مع اختلاف كبير في الرواية
ونصها : « عن ابي مبيدة قال : خرج رؤية يبغي ضالة ، فورد ماء لمكل ،
فوجد شابة هناك ، فقال لها : هل لك ان أتزوجك ؟ قالت : ومن أنت ؟
قال : رؤية بن المعجاج ، قالت : فما مالك ؟ قال : كان عائرة عيين لمعلم ،
قالت : كم أتى لك ؟ قال : ستون سنة ، فنادت : يا لمكل ! آتلة ذات يد
وهما ! فقال رؤية :

لما ازدرت نقدي وقتلت ابلبي	تالقت واتصلت بعكل
خطبي وهزت رأسها تستبلي	تسالني من السنين كم لي
مقلت لو ممرت ممر حسل	أو ممر نوح زمن الفحل
والصخر مبتل كطين الوحل	كنت رهين هرم أو قتيل
	انتهسى .

- والايبات المذكورة من قصيدة قالها يمدح ابن المبرين ، انظر ديوانه ص 128
وانظر الايبات في الحيوان 8/4 و 116/6 والبيان 48/1 والكمال 348
واللسان مادة (فطحل) والميداني 454/1 و 85/2 وهو بدون نسبة في
امالي القاضي 234/1 والازمنة 229/1 وثمار القلوب 232 ومحاسن
الراغب 305/2 والمخصص 171/10 .
وانظر الحكاية في اللسان (ممر) 30/7 وهي اقرب في روايتها الى رواية
المتخير وانظرها في تهذيب الالفاظ ص 19 وفي المخصص 287/12 .
(498) في الاصل : (ممر) بفاء ثم كاف وهو تصحيف .
(499) انظر قول الاصمعي في تهذيب الالفاظ ص 20 .
(500) انظر تهذيب الالفاظ ص 20 .
(501) في ع : لصق .
(502) في الاصل : (نفاق) بفتح النون . والتصويب من تهذيب الالفاظ ص 21
ومعاجم اللغة .
(503) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 14 والميداني 338/2 رقم المثل 4218
واللسان مادة (نفط) . يضرب لمن يؤمر باصلاح حاله قبل ان يتطرق اليه
الفساد .
(504) في ا : ارمل ، بفتح اللام .
(505) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ ص 14 والميداني 195/2 رقم المثل 3358
والاساس (علق) واللسان (ملق) .

قليل يتعلق به كمن عيشه لين يختار منه ماشاء . وتقول العرب (506) :
 « موت لا يجر الى عار خير من عيش في رماق » . الرماق : قدر ما يمسك
 الرمي . ويقال : نخلة ترامق بعرق ، أى لا تموت ولا تحيا . قال أبو زيد :
 « ماله اقد (507) ولا مريش » (508) ، الأخذ السهم الذى ليس عليه ريش
 والمريش ذو الريش . « وما لفلان سعة ولا معنة » (509) ، « وما له
 سارحة ولا رائحة » (510) و « ما له هارب ولا قارب » (511) ، و
 « ماله دعيقة ولا جليقة » (512) أى لا شاة ولا ناقة . و « ما له هبع ولا
 ربع » (513) ، الهبع : ما نتج في الصيف . والربع : ما نتج في الربيع . و
 « ما له زرع ولا ضرع » (514) ، و « ما له سبد ولا لبد » (515) ، و
 « ما له دار ولا عقار » (516) ، و « ما له ثاغية ولا راغية » (517) الثاغية

- (506) انظر المثل في الميداني 313/2 رقم المثل 4082 ومعناه : مت كرميا ولا ترض
 بعيش يمسك الرمي . والمثل أيضا في مختصر تهذيب الالفاظ من 14 والاساس
 (رمق) واللسان (رمق) .
 (507) في النسختين : اقد ، بالبدال المهمل ، وهو تصحيف .
 (508) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 330/2 وامالي العالي 91/1
 ومختصر تهذيب الالفاظ من 14 - 15 والاساس مادة (تخذ) واللسان
 مادة (تخذ) .
 (509) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي العالي
 90/1 واللسان (سمن) والميداني 271/2 رقم المثل 3806 .
 (510) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وامالي
 العالي 90/1 واللسان (سرح) والميداني 301/2 رقم المثل 4025 والاتباع
 والمزوجة 36 .
 (511) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 والمستقصى 333/2 ومختصر تهذيب
 الالفاظ من 15 وامالي العالي 90/1 والاساس مادة (قرب) .
 (512) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجبهة
 الامثال 267/2 وامالي العالي 90/1 والميداني رقم المثل 3890 والفاخر 21
 والاساس (دق) .
 (513) انظر المثل في اصلاح المنطق 384 ومختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجبهة
 الامثال 267/2 واللسان (هبع) والاساس (ربح) .
 (514) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وامالي العالي 91/1 واصلاح
 المنطق 384 والاساس واللسان مادة (ضرع) .
 (515) أي ما له شيء ، قال المفصل ، قال أبو صالح : كل ما لان من الصوف والوبر
 فهو لبد ، والسبد : الشعر .
 وانظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجبهة الامثال 267/2 والميداني
 149/2 ونوادر أبي مسحل 20/1 وأدب الكاتب 39 وتهذيب اللغة 130/4
 والمستقصى 331/2 والحيوان 429/5 واللسان مادة (سبد ، لبد) والفاخر
 21 وامالي العالي 90/1 واصلاح المنطق 384 والصاح والاساس والتاج
 مادة (لبد) .
 (516) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ من 15 وجبهة الامثال 267/2 والميداني
 285/2 رقم المثل 3891 والفاخر 22 وامالي العالي 91/1 واصلاح المنطق
 383 واللسان مادة (عقر) والاتباع والمزوجة 43 . والمقار : النخل أو
 البتاع .
 (517) انظر المثل في مختصر تهذيب الالفاظ 15 وجبهة الامثال 267/2 والفاخر -

من الغنم والراغية من الابل . وقد هلك نصاب ابل بنى فلان (518) وقال
الاصمعي : عسرنا الزمان : اشتد علينا (519) . وهم في ضعف ، وحفف ،
وقشف ، وشظف ، ووبد . كل هذا من شدة العيش . والماء المضاف : الذي
كثرت عليه الشاربة . ويقولون في الشتم : القى الله ماله في النقيصة (520) .
وفي شعر الهذلي (521) : فلان صفر المباءة (522) ، وهو الذي مرجعه الى
وطن خال لا شيء فيه . وفلان يصادى من عيشه شدة ، أى يقاسى . ويقال :
« ما له حلوبة ولا ركوبة » (523) ولا قتوبة (524) ، ولا جزوزة (525) ،
ولا نسولة ، أى ليست له ناقة تحلب ، ولا تركب ، ولا تقتب ، ولا التى يجز
صوفها ، ولا ذات نسل . وهم في عيش مترح ، أى شديد مبرح .

باب الكبير '526'

يقال : فى فلان كبر ، وعظمة ، وتكبر ، واستكبار ، وتخيل . وهو
مزهو . وقد زهى علينا . وهو « أزهى من غراب » (527) . وان لفلان
لصرا . والتصمير : امالة الخدين (528) عن النظر الى الناس وفى الحديث :

- = 21 واصلاح المنطق 383 والميداني 284/2 رقم المثل 3889 ونوادير ابسي
مسجل 20/1 واللسان (ثفا) والاساس (ثفى) .
(518) أي هلكت ابلهم فلم يبق الا ابل استطرفوها . انظر مختصر تهذيب الالفاظ
ص 15 .
(519) انظر النص فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 15 .
(520) انظر النص فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 16 .
(521) هو ساعدة بن جؤية الهذلي : شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام انظر
ترجمته فى : خزنة البغدادي 476/1 والامدي 83 وسيط اللالسي 115
والعيني 544/2 وديوان الهذليين 167/1 - 242 و 208/2 - 222
والاعلام 113/3 .
(522) فى الاصل : المباءة . و (صر المباءة) قسم بيت لساعدة بن جؤية ، روايته
فى ديوان الهذليين 208/2 :

صر المباءة ذي هرسين منعجف اذا نظرت اليه قلت قد مرجا

- وصر المباءة : اي خالي مبارك الابل .
ذي هرسين : ذي خلقين
منعجف : مهزول . قد مرجا : قد فتح ماء
(523) انظر المثل فى الاتباع والمزاوجة ص 30 .
(524) القتوبه : الناقة التى يشد عليها القتب
(525) فى الاصل : جزوره (براء بهمة / وهو تصحيف .
(526) راجع باب الكبير فى تهذيب الالفاظ 151 وباب التكبر فى الالفاظ الكتابية
ص 133 .
قد مرجا : قد فتح ماء للموت .
(527) وهو انه اذا مشى يخال ، انظر المثل فى جمهرة الامثال 507/1 والحيوان
220/1 وفصل المقال 387 والميداني 221/1 والمستقصى 63 والالفاظ
الكتابية 133 .
(528) هكذا فى الاصلين . والصواب : الخد (بالافراد) انظر المقاييس 288/3
واللسان (صعر) وتبام فصيح الكلام 33 .

« يأتي على الناس زمان ليس فيه الا اصغر واثير » (529). فالاصغر :
الذاهب بنفسه . والاثير : من الثبور وهو الهلاك . ويقولون : لاقيم
صنرك ، أي لأزيلن كبرك . ورجل مصبوع : اذا كانت فيه خيلاء . ومن
شعرهم ما يشبه هذا قول طرفة (530) :

ان امراً سرف الفؤاد يرى عسلاً بماء سحابة شتمى

وانا امرؤ أكوى من القصر البادى واغشى الدهم بالدهم وأخبرنى أبو
الحسن على بن ابراهيم القطان قال : سمعت ثعلباً يقول : سئل ابن
الاعرابى عن بيتى جرير (531) :

اذا مشيت لم تنبهر وتأودت كما انآد من خيل وج غير منعل
كما قال فضل الجبل عن متن عائذ اطافت بهم في رباط مطول

فقال : ما سئلت عنهما ، وقد احسن جداً ، اراد انها . لا ترفع من
الخيلاء ثوبها اذا ما سقط عنها ، ولكن تجره . ونحوه :

جارية بسفوان دارها تمشى الهويثا مائلاً خمارها (532)
وقال آخر :

529 الحديث في النهاية لابن الاثير 263/3 وروايته : « يأتي على الناس زمان
ليس فيهم الا اصغر أو اثير » .

530 البيهقي لطرفة بن العبد البكري يمدح قتادة بن سلمة الحنفي ، واصاب ثوبه
سنة ثمانته فبذل لهم واحسن اليهم . انظر ديوان طرفه ص 90 والاول في
الاصلاح 64 والتعذيب مادة (سرف) والمعاني الكبير 811/2 وانظر ترجمة
طرفة في : طبقات الجبحي 115 والشعر والشعراء 117/1 والاهناسي
185/21 والموشح 57 ومعجم الشعراء 201 والخزانة 414/1 وبروكلمان
92/1 .

531 البيهقي في شرح ديوان جرير - صنعة محمد اسماعيل عبد الله الصادي
ص 457 ، مع اختلاف يسير في رواية الاول . (تنهز) مكان (تنبهر) والوجاء
الحنا . والعائذ : الانثى التي وضعت حديثاً . الجبل : للدابة كالثوب للانسان
والجمع (جلال) .

532 الرجز لمنظور بن حبة انظر تاج المروس 405/3 وبعده فيه :

قد اعصرت أو قد دنا اعصارها

وفي المين للخليل ص 345 من غير عزو وتنمته :

ينحل من غلبتها ازارها قد اعصرت أو قد دنا اعصارها

وهو في افساد أبي الطيب ص 509 من غير عزو ايضاً في أربعة اشطار
والارجوزة في سبعة اشطار في المين 444/4 وفيه بعد الشطر الاول شطر
ثان هو : لم تدرك ما الدهنا ولا تمسارها
وبعد الاشطار الأربعة آخران هما : =

فلا يغرنك جرى الثوب معتجرا (533) انى امرؤ في عند الجد تشمير

ونفخ الشيطان : الكبر . ويقولون : « كل ذات ذيل تختال » (534) .
ويقولون للمتكبر : كأن انفه في أسلوب (535) . ورأيته زاما بانفه ، أى رافعا
رأسه كبيرا . والزبونة : الكبر . ويقولون : « هو أتية من أحقق ثقيف » (536)
يريدون يوسف بن عمر كان ذا تيه (537) .

باب صغر الهمة والنفس

يقال : ما هو بذى طعم ، أى ليست له نفس . ويقال اسف ، اذا تتبغ

قلت لبواب لديه دارها

تيدن ، فاني حبها وجارها

والشاهد في المقاييس 342/4 والمخصص 47/1 والصاح مادة (سلف)
وهاشميات الكهيت 74 . والخمسة الاولى في معجم ما استمع 315/3 وفي
صفة جزيرة العرب ص 168 . والاشطار الاربعة الاولى في اللالي 684
وبعضها في اللسان مادة (عصر) وفي الجهرة لابن دريد 354/2 وشرح
الحماسة للتبريزي 13/4 بترتيب مختلف . والشطران الخامس والثالث في
معاني الشعر 138 والشطر الخامس وحده في اعداد ابن الانباري 217 .
وفي نظام الغريب ص 67 ، وهي رواية انفرد بها الرمي :
جارية « بشطنين » دارها تمشي الهويينا ساقطا خمارها
قد اعصرت او قد دنا اعصارها

ورواية الاشنانداني في معاني الشعر وهي رواية انفرد بها :

معصرة لو قد دنا اعصارها

وتوهم الدكتور صلاح الدين المنجد في تعليقه على هذا الرجز فقال : هو
لمنصور بن مرثد الاسدي وقيل لمنظور بن حبه . « فظنهما رجلين ولم يظن
للتصحيف والتحريف في اسمه . وصاحب الأرجوزة : هو منظور بن مرثد بن
مروة الفقمسي ، شاعر اسلامي ، وحبه اسم امه . وصحف اسمه في التاج
الى منصور بن حبه .

وسفوان : ماء بين ديار بني شيبان وديار بني مازن على أربعة اميال من
البصرة ويسمى حاليا (صفوان) .

(533)

الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

(534)

انظر المثل في جهرة الامثال 253/2 والميداني 134/2 رقم المثل 3004
والمستقصى 226/2 رقم المثل 763 .

(535)

أسلوب : أي في طريق ، والمراد اذا لم يلتفت يمينا ولا شمالا .

(536)

انظر المثل في جهرة الامثال 285/1 والميداني 99/1 والمستقصى ص 20 .
ويوسف بن عمر النخعي أمير العراق من قبل هشام بن عبد الملك وقيل : كان
أحمق من أمر ونهى في الاسلام (ت 127 هـ) . وانظر ترجمته في : وميات
الاميان 360/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 191/5 والتنبية والاشراف 281
والاخبار الطوال - طبعة بزيل - 339 ومراة الجنان 267/1 والامسلام
320/9 .

(537) في الاصل : تيه .

مداق الأمور ، كأنها يطلب اللقط في التراب . وقال :

وسام جسيمات الأمور ولا تكن مسفا الى ما دق منهن ذاتيا (538)

باب الجهل بالثشيء

يقال : انه لشرق بالأمر ، أى جاهل . وفي امثالهم : « ما يدري أسعد الله أكثر أم جذام » (539) ، يضرب لمن لا يعرف القليل من الكثير . ويقولون : « ما يعرف هرا من بر » (540) ، « ولا يعرف حا من سا » (541) « ولا يدري أى طرفية أطول » (542) « ولا يعرف الوحي من السفر » (543) الوحي : الايماء والسفر : الكتابة . « وما يعرف الحى من اللى » (544) ، الحى : واضح الكلام . واللى : غيره . ويقولون : فى فلان غبوة . وهو « أجهل من فراشة » (545) .

باب العته والجنون '546'

يقال : عته ، وهو معتوه ، اذا نقص عقله . وجن ، من الجنون . ويقولون للشباب اذا تعجبوا من شبابه : ما له جن جنونه ! ولا يقال ذلك للشيخ . وهذه الكلمة من باب وصف الشباب . وقال الشاعر :

إذا أمنوا ترى احلام عاد وان فزعوا حسبت لهم جنونا

- (538) البيت فى الأساس 444/1 واللسان مادة (سلف) من غير عزو .
(539) انظر المثل فى جبهة الامثال 280/2 والميداني 109/2 والمستقصى 336/2 رقم المثل 1232 . وفى النسختين : جذام .
(540) قال الاصمعي : معناه لا يعرف شيئا من شيء . انظر المثل فى جبهة الامثال 401/2 والفاخر 43 والميداني 148/2 والمستقصى 337/2 واللسان (هرر) والأساس (برر) والجمهرة وروايته : « لا يعرف هرا من بر » . وهو فى نوادر ابي مسهل 49/1 وادب الكاتب 45 .
(541) حا : زجر للفنم عند السقي ، وزجر للكلب عند السفاد . وسا : زجر للحمار .
(542) ورد فى المستقصى 336/2 : « ما يدري أى طرفيه أطول » . أى انسب ابيه افضل ام نسب امه ! . وانظر المثل فى الميداني 214/2 رقم المثل 3502 والصاحح (طرف) وادب الكاتب 44 .
(543) انظر المثل فى جبهة الامثال 419/2 .
(544) انظر المثل فى جبهة الامثال 419/2 رقم المثل 1935 والميداني 160/2 والمستقصى 336/2 . وقيل أيضا : « ما يعرف الحو من اللو » .
(545) لانها طلقى بنفسها فى النار . انظر المثل فى جبهة الامثال 334/1 والاصمعي 34 والميداني 126/1 والمستقصى 27 .
(546) راجع فى الالفاظ الكتابية باب المس والتصورات والجنون ص 97 .

ويقال : بفلان سفعة من الشيطان ، أى أخذه (547) . وفى الحديث :
« رأى جارية بها سفعة » (548) . ورجل اشجع ، كأن به جنونا . والالس :
الحمق والجهل . وفى الحديث : « نعوذ بك من الالس والألق » (549) . قال
أبو عمرو : المحتضر : المجنون . ويقال : فى عقله صابة ، أى كأنه مجنون .
وقيل لأعرابي : يا مصاب . فقال : أنت أصوب منى .

باب الحمق '550'

يقال : امرأة محمقة : تلد الحمقى . وفى أمثالهم : (عرف حميـق
جمله) . (551) يضرب للرجل يأنس بك حتى يجترىء عليك . ويقال :
« هو أحق من ترب المقد » (552) يعنون عقد الرمل ، وذلك انه لا يثبت
بل ينهار . ويقال : ما أبين رعالته . وفى أمثالهم : « زاده الله رعالة كلما
ازداد مثالة » (553) . ومنه فكة ، أى استرخاء من حمق . ويقال : هو هبيت ،
أى بارد الفؤاد ، ميت النفس . وهو متهوك : يقع فى الأشياء بحمق . وانه
لأحمق خطل ، أى سريع خفيف . ويقال فى الضعيف الرأى : هو واهن الرأى ،
ضاجع ، أى عاجز . وهذا رأى اعور ، من قولهم طريق اعور ، اذا لم
يكن فيه علم ولا أثر (554) . ويقولون : هو جفر ليس له زبر ، واصله البئر
اذا لم تطو . والامرة : الذى لا رأى له فهو يسمع من كل احد . وفلان سىء

- (547) أى مسس .
(548) الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والائر 166/3 وفى صحيح مسلم 18/7
وفى اللسان مادة (سفع) .
(549) ورد الحديث فى النهاية فى غريب الحديث والائر 60/1 وروايته : « اللهم نعوذ
بك من الالس ، اللهم انا نعوذ بك من الألق » .
وورد الحديث فى فقه اللغة للثعالبي ص 213 وروايته كرواية المتخير . وهو
فى الأساس مادة (الس) 18/1 وروايته : « واللهم انا نعوذ بك من الالس
والألق أى من الخيانة والكذب » .
(550) راجع باب الحمق والهوج فى تهذيب الالفاظ 187 وباب المس والجنون فى
الالفاظ الكتابية 97 وباب الجهل فى الالفاظ الكتابية 143 .
(551) انظر المثل فى جمهرة الأمثال 50/2 والميداني 309/1 والمستقصى 160/2 .
وهيـق : اسم رجل .
(552) انظر المثل فى جمهرة الأمثال 395/1 والميداني 152/1 والمستقصى 76/1 .
والأحمق يوصف بقلة التماسك والثبات .
(553) الرماله : الحباثة . والمثالة : حسن الحال والهيئة . يضرب فى دعاء الشر .
انظر المثل فى المستقصى 109/2 والميداني 322/1 والأساس (مثل)
واللسان (رمل) والبصائر والنخائر المجلد الثالث - القسم الاول ص 236 .
(554) فى كتيابات الادباء للجرجاني ص 144 نسب هذا القول لابن الأعرابي . وفى
الحكم 246/2 : « وطريق أمور : لا علم فيه ، كان ذلك العلم مينة ، وهو
مثل » .

الرأى ، منقطع القتال . وهو « جرف منهال » وسحاب منجال « (555) ،
أى لا حزم له ، ولا عقل ، ولا يطمع فى خيره . ورجل قلع : مثلون لا يثبت
على شىء ، ورأى متخالج : ردىء .

باب سوء الخلق

يقال : هو سىء الخلق ، وفيه عرارة (556) وفى خلقه عسر . وهو
عقام (557) ، متزبع (558) ، وهو يتنمى ، إذا ساء خلقه كأنه أفعى . وهو
شرس ، ضرس ، مخرور ، غلق . وهؤلاء شركاء متشاكسون . ورجل زعر
معر ، أى سىء الخلق .

باب الإباء وقلة الانقياد

يقال : أبى إباء (559) ، وهم أبليون وأباة . والصعب : نقيض الذلول .
وهم « أصعب من رد الجموح » (560) . « وأصعب من رد الشخب فى
الضرع » (561) . ورجل عقى فظ ، أى صعب لا ينتقاد . وفلان شديد
الاخدع (562) ، إذا لم ينقد . وقد تحمس ، وتعاصى ، وامتنع . ويقولون
للرجل يأبى الأمر : هذا أمر لا تنفى له قدرى (563) ، ولا تبرك عليه أبلى .

باب التمسف والتهور

التمسف والتهور : الهجوم على الأمر بلا تثبت . وهو من الجرف
الذى ينهار . والتجليح : التصميم فى الأمر .
وذئب مجلح ، إذا ركب رأسه . والترع : الذى يقتحم الأمور . خلاف
الورع .

- (555) انظر المثل فى الميداني 177/1 يضرب مثلا لمن لا حزم عنده ولا عقل ولا يطمع
فى خيره وفى الكتابات للجرجاني من 147 : « قيل لأمرأى ما تتول فى ملان ؟
قال : جرف منهال وسحاب منجار ، لا يطمع فى خيره » .
(556) فى الأصل : غرارة بالفين المعجمة ، وهو تصحيف .
(557) المقام : من لا يولد له . والسىء الخلق .
(558) المتزبع : السىء الخلق القليل الاستقامة .
(559) فى الأصل : أبى أبى .
(560) انظر المثل فى جبهة الامثال 568/1 والمستقصى 208/1 والميداني 417/1 .
والجموح : الفرس يمتز فارسه على رأسه ويجري جريا غاليا .
(561) الشخب : ما يفرج من الضرع من لبن . وانظر المثل فى جبهة الامثال 586/1
والميداني 413/1 والمستقصى 208/1 .
(562) الاخدع : عرق خفى فى موضع الحجابة من العنق .
(563) انك القدر : جعلها على الاتاني ، وهى الاحجار التى توضع عليها القدر .

باب الجبن '564'

يقال : هو جبان والجمع جبنا . ويقولون : الجبان حقه من فوقه .
ورجل رعديد . وقد انتفخ سحره . وفي الحديث : « نموذ بك من شح هالغ ،
وجبن خالغ » (565) . والورع ، واليراعة : الجبان . وهو هيبان (566) ،
منخوب . وهو « أجبن من صافر » (567) ، « وهو الصفر » (568) .
« وهو انخب من نعامة » (569) والكل : الذى يكون فى مؤخر الحرب ،
انما همته الفرار .

باب الاحجام عن الحرب

يقال : احجم ونكص وانتدع وخام وهلك (570) ، وهو « أشرد من
حبارى » (571) ، « وأشرد من نعامة » (572) ويقولون : « كل أرب
نفور » (573) . ويقولون : « روغى جمار وانظرى أين المفر » (574) ،

- (564) راجع باب الجبن وضعف القلب فى تهذيب الالفاظ من 176 وباب الجبان فى
الالفاظ الكتابية من 68 .
(565) رواه أبو داود عن أبي هريرة بقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : شر ما فى الرجل شح هالغ وجبن خالغ (سنن أبي داود 18/3 رقم
الحديث 2511) ورواه ابن حبان (من 207 موارد الظمان / وأورده المنذرى
فى الترغيب والترهيب 60/5 وابن الاثير فى النهاية 65/2 وروايته فى الجبان
فى تشبيهات القرآن من 269 : « أعوذ بك من الجشع والهلع » . وانظر
الحديث فى المخصص 11/3 واللسان مادة (هلع) .
(566) فى تهذيب الالفاظ من 178 : هيبان بدون تشديد .
(567) انظر المثل فى جبهة الامثال 325/1 وفصل المقاتل 393 والميداني 184/1
والمستقصى 21 واللسان مادة (صفر) وتهذيب الالفاظ من 182 والصاح
مادة (صفر) .
(568) المثل : « أجبن من صفر » وهو طائر من خشاش الطير ، ضرب به المثل
فى الجبن . انظر الميداني 185/1 وجبهة الامثال 325/1 والمستقصى 45/1 .
(569) فى جبهة الامثال 394/1 : احق من نعامة ، وكذلك فى فصل المقاتل 330 ،
والميداني 151/1 والحيوان 198/1 . وفى الامثال : أشرد من نعامة قال
الشامسر :

وهم تركوك اسلح من حبارى رات صفرا واشرد من نعامة

- انظر : ايجاز القرآن للبائلي من 122 — تحقيق محمد عبد المنعم خفاجه
هلا : مر ونكص . (570)
فى مجمع الامثال : اسلح من حبارى 388/1 (571)
انظر الميداني 388/1 رقم المثل 2051 . (572)
انظر جبهة الامثال 154/6 والميداني 53/2 والمستقصى 223/2 يضرب
مثلا للرجل ينفر من كل شيء والأرب من الابل : الكثير شعر الوجه حتى
يشرف على عينيه ، مكلما رآه نفر ، فهو دائم النفر .
(574) انظر جبهة الامثال 488/1 والميداني 195/1 والمستقصى 105/2 واللسان
(جفر) . وفى النسختين : جمار ، وفى 1 : المفر .

يقال ذلك لمن يطلب المخلص ولا مهرب له ، وجعار : الضبع ومن أبياتهم :

لحا الله قيسا قيس عيلان انها (575) أضاعت ثغور المسلمين فولت
فشاول بقيس في الرخاء ولا تكن لأخاها اذا ما المشرفية سلت (576)

ويقال : انهزم القوم نعاميه . قال الأموه :

واجفل القوم نعاميية عنا وفئنا بالنهاب النفيس (577)

باب الفزع

يقال فزع وذعر ، وتقول العرب : اريته لحا باصرا ، أى امــــرا
مفزعا (578) . وقد أخذ الزويل ، أى الفزع . والوهل : الفزع . ورجل هيوّب ،
أى هيبان وفى مثل « اعوذ بك من الخيبة فأما الهيبة فلا هيبة » (579) .

باب الشنآن والبغضة '580'

البغض والبغضاء بمعنى . وتقول العرب : بغض جده كما يقولون عثر
جده . ويقولون : قليته أقلية قلى ، وشنئته اشنؤه . وتقول اشنا حق أخيك
أى سلم حقه اليه .

- (575) فى الاصليين : عيلان (بالفتح المعجمة) وهو تصحيف .
(576) البيتان من شعر عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص فى يوم مرج راهط ،
وهما من أبيات يرد بها على زمر بن الحارث ، انظر مجالس ثعلب ص 347
— 348 وروايتهما فيها : أضاعت مروج .. الخ . والفرج : الثغر المخوف .
تشارك بقيس فى الطمان .. الخ
وانظرهما فى الطبري 42/7 وروايتهما فيه ، الاول مطابقة لرواية (المتخير)
والثاني : فباء بقيس فى الرخاء ..
وانظر (اللسان) مادة (شول) 400/13 وفيه الثاني فقط والبيتان فى الحماسة
شرح المزمعي 1499 — 1500 وروايتهما كرواية المتخير . وفى التبريزي :
بقيس فى الطمان .
(577) الأموه : صلاة بن عمرو بن مالك الأودي من مخجج ، والبيت فى — الطرائف
الأدبية ص 17 — تحقيق ونشر عبد العزيز الميمني — القاهرة 1937 وقد
ضمت ديوان الأموه الأودي ، وانظر ترجمته فى : الشعر والشعراء 149/1
والأغاني 41/11 والمعنى 421/1 ومعاهد النظم ص 159/2
والشعراء 111 وسبط اللآلي 365 و 844 والمزهر 238/2 و 296 والمختب
من شمس العلوم 4 وجوهرة الانساب 386 وشعراء النصرانية 70 .
(578) ورد فى مجمع الأمثال 177/2 : لارينك لحا باصرا — رقم المثل 3240 — .
وفى شرحه قال الخليل : لارينه أمرا مغزما ، وقال أبو زيد : لحا باصرا أى
صادقا ، يقولها المتهدد .
(579) قاله سليك بن سلكة ، والمعنى أهوذك أن تخييني ، فأما الهيبة فلا هيبة ،
أى لست بهيوّب . انظر المثل فى الميداني 23/2 رقم المثل 2461 وانظر شرح
هذا المثل فى الميداني أيضا تحت رقم 2409 .
(580) البغضة : البغضاء ، والقوم الباغضون .

باب الكراهية

العرب تقول : « اساء كاره ما عمل » (581). وذلك ان المكره على الشيء يسيء عمله . واعتنفت الشيء كرهته . وقد عاف الشيء عيانا اذا كرهه . والعيوف من الابل : الذي يشم الماء (582) وهو عطشان فيدعه . قال ابن الأعرابي : ما قلبى اليك بمطلق ، اذا لم تشتهه . وما تطلق نفسى لهذا الامر ، أى ما تنشرح . ويقال : حمضت نفسى من الشيء ، أى كرهته ومنه قولهم : ان للقلوب حمضة وللأذان فجة (583) .

باب رجوع الرجل في اللؤم الى أصله والفاظهم في اللؤم

تقول العرب : رجع عبد السوء الى محتده . ويقال : لؤم الرجل . وهو « الأم من كلب على عرق » (584) « والأم من سقب ريان » (585) قال الخليل : الاقتعاد : ان يقعد لؤم الأصل بالرجل عن الخير . يقال ما اقتعده عن الكرم الا لؤم أصله (586) . وقد تداركته اعراق سوء وقد وضع رضاعة . وفلان لثيم اعقد ، اذا لم يكن سهل الخلق . قال ابن الأعرابي ، قال رجل : بنو فلان يعتصرون العطاء ، ويبيعون الماء ، ويعبرون النساء (587) . يعتصرون : يرتجعون ثوابه . اخذت عصرته ، أى ثوابه . ويعبرون ، أى يختننهن (588) .

- (581) انظر المثل في : جبهة الامثال 1/197 والمستقصى 64 والميداني 338/1 رقم المثل 1805 .
- (582) في الاصل : الماء
- (583) ورد في التهذيب 4/224 مادة حمض : الاذن مجاعة وللنفس حمضة وفسره الأزهرى : ان الأذان لا تمي كل ما تسمعه ، وهي مع ذلك ذات شهوة لما تستطرقه من غرائب الحديث ونوادر الكلام .
- (584) انظر المثل في جبهة الامثال 2/180 والميداني 2/956 رقم المثل 3741 والمقاييس 4/287 . ورواية الميداني : عرق (بكسر العين) .
- (585) انظر المثل في جبهة الامثال 2/220 والميداني 2/252 والمستقصى 120 . والسقب : ولد الناقة سامة يولد .
- (586) ونس رواية (العين) 1/160 : « والاقتعاد مصدر اقتعد ، من ثولك : ما اقتعد فلانا عن السخاء الا لؤم أصله » .
- (587) هكذا ورد في أساس البلاغة 2/96 مع تقديم وتأخير وانظر اللسان مسادة (مصر) .
- (588) جاء في الأساس 2/96 : غلام معبر ، وجارية معبرة : لم يفحشا . وتتسول العرب في شتاتهم : يا ابن المعبرة .

باب البخل*

يقال : هو بخيل مبخل . وهو « عنز عزوز لها در جم » (589)، يضرب للبخيل الموسر . والعزوز : الضيقة الاحليل . وفلان عقس اليمين (590) ، منقطع المعروف . وهو طبع طبع ، لحز ، لا تتدى صفاته . وهو جحد البيت (591) ، جحد النائل ، جحد اليمين متشزن (592) ، حصور . وهو قفل ، قبوض ، شنج اليمين ، ومجنوف اليمين ، جماد الكف . ويقولون : جماد له جماد ، أى لا زال جامد الحال . وفي ضده : جماد له جماد . وقد اضب فلان على ما في يديه . ونظرنا منه في وجه امرس املس ، أى كالحجر . أى انه بخيل لا خير فيه ، ورجل ييس : لا ينيل خيرا .

باب الارتداع وفسده

ردعته فارتدع . وقد ردعته روادع الشيب . وفلان شديد العنان ، أى لا ينقاد . وقد ذل عنانه : انقاد . ورجل مخلوع الرمن ، اذا لم يكن له زاجر . وهو منقطع العقال في الشر (593) . ولا يقرع أى لا يرتدع . وقد قرع ، اذا ارتدع . وقد عند فهو عنيد . ومن أمثالهم « لكل عنود نوى » (594) ، أى كل انسان منطلق لوجهته .

باب التمدى واللجاج

الحك : التمدى واللجاج . وقد اهتمج في الامر ، والتج ، وانهمك . والمهاواة : الملاجة . وقد شرى في الأمر : لج .

* راجع في تهذيب الالفاظ : باب الشح ص 69 وفي الالفاظ الكتابية باب البخل ص 96 .

(589) انظر المثل في المعاييس 39/4 والميداني 25/1 رقم المثل 83 ونوادر ابسي مسجل 447/2 واللسان (عزز) ونوادر أبي زيد 95 .

(590) اي ملتوى اليمين .

(591) اي قليل الخير

(592) الغليظ الخشن

(593) انظر أساس البلاغة 263/2 مادة قطع .

(594) في مجمع الامثال ورد (لكل ذي عبود نوى) 194/2 ، اي لكل اهل بيت نجمه ، والمعنى لكل اجتماع افتراق ، ولكل امرئ حاجة يطلبها . ولم أظفر بهذا المثل في كتب الامثال والمعاجم التي رجعت اليها .

باب الحقد والضغينة *

الحقد ، والضغن ، والمثرة ، والضمد ، والسخيمة ، والغمر .

قال الاحنف (595) في كلام له : استشرت شأنتكم ، وأبى حسك صدوركم (596) . قال ابن الأعرابي : احتمل عليه قوله ، أى حقه . والدخن : الحقد . وفي الحديث : « هدنة على دخن » (597) . وفلان دخن الخلق . ورجل مغل : مضب على غل ، وقد غمر صدره على .

باب الغدر والخيانة **

يقال : غدر يغدر . واغدر : أتى بالغدر . وفي المثل : « هو قفا غادر شر » (598) . والألس : الخيانة والكذب . والختر : الغدر . وفي بنى فلان مخانة ، أى خيانة . والغلول : الخيانة فى الفء ، وفي الحديث : « لا اغلال ولا اسلال » * أى لا خيانة ولا سرقة . وقد ادغل القوم بفلان ، اذا خانوه ، وسرقوه ، واغتالوه .

باب الخديعة والمكر والنكر

يقال : خدعته خدعا ، وخديعة . ورجل مخدع ، اذا خدع مرارا فى

-
- * راجع باب البغضاء والحقد من 38 — جواهر الالفاظ وباب الغضب والخدة والعداوة — تهذيب الالفاظ من 78 والالفاظ الكتابية من 17 باب الحقد والضغينة .
- (595) هو الاحنف بن قيس التميمي (ت 76 هـ) ، انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب 191/1 ، ابن سعد 66/7 وابن خلكان 23/1 وجبهة الانساب 206 وذكر اخبار اصبهان 224/1 وتهذيب ابن عساکر 10/7 والسير 81 وتاريخ الفبيس 309/2 وتاريخ الاسلام للذهبي 129/3 والى باء البلوي 343/2 والاعلام 262/1 .
- (596) الشافى : الاذى والعداوة . والحسك : الحقد .
- (597) انظر الحديث فى : المستقصى 389/2 والميداني 382/2 و 161/1 ، ويضرب مثلا لمن يضمر اذى ويظهر صفاء . وقد أورده ابن الاثير فى النهاية 243/4 . وهو فى المقاييس وأساس البلاغة واللسان مادة (غلن) .
- ** راجع باب نكت العهد من 180 — الالفاظ الكتابية وباب الغش والدغل من 384 — جواهر الالفاظ .
- (598) يضرب مثلا للرجل الدميم الزري الذي له خصال محمودة . انظر المثل فى : جبهة الامثال 355/2 ومصل المقال 123 والميداني 384/2 والمستقصى 329 .
- * رواه الطبراني عن عمرو بن موفى بلفظ : لا اسلال ولا غلول ، — الجامع الصغير للسيوطي ورمز له بالصحة : 198/2 والحديث فى النهاية وهو فى الاساس واللسان مادة (غلل) .

الحرب . ومن أمثالهم : « ترك الخداع من أجرى من مائسة » (599) ،
 قاله قيس بن زهير (600) لحفيظة بن بدر (601) . ويقولون : « ترك
 الخداع من كشف القناع » (602) . وفي فلان خنعات (603) ، أى نكر وخبث
 وانتقال من طبع الى آخر . قال أبو عبيدة : التماحل : التماكر . يقال : ما حله
 عن حقه ، أى خادعه . والمحال : المكيدة . والادهان : اللين والمصانعة .
 والمداهن : المخادع المحابى . ويقال : « فلان يقرء فلانا » (604) ، أى
 يخدعه ليستمكن منه . وفي أمثالهم : « ضرب أخماسا لاسداس » (605) ،
 يضرب لمن يظهر شيئا وهو يريد غيره والختل : الخدع فى غفلة . ومن
 أمثالهم : « مجاهرة اذا لم أجد مختلا » (606) ، أى أخذ حتى قهرا اذا لم
 أصل اليه عفوا . ويقولون : « هو اخبث من فئب الخمر ، واخبث من فئب
 الغضا » (607) والخلاف : المخادعة . ويقولون : « اذا لم تغلب
 فاخلب » (608) .

باب الحسد

تقول : حسده يحسده . وقال الأعرابى : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم
 من الحاسد : حزن لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم . وغبطته ، وهو مثل

- (599) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 628/1 و 200 والضبي 28 والفاخر 220 ،
 ومصل المقال 136 والميداني 122/1 والمستقصى 190 .
 (600) هو قيس بن زهير العبسي (ت 10 هـ) انظر ترجمته فى : الميداني 184/1
 وابن أبي الحديد 150/4 وخرانة البغدادي 536/3 والكمال لابن الاثير
 204/1 والرزباني 322 وسرج العميون 69 ورفية الامل 88/4 وسيط
 اللايى 582 و 823 والتبريزي 106/1 و 221 و 11/2 والاعلام 56/6 .
 (601) حذيفة بن بدر ، ضرب به المثل فى سرعة السير (جاهلي) ، انظر ترجمته
 فى ثمار القلوب 111 والاعلام 180/2 .
 (602) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 287/1 و 570 والفاخر 184 .
 (603) هكذا فى الاصل . والذي فى تهذيب اللغة 167/1 واللسان مادة خنع : (خنعات)
 بضم الخاء والنون .
 (604) انظر المثل فى الميداني 27/1 رقم المثل 96 ونصه : (انه ليقرد فلانا) .
 (605) انظر جمهرة الامثال 4/2 ومصل المقال 95 والميداني 283/1 والمستقصى
 236 واللسان مادة (حيسى) واسباس البلاغة مادة (حيسى) .
 (606) انظر المثل فى الميداني 309/2 رقم المثل 4056 .
 (607) الخمر : ما يستتر به من شجر ، والغصنا : شجر معروف ، انظر المثل فى
 جمهرة الامثال 438/1 والميداني 174/1 والمستقصى 41 والحيوان 220/1
 معناه : اذا لم تدرك الحاجة بالغلبة والاستعلاء فاطلبها بالرفق والادارة .
 (608) انظر المثل فى : جمهرة الامثال 66/1 ومصل المقال 102 والميداني 3/1 ،
 والمستقصى 150 واللسان مادة (خلب) والمصاح 122/1 .

الحسد (609). وفي الحديث : « هل يضر الغبط ؟ » فقال : كما يضر العضاة
الخبيط * . ومثل : « الذئب مغبوط بذى بطنه » (610) لمن يغبط بما لا
جدوى له فيه . ويقول : اللهم غبطا لا هبطا (611) ، أى اجعلنا نغبط ولا
نهبط . وقد نفس فلان على فلان : حسده .

باب الغضب

يقال : لفلان دُخامس . والدخمة : الغب . وله دغاؤل (612) وهو
« أخب من ضب » (613) .

باب الغضب **

يقال : غضب ، واحتلظ . وفلان « يكسر عليك أرعاض النبيل
غضبا » (614) . وجاء فلان نافشا عفريته (615) ، وجاء رافعا بانفه ، أى
مغضبا . وقد وغر صدره ، ووغم (616) ، ووجر . وقد استقله الغضب ،
واحتله . وجاء فلان يتلدع (617) . ويقال لمن سكن غضبه : تحللت عقده . ولن
غضب وتهايا للشر قيل : قد عقد ناصيته . وفلان يكاد يتمزع من الغيظ ،
أى كاد يتناطير شققا . وجاء وبه سكر علينا ، أى غيظ . ويقال للرجل إذا خف

609 ورد في اللسان مادة حسد 125/4 ما نصه : الحسد أن يرى الرجل لاختيه
نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبط أن يتمنى أن يكون له مثلها
ولا يتمنى زوالها عنه .

* أورده ابن الأثير في النهاية 148/3 ، وانظر اللسان 126/4 . والخبيط :
خرب ورق الشجر حتى يتحات عنه ثم يستخلف من غير أن يفسد ذلك بأصل
الشجرة وأغصانها .

610 انظر جمهرة الأمثال 461/1 وفيه : الذئب يغبط بذى بطنه ، يضرب مثلا
للرجل يظن به الغنى وهو فقير ، والشيع وهو جائع . وانظر المثل في : نصل
المقال 343 والميداني 187/1 والمستقصى 168 والمعاني الكبير 192/1
وأبى نسل 381/1 .

611 انظر الدماء في المقاييس مادة غبط 411/4 واللسان مادة غبط وأساس
البلاغة 156/2 .

** راجع في تهذيب الالفاظ من 78 — باب الغضب وانظر باب الغيظ في
الالفاظ الكتابية من 19 وباب السخط والغيظ من 40 — جواهر الالفاظ .

612 أي غوامل .

613 انظر المثل في جمهرة الأمثال 439/1 والميداني 174/1 والمستقصى 40
والحيوان 43/6 .

614 انظر المثل في الميداني 36/1 رقم المثل 143 ، والرمط : مدخل النمل في
السهم .

615 عفريته : شعر ناصية الرجل .

616 الومم : العقد الثابت في الصدر .

617 في الأصل : يتلدع (بالبدال) وهو تصحيف .

حلمه : قد خفت نعماته . واحتد فلان فنشب في حدته ، وغلق ، وحكى ابن الأعرابي : فلان لا يركض المحجن (618) ، أى لا يمتعض من شيء . ويقال : قد أصبحت مجبوحاً بك ، أى قد اشتد غضبك . ويقال : قد أذارتة فذئتر ، أى حرشته فغضب . وفي صدر فلان عليك حماسة ، أى غيظ وموجدة . وهو يتحدم علينا ، أى اشتد غضبه . والحنطة ، والحنيفة : الغضب . وفي المثل : « الحنايظ تنقض الاحقاد » (619) ، أى إذا كانت بينك وبين ابن عمك عداوة ثم رأيتك يظلم حميت له ونصرتك . وفلان حامض الفؤاد ، إذا تغير وفسد . والتحرب : الغضب . وقد حربت فلانا ، وحرشته ، واحمشته . وقد انتفخ انتفاخ الضب الحرب . وحربه : أن يرتفع على برائته . وحميا الغضب شدته . والمتخبط : الشديد الغضب . والنفر : الغضبان . من نفر القدر وهو غليانها . وقد جاء فلان تغلى مراحله . وقد استشاط ، وشرى غضبا . وقد يقال : غضب مطر ، أى شديد في غير موضعه . وقد انتفخ وريدها : إذا غضب .

باب الحرص والجشع '620'

قال الأصمعي ، قلت لأعرابي : ما الجشع ؟ فقال : أسوأ الحرص . ويقال : أن نفسه لطلعة إلى كذا ، أى منازعة إليه . وزعم فلان في غير مزعم ، أى طمع في غير مطمع . وهوطمع حريص . والطمع والطماعية بمعنى : وهو « اطمع من فلحس » (621) ورجل هاع (622) لاع (623) : حريص . والرشع : الطمع والحرص ؟ ويقولون : هو دامى الشفة ، أى حريص ملح .

(618) في الأصل : الحجر ، وهو تحريف والتصويب من اللسان 262/16 وفيه : المحجن : مما مقلنة الرأس كالصولجان وفلان لا يركض المحجن : لا غشاء منه .

(619) انظر المثل في جبهة الإمثال 349/1 ونصه : الحنايظ تحلل الاحقاد . وانظر فصل المقال 179 و 195 وفيه الروايتان : تنقض وتحلل . وانظر الميداني 139/1 والمستقصى 125 واللسان مادة (حفظ) .

(620) راجع باب الطمع في تهذيب الالفاظ من 437 وفي الالفاظ الكتابية من 42 وباب الشره والحرص والسؤال في تهذيب الالفاظ من 253 . وباب الحرص والشره في جواهر الالفاظ من 78 .

(621) انظر جبهة الإمثال 14/2 والميداني 441/1 رقم المثل 2335 والميداني 347/1 رقم المثل 1868 ، و« فلحس رجل من بني شيبان ، كان سيداً عزيزاً يسأل سبها في الجيش وهو في بيته يبعث لعمه ، فإذا أعطيه سأل لأمراءه ، فإذا أعطيه سأل لعميره . انظر المستقصى 225/1 و 152/2 ورواية (اللسان) أسأل فلحس .

(622) انظر المثل في : جبهة الإمثال 333/1 والميداني 187/1 والمستقصى 23 .

(623) رجل هاع : جزوع .

وقد دمي فوه ، وضب (624) فوه . أبو زيد : الطرف من الرجال : الرغبة
العين الذي لا يرى شيئا إلا أحب أن يكون له (625) ، فعيناه لا تشبعان ،
من قوم طرفين . ومن أمثالهم : « أجشع من أسرى الدخان (626) . وهم
قوم من تميم أرادوا المكبر أن يقتلهم ، فأمر باتخاذ طعام ، فلما ارتفع الدخان
دعاهم فاغثروا بالدخان ودخلوا الحصن ، فاصفق الباب وقتلوا . فقيل :
أجشع من أسرى الدخان . وقيل فيهم ليسوا بأول من قتله الدخان . وقد
كلب فلان أشد الكلب . ومنيت فلانا حتى انتشرت نفسه وجاء فلان نائسرا
أذنيه (627) . والاشراف : الحرص .

باب الظلم والغشيم *

قال أبو عمرو : القوم عليه نسلح ، أي مجتمعون (عليه بالعداوة) (628)
وقد ضلع عليه ، وقد جنف عليه . وانت على ضلع جائرة . وضلع فلان مع
فلان أي ميله . ويقال : هو « أظلم من حية » (629) لأنها تجيء إلى غير
جحرها فتدخله . والرهق : الظلم . من قوله تعالى : « بخسسا ولا
رهقا » (630) . والعدوان : الظلم الصراح . والعدوة : عدوة اللص ، وعدوة
المغير ، وعدوة السبع . ويقولون : كف عنا عاديتك ، وإياك والظلم فان الظلم
يغشى بالرجال المغاشى . ويقولون يقول الشاعر :

فلا تك حفارا بظلفك انما تصيب سهام الغي من كان غاويا
إذا أنت أكثر المجاهل كدرت عليك من الاخلاق ما كان صافيا *

ويقولون : اهتضمت فلانا . وفلان يتهدم على فلان ، أي يتوشب عليه
بالظلم . (ويقال) *** لمن تسرع اليك : « ان حفرك إلى لمتهدم » (631) ،

- (624) رجل لاع : السوء الخلق الحريص .
(625) الضب : النسلان .
(626) انظر العبارة في اللسان مادة (طرف) .
(627) انظر المثل في الميداني 163/1 رقم المثل 852 واساس البلاغة 443/2 .
* قريب منه باب الاجتماع بالعداوة على الانسان - تهذيب الالفاظ ص 568 .
(628) زيادة يستقيم بها المعنى .
(629) المثل في : جبهة الامثال 29/2 ومصل المقال 388 والميداني 445/1
والمستقصى 93 والحيوان 220/1 وأمالى القالي 12/2 .
(630) تنهد الآية الكريمة : « ممن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا » 13 ك
سورة الجن 72 .
* البيتان للشاعر منظور بن مرثد بن مروة القعقي . انظر : معجم الشعراء
للرزياني ص 281 وروايتهما فيه :
... تصيب سهام الغي من كان رافيا .
* * * لعلها : وتقول .
(631) انظر : الميداني 65/1 رقم المثل 325 ونصه : ان جريك إلى الهدم .

و « ان حبلك الى لأنشوطة » (632) . ويقال : تباخس القوم ، أى تغابنوا .
ويقال : تحسبها حمتاء وهى باخس (633) . ويقولون : الظلم انكد غبه
مشؤوم ، والغشم : الظلم . و « الحرب غشوم » (634) تنال غير الجانى .
واغمض فلان على الظلم ، اذا مضى عليه . « وركب القوم ام جندب » (635)
اذا ركبوا الظلم .

باب الحيف والجور ' 636 '

المول : الميل فى الحكم الى الجور . وقد عال فى حكمه ، اذا جار . وحدل (637)
عليه ، اذا جار . ويقولون : حدل وما عدل . واشط فلان ، اذا جار فى
قضيته . وماط فى حكمه يميظ ، اذا جار . والصبنة : الميل ، تقول : لا تصبن
على مع عدوى ، أى لا تمل . وكل شئ عدلته عن جهته فقد صبنته . كالساقى
اذا صرف الكأس عن هو أحق بها .

باب استضعاف الرجل *

يقال : استضعفت فلانا . واحتقرته ، واستوضمته ، أى جعلته تحتى
كالوضم *** . ويقولون : « من عز بز » (638) و « اذا عز أخوك

- (632) انظر الميداني 65/1 رقم المثل 326 ونصه : ان حبلك الى انشوطة
(633) يضرب لمن يتباله وبه دهاء ، انظر المثل فى الميداني 123/1 رقم المثل 625
وانظر اللسان والاساس مادة (بخس) .
(634) انظر جبهة الامثال 358/1 والميداني 206/1 والمستقصى 125 واللسان
مادة (غشم) .
(635) انظر جبهة الامثال 47/1 وفيه : ام جندب : الغشم والظلم واسم من اسماء
الداهية ، يقال : وقموا فى ام جندب ، وركبوا ام جندب .
(636) انظر باب - الاجتماع بالعداوة على الانسان - تهذيب الالفاظ ص 568
وانظر باب اسماء الجور ص 299 - جواهر الالفاظ .
(637) حدل (بكسر الدال) : ظلم .
* مما هو قريب المعنى منه راجع باب استتلال الشئ واستمصاره - تهذيب
الالفاظ ص 599 وباب المنة والاحتقار فى الالفاظ الكتابية ص 110
** الوضم : خشبة الجزار التى يقطع عليها اللحم ، وكل ما وقيت به اللحم من
الارض من خشب او حصير . قال الشاعر :

احسبتنا لحما على وضم ام خلطنا فى البأس لا نجدى

- (638) انظر المثل فى : الصحاح 862/2 وامالي الشجري 187/2 : وجبهة الامثال
288/2 و 257/1 و 360 والفهي 53 والفاخر 89 والميداني 174/2
والمستقصى 314 واللسان والاساس مادة (بز) والمعايير 39/4 .

نهن « (639) ، أى اذا عاسرك فياسره . ويقال : تفرعت فلانا (640) . قال ابن الأعرابي : خلعت عذاره ، واستلبت عصاه ، وحللت فلادته ، اذا غلبه على أمر كان يعلو (641) به عليه . قال أبو زيد : يقال ما لى حاجة الا حاجة أنا عال بها . أى ظاهر عليها .

ويقال : عالنى فلان ، أى غلبنى . ويقال : فرس ساط ، لانه يسطو (642) على سائر الخيل . والفحل يسطو (642) على طروقتة (643) ، والتأبيس : القهر . قال اللحياني * : يقال : لن تأخذه أبدا بزة منى ، أى قسرا (644) . ويقال : فلان مشدخ (645) لقرنه ، أى قوى عليه . ومسدح (646) أيضا .

باب الذهاب بحق الانسان

يقال : ذهب بحقى ، وامن بحقى ، والمع بحقى .

باب الشر يكون بين اثنين

يقال : بينى وبينه شوك القتاد . وفلان بات بليلة الشوامت ، ويقال : آذانا فلان ، وبرح بنا . والشذا (647) والأذى بمعنى . ويقال : « أدب فلان علينا عقاربه » (648) .

باب المنع من الشيء والردع **

يقال : اعذبتك عن كذا . واعذب عنك من لاخير فيه . والوزع : الكف ونجعت الرجل بما كفه عنى . ويقال : النجى : أقبح الرد . والقدع : الكف

(639) راجع : جبهة الامثال 65/1 والضبي 60 والفاخر 64 ونصل المقال 195 والميداني 44/1 والمستقصى 53 واللسان مادة (مين) و البيان والتبيين 162/1 والكامل للمبرد 72/4 . ومعناه : اذا صعب اخوك فلن .

(640) فقتة او شتمته

(641) فى الاصل : يعلوا (بزيادة الف) .

(642) يسطو : فى الموضعين بزيادة الف .

(643) انظر اللسان مادة (سطا) .

* هكذا فى الاصل وفى الانتباه 255/2 : « اللحياني (بكسر اللام) (على بن هازم) ، لغوي أخذ من الكسائي وعاصر الفراء وأخذ منه القاسم بن سلام » انظر ترجمته فى بغية الوعاة 185/2 وتلخيص ابن مکتوم 136 وتهذيب اللغة للازهري ص 10 وطبقات الزبيدي 213 ومراتب النحويين 144 والمزهر 410/2 ومعجم الادباء 106/14 ونزهة الالباء 235 وطبقات ابن قاضي شهبه 144/2 .

(644) فى اللسان مادة بزز نسب القول للكسائي .

(645) شدخ : كسر .

(646) سدحه : صرعه او ذبحه وبسطه على الارض .

(647) فى الاصل : الشذى .

(648) انظر المثل فى جبهة الامثال 455/1 وروايته : (ادب من عقرب)

** راجع باب ردك الرجل من الشيء يريد - تهذيب الالفاظ ص 551 وباب الكف من الامر - الالفاظ الكتابية ص 127 .

يقال : ما عكك عنا ؟ أى ما حبسك ؟ وعجفت نفسى عن الطعام ،
أعجبها (649) . قال ابن الأعرابى : خير فلان عصر مصر (650) ، أى قليل
منقطع . وتقول : ورعته عن كذا وكذا ، أى كفتته .

باب تكليف الانسان ما لا يطيق

تقول : حملته على عتب كرية . قال ابن السكيت : ابطرته ذرعه ، أى
كلفته فوق طوقه .

باب القوة والشدة *

يقال : هو شديد ، اديد (651) ، مصع (652) ، صليب ، ذو أيد ، ولوث ،
أى قوة ؟ ويقال : ماله مجلود ، أى جلادة . والملاوثة : الممارسة . والأضبط :
الشديد ، وشددت على يده ، وقويته . وقد قوى على الشيء . وهذا
مقواة لى على كذا وكذا .

ورجل شديد الخلق : ممره . وامرأة مركنة : جيدة الخلق . قال بعضهم :
أصنام الرجال أقوىاءهم ؟ تال : ولا يستعمل الا فى العبيد . ويقال بالتاء :
استام . وفلان ملاحك الخلق (653) وهو جلد ، صنيع ، وكيع (654) ، وهو
صلب العود . فان كان خوارا قيل : لين العود . ورجل مزير ، أى قوى

باب الضخم والسمن

هو سمين ، نحيف (655) ، ناشز القصيرى (656) . وهو ذو جرز ، أى
ذو خلق عظيم . وهو مبدان شكور ، أى سريع السمن ، وهو رنان

-
- (649) اي اجبسا .
(650) المص : الحلب باطراف الاصابع .
(651) الاديد : الشديد القوي .
(652) المصع : الضرب بالسيف .
(653) اذا دخل بعضه فى بعض ، انظر المتايس 238/5 .
(654) الوكيع : الصلب المتين .
* راجع باب شدة الخلق والضخم فى تهذيب الالفاظ ص 129 وباب وصف بنية
الرجل فى الالفاظ الكتابية ص 284 .
(655) تقول : نحس : نحس : نحافة : كثر لحمه فهو نحيف ، ونحس نحوسا :
ذهب لحمه فهو نحيف . والكلمة من الاضداد .
(656) اسفل الاضلاع .

المعدين (657) ، وذلك اذا امتلا شحما ، فاذا ضربت معديه سمعت له رنيناً وضده ، الخفاق الحشا . وهو ذمم . ملكن . وامرأة متعاونة ، اذا كانت كثيرة اللحم معتدلة الخلق . والمبهر : الضخم . وفلان جيد الوسط ، جيد الحجة (658) . وقد احتجز (659) بعض لحمه الى بعض . وامرأة رداح : ضخمة المعجزة والمآكم (660) . ويقال : تحلم الصبى ، اذا أقبل شحمه كأنه خرس ، أى دن . والجبل : الجافى الغليظ .

باب الطول وحسن الخلق *

الشعوموم : الطويل الحسن . والمسلوجة من النساء : ذات الخلق الحسن ، وكذلك الخليفة . والمخلق : الحسن الخلق . والشطيب : الطويل الدقيق . فان كان طويلا منحنيا : فهو حاقف .

باب اللقاء وحالاته **

يقال : ما القاه الا الفينة بعد الفينة ، أى المرة بعد المرة . وما القاه الا عن عمر (661) ، أى بعد حين . وما القاه الا عدة الثريا القمر (662) ، أى الا مرة واحدة فى السنة ، لان القمر ينزل بالثريا مرة فى السنة . ولقيته ذات المويم (663) ، أى منذ ثلاثة أعوام . ولقيته بعيديات بين (664) أى لقيته بعد حين ثم أمسكت عنه ثم اتيته . ولقيته ذات صبحه (665) ، أى حين أصبحت . ولقيته ادنى عائنة (666) ، أى ادنى شىء تدركه العين . ولقيته

- (657) المعدان : الجنبان .
 * راجع باب الطول فى تهذيب الالفاظ من 239 وباب الحسن من 205 .
 ** راجع : باب اللقاء فى تريبه وابطائه : مختصر تهذيب الالفاظ من 360 .
 وانظر باب الوقت والحين فى الالفاظ الكتابية من 252 .
 (658) الحجة : مقعد الازار .
 (659) احتجز : اجتمع .
 (660) الماكمة : لكمة على راسى الورك ، قال الشاعر :
 وماكمة يضيق الباب منها وكشحا قد جنت به جنونا
 (661) المثل فى الميداني 272/2 رقم المثل 3814 وروايته : (ما نلتقي الا عن عمر) .
 أى بعد شهر أو شهرين ، والحين بعد الحين .
 (662) المثل فى الميداني 370/2 رقم المثل 4398 وروايته فيه : (وعده عدة الثريا بالقمر ، وانظر الأساس مادة (عدد) .
 (663) انظر المثل فى الميداني 182/2 رقم المثل 3270 ، وفى أساس البلاغة واللسان مادة (موم) .
 (664) انظر المثل فى الميداني 196/2 رقم المثل 3363 وفى أساس البلاغة واللسان مادة (بعد) .
 (665) انظر المثل فى اللسان مادة (صبح) .
 (666) انظر المثل فى الميداني 177/2 رقم المثل 3239 وأساس البلاغة واللسان مادة (حين) ورواية المثل فى الميداني : لقيته أول عائنة .

أول ذات يدين (667) أى ساعة غدوت . ولقيته حين وأرى رثى رثيا (668)،
 أى اختلط الظلام . ولقيته حين قلت : «أخوك أم الذئب» (669) ؟ . «ولقيته
 سكة عى» (670) أى فى أشد الهجرة حرا . ولقيته غشاشا (671)، أى على
 عجلة (672)، ولقيته أول عائنة، وادنى ظلم (673)، كل هذا أول شىء . ولقيته
 صخرة بحرة (674) ، إذا لم يكن بينك وبينه شىء . ولقيته قبل كل صبح
 ونفر (675) ، والصحيح : الصياح والنفر : التفرق . ولقيته بين سمع
 الأرض وبصرها (676) ، أى بارض خلاء ما بها أحد ؟ ولقيته التقاطا (677)
 إذا لم ترده فهجمت عليه . ولقيته نقابا (678) ، أى فجأة . قال ابن
 الاعرابى : مررت فى طريق فناقبنى فلان ، أى لقينى على غير اعتماد ولا
 ميعاد (679) .

باب الدأب

ما زال فلان ذاك دأبه ، وديده ، وهجيراه ، ودينه .

- (667) انظر المثل فى الميداني 178/2 رقم المثل 2247 وانظره فى اساس البلاغة
 واللسان مادة (يدي) .
 (668) فى الاصل (رثا) .
 (669) المثل لتأبط شرا ، انظر جمهرة الامثال 168/1 والميداني 50/1 ، ومعناه :
 اتاني حين اشتبهت الاشباح فى اول ظلمة الليل فلم يعرف شخص الرجل من
 شخص الذئب . انظر ايضا مختصر تهذيب الالفاظ ص 361 .
 (670) ورد فى الامثال : جاء سكة عى ، ومعناه جاء حين قام قائم الظهيرة ، ومعنى :
 رجل غزا قوما فى قائم الظهيرة ، فصكهم سكة شديدة فصار مثلا لكل من جاء
 فى ذلك الوقت ، لانه كان خالف العادة فى الغارة لان وقتها الغداة . انظر :
 جمهرة الامثال 318/1 واللسان مادة (صكك) والاساس مادة (عى)
 والميداني 182/2 رقم المثل 3268 وروايته فى الميداني مماثلة لرواية
 — المتخير — .
 (671) انظر اساس البلاغة واللسان مادة غشش .
 (672) انظر المثل فى الميداني 177/2 رقم المثل 3239 .
 (673) انظر المثل فى الميداني 206/2 رقم المثل 3458 ويريدون ادنى شبح . والمثل
 فى اساس البلاغة واللسان مادة (ظلم) .
 (674) انظر المثل فى الميداني 195/2 رقم المثل 3362 : أى خاليا ليس بيني وبينه
 حاجز . وانظره فى اساس البلاغة واللسان مادة (صحر) ونوادر أبسى
 مسجل 73/1 .
 (675) ومعناه : لقيته قبل طلوع الفجر . انظر المثل فى الميداني 182/2 رقم المثل
 3267 . وانظره فى اساس البلاغة واللسان مادة (صبح ، نفر) .
 (676) قال أبو حبيد : انه لقيه فى مكان خال . انظر الميداني 183/2 رقم المثل 3276 .
 (677) انظر نوادر أبي مسجل 73/1 والاساس مادة لقط 351/2 .
 (678) انظر المثل فى الميداني 198/2 رقم المثل 3381 واللسان مادة (نقب) مادة
 (لقط) وبه : وردناه التقاطا ونقابا : فجأة من غير أن نطلبه .
 (679) ورد هذا القول فى اللسان مادة (نقب) مع تقديم وتأخير .

باب الامر بفعل ما كان يفعله

يقال : خذ في هديتك ، أى فى أول أمرك . وارق على ظلمك (680) . كما تقول : ارفق بنفسك .

باب فى الجراحات والصرع والالوجاع *

يقال : جرحه جرحا ، وخذعه (681) بالسيف ، وخبل يده : أشلها . ويقال : أشمره سنانا ، اذا الزقة به . والاشعار (682) : ان تطمن البدنة (683) فى سنامها حتى يسيل دما . وطعنه فاخذه بالرمح . وطعنه فجوره (684) وكوره (685) ، أى صرعه . وطعنه فسلفة ، أى القاه على ظهره . وقطره : القاه (686) على أحد شقيه . ونكته على رأسه : القاه . وهو قريح ، جريح ، كلیم . وقد أتت آتية الجرح ، أى مدته . وغفر الجرح ، اذا انتقض ونكس . وضيرى (687) العرق بالدم : اهتز . ونمر الجرح بالدم ، اذا ارتفع دمه . وبه آثار من الضرب ، وحبارات ، ونسدوب . واحدها ندب .

باب المرض '688'

يقال : هو مريض ، وجع ، شاك ، وصب (689) . والموصم : الذى يجد وجعا وتكسرا فى عظامه . والدوى : الهالك مرضا . وما بقى من المريض الا شفا (690) . ويقال : ان كان كاذبا فسحفه الله . قال الفراء : السحاف : السلس . ومرض فلان ثم أبل . وأفرق (691) . وبه عداد مرض ، وذلك ان

- (680) فى الاصل : ضلمك (بالضاد)
* راجع باب - الجراحات والقروح - ص 64 - مختصر تهذيب الالفاظ .
(681) خذع اللحم : حزره وقطعه من غير بينونة .
(682) الاشعار : الصاتك الشيء بالشيء . انظر مختصر تهذيب الالفاظ ص 64 .
(683) والاشعار : الادماء بطمن أو رمي أو وجه بحديدة .
(684) الاضحية من الابل والبقرة تهدى الى مكة المكرمة .
(685) جوره : صرعه .
(686) كوره : القاه مكورا مجتمعا .
(687) زيادة يستقيم بها المعنى .
(688) فى الاصل : ضيرى : بكسر الراء ، والصواب ما اثبتناه . وضرى (بالفتح) سأل . وضرا العرق : بدا منه الدم لا يكاد ينقطع .
(689) راجع (باب المرض) فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 67 وباب الحمى ص 74 .
(690) وفى تهذيب الالفاظ 109 و 119 وفى الالفاظ الكتابية باب الامراض والعلل ص 172 وباب الحميات واجناسها ص 173 . وباب المرض والملة ص 300 من جواهر الالفاظ .
(689) وجع ، شاك ، وصب : كلها بمعنى مريض .
(690) أى غير قليل .
(691) يكون الامراق من مرض لا يصيب الانسان غير مرة واحدة .

يدعه زمانا ثم يعاوده . والرّس : مس الحمى . والرحضاء : العرق . والورد :
يوم الحمى . قال ابن الأعرابي ، يقال : برئت إليك من كل داء تداؤه (692)
الأبل .

باب الرمي *

يقال : رأست الصيد : أصبت رأسه . وكليته : أصبت كليته . وكذلك في
سائر الاعضاء . وهو ميدي ، ومرجول ، اذا أصبت يده ، ورجله . ويقال :
أقعصه ، اذا أجهز عليه . وأصردت السهم من الرمية ، اذا انفذته منها .
وصرد السهم وهو يصرد . ورميته فاشويته ، وذلك اذا تعدى المقاتل .
ويقال : رمى فأنمى ، اذا تحامل الصيد فغاب ، وأصمى : قتله مكانه ، ورمى
فاخطف : أى أخطأ .

باب الكسر '693'

يقال : حطمت الشيء ، وثمته (694) . ويقال : ضربته فوقرت (695)
العظم ، وذلك اذا صدعت العظم .

باب الطبيعة '696'

هى السجينة والسجية . ويقال : هو على آسان من أبيه ، أى على
طرائق . وهذا أمر طبعه الله عليه ، وطواه عليه . وقال :

فما حب أم العمر الاسجية عليها طواني الله يوم طوانسى
طوانى على حب لها ونصيحة أجل وأنوف الكاشحين عوان (697)

- (692) فى الاصلين : تداووه .
* راجع (باب الرمي) فى مختصر تهذيب الالفاظ من 76 — 78 وفى الالفاظ
الكتابية باب الطمن والتصريح من 182 .
(693) راجع باب الكسر فى تهذيب الالفاظ من 126 وفى الالفاظ الكتابية من 291 .
(694) فى الاصلين : وثمته (بالتاء) وهو تصحيف . ووشم الشيء : كسره ودقه .
(695) فى الاصلين : فوقدت (بالدال) وهو تحريف . وفقر العظم : صدعه
(696) رجع : باب الطبيعة والسجية — مختصر تهذيب الالفاظ من 98 وفى الالفاظ
الكتابية باب كرم الطباع من 162 وباب سلك ملان فى طريقة ملان من 5 .
(697) البيتان لابن الدمينه فى ديوانه — تحقيق احمد راتب النفاخ من 30 وروايتهما
فيه :

وما حب أم العمر الاسجية عليها برانى الله ثم طوانسى
طوانى على حب لها وسجية أجل وأنوف الكاشحين عوانسى =

ويقال : تخيل إياه ، وتصيره . ويقال : ما ترك من أبيه مغداة ولا
مراحة ، يعنى من الشبه .

باب الفكاه وحدة الفؤاد '698'

يقال : هذا حديد الفؤاد ، شهم الفؤاد . والاصمغان : القلب والفكى
والرأى الحازم . وانه لحول قلب ، أى ذو حيلة وتصرف ويقال : هو نقاب
المعى (699) . ورجل حى النفس ، رواع (700) .

باب الشجاعة '701'

يقال : هو شجاع ، نهيك ، رابط الجأش ، احوس ، بطيء البراح ،
مغوار ، باسل ، مشيع . وانه لمسح بالسيف (702) ، هصور ، شديد الغمر ،
زميع (703) ، ماض ، ثبت الغدر (704) حرب ضرب (705) ، أى شديد

= ورد الاول فى مخطوطة مسالك الابصار منسوبا لابن الدمينه وروايته فيه :

وما حب ام الغمر الاسجية عليها طواني الله يوم طواني

وفى (النوادر والتعليقات) للهجري ورد البيتان وقد نسبهما للمخبل القيسي
(كمب) وروايتهما فيه :

وما حب ام الغمر الاسجية براني عليها الله حين براني
طواني على بذل لها ومودة أجل وانوف الكاشحين عواني

- وابن الدمينه هو عبد الله بن عبيد الله الخثمي (ت نحو 130 هـ)
وانظر ترجمته فى صدر ديوانه وفى المراجع التالية :
معاهد التنصيص 160/1 ونسب اللالى 136 و 264 والمرزبانى 402 وشرح
الشواهد 145 والافغانى 144/15 والشعر والشعراء 617/2 ودائرة
المعارف الاسلامية 161/1 وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى 1223
ومعجم المطبوعات 104 والتبريزي 131/3 و 145 وبروكلمان : س : 1 : 80
والاعلام 237/4 .
(698) انظر باب حدة الفؤاد والفكاه - مختصر تهذيب الالفاظ ص 99 - 102 .
وراجع فى الالفاظ الكتابية باب سداد الراي ص 227 وثبات الجنان ص 23
وباب الحصانة واللعنة وصلابة الراي ص 335 - جواهر الالفاظ .
(699) فى الاصلين : نقاب (يفتح النون) ، والصواب ما اثبتناه ومعناه : الرجل
العلامة .
(700) رواع : شهم فكسى .
(701) راجع باب الشجاعة فى مختصر تهذيب الالفاظ ص 102 - 107 والالفاظ
الكتابية ص 62 .
(702) أى مجالده .
(703) هو من اذا ازمع أمرا لم يردده شيء .
(704) ثبت الغدر : أى الثابت فى الارض الرخوة ومواقع الزلل ومواقع القتال .
(705) فى تهذيب الالفاظ لابن السكيت : حرب ضرب (يشكين الرائيين) .

المحاربة والضرب ، عبقرى يمنح حوزته ، ووصفت امرأة زوجها وقالت :
 جمل ظمينة ، وليث عريئة ، وظل صخر ، وجواب بحر . وانشد ابن
 الاعرابي .

لقد ابقت الايام منى مكما صفا بصرة (706) ترمى ولا تتزلزل

باب الشرب '707'

المب : الشرب من غير مص . والتغمر : الشرب قليلا قليلا . وشرب فما
 بقيت في جوفه هزمة (708) لا امتلات . وشرب غشاش : قليل . وتشافت
 الاناء : شربت شفاقة ، وهي البقية تبقى منه . ويقولون : « ليس الرى
 عن التشاف » (709) وتصابت الاناء ، اذا شربت صبابته ، وهي مثل
 الشفاقة : ويقال : اشرب وانتشع ، أى أرو . ويقال : نشح : امتلا . ونصح
 روى . ونصح : شرب دون الرى . ورجل صبحان غبقان ، من الصبوح
 والغبوق

باب في ذكر الشمس '710'

هى الشمس ، والغزالة ، وذكاء . وتقول العرب : اضاءت (711) ذكاء
 وانتشر (712) الرعاء . وهى المهاة . والمهاة : البلورة . وهى الجونسة ،
 والبيضاء ، والضح ومن قولهم : قامت الشمس كمين الاقبل (713) . ويقال
 بزغت الشمس ، وذرت ، وشرقت . فاذا علت قيل : اشرقت . وتقول :
 استوى حاجب الشمس ، وترفع .

- (706) فى الاصل : بصرة (بكسر الباء) والصواب ما اثبتناه . والبصرة : الارض
 الخليجية ، والصفا : جمع صفاة ، الحجر الصلد الفخيم .
 (707) راجع باب الماء وشربه فى كتاب تهذيب الالفاظ ص 674 .
 (708) مزوم الجوف : مواضع الطعام والشراب .
 (709) انظر المثل فى جبهة الأمثال 190/2 والمبدائي 292/2 والمستعصي 295
 واللسان والاساس مادة (شلف) ، ويفسر مثلا للقناعة ببعض الحاجة .
 (710) راجع باب صفة الشمس واسماؤها ص 231 وباب طلوع الشمس ومغيبها
 ص 233 من كتاب مختصر تهذيب الالفاظ لابن السكيت وباب طلوع
 الشمس ص 285 الالفاظ الكتابية .
 (711) فى الاصل : اضاءت .
 (712) فى ع : واستنشر .
 (713) الاقبل : من كان فى مينيه قبل ، والقبل فى المينين : اقبال نظر كل من المينين
 على الاخرى ، ورجل اقبل : كانه ينظر الى طرف انفه .

باب شدة الحر '714'

وغرة القيظ : اشد الحر . وقد أوغرنا : دخلنا في الحر الشديد . ونحن في وقدة القيظ . واصابتنا وقعات . وهذا يوم ذو أوار ووديقة (715) . قال ابن السكيت (716) : سمعت الكلابي يقول : أتيت في حمراء الظهيرة . وضحيته للشمس ، اذا برزت لها (717) .

باب تغير الانسان لما يصيبه من الحر وغيره '718'

صهرته الشمس ، وصقرته (719) ، واصابه سفع من سموم . ويقال : كافحته السموم مكافحة ، وكفاحا ، اذا قابلت وجهه .

باب في الظل والفيء

الظل : ما تنسخه الشمس ، وهو بالغداة . والفيء : ما نسخ الشمس ، وهو بالعشي (720) . والتبع : الظل . وظل دوم أى واسع . وظل وأرف (721) ، وقلص الظل : رجع الى مستقره نصف النهار . ويقال : عقل الظل ، اذا استوى على رأسك نصف النهار .

باب في الفجر والنهار *

وهو الابلق ، والاشقر ، والورد ، والصديع : الفجر . أول ما يبدأ منه .

- (714) راجع باب صفة الحر في مختصر تهذيب الالفاظ من 228 — 230 وشدة الحر جواهر الالفاظ من 370 .
 (715) الوديقة : الحر الشديد .
 (716) انظر مختصر تهذيب الالفاظ من 230 .
 (717) انظر مختصر تهذيب الالفاظ 231 .
 (718) انظر من 229 و 230 من مختصر تهذيب الالفاظ .
 (719) الصقرة : شدة وقع الشمس .
 (720) الظل ما كان أول النهار الى الزوال . والفيء : ما كان بعد الزوال الى الليل . فالظل غربي وتنسخه الشمس ، والفيء شرقي ينسخ الشمس . قال حميد بن ثور الهالي :
 فلا الظل منها بالفحى تستطيعه ولا الفيء منها بالعشي تذوق
 انظر ديوانه من 40 — تحقيق عبد العزيز الميني .
 (721) في النسختين : وارق ، وهو تصحيف .
 * راجع باب صفة النهار واسماؤه من 422 — تهذيب الالفاظ وباب طلوع النهار من 284 — الالفاظ الكتابية وباب ساعات النهار من 287 الالفاظ الكتابية .
 (722) انظر المثل في الميداني 385/1 رقم المثل 2045 وفي أساس البلاغة 198/2 مادة (غرق)

هو الفرق . وهو « ابن من فرق الصبح ، وقلقه » (722) . ويقال : نشق
الصبح عن ريحانه . وانشق عن تباشيره ، وانبلج . وهذا وضع الفجر ،
وقد أثار واسفر . وسراه النهار وضوحه . ويقال : قد قام قرن الضحى ،
أى أوله . وتلك غزالة الضحى ، ورونتها ، وميعتها . وجاء في ريق
الضحى (723) ، ورفيقة الضحى ، وأديم الضحى . ويقال : آتيك شد
الضحى ، وشد النهار . وآتيك في شباب النهار ، وحده ، وذلك صدره .
ويقال : لا افعله ما وضع النهار . انشدنى أبى (724) :

تالله لولا صببة صغار
كانها أوجههم أعمار
تجمعهم من العتيك (725) دار
مخافة يمسهم اقتار
أو رحم يقطعهم وجار
أو لاظم ليس له سوار
وبالجناح ينهض الأطيار
وقد يعين الشرف اليسار
لما رآنى مالك جبار
ببابه ما وضع النهار

ويقال ، إذا ارتفع النهار : قد ترجل ، ومتع ، وتلج . فإذا اشتد الحر
قيل : اظهر النهار . وذلك حم الظهيرة . وقد صام النهار ، وهى الغائرة
حينئذ . ومن الفاظ الشعراء : نهار أزهى .

* باب زوال الشمس وبعد ذلك *

يقال : زالت الشمس ، وزاغت ، ودحضت . فإذا صليت العصر فذاك

- (723) ريق الضحى : أوله .
(724) وردت الأرجوزة فى كتاب مبادئ اللغة للإسكاني من 26 وروايتها فيه : ورد
فى باب من أسماء العجارة : والفهر ما يملأ الكف ويسحق به المطر . قال
بعض العرب فى الفهر :

والله لولا صببة صغار	وجوههم كأنها أعمار
يجمعهم من العتيك دار	درادق ليس لهم دثار
بالليل إلا أن تشب نار	رموسهم كأنها أمهار
لما رآنى مالك جبار	ببابه ما طلع النهار

- (725) العتيك : الأحمر من القدم .
* راجع باب غروب الشمس من 286 — الألفاظ الكتابية

الاصيل ، وقصر العشى ، وآتيك مقصرا . فاذا كان بعد ذلك قلت : جنح
الاصيل . فاذا اصفرت الشمس قلت : لقيته في الصفراء . ويقال : غابت
الشمس الا شفا أى قليل (726) .

باب في القمر **

ما لم يستدر فهو هلال ، فاذا استدار فهو قمر . ويقال حينئذ : استدار
وحجر . واذا استوى ليلة ثلاث عشرة فهي ليلة السواء . وبعدها ليلة البدر .
وافتح القمر ، اذا اصاب فرجة من السحاب فخرج . ويقال : أصبحنا مطلقين ،
وبقنا مطلقين ، أى في ليل ونهار ليس فيه حر ولا قتر . واتساق القمر
استواؤه . وهو القمر ، والزبرقان . وقد ادنف القمر للغيوب .

باب الظلمة '727'

هي الظلمة ، والغيب . وليلة ليلاء ، ويوم أيوم . والسمر : الظلمة .
ويقال : جن الليل ، ودجا . وأتانا في جلب الليل ، أى سواده . ويقال :
ظلماء داجية ، وليلة خدارية . ومن الفاظ الشعراء : دجا الليل (728) ،
وانساب الظلام ، واغدف (729) .

باب في الشتاء والبرد '730'

يقال : أشتى القوم : دخلوا في الشتاء . وقد جمد الماء ، وجمس ،
وهرئت العبيد تحت المدر (731) . ويقال : هراة البرد قتله . ويوم احص
أغيير ، وهو ان تبدو الشمس ولا تنفع من البرد . ويقال : افرش القصر :
أقلع

-
- (726) كتب في هامش الاصل ما نمسه : بلغ عرضا بأصله .
** راجع باب أسماء القمر وصفته ص 394 — تهذيب الالفاظ .
(727) راجع باب صفة الليل ص 242 من مختصر تهذيب الالفاظ وباب الظلمة
ص 288 الالفاظ الكتابية .
(728) ورد في الصحاح مادة (دجا) 2334/6 ما نمسه : قال الاصمعي : دجا الليل
انما هو البس كل شيء ، وليس هو من الظلمة ، قال : ومنه تولهم : وجا
الاسلام ، أي قوى والبس كل شيء .
(729) في النسختين : واغدن ، (بالنون) وهو تحريف ، واغدف الليل : ارخى
سدوله .
(730) راجع باب البرد والزمهرير ص 260 — الالفاظ الكتابية .
(731) الطين المتناسك اليابس

باب متخير الفاظهم في الحر *

يقال : حر يومنا ، وقاظ . وهذا يوم ومد (732) . وهذه هاجرة هجوم ، تهجم العرق : تخرجه . وهجم فلان ما في ضرع ناقته (733) . ويوم هجان (734) وقدان . ويقال : أيام معتدلات : طيبات ، ومعتدلات بالذال معجمة شديداً الحر .

باب الليل والنهار **

الملوان : الليل والنهار ، والجديدان والاجدان والفتيان ، ولا أفعل ذلك ما اختلف ابنا سمير . ويقال : تمليته حيناً ، أى عايشته . ولا أفعل ذلك عوض العائضين (735) . ولا أفعله آخر المسند (736) ويد الدهر ، أى آخره . ولا أفعله ابداً الا بيد ، وابد الآباد . ويقال : أتى عليه الدهر ، وطالت به الطيل والأزلم الجذع : الدهر . واختلف عليه الردفان : الليل والنهار .

باب السماء والسحاب وغير ذلك

هى السماء والخضراء والخلقاء . وأم النجوم : المجرة . والنشء (737) أول ما ينشأ السحاب . ويقال : خرج له خروج حسن . والصبير (738) : السحاب الابيض . والقزع : القطع منه المتفرقة . والعنان : السحاب المعترض . وقد هاج السحاب : اذا خرج من العين ، واذا اغبط ايما (739) يقال : لك . ونحن منذ أيام تحت عين . والطوارق : السحاب يطرقن ليلاً . والجهم : الذى هراق ماءه . ويقال : لمن جاء بالخبيثة : جاء بجهم قد هراق ماءه . ويقال : أرشمت السماء ، اذا بدا منها برق . وتبسم البسرق ، وانكل (740) . وضحك السحاب : اذا برق . وبكى : اذا رعد . وتوالى السحاب : اعجازه .

-
- * راجع باب القبط والحر — الالفاظ الكتابية ص 259 وباب صفة الحر في تهذيب الالفاظ ص 383 .
(732) الود : شدة الحر مع سكون الريح .
(733) أى حلب كل ما به .
(734) لعلها : وهجان .
** راجع باب الازمنة والدهور من مختصر تهذيب الالفاظ ص 300 وتهذيب الالفاظ ص 500 وباب بمعنى لا أفعل ذلك ابداً — الالفاظ الكتابية ص 189 .
(735) مرض العائضين : أى دهر الداهرين .
(736) المسند : الدهر .
(737) فى الاصل : النشأ .
(738) فى الاصل : العبير . وهو تعريف .
(739) أى ثبت مكانه لا يقلع .
(740) لمع لمعاناً خفيفاً .

باب المطر *

أول المطر : الوسمى لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى : هو الذى يليه .
والجدا : العام . واستهلت السماء ، اذا ارتفع صوت وقعها . و (التقي
الثرعان) (741) : يريد ندى المطر القديم وندى الحديث . ويقال : أصابنا
جار الضبع ، وهو الذى ليس فوقه شئ (742) . وغيثت الأرض فهي
مغيثة ، وقد غثنا . قال ذو الرمة : « ما رأيت أفصح من أمة بنى فلان ، قلت
لها : كيف كان المطر قبلكم (743) ؟ قالت : غثنا ما شئنا » (744) . وسيل
أرتى : جاءنا من سوى أرضنا . وأتانا مطر فجال : لم يدع شيئا الا جل
عليه . ودهنت (745) السماء الأرض ، اذا بلتها . وقد نصرت أرض بنى
فلان ، أى مطرت .

باب الريح **

يقال : سرب الريح ، اذا هبت بليل . قال :

الا حبذا الارواح من قبل الحمى ويا حبذا بعد المنام انتيابها
جنوب سرت من ساكن الهضب بعدمها
مضى الليل واعتز النجوم انصيابها
اتتنا برىا من خزامى وحنوة (746)
بميشاء (747) لم تحل خصب جنبها

-
- * راجع باب مطر ص 443 - جواهر الالفاظ .
(741) يضرب مثلا في سرعة تواد الرجلين ، او سرعة الاتفاق بين الرجلين والامرين .
انظر المثل في الميداني 184/2 رقم المثل 3278 والاساس 92/1 .
(742) رواية المثل في الميداني 394/1 رقم المثل 2091 : « أصابنا وجار الضبع » .
وهو مثل تقوله العرب منذ اشتداد المطر ، يعنون مطرا يستخرج الضبع من
وجارها .
(743) في متن الاصل : عندكم . وكتب فوقها لفظة : تبلكم ، واظنها تصويبا لها ، او
رواية أخرى .
(744) انظر هذا القول في : المتايس 403/4 ، والبيان والتبيين 71/2 ومخسر
السودان على البيضان (رسائل الجاحظ) 178/1 و المخصص 120/9
والمزهر 153/1 والاصلاح 255 ومجالس نعلب 288/1 واللسان 480/2
وصفة السحاب والغيث لابن دريد - طبعة ليدن ص 39 .
(745) دهنت بالتشديد هكذا في الاصل والذى في المعاجم بدون تشديد .
** راجع باب الرياح وهبوبها - الالفاظ الكتابية ص 274 .
(746) الحنوة : الريحانة .
(747) ميشاء : الأرض اللينة السهلة من غير رمل .

ومن الفاظ الشعراء في الريح : هوجاء ليس للبحا زبر (748) . ويقولون :
ريح تلتهم الجبال ، وريح زفوف التوالى (749) ، رحبة المنتسم . وريح
هيك نياف (750)

باب الفاظ مفردة مستحسنة

في الحديث : « اللهم أشدد وطأتك على مضر » * أى ضيق عليهم . قال
الخليل : مدته في وجهه ، ومدحته اذا كان غائبا . ويقال : وركت الشمس
زالت . ويقال : لا يحل لامرئ ان يؤمر مفاء على مفى ، قال معناه لا يحل
مولى على عربى ، لان المولى مفى للعرب (751) . ويقال : أصابه في ارباع
جبينه ، أى نواحيه . ولا يقال نجم الا للثريا ، ولا كوكبة الا للزهرة (752) .
ويقال : خذ حقتك مسمطا ، أى مرسلا جائزا . ويقال : سمط غريمه أى
أرسله . ويقال : بهم حار الخطاء (753) ، أى نزل بهم ان يتحيروا . (وهو
نسيج وحده) (754) أى ولد وحده ، ولم يكن توأمًا فيكون فيه ضعف .
وفلان يحدث الاباجير ، أى الاباطيل . وهذا شيء أطول به ، أى اتطول
واتفضل . ويقال : غالق على فرسه ، أى راهن عليه . ويقال : أفرع فراعيه ،

(748) اي ليس لها عقل ينهاها . وهو مجز بيت لابن احمر نمه :

ولمت عليها كل معمورة
هوجاء ليس للبحا زبر

انظر البيت في اعداد الأنبارى ص 296 والكتاب 272/2 والاساس 392/1
وروايته فيه : ولمت عليه كل معمورة واللسان 403/5 ورأيت كرواية
الاساس .

(749) جاء في اللسان 36/11 عن التهذيب : الريح تزف زفوما وهو هبوب ليس
بالشديد ولكنه في ذلك ماض .

(750) الهباب : ريح حارة تهب من اليمن وقيل باردة ، والنياب : المرتفعة .
* جزء من حديث متفق عليه ، رواه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الوتر —

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم » ، وتنبه : واجملها عليهم سنين كسنى
يوسف 33/2 . ورواه مسلم في باب استعجاب القنوت في جميع الصلاة 467/1
وفي النهاية في غريب الحديث والاثار 200/5 ونصه : اللهم أشدد وطأتك على
مضر وفي الجمان في تشبيهات القرآن ص 347 : اللهم أشدد وطأتك عليهم
واجملها سنين كسنى يوسف وانظر اللسان مادة (وطأ) 192/1 .

(751) جاء في الحديث الشريف (لا يلين مفاء على مفى) ورد في (النهاية) 483/3 ،
المفاء الذي انتحنت بلدته وكورته فصارت غيما للمسلمين .

(752) جاء في اللسان 216/2 مادة كوكب : « سمعت غير واحد يقول للزهرة من
بين النجوم الكوكبة يؤنثونها وسائر الكواكب تذكر » .

(753) الخطاء : هو الخطأ .

(754) اي ليس له ثان . كانه ثوب نسج على حدته ليس معه غير . ويضرب مثلا لمن
بولغ في مدحه . انظر : الفاخر ص 40 رقم المثل 84 ، واللسان 200/3 مادة
(نسج) والاساس مادة نسج .

أى اخرجهما من أسفل ثيابه . ويقال : تدبرت الرجل اذا نظرت اليه من خلفه وهو يمشى أو هو قاعد . ويقال : لو لقيتني وأنا على دين غير هذا ، أى حال غيرها (755) . ويقال : رجل بشع لا تأخذه العين . ويقال : احمق ، بلخ . يبلغ على الناس : يتكبر . ويقال : أمر معهود اذا كان أمس . وأمر موعود ، أى يكون غدا (756) . ويقال : بينهم ذمة ، أى ألفة . ورجل ميل : ذو مال . وفى الحديث : (الدموع خفر العيون *) ، الخفر : جمع خفرة وهى الامان . يقول : هى امان لها من النار . ويقال : كذب ، ودجل . ومشر أهله ، أى كساهم وأعطاهم . ويقال : تكلم الكرع ، أى السفلة . ويقال : شر المال القلعة (757) أى الذى يتحول عنه . وفى الحديث : « ما رؤى ضاحكا متشطيا » (758) ، أى ضاحكا شديدا . ويقال : استشاط الحمام ، أى طار . وهو نشيط . وفى الحديث « اعفوا الصيام » (759) ، أى لا تمسوا النساء ، وكونوا عنهن اعفاء . ويقال : هلالنا قمر ، أى هو كبير مضى . ويقال : لا يقبل الله عز وجل من الدعاء الا النخيلة ، أى ما يتنخل ويختار (760) . ويقال : ما أكلت اليوم الا علقه من طعام ، أى شيئا قليلا . ويقال : فتنة ناقة ، أى تنقر البطون : تشقها . ويقال : هو كالجمال الرдах لا غدو ولا رواح . الرдах : الثقيل . ويقال : نام نومة رداحا . ويقال : لك ذلك على غبيراء ظهره ، أى هو لازم له ، وذلك اذا طلب الرجل الى رجل حاجة (761) . ويقال : تخلع فى الشراب اذا شرب الليل والنهار . ويقال : مجنون ، محنون (762) ، الحن : ضعفاء الجن . ويقال : نظر فلان نشفت عينه ، اذا رأى الشخص شخصين . ويقال : ما عليه وراء ، أى ليس عليه شىء يواريه . وفلان خير من فلان بالمثلين أى هو خير منه مرتين . ويقال : أضل الدليل الطريق ثم انتعش ، أى أخذ بعد ذلك الطريق . ويقال : هو يتتفر العلم ، أى يطلبه (763) . وهو

- 755 جاء فى اللسان 28/71 مادة (دين) : قال النضر بن شميل سألت اعرابيا من شىء فقال : لو لقيتني على دين غير هذه لاخبرتك .
756 ورد فى التهذيب 137/1 مادة (عهد) : « وقال النضر بن شميل : قال الخليل بن أحمد : فعل له معهود ومشهود وليس له موعود . قال : مشهود هو الساعة ، والمعهود ما كان من أمس ، والموعود ما يكون غدا » .
* أورده ابن الاثير فى النهاية 306/1 .
757 فى الأصل بفتح القاف ، والقلعة : العارية ، ولا تدوم فى يد مستميرها بل تنقلع الى مالكها . وفى الحديث الشريف (بنس المال القلعة) : انظر النهاية 102/4
758 نص الحديث فى النهاية 519/2 : ما رؤى ضاحكا مستشطيا .
759 لم أقف له على تخريج بهذا اللفظ .
760 فى الحديث الشريف : لا يقبل الله من الدعاء الا الناخلة . النهاية 33/5 .
761 راجع اللسان والاساس مادة (غير) .
762 المحنون : الذى يصرع ويفيق زمانا .
763 فى الحديث الشريف : النهاية 210/3 : قبلنا ناس يتتفرون العلم .

جميل دوائر الوجه ، أى نواحيه . ويقال : حاجة حائجة أى مهمة . ويقال : ولدت بالمدينة ، وبها اتلدت ، وأتلدت ، أى وبها ولد لى الولد والمبيد والاماء . ويقال : قضاه حقه بعد الحى واللى ، أى بعد ما حواه أى ضمه ولواه أى مطله . ويقال : بياك الله أى رفئك (764) وببيت البناء : رفعت . ويقال : رجل ذو فوق أى هو صحيح العمل . والسهم ما دام ذا فوق فهو صحيح ، فإذا ذهب فوقه ذهب ، ويقال : (765) تركت الامر شأوا مغربا أى بعيدا . ويقال : أصابت الارض خطرات من مطر أى فى مواضع متفرقة . ويقال : تغنى فلان بفلان أى هجاه . ويقال : هو مهذب العود قدور للقذى . ويقال : أرض حبرة أى مخضرة . ويقال : احاط القوم بالقوم ثلاثة أطواق ، أى ثلاثة صفوف . ومتى انت منا ، أى متى تاتينا . وتقول : استضحيت استضحاء ، أى جلست فى الضح ، وهى الشمس . ويقال : قد عسكر الليل (766) أى سد المناظر . ويقال : هو اخلق من المال ، أى ليس له مال . ويقال : كان ذاك حين غارت عينه ، أى نامت . ويقال : رزق فلان الكفيت ، أى يكنت اليه من الرزق ما يريد . يكنت : يضم . ويقال : شعبت بين الناس أى فرقت جمعهم . ويقال : لا يوقى من لا يتوقى . ويقال : مثل الماء أعز منقود وأهون موجود . وفلان من أذرع الناس خطوا ، أى أسرعهم ، وفلان كريم السن أى الاصل ، ويقال : تمرس الرجل فى امانته أى أخفها (767) . ومن الالفاظ السهلة قولهم : فلان حسن التوصل ، لطيف التوصل ، ويقال : فلان كميم عن الحجة (768) ، اذا كان لا يقوم لحجة نفسه ومن الفاظ الشعراء : هذا يوم منسدل السحابة ماطر . وهذا امر لا يحصى ولا يقصى أى لا يبلغ أقصاه . ويقال : ذهب القوم تحت كل كوكب . وذهبوا عباديد (769) وايدى سبا . وذهبوا أخول أخول (770) وفى وفلان عن اموال الناس مسكة أى امساك . وشعروحف (771) ، غداف اللون ، غريب (772) . تقول لليوم الذى يقصره السرور : كوم كابهام القطاة ،

- (764) من معاني بياك : تصدك بالتحية ، وتريك واضحك وبواك منزلا . راجع (الفاخر) ص 2 .
(765) اللوق فى السهم : موضع الوتر منه .
(766) أى أظلم ، وعسكر الليل : ظلمته .
(767) قدر ونقض العهد .
(768) كم الوماء : شد راسه ، وكعم البعير : شد فيه ، وكعم الخوف فلانا : دفعه فلا يرجع .
(769) المباديد : الخيل المتفرقة فى ذهابها وإيابها .
(770) أى واحدا بعد واحد .
(771) أى كثيف .
(772) الاسود العالك .

ويوم كابهام الحباري (773) ويوم كسافة الذباب . ويقولون في قصر الليل:
لم يكن غير شفق وفجر . واختلج الهم في الصدر واعتلج . ويقولون :
زفرات يألمن قلب الجليد . (774) . ويقولون : مات حقدى بحياة عذرك
ويقولون : لا تجرني مرارة امتنان الشافعين . ويقولون في الخمر :
تخالس العقل وتسرع في الوفر . ويقولون : قضمت الخمر ما له . ويقولون :
لا أفعله ما حسن الصبا بالشباب . ويقولون : ليس لحديث الموموق (775)
ثم . ويقولون : نظر غرب عائر ليس بقاصد . قال : وانشد الفرزدق قول
سالم بن دارة :

امن نظر غرب بكيت صباصة وقد تمرح العينان للنظر الغرب (776)

قال : قاتله الله ، ما امرح المينين احد قبله . ويقولون : عصى الدمع (777)
امر الصبر . ويقول الشاكي : فلان عذاب رعب على به الدهر (778) وهذا
امر اضحى من الشمس . ويقولون : فلان اذا سأل الحف ، وا (ذا) (779)
سئل سوف (780) ، واذا حدث حلف ، واذا وعد أخلف . ويقولون : هو
ينظر نظر حسود ، ويعرض اعراض حقود . وما يبالي فلان على أى

(773) ورد في مجمع الامثال للميداني 128/2 رقم المثل 2970 : اتصر من ابهام
الضب ومن ابهام الحباري ومن ابهام القطاة وانظر المعاني الكبير 651/2
والمستقصى 283/1 رقم المثل 1197 و 1199 .

(774) مجز بيت لبشار بن برد وصدره : عندها الصبر من لقائي وعندني انظر
ديوانه 272/2 . ورواية المجز في الاغانى 187/3 : زفرات ياكلن قلب
الحديد . وانظر ترجمة بشار بن برد (ت 167 هـ) في وفيات الاعيان 88/1
ومعاهد التنصيص 289/1 وتاريخ بغداد 112/7 والشعر والشعراء 643
وامالي المرتضى 96/1 وخزانة البغدادي 541/1 والاغانى (طبعة دار
الكتب) 135/3 و 242/6 والكمال للبرد 134/2 ونكت الهميان 125
والبيان والتبيين 49/1 والاعلام 24/2 والفهرست 159/1 وطبقات ابن المعتز
2 - 5 والنجوم الزاهرة 53/2 والموشح 246 وابو النداء 11/2 ولسان
الميزان 15/2 ومجمع المؤلفين 44/3 .

(775) الموموق : المحبوب .

(776) البيت لسالم بن دارة الغطفاني ، شاعر مخضرم (ت نحو 30 هـ) ، انظر
ترجمته في : الشعر والشعراء 315/1 والخزانة 289/1 و 557 والاغانى
254/21 والاصابة 161/3 والموظف 166 وتصل المثل 22 والميداني
154/2 والعسكري 217/2 والسيوطي 688 و 862 وشرح التبريزي
205/1 والاعلام 116/3 .

(777) في النسختين : الدمع (بفتح الميم)

(778) يضرب مثلاً لمن استقبله الدهر بشر شديد ، وروايته في الميداني : 34/2
رقم المثل 2542 : مذاب رعب به الدهر عليه .

(779) ما بين سا () ساقط من النسختين .

(780) انظر المثل في مجمع الامثال 29/1 رقم المثل 112 ، قاله هون بن عبد الله بن
عتبة في رجل ذكره .

قطريه (781) وقع . وفلان متشبه اذا كان ممزوج الحسب ، ومثله ذو
الوصم ، وذو القادح ، ومثله المدخول (782) ، وذلك كله الذى فى أصله
مغمز . ويقال ، للرجل الداهى : هو داهية الغبر (783) . ويقال : هو الذى
لا يستقيم منه امر الا انتقض من جانب آخر ، شبه بالدبرة التى بين اعلاها
واسفلها دو . ويقولون : رجل مسبه أى ذاهب العقل . ورجل مسفار : قوى
على السفر . ويقولون رجل مشؤوم ، احص ، انكد ، نحس ، دا حس (784)
ورجل هدار ، وهذار ، كثير الكلام . وهجار : كثير الجلبة ، وربذ ،
ومهرق (785) . فاذا كان قليل الكلام قيل : نزور مسيك ، قدع . ويسمى من
الادلاء الذى يشم التراب : السواف ، والذى يعرف الماء تحت الارض
الارض السمام ، والذى يزجر الطير العائف ، والذى يضرب بالحصى
الطارق (786) ، والذى ينظر فى الخيلان الحازى ، الذى ينظر فى الاعضاء
القائف . وفى صفة الصحارى : جداء (787) مثل الترس . وفى صفة السيوف :
يقيل الموت تحت ظلماتها . ويقول الرجل لآخر : لترغب فى كذا ؟ فيقول نعم
بمبنى . ويقال : هذا امر مرغ ، أى يرغب فيه . ويقال : تطاوت بهن
النوى ، ويقال : زفت ، ورمت بهن المرامى . ويقولون : طوارق هم احتضرن
وسادى . ويقال : فلان كدر العيش ، مرثق العيش ؟ ويقال : طواه الدهر
ودارت عليه صروف الليالى ، اذا مات ، ويقال : التى مراسيه بالمكان :
أقام به ، ويقال : ذكت نار الشوق فى فؤادى ، ويقال : كان ذلك فى نهضة
الضحى . ويقول قائلهم :

كأنى اخو ظمأ سدت عليه المشارع

ويقال : شرب حتى نقع ويضع ، وهذا ماء نقوع وبضوع ، أى
مرو (788) . وغبر الهوى والشىء : بقاياها . ويقال : استوى حاجب الشمس
وترفع . ويقال : ليس للمقيد الا أن يحن — وتقول : مزجت الشنراب
وشججته ؟ ويقال : صرفه اذا شربه صرفا . ويقال : « سدك بامرى »

- (781) أى على أى شقيه .
(782) الذى ينتسب الى قوم ليس أصله منهم .
(783) جاء فى اللسان مادة غبر 306/6 : داهية الغبر : داهية عظيمة لا يهتدى لمثلها
قال أبو عبيد من أمثالهم فى الدهاء والأرب : أنه لداهية الغبر .
(784) أى مفسد .
(785) هكذا فى الاصلين ولعلها مهرف (بالفاء) من الهرف : وهو الهذيان .
(786) فى النسختين : الطارق (بضم القاف)
(787) أى يابسة لا ماء فيها .
(788) من أمثال العرب : حتام تكرع ولا تنقع : انظر الصحاح 1293/3 و (حتى
متى تكرع ولا تبفع) : انظر الصحاح 1187/3 .

جعله « (789) اذا ابتلى بمن يمازحه . ومن الفاظ الشعراء : ما سرق سرك
منى سارق . ويقال : الطير تحوم حول الماء ، وتلوب ، وتسوم ، وترنق (790)
ويقال : فعلت ذلك والزمان وريق . ويقال : غضب عليه وكسر فيه حرنبا
به (آ) . وفلان ييسمو (791) بعرنين اشم . وفي الذم : لا يعاف ظلامه ،
ولا يعلم اين الوفاء من الغدر . وسقناهم على صغر (792) . ويقال : هو
أقصر يدا ، والأم من أن يبلغ عالى الامر . ومن الأبيات التى يتمثل بها :

أبا مالك لا يدرك الوتر بالخنا ولكن باطراف الردينية السمر

ويقال : لقيناها فما خمسوا فينا بناب ولا ظفر . ويقال : بات فلان
بحيث بنى اللؤم (793) بيته ، ويقال : سنع فلان لى وبرح لأكله فما كلمته
كأنه يريد آتاني من كل جانب (794) . ويقال : كان ذاك فى أيام الصبا (795)
وفى ليالينا العوارم . هذه أرض بيداء محال ، وهذه أرض نازحة
الصوى (796) أى الاعلام . ويقال : بك تثبت (797) رعى هذا الامر .
ويقال للقوم يوصفون بالفضل والشرف والحسب : أولئك قوم عين الماء فيهم .
ويقول : الى الله منك المشتكى والمعول (798) . ويقال : استدارت عليهم

(789) انظر جمهرة الامثال 217/2 وفيه : سدك به جعل وهو دويبة تتبع الذي
يريد الغائط . ويضرب لمن يفسد شيئا والمثل فى الميداني 342/1 رقم المثل
1822 وهو فى المستقصى 118/2 رقم المثل 408 وفيه . يضرب لمن لج به من
يدغمه من حاجته وهو فى المعاني الكبير 269/2 .

(790) ترنق : أى تخفق بجناحها

(٢١) : لعلها : حد نابه .

(791) فى الاصل (يسموا) بزيادة الف .

(792) هو الصفار والذلة .

(793) الواو غير مهموزة فى الاصل .

(794) السنانح : ما يأتى من اليمين والعرب تتعامل به . والبارح : ما يأتى من
اليسار والعرب تتشائم منه .

(795) فى الاصلين : الصبي .

(796) الصوى : جمع صوة وهى الحجر يكون علامة للطريق .

(797) رعى : فى الاصلين رعا .

(798) مجز بيت للاخطل وتباه :

لقد أوتع الحجاب بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول

انظر : ديوان الاخطل ص 10 وانظر ترجمة الاخطل وهو غياث بن غوث
التغلبى (ت 90 هـ) فى ديوانه وفى المراجع التالية :
الافغانى (طبعة دار الكتب) 280/8 والشعر والشعراء 393 وشرح شواهد
المغنى 46 وخزانة البغدادي 219/1 ودائرة المعارف الاسلامية 515/1
والموشح 132 ومعجم الشعراء 21 وكشف الظنون 774 ونقائض جريـر
والاخطل 52/3 والاملام 318/5 ومعجم المؤلفين 42/8 .

عقاب المنايا . ويقول : خيل انطوت من السرى . ويقال : نحن في محله
 محلال (799) . ويقال : شردهم واذلهم . ويقال : حل فلان صرار الشر ،
 ويقال في القوم يفلون بعد العز : صارت أيمنهم أشملاء ، ويقال للأمر يشتهر :
 تد تصفت به الاحاديث ، ويقال للرجل يسكن الأمر الهائج : قد جذ أخيه
 الشغب (800) . ويقال : له ملك لا طريف ولا غصب . وفلان مستخف
 للنوائب ، وهذه حرب عضوض . ويقال للبخيل : هو عارى الخوان . ويقال
 للرجل يسر بصنيع نفسه : انما أجريت وحدك . كما يقال : « كل مجر
 بالخلاء يسر » (801) . ويقال : عيش كحاشية البرد ، وعيش كحاشية
 الفرند . ويقال : فرس حطم (802) عثور (803) ، ومضى فرسه لا طبعا
 ولا مبهورا (804) . ويقال : في بنى فلان رباط اللؤم (805) . ويقال للرجل
 يشتد عليه الأمر : لقد لاقيت مطلما (806) وعرا . ويقال : سيقنت نساؤهم
 سوق الجلائب (807) . ويقال : جاء بجيش كسواد الليل . ويقال : وسمه
 وسمنا ذا حبار أى ذا اثر . وسيوف رفاق (808) النواحي كانها عقائق .
 ويقال : تركوا اسرى وقتلى وأسلماء مفادرة . ويقال للاحق : هو
 يتهوك (809) . ويقال : له حسب اشم ونبعة لا تتقطع . ويقال للذى يستذل :
 له نبل قصار وقوس ليس فيها منزع (810) . ويقال : ضاق به الطريق وعز

799 هي التي تحمل كثيرا .
 800 في ا : أخية ، والتصويب من (ع) . وفي النسختين : الشغب وهو تصحيف
 والصواب : الشغب وهو تهيب الشر . قال الاخطل :

لقد علمت تلك القبائل اننا مصاليت جذامون أخية الشغب
 وأخية وأخية وأخية بمعنى وهي الخشبية التي تدفن في الأرض تربط
 بها الدابة . ومعنى العبارة : انه استاصل دعائم الشر .
 801 انظر المثال في : جمهرة الأمثال 142/2 ، يضرب مثلا للرجل يعجب بالفضيلة
 تكون منه من غير ان يقيسها بفضائل غيره . وفيه : في الخلاء . وانظر فصل
 القتال 172 والمبدائي 54/2 والمستقصى 269 والبيان 203/1 والحيوان
 88/1 .
 802 الهزيل المسن .
 803 الكثير العثار .
 804 الطبع : اللؤم والدنس ، والمبهور : المتقطع النفس اعياء قال جرير في وصف
 السيف :

واذا هزرت تطعت كل خريبة وخرجت لا طبعا ولا مبهورا

805 الوار في الاصلين ساقط المهمة .
 806 مطلع الجبل : مصعده وماتاه .
 807 الجلائب : ما يجلب من خيل وابل من بلد الى آخر للبيع .
 808 في النسختين : رفاق وهو تحريف .
 809 التهوك : التحير والوقوع في الأمر على غير بصيرة .
 810 في الاصل : منزع (بفتح الميم)

عليه الورد والصدر. ويقال . للممدوح (811): يقصر دون غلوته المغالى (812) ويقال : تركت القوم يديرون الامور اذا دبروها . ويقال : فلان نبعة قومه يعصبون به . ويقال : تعاليا به الايراد والصدر ، اذا عى بأمره . ويقال في الذم : قوم تناهت اليهم كل فاحشة . ويقال : كان ذاك وفي عيشنا غرر . ويقال للقوم يوصفون بالجشع : هم خضع الى الطمع القليل . وفي المدح : هم نجب من السر العتيق . ويقولون : مكان متماحل جذب المعرس ، ومكان نابى المناهل طامس الاعلام . ويقال : له ملك أفصح (813) . ويقال : ما عجوزه بمنجبة ، ولا أبوه بفحيل . ويقال : هو عز بناء الله يوم بنى الجبال ، ويقال للشجاع : يستهزم الجيش باسمه . ويقال : كان ذاك حين لا يبيع زماننا بزمان . ويقال : أنت على وضح السيل . ويقال في ذكر الشرف : باذخ ، صعب الذرى ، ممتنع الاركان . ويقال : دعوت فلانا فانجد الدعوة ، اذا أجاب . ويقال : فلان حسن الجهر ، أى الهيئة والمنظر . ويقال : ما هو بذى طعم ، أى ليست له نفس ولا حيلة ولا نجدة ، ويقال : أنت أبطنت فلانا دونى ، أى جعلته أخص منى (814) . ويقال : بينه وبينه شأو بطين ، اذا كان ما بينهما بعيدا . ومن باب التخصيص : باطن فلانا فلان وظاهره (815) اذا كان يعلم أمره كله ، ويقال : تفرع فلان القوم اذا ركبهم وشتمهم . ويقال : بثس ما أفرغت بهذا الأمر ، أى بثس ما ابتدأت به . ويقال : للرجل اذا تزوج في أشراف القوم : تفرع في بنى فلان . ويقال : هو الزم لك من شعرات قصك (816) ، ويقال : فرس ينغم أنفاس الجياد ، وذلك اذا اتعبها حتى تنبهر وترتد أنفاسها في أجوافها . وفي كلامهم : ذهب كلب (817) الشتاء، ووجد الدفء (818)، وساخ الثرى، ومأد (819) العرق، وأورق العود ، واختلفت رؤوس (820) الابل ، ولفظت الارض النبات . ويقال : استجزرت الغنم اذا سمئت . ويقال : ليل غداف (821) الاهداب ، ويقال : رجل الوث بطىء منتشر غير احوذى ولا مشمر . ويقال : اقبل

- (811) في الاصل الواو ساقطة .
(812) المغالى : الرافع يده بالسهم يريد به اقصى الغاية .
(813) الاميح : الواسع .
(814) في اللسان 200/16 : ابطن الرجل اذا جعلته من خواصك . وانظر العبارة في اللسان في الموضع المذكور مادة (بطن) .
(815) في الاصلين : ظاهره .
(816) القص : الصدر ، وانظر المثل في جميع الامثال 250/2 رقم المثل 3714 وروايته فيه : « الزم من شعرات القص » . والمعنى انه لا يفارقه .
(817) اي حدته .
(818) في الاصلين : الرف (بالراء) وهو تحريف .
(819) في الاصلين : ماد بدون همز ، وماد العرق : امتلا ربا .
(820) في الاصلين : رؤس بواو واحدة .
(821) في ا : غداف ، تصحيف .

صارا ما بين عينيه (822) من الغضب . ويقال : انا استوثق منه واستمهد .
ويقال : أيام غر محجلة ، وأيام طوال وكبار . ويقال : هو شيطان يخافه .
ذبابه . ويقال : فعلت به ما ساء وجهه ، ويقال هو عنيف عاف (823) عن
كل قبيح . ويقال : هو شؤم (824) الد غشوم . ويقال : جاء بجيش كركن
الطود لا تسائر حجراته ، (825) ويقال : ما ردك عنى بقيا على ولكن لم
تجد متقدما . ويقال : مفازة (826) مثل ظهر الادييم مسحاء مابها اثر .
ويقال : اتانا بعد طبق من الليل (827) . ويقال : اتانا أمر طبسق ، أى
عظيم (828) . ويقال : ما تتعدنى عنك شغار (829) ، أى ما عاقنى . ويقال :
أرض بعيدة لا يقصيه البصر ، أى لا يبلغ أقصاها . ويقال فى الدعاء : امض
أصبت غنامة وسلامة .

ويقال : هو فى عيش ماصر ، أى بلافة لا خير فيه ، وهو من قولك عنز
مصور ، أى قالصة اللبن . ويقال : لهم غلة يمتصرونها ، أى يأخذونها (830)
قليلا قليلا ، ويقال : فسد الجرح ، وعرب ، وخرب ، وفى لسانه خرب أى
فحش ، وليس هو من الخرابة ولكنه من الخرب . قال :

أرحنى واسترح منى فانى ثقل محلى ضرب لسانى (831)

ويقال : ناهيك به وجازيك به (832) . ويقال : له عيال متضافون ، اذا
كثروا وقل مالهم . والاصل الضف فى العيش والقتلة ، ويقال : أتت عليهم
السنة وازمتهم (833) ويقال : جاء حين انفتق ضوء الصبح . ويقال : مضى
ذلك الدهر ونسل . ويقال : هو جواد يعطى الرغائب . ويقال :

وكان ضياء يتبع الناس أمره كما يهتدى السارون بالقمر البدر

-
- (822) أي بعض ما بينهما .
(823) فى النسختين : حاف .
(824) فى الاصلين : توم ، وهو تعريف .
(825) حجرتا الجيش : ميمته وميسرته .
(826) المفازة لغة المنجاة ، سميت بذلك تناولا .
(827) طبق الليل : معظه او بعضه .
(828) وجاء فى نوادر أبى مسحل 22/1 : نزلت بهم احدى بنات طبق وهي الدواهي .
وانظر اللسان مادة طبق 83/12 .
(829) فى أ يضم الشين والصواب ما أثبتناه ومعناه : العداوة والطرده والنفي .
(830) فى أ : يأخذنها .
(831) البيت فى مقاييس اللغة 353/2 مادة (ضرب) من غير مزو . وهو فى اللسان
مادة (ضرب) 372/1 من غير مزو . وهو فى أساس البلاغة مادة (ضرب)
295/1 من غير مزو أيضا .
(832) بمعنى حسبك به .
(833) أي استاصلتهم .

ويقال : تهدم عرشه ، وشالت نعامته : وأشرف على الردى . ويقال :
هو معيب ، موصوم الاديم . ويقال : هو يحطب على نفسه النكراء . ويقال :
للرجل يصاب بشدة بعد شدة : هو يعل بجدع بعد عقر . ويقال : فرس
سامى المعذر (834) صافى أديم الخد . ويمدح الرجل فيقال : هو معقل
الجانبين (835) . ومؤتلف الغارمين . وجاء فلان فى ليف واشابات ملزقة .
ويقال : البغى مصرعه ، والبغى مقصمة ، ويقال للامر يكون ثم يمضى :
درجت ما درجت ثم انقضت ، يشبه بالليلة تمضى . ويقال (836) : نظرت
اليه فرويت منه عيني . ويقال : تهور كبر الليل (837) ويقال : رجل حاد اخو
مشايحة (838) ذفيف (839) ، ويقال : التقينا وكلانا حنق أنوف ، ويقال فى
صفة السيف : أبيض يخطف الابدان . ويقال : افعله ما دعا الله عابـد .
ويقولون فى صفة الحرب : الموت راكد والمنايا مظلة . ويقال : قد أغلق صدره
على الحسد . ويقال : هو أبلخ (840) ضخم الكبر . ويقال فى الذم : توبته مبطنة
بكفر . ويقال للرجل الرث الهيئة : خلق الادراس (841) أشعث ، شاحب .
وقال بعض العرب : أرمت على عنصوة من المال ابقتها السنة حتى جاء الله
جل وعز بالحيا . أرمت . امسكت عليها واعتصمت بها ، والعنصوة : البقية ،
والحيا : الغيث . ويقال : تهاون بالامر وفسخ عنه . ومضت من الليل ساعة
ثم تهجدنا فلان ، اذا جاء فى ذلك الوقت . ويقال : أكل معى فاخضمت ، أى
القمته . ويقال : هو حنيك ، أى شديد الاكل . ويقال : محجة الطريق ، وملكه
وعدله ، أى وسطه . ويقال : قذنه بقذيفة قبيحة اذا شتمه . ويقال : ضلينا
أعقاب الفريضة تطوعا ، وصلينا اكساءها (842) . ويقال : ماللت له الشىء ،
اذا أخبرته بقلته وان كان كثيرا لثلا يطمع فيه . وكاثرت له ، اذا أخبرته
بكثرتة تطيبيا لقلبه . ويقال : هم على مصابة آباءهم ، أى على طريقهم
وقصدهم ومذهبهم . وتنادعوا على ، اذا جاءوا يتلو (843) بعضهم بعضا .
ويقال : بقيت عندنا ثذب من مال ، ونصايا من مال ، يراد ما أبقتة السنة .

- (834) موضع المذار من الفرس .
(835) فى الأصل : الحانبين وهو تصحيف . والجانب : الغريب . والغارم : الذي
لزمه الدين .
(836) فى الأصلين : فيقال .
(837) فى الأصلين : كبر ، وهو تصحيف . وتهور : مضى . وكبر : معظم .
(838) أخو مشايحة : أخو حذر وجد .
(839) الذفيف : الخفيف السريع .
(840) الأبلخ : المتكبر الاحبى .
(841) خلق الادراس : بالى الثياب .
(842) اكساءها : أى مأخيرها .
(843) فى الأصلين : يتلوا بزيادة الف .

ويقال في الذم : سألت عليهم شعب المخازي . ولهم صبر على عض الهوان .
ويقال : هو يفتق الحزن ويصطحبه . ويقال في المدح : يستوحش الدهر
لفراقهم . ويقال : حرب شملت اصداغها . وفلان بعيد مسافة الرأي ، اذا
مدحوه بجودة الرأي . ويقال : كف، ضمنت يسار المعدمين . ويقولون : فعلنا
ذاك والخير يومئذ ذو عينين والشر أعمى . ويقال : هو أكثر ذنوباً من
الزمان . ويقال في المدح : بيذه ناصية الوفاء . ويقال : لا تلمنى (844) في
أمر يعذرني فيه الاجتهاد . ويقال : دبغت عيني . ويقال : أقبل الليل يسحب
النجوم . ويقال : هذا الشيء همى ووسنى . ويقال للبليد : في فؤاده
هذنة (845) ، أى نومة وقلة انتباه ، وفي فؤاده هبنة مثل ذلك . والرشد :
الضعفة من الناس . يقال : تركنا على الماء رثدا لا يطيقون تحملاً . ويقال :
المبد (846) أو شل النوم حظاً ، فانه يكون آخرهم وأقلهم حظاً . ويقال :
استوضحت الشيء وذلك اذا نظرت اليه ، ووضعت يدك على حاجبك من
الشمس . والشيفة : الذي يشتاف للقوم ، ينظر ويرقب . السيقة الطريدة .
قال :

وهل انا الا مثل سيقة العدى ان استقدمت نحر وان جبات عقر (847)

ويقال : ما رأيت في الخالفة شراً منه ، أى انه ردىء الاردياء . ويقال :
أبيعك العبد وابراً اليك من خلفته (848) ، وهو هوته (849) وسوء أخلاقه .
ويقال : فتى زين للمواكب والشرب . وفي استعارتهم : أصبح عرنين

- (844) في الاصل : لا يلمنى (بالياء) .
(845) جاء في المخصص 49/3 : الهدان : الاحقق الوخم الثقيل .. والاسم الهدن والهدنة
(846) المبد : الذي يتولى اعطاء كل شخص بدته ، أى نصيبه .
(847) البيت في اللسان مادة (جبا) : 35/1 من دون عزو وهو في اللسان مادة (سوق) من دون عزو أيضاً .
وهو في الصحاح مادة (سوق) 1500/4 من غير عزو .
وهو في الصحاح مادة (جبا) 40/1 وقد شرح المحقق في الهامش انه لنصيب بن أبي محجن .
وهو في تاج العروس (ساق) 387/6 لنصيب بن رباح وهو في ديوان (شعر نصيب بن رباح) - جمع وتقديم الدكتور داود سلوم - بغداد 1968 - ص 92 .
وجبا : تأخر وخنس ، وفي معنى البيت لمن وقع بين شرين لا ينجو من أحدهما قالوا : « كالأشقر » ان تقدم نحر ، وان تأخر عقر . انظر جمهرة الامثال 152/2 .
(848) أى مساده ، وانظر النص في اللسان مادة خلف 441/10 .
(849) في الاصلين : هوته (بالالف) وهو تحريف . والصواب : بالفاء وهو الحق .

المكارم أجذع (850) ، وفي المدح : هو امرؤ تعلق به حدق الغفاسة (851) وأنفس الهلاك . ويقولون : مان طيب الثرى . ويقال في الرجل يستطيل على جلسائه : هو رب على من يقاعد . وفي المدح : عف الشماثل طيب الاخبار . وفلان تمنى اليه المفاخر . ويقولون : قد قوس من الكبر . ويقولون : نزلت افضى حجرة الحى . ويقال : له لسان غير ملتبس وقلب غير مزؤد (852) ويقولون : في اليأس ناه . ويقولون : دهر شره دون خيره . ويقال في المدح : هو أبيض وضاح . ويقال لمن تغافل عن اساءة صديقه : « ارتوى ماءه » (853) على رنق . وفلان يتشمس من فلان ، اذا كان ياباه ويفر من فعله . ويقال : هو بعيد القلب ، حلو اللسان . ويقال : قد غلقت من فلان بأسباب متان . ويقال للرجل العبوس : لا يتبسم وما يبدى عن ظهر واضحة وتقول : انا محنى الضلوع على مودتك . ويقال في الذم : هو يضيع ثغور الحقوق . ويقال : حار ماء عيني في جفنى . ويقال فيمن لا محصول له : لا خل هو ولا خمر ؟ ويقال للدهر : هو أعصل (854) ذو شغب وفلان في مخفوض من العيش بارد . ومكر فلان بفلان ، واوبقه (855) وحفر له عاثورا (856) . ويقال : ترك هذا الأمر نفسى شعاعا ، أى متقسمة . ويقال : كان ذاك ووجه الدهر بالخير مقبل . ويقولون للمحتاج قد غضته الحاجة . ويقال : كان ذاك وغصن الشباب وريق ناعم الشعب . ولا أفعل ذلك وما استن جارى الماء . ويقال في الذم : هو جبان الليل ، نوام الضحى . ويقولون في حسن الطاعة : هو فيما تدعوه قدح (857) مقوم . ويقال : سألته فنكد (858) . ويقال : سألته فأحقدت اذا لم أصب منه شيئا ، واذا اعطى قليلا قالوا أوشى ، فان أعطى كثيرا فقد اركز وكل هذا مستعار من فعل المعدن . وقال أعرابى لرجل كلمه بكلام قبيح : ادبر بشر ما أقبلت به . وتقول : ما بها انسان ولا صافر (859) وما أحسن محياه وجهه

- (850) في الاصلين : اجذع ، وهو تصحيف .
(851) جمع عاني ، وهو كل طالب فضل او رزق . وفي الاصل الغفاة وهو تحريف .
(852) غير مزع ولا خائف .
(853) ما بين توسين بطموس في ا وهو بياض في ع تتلوه : اءه
(854) الموج في صلابة .
(855) في ع : ابقه ، وهو تحريف . واوبقه : اهلكه .
(856) العاثور : حفرة تحفر للأسد . يقال لمن تورط : قد وقع في عاثور شر ، اي في شدة .
(857) القدح : السهم قبل ان ينصل ويراش .
(858) في ع : فنكل ، وهو تحريف . ونكد الرجل : كثر سؤاله وقتل خيره .
(859) انظر المثل في جوامع كتاب اصلاح المنطق — زيد بن ربيعة حيدر آباد الدكن — 1354 هـ ص 213 .

وسنته (860) . وهو عظيم القمة والشرف . وفلان حديد الناظر
والبرقاء (861) والصادقة والطارقة (862) . وهو حسن المعطس والمرسن
والراعب أى الآنف . وهو جيد المنصل والمقول والمذود تريد اللسان . وهو
حسن الهادى والتليل والابريق يريد الجيد (863) . وهو حسن اللسبة
والنحر (864) . وهو حسن السالفتين (865) والصفتين والصليتين (866)
واللديدين والليتين (867) . وهو حسن الحيزوم (868) واللبنان والقسم
والبرك (869) . وهما عضداه وضبعاه (870) . وهى الاضلاع والحوانى
والجوانح . وهى الخاصرة والقرب (871) والصفاق (872) . وهو الجنب
والحنو والذف والحصير والصقل . وهو البطن والجفرة . وهو المتن والمطا
والقرا (873) للصلب . وهو الجسد والجثمان والأجلاد . وهى القوابض
والبنان . وهى المفاصل والأبداء والآراب والفصوص والأوصال والكسور .
وهو الدم والتجميع والبصيرة والتامور والعلق واللون والليط والنقبة والديباج
وهو الشخص والزائلة والسواد والآل . وهو العقل والعقدة والمسكة
والحصاة والنهية والارب . وهو الحلق والموق والأمن والوره . وقد تسمع
وارعى واصاخ واصفى وتوجس . وهو الصوت والركز (875) والفديد
والنبأة . وهو السرار والهمس والوحى والمواهسة والسواد . وهو الجهر
والاشادة والاصاتة والاسماع ، وهو الشم والسوف والتنسم . وهو طيب
الريح والريا والنشر والارج العرف والنشوة . ونظرت وكلاّت ورمقت
ورنوت . وهى الطبائع والسلائق والنحائث والضرائب . ويقال :
تزوج (876) فى بنى فلان وصاهر واتصل ، وقد بنى على أهله وتبعل . وهو

- 860 سنة الانسان : وجهه .
861 يقال للمعين برقاء لسواد حدقتها وبياض شحمتها .
862 لعلها الطارقه .
863 الجيد : العنق أو طوله .
864 النحر : موضع الغلادة ووسطها يقال له : اللبة .
865 السالفة : صلعة مقدم العنق .
866 الصليف : ناحية العنق .
867 الليت : صلعة العنق وما خلف مذبذب القرط .
868 الحيزوم : الصدر .
869 البرك : وسط الصدر .
870 الضبع : وسط العضد . العضد كلها . الابط . وقيل ما بين الابط الى نصف
العضد من اعلى .
871 غبظت بفتح الغاف والذى فى اللسان مادة (قرب) بضم القاف .
872 الصفاق : الجلد الاسفل دون الجلد الذى يسلخ وهو الذى يسك البطن واذا
انشق كان منه الفتق .
873 القرا : متصل الظهر بالعنق .
874 فى الاصلين : الابداء وهو تصحيف .
875 هكذا فى الاصلين بفتح الراء والذى فى المعاجم بكسرهما .
876 فى الاصل (تزوج) بالحاء المهملة .

الطلاق والبين والرد والتخلية والسراح . وعقمت المرأة وعقرت وحالت واعتاطت . وفي خلافة حملت وعلقت وضمت . فاذا قرب ولادها قيل أحجنت (877) وأدنت . فان استطعت قيل : أجهضت وأزلقت . واخذجت اذا أتت به ناقصا . ويقال : ولدت المرأة ومصمت وقذفت . ويقال : هو وسخ درن قشفت . ويقال للأثر : البلد والندب والحبار . ويقال : مشى وخطا ورأس وماس ودرج . فاذا عدا قلت : احضر وخشف (878) وبفلان خفة وطيرة وبادرة . ويقال : جاء بغثة واغتالا والتقاطا وبدها وفلاطا وغشاشا . وتقول : لا اثم عليك ولا جنف . وفلان يدارى فلانا ويفانيه ويدامله ويصاديه . وهو يمكر به ويمحل ويختل ويأدو (879) له . ويقال : بخسه حقه ونقصه والته . ويقال : جاع وغرث وسغب وطوى . فان كان واجدا ولم يأكل قيل : طوى . وفي ضده شبع وبه كظة وثقلة . وهو العطش والغيم والغلة والأوام . وفي الرى : النفوع والبضوع . فاذا قتل الشرب قيل : تمزز وتشفف . وقد غص وجرض وشرق . ويقال : به رعدة وقل وافكل . ويقال للمرق : الرشع (880) والمسيح والحميم والنجد . ويقال : بكسى ونشج . ويقال : نشط وعرص (881) والميعة النشاط . ويقال : اعيأ وبلح وطلح وانبهر وحسر وكل كلالا . وهم الناس والانام والورى والعالم والنفر والصحب والحضيرة والأسرة والزمرة واللثة . وهو فرد ووحد (882) . ويقال : صديقه وخله وخلمه وسجيده وعشيرته . وهى زوجته وحنثته ووعيدته وربضه . وهو تربه ورثده وحنثته . وهى الحاضنة والكافلة والرابة . وهم الخدم والمناصف والعسفاء والحفان . وهذا زعيمك وكفيلك وغريرك وضمينك وقبيلك . وهم من انفس العرب وسرهم وعينتهم وعقليتهم . وفي ضده من ارذالهم واوشاظهم واشراطهم . وهى القرابة والسهمة والال . ويقال : جئت فى ابانه وعدانه . ويقال : هى غايته وقصاه . ويقال : هما سواء وبواء وشرع . وقد والى بين شيئين ولاء ، وعادى عداء ، وواصل وصالا . ويقال : هو حدل غير عدل . وقد ماط على فى الحكم . وقد اصلحت بين القوم ، واسوت ، ورأبت بينهم . وقد غفرت الامر بغفرته (883) ، وانا اعطف على فلان واعينه واشبل عليه . وقد اختلط على القوم أمرهم واربت . وقد عميت

- (877) أحجنت : أي اموجت من ثقل حملها وفي الأصل احجنت وهو تحريف .
(878) فى الأصل : حشف بالحاء وهو تصحيف .
(879) فى الأصل : ويادوا ، بالف زائدة وبدون همز ، انظر اللسان مادة (ادا)
(880) فى الأصل : الوشح وهو تحريف والصواب ما أثبتناه ، وهو العرق — تعب أو حمى .
(881) فى النسختين : مرض ، وهو تصحيف .
(882) فى ع : وحد .

عليه الخبر ودمست عليه الخبر . ويقال بلغني فرو من الحديث ، ورس من الحديث ، اذا بلغك بعضه . ويقال : رجعت الى الحق وانرغت وعنوت . ويقال : تفرق القوم ، وطالوا ، وتمايطوا . ويقال : حبسه وشجره . ويقال : لقيته مصارحة وكفاحا . ويقال : لقيته بين الظهرانيين ، ولقيته عن عفر أى بعد شهر ونحوه . ويقال : ملكت فلانا أمره ، وسومته أمره ، وديننته في أمره ، أى ملكته آياه . قال الحطيفة :

لقد دينت امر بنيك (884) حتى تركتهم ادق من الطحين (885)

ويقال : ذهب بحقه ومصح بحقه . وحدثت هذا الخبر عن فلان ، ودبرته عن فلان ، بمعنى ، ونظرت فأشب لى فلان اذا رأيت من غير ان ترجوه . أو تحتسبه . ويقال : عظمت فلانا ورجبته ، وفلان يرغل أى يعظم . قال ذو الرمة :

اذا نحن رفلنا أمراً ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر (886)

قال الشيخ أبو الحسين احمد بن فارس أطل الله بقاء : الكلام كثير ، ومن طمع منا في الاحاطة بجمعيه فقد زعم غير مزعم ، وارجو ان يكون ما كتبناه نائما في بابه ، لمن حفظه وأحسن تصريفه في خطابه وكتابته ان شاء الله

قوبل بأصله الذى نقل منه وعليه خط مؤلفه رحمه الله نصح

تم الكتاب والحمد لله وصلواته على النبی محمد وآله الطاهرين الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل والمعين .

(883) اي اصلحته بما ينبغي ان يصلح به انظر المنجد ص 583 .

(884) في النسختين : نيك وهو تعريف .

(885) البيت للحطيفة من تصيدة يهجو فيها امه : ديوان الحطيفة — تحقيق نعمان أمين طه ص 278 وروايته :

مقد سوست امر بنيك حتى تركتهم ادق من الطحين

(وادق من الطحين) ذهبت مثلاً : انظر جبهة الامثال 455/1 والمستقصى ص 50 والميداني 183/1 . وانظر البيت في الصحاح والتاج مادة (دين) . وفي الاساس واللسان مادة (دين) ومادة (سوس) .

(886) البيت في ديوان ذي الرمة ص 238 وروايته :

اذا نحن سودنا امرا ساد قومه وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

ابن خالويه اللغوي ونسبه كتابه للحجبه إليه

الأستاذ عبدالعال سالم مكرم
أستاذ بجامعة الكويت

شاركه الاستاذ عبد العال سالم مكرم بدراسة حول « كتاب الحجبة في قراءات
الأئمة السبعة في مسابقة المکتب الدائم حول اللغة وقد نسب هذا الكتاب الى ابن
خالويه وقدم لتحقيق المخطوط ببحث لآيات هذه النسبة ، ونحن ننشر هذه
المقدمة مع نقد لها للاستاذ محمد العابد الفاسي :

البغية (2) وقد سجل الرواة في سنة اربع عشرة
وثلاثمائة دخل بغداد ليتلقى عن شيوخها ، وبأخذ من
اعلامها .

هذا ولم تتعرض كتب الرواة لسنة مولده ،
وان تعرضت لسنة وفاته ، فقد اجتمعت على انه توفي
بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (3) .

شيوخه :

من شيوخه الذين كان لهم اثر كبير في تكوينه
العلمي والثقافي :

1 - ابن مجاهد :

تلقى ابن خالويه على ابن مجاهد على القرآن
الكريم والقراءات .

وهو : احمد بن موسى بن العباس التميمي ،
كان يلقب في عصره بشيخ الصنعة ، ويكفيه فخرا انه
اول من سبع السبعة ، وكان اليه المرجع في فن
القراءات (4) .

ابن خالويه شخصية لم تظهر بالدراسة الواسعة
بعد ، لانه في مجال القراءات ، والنحو واللغة لا تقل
من هؤلاء الاعلام الذين ظفروا بمثل هذه الدراسة كابي
علي الفارسي ، وابن جني وغيرهما .

ولم يهذه الترجمة الموجزة انير الطريق امام
الباحثين ليتجهوا الى تراث هذا الرجل المطبوع
والمخطوط ، ليقوموا في ضوءه دراسات وبحوثا ، تظهر
مكانة الرجل في عصره ، ومكانة تراثه بين ترائنا
الخالدين .

نسبه :

سجلات كتب الطبقات ان اسمه : الحسين بن
احمد ان خالويه بن حمدان : وكنيته : عبد الله (1) .

نشأته :

ذكر ياقوت انه نشأ في همدان ، ثم وفد الى
بغداد بعد ذلك ، وبشاركه في هذا الرأي السيوطي في

(1) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .

(2) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 200 .

(3) البغية 1 / 529 ، معجم الادباء 9 / 220 ، غاية النهاية 1 / 237 .

(4) غاية النهاية 1 / 142 .

2 - ابن دريد :

وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، تلقى عليه ابن خالويه النحو والادب . وكان ابن دريد شاعرا كثير الشعر ، ومن شعره المقصورة المشهورة ، والتقصيدة المشهورة التي جمع فيها بين المقصور والمدود (1) ولما مات هو وأبو هاشم الجبائي في يوم واحد ، ودفنا في مقبرة الخيزران ، قال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي .

وقد رثاه جحظة فقال :

فقدت بابن دريد كل منفعة
لما هذا ثالث الاحجار والتراب (2)

وكنيت ابني لفقد الجود آونة
فصرت ابني لفقد الجود والادب

3 - ابن الانباري :

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري النحوي ، كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظا للغة .

وكان ابن الانباري - كما يذكر الرواة - مهتما بالدراسة القرآنية فقد ذكروا أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم (3) .

وقال عنه : محمد بن جعفر التميمي : « اما أبو بكر بن الانباري فما رأينا أحفظ منه ، ولا أعم منه من علمه . » (4)

ويحكى ابن الانباري عن نفسه فيقول : أنه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول : « اما انك طيب ولكن أطيب منك ما وهب الله عز وجل لي من العلم » (5) .

4 - أبو عمر الزاهد :

هو أبو عمر : محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم اللغوي الزاهد كان من أكابر أهل اللغة ، وأحفظهم لها ، أخذ من أبي العباس ثعلب ، وكان يعرف بفلام ثعلب . وقال عنه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الاسدي : « لم يتكلم في علم اللغة من الاولين والآخرين أحسن من كلام « أبي عمر الزاهد » .

وقال فيه أبو العباس الشكري يمدحه :

أبو عمر أوتي من العلم مرتقى
يزل مساميه ويردي مطاوله

قلو انني اقسمت ما كنت كاذبا
بان لم ير الراؤون خيرا يعادله

الى ان يقول :
اذا قلت شارفنا واخر عنقه
تفجر حتى قلت هذي اوائله (6)

5 - أبو سعيد السيرافي :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي كان من المع نجوم عصره فسمى اليه ابن خالويه ، وجلس في حلقة ، وتأثر به تأثرا كبيرا ظهر في منهجه اللغوي والنحوي الذي سنعرض له فيما بعد ، ذلك لان أبا سعيد كان كما يقول المرحوم الاستاذ أحمد أمين : « زعيم المحافظين في عصره (7) » حيث يرى ان اللغة مرجعها الرواية والنقل ، لا القياس والعقل .

وبهذا المنهج استطاع السيرافي ان يهزم (متى) المنطقي في مناظرة مشهورة جعلت الوزير ابن الفرات - وكان مشاهدا لها - يقول في السيرافي « عين الله عليك أيها الشيخ ، فقد نديت اكبادا وأقررت عيونا ، وببغت وجوها ، وحكت طرازا لا يبليه الزمان ، ولا يتطرق اليه الحدثان (8) » .

- (1) نزهة الألبا - 174 .
- (2) نزهة الألبا - 175 .
- (3) نزهة الألبا - 179 .
- (4) نزهة الألبا - 181 .
- (5) نزهة الألبا - 181 .
- (6) نزهة الألبا - 189 .
- (7) ظهر الاسلام - 2 - 91 .
- (8) الامتاع والمؤانسة : 1 - 128 ، 129 .

وبعد

حياته الاجتماعية :

فيما يبدو ان ابن خالويه كانت معيشته ضنكا من الرزق فهو ، وان صحب سيف الدولة في حلب ، ثم صحب ولده « شريفا » وغيره من آل حمدان بعد وفاة سيف الدولة فهذا لم يعطه الاستقرار الاقتصادي في الحياة رغم ذلك ، فقد كان يجري وراء المال ليستر العوز ، ويبعد الفاقة يدل على ذلك قوله لسيف الدولة حينما سأل جماعة في مجلسه :

هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصورا ؟
فقالوا : لا .

فقال ابن خالويه : انا امرف اسمين لا اقولهما الا بالف درهم لئلا يؤخذا بلا شكر (5) .

ويدل على ذلك قوله أيضا قوله :

وكم قائل قالى رايتك راجلا
فقات له من أجل أنك فارس

وقوله :

الجود طبعي ، ولكن ليس لي حال
فكيف يبدل من بالقرض يحتال
فهاك حظي فخله اليوم تذكرة
الى اتسامي فلي في الغيب آمال (6)

معاصروه :

أبو علي الفارسي :

في عصر ابن خالويه ظهر رجل له شهرته ، ومكانته في النحو واللغة والقراءات ، ذلك هو الحسن ابن عبد الفجار ابن سليمان الفارسي .

كان الفارسي من أكابر أئمة النحو ، وشغل الناس بآرائه في القياس والعلة ، والمنطق والجدل حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد .

فاذا كان التلميذ صنعة استاذه ، فقد كان حظ ابن خالويه في تكوين شخصيته ، وتربية عقله وسمو تفكيره - كبيرا لانه جلس في حلقات هؤلاء الاعلام الذين ملأوا الدنيا بأثارهم الفكرية وانتاجهم الادبي الذي خلد ذكرهم ، وعطر في التاريخ سيرتهم .

رحلاته :

ذكر « انباه الرواة » انه دخل اليمن ، ونزل ديارها ، وهي رواية النحوي اليمني في كتابه « الاترجة » حين تعرضه لابن الحائك اليمني وشعره ، قال ما نصته :

« ومن المشاهد على ذلك ان الحسين بن خالويه الامام لما دخل اليمن ، ونزل ديارها ، واقام بها شرح ديوان ابن الحائك وعنى به ، وذكر غريبه واعرابه »

قال صاحب الانباه :

وام اعلم ان ابن خالويه دخل اليمن الا من كتاب « الاترجة (1) » هذا ، وهو كتاب غريب قليل الوجود اشتمل على ذكر شعر اليمن في الجاهلية والاسلام الى قريب من زماننا هذا ، وما رايت منه نسخة ، ولا من ذكره الا نسخة واحدة جاءت في كتاب الوالد احضرت بعد وفاته من ارض اليمن (2) .

على اية حال كانت ، ان صحت هذه الرواية فمن المؤكد ان رحلته هذه الى اليمن كانت قبل رحلته الى حلب حيث سكنها ، وعاش في كنف سيف الدولة بها ، وهناك انتشر علمه (3) .

ويزيد « الانباه » انه تصدر أيضا بميا فارقين ، وحمص للافادة والتصنيف (4) .

واخيرا استقر به المقام في « حلب » حيث وافاه الاجل المحتوم في سنة سبعين وثلاثمائة .

- (1) الاترج : بضم الهمزة ، وتشديد الجيم فأكهة معروفة ، الواحدة : اترجة .
- (2) الانباه 1 - 326 .
- (3) البغية 1 - 529 .
- (4) الانباه 1 - 325 .
- (5) البغية 1 - 503 .
- (6) البغية 1 - 530 .

وقال فيه أبو طالب العبدي : ما كان بين سيبويه وأبي علي افضل منه (1) .

وهذه المنزلة التي وصل اليها أبو علي في النحو جعلت مضد الدولة يقول : أنا غلام أبي علي في النحو (2)

وكانت المنافسة بين ابن خالويه وأبي علي الفارسي على أشدها . فقد كتب أبو علي كتابه « الإغفال » وذكر فيه ما أهمله شيخه أبو اسحق الزجاج في كتابه « معاني القرآن » ، ولكن هذا النقد الذي وجهه أبو علي إلى أستاذه الزجاج في « الإغفال » لم يرض ابن خالويه فتعقبه فيما كتب . وعقب على تعقبه أبو علي في كتاب سماه « نفخ الهازور » وبسط الكلام فيه كل البسط وقد أورد البغدادي في خزانة طائفة من المسائل التي كانت موضع نقاش بين أبي علي وابن خالويه ، أذكر منها على سبيل المثال قول ابن خالويه : أن الواو إذا كانت في أوائل القصائد نحو : وقام الأهماق ... الخ . فأنها تدل على رب فقط ، ولا تكون للمطف ، لأنه لم يتقدم ما يحطف عليه بالواو .

وقال الفارسي في نفخ الهازور : هذا شيء لم نعلم أحدا ممن حكينا قوله ذهب إليه ولا قال به (3) .

وقال ابن الأنباري في نزعة الألبا : « أنه اجتمع هو وأبو علي الفارسي فجرى بينهما كلام ، فقال لابن علي : نتكلم في كتاب سيبويه فقال له أبو علي : بل نتكلم في الفصيح .

ويحكى أنه قال لابن علي كم للسيف أسما ؟ قال : اسم واحد ، فقال له ابن خالويه : بل أسماء كثيرة ، وأخذ يعددها نحو الحسام - والمخمد ، والقضب . فقال أبو علي : هذه كلها صفات (4) .

ولم تكن منافسة ابن خالويه لابن علي إلا صدى لمنافسة أستاذه أبي سعيد السيرافي لابن علي الفارسي ، فقد كان أبو علي - كما يقول أبو حيان التوحيدي - « متقدما بالفيظ على أبي سعيد وبالحسد له ، كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره بفريبه وأمثاله ، وشواهد وأبياته وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء ، لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج ، ولا لابن السراج ، ولا لابن درستويه مع سعة عندهم ، وفيض كلامهم (5) » .

ولمنزلة أبي سعيد السيرافي في نفس تلميذه ابن خالويه أرسل إلى سيف الدولة ليعلمه تطاول الفارسي على السيرافي ، وهو تطاول غير محمود ، لأن منزلة السيرافي وبخاصة بعد هزيمة (منى) المنطقي نسجت حوله ثوبا من القدسية والمهابة ، فلا يليق بأبي علي أو غيره أن ينال هذه الشخصية التي اعلت لغة العرب ودلت مصاعب كتاب سيبويه .

ولم يسكت الفارسي حينما علم خبر هذه الرقعة فأرسل إلى سيف الدولة رقعة ينفي فيها عن نفسه التهمة ، ويزيل اللبس ومن العبارات التي ضمنها رسالة الفارسي قوله : « من ذلك بعض ما يبدل على قلة تحفظ هذا الرجل - (يعني بذلك ابن خالويه) فيما يقوله : هو قوله : لو يبقى عمر نوح ما يصلح أن يقرأ على السيرافي مع علمه بأن ابن بهراذ السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم ، أفلا يصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان ؟ هذا ما لا خفاء فيه ، كيف وقد خلط فيما حكاه مني ؟

وإني قلت : أن السيرافي قد قرأ على - ولم أقل هذا ، إنما قلت تعلم مني ، أو أخذ مني هو أو غيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العلم ، وليس قول القائل : تعلم مني مثل قرأ على ، لأنه يقرأ عليه من لا يتعلم منه ، وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه وتعلم ابن بهراذ السيرافي مني في أيام محمد بن السري وبعده لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه كعلي بن الوراق .

ومحمد بن أحمد بن بونس ، ومن كان يطلب هذا الشأن من بني الأزرقي الكتاب وغيرهم ، وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يروونه بفشاني في (صف شوينز) كمجد الله بن جعفر بن درستويه النحوي ، لأنه كان جاري بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه ، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني (6) » .

(1) نزعة الألبا 208 .

(2) معجم الأدباء 7 - 234 .

(3) خزانة الأدب 1 - 39 .

(4) نزعة الألبا - 208 .

(5) الامتاع والمؤنسة - 131 .

(6) المسائل الحلبية لابن علي الفارسي ، ورقة 114 ، مخطوط رقم 266 نحو تيمور .

واني حرصت على تسجيل هذا الجزء من هذه الرسالة ليكون مثالا واضحا يدل على مدى التنافس الكبير الذي كان بين الرجلين ليظهر كل منهما بقلوب سيف الدولة من ناحية ، وازدهار هذا العصر في مجالات اللغة والنحو من ناحية أخرى .

2 - المتنبي :

لم يكن أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي شاعرا يملأ الدنيا بأشعاره وتسمع كلماته من به صمم فحسب ، بل كان لغويا نحويا متضلعا يدل على ذلك أن أبا الطيب « اجتمع هو وأبو علي الفارسي ، فقال له أبو علي : كم جاء من الجمع على وزن فعلى ؟ بكسر الفاء ، فقال المتنبي : حجلي وطرزي جمع حجل وطربان . قال أبو علي : نسهرت تلك الليلة التمس لها ثالثا فلم أجد احدا وقال في حقه : ما رأيت رجلا في معناه مثله (1) » .

اتصل المتنبي بسيف الدولة بمدحه ويكثر من المدح فيه ، وكانت بينه وبين ابن خالويه في مجلس سيف الدولة مناقشات توضح مدى التنافس بين الرجلين .

يحكى انه لما انشد سيف الدولة بين حمدان قوله في مطلع بعض قصائده :

وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه

كان هناك ابن خالويه . فقال له : يا أبا الطيب : انما يقال : شجاء ، توهمه فعلا ماضيا ، فقال أبو الطيب : اسكت فما وصل الامر اليك (2) .

وقال له ابن خالويه النحوي يوما في مجلس سيف الدولة : لولا أن أخي جاهل لما رضى أن يمدى بالمتنبي ، لأن معنى المتنبي كاذب ، ومن رضى أن يمدى بالكذب فهو جاهل ، فقال : لست أرضى أن أمدى بذلك ، وانما يمدوني به من يريد القرض مني ، وليست أقدر على المنع (3) .

وذكر الرئيس أبو الحسين محمد بن علي بن نصر الكاتب في كتاب : « المفاوضة » : حدثني أبو الفرج

عبد الواحد بن نصر البغاه قال : « واذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدره فشققها بسكين الدواة ، فمد ابن خالويه جانب طيلسانه ، وكان صوفا أزرق ، فحشا فيه سيف الدولة شيئا صالحا ، ومددت ذيل دراعتي وكانت ديباجا ، فحشا الى فيها ، وأبو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا ، أو يطلب شيئا منها فمافعل ففاظه ذلك ، فنشرها كلها ، فلما رأى المتنبي انها قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فمزهم عليه سيف الدولة . فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطرطوره في عنقه ، واستحى ومضت له ليلة عظيمة وانصرف .

وخاطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة في ذلك ، فقال : ما يتماظم تلك العظمة ، ويتصنع الى مثل هذه المنزلة الا لحماقته (4) .

3 - ابن جنى :

أبو الفتح عثمان بن جنى النحوي من معاصري ابن خالويه ، فقد توفي ابن جنى سنة 392 هـ على حين توفي ابن خالويه 370 هـ (5) ، وقد تتلمذ ابن جنى على ابن علي الفارسي ، وصحبه أربعين سنة وكان سبب صحبته اياه أن أبا علي الفارسي سافر الى (الموصل) فدخل الى الجامع ، فوجد أبا الفتح عثمان بن جنى يقرأ النحو وهو شاب ، وكان بين يديه متعلم وهو يكلمه في قلب الواو الفاء نحو قام - وقال : فاعترض عليه أبو علي فوجده مقصرا ، فقال له أبو علي : زبيت قبل أن تحصور ، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جنى ، وسأل عنه ، فقيل له : هو أبو علي الفارسي النحوي فآخذ في طلبه وصاحبه الى أن مات أبو علي ، وخلفه ابن جنى ودرس النحو ببغداد بعده ، وأخذ عنه (6) .

والذي يمينني من هذه المعاصرة أن ابن جنى تتلمذ على أبي علي الفارسي وأن ابن خالويه تتلمذ على أبي سعيد السيرافي ، والشيخان راسان في عصرهما ، عاشا في مجال النحو واللغة يبدعان ما شام لهما الإبداع ولكنهما افترقا في المنهج والطريقة ، وقد

- (1) نزهة الألبا - 201 .
- (2) نزهة الألبا - 201 .
- (3) نزهة الألبا - 200 .
- (4) أنباه الرواة - 1 - 327 .
- (5) نزهة الألبا - 222 .
- (6) نزهة الألبا - 221 .

مكاته اللغوية والنحوية :

ابن خالويه كانت له قدم راسخة فى الدراسات اللغوية ، فقد تتلمذ على ابن دريد كما ذكرنا وابن دريد له فى اللغة كتاب « الجهرة » وهو كتاب ثمين عرف قيمته اولو العلم ، ورجالات الادب منذ تأليفه ، فابو علي القالي كان يملك نسخة من الجهرة بخط مؤلفها ، وكان قد اعطى بها ثلاثمائة مثقال فابى ، فاشتدت به الحاجة فباعها بأربعين مثقالا وكتب عليها هذه الايات :

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني اني ساييمها
ولو خلدتني فى السجون ديوني

ولكن لمجز وافقتار وصيبة
صفار عليهم تستهل شئوني

فقلت ولم املك سوى سفح عبرتي
مقالة مكوى الفؤاد حزبي

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم رب بهن ضنين

قال : فارسلها الذي اشتراها ، وارسل معها
أربعين ديناراً أخرى (4) .

وابن خالويه كان رواية لهذه الجهرة ، وقد كتب عليها حواشي من استداركه على مواضع منها ، ونبه على بعض أوهام وتصحيفات (5) .

ولمكاته ابن خالويه اللغوية رد على ابن دريد ، ونقده فى مسائل عديدة من جملته .

فمثلا يقول السيوطي : ليس فى الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات الا أول .

قال فى الجهرة : هو فوهل ليس له فعل ، والاصل : وول قلبت الواو الاولى همزة ، وادغمت احدى الواوين فى الاخرى ، فقالوا : أول .

اثر هذه التفرقة فى نفس تلميذيهما ، فسارا على الدرب ، وسلكا نفس المنهج .

فالفارسي وتلميذه يكثران من المنطق والعلة ، وابو سعيد وتلميذه لا يخلان بأقيسة المنطق ولا يميزان التعليل النحوي هذا الاهتمام البالغ ، وانما يخلان بالرواية والاثار ، والنساع ، وما نقل من العرب يدل على ذلك قول بعض الادباء فى رؤس النحو الثلاثة الفارسي ، والروائي ، والسيرافي : « كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النحويين ، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون البعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فاما من لا نفهم من كلامه شيئا ، فابو الحسن الروائي ، واما من نفهم بعض كلامه دون البعض ، فابو علي الفارسي ، واما من نفهم جميع كلامه فابو سعيد السيرافي (1) » .

هذا وقد كان بلاط سيف الدولة يشهد فى كل المجالس العلمية والادبية التي تعقد فيه مناظرات عديدة بين الفارسي وابن خالويه من ناحية ، وبين ابن خالويه والمتنبي من ناحية أخرى .

وكان ابن جنى يشهد هذه المجالس ، وتوثقت صلته بالمتنبي حتى قال فيه المتنبي : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس وهذا التقدير الادبي من جانب المتنبي جعل ابن جنى يشرح ديوانه شرحا كما يقول المرحوم الاستاذ احمد امين : « استفاد منه كل من شرح الديوان بعده لاتصاله بالمتنبي ومعرفة بطروف شعره التي كثيرا ما تعدد المعنى ، وتمنع التاويلات (2) » .

وكما توثقت الصلة بين ابن جنى والعالم النحوي وبين المتنبي الشاعر كذلك توثقت الصلة بين ابن خالويه والعالم النحوي وبين الشاعر ابي فراس الحمداني الذي كان الرواية الوحيد لشعره وديوانه وقد صور هذه المنافسة المرحوم احمد امين حيث قال ما نصه : « فكان فى القصر - يقصد قصر سيف الدولة - حزيان ، حزب للمتنبي منه ابن جنى النحوي وحزب عليه منه ابن خالويه اللغوي وابو فراس الشاعر (3) » .

(1) نزهة الالباب - 211 .

(2) ظهير الاسلام - 1 - 186 .

(3) ظهير الاسلام - 1 - 186 .

(4) المرمر - 1 - 95 .

(5) المرمر - 1 - 95 .

الاعراب سال الناس ، فقال : ارحموا شيخنا
ضميفا (6) .

والامثلة عديدة على مكانته اللغوية اكتفى بما
ذكرت منها حبا في الإيجاز .

والسؤال الذي يقال هنا ان لابن خالويه آثارا
لغوية تشهد بفضله وتشير الى قدره ، وهي آثار لا تنكر
لأنها واقع ملموس ، فهل كان ابن خالويه في النحو
كاللغة ؟ في رأيي ان ابن الأنباري ظلم ابن خالويه حينما
قال عنه في مجال النحو : « ولم يكن في النحو
بذلك (7) » .

لان ابن خالويه له آراء في النحو لا تقل من آرائه
في اللغة كما يبدو ذلك عند دراستنا لكتاب الحجة .

ولعل السبب في عدم اشتهار ابن خالويه بالنحو
هو انه كان يؤمن بأن اللغة تؤخذ سمعا ، لا قياسا ،
والتأليف النحوي كما جرت به عادة النحاة - يدور
حول العلة والمعلول ، والقياس والمنطق ومن أجل ذلك
لم يؤلف كتابا عديدة في النحو أو في أصوله كما فعل
الفارسي وتلميذه ابن جنى ، اللهم الا كتاب : الجمل في
النحو ، وكتاب : اعراب ثلاثين سورة وكتاب المبتدأ
في النحو ولكنه مع هذا كان معلما نحويا ولغويا وقد
سجل له الرواة هذه الحقيقة فقالوا : كان اماما أحد
افراد الدهر في كل قسم من اقسام العلم والادب ،
وكان اليه الرحلة من الأفئدة ، وكان آل حمدان
يكرمونه (8) .

عقيدته :

يذكر سالم الكرفوكي وهو مستشرق ، حقق
كتاب « اعراب ثلاثين سورة » ان ابن أبي طي : قال عنه
كان اماميا عالما بالمدح على حين يرى الذهبى في
تاريخه انه كان صاحب سنة ، وابن حجر يؤيد تشيعه

وقال ابن خالويه : الصواب : ان أول : افعل
بدليل صحة من آياه ، تقول أول من كذا (1) .

ومما يدل على اتساعه في حفظ اللغة رده على
ابن دريد حينما قال في جمهرته : لم يجيء في الكلام
فعل فعلا الا حرفان : حنق حنقا ، وضرط ضرطا .

قال ابن خالويه : وحكى الفراء : حلف حلفا ،
وحبق حبقا ، وسرق سرقا ، ورضع رضعا (2) .

ولابن خالويه حس مرهف في ادراك أسرار اللغة
وتدوقه لها :

قال السيوطي : لم يأت اسم المفعول من افعل
على فاعل الا في حرف واحد ، وهو قول العرب
اسمت الماشية من المرعى ، فهي سائمة ، ولم يقولوا
مسامة .

قال تعالى : « فيه تميمون (3) » من اسام يسيم .
قال ابن خالويه : احسب المراد اسمتها انا فسامت
هي فهي سائمة ، كما تقول : ادخلته الدار فدخل ،
فهو داخل (4) .

وابن خالويه محيط بمعظم كلام العرب ، حافظ
له : قال في كتاب ليس : قلت لسيف الدولة بن
حمدان : قد استخرجت فضيلة لحمدان جد سيدنا لم
اسبق اليها وذلك ان النحويين زعموا انه ليس في
الكلام مثل رحيم وراحم ، ورحمان الا نديم ونسادم ،
وندمان ، وسليم ، وسالم ، وسلمان ، فقلت : فكذلك :
حميد ، وحامد وحمدان (5) .

ويؤمن بلفة الاعراب ، يستشهد بها في مواطن
الاستشهاد قال في شرح الدرديدية :

كل اسم على فاعل ثانية حرف خلق يجوز فيه
اتباع الفاء العين نحو : يعير شمير ، وغيف - رحيم
اخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي ان شيخنا من

- (1) المزهر - 1 - 60 .
- (2) المزهر - 2 - 75 .
- (3) النحل : 10 .
- (4) المزهر - 2 - 88 .
- (5) المزهر - 2 - 90 .
- (6) المزهر - 2 - 90 .
- (7) نزهة الألبا 208 .
- (8) انيساء الرواة 1 - 326 .

ويقول : كان صاحب سنة . فى الظاهر فقط ليقرب الى سيف الدولة الحمداني .

وفى رأى سالم الكرفوكى انه امامى لانه الف كتاب « الإمامة » ومن هذا الكتاب تظهر روح تشييعه واضحة جلية ، ذلك لانه ذكر فى كتابه اشياء لا يقولها اهل السنة .

وفى رأى ان ابن خالويه لو كان اماميا لاشتهر امره ، وفوضه اعداؤه ومنافسوه فى وقت كانت تعد فيه الهفوات .

ولو كان المتنبي يحس بانه امامى لهجاء ، وظهر عواره لسيف الدولة السنى ، ليعده من بلاطه ، ويطرده من بلاده ، ولو كان ابن خالويه اماميا لما سكت عنه ابو علي الفارسي فى رسائله التى كان يبعث بها الى سيف الدولة مدافعا عن التهم التى كان يوجهها اليه ابن خالويه .

ولو كان ابن خالويه اماميا لما تعبد على المذهب الشافعى ، لان الشافعى سنى ، وقد ذكره السبكي فى طبقات الشافعية .

وليس تأليفه لكتاب الامامية يجعله اماميا ، فالرجل مولع بالثقافة الواسعة ، وبالتأليف فى مجالات مختلفة . ومن ثم الف كتابه ليدل على انه ملم بأحداث عصره وبتاريخ مجتمعه .

انتاجه العلمى :

السيوطى فى « البغية » ينص على ان من تصانيفه الجمل فى النحو - الاشتقاق - القراءات - اعراب ثلاثين سورة - شرح الدريدية - المقصور والممدود - الالفات - المذكر والمؤنث - كتاب ليس - كتاب اشتقاق خالويه - البديع فى القراءات (1)

ويريد كتاب الانباه على البغية ما يأتى :

(1) البغية 1 - 530 .

(2) الانباه 1 - 325 .

(3) معجم الادباء 9 - 204 .

(4) غاية النهاية 1 - 237 .

(5) اعراب ثلاثين سورة 14 .

كتاب الاسد - تغية ما اختلف لفظه ، وانفق معناه لليريدى - المبتدا فى النحو - تذكرته ، وهو مجموع ملكته بخطه (2) .

ومعجم الادباء يريد على ما ذكر :

كتاب الال : ذكر فى اوله ان الال ينقسم الى خمسة وعشرين قسما ، وذكر فيه الائمة الاثنى عشر ومواليدهم ووفياتهم ، وغير ذلك (3) .

وغاية النهاية يريد ما يأتى :

حواشي البديع فى القراءات - كتاب مجدول من القراءات الفه لمضد الدولة (4) .

ومن قراءاتي فى مجال دراسة ابن خالويه ازيد على هؤلاء الرواة ما يأتى :

1 - كتاب الريح : وهو مخطوط يتكسون من ثلاث ورقات مخطوط رقم 525 هـ - دار الكتب اوله : قال الشيخ ابو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله ، وصحبه اجمعين ، وبعد فان الريح اسم مؤنثة ... الخ .

2 - كتاب اسماء الله الحسنى :

فقد نص فى كتابه « اعراب ثلاثين سورة » ان له كتابا فى اسماء الله الحسنى ، وقد قال فى ذلك ما نصه : « وقد صنفتها فى كتاب مفرد ، واشتقاق كل اسم منها ومعناه (5) » .

3 - رسالة فى قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات الى آخره .

وقد اشار الى هذه الرسالة الشيخ محى الدين يحيى النوى فى كتابه « تصحيح التنبيه » فى الفقه على مذهب الامام الشافعى للشيخ ابى اسحاق الشيرازي .

وقال ما نصه : قوله : ربنا لك الحمد ملء السموات ، يجوز ملء بالنصب والرفع ، والنصب

اشهر ، ومن حكاهما ابن خالويه ، وصنف في المسألة (1) .

4 - شرح ديوان ابن الهالك حيث فنى بغيره واعرابه (2) .

5 - كتاب مختصر في شواذ القراءات من كتاب « البديع » .

عنى بنشره المستشرق ج برجستراسر وطبع بالمطبعة الرحمانية بمصر 1934 .

6 - كتاب الشجر : وينفي نسبة الكتاب اليه المستشرق ج برجستراسر فيقول : « ليس مصنفه بل الحقيقة ، مصنف اللغوي ابي زيد صاحب كتاب « النوادر في اللغة (3) » .

7 - العشرات في اللغات : اي اللغات التي لها عشر معاني .

وهو مخطوط بمكتبه جيد موثر بطهران ، ونسخ سنة 760 هـ (4) .

8 - كتاب الهاذور الذي رد فيه على ابي على الفارسي حينما الف كتاب « الاغفال » ليرد على شيخه ابي اسحاق الزجاج (5) .

9 - شرح ديوان ابي فراس الحمداني .

وقد جاء في مقدمة شرحه ما نصه :

قال ابو عبد الله الحسين بن محمد بن احمد بن خالويه ، من حل من الشرف السامي ، والفضل والكرم الذائع ، والادب البارع والشجاعة المشهورة ، والسماحة الماثورة ابو فراس الحرث بن سعيد بن حمدون بن الحارث العدوي . كان سيف الدولة ... مثقفا ومتبنيه ... وما زال يعاملني بالمحبة ، يلقي الى شعره دون الناس ، ويخطر على بشره حتى سبقتني واياه الركبان ، فعملت منه ما القاه الى

وشزخته بما أرجو ان يقرنه الله عز وجل بالصواب والرشاد (6) .

وليس لابن خالويه عمل في هذا الديوان غير روايته ، وبيان المناسبات المختلفة للقوائد التي احتواها الديوان .

هذا ، وقد قام الدكتور سامي الدهان بنشر الديوان وتحقيقه في جزئين 1944 م وطبع في بيروت .

10 - كتاب شرح فصيح لعلي بن نفل منه السيوطي في المزهري (7) وبعد .

فان هذا التراث الضخم الذي تركه ابن خالويه ، من ورائه يشهد بقدرته الفائقة ، وثقافته الواسعة ، ومكانته السامية في عصره ، وفيما بعد عصره الى يومنا هذا .

ولم يبق من هذا التراث غير القليل الذي دلنا على نبوغ هذا الرجل ، ومكانته في حقل النحو واللغة .

كتاب الحجة

توثيقه - منهجه

توثيقه :

كان من مراجعي في اعدادي لرسالة الدكتوراه « القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية » (8) كتاب الحجة لابن خالويه ، قرائه ، فراغني فيه اسلوبه الجزل ، وعبارته المختارة ، وعرضه للقراءات في ضوء النحو واللغة عرضا جذابا ، لا يبعد القارئ عنه ، ولا يجعل الملل يتسرب الى نفسه ، يعطيك النتيجة في صراحة ووضوح من غير ان يجهد نفسك ، او يتعب عقلك ، من غير استطراد ، ينسبك موضوع الحديث كما فعل الفارسي في حجته .

(1) التنبيه في الفقه على مذهب الامام الشافعي - 15 .

(2) انظر ص 5 من الكراسة .

(3) مقدمة مختصر شواذ القراءات - 6 .

(4) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ج 2 ص 13 .

(5) خزنة الادب 1 - 352 .

(6) شرح ديوان ابي فراس الحمداني .

(7) المزهري : 1 - 213 ، وغيرها .

(8) نشر دار المعارف بالقاهرة 1968 م .

لهذا صمم هزمي على ان احقق هذا الكتاب بعد انتهائي من رسالة الدكتوراه ، لما فيه من النفع الكبير والخير العميم .

وهالدا احقق رغبتني في تحقيقه ، وافي بالدين الذي حملته على عاتقي منذ ان هشت في هذا الكتاب اثناء دراستي للدكتوراه واقتضى منهج التحقيق ان اوثق هذا الكتاب لا تأكد من نسبته الى ابن خالويه ، لان هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم يرد في كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب الحجة ، وان ذكرت ان له كتابا في القراءات حملت اسما مختلفا ، ولم يحمل واحد منها اسم الحجة ، وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت ان اصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردد ، وبإيمان لا يعرف الشك ان هذا الكتاب نسبته الى ابن خالويه صحيحة ، واليك الدليل

1 - تلميذ ابن خالويه لاستاذة ابن مجاهد فرضت عليه ان يحيا في الدراسة القرآنية، ويتمكن منها ، ويلزم بالقراءات ويدافع عنها ، وابن مجاهد - كما قدمت سابقا - اول من سبغ السبعة وكان اليه المراجع في فن القراءات كما يقول ابن الجوزي (1) ، وابن مجاهد حينما سبغ السبعة ، والى كتابه القراءات السبع شرحه ابو علي الفارسي وسمى بالحجة ثم اختصرها ابو محمد مكي بن طالب المصري المتوفى 437 هـ ثم اختصر هذا الشرح ابو طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي المتوفى 455 هـ (2) .

فاذا كان ابو علي الفارسي يشرح القراءات السبع لابن مجاهد فليس بدعا ان يتولى هذا الشرح ايضا تلميذه ابن خالويه لانه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه وقدم لنا انتاجا ضخما تحدثت منه فيما سبق .

ومن اهم الفروع التي كانت تشغل اذهان العلماء اذ ذاك علم القراءات والاحتجاج بها في مجال اللغة والنحو .

وقد اسهم في هذا الاحتجاج بالتأليف في عصر ابن خالويه محمد بن الحسن الانصاري المتوفى 351 هـ حيث ألف كتاب السبعة بملها الكبير (3) .

وابو محمد بن الحسن بن مقسم العطار المتوفى 362 هـ حيث ألف كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب السبعة لملها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر (4) .

هذا فضلا عن تأليف ابن علي للحجة كما قدمت، وابن جنى للمحتسب في القراءات الشاذة .

ومن اجل ذلك ألف ابن خالويه كتابه الحجة في القراءات السبع ليدلي بدلوه بين الدلاء ، ويسهم في هذا العلم الذي شغل اذهان العلماء في عصره .

وكل الذين ترجموا لابن خالويه اكدوا ان له كتابا في القراءات : كتاب البديع - كتاب مختصر شواذ القراءات - كتاب مجداول في القراءات الفقه لمفسد الدولة كما نص على ذلك ابن الاثير في غاية النهاية (5)

وقد اشار ابن خالويه الى ان له كتابا في القراءات فيقول في كتابه « اعراب ثلاثين سورة » عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى « انعمت عليهم (6) » .

« اجمع العلماء على كسر الهاء في التثنية اذا قلت : عليهما قال الله عز وجل « يخافون انعم الله عليهما (7) الا يعقوب الحضرمي ، فانه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات (8) » .

(1) غايبة النهاية 1 - 142 .

(2) كشف الظنون م 2 نهر 1448 .

(3) الفهرست 433 .

(4) الفهرست 33 .

(5) غايبة النهاية 1 - 237 .

(6) الفاتحة 7 .

(7) المائدة 33 .

(8) اعراب ثلاثين سورة 32 .

وفى كتابه الحجة تجد هذا التعليل الذي اشار اليه (1) والسؤال الذي يقال هنا لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ؟ ولم لم تذكر فى كتب الرواة على حين ذكروا ان له كتباً فى القراءات ؟

1 - اقول قد يرجع ذلك الى ان الكتاب فى القراءات فاستغنوا بذكرها من كلمة « الحجة » مع ان تسمية الكتاب بالحجة تسمية لا غبار عليها ، فهو دائماً فى كل مسألة يكرر هذه العبارة ، والحجة لمن قرأ الخ .

2 - وما لي اذهب بعيدا . وقد قدمت فى انتاجه العلمي ان لابن خالويه كتباً عديدة لم ترد فى كتب الطبقات التي بين ايدينا . ككتاب معجم الادباء والانباء والبنية مع ان ابن خالويه اشار الى بعضها كاشارته الى ان له كتاباً فى اسماء الله الحسنى ، وذلك فى كتابه « اعراب ثلاثين سورة (2) » .

3 - التسمية بالحجة من عمل المتأخرين : ولعل التسمية بالحجة جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة للفارسي وحتى كتاب الحجة للفارسي لم يقدمه ابو علي لعهد الدولة باسم الحجة ، وانما قدمه بهذه العبارة :

« فان هذا الكتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابى بكر أحمد بن موسى ابن العباس ابن مجاهد (3) » .

وابن خالويه لم يشر فى مقدمته الى هذه التسمية ، وان اشار الى ان كتابه فى الاحتجاج . يقول : اني تدبرت قراءة الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل واتقان الحفظ ، المأمونين على تادية الرواية ... الى ان يقول : وانا بمون الله ذاكر فى كتابي هذا ما اجتج به اهل صناعة النحو لهم فى معاني اختلافهم (4) .

ولما كان كتاب ابى علي فى الاحتجاج سمي بالحجة فيما بعد ذلك كذلك كانت انطب تسمية لكتاب

ابن خالويه هي « الحجة » لانه فى الاحتجاج من ناحية ، ولان عبارته فى المقدمة تستوجب هذه التسمية من ناحية اخرى .

4 - التنافس العلمي فى عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتابه الحجة فى القراءات ، فقد كان ابن خالويه منافساً للفارسي وابن جنى ، فاذا كان الفارسي يؤلف الحجة فابن خالويه يؤلف الحجة واذا كان ابن جنى يؤلف المحتسب فى القراءات الشاذة ، فابن خالويه يؤلف كتابه فى شواذ القراءات .

وطبيعة هذا العصر تقتضي هذا التنافس العلمي فى التأليف وفى موضوع بعينه فى كثير من الاحيان .

والدليل على ذلك ان ابا بكر محمد بن الحسن مقسم الف كتاب السبعة بعلمها الكبير - وكتاب السبعة الاوسط ، وكتاب السبعة الاصغر ، كذلك الف محمد ابن الحسن الانصاري فى نفس الموضوع حيث الف كتاب السبعة بعلمها الكبير ، وكتاب السبعة الاوسط وكتاب السبعة الاصغر (5) .

واذا كان الفارسي يقدم كتاب الحجة لمضد الدولة حيث يقول فى المقدمة : اما بعد - اطال الله بقاء مولانا الملك السيد الاجل المنصور ، ولي النعم عضد الدولة ، وتاج الملة - الى ان يقول : فان هذا الكتاب تذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم فى كتاب ابى بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد (6) .

اقول اذا كان الفارسي يقدم كتابه الحجة لمضد الدولة فابن خالويه يقدم له ايضا كتاباً مجسوداً فى القراءات (7) .

5 - ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته الى ابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى ، ويتمثل هذا التشابه فى مدة ظواهر قلما تتخلف اجملها فيما ياتي :

(1) انظر الحجة 3 .

(2) انظر ص 18 ، ص 19 من هذه المقدمة رقم 462 - قراءات دار الكتب .

(3) مقدمة الحجة للفارسي ، نسخة مصورة .

(4) مقدمة الحجة لابن خالويه ص 1 .

(5) الفهرست 32 ، 33 .

(6) الحجة لابى علي الفارسي : ص 3 - نسخة مصورة رقم 462 - قراءات دار الكتب .

(7) غاية النهاية 1 - 237 .

أ - الإيجاز والاختصار فهو في مقدمة الحجة يقول :

« وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحولهم من معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم واختلفهم ... إلى أن يقول : جامعا ذلك بلفظ بين جزل ، ومقال واضح سهل ليقترب على مریده ويسهل على مستفیده (1) .

وفي كتابه « اعراب ثلاثين سورة » يؤكد هذه الظاهرة فيقول : « اني قد تحررت في هذا الكتاب الاختصار والإيجاز وما وجدت إليه سبيلا ليعم الانتفاع به ، ويسهل حفظه على من اراده (2) » .

ب - ومن الظواهر اذا تحدث عن مسألة ، وحرر القول فيها ثم عرضت مسألة أخرى تشبهها لا يعيد القول فيها وإنما يحيل إليه ، وهذه الظاهرة واضحة في الحجة وفي كتابه القراءات المخطوطة بالجامعة العربية ، وفي اعراب ثلاثين سورة .

ج - الاكثار في هذه الكتب من النقل عن أبي مجاهد وابن الأنباري ، وغيرهما من الاعلام الذين سبقوه .

6 - ومن أدلة التوثيق أن الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه كانوا أسبق منه زمنا مما يدل على أن الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه .

7 - ومن الأدلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجة ، ولا أبالغ اذا قلت أن هناك نصوصا بأسلوبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة ، والبيك الدليل :

من كتاب القراءات :

1 - ففي كتاب القراءات المخطوطة بالجامعة العربية رقم 52 قراءات والمنسوب إلى ابن خالويه ورد ما نصه :

- (1) الحجة 1 .
- (2) اعراب ثلاثين سورة 14 .
- (3) الاحقاف 20 .
- (4) القراءات نسخة مصورة ميكروفيلم رقم 52 ، قراءات - الجامعة العربية .
- (5) الحجة - 197 .
- (6) فصلات 16 .
- (7) التمر 19 .

« اذهبتم طيباتكم (3) » قرأ ابن عامر اذهبتم بهمزين الاولى الف تويخ بلفظ الاستفهام ، ولا يكون في القرآن استفهام ، لان الاستفهام استعمال ما لا يعلم والله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها ، فاذا ورد عليك لفظ من ذلك فلا يخلو من أن يكون تويخا أو تقريرا أو تمجبا أو تسوية ، أو ايجابا أو امرا .

فالتويخ : اذهبتم ؟ والتقرير أنت قلت للناس ؟ والتعجب ما القارة ؟ ما الحاقة ؟ ، وكيف تفكرون ؟ ، والتسوية : سواء عليهم انذرتهم ؟ ، والايجاب : اجعل فيها من يفسد فيها ؟ ، والامر : اسلمتم معناه : اسلموا (4) .

وهذا النص مذكور في الحجة على النحو التالي :

اذهبت طيباتكم :

« وكل لفظ استفهام ورد في كتاب الله عز وجل فلا يخلو من أحد ستة أوجه ، إما أن يكون تويخا أو تقريرا أو تمجبا أو تسوية أو ايجابا أو امرا ، فاما استفهام صريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن لان المستفهم مستعلم ما ليس عنده ... والله عالم بالاشياء قبل كونها .

فالتويخ اذهبتم ، والتقرير : أنت قلت للناس والتعجب : كيف تكفرون بالله ، والتسوية : سواء عليهم انذرتهم - والايجاب : اجعل فيها من يفسد فيها .

والامر : اسلمتم ، فعلى هذا يجري ما في كتاب الله فأعرف مواضعه (5) .

2 - في أيام نحسات (6)

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر : نحسات باسكان الحاء ، « وشاهدتهم في يوم نحس (7) » أي في يوم شؤم وبلاء . ويجوز أن يكون أراد : ونحسات مثل فخذات ، فاسكنوا تخفيفا ، وقرأ الباقون يكسر

الحاء ، وحجتهم ان النحسات صفة تقول العرب : يوم نحس مثل رجل هرم ، قال الشاعر :

ابلق جداما ولخما ان اخوتهم
طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

(كتاب القراءات رقم 52 بالجامعة العربية) .

وقال في الحجة :

في ايام نحسات : يقرأ باسكان الحاء وكسرها ،
فالحجة لمن اسكن انه اراد نحس ، ودليله قوله تعالى :
« في يوم نحس مستمر » ويحتمل ان يكون اراد كسر
الحاء فاسكنها تخفيفا والحجة لمن كسر انه جملة جمعا
للصفة من قول العرب : هذا يوم نحس وزن هذا رجل
هرم ، قال الشاعر :

ابلق جداما ولخما ان اخوتهم

طيا وبهراء قوم نصرهم نحس (1)

وبمقارنة هذه النصوص نتبين ان كتاب القراءات
يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب
الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد .

والكتابان مختلفان من الناحية المنهجية . وذلك
لان القراءات المصورة بممهّد المخطوطات بالجامعة
العربية رقم 52 - قراءات - منهج ابن خالويه فيه
يقوم على الاستطراد والاطناب ، فهو يسند القراءة
لاصحابها في سلسلة طويلة ، وهو يتحدث من تفسير
معاني الآيات ، واسباب نزولها ، ويحشد قصصا
عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيها ،
والاحتجاج بها الا جزاء من هذا المنهج ، فكتابه في
حقيقة امره كتاب تفسير لا قراءات ، شأنه شأن كتب
التفسير التي تترى لهذه الأغراض جميعا .

اما كتاب الحجة فهو كتاب موقوف على القراءات
وحدها في مجال الاحتجاج ، ولا يتعرض لتفسير
المعنى الا في القليل النادر الذي يعد على الاصابع .

ولعله من الجائز ان يكون كتاب القراءات اسبق
في التأليف من كتاب الحجة ، ثم لخص هذا الكتاب
وهذه ، وجعله مقصودا على القراءات وحدها ، وظاهرة
التلخيص ليست غريبة على ابن خالويه ، فالمستشرق
برجستراسر يقول عنه : « وكان من عادة ابن خالويه
ان يهدب مصنفات مشايخه (2) » وازيد فاقول :
ومصنفاته ايضا ، ليس كتاب « مختصر في شواذ
القراءات » الذي حققه ونشره المستشرق برجستراسر
هو تلخيص كتابه البديع في القراءات الشاذة . ؟

من كتاب اعراب ثلاثين سورة :

1 - « مالك يوم الدين (3) » قال اهل النحو :
ان ملكا امدح من مالك ، وذلك ان المالك قد يكون غير
ملك ولا يكون الملك الا مالكا (4) .

وقال في الحجة :

مالك يوم الدين : والحجة لمن طرحها (اي
الالف) ان الملك اخص من المالك و امدح ، لانه قد
يكون المالك غير الملك ، ولا يكون الملك الا مالكا (5) .

2 - وما ادراك ما الطارق (6)

قال في اعراب ثلاثين سورة ، حدثني ابن مجاهد
عن السمرى عن الفراء قال : كل ما في كتاب الله :
وما ادراك فقد ادراه وما يدريك فما ادراه بعد (7) .

وقال في الحجة : وما كان في كتاب الله تعالى
من قوله : وما ادراك فقد ادراه ، وما كان فيه من
قوله : وما يدريك ، فلم يدركه بعد (8) .

من كتاب ليس :

قال ابن خالويه : ليس في كلام العرب فعل
يفعل بكسر العين في الماضي والمستقبل من الصحيح

(1) الحجة - 188 .

(2) مختصر في شواذ القراءات تحقيق المستشرق برجستراسر (المقدمة) .

(3) الفاتحة - 4 .

(4) اعراب ثلاثين سورة - 27 .

(5) الحجة - 2 .

(6) الطارق - 2 .

(7) اعراب ثلاثين سورة - 40 .

(8) الحجة - 237 .

الا ثلاثة : نعم بنعم ، بيس يبيس ، يشس يشس ، وقد
يجوز فيهن الفتح وسمع (1) .

وقال في الحجة :

قوله تعالى : تحسبهم (2) يقرأ بكسر السين
وفتحها ، والحجة لمن كسر ان العرب استعملت الكسر
والفتح في مضارع اربعة افعال : يحسب ، وينعم ،
وييس ، ويشس حتى صار الكسر فيهن انصح (3)
من كتاب الريح :

قال ابن خالويه :

وامهات الريح اربعة : الشمال وهي للروح
والنسيم عند العرب ، والجنوب للامطار والانسداد -
والصبا لانفتاح الاشجار ، والذبور لعذاب والبلاء ،
نموذ بالله منها ، فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا هبت الريح يقول : « اللهم اجعلها رياحا ، ولا
تجعلها ريحا (4) » .

وقال في الحجة : وتصريف الرياح (5) ...
فالحجة لمن افرد انه جعلها مذابا ، واستدل بقول
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا لا ريحا .
ثم قال والارواح اربعة اسست اسمائها على
الكعبة ، فما استقبلها منها فهي الصبا والقبول وما
جاء من عيناها في الجنوب ، وما جاء من شمالها في
الشمال وما جاء من مؤخرها فهي الذبور وهي روح
المذاب نموذ بالله منها (6) .

8 - قدم النسخ :

وتاريخ نسخ الحجة الذي قمت بتحقيقه قديم
لانه نسخ سنة 496 هـ وهو تاريخ قريب من عصر
المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما على حين نجد كتاب
القراءات المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة 600 هـ

بمخطوط مختلفة آخرها خط صديق بن عرين محمد بن
الحسين (7) .

وكتاب اعراب ثلاثين سورة الذي نشرته دار
الكتب عام 1941 م امتدت فيه على النسخة التي
ضممتها مكتبة الشنقيطي رقم 7 - تفسير دار الكتب ،
وقد تمت كتابة النسخة في العشر الاولى من شعبان
الذي هو من شهور سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ،
وملك بمدينة صنعاء المحروسة (8) .

وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال
النسخ من الكتب الاخرى التي وصلت اليها امثال
كتاب القراءات ، واعراب ثلاثين سورة . نعم ان
الكتاب نسخة فريدة احتفظت بها مكتبة طلعت رقم
134 قراءات ، وقد اشار اليها بروكلمان في كتابه :
تاريخ الادب العربي (9) وقد حاولت العثور على نسخة
اخرى لا قابها بها حتى يتيسر التحقيق ، وينكشف
الغموض ، ولكن لم يتيسر لي ذلك على الرغم من
اطلاعي على فهارس المكتبات العربية والافرنجية ،
لهذا كانت هذه النسخة هي عمدي في التحقيق ، وقد
يسرت لي مصابيحها واستقام نصها بفضل الله وعونه ،
والهامه وتوفيقه . هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة
في مكتبات العالم لا يفض من قدره ، ولا ينزل من
مكانته ، فتراثنا العربي ذهب معظمه بسبب الاحداث
الجسام ، والفتن التي حلت بالعالم الاسلامي والعربي
في العصور المختلفة .

ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها
الصحف الاخيرة من الحجة ، وهي : « قوبل وصحح
باصله المكتوب منه » ولكن ذهب هذا الاصل ؟

اقول : ذهب هذا الاصل ، لان ظاهرة ضياع
الكتب وفقدانها ليست غريبة على تراثنا العربي ، فهذا
هو ابو علي الفارسي ذكر « ان بعض اخوانه سألته

(1) ليس - 4 .

(2) البقرة - 273 .

(3) الحجة - 29 .

(4) كتاب الريح - 2 .

(5) البقرة - 164 .

(6) الحجة - 21 .

(7) فهرس مخطوطات الجامعة العربية - 12 وفهرس المخطوطات الاولى 1 - س - 276 .

(8) فهرس دار الكتب .

(9) تاريخ الادب العربي : بروكلمان ج 2 - 140 .

وأنه بهذا العمل الذي انفرد به استطاع أن يفتح باب الاحتجاج بالقراءات في مجالي اللغة والنحو ، فتسابق تلاميذه ومعاصروه في التأليف في هذا الفن .

وأول من شرع في هذا من معاصريه « أبو بكر محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتداء بأملائه ولكنه لم يتمه (4) » .

وأمكن لأبي علي الفارسي أن ينجح فيما قصر فيه محمد بن السري فألف كتابه الحجة في الاحتجاج بالقراءات .

ولما كان كتاب الحجة بين أيدينا مخطوطا حيث تضم دار الكتب والمكتبة الأزهرية نسخا منه ، ومطبوعا منه الجزء الأول الذي قام بتحقيقه استاذنا علي النجدي والرحوم الدكتور النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي وهم في هذا التحقيق قدموا جهدا جبارا يتناسب مع هذا العمل الخالد .

وبمقارنة كتاب الحجة للفارسي بكتاب الحجة لأبي خالويه نتبين اختلاف المنهجين ، وبإبان الطريقين : فأبو علي في حجته يفوس إلى الإصمات ، فمن لم يكن ذا مقدرة على الفوس لا يستطيع أن يتابع الفارسي ، ولا يستطيع أن يصل إلى الجوهر المنشود ، فكثرة الاستطرادات ، وضخامة التعاليل قد تحول بينه وبين ما يريد .

ومن هنا كان كتاب الحجة للفارسي كتابا لا يفهمه إلا القلة . ولا تهضمه إلا فئة خاصة . تسلحت بما تسلح به أبو علي من عقلية منطقية ، تؤمن بالقياس ، وتجري وراء العلة . وحتى في عصره عصر الأزدهار الفكري عصر المناظرات التي كانت تتمدد حلقاتها في بلاط الأمراء لم يبق هذا الكتاب قبولا حسنا ولم يصادف في نفوس معاصريه التقدير اللازم لهذا الجهد المبذول فيه .

ويكفي في هذا المقام شهادة تلميذه ابن جنى في ذلك وهي شهادة على النفس لأن أبا علي ابن جنى بمثابة الروح من الجسد .

بفارس أملاء شيء من ذلك فأملى عليه صدرا كبيرا ، وتقصى القول فيه ، وأنه هلك في جملة ما فقده ، وأصيب من كتبه .

قال عثمان بن جنى . وإن وجدت نسخة ، وأمكن الوقت عملت بإذن الله كتابا أذكر فيه جميع المحتلات في كلام العرب (1) ، ولم يكتب ابن جنى بما حدث من شيخه من ضياع كتابه الذي أملاه بفارس ، بل بين في وضوح أكثر « أنه وقع حريق بمدينة السلام فذهب به جميع علم البصريين ، قال : وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي ، وقرأته على أصحابنا فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئا البتة إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد بن الحسن (2) » .

أذن فظاهرة ضياع الكتب ظاهرة سائدة حتى في عصر المؤلفين أنفسهم ، وقد بلى بهذه الظاهرة المجتمع الإسلامي منذ أن أصبحت الدولة دويلات ، وزاد خطرهما أكثر حينما زحف التتار على بغداد ، فالتهم معظم تراث الأجداد ، وماني أذهب بعيدا وهذا السيوطي جماعة الكتب الذي لا يخلو مؤلف من مؤلفاته من ذكرها ، والتعريف بها يقول في كتاب « ليس » لابن خالويه : « أنه كتاب حافل في ثلاث مجلدات ضخمة » وقد طالعتة قديما ، وانتقيت منه فوائد ، وليس هو بحاضر عندي الآن (3) .

مع أن كتاب « ليس » المطبوع بمطبعة السعادة بتصحيح أحمد بن الشنيطي ليست فيه هذه الضخامة التي ذكرها السيوطي مما يدل على أن الكتاب ضاع معظمه .

على أية حال نحن نحمد الله إذ حفظ لنا كتاب الحجة من الفه إلى يائه لم يضع منه شيء ونحمده إذ وفقنا إلى تحقيقه وبسر لنا أمره ، حتى جاء ، وقد وضيت عنه نفسي كل الرضا وأسأل الله أن يتم النفع به .

مقارنة بين حجة ابن علي وحجة ابن خالويه :

قدمت أن ابن مجاهد هو أول من سبغ السبغة ،

(1) معجم الأدباء : 7 - 256 .

(2) معجم الأدباء : 7 - 256 .

(3) المزهر - 2 - 3 .

(4) انظر مقدمة الحجة - رقم 462 ، قراءات نسخة مصورة بدار الكتب ، وانظر مقدمة المحتسب لابن جنى مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

يقول ابن جنى فى كتابه المحتسب ما نصه « فان ابا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجفوه عنه كثير من العلماء (1) » .

ويقول فى موضع آخر عند تعرضه لقوله تعالى فى سورة الانعام « تماما على الذى احسن (2) » .

« وقد كان شيخنا ابو علي عمل كتاب الحجة فى قراءة السبعة فاهمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدمي العربية فضلا عن القراءة ، واجفاهم عنه (3) » .

واما كتاب الحجة لابن خالويه ، فان ابن خالويه فى حجه نهج نهجا آخر ، نهجا يقوم على الرواية والسماع ، فليست اللغة فى نظره تؤخذ من المنطق ، او تقوم على الاقيسة كما كان يفعل ابو علي فى الحجة .

ولعل السر فى تأليف الحجة لابن خالويه انه احس فى مرارة ان كتاب ابي علي ، لا ينتفع به الخاصة فضلا عن العامة فحفزه ذلك الى تأليف كتابه فى أسلوب سهل ممتع وفى عرض يشرق عليك بهاء ويستولى على نفسك جماله ، وقد جعل الاختصار رائده ليتحقق الهدف الاكبر من تأليفه ، وهو انتفاع الناس به او كما يقول : « قاصد قصد الابانة ، فى اقتصار من غير اطالة ولا اكثار » . . جامعا ذلك بلفظ بين جزل ومقال واضح سهل ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيدة (4) .

قيمة كتاب الحجة لابن خالويه فى عصرنا الحاضر :

ونحن نعيش فى عصر السرعة ، ومن متطلبات السرعة الصراحة والوضوح ، صراحة الانكار ، ووضوح المعاني وتحديد اللفاظ ، والوصول الى الهدف من اقرب طريق وايسر سبيل .

وكل ذلك تجده فى الحجة متمثلا فى كل صفحة من صفحاته بل فى كل سطر من سطوره .

ولا اخفى سرا اذا قلت : ان هذا المنهج الذى التزمه ابن خالويه امجبنى وسحرني ، امجبنى لانى استطعت ان اقف على كل مسائل الاحتجاج فى وقت

قصير ، وسحرني لانه يقدم لى خلاصة مهذبة واضحة المعالم ، بينة السمات فى قراءات القرآن الكريم ، والاحتجاج بها .

فنحن اذن فى اشد الحاجة الى هذا الكتاب للوقوف على القراءات القرآنية فى ضوء النحو واللغة من ناحية ولأنه اقدم كتاب ظهر فى القراءات السبع هو وحجة الفارسي من الناحية الاخرى .

وصف كتاب الحجة لابن خالويه :

فى الصفحة الاولى من الحجة تجد ما ياتى :

كتاب الحجة فى قراءات الائمة السبعة من اهل الامصار الخمسة المعروفين بصحة النقل ، واثنان الحفظ ، المامونين فى الرواية للعلامة المحقق امام النحو واللغة ابن عبد الله الحسين بن خالويه رحمه الله ، وحياه من الخير ما يتوالى . قراءات 134 - طلعت .

وفى هامش الصفحة تجد تملكا لهذه النسخة ، ففى قد دخلت فى نوبة العبد الفقير الى الله ابراهيم السدى المصري سنة 1191 هـ ، وكتب انه اطلع على النسخة فراها ومن غير شك ، فان هذه التملكات العديدة تدل على قيمة هذه النسخة ، وتسابق العلماء فى اقتنائها الى ان وصلت الى مكتبة طلعت .

وفى آخر صفحة من الكتاب ذيلت بهذه العبارة:

وقع الفراغ من نسخة كله فى ذي الحجة سنة ست وتسعين وأربعمائة .

وتحت هذا التذييل تذييل آخر ، وهو :

« قوبل وصحح باصله المكتوب منه »

ومن ناحية الخط فانه كتب بخط النسخ الذى كانت تسود الكتابة به فى هذا العصر ، وقد وقفت على ذلك بعد مقارنة قيمت بها فى مخطوطات القرن الخامس الهجري . وقد نسخت من هذه النسخة القديمة نسخة اخرى بقلم معتاد تمت كتابتها فى 28 شوال سنة 1355 هـ ، وهذه النسخة مخطوط رقم 219523

(1) انظر مقدمة الحجة ، وانظر مقدمة المحتسب من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

(2) الانصاف - 154 .

(3) مقدمة المحتسب لابن جنى من مطبوعات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

(4) مقدمة كتاب الحجة - 1 .

دار الكتب (1) ولم اعتمد عليها ، بل اعتمدت على الاصل الذي كتبت منه وهو النسخة التي كتبت في 496 هـ .

منهج ابن خالويه في الحجة وآراؤه :

1 - اعتمد في حجته على القراءات المشهورة ، تاركا الروايات الشاذة المنكورة (2) .

2 - الإيجاز والاختصار حتى يفهم القارئ أو الدارس المراد من غير استطراد ممل ، أو أسلوب معقد ، يقول في المقدمة : « وقاصد قصد الإبانة في اختصار ، من غير إطالة ولا اكثار » .

3 - عرض القراءات من غير سند الرواية ، لان هدفه الإيجاز ولا يلجأ الى نسبة القراءات الى أصحابها الا اذا دعت الضرورة لذلك ، ليتبين مكانة من قرأ بها في حقل الدراسات القرآنية .

4 - واذا عرض لمسألة ، وبين وجه التعليل والحجة فيها ثم تكرر نظيرها ، لا يعيد القول فيها ، وإنما يحينك الى الموضوع حرصا على الوقت ، وإيمانا بالإيجاز .

5 - اللغة في نظره لا تقاس ، وتؤخذ سماعا يقول في قوله تعالى « المتامل (3) » : والدليل على أن اللغة لا تقاس ، وإنما تؤخذ سماعا قولهم : الله متامل من تعالى ، ولا يقال : متبارك من تبارك (4) .

وفي قوله تعالى « في آذانهم من الصوامق » (5) يقول : فأما أمالة الكسائي رحمه الله قوله تعالى « في آذانهم من الصوامق » فإن كان أماله سماعا من العرب ، فالسؤال منه ويل (6) .

6 - ومن منهجه أن لغة العرب ، وإن اختلفت حجة يؤخذ بها ويعتمد عليها ، يقول في قوله تعالى : « وأن كنتم للرؤيا تعبرون (7) » وري من الكسائي أنه أمال هذه وفتح قوله لا تقصص رؤياك (8) .

فإن كان فعل ذلك ليفرق بين النصب والخفض فقد وهم ، وإن كان أراد الدلالة على جواز اللغتين فقد أصاب (9) .

7 - ويطمئن الى أهل قول اللغة لأنهم أصحاب رواية وسماع يقول في قوله تعالى « ولأنك نسي ضيق (10) » يقرأ بفتح الضاد وكسرهما ، وقد ذكرت حجته آنفا ، وقلنا فيه ما قاله أهل اللغة (11) .

8 - ويميل الى لغة أهل الحجاز :

يقول في قوله تعالى : « وزنوا بالقسطاس (12) » يقرأ بكسر القاف وضمها ، وهما لفطان فصيحتان ، والضم أكثر لانه لغة أهل الحجاز (13) .

9 - يدافع عن القراءات السبع ، ويتهم من يصف حمزة بأنه لا يعرف العربية ، واتساع كلام العرب (14) .

- 1) انظر : فهرس المخطوطات : القسم الاول أ - س ص 276 .
- 2) مقدمة كتاب الحجة - 1 .
- 3) الرمسد - 9
- 4) الحجة - 99 .
- 5) البقرة - 19 .
- 6) الحجة - 7 .
- 7) يوسف - 43 .
- 8) يوسف - 5 .
- 9) الحجة - 94 .
- 10) النمل - 70 .
- 11) الحجة - 154 .
- 12) الاسراء - 35 .
- 13) الحجة - 111 .
- 14) انظر : ص 172 عند قوله تعالى : « ومكر السيء » .

10 - ومن منهجه ان القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة والفاظ الامثال ، فقد انكر الخفض على الجوار في قوله تعالى : « وأرجلكم (1) » .

11 - لا يرجع الى تفسير المعنى الا في القليل النادر كتفسيره قوله تعالى : « جعلنا له شركاء فيما آتاهما (2) » .

12 - من النادر تعرضه لاهراب الشواهد التي يحتج بها ، ولكنه في بيت :

يا رب سار بات لن يؤسدا

تحت ذراع العيس او كف اليد

فانه يتعرض لاهراب مواضع من البيت ، مفسرا بعض كلماته (3) .

13 - يعتد برسم المصحف : انظر ص 8 من الحجة عند قوله تعالى : « ان الله على كل شيء قدير (4) » .

وقوله تعالى : « ثم اتخذتم (5) » حيث ذكر ان من اظهر اني بالكلمة على اصلها ، واغتنم الثواب في كل حرف منها (6) .

14 - وابن خالويه يستشهد بالحديث الشريف في عدة مواطن من كتابه الحجة ، انظر مثلا ص 14 ، ص 18 ، ص 38 ، ص 58 .

15 - وهو في الحجة مستقل التفكير ، متحرر النزعة ، لا يتمصب للبصريين ولا للكوفيين ، وقد يعرض آراء المدرستين وحجة كل منهما من غير ترجيح ، وقد يرجع بأدلة براها وقد يختلف عنها بآراء متحسرة .

وظهور هذه النزعة التجديدية في ابن خالويه جعلت المستشرق برجستراسر يقول عنه « في حلب اخذ ابن خالويه يدرس النحو وعلم اللغة ، ونهج فيهما نهجا جديدا ، لانه لم يتبع طريقة الكوفيين ، ولا طريقة البصريين ، ولكنه اختار من كليهما ما كان احلى واحسن (7) » .

قراءات لم ترد الا عن طريقه :

وذلك في قوله تعالى : « فله عشر امثاله (8) »

قال : يقرأ بالتنوين ، ونصب الامثال ، ويطرحه والخفض فالحجة لمن نصب ان التنوين يمنع من الاضافة فنصبت على خلاف المضاف ، والحجة لمن اضاف انه اراد فله عشر حسنات ، فاقام الامثال مقام الحسنات (9) .

وليس في كتب القراءات التي بين ايدينا الا حذف التنوين وجر اللام بالاضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الامصار ما عدا الحسن البصري ، فانه كان يقرأ عشر بالتنوين ، وامثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير ان اجماع قراء الامصار على خلافها .

اما رواية النصب ، فلم أجدها الا عند ابن خالويه .

ينسب الى حفص قراءات لا وجود لها في المصحف الذي بين ايدينا .

يقول في قوله تعالى : (بنصب (10) اجمع القراء على ضم النون الا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح وهما لفتان (11) كذلك ينسب اليه قراءة اخرى لا نراها

- (1) المائدة 6 ، انظر : ص 49 من الحجة .
- (2) الاحرف 190 ، وانظر : ص 76 من الحجة .
- (3) الحجة - 102 .
- (4) البقرة - 20 .
- (5) البقرة - 51 .
- (6) الحجة - 11 .
- (7) مقدمة مختصرة في شواذ القرآن 6 .
- (8) الانعام - 160 .
- (9) الحجة - 66 .
- (10) سورة ص 41 .
- (11) الحجة - 179 .

فى المصحف الذى بين ايدينا عند قوله تعالى
« وعزني فى الخطاب (1) » .

قال : اسكان الياء اجماع الا ما رواه حفص من
عاصم بالفتح لقلة الاسم ، وكذلك قوله وعزني
بالتشديد اجماع الا ما رواه ايضا عنه بالتشديد واثبت
الالف وهما لفتان (2) .

نقد منهجه :

وابن خالويه لم يلتزم منهجه فقد خرج عنه فى
عدة مواضع :

1 - مع الامثلة المتعددة التى تدل على اعتداده
برسم المصحف فانه قد خرج من هذه القاعدة فى
قوله تعالى : « بالغداة والعشي (3) » قال : يقرأ
بالالف وبالواو فى موضع الالف مع اسكان الدال ..
ثم قال .. « والحجة لمن قرأ بالواو انه اتبع الخط
لانها فى السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة لانها
انما كتبت بالواو كما كتبت الصلاة والزكاة (4) » .

وفى هذا مخالفة صريحة للمنهج مع ان هذه
القراءة قراءة ابن عامر من القراء السبعة .

2 - ومع احترامه للسمع وايمانه بالرواية فانه
لا يستطيع ان يتخلص من النزعة النحوية التى تؤمن
بالعلة وتقدس المنطق .

يقول فى قوله تعالى : « وكل اتوه (5) » : فان
قيل : لم يختص ما يعقل بجمع السلامة دون ما لا يعقل
فقل : لفضيلة من يعقل على ما لا يعقل ، ففضل فى
اللفظ بهذا الجمع كما فضل بالاسماء الاعلام فى المعنى ،
وحمل ما لا يعقل فى الجمع على مؤنث ما يعقل ، لان
المؤنث العاقل فرع على المذكر ، والمؤنث مما لا يعقل
فرع على المؤنث العاقل فتجانسا بالفرعية ، فاجتمعا
فى لفظ الجمع بالالف والتاء (6) .

وبعد ، فهذا عمل متواضع بذلت فيه الجهد
وعشت فى مجاله اجمل الساعات ، فغمرني نشوة
روحية ، لانها دراسة فى رحاب القرآن فان جاء هذا
العمل وافيا بالغرض ، محققا للهدف فبتوفيق الله
والهامه ، وان جاء غير ذلك فقد اجتهدت وبذلت ،
والجته ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر .

ارجو من الله ان ينفع به ، وان يثير الطريق امام
الدارسين فى القراءات ، والنحو ، واللفظ ، ليسهموا
فى استمرار هذه الدراسات ونشرها حتى لا يبتلعها
سيل المادية الجارف فى عصرنا الحاضر . انه نعم
المولى ونعم النصير .

- (1) ص 23 .
- (2) الحجة - 179 .
- (3) الانضمام - 52 .
- (4) الحجة - 57 .
- (5) النمل - 87 .
- (6) الحجة - 155 .

نسبة الحجة إلى ابن خالويه لا تصح

محمد عبد الفاسي، الأستاذ بجامعة القرويين

حافظ مكتبة الجامعة

السبع لابن مجاهد فليس بدعا أن يتولى هذا الشرح أيضا تلميذه ابن خالويه لأنه ابن عصره الف في معظم فروع المعرفة السائدة فيه ، ومن ذلك علم القراءات ومن أجل هذا ألف ابن خالويه كتابه الحجة ليدل على بدوهم بين الدلاء وكل الذين ترجموا لابن خالويه أكدوا أن له كتابا في القراءات ، ثم قال :

والسؤال الذي يرد هنا لم لم يشتهر ابن خالويه بالحجة ولم لم يذكر هذا في كتب الرواة في حين ذكروا أن له كتابا في القراءات ...

أقول قد يرجع ذلك إلى أن الكتاب « الحجة » هو في القراءات فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجة . قلت جميع ما كتبه المحقق هنا في الدليل الأول لا يثبت الفرض المطلوب لأن كونه من تلامذة ابن مجاهد وكونه برع في الدراسات القرآنية وألف فيها لا يكفي ذلك دليلا على إثبات نسبة كتاب الحجة له ، وأما كونه ليس بدعا أن يؤلف في الموضوع كما فعل معاصروه أبو علي وغيره ، فصحيح ولكن المسألة مسألة إثبات لا مسألة احتمال وتخمين ، ومن المعلوم أن ابن خالويه ألف في القراءات وذكر منها مترجموه عدة كتب مثل : البديع وكتاب مختصر شواذ القراءات وغير ذلك مما سمي في ترجمته ، فلماذا أجمع أصحاب الطبقات على عدم ذكر كتاب الحجة ، وأما كون كتاب الحجة من كتب القراءات فاستغنوا بذكرها عن كتاب الحجة فنحن نتساءل لماذا لم يذكروا كتاب الحجة الذي هو أفيد لها لو ثبت واستغنوا بذكره عن باقي كتبه في القراءات ، لعدم الترويج عليه بالمرة والاقتصار على ما هو أقل منه فائدة يكاد يكون واضحا في عدم ثبوت هذه النسبة .

(2) قال المحقق : وما لي أذهب بعيدا ولا ابن خالويه كتب عديدة لم ترد في كتب الطبقات وابن

أرى لزاما على أن اتحدث بصفة خاصة عن الفعل الذي مقدّمه المحقق الدكتور عبد المال سالم مكرم في المقدمة التي كتبها من كتاب الحجة ، حيث قال : « اقتضى منهج التحقيق أن أوثق هذا الكتاب لاؤكد من نسبته لابن خالويه لأن هناك سحبا من الشك في نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب إلى ابن خالويه » ثم حصر المحقق دليل هذا الشك في كونه لم يرد في كتب الطبقات التي تعرضت للذكر ابن خالويه وانتاجه وإن ذكرت له موضوعات أخرى في فن القراءات حملت أسماء مختلفة ولم يحمل واحد منها اسم الحجة . إلا أن المحقق لم يذكر هؤلاء المعاصرين الذين تشككوا في صحة هذه النسبة ولو عرفوا لامكننا الإطلاع على رأيهم الكامل في الموضوع بكل دقة ولتأني للباحث معرفة حجة أو على الأقل شبهة التي أوقعته في هذا الشك .

وقد حاول المحقق أن يبرز رأيه في تثبيت هذه النسبة بعد دراسات قام بها لهذا الكتاب ومع باقي مؤلفات ابن خالويه فاستنتج بإيمان لا يتطرق إليه الشك أن نسبة هذا الكتاب لابن خالويه صحيحة . وقد حصر دليل الإثبات في نقط ثمان نستعرضها بإيجاز ثم نقف بنظرنا حول كل نقطة من نقط أدلته .

(1) تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد فرضت عليه أن يحيا في الدراسات القرآنية ويتمكن منها ويلم بالقراءات ويدافع عنها ، ثم قال :

وابن مجاهد حين ما سبغ السبعة وألف كتابه القراءات السبع شرحه أبو علي الفارسي وسمى شرحه بالحجة ثم اختصره أبو محمد مكي ، قال المحقق فإذا كان أبو علي الفارسي يشرح القراءات

ولو نسبيا ، اما النقل عن ابن مجاهد وابن الانفاس وغيرهما من الاعلام الذين سبقوه فليس دليلا على ثبوت النسبة كما هو بديهي .

(6) قوله : ومن ادلة التوثيق ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه انهم كانوا اسبق منه زمنا كما يدل على ان الكتاب لم يؤلف بعد عصر ابن خالويه ، نقول هذا من الاستدلالات الواهية ومتى كان النقل عن اعلام سابقين في الزمان دليلا على تثبيت نسبة كتاب لشخص معين ما لم تقم ادلة خارجية على تصحيح هذه النسبة .

(7) قول المحقق : ومن الادلة تقارب بعض النصوص في مؤلفات ابن خالويه ، لاخرى مع بعض نصوص الحجة . قال : ولا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا بأساليبها وكلماتها في هذه المؤلفات هي بعينها في كتاب الحجة ثم اورد بعض الشواهد على ذلك من كتاب القراءات لابن خالويه المخطوط بالجامعة العربية الى ان قال :

وبمقارنة هذه النصوص يتبين ان كتاب القراءات يحتوي على نصوص كثيرة متقاربة من نصوص كتاب الحجة مما يدل على ان مؤلف الكتابين واحد . نقول هذه المشابهة او المقاربة بين النصوص لا تفيد شيئا في الواقع ومجرد لقاء الباحث نظرة على كتاب الحجة لابي علي الفارسي المعترف به من الجميع مع مراجعة ما قاله النحويون والقراء والمفسرون الاقدمون والمعاصرون للفارسي ولابن خالويه يجد ان جميع تلك النصوص متشابهة ومتقاربة في المعنى وحتى في اللفظ في بعض الاحيان ومع ذلك التشابه والتقارب لا يمكن ان نستدل بذلك على اثبات نسبة كتاب معين لشخص معين بمجرد التشابه والتقارب لاسيما وكتاب القراءات هو بنفسه في حاجة الى اثبات خاص ، ومن المعلوم ان بعض الكتب المنسوبة الى ابن خالويه وقع القدح في صحة نسبتها كما وقع في كتاب الشجر ، والحق انه من تصنيف ابي زيد اللقوي صاحب كتاب النوادر في اللغة كما اورد المحقق نفسه .

(8) الدليل الثامن من عند المحقق مما يحاول به اثبات كتاب الحجة لابن خالويه . قدم النسخ قال : وتاريخ نسخ كتاب الحجة الذي قيمت بتحقيقه قديم لانه نسخ سنة 496 وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاما في حين بعض كتبه الاخرى نسخت سنة 600 وسنة 772 قال : وذلك يؤكد ان كتاب الحجة اقدم كتاب في مجال النسخ من الكتب الاخرى ، ثم قال : ان الكتاب نسخة لم يرد احتفظت

خالويه اشار الى بعضها مثل كتابه في اسماء الله الحسنى نقول : هذا كلام من نمط سابقه فان كتاب الحجة جدير بان يذكر في اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر في كتب الطبقات ولا ذكر في باقي كتب ابن خالويه لهذا دليل على عدم صحة نسبته اليه لان كتب الطبقات لم تذكره ولان ابن خالويه لم يشر اليه في تضافيف كتبه .

(3) الادلة في نظر المحقق ان التسمية بالحجة من عمل المتأخرين وان التسمية جاءت متأخرة عن تأليف كتاب الحجة لابن خالويه وحتى كتاب الحجة لابن علي الفارسي لم يقدمه ابو علي لعهد الدولة باسم الحجة الخ .

لا ادري ماذا يقصد الاستاذ المحقق من هذه النقطة الثالثة ولا ادري ما هو مبنع اثر تاخير التسمية في موضوع اثبات النسبة او عدم اثباتها .

على اننا نؤكد ان النسخ العتيقة التي توجد من كتاب الحجة لابي علي الفارسي مكتوب بظهر اول ورقة من اجزائه بخط عريق في القدم من نسخة كان يمتلكها الحافظ الحجة ابو الحسن علي بن محمد الشاري ما صورته : الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . فمن ابن الجزم بان ابا علي الفارسي لم يسم كتابه بالحجة وقد اطبقت فهارس الاشياخ الاقدمين على تسمية كتاب ابي علي الفارسي بكتاب الحجة وكذلك اطبقت نقول اشياخ القراءات في كتبهم على هذه التسمية ولم يشر واحد منهم على ان التسمية من وضع غيره .

(4) الادلة قول المحقق : التنافس العلمي في عصر ابن خالويه يفرض عليه ان يؤلف كتاب الحجة في القراءات وانا لا ادري ما وقع هذا الدليل والتنافس العلمي ولو بلغ ما بلغ لا ينتج مثل هذا الفرض المشكوك فيه من اصله ، وقد وقع التنافس في كثير من الفنون في عصره وام يؤلف ابن خالويه في جميع تلك العلوم المتنافس فيها .

(5) خامس الادلة قوله : ومن اوضح ادلة التوثيق لهذا الكتاب ونسبته لابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الاخرى وجمل المحقق هذا الاسلوب والمنهج محصورا في الإيجاز والاختصار وفي أشياء أخرى ذكرها . نقول ان الاسلوب والمنهج الذي كان سائدا في عصر ابن خالويه لم يكن خاصا به بل كان عاما لدى الشخصيات التي تعلمت لابن مجاهد وابو علي الفارسي في كتبه لم يكن يتبع غير طريقة الإيجاز

خير من ذكر أهميات الكتب الكبرى في مصورها الاولى بالنسبة للمشاركة والمشاركة فيما ذكر كتاب المنتخب في مختصر كتاب الحجة للفارسي تأليف أبي محمد مكي ابن أبي طالب ولم تخرج الفهرسة المذكورة ولا غيرها من الفهارس والمراجع وطبقات القراء على كتاب الحجة المشهور لابن خالويه ، وفي خزائن القرويين بقية من اجزاء هذا الكتاب العظيم الذي خلفه ابو علي الفارسي معجزة من مفاخر هذا العقل الوهاب العالم بأسرار اللغة العربية ومقاييسها وفي هذه البقية عنوان احد اجزائه المكتوبة في الرق .

الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار الخ . واسفله : لملي بن محمد بن علي الشاري نفعه الله به . وبالاسف الشديد لم يبق من هذه النسخة المتينة الا بقايا لا تتجاوز اوراقا معدودة ، ولكن من لطف الله وجود نسخ تامة في الشرق الاسلامي في دار الكتب والمكتبة azherية وقد طبع منه الجزء الاول بتحقيق العالم علي النجدي ورفاقه .

فالذي يظهر لنا اذن بعد تتبع ملاحظات الاستاذ المحقق في خصوص اثبات نسبة كتاب الحجة لابن خالويه لان ذلك لا يمكن من طريق التمهيص العلمي ، لما لا يمكن ان ننفيه عنه نفيا قاطعا ، والذي تميل اليه النفس هو ان كتاب الحجة هذا احد المختصرات التي اختصر بها كتاب الحجة الاصيل لابن علي الفارسي لعالم مجهول والذي جعلنا نميل الى نفي هذه النسبة هو ان جميع المصادر التي ترجمت ابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تاليفه الحجة ولم يرجع اصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه ، ومن المعروف امتناء الاندلسيين والمغاربة والمشاركة بين القراءات وتصفحهم الدقيق لكل ما كتب في الفن في العصور السابقة ، وروايتهم ذلك بالاسانيد القوية ، ولم نر فردا منهم اشار اليه ولا لمح الى وجوده ، اما التعليل بظاهرة ضياع الكتب وفقدانها حتى لم يبق الزمان الا على نسخة واحدة ، فهذا يمكن قبوله لو ذكر الكتاب ولو مرة في مصدر من المصادر القديمة لاسيما ونحن نعرف قائمة طويلة من الكتب الضائعة لسبب من الاسباب ولكن في الوقت نفسه نجزم بنسبة الكتاب الضائع لصاحبه المعين بسبب تعدد ذكره في المصادر والاشارة اليه وحيدا لو كانت نسخة مكتبة طلعت التي من عليها المحقق نسخة علمية عليها سماعات وقراءات بخطوط عاماء معروفين في التاريخ لو كان ذلك لوقع بعض الاطمئنان .

بها مكتبة طلعت رقم 134 قرايات وقد اشار اليهيا بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي . ثم قال : وقد حاولت العثور على النسخة الاخرى حتى يتيسر التحقيق ويتجلى القموض . ثم قال اخيرا : هذا وانفراد الحجة بنسخة واحدة في مكتبات العالم لا يتقص من قدوه ولا ينزل به من مكانه ولا ادل على ذلك من هذه العبارة التي ذيلت بها الصفحة الاخيرة من الحجة وهي « قوبل وصحح باصله المكتوب منه ولكن ابن ذهبت هذا الاصل اقول يعني المحقق ذهب هذا الاصل لان ظاهرة ضياع الكتب وفقدانها ليست غريبة على لساننا العربي ه » .

وهكذا نلاحظ ان ما قام به جناب المحقق من محاولات لاثبات نسبة الحجة لابن خالويه لا يصمد امام البحث العلمي ، فتاريخ النسخ المكتوب باخر نسخة الحجة التي اعتمدها المحقق لا يمكن الاعتماد عليه حيث ان النسخة هاربة من اسم الناسخ ولو ذكر لا يمكن البحث عنه ومعرفة وزنه وقيمته زيادة على ان الخط ليس من الخطوط المتداولة في القرن الخامس الهجري يعرف هذا بالبداية من له خبرة بالخطوط وتطوراتها والمقابلة المذكورة لا تفيد اي شيء لان كاتبها مجهول ، وقد هودتنا المصادر العلمية بالاندلس وغيرها ان الناسخين يذكرون الاصول التي اعتمدها في نسخهم مع التبرير باصحابها وذكر الاسانيد التي توصلهم الى مؤلفيها ثم يذكرون المقابلة والسماع والطباق وتاريخ كل دولة من دول المقابلة ومع من كان يقابل وهذا شيء لا نجده مقتضورا في كتب الاقدمين على كتب التفسير والحديث بل نجده كذلك واضحا في كتب النحو واللغة والاداب ، وهذا ابو علي الصديقي محقق كتب الحديث نراه يطبق منهجه في كتب اللغة والنحو وسائر الفنون الاسلامية ، وكما وقفنا على نسخ من كتاب سيبويه بلغت الدرجة في الاتقان واجادة الرواية مع كتب السماع ، وهذه فهرسة الكاتب الراوية ابي بكر بن خير الاموي الفاسي يعطي فيها المثال الواضح والنموذج المثالي لعمل الاندلسيين في هذا الباب ، ونرى ابن خير يذكر في كتب القراءات التي يرويها باسانيد كتاب الحجة لابن علي الفارسي هكذا :

كتاب الحجة لاختلاف القراء رحمهم الله تأليف ابي علي الحسين بن عبد الغفار الفارسي النسب البسوي المولد النحوي رحمه الله حدثني به شيخنا الخطيب ابو الحسن شريح بن محمد المقرئ (صفحة 42 طبع مدريد) كما ذكر في الصفحة نفسها : كتاب اختصار الحجة المذكور تأليف ابي عبد الله محمد بن شريح بن احمد المقرئ رحمه الله وقد اكثر ابن

حول تحقيق كتاب ابن الجوزي

تقويم اللسان

الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- الرباط -

وقد شرعنا في تحقيق (المخطوط)
فوجدنا انه كثير التصحيف ، وراينا من
الضروري ان نرجع الى المراجع اللغوية : كلسان العرب
والصاحح ، والقاموس ، وتاج العروس ، و (تكملة
اصلاح ما تفلط فيه العامة) للجواليقي و (المغرب من
الكلام الامجمي) للجواليقي ، و (شفاء الغليل ، فيما
في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الخفاجي .
فوجدنا ان كثيرا مما ينتقده ابن الجوزي يجيزه بعض
آخر ! فشرعنا في تسجيل التعليقات التي لم تكن نظن
اول الامر اتنا في حاجة اليها !

وبينما نحن نواصل عملنا قرانا في بعض الصحف
نبا طبع الكتاب ! فلم تلبث هممتنا ان فترت عن مواصلة
العمل ! في انتظار الاطلاع على الناشر . ولكننا لم
نتوقف للوقوف عليه ! شأنه في ذلك شأن كثير من كتب
التراث والدراسات الجادة التي تطبع في البلاد العربية
ولا يصل منها شيء للمغرب !

واخيرا ارتأى الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله اننا
بدلنا مجهودا فيما حققناه من الكتاب لا موجب لقيامه،
فقد يكون في نشر ما اتممنا تحقيقه في (مجلة اللسان
العربي) التي يصدرها (المكتب الدائم) فائدة لبعض
القراء ، فلم ار مانعا من الموافقة على ذلك .

على أمل ان تسمح لنا ظروفنا بالتمام بتحقيق ما
بقي من الكتاب ، واعادة النظر مرة أخرى فيما علقناه !

عندما طلب مني صديقي الاستاذ عبد العزيز
بن عبد الله ان اختار رسالة مخطوطة تتناول موضوعا
لغويا للتعاون معا على تحقيقها ونشرها ، في نطاق
نشاط (المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن
العربي) التابع (لجامعة الدول العربية) والذي يوجد
مركزه بالرباط . اتجه ذهني الى كتاب (تقويم اللسان)
لابي الفرج ابن الجوزي ، الذي توجد منه نسخة
مخطوطة في (قسم المخطوطات التابع للخرانة العامة
للكتب والمستندات بالرباط) ضمن مجموع يحمل رقم
د 1872 فهو :

1 يذكر الالفاظ التي يخطئ الناس في
استعمالها ويبين وجه الصواب فيها .

2 - وهو رسالة صغيرة تقع في 20 ورقة .

3 - ثم هو من تأليف وامظ شهير ، ومؤلف
مكثر ! وقد وافق الصديق على الفكرة .

ورجعنا الى (فهرس المخطوطات المصورة)
بمعهد احياء المخطوطات العربية ، ج 1 تصنيف المرحوم
الاستاذ فؤاد سيد . فوجدنا فيه نسختين :

احدهما بعنوان (غلطات العوام) رقم لفة 190
ص 362 مصورة من مكتبة لالهلي باستانبول .

والثانية بعنوان (ما تلحن فيه العامة) رقم لفة
227 ص 368 مصورة من مكتبة شهيد علي .

وصف المخطوطة

تقع مخطوطتنا من (تقويم اللسان) في 42 ص ، في اولها اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وبعض التملكات ، منها تملك يوسف الانصاري بتاريخ 1177 هـ وتوقيعه وطابعه .

وفي اخرها : كذا ، وهو خطأ ، لان اليوم انقضى . وهذا آخره والله اعلم . ووافق الفراغ من كتابتها في يوم الاربعاء المبارك ثامن عشر شهر شعبان المعظم من شهر سنة تسعة وأربعين والف .

وهي بخط مشرقى جميل ، خالية من تسمية الناسخ ومسطرتها 25 .

هل هو مؤلف واحد او اكثر ؟

ذكرنا فيما سبق ثلاثة اسماء هي :

1 (تقويم اللسان) وهو اسم نسختنا ، وهو الاسم الذي ذكره سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان) وقال : انه جزآن ا (د ص 484 من القسم الاول من الجزء الثاني ، طبع حيدرآباد الدكن 1370 هـ 1951 م)

وهو ايضا الاسم الذي ذكره ابن رجب في (الذيل على طبقات الحنابلة) مما نقله ابن القطيبي من خط ابن الجوزي ، وقال : انه مجلد ا (د ج 1 ص 419 طبع القاهرة 1373 هـ 1952 م) ثم اعاد ابن رجب ذكره مرة اخرى - فيما استدركه على ابن القطيبي ا (ص 420) .

وهو ايضا الاسم الذي ذكره اسماعيل البغدادي في (هدية العارفين ، اسماء المؤلفين ، وآثار المعنفين) ج 1 ص 521 طبع استانبول 1951 .

وذكر عبد الحميد الطلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) رقم 85 (تقويم اللسان) وقال ان منه

نسخة مخطوطة في مكتبة طلعت برقم 427 لفة ... (ص 85) .

وسماه الخوانساري في (كتاب روحيات الجنات في احوال العلماء والسادات) ص 427 : (تقويم لفظ اللسان) ا

كما ذكر الطلوجي (مختصر تقويم اللسان) رقم 357 ، وقال ان منه نسخة في مكتبة مدرسة سبسالار .

واما الاسم الثاني وهو (غلطات العوام) فذكر الطلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) (ص 85) ان بروكلمان ذكره ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة يحيى افندي باستانبول .

واما الاسم الثالث وهو (ما تلحن فيه العامة) فقد ورد في (كشف الظنون) (ما يلحن فيه العامة) وقال عنه : مختصر في فصول ... ذكر فيه وانتخب من كتب هذا الباب ما نعم به البلوى دون ما يشذ استعماله ويندر . (ج 2 ضلع 1577 طبع استانبول 1362 هـ 1943 م) .

وذكره ايضا البغدادي في (هدية العارفين) (ج 1 ضلع 522) على انه كتاب آخر غير (تقويم اللسان) !

وزاد عبد الحميد الطلوجي في (مؤلفات ابن الجوزي) رقم 86 (تقويم اللفة) وقال : ذكره بروكلمان ومنه عدة نسخ مخطوطة في المكتبة البودلية ، وفي برلين وفي الايسكوريال ، وفي خزانة لالهلى باستانبول .

ويلاحظ ان الرقم الذي ذكره لنسخة لالهلى هو 3573 ، وهو نفس الرقم الذي في (فهرس المخطوطات المصورة) باسم (غلطات العوام) ا

وهكذا يتأكد ان جميع هذه الاسماء اسم لسمى واحد الا ان يكون (مختصر تقويم اللسان) مختصرا من هذا ! .

1940-1941

1940-1941

The first part of the year was spent in the field, collecting specimens and making observations on the habits of the various species of birds.

The first part of the year was spent in the field, collecting specimens and making observations on the habits of the various species of birds.

The second part of the year was spent in the laboratory, preparing the specimens and making measurements of the various parts of the birds.

The second part of the year was spent in the laboratory, preparing the specimens and making measurements of the various parts of the birds.

The third part of the year was spent in the field, making observations on the habits of the various species of birds.

The third part of the year was spent in the field, making observations on the habits of the various species of birds.

1942-1943

1942-1943

The first part of the year was spent in the field, collecting specimens and making observations on the habits of the various species of birds.

The first part of the year was spent in the field, collecting specimens and making observations on the habits of the various species of birds.

The second part of the year was spent in the laboratory, preparing the specimens and making measurements of the various parts of the birds.

The second part of the year was spent in the laboratory, preparing the specimens and making measurements of the various parts of the birds.

The third part of the year was spent in the field, making observations on the habits of the various species of birds.

The third part of the year was spent in the field, making observations on the habits of the various species of birds.

The fourth part of the year was spent in the laboratory, preparing the specimens and making measurements of the various parts of the birds.

The fourth part of the year was spent in the laboratory, preparing the specimens and making measurements of the various parts of the birds.

The fifth part of the year was spent in the field, making observations on the habits of the various species of birds.

The fifth part of the year was spent in the field, making observations on the habits of the various species of birds.

نشاط الجمع والمكتب الدائم للتغريب

- ♦ المكتب الدائم في سنته الثامنة
- ♦ مسابقة المكتب الدائم
- ♦ نشاط الجمع السوري للغة العربية
للاستاذ جعفر الحسني
- ♦ مشروع النظام الاساسي لاتحاد الجامع اللغوية العلمية
العربية
- ♦ بين المجلة وقرائها
- ♦ مجلة المجلات : اللغة العربية
للاستاذ احمد العاليد

المكتب الدائم في سنته الثامنة

1962 - 1970

(4) متابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي ، بالتنبيه على ما يراه من خطأ فيها وتشجيع الصواب وتقديم المشورة .

ونلخص فيما يلي مختلف المنجزات والنشاطات التي قام بها المكتب منذ انشائه الى ان انضم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

(1) منجزات السنوات (من 1962 الى 1965)

رغم ضعف وسائل المكتب المادية والبشرية (قبل اندماجه في جامعة الدول العربية) فقد قام طبقا لتصميم ثلاثي لتعريب التعليم والادارة ومظاهر الحضارة باعداد ما يلي :

— مجلة « اللسان العربي » ، وهي مجلة دورية تعنى بمختلف الدراسات اللغوية العلمية منها والادبية ، وكذلك مختلف نشاطات المكتب والمجامع والجامعات والشخصيات العلمية في الوطن العربي وفي بقية العالم في ميدان التعريب وقد صدر منها خلال هذه الفترة ثلاثة اعداد (الاول والثاني والثالث) .

— سلسلة معاجم علمية تعاون على تأليفها مع بعض المؤسسات العربية والمجامع اللغوية والعلمية والافراد العالميين وهي :

- (1) معجم الرياضيات
- (2) معجم الفيزياء
- (3) معجم الكيمياء

انعقد مؤتمر التعريب من 3 الى 7 ابريل 1961 وانبثق عنه مكتب دائم الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربية في ميدان التعريب على اساس استفادة المغرب العربي من تجربة الشرق العربي في حقل التعريب ، وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية بناء على قراره رقم 2541 د - ج - 4 - 1969 في دور انعقاده العادي الحادي والخمسين على النظام الاساسي للمكتب واقرار ميزانيته اصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية هدفها بتلخيص فيما يلي :

(1) تلقى وتبج ما تنتهي اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله ومقارنته وتصنيفه ليستخرج منه ما يتصل بالفراض التعريب وعرضه على مؤتمرات التعريب .

(2) التعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية لتتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فيها ولتلقى النتائج العلمية التي تنتهي اليها الجهود في تلك البلاد .

(3) العمل بكل الوسائل الممكنة على ان تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في جميع البلاد العربية بالتعاون والتنسيق التام مع جامعة الدول العربية والمجامع اللغوية ومع غيرها من جهات الاختصاص في البلاد العربية .

(2) سلسلة معاجم صغيرة تعني بالمصطلحات الحضارية كجزء من معجم المعاني وهي :

- معجم الاسماء والعلوم والفنون والمذاهب والنظم .
- معجم الاجهزة والآلات
- معجم الالعب واللعب العربية القديمة
- معجم السماكة والاسماك
- معجم الالوان
- معجم الحرف والمهن ومعجم الاحجار والمعادن والفلزات
- معجم الاطعمة
- المعجم المنزلي
- معجم البناء

(3) معجم الحساب الابتدائي :

وهو معجم فرنسي - عربي للمصطلحات المستعملة في المدارس الابتدائية وضع طبقا لحاجيات المدارس بالمغرب العربي .

(4) استجابة لرغبة وزارة الفلاحة والمصلحة التوبوغرافية المغربية قام المكتب بتعريب القسم الاول من المعجم الاخرطي المتعدد اللغات الذي امدته الجمعية الاخراطية الدولية بعدما قررت الموافقة على طلب ممثل المغرب باضافة اللغة العربية الى لغات المعجم الست ، وقد صدر هذا العمل ضمن العدد السابع من مجلة « اللسان العربي » .

وتجدر الملاحظة هنا الى ان المكتب يتلقى بصفة مستمرة من الوزارات والمؤسسات الحكومية وفيها بالمغرب قوائم المصطلحات التقنية في مختلف العلوم والفنون قصد تزويدها بالمقابل العربي .

(5) اعداد مشروع معجم الاقتصاد والقانون الذي سيورع خلال هذه السنة على نطاق واسع في الوطن العربي لاجل الدراسة وابداء الرأي من طرف المختصين في الموضوع .

وبالاضافة الى ذلك فقد قام المكتب بمدة نشاطات موازية لما انجزه خلال السنوات السبع الماضية تلخص فيما يلي :

— المشاركة في عدة مؤتمرات ومناسبات عربية كبرى مثل معرض طرابلس سنة 1963 واشرافه بجانب الجامعة العربية على المؤتمر الثاني للمصطلحات

(4) معجم الفقه والقانون

(5) معجم الاشغال العمومية

(6) معجم السياحة

(7) معجم الطحانة والخبازة والفرازة

(8) معجم مصطلحات السيارة

هذا وقد وزعت في وقتها في العالم العربي وتوصلنا بملاحظات في شأنها .

ومن المعلوم انه خلال هذه السنوات انكب المكتب الدائم على تحضير ندوة في خصوص تأليف معجم مدرسي موحد انطلاقا من اقتراح ممثل الجمهورية العربية المتحدة في المجلس التنفيذي للمكتب الدائم بالرباط (الدورة الاولى لعام 1962) ، غير ان الندوة المقررة في شأنه لم تنعقد لعدم توفر الخبراء الذين كان من المقرر ان يناط بهم مراقبة الاعمال الاولى لاعداد هذا المشروع .

ونعد الآن لهذه الندوة باعداد معجم ابتدائي للعلوم ثم معجم ابتدائي حضاري بالاضافة الى معجم الحساب .

ب (منجزات السنوات (من 1966 الى 1970)

استهل المكتب عمله بادی ذي بدء بوضع تصميم عشاري للتعريب (لمدة عشر سنوات) من اجل اعداد معجم علمي وتقني عام وزع في ابانه على الدول العربية من اجل ابداء الرأي والمشاركة في تنفيذه .

وقد شرع المكتب حينما في تنفيذ هذا المشروع مستهلا عمله بوضع جزرات (بطاقات) باللغات المختلفة للمصطلحات التي توصل بها من الجامعات والجمعيات والمجالس العليا والهيئات الثقافية والشخصيات العلمية بالوطن العربي وكذلك من الخبراء العرب ومن مراسلي المكتب الذين هينتهم مختلف الحكومات العربية في مختلف الشعب العلمية والتقنية ، وقد تجاوزت هذه الجزرات لحد الآن ثلاثمائة الف جزاة وما زال عددها في حالة نمو مستمر .

وفي نطاق هذا التصميم اصدر ما يأتي :

(1) مجلة «اللسان العربي» (اربعة اعداد) (الرابع والخامس والسادس) أما السابع فقد صدر في جزئين (الاول للدراسات والابحاث اللغوية والثاني للمعاجم التي وضعها المكتب وبعض مراسليه في مختلف الفنون والعلوم) .

العربية بالجزائر سنة 1964 وشارك في مؤتمرات وزراء التربية العرب ببنفساد والكويت وفي عدة اجتماعات أخرى عقدت في بعض الدول العربية .

— تنظيم سلسلة من المهرجانات كاسبوع التعريب بالمغرب سنة 1964 والمواسم الثقافية والقضائية والعلمية المشتملة على المحاضرات والندوات والمعارض قصد التعريف بالكتاب العربي في فنونه المختلفة وكان الغرض من هذه الاعمال هو التعريف بجهود الدول العربية في حقل التعريب وما وصلت اليه العربية في ميدان الثقافة والعلم بالإضافة الى توعية الجماهير لاحتلال اللغة العربية المكانة اللائقة بها في المجتمعات العربية وخصوصا منها اقطار المغرب العربي نظرا لحاجته الماسة للتعريب .

وفي نطاق هذه الحملات اصدر المكتب مجعما لمحاربة الدخيل الاجنبي تحت عنوان (قل ولا تقل) وقد كان محل اهتمام بالغ من لدن اجهزة الاعلام في اقطار المغرب العربي . وقد صمم المكتب الدائم العزم على محاربة الدخيل الاجنبي خاصة في التعبير الاشعاري في مجالات التجارة والصناعة فالتفق في المغرب مع المسؤولين الاداريين على اعادة النظر في اللوائح الاشعارية من اجل تصحيحها في المتاجر والمصانع ، ومما اقرته وزارة الداخلية المغربية في هذا الشأن اجبار اصحاب المنشآت والمؤسسات التجارية والصناعية الجدد على تقديم طلب رخصة خاصة يحتوي على تسمية المؤسسات او المنشآت للتصديق عليها من طرف مكتبنا .

والى جانب ذلك انشا في مبنى للحكومة المغربية (مقره القديم) مكتبة تحتوي على كتب ومجلات علمية وثقافية وضمت رهن اشارة المثقفين والباحثين والاساتذة والطلاب للاستفادة منها وللتعريف بجهود الدول العربية في مختلف الميادين العلمية والثقافية والفنية ، وما زال يناشد الدول العربية لتنميتها وتنويعها نظرا للاقبال المتزايد لروادها .

برامجه وجنوله خلال سنة 1970 - 1971

(1) اعداد مجلة اللسان العربي (المجلد الثامن في ثلاثة اجزاء) في نفس نسق المجلد السابع .

(2) تنسيق المشاريع المعجمية التي اصبح المكتب يتبناها بتكليف من مجلس جامعة الدول العربية

في موضوع توحيد المصطلحات العلمية حتى مرحلة الدراسة الثانوية بين الدول العربية في خصوص المعاجم الآتية :

- معجم الرياضيات
- معجم الكيمياء
- معجم الطبيعة (الفيزياء)
- معجم الحيوان
- معجم الجيولوجيا
- معجم النبات

وبما ان الاجوبة التي توصلنا بها من الدول العربية لم تتضمن اراء كل من سوريا - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - فقد اضطر المكتب الى اعداد معاجم اضافية تكميلية تشمل بقية الحصيللة الفنية التي لم ترد في هذه المشاريع .

ونظرا لصيغة الاستعجال التي تكتسيها هذه المشاريع فقد اعطيناها الاولوية واجلنا عملنا فيما يتعلق ببعض المشاريع المعجمية التي تضمنها تقريرنا المقدم الى مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده العادي الثالث والخمسين (آذار - مارس 1970) باستثناء ما يرد علينا من المنظمات العربية من اجل التحقيق والتنسيق والتي تفرضها الحاجيات الملحة المفروضة في الوطن العربي نذكر منها على سبيل المثال :

— مشروع القاموس البريدي الذي احواله علينا الاتحاد البريدي العربي من اجل ابداء رأينا في محتواه ، وقد وضعنا تقريرا عنه يتضمن ملاحظاتنا واقتراحاتنا في الموضوع . وبالفعل فقد تم اخراج هذا القاموس متضمنا التعديلات التي ادخلنا عليه .

— مشروع معجم المصطلحات البترولية الذي ورد علينا من المنظمة العربية للبترول من اجل تنسيقه . وقد قمنا باعداد الاقسام الثلاثة الواردة علينا مع وضع المقابلات الفرنسية واضافة مشروع معجم ملحق حاولنا ان نستقصى فيه ما فات المشروع الاول من مصطلحات انطلاقا من احدث المعاجم المستعملة في منظمات البترول العالمية .

— اعداد معجم علمي للمدارس الابتدائية العربية تميما لما ورد في معجم الحساب الانف الذكر من المصطلحات العلمية .

مسيطرة العمل في خصوص تنسيق المصطلحات

يتلخص المنهج الذي وضعه المكتب لتنسيق المعاجم في :

أ - استقصاء المصادر العربية لتتبع مختلف المصطلحات المقترحة للمدلول الواحد .

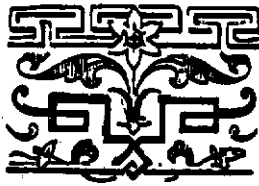
ب - وضع المقابلات الأجنبية بنفثة نائثة وهي الفرنسية أو الانجليزية بالإضافة الى العربية في خصوص المعاجم الكلاسيكية التعليمية مراعاة للاختلاف في المناهج بين الدول العربية التي كانت تستعمل اللغة الانجليزية في التعليم والدول العربية الأخرى التي كانت تستعمل الفرنسية .

وإذا كان للمعجم صبغة تكنولوجية دولية فإننا سنحاول إضافة لغات أخرى كالألمانية والروسية

ج - استقراء المفاهيم على الصعيد العالمي في الإطار المحدد للمعجم .

د - ميده الاحتفاظ بالمشروع الاصلي لكل معجم وإضافة مقابل اجنبي ثان انجليزي أو فرنسي مع اثبات ملحق من المصطلحات الإضافية المستعملة في هذا النسق أو ذاك من الوطن العربي .

هـ - إصدار مشاريع المعاجم المنسقة في جزء خاص في كل طبعة من مجلة « اللسان العربي » مع طبعة أخرى مستقلة لكل مشروع معجم ضمن ملحقه مرتبين ترتيباً موحداً ، وذلك من أجل عرضها على الاختصاصيين والخبراء في البلاد العربية والدول العربية المهتمة بالإشتراق والاستعراب تمهيداً لعرضها على ندوة الخبراء العرب تنمقد في إحدى المواسم العربية باتفاق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحت إشراف جامعة الدول العربية وذلك لإقرارها نهائياً والعمل على تطبيقها بكيفية موحدة في الجهاز التعليمي بالدول العربية .



مسابقة المكتب الدائم

وقد وردت على المكتب - تلبية لندائه -
الابحاث والمخطوطات الآتية :

1 (منهج النوبري في « نهاية الارب في فنون الادب »
لمبد الحليم الندوي
استاذ الادب العربي بالجامعة العاية الاسلامية
- دلهي الجديدة - (الهند)

2 (كتاب « الحجة في قرارات الائمة السبعة من
اهل الانصار الخمسة »

شرح وتحقيق ودراسة :
عبد العالي سالم مكرم
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها
من كلية دار العلوم ، والمدرس بجامعة الكويت

3 (نحو العربية الدارجة
محمد بن عبد الرحمان ماديير

4 (الارجوزة المسماة « بالمورث لمشكل المثلث »
صححها وشرحها :
محمد بن رمضان شاوش
الاستاذ بثانوية الحكيم ابن الزرجي
تلمسان - (الجزائر)

في اواخر عام 1969 شرع المكتب الدائم
لتنسيق التعريب في الوطن العربي في تنظيم
مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة
عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب ،
وقد اختار لتدشين هذه البادرة ان يكون موضوع
المسابقة التي تجري على الصعيدين العربي والاسلامي
ما يلي :

- تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة
العربية -

وتخصص لذلك جائزة قدرها خمسة آلاف درهم
او ما يقابلها من عملات اجنبية مع جوائز ثانوية اخرى
ويشترط ان يكون المخطوط القديم في موضوع اللغة
العربية على شكل معجم او دراسات او ابحاث خمسية
(لم يسبق نشرها) وان يكون ذا قيمة جديرة بالاعتبار،
كما يشترط ان يكون البحث مستوحيا أصيلا لم ينشر
قبل فيما لا يقل عن خمسين صفحة من الحجم
المتوسط ، ومعلوم ان المسابقة تسهر عليها في كل
قطر مربي الشعبة الوطنية للتعريب العاملة في نطاق
المكتب الدائم داخل هذا القطر وقد اشرفت الشعبة
المقرية للتعريب هذا العام على هذه المباراة اللغوية
الاولى برئاسة الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي
وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي
ومعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك في دائرة
وزارته الموقرة التي تسهر على عمل الشعبة المذكورة.

وقد تشكلت لجنة برئاسة الاستاذ محمد الفاسي
عقدت اجتماعها الاول صباح يوم الاربعاء 17/9/1970
وقررت ما يلي :

اولا :

1 - اسناد بحثي : « العوامل الطارئة على اللغة »
« وابو اسحاق الفزى »

الى السيد هلال الفاسي
الاستاذ بجامعة القرويين ومحمد الخامس

2 - اسناد بحثي : « متخير الالفاظ »

و « دراسة وبحث حول اللغة العربية »
الى السيد احمد الاخضر غزال
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

3 - اسناد بحث : « كتاب الحجة في قراءات الائمة
السبعة »

الى السيد العابد الفاسي
الاستاذ بجامعة القرويين

4 - اسناد بحث : « من اسرار العربية في البيان
القرآني »

الى السيد محمد بهاء الدين الاميري
الاستاذ بدار الحديث الحسنية
(جامعة القرويين)

5 - اسناد بحث : « الاضداد في اللغة »

الى السيد محمد ابراهيم الكتاني
الاستاذ بجامعة القرويين ومحمد الخامس
ومحافظ قسم المخطوطات بالخرانة العامة
بالمغرب

6 - اسناد بحث : « الارجوزة المسماة بالموروث
لمشكل المثلث »

الى ابن عبد الهادي المنوني
خبير في قسم المخطوطات في الخزانة العامة
والخرانة الملكية بالمغرب

(5) الاضداد في اللغة

للاستاذ حسين محمد (ج . ع . م .)

(6) العوامل الطارئة على اللغة

للدكتور محمد عيد

كنية دار العلوم - القاهرة

(7) معاجم الابنية في اللغة

للدكتور احمد مختار عمر

ماجستير فقه اللغة من القاهرة
دكتوراه فقه اللغة من كمبودج

(8) حول اللغة العربية

الاستاذ احمد عبد الرحيم السايح

(من شيوخ الازهر)

(9) اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل

محمد محمود حمزة

الطالب بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

(10) محو الامية في العالم العربي (المشكلة . الحل)

حسن نوفل

ماجستير في اللغة العربية

(11) « متخير الالفاظ »

تصنيف احمد بن فارس

مخطوط حققه وقدم له الاستاذ هلال ناجي
(العراق)

(12) ابواسحق الفزى

الاستاذ رفيق حسن الحليمي

(13) دراسة وبحث حول اللغة العربية

الاستاذ محمد يوسف نور الدين (لبنان)

7 - اسناد بحث : « اللغة العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل »

الى ادريس الكتاني
الاستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية

8 - اسناد بحث : « معاجم الابنية في اللغة العربية »

الى محمد بن تاويت
الاستاذ بجامعة محمد الخامس

9 - اسناد بحث : « حول اللغة العربية »

الى الاستاذ عبد الحق فاضل
خبير في المكتب الدائم

ثانيا :
الفاء البحوث التالية من المسابقة

1 - نحو الامية في العالم العربي : المشكلة . والحلول

2 - نحو العربية الدارجة

3 - منهج النويري في نهاية الارب في فنون الادب : بحث ودراسة .

ثالثا :

اتفقت اللجنة على ان تعقد اجتماعا ثانيا يوم 31 اكتوبر 1970 تقدم فيه نتائج دراساتها وتحديد القيم العلمية للبحوث التي اسندت اليها .

وقد انعقد هذا الاجتماع بالفعل وبعد مناقشة طويلة ومروضة قدمها كل عضو حول ما اسند اليه من مخطوطات وابحاث تقرر ما يلي :

— الاحتفاظ بالجائزة الاولى :

— الجائزة الثانية منحت للاستاذ هلال ناجي من العراق عن كتابه « متخير اللفاظ » وقدرها 3000 درهم (اي نحو 600 دولار)

— الجائزة الثالثة منحت للاستاذ حسين محمد من الجمهورية العربية المتحدة عن كتابه « الاضداد في اللغة » وقدرها 2000 درهم .

— الجائزة الرابعة منحت للدكتور محمد عيد من الجمهورية العربية المتحدة عن كتابه « العوامل الطارئة على اللغة » وقدرها 1000 درهم .



نشاط المجمع السّوري للغة العربيّة

الأستاذ جعفر الحسني، الأرمية العام
« دمشق »

مختلف جهات سورية ، وكانت هذه المجموعة نواة
المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجمع علينا أن نحتفل بعيدة الذهبي
على نطاق عربي شامل أعتارنا بجمله وخدماته التي
أسداها للغة العربية وثقافتها .

ان تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس
مجامع علمية في اقطار عربية أخرى كالاردن ولبنان
ولم يكتب لجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ،
الا ان مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سابقا الى
العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم
مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم
به مجمع دمشق الذي هو اقدم المجامع في العالم
العربي .

ولئن ماتنا تحقيق امنية التكريم على الوجه الذي
كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدماء له بالبقاء والاستمرار
وان تكتب له السلامة والازدهار على مر الايام ليستمر
في أداء رسالته حتى يتبها خدمة للغة العربية وثقافتها.

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا احصاء جميع ما
حققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية واني لاكتفي
باحالة من يرغب في معرفة ذلك الى مقال الاستاذ
الدكتور حسني سبّح الذي نشره في عدد مجلة المجمع
الخاص الصادر حديثا ، والذي وزع في حينه ليجد فيه
ما ينفع القلة ويطلّي الأوار أو ان يعود الى مجموعة

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة
مجلس المجمع الختامية لدورة عام 1968 - 1969 م
مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين
عاما على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح فيما
بعد مجمع اللغة العربية بدمشق . فلقد استقلت سورية
العربية عام 1918 بعد جهاد طويل وولدت مع هذا
الاستقلال فكرة انشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة
العربية التي طغت عليها العجمة خلال العهد التركي
الطويل ، ونعمل على حفظها وصيانتها ووضع
المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشيا
مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي
عام 1919 م اي قبل خمسين عاما خلت وضمت اليه
دار الكتب الظاهرية وجعل متره المدرسة العادلية
الكبرى بعد أن حررت من واضع اليد عليها ، وبعد أن
رمت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية
تعد من أقدم المدارس بدمشق واشهرها وأجلها ،
انشاها السلطان نور الدين الزنكي وأتمها الملك العادل
أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لتكون تربة له ،
والدرة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع
فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا
لقد درس فيها عدد من ائمة العلماء الاعلام منهم ابن
خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس
المجمع دارا للآثار الإسلامية ومرض في إحدى غرفه
ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار المبعثرة جمعها من

مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل
لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (44) مجلداً
يبلغ مجموع صفحاتها نحواً من (30) ثلاثين ألف صفحة
تضم مختلف الأبحاث اللغوية والثقافية والتاريخية
والفلسفية والأدبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة
غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة
للملاحم لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية
واللغوية الحديثة في سائر الاقطار العربية .

ان اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات
الأخرى لم يزل يقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي
حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جديداً ،
وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فإن امرها يعود
على أفراد أسرتها جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يطلعها من علماء
العربية في الاقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث
القيمة والمفالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه
البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ما حققه العلماء
من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده
ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بحث
الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على لقاء مسئلة من
المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع إليها الرجال
والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة
مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في مجلة جهوده ،
برقابة الأعلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان
وعثرات الأعلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في
تهذيب اللغة وتقويم الأعلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (125) كتاباً من
عيون تراثنا الأدبي القديم وحقق أكثر هذه الكتب أعضاء
المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها
من الاقطار العربية والأجنبية ، يضاف إلى هذا (44)
مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، فيكون بذلك
مجموع ما طبعه (179) مجلداً هي من أمهات كتب
المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لاسيما
إذا علمنا ضعف قدرة المجمع العادية ووسائله القليلة .

لقد عمل المجمع على أن يختار لعضويته أصحاب
الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها
نضم إليه خلال مدة وجوده (251) عضواً بين عامل
ومراسل وجعلهم من اعلام العرب والمستشرقين ، وقد
تولى منهم إلى رحمة الله (166) عضواً وبقي منهم

(75) عضواً ما زالوا بحمد الله يعملون وينتجون ،
بمد الله بعميرهم وبارك أعمالهم .

هذا أيها السادة ، لمحة عاجلة من ما في مجملتنا
واليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (1967 -
1968) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر
بعض الأعمال وعهد إلى مكتب المجمع أمر تحقيقها وقد
أنجز منها أو كاد المطبوعات التالية :

1 - ديوان الخالدين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي
الدهان .

2 - تطلب السرور في أوصاف الخبور لأبي اسحق
ابراهيم المعروف بالرتيق النديم التيزواني تحقيق
الأستاذ أحمد الجندي .

3 - التنبيه على حدوث التصحيف لحيزة بن الحسن
الأسفهاني ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة
السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبد المعين
الملوحسي .

4 - سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد
الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كنون .

5 - خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء
الشام) للعماد الأسفهاني الكاتب تحقيق الدكتور
شكري نبصل .

6 - مبرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم
الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

7 - مبرس مخطوطات دار الظاهرية (قسم الطب)
وضع الدكتور سامي خلف حمارنة .

8 - ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ النفاخ
والدكتور حسين عطوان .

9 - مبرس المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق
لابن عساكر . وضع الأنسة ملك هنانو .

10 - مجلة مجمع اللغة العربية (43) لسنة 1968
ويوجد تحت الطبع :

1 - كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال
المسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .

2 - نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الإنسان
للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

3 - كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .

4 - ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (44) لعام 1969 المعدادان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (438) صفحة اشترك في تحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

الانتخابات :

1 - انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضوا مراسلا

2 - الأستاذ ناصر الدين الأسد (الاردن) عضوا مراسلا

3 - الدكتور نيمسـل دبدوب (العراق) عضوا مراسلا

4 - الأستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضوا مراسلا

استقبال أعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين كريمين رشحهما لعضوية المجمع عليهما ومفضلهما وأخلاصهما لمبادئ المجمع وهما الأستاذان : وجيه السمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من أعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الأستاذ الرئيس برحلة الى مصر والعراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معهما تعزيز العلاقات الأخوية فيما بين المجمع الثلاثة والتعاون فيما بينهم من طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مثمرة ومفيدة تكلت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات عملا .

اهداء مكتبات :

1 - نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع

ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخطوطات وتم تسليمها ، وهي الآن قيد التسجيل والاحصاء.

2 - كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقى وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمسامي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

3 - وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلأولئك جميعا شكر المجمع وتقديره .

انشاءات :

ان مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل أسباب الراحة.

الوفيات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة ان يذكر بالأسف والرحمة الأعضاء الراحلين من وانتمهم المنية هذا العام وهم المغفور لهم : الأستاذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسعة وأجل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دمي المجمع للمشاركة في مؤتمرات عدة منها، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للمطبوعات العلمية الذي سيعقده المجمع العلمي في بولون (ايطاليا) .

وقد لبى المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيه الأستاذ الدكتور حسني سبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تأييدا للمغفور له الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، وأحد أعضاء مجمع القاهرة سابقا .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها، وفد المكتب الدائم للتعمير في الرباط ووفد الصداقة الأذربيجانية .

أما في خصوص دورة المجمع لعام 1969 — 1970 فقد كانت مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس مجتمعا هذا ، ولقد كانت المرحلة التي مرت بنا مرحلة انشاء وتأسيس ، لفترة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند إليها هذا الصرح ، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد، يرمي الى رفع مستوى المجمع واعلاء شأنه في كل هدف من أهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد المجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم المباشر الذي سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام 1969 وسيشارك المجمع في هذا العيد الكبير ليحتفل بمرور خمسين عاما على انشائه، وقد خصصت له أيام خاصة يتحدث بها الجمعويون من تاريخ المجمع ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا المجمع الى المشاركة في هذا الاحتفال رئيسي ونائبي الرئيسين والأمينين العامين لمجمعي القاهرة وبغداد والأمين العام لمكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

ان لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو ان يتحقق جلها ان لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن أهمها :

1 — ملء الشواغر بانتخاب الاعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .

2 — والفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة الى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية لان كثرة الاعمال أصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما ان وضع المجمع قد أصبح يقتضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديرية المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

المطبوعات :

1 — سيمد المجمع الى اكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقا وهي :

٢ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ ابن مسافر وضع الأنسة ملك هنانو .

ب — فهرس مخطوطات قسم الطب للاستستاذ سامي حمارنة .

ج — كتاب « ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب » تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د — فهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

هـ — طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الأشياء للمصري . تحقيق الدكتور عزة حسن .

2 — المباشرة بطبع الكتب الآتية :

٢ — ديوان الشاعر ابن اهرم تحقيق الدكتور محمد عطوان الأستاذ في الجامعة الأردنية .

ب — ديوان مرقلة الكلبي تحقيق أحمد الجندي .

ج — طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة أسماء الحمصي .

د — طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ — طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و — طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » للشيخ عبد الغني النابلسي وتحقيق الأستاذ حارف النكدي .

ز — طبع فهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك عند العرب وضع الأستاذ ابراهيم الخوري .

ح — طبع فهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء 31 — 40 — وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

ط — طبع فهرس مخطوطات قسم الادب واللغة في دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

٧ — طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق لابن مسافر تحقيق الأنسة ملك هنانو .

ك — طبع المجلة (45) من مجلة المجمع .

3 — وقد قرر المجمع اعادة طبع أكبر عدد من مطبوعاته ومن أعداد مجلته التي نعدت وباشترط طبع المجلد الأول من المجلة .

مَشْرُوعُ النِّظَامِ الْأَسَاسِيِّ لِاتِّحَادِ الْمَجَامِعِ لِللُّغَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

ب - رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية .

المادة الخامسة : ينتخب أعضاء مجلس الاتحاد من بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين مساعدين ، لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

المادة السادسة : يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية ، ويحدد مكان الاجتماع وزماته بقرار من المجلس ، ويجوز أن يجتمع بدعوة من أمين عام الاتحاد بناء على طلب مجتمعين على الأقل في دورة غير عادية عند الضرورة .

المادة السابعة : تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الأغلبية المطلقة للأعضاء . وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين ، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي يضم إليه الرئيس

المادة الثامنة : اختصاص المجلس :

أ - النظر في الأعمال السنوية لمكتب الاتحاد وإقرارها .

ب - النظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية وإقرارها .

ج - تنظيم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها .

المادة الأولى : ينشأ للمجامع اللغوية العلمية العربية اتحاد له شخصية معنوية مستقلة ، ويكون مقره مدينة القاهرة .

المادة الثانية : يتألف الاتحاد من :

أ - مجمع اللغة العربية في دمشق .

ب - المجمع العلمي العراقي في بغداد .

ج - مجمع اللغة العربية في القاهرة .

د - كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة ، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله .

المادة الثالثة : أهداف الاتحاد :

أ - تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية وتنسيق جهودها في الأمور المتعلقة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي .

ب - العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

المادة الرابعة : يدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى (مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية) ويؤلف على الصورة الآتية :

أ - عضوان من كل مجمع لغوي يختارهما المجمع العضو ، أربع سنوات قابلة للتجديد .

د - العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرها الجامعات المختلفة واتخاذ الوسائل اللازمة لذلك .

هـ - وضع المشروعات التي تحقق اهدافه ، والإشراف على أعمال مكتب الاتحاد .

و - النظر في الاقتراحات المتصلة بأهداف الاتحاد التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية ، والمشتغلون بدراسة اللغة والمصطلح العلمي في العالم العربي أو خارجه .

ز - تنظيم عقد مؤتمرات وندوات للدراسات التي تحقق أهداف الاتحاد ، تشترك فيها الجامعات الأعضاء ومن يرى الاتحاد دعوتهم من العلماء المتخصصين .

ح - وضع الأنظمة الداخلية اللازمة لسير العمل المادة التاسعة : بمقتضى مجلس الاتحاد جلساته في مقره الرسمي أو في بلد من بلاد الجامعات الأعضاء

المادة العاشرة : مكتب الأمانة العامة في المقر الرسمي للاتحاد ، وللأمين العام أن يستعين بمن تراه الحاجة إليهم من الموظفين .

المادة الحادية عشرة : اختصاصات الأمانة العامة :

أ - تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد ومتابعتها وتصريف الأمور الإدارية والمالية .

ب - تقديم تقرير سنوي عن أعماله إلى مجلس الاتحاد .

ج - إعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده .

د - تحضير المجلس وعرضها عليه ، وتسليم الإيرادات وإصدار أوامر الصرف في حدود الميزانية المقررة .

هـ - ينوب الأمينان العامان المساعدان عن الأمين العام في تنفيذ قرارات الاتحاد ، كل في مجتمعه .

المادة الثانية عشرة : تتكون مالية الاتحاد من :

أ - اشتراكات الجامعات الأعضاء التي يحددها مجلس الاتحاد .

ب - الأمانة المالية السنوية التي تقدمها الأمانة العامة للدول العربية .

ج - الهبات والإعانات التي يقبلها مجلس الاتحاد

المادة الثالثة عشرة : تودع أموال الاتحاد في مصارف عربية يمينها مجلس الاتحاد ويرسم المجلس طريقة الإيداع والسحب .

المادة الرابعة عشرة : تعدد اللائحة الداخلية إجراءات تنفيذ النظام الأساسي للاتحاد . ولمجلس الاتحاد أن يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي أعضائه متى أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة للاجتماع المادة الخامسة عشرة : يصبح النظام الأساسي للاتحاد نافذا بمجرد موافقة الجامعات الأعضاء عليه .

القاهرة في 30 إبريل (نيسان) 1970

التواقيع :

المجمع العلمي العراقي

الدكتور عبد الرزاق محي الدين

ألواء محمود شيت خطاب

مجمع اللغة العربية في القاهرة

الدكتور طه حسين الأستاذ زكي المهندس

الدكتور إبراهيم مدكور

مجمع اللغة العربية في دمشق

الدكتور حسني سبيع الدكتور عدنان الخطيب

بين المجلة وقرائها

تتجلى عناية القراء الكرام في السبيل العام من الرسائل التي تنهال على المكتب من مختلف الاصقاع في العالم العربي والاسلامي .
♦ ونحن اذ نشكر هذا الاهتمام والحماس ، ونقدر هذه الصلة بين المجلة وقرائها من اساتذة وطلبة وباحثين ، يسرنا ان نجعل من المجلة ميداناً للنقاش العلمي الحر ، لذا فالمجلة ترحب بكل رد بناء، او عرض لمشاكل لغوية قد تعترض الباحثين وطلاب العلم .
♦ كما يسر المكتب الدائم للتعريب ان يتلقى ملاحظات من رجال الفكر العربي والاسلامي حول النشاط العام للمكتب .

من الجمهورية العربية السورية :

— ومن السويداء كتب السيد جميل ابو ترابي يقول : « انها لجهود جبارة يخطوها مكتبكم في احياء لغة الضاد ، ونشر التراث العربي ، ولا يسع المرء الا ان يتقدم بالشكر والثناء للسيد رئيس تحرير مجلتكم الزاهرة ولكل من يساهم في الكتابة فيها »

— ومن السيد محمد يحيى رائف مدير الشؤون الاجتماعية والعمل بحلب تلقينا كلمة رقيقة يقول فيها « لقد وجدت في مجلتكم «اللسان العربي» الابحاث المفيدة والمقالات الشيقة في اللغة والترجمة والتعريب الشيء الذي اللج صدري»

— ووصلتنا رسالة شكر من السيد المستشار فاضل البصمدجي يشني فيها على « الجهود الصادقة المبذولة في سبيل اعداد واخراج هذه المجلة الراقية .. »

— تلقينا رسالة من الاستاذ حسن كمال محافظ فرع الفن الحديث في المتحف الوطني بدمشق جاء فيها : « لقد قرأت بشغف ولذة كبيرين ما حوته مجلتكم ومما جعتمكم من المعارف المفيدة ، التي يجد فيها الباحث الكثير من الفائدة بما تتوفر عليه من جهود كبيرة والتي حشدت لها - ولا شك - طاقات جبارة حتى امت غنية بالشكل الذي نراها عليه . »

— ومن دمشق ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ محمد وليد الجلاد يقول فيها : « كان لنا شرف الاطلاع صدفة على مجلتكم «اللسان العربي» فبهرنا الجهد المبذول فيها ، والروح العلمية التي تسود صفحاتها ، وما في تضاميفها من ثروة لغوية ثمينة نحن بأشد الحاجة الى مثلها ، حيث وجدنا فيها اجوبة لكثير من التساؤلات التي كانت تعترضنا حيال بعض التماير والمصطلحات التي تنقص لغتنا ، ويختلف المترجمون في استنباطها .. »

جديد .. وانه لمن دوامى القبطة وحب الاطلاع
والمعرفة ان اشرف باللقاء معكم على صفحات مجلتكم
من خلال سطورها النيرة .

— * —

من الجمهورية العربية المتحدة :

— من القاهرة بمت الينا الاستاذ محمد
توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الاعلى
للشؤون الاسلامية يحيي فيها جهود المكتب فى خدمة
الاسلام والمسلمين «

— ومن القاهرة ايضا وصلتنا كلمة رقيقة من
الاستاذ الكبير محمود تيمور جاء فيها : « ومن نافلة
القول الاشادة بهذه الجهود الخصبه الواسعة التى
تسفر عنها تلك البحوث والدراسات المنشودة فى ذلك
المجلد الحافل الغزير ، واني لاشعر بان تهنتكم بهذا
العمل العظيم اسط ما يجب على كل مثقف يبني الخير
لوطن العربي . »

— وهذه رسالة الاستاذ احمد الحلاوي
الامين العام للاتحاد البريدي العربي يقول فيها : « ولا
يسمى الا ان اقدم الشكر الخالص لمكتبكم الموقر على
جهوده الصادقة ونشاطه الكبير فى الابحاث اللغوية
والتعريب فى العالم العربي »

— * —

من الجمهورية العراقية :

— من بغداد وجه الينا الاستاذ هادي قاسم
كلمة رقيقة جاء فيها :

« لقد اطلعت على مجلتكم الغراء «اللسان العربي»
التي يصدرها مكتبكم فى عدة مجلدات واجزاء ،
فوجدتها غاية فى الروعة والنفاسة ، ارجو لكم
التوفيق فى خدماتكم الجليلة التى تقدمونها للامة
العربية فى نشر الثقافة والوعي العربي وتوسيع
افاق اللغة ، ولعمري انها بادرة طيبة ارجو لكم التقدم
المطرد »

— وتلقينا رسالة من الاستاذ حسن سيف
الدين من الموصل يقول فيها : « لقد تحكمت الصدفة
بي واكتحلت عيناى دون قصد على المجلة البجلية ،
وما كادت انامى تقاب بعض صفحاتها الا ووجدت
نفسى اسير الاسطر وجبىس مواضعها الشيقة ،
وصرت مشدودا الى بحوث هذه المجلة «اللسان العربي»

— وهذه رسالة اخرى من دمشق بمت بها
السيد الرائد عبد الوهاب مرور تقتطف منها ما يلي :
« ان مجلتكم «اللسان العربي» لجديزة بان يفخر
بها كل عربي من مشرق البلاد الى مغربها ، كيف لا
وهي تحمل لواء كلمتي السحر اللتين توحدان امة
المرب وهما «لغة القرآن» اننى لاشكركم على جهودكم
الجبارة المبذولة من اجل اصدار هذه المجلة . »

— ومن دمشق ايضا تطالعنا رسالة الاستاذ
صبحي زخور ليقول فى مقدمتها : « .. واذا مكفت
على مطالعة بحوث مجلتكم الغراء الفيتها مجلة رصينة
لما حوت من مقالات ودراسات قيمة وتناولت من
قضايا اللغة العربية ، ولا ريب ان صدور مثل هذه
المجلة سيد فراها فى المكتبة العربية التى نفتقر
الى امثالها مما يفضي بامتنا العربية للوصول الى وحدة
المصطلح العلمي ووحدة الكنة العربية فى جميع
الميادين .. »

— وكتب الدكتور صالح حباب يقول : « اطلعت
على عدد من مجلة «اللسان العربي» فاعجبت اعجابا
كبيرا بها وبالجهود الكبيرة التى يبذلها القائمون عليها،
ووثقت بانها ستنهض باعباء المهمة الضخمة الملقاة عليها
ان شاء الله »

— اما رسالة الاستاذ ذو النون رمضان فقد
كانت تتضمن ما يلي : « اطلعت على ما تضمنته
«اللسان العربي» فالفيناه ذرة ثمينة فى التأليف
العربية التى لا يستغنى عنها ، وانها لجوهر نادرة ..
يفيد المرء فيها ويستفيد »

— وهذه رسالة اخرى وصلتنا من حلب من
الدكتور توفيق برو جاء فيها : « .. والحق ان
مستوى السمو الذى تحتله مجلتكم الراقية فى دنيا
الفكر العربي تنفود فيه »

— ومن حلب كذلك تلقينا كلمة شكر من
الاستاذ علي حافظ مدير على شركة المدينة للطباعة
يبدى فيها : « اعجابه بمواضيع المجلة وكتابتها
واهدافها النبيلة »

— ونختتم جولتنا من سوريا برسالة القاريء
بكري الخطيب وهي رسالة طويلة تقتطف منها
ما يلي : « .. وجاءت مجلتكم لتكون
فخرا للاسماء «اللسان العربي» وحق لها ولن اشرف
على تسميتها ان ينال الشرف ويكون له الكرم والفخار،
ويتيه امتزاز بانه يعلى الكرامة وينبت الاصل من

التفانية لهذه اللغة العظيمة لغة القردان الكريم ولغة السنة الحميدة المشرفة ، هذه اللغة التي صعدت في سماء العلم والمعرفة في عهد الدولة الإسلامية ، وهذه اللغة التي غدت اللغات بالعلوم المختلفة »

— * —

من المملكة المغربية :

— من الدار البيضاء كتب السيد انجانر هلي يقول : « تحياتي وتقديري لكم ولكافة العلماء الاجلاء الساهرين على خدمة لغتنا القومية وبعد ، فلقد اطلعت اخيرا على المجلة الدورية التي يصدرها مكتبكم الموقر ولحسن الحظ كان العدد الذي اطلعت عليه هو العدد الممتاز الخاص بذكرى مرور اربعة عشر قرنا على نزول القردان الكريم ، هذا العدد القيم الذي نال اعجابي وتقديري واعترازي بنشاط مكتبكم الذي جماني استبشر خيرا بمستقبل اللغة العربية في كافة انحاء المعمورة » .

— ومن الدار البيضاء كذلك تلقينا رسالة من القاريء الكريم عبد الحق بن حدو جاء فيها : « ان « اللسان العربي » هو المجلة التي يحق للمتكلمين باللغة العربية في كل مكان ان يعتمدوا عليها في توحيد هذه اللغة التي اصبحت الفوضى تم بمفرد المصطلحات العلمية التي تنقل اليها بالفاظ عديدة وبشعارات مختلفة ، فما احوجنا الى هذه المجلة وامثال هذه المجلة حتى تصبح لغتنا العربية في مستوى اللغات الحية العالمية »

— وهذا السيد محمد المقرري من مدينة فاس يقول : « يطيب لي ان ابرر لكم عن اعجابي وتقديري للجهود الكبيرة التي يقوم بها مكتبكم في سبيل اعلاء شأن العربية والاسلام ، كما اهنئكم على النجاح الكبير الذي احرزته عليه مجلتكم الفراء « للسان العربي » .

— اما السيد الفشار حبيب فقد جاء في رسالته : « لقد تركت في نفسي مجلتكم ، الصدى الحسن ، والاثر الطيب ، انها ظاهرة ايجابية بما تحويه من طاقات فكرية ، وبما تأتي به من اخبار وبحوث شيقة »

— * —

من الجمهورية التونسية :

— ومن عاصمة الجمهورية التونسية كتب الاستاذ الطاهر قيقة مدير الفنون والآداب يقول : « انه

او اسفر بكنمة اصح ، وصرت انفحصها موضوعا موضوعا حتى اكملت الاطلاع بكل شوق على سائر المواضيع من (القردان والمعجم الصوفي) الى (التطور الحي في اللغة) حتى (المعجم الفقهي المالكي) الى ان حلت بين القوافي السلسات لقصيدة من نبرات الشباب فوجدتها - والله -

تشع من نبرات (العلم) ذبذبة .. الخ

— ومن بغداد بعث الينا الاستاذ عبد الجزار يقول : « .. وقد تركت جانبا كل ما كان في تناول يدي من المطبوعات وانصرفت الى دراسة هذه المجلة الحبيبة الحافنة بكل جديد ومفيد من المقالات والبحوث اللغوية والادبية والدينية ، ومما زاد من سروري ان هذا العدد يضم باقة ممتازة من البحوث المتعلقة بالقردان الكريم الذي كان وما زال وسيبقى الى ما شاء الله ، عنوانا للامة العربية ونبراسا لهم يستضيئون به ويشهدون بهديه » .

— وهذه القارئة الكريمة مي الحسنى من بغداد كذلك تقول : « وبعد : ففي غمار الضياع الذي يعيشه اللسان العربي ، ومن خلال المد الذي يحاول ان يحرف بتيازه الهادر لغة الضاد ، تطلعت الى لوح نجاة احاول التشبث فيه لاجد الامن للفني والسلامة لها .. فرايت في مجلتكم الموقرة ما تهفو اليه الروح ويتطلع اليه الفكر »

— ورسالة اخرى من بغداد كذلك بعث بها الينا الاستاذ فيصل عبد الله الدليمي جاء فيها : « اطلعت على مجلتكم المختارة « اللسان العربي » الفراء ووجدت فيها خدمة كبيرة للغة العربية ، وانني لاعتز وافخر بكم على جهودكم الجمة التي تهدف الى تطور اللغة العربية ورفع مستواها الادبي والعلمي والتي ابرزت نتائج خيرة ومثمرة في العالم العربي »

— ومن القارئين الكريمين محمد حاسم معروف الكواز وكامل جاسم الهيثي وصلتنا رسالة يقولان فيها : « لقد اطلعنا على العدد السادس من مجلتكم الفراء « اللسان العربي » وما كادت ابدينا تلمسها واميننا ننظر فيها الا ولهمنا السرور والفرح لاننا شعرنا منذ ذلك الوقت اننا وجدنا ضالطنا التي كنا نبحث عنها منذ سنوات عديدة حتى قدر الله تعالى لنا ان نجدها متمثلة في مجلتكم « اللسان العربي » ان اصدار هذه المجلة لعمل عظيم وجليل وسوف يحفظه التاريخ في سجل الخالدين بفضل خدمتكم

ليسمعني ان اعبركم من تقديري للمجهودات التي بذلوها في اداء مهمتكم الشاقة فعلا ، وانه لمعمل جليل هذا الذي تقومون به لخدمة اللغة العربية كي تصبح بحق لغة عمل تؤدي رسالتها على احسن وجه ...»

— * —

من الجمهورية العربية الليبية :

— وهذه رسالة الاستاذ المهندس علي محمد حسين العرجا بعث بها اليها من طرابلس جاء فيها :
« اطلعت وكلي فخر واعتزاز على الجزئين الاول والثاني من المجلد السابع من مجلتيكم المصماء « اللسان العربي » وقد كان لما وجدته من هذين الجزئين اثر كبير في نفسي اذ كانا ضالتي المنشودة التي كنت احس بنقص كبير يمتريسي بمجزي من ايجاد الكلمات المناسبة التي تقابلني دائما عند كتابتي او عند ترجمتي لاحد التقارير الفنية او عند كتابتي لمصطلحات فنية على الخرائط المختلفة وغيرها . واني اذ اشكركم على مجهودكم الكبير ادرك ان عملكم هذا خدمة جلية لامتنا العربية يبعد لفتنا الخالدة تليد مجددا وينفض عنها غبارا تراكم عليها ، ظن بعض الحاقدين انه نال منها فاصبحت لا تجاري اللغات الحية الاخرى في ركب التطور .

— من طرابلس ايضا بعث اليها السيد محمد مختار رمضان برسالة جاء فيها : « مكنتني ظروف سعيدة - اشكر الله عليها - من ان اطلعت على مجلة « اللسان العربي » الفراء التي تصدر من مكتبكم ، وقد لمست فيها مجهودا عظيما تجلى فيه علم اللغة في اسمى معانيه وابهى حلله ، ولا يسعني الا ان احيي رجال العلم الذين قاموا بهذا المجهود وكل من ساهم فيه بقدر ...»

— ومنها ايضا وصلتنا رسالة من الاستاذ عمرو ابراهيم الجادوي يقول فيها : « وبعد اطلاعي على مجلتيكم العظيمة « اللسان العربي » اُعجبت بها كثيرا لانها مجلة تخدم اللغة العربية لغة القرآن ولغة الاسلام التي ما فتئت اهداء الاسلام يحاربونها ويطمسونها ، يريدون ان يطفئوا نور الله بالفواهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، ان القضاء على هذه اللغة معناه القضاء على القرآن ودستورنا وبناسنا نحن العرب والمسلمين ، فيا رجال اللغة العربية نهيب بكم ان تيقظوا اولئك الهدامين وحبطوا

خططهم ، وتعاونوا مع بقية العلماء في الاقطار العربية الشقيقة الاخرى لخدمة هذه اللغة الحية وعميمها وفرض تعليمها والتحدث بها والقضاء حتى على العامية التي هي بدورها معول من معاول الهدم »

— * —

من الكويت :

— وصلتنا رسالة من الاستاذ مجرله احمد جاء فيها : « انسى اتابع باهتمام بالغ كل ما تبدلونه من مجهود كبير مشكور ، وما تقومون به نحو الجميع دون أي كلل او ملل ، والحقيقة اني مقدر لكم جميل صنمكم فيما هو خير الاجيال القادمة » .

— * —

من المملكة العربية السعودية :

— تلقينا رسالة من الطالب الجامعي صالح عبد العزيز عبد اللطيف من الرياض تقتطف منها هذه السطور : « لقد اطلعت على ما يصدره مكتبكم الموقر باسم « اللسان العربي » ذلك السفر القيم الذي هو اشبه بالموسوعة ، ولقد اُعجبتني - والله - بما حوته من مادة دسمة ومن لباب دون القشور في وقت عز فيها وجود نظائرها »

— * —

من الجمهورية السودانية :

— بعث اليها الاستاذ عبد الله يعقوب ابشر يقول : « يسرني ان اشيد بمجهودكم في هذا المضمون من اجل رفعة واعلاء شأن اللغة العربية في عالمنا العربي خاصة وفي العالم عامة »

— * —

من الجمهورية اللبنانية :

— وصلتنا كلمة رقيقة من جريدة « الاحرار » اشادت فيها بالطاقات والجهود الكبيرة المبذولة ، والمستوى الجيد للدراسات والابحاث في المجلة » .

— ومن بيروت بعث اليها سيادة الاستاذ جوزيف زهرور وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة برسالة رقيقة جاء فيها :

« ان هذه الوزارة اذ تثني على الروح العلمية الرصينة المتجلية في صفحات الكتاب وعلى النوايا

تمثل وطننا العربي الكبير وتحمل الاسم المشهور في هذا الوطن « ثم يضيف قائلا : « اذ أنها تصدر من بلاد عربية لحما ودما وهذه المجلة لاقت الإعجاب من كل مواطن عربي وهي أمنية كل مثقف عارف لقضاياها »

— * —

من الهند :

— من ولاية كيرالا بالهند وصلتنا رسالة من الاستاذ عميد الكلية العربية بالولاية السالفة الذكر، وقد تفضل فاتحننا ببعض المعلومات عن ولايته وعن نشاط الترجمة القرآنية مشيرا الى مقالة فضيلة الاستاذ الشيخ طه الولي التي نشرت في العدد السادس من المجلة تحت عنوان : « ترجمة القرءان الى لغات شرقية وغربية » يقول القاريء الكريم : « .. وذلك ان في الهند ولاية تدعى ولاية Kerala State وهي إحدى ولايات الهند ،

يسكنها ثلاثة ملايين من المسلمين يتكلمون اللغة المليبارية ، وقد ترجم القرآن الكريم الى هذه اللغة المليبارية ، واذكر هنا بعض اسماء المترجمين : (1) اللجنة المسماة (بالجمعية الادبية) Literature Society ترجمت بعض اجزاء القرآن الكريم من الاول. (2) س - ان - احمد المولوي، ترجم القرآن الكريم كاملا الى اللغة المليبارية مع بعض الشرح والبيان لكثير من الآيات ، ومقدمة ضافية - (3) كي - عمر المولوي ، ترجم القرآن كاملا من اوله الى آخره باللغة المليبارية بالحروف العربية . (4) محمد امانى المولوي القاسمي ترجم القرآن الى المليبارية من سورة الكهف الى الناس - مع الشرح الشافي والمقدمة المسبهة ، (5) متانشيري كويكني المولوي ، ترجم القرآن الكريم كاملا وكتب لترجمته مقدمة السيد عثمان المهندس، ولا اذكر هنا اسماء بعض العلماء الذين ترجموا بعض السور مثل : «يس» وسورة «يوسف» وجزء «هم» وغيرها وهم كثير « ثم يضيف السيد كريم فيقول : « ان العالم العربي والاسلامي في جهل من الاعمال الجبارة التي تجري في ولاية كيرالا من اجل نشر التعاليم الاسلامية والآداب العربية » .

و « اللسان العربي » تشكر القاريء الكريم على هذه المعلومات القيمة وتود ان يظل على اعماله باحتى

الطيبة التي كانت في اسس وضعه لخدمة لغة الضاد وتأهيلها لتقبل تحديات العصر العلمية ، وتفتنهما مناسبة لتعرب لكم من عميق شكرها وتقديرها . «

— ومن رأس المتن وصلتنا من الاستاذ الكبير عجاج نويهيض كلمة رقيقة يقول فيها : « .. اما سطوري هذه ، فهي لتسجيل الشكر للمكتب على ما يبذله من جهد متواصل في سبيل «اللسان العربي» موجهها محض شكري الى العلامة-التحرير الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله بصورة خاصة ، حياه الله وبياه ، وحقق مناه في خدمة اللسان الشريف ، فان الاستاذ الجليل ، قد نذر نفسه بغاية الاخلاص لخدمة الضاد ، فهو واخوانه في اهل الفضل والعلم والبحث والادب في العالم العربي ، قد جعلوا من مجلة « اللسان العربي » منبرا للاذهان العربية ، وفي ساحة هذه المجلة تلتقي الاقلام من مختلف الاقاليم ، مقدمة النباب والصورة ، ولهذا امست المجلة معهدا سيارا يجوب العالم العربي كله ، ومثل هذه الوسيلة لم تر الامة العربية من مثيل في العصر الحديث . «

— * —

من الخليج العربي :

— تسلمنا رسالة من الاستاذ احمد العمران المدير العام للتربية والتعليم بالبحرين جاء فيها : « .. ولا يسعني في هذا المقام الا القول بان تلك المجلة قد اخذت مكانتها المرموقة في العالم العربي وسواء بما لها من اهتمام مشكور بمواضيع ذات نفع كبير يذكر بالنسبة لجميع الناطقين بالضاد » .

— ومن المنامة كتب الاستاذ عيسى يقول : « وبعد : يبلغ السرور تلقيت مجلتكم المعبرة من اللسان العربي، والناطقة بلغة الضاد، واني لابارك لكم تلك الخطوة الكبيرة لتنجيح لغتنا التي دخلت اليها بعض الكلمات الاجنبية وصارت متداولة بين اشقائنا العرب ، وجاءت مجلتكم لتمحو تلك الكلمات الدخيلة وتسمو بلغة الضاد الى مكانتها اللائقة بها »

— وهذه رسالة اخرى من الاستاذ ناصر احمد الصالح يقدر فيها : « الجهود الكبيرة التي يبذلها المكتب في اصدار « اللسان العربي » التي

يملأها بمعلومات أضفى وأوسع من هذه الولاية
الإسلامية الهتدية .

— ومن الهند كذلك وجه إلينا السيد مدير
الكلية الإصلاحية رسالة رقيقة جاء فيها : « ان
مجلتكم الفراء المفيدة كل الافادة « اللسان العربي » من
المجلات الادبية واللغوية النفيسة ، وخدماتكم الجليلة
في هذا الميدان الواسع مشكورة ، اننا نهنتكم على
جهودكم في هذه الناحية ، ونتمنى لكم كل توفيق
لخير العروبة »

— * —

من يوغوسلافيا :

— وصلتنا رسالة طويلة من الاستاذ
المستعرب توفيق مفتيتش تقطف منها ما يلي :
« لقد سرنى كثيرا عندما اطلعت على بعض النسخ من
مجلتكم الثمينه « اللسان العربي » ورايت انها تعين
في مقالات قيمة على حل مشاكل هامة من المشاكل
التي تهم كل العرب والمستعربين الذين لهم اهتمام
مخلص بحلها المقنع المفيد رايت ان لا غنى لي عنها
لانفع بها في خدمة اللغة العربية العزيزة وآدابها
الغزيرة . »

— * —

من بولاندا :

— تلقينا رسالة شكر من المستشرق ب. ر.
رافورسكي من مدينة وارسو يقول فيها : « انسى
اعتبر مجلة «اللسان العربي» عملا قيما فريدا من
نوعه في ميدان اللغة ، والثقافة العربية اليوم . »

— * —

من بريطانيا :

— من جامعة كمبريدج بعث إلينا المستر
ر. ل. بدويل من قسم دراسات الشرق الاوسط
برسالة رقيقة يمدد فيها مزايا المجلة واهميتها
بالنسبة للطلبة ، ويطلب الاعداد السابقة من المجلة

— ووصلتنا من بريطانيا ايضا رسالة شكر من
الطالب السعودي عبد الله منصور من جامعة
فلاسفو ينوه فيها : « بالجهود الطيبة المبذولة في طي
مجلة : « اللسان العربي » ويعرب عن « اهجابه بها لما
فيها من ابحاث لغوية قيمة ودراسات جادة »

— * —

من هولاندا :

— من امستردام كتب الاستاذ الياس
راونتيسي يقول : « لقد اطلعت على العدد السادس
من مجلة اللسان العربي حبا في الانتفاع بما تحويه
من الابحاث العلمية واللغوية الهامة وطمعا في
الاستزادة من معلوماتها الشائقة ، وحتى نقف على
آراء اهل العلم واللغة ، ومتابعة ابحاثهم المفيدة.. »

— * —

من الادجنتيين :

— من (بوينس ايريس) تلقينا رسالة شكر
رقيقة من الاستاذ السيد الياس قنصل تقطف منها
ما يلي : « واغتنم السانحة لايث اليكم باصدق
عواطف الامعجاب بما تقومون به من الجهود الثمرة في
سبيل اللغة العربية ، ان مطبوعات المكتب تدل على
تمق في الدرس وغيرة على القومية ، ولا شك انه
مدين لكم بالغلب لمراته »

— * —

من الولايات المتحدة الامريكية :

— وصلتنا رسالة رقيقة من الدكتور ركي
عبد الملك استاذ الادب العربي والعلوم اللغوية بجامعة
يوتا ، تقطف منها ما يلي :

« ارجو ان تتقبلوا ثنائي على العدد الاول ، فهو
في رأيي يضاهي ارقى المجلات العلمية الغربية في
عمق مادته وحسن اعداده ، وليس من شك في ان
القرأ في العالم العربي كله وفي الغرب ايضا
سيرحبون بمجلة : « اللسان العربي » ترحيبا عظيما ،
وسيجدون فيها موردا خصباً للمعرفة ، ومنهلا صافيا
للعلم . »

مجلة المجلدات

اللغة العربية

الأستاذ أحمد العابد
(الجزائر)

نشرت مجلة «الفكر» الفراء التي تصدر بتونس مقالا للأستاذ أحمد العابد
تحت عنوان « اللغة العربية » ننشره شاكرين :

والفرنسية ، على أن كل صنف من هذه الاصناف قد يملك مبادئ اللغة الأخرى بالنسبة الى اللغة التي حصلت بها ثقافته ، لكنها مبادئ في معنى النبذ الطفيفة الخفيفة التي لا تفني ولا تسمن من جوع كما يقال .

ونعود اليوم الى اللغة العربية لنبدي في شأنها بعض الآراء والخواطر ، مساهمة متواضعة منا في ايجاد الحلول التي نراها صالحة في العاجل وفي الآجل للمشكل أو المشاكل التي تثيرها باعتبارها لغة قديمة ولغة حديثة ولغة معاصرة حية تريد أن تجاري اللغات العالمية الأخرى فتصبح أداة التعبير والتأليف في المجالات الاقتصادية والعلمية والتقنية خاصة فضلا عن المجالات الأدبية والفلسفية ومبادئ العلوم الإنسانية الأخرى اطلاقا .

وعندما أقول هذا مكان اللغة العربية ما زالت متأخرة عن ركب اللغات الحضارية العالمية المعاصرة أو كأنها ما زالت عاجزة عن أداء رسالتها الثقافية والتعليمية والتأليفية في أعلى مستوى ، بل قل أن هذا ما قد يتبادر الى ذهن السامع أو القارئ لهذه الأسطر من أول وهلة .. والمشكل في الحقيقة ليس فيما ذكرت الآن وإنما هو في تزامم اللغة الفصحى واللغة العامية الدارجة في مختلف ميادين النشاط أو الحياة اليومية ، سواء في الإذاعة والتلفزة أو المنزل أو الشارع أو حتى التأليف الأدبي كما سنرى .

لا يزال مشكل اللغة العربية - الفصحى والدارجة واللغة الثالثة - يشغل بال الكثيرين من مثقبينا في تونس ، وقد تناولته بالبحث عدد من رجال الفكر والأدب ورجال التعليم والطلبة ، والقيست في محاضرات وكتبات وبسطات ونظمت ندوات وسهرات وأسمار ، سواء بدور الثقافة أو بالنوادي الأدبية أو محلات اللجان الثقافية وغيرها في شتى أنحاء الجمهورية ولاسيما منذ الاستقلال الى اليوم .

وإن الدوافع التي ركز عليها أغلب من تكلم أو كتب في اللغة العربية من حيث وضعها التاريخي القديم والحديث وإمكاناتها ومكانتها وأهميتها في حياة الأمم الناطقة بها - ومن بينها تونس - تنقسم الى ثلاثة :

أولا : أن العربية هي لغة القرآن ، يحق لنا أن ننكب على درسها ونعتز بها باعتبارنا مسلمين .

ثانيا : أنها عنصر من عناصر ثقافتنا وقوميتنا يحق لنا كذلك أن نبحث عن طرق تنميتها ووسائل إحيائها وانعاشها والعاقبة بركب اللغات العالمية المعاصرة المعترف بها والمتعامل بها في المحافل الدولية .

ثالثا : أنها - إذا صح التعبير - « مشكل اجتماعي » بالنظر الى أن المجتمع التونسي مثلا - وكذلك الشأن بالنسبة الى الجزائر أو المغرب الاتصلى على سبيل المثال - يشتمل على ثلاثة اصناف من المثقفين باللغتين العربية والفرنسية ، وصنف المثقفين باللغة الفرنسية وصنف المثقفين باللغتين العربية

وان ما نعتزم النظر فيه بهذا الصدد هو ، من ناحية ، وضع الفصحى التاريخي ، قديمه وحديثه ، ثم وضع اللغة الدارجة وامكانياتها ومكانتها في حياتنا اليومية ، ثم النظر في مستقبل العربية وتطورها أو بعبارة أخرى أية لغة نريد ، فصلى مبسطة أو دارجة مهذبة أو لغة نالفة هي بين الأولى والثانية ؟

1 — الفصحى : يرى الدارسون ان الفصحى لا يمكن ان نخفى عنها الطرف وانه لزام علينا ان نوليها كل اهتمام وعناية والا نترك الدارجة تزاوجها أو تسابقها وذلك في ميدان التأليف خاصة ومختلف ميادين العمل والنشاط لان الفصحى هي لغة القرآن ولغة القواميس والمناجد ولغة الآثار الأدبية قديما وحديثا ، هي لغة عبد الحميد الكاتب وسهل بن هارون وابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن شرف وابن رشيق والحصري وابن شهيد وابن خلدون كما هي لغة السعدي وطه حسين ، هي لغة القصة اليوم والمسرحية والنقد الأدبي ولغة الخطابة في المساجد والمناسبات الرسمية ..

ثم لانها لغة العلوم والفلسفة وعلم الكلام والعلوم الدينية قديما بالخصوص ، ثم هي لغة الصحافة المكتوبة والمذاعة والتلفزة حديثا ولغة التعليم في المدارس والمعاهد والكلية ولاسيما بالنسبة لحصص اللغة والنحو والأدب العربي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية أو بالنسبة لبعض المواد الأخرى مثل التربية الدينية والمدنية في مرحلتى التعليم الابتدائي والثانوي ، الخ ...

لكن هل هي لغة العلوم والتقنيات الحديثة وهل هي لغة العصر في ميدان البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية العصرية ، أو — بعبارة أخرى — هل يمكن للعربية ان تكون أداة تبليغ وتآليف اليوم في مثل هذه الميادين ؟

ان الجواب على هذا السؤال ، أو ان ما يعترض العربية من مشاكل الأداء والتعبير فيما فكرت من مجال البحوث والاكتشافات العلمية والتقنية ، يعرفه أولا وبالذات كل من يعمل بمراكز التعريب والترجمة أو بالجامع العلمية خاصة ، فاهل مكة أدرى بشعابها ، ولغائل ان يقول ان هناك حلا ... وهو الترجمة ، والراي عندي ان الترجمة من الحلول الضرورية لكن غير الكافية لان المسألة ليست في نقل ما يصننه الغير لحسب والاخذ من الانطاب من البعثة والعلماء ، بل ان هذا ضروريا فهو لا يهل لمشكل اللغة العربية لجعلها لغة عصرية هائلة تناطح السحاب والنجوم أو

قل القمر على سبيل الواقعية ، كما فعلت اللغة الانجليزية بالولايات المتحدة الأمريكية اليوم ، نتكلم بها الرواد على سطح القمر ، وفي هذا من الإشارة والرمز ما يكفي تعبيرا عما نريد وتبليغا لما نقصد ..

وفي سياق ما ذكرنا آنفا ، أصبحت اللغة العربية كذلك لغة « يتعامل بها » باليونسكو ، مما يزيد مشكل النهوض بها و « تعميرها » حدة واهمية .

2 — اللغة الدارجة : وضعها وامكانياتها :

ان نظرة الاغلبية الساحقة من المثقفين الى اللغة العامية هي نظرة « احتراز » ان لم نقل نظرة ازدراء وتمنع ، رغما من كونها لغة التخاطب اليومي في المنزل والشارع والادارة وفي أروقة المدارس والمعاهد والكلية فهي اذن اللغة السائدة بين الناس دون الفصحى التي ميدانها محصور في مئات المتعلمين والمثقفين ، والسبب في انحصار ميدان الفصحى ذلك ، واتساع نطاق العامية في تونس مثلا هو ان الآباء والأجداد لم يدرسوا — بكليتهم — اللغة العربية الفصحى ولم يتقنوها حتى تصبح بينهم لغة التخاطب ، و « التعامل » اليومي ، وهذا راجع الى ان تعليمها لم يكن منتشرًا كما هو راجع بوجه عام الى الوضع التاريخي القديم الذي كانت عليه البلاد في مختلف عهوده وأطواره ، ابتداء من العهد القرطاجني الى ما قبل الاستقلال . وقل ذلك بالنسبة الى الكثير من البلدان الناطقة بالعربية ، ما قرب منها أو ما بعد ...

أما فيما يتعلق بوضع اللغة العامية وامكانياتها في ميدان التأليف اليوم بتونس فنلاحظ انها انفردت منذ زمان في ميدان التأليف ، من ذلك مثلا المسرحيات الإذاعية أو التلفزيونية التي غرضها التسلية أو التربية الأخلاقية بدرس مواضيع اجتماعية ، كما أصبحت لغة النشرة الاخبارية الخاصة بمجموع الناس أو التعليق باللسان الدارج ، ومن هنا يتسنى لنا القول ان اللغة الدارجة قد أخذت مكانها بعدد كبير من برامج الإذاعة والتلفزة ، ففرغت نفسها عرضا بحكم الواقع أي الوضع الحالي للمجتمع التونسي الذي ما زال في حاجة الى الدارجة ليكون مطلعا على ما يجري في البلاد والعالم من أحداث واخبار ، الخ ...

ثم ان اللغة العامية قد اكتسحت من ناحية أخرى ميدان التأليف الأدبي وخاصة القصة ، ونذكر في هذا الشأن على سبيل المثال محاولات الاديبين محمد المروسي المطوي والبشير خريف وغيرهما ممن أهتم

اللغة الدارجة الى جانب الفصحى لخللها بها باعتبار ان اللغة العامية قادرة احيانا على اداء المعنى المطلوب بأكثر واقعية وحيوية من الفصحى .

واذا نظرنا في مستقبل اللغة الدارجة وخاصة في المجال الذي تستعمل فيه اليوم نرى ان نشر التعليم سيكون له مفعوله - أكثر فاكثر - في تهذيب هذه اللغة وصلتها ويجدر ان نلاحظ في هذا المجال ان اللغة الدارجة التي أصبحنا نتكلم بها اليوم ليست نفس اللغة التي يتكلم بها آباؤنا وأجدادنا منذ ثلاثين سنة ، وانها قد نمت وتهذبت ولاسيما بعد الاستقلال أي في بحر الخمسة عشر عاما الأخيرة ، والسبب في ذلك راجع - كما قلنا - من ناحية الى نشر التعليم ومن ناحية أخرى الى تأثير خطب الرئيس وخطب المسؤولين وتأثيرها في الناس وطبع لغتهم بطابعها ومن جهة ثالثة الى تأثير الحصص الإذاعية ثم التلفزية التي تعددت وتنوعت .

ومن شأن كل هذه العوامل أن تتفاعل وتساعد على تهذيب اللغة الدارجة وتقربها من الفصحى شيئا فشيئا على مر السنين .

اللغة الثالثة : وبما لا يجب إهماله أن ما نسميه أو ما سماه بعضهم باللغة الثالثة كانت هي أيضا محاولة جربت في ميدان التأليف الأدبي وخاصة منه المسرحي وقد ظهرت هذه البادرة في مسرحيات توميق الحكيم ومحمود تيمور ، وحقيقة هذه اللغة أنها بين الفصحى والعامية ، لها علاقة بالفصحى من حيث مراعاتها لقواعد النحو والصرف والرسم المتعارفة ، ولها صلة بالعامية من حيث بساطة الفاظها وتراكيبها وحتى النطق بها بالوقوف على السكون مثلا وهي محاولة طريفة يمكن تمييزها لحل مشكل الفصحى والعامية أي انتهاز التأليف والتعبير بلغة سلسلة طبيعة يفهمها الخاص والعام ، لكن انتشار مثل هذه اللغة الثالثة متوقف الى حد كبير على انتشار التعليق و اكتساحه كل أصناف المجتمع ، الشأن في هذا المجال شأن الفصحى أو يكاد ...

3 - كيف ننهض باللغة العربية ؟

ليس الحل في الترجمة نحسب إذ هي كما رأينا ضرورية لكن غير كافية ، وانما الحل في تكوين أطارات كافية من حيث العدد والقيمة أي كما وكيفا كما يقال ، أطارات في أعلى مستوى قادرة على الخلق والابتكار والتأليف في ميدان العلوم والتقنيات خاصة ، أي تكوين

بحاثة وعلماء قادرين على مجازاة البحاثة والعلماء الأمريكيين والأوربيين في ميدان البحث والاكتشاف والاختراع بالمخابر العلمية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يشترط في هؤلاء البحاثة والعلماء أن يتضلّعوا في العربية ليعبروا بها عن آرائهم ويصنّفوا بها الكتب والمقالات . الحل إذن ينحصر في تكوين العقول والادمغة لا في الترجمة فحسب .

فاذا ظهروا الى الوجود - والمسألة مسألة زمن - أصبحوا قادرين على فرض لغة عربية علمية عصرية ، فنقتحم هذه اللغة المحافل العلمية والسياسية الدولية تقديرا للناطقين بها من أجل علومهم ومساهماتهم في تحقيق التطور البشري والتقدم الحضاري على صعيد عالمي . هذا هو الحل في الآجل ، لان الحياة على مراحل والتطور كذلك .

أما الحل في العاجل فهو ما بادرت اليه تونس وهو استعمال اللغة الفرنسية الى جانب اللغة العربية ، على أن هذا الحل قد يطول أمده ، ولا خير في استعمال اللغتين العربية والفرنسية ، بل حتى أكثر من لغتين في عالمنا اليوم ، عالم الحضارة والعلوم والتقنيات والاكتشافات المتعددة المتعاقبة ، علم غزو القمر والتحليق في الفضاء ، نريد فيه أن نلتحق بالأمم المتقدمة التي سبقتنا أشواطاً وأشواطاً في ميدان البحث العلمي والاختراع والاكتشافات التقنية .

وهكذا فإن اللغة التي يمكن أن تصبح أداة التأليف العلمي والتدريس بالمعاهد والكليات هي اللغة الثالثة التي تعرضنا لها أننا بشرط أن يخلتها ويفرضها - بالتأليف فيها قبل كل شيء - جمع البحاثين والعلماء الذين ننتظرهم سواء في ميدان الرياضيات أو العلوم الفيزيائية أو علوم الذرة وغزو الفضاء ، أو الطب في المخابر بالخصوص .

واذا ما وصلنا الى هذا الطور ، الذي تصبح فيه اللغة العربية - اللغة الفصحى المبسطة - لغة التدريس والتأليف بمختلف مراحل التعليم ، فلا بد من الحفاظ على اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية أو الألمانية وغيرها من اللغات العالمية الحية بمدارسنا حتى يبقى التفاعل أو التبادل أو التلاقح حاصلًا بين الحضارات والثقافات فنكون هكذا قد حققنا ما نصبو اليه من تدميم ثقافتنا على أسس تومية وأصيلة من ناحية ، وفتح من ناحية أخرى على العالم الخارجي .

ولئن كان من السهل اليوم أن ندرس اللغات والعلوم الانسانية أو مددا منها على الأقل باللغة

دون الآخر ، مما يجعل وسيلة التفاهم والتخاطب صعبة معقدة .

فالهل الآن هو لفائدة لغة عربية فصحى بسيطة تعرض نفسها مع الزمن بفضل عدة عوامل .

ومن هذه العوامل بالنسبة الى بلادنا ، انتشار التعليم وعناية الحكومة بتطوير اللغة العربية وتنميتها في نطاق التدريس والتأليف من الحفاظ على اللغسات الأجنبية وخاصة الفرنسية باعتبارها اللغة العلمية المناسبة القريبة من الأغلبية الساحقة من التونسيين ضمانا لبقاء التفتح على الثقافات والحضارات الأجنبية والتفاعل مع العالم الخارجي وتحاشي الانكماش والانغلاق على النفس .

وبخلاصة القول فقضية اللغة العربية هي قضية تطور زمني ، مرتبطة ارتباطا وثيقا بانتشار التعليم الى أن يكتسح كافة أبناء الشعب التونسي بنسبة قريبة من النسبة المثلثي أي ما يقرب من مائة بالمائة ، كما هو الشأن في البلدان المتقدمة التي مرت على استقلالها عقود من السنين ، وهي قضية تكوين اطرار عالمية كفاءة متندرة على البحث والاختراع والتأليف وبالتالي على مرض لغة مجددة بسيطة منقحة لها تواجد الفصحى مع تراكمب والفاظ واصطلاحات قريبة من الازدهار ، يفهمها الخاص والعام . كما هي قضية نهاية من طرف المسؤولين بتطويرها ونشرها كما هو الشأن بتونس ، وعلى صعيد اممي ، من طرف المسؤولين بمختلف الاقطار الناطقة بها .

فمعنى بذلك أن تصبح الى جانب اللغة الفرنسية او الانجليزية او الالمانية أو الاسبانية لغة « التعامل » في المحافل الدولية السياسية والمنظمات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية العالمية .

العربية ، فان كثيرا من المشاكل ما زالت قائمة في وجه هذه اللغة : ومنها صعوبة تعريب العلوم والفنون التقنية كلها في الاجل ، وقلة الاقطارات الكفاة والكافية في ميدان التدريس العالي باللغة العربية ، وكذلك اذبار الشبان من الطلبة والطالبات من العربية كما دلت على ذلك التجربة الاخيرة الرامية الى اقصام ساعة عربية في مختلف شعب التدريس الجامعي ، الخ..

وان دل هذا النور منهم على شيء فهو يدل على نوع من المركبات ، مركب الشعور بالنقص ، المتمثل في الازدراء والاستعلاء تجاه هذه اللغة .

اما فيما يتعلق باللغة الدارجة ونصيبها من الاستعمال فقد ينحصر - على الصعيد الداخلي - في الميادين التي تسربت اليها اليوم ، سواء بالاذاعة والتلفزة او ميادين التأليف المسرحي لبعض الروايات المسلية او ذات النزعة التربوية الاخلاقية والاجتماعية لمرضاها بالاذاعة او التلفزة فضلا عن ميدان التخاطب بالمنزل والشارع والادارة .

على أنه من العسير أن نتصور اللغة الدارجة هي اللغة الرسمية المثلثي التي قد تصبح لغة التأليف والتدريس أو نشر العلم والثقافة في أي بلد من اقطار المغرب أو المشرق وهذا راجع - اذا وضعنا المشكل على الصعيد الأممي بين هذه الاقطار - الى ان لكل بلد من هذه البلدان لفته الدارجة ولهجته ومصطلحاته الخاصة : فكلية « شنطة » المصرية مثلا لا يفهمها وانهم مكانها لفظة « فليجة » رغم أن هذه اللفظة أعجمية غير عربية لكنها تستعمل في الدارجة التونسية. وكل مثل ذلك بالنسبة الى الكثير من الكلمات ذات الاصل التركي أو الفرنسي التي تزخر بها اللهجات العامية في مختلف الاقطار العربية والتي تستعمل في بلد

552